معنى (مِنْ) واستعمالها فى القرآن

جمعاً ودراسة

الجزء الثانى



الدكتور محمد يسرى زعير

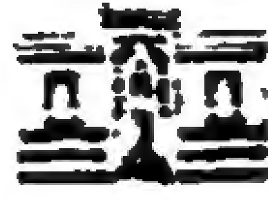
أستاذ اللغويات وعميد كلية الدراسات
الإسلامية والعربية بنات بالقاهرة سابقاً

جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالقاهرة

معنى (مِن) واستعمالها فى القرآن
جمعاً ودراسة

الجزء الثانى

الدكتور محمد يسرى زعير
أستاذ اللغويات وعميد الكلية سابقاً



دار الكتب والوثائق القومية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية
زعير، محمد يسرى
معنى من واستعمالها فى القرآن
: جمعا ودراسة/ محمد يسرى زعير
. ـ القاهرة: جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، ٢٠٠٧
ص ؛ سم.
تدمك ١ ٥٣٦ ٢٢٤ ٩٧٧
١ـ القرآن ـ ألفاظ
٢ـ القرآن ـ أحكام
أ ـ العنوان
٢٢٤
رقم الإيداع: ٢٠٧٢٨ / ٢٠٠٧

جرافيك ـ جمع كمبيوتر ـ طباعة
مركز آيات للطباعة والكمبيوتر ٠١٢/٣٧٩٧٦٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ. عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ. خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ . عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾

قرآن كريم
١-٤ سورة الرحمن

(إن لغة القرآن أفصح أساليب العربية علي الإطلاق)

أبو زكريا الفراء

(إذا كانت كلمة الإيجاد (كن) فأصل الموجودات (من))

المؤلف

الباب الثانى

آيات من الاسمية فى القرآن الكريم وفيه تسعة فصول

- الفصل الأول: آيات (مِن) الواقعــة مبتدأ.
- الفصل الثانى: آيات (من) الواقعة خبرا.
- الفصل الثالث: آيات (من) الواقعة فاعلا أو نائبه.
- الفصل الرابع: آيات (من) الواقعة مفعولا به.
- الفصل الخامس: آيات (من) الواقعة مفعولا فيه.
- الفصل السادس: آيات (من) الواقعة حالا.
- الفصل السابع: آيات (من)الواقعة حالاً أو نعتاً.
- الفصل الثامن: آيات (من) التى بمعنى (مثل) أو بمعنى (مع).
- الفصل التاسع: آيات (من) التى يقال إنها زائدة وليست كذلك.

الفصل الأول

آيـــات (من) الواقعـــة مبتـــدأ

وهى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: آيات (من) الواقعة مبتدأ غير منسوخ ولا منفى.

النوع الثانى: آيات (من) الواقعة مبتدأ غير منسوخ ومنفياً.

النوع الثالث: آيات (من) الواقعة مبتدأ منسوخاً.

آيـــات النـــوع الأول

وقعت (من) مبتدأ غير منسوخ وهو مثبت فى آيات متنوعة بحسب ما أضيفت إليه (من) وبحسب الخبر.

أولاً: آيات أضيفت فيها (من) إلى علامة إضمار جمع مذكر مخاطباً أو غائباً أو إلى هؤلاء أو إلى ما فيه أل والخبر (من) بفتح الميم أو (الذين).

(أ) آيـــات إضيفت فيها (من) إلى علامة إضمار جمع مذكر مخاطباً وهى خمس آيات من السور الآتية:

آل عمـــران: قـــوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ ١٥٢.

النحل: قوله تعالى: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ ٧٠.

الحـــج قوله تعالى: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ ٥.

غافر قوله تعالى: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ﴾ ٦٧.

محمد: قوله تعالى: ﴿ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ﴾ ٣٨.

فهـذه خمـــس آيـــات أضيفت فيها (من) إلى علامة إضمار جمع مذكر مخاطبا سبع مرات.

(ب) آيات أضيفت فيها (من) إلى علامة إضمار جمع مذكر غائبا وهى ست عشرة آية من السور الآتية وخبرها (من) بالفتح:

البقــرة قــوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ ٢٠١ البقرة، ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ...... فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ﴾ ٢٥٣ البقرة.

آل عمـــران قـــوله تعـــالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾ ٧٥.

النساء قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ﴾ ٥٥.

الأنعام قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ ٢٥.

التوبة قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ ٥٨ و ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ ٧٥ و﴿ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ﴾ ١٢٤.

يــونس قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾ ٤٠ وقوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ ٤٢ وقوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ﴾ ٤٣.

الـــنحل قـــوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ﴾ ٣٦.

النور قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ﴾ ٤٥.

العنكبوت قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ ٤٠.

الأحزاب قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ ٧٨.

محمد قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ ١٦.

وردت (مِـنْ) فــي هذه الآيات سبعا وعشرين مرة. وبذلك يكون عدد مرات النوعين معاً أربعا وثلاثين مرة.

(جـــ) أضـــيفت (مـــن) إلى (هؤلاء) وخبرها (من) بالفتح مرة واحدة في سورة العنكبوت وهى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾ ٤٧.

(د) أضـــيفت (مـــن) إلـــى ما فيه (أل) أو مضاف إلى ما فيه (أل) وخبره (من) بالفـــتح. فـــي السور الآتية والمضاف إليه كملة (الناس) عشر مرات: خمس مرات بالبقرة، ومرتين بالحج. ومرة بالعنكبوت. ومرتين بلقمان.

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ ٨ وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ ١٦٥ وقوله: ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ ٢٠٠ وقـــوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ ﴾ ٢٠٤ وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ ٢٠٧.

الحـج قـوله تعالـى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ٣، ٨ وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ ١١.

العنكبوت قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ ١٠.

لقمـان قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ ٦ وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ٢٠.

وورد المضاف إليه كلمة (الأعراب) مرتين من سورة التوبة فى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا ﴾ ٩٨ وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ ٩٩.

وورد المضاف إليه كلمة (الأحزاب) مـرة واحدة فى سورة الرعد وهى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾ ٣٦.

وورد المضاف إليه كلمة (الشياطين) مرة واحدة فى سورة الأنبياء: ﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ ﴾ ٨٢.

وورد المضاف إليه كلمة (الجن) مرة واحدة فى سورة سبأ: : ﴿ يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ ﴾ ١٢.

وأضيفت (من) إلى مضاف إلى ما فيه (أل) مرة واحدة فى سورة آل عمران قوله تعالى:﴿ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ ﴾ ٧٥ .

وبـــذلك تكون (من) أضيفت إلى ما فيه (أل) أو مضاف إلى ما فيه (أل) ست عشرة مرة.

ويكون خبر (مِنْ) هو (مَنْ) ثلاثا وخمسين مرة.

ولما كان الغالب فى (من) أن تكون موصولة ناسب ذلك ذكر (من) التى وقع خبرها (الذين) وذلك مرة واحدة فى سورة التوبة. قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾ ٦١ و (من) مضافة إلى علامة إضمار جمع المذكر الغائب.

وعليه فالإخبار عن (مِنْ) باسم موصول ورد فى القرآن إحدى وخمسين مرة.

الدراســـــة

-١-

يتبــين من الآيات التى أضيفت فيها (من) إلى علامة إضمار أن نونها ظلت ساكنة لأن ما بعـــدها متحــرك ﴿ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ﴾ ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة...﴾ وكذا الحال إذا كانت علامة الإضمار لجماعــة المتكلمــين نحو قوله تعالى: ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ ١٥٥ الأعراف. غير أنها أدغمت فى نون (نا) على قاعدة إدغام الساكن فى المتحرك إذا كانــا مثلــين. وتدغم أيضا مع علامة إضمار المفرد المتكلم إذا لحقتها نون الوقاية نحــو قــوله تعالى:﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ﴾ ٣٦ إبراهيم. فإذا لم تلحقها نون الوقاية حركت بالكسر تخلصا من الساكنين كما فى قول الشاعر:

(لست من قيس ولا قيس منى)

-٢-

ثانــياً: وقعــت (من) بفتح الميم خبرا عن (من بكسرها. ثلاثا وخمسين مرة. علــى حــين وقعت (الذين) خبرا عنها مرة واحدة. ولا خلاف فى أن (الذين) اسم موصــول وأمــا (من) فتحتمل أن تكون موصولة وأن تكون موصوفة. وهى على الأول معرفة وعلى الثانى نكرة.

ولا غــرابة فى وقوع (مَنْ) خبراً عن (مِنْ) فقد علمنا أن بينهما علاقة وثيقة فــى المعنى لما نقلناه عن الطبرى وهو: وإنا فتحت الأولى لأن معناها أوسع مدى. وكسرت الثانية لأن معناها أقل وأضيق فالأولى تدل على العموم والثانية تدل على بعــض العمــوم. وأن معنى كل منهما يتحدد بما يضاف إليه فقولنا (من الناس من

يؤمن) تدل فيه (مِنْ) على بعض الناس. وتدل (مَنْ) على الذين يؤمنون منهم. ففى كل منهما معنى: بعض. ... إلخ ما سبق[1].

ولــذا نــدرك مــدى التناسق المعنوى والتوافق اللفظى والسهولة واليسر مع الوصول إلى المعنى بأقصر طريق. وتأمل الآيات السالفة تدرك صدق ذلك كله.

-٣-

لعــل القــارئ قد أدرك معنى تلك الآيات ومِنْ ثَمَّ وقف على طريق إعرابها فالمعنــى هو الطريق إلى الإعراب. فقوله تعالى: ﴿منكم من يريد الدنيا..﴾ معناه: بعضكم الذى يريد الدنيا. وكأنى ألمح من وراء ذلك أن غير الإنسان لا طموح عنده فى الدنيا. وإنما هى شغل الإنسان الشاغل وحرصه القاتل.

فـــ (مِــنْ) مبتدأ وعلامة الإضمار مضاف إليه. و (مَنْ) خبر. وتحتمل أن تكــون موصــولة كمــا أشرنا وأن تكون نكرة موصوفة. يقول أبو السعود فى آية الأنعــام: ﴿ومــنهم من يستمع إليك﴾: والمعنى بعضهم أو بعض منهم الذى يستمع إلــيك. أو فــريق يستمع إليك. على أن مناط الفائدة اتصافهم بما فى حيز الصلة أو الصفة لا كونهم ذوات أولئك المذكورين"[2].

وفــى هــذا النص جمال ووضوح ومنبع ذلك كله استنباط المعنى من كلمات الــنص لذاتها دون تأويل وفى مكانها دون تعديل. وفى غناها دون احتياج أو فقر. وهــذا أرقــى درجات فهم النص القرآني. غير أننى ألمح شائبةَ مَا كان أغنى أبى الــسعود عنها وهو قوله (أو بعض منهم) فما ضره لو قال (أو بعضهم)!! (وقد لا تعدم الحسناء ذا ما).

---

(١) انظر ص ٨٥ من هذا البحث.

(٢) إرشاد العقل السليم هامش تفسير الرازى ٤/٢٧٨:٢٧٩.

فأبـو الـسعود فـى هذا النص يقرر أن المعنى: وبعضهم الذى يستمع إليك. وعلـى هذا تكون (مَنْ) اسماً موصولاً والجملة بعده لا محل لها من الإعراب أو: وبعضهم فريق يستمع إليك. وعليه تكون (مَنْ) اسما نكرة موصوفة بالجملة بعدها. وهذه الجملة فى محل رفع.

ويترتب على هذا المعنى أن تكون (مِنْ) اسما بمعنى (بعض) وتعرب مبتدأ. و (مَنْ) خبرها. فالإعراب فرع المعنى كما قرر علماؤنا المحققون.

ومـثل هذا يقال فى قوله (ومن هؤلاء من يؤمن به) أى وبعض هؤلاء الذى يؤمن به أو فريق يؤمن به.

ولا يخفـى أن علامة الإضمار المضاف إليها (مِنْ) وكذا (هؤلاء) فى محل خفض بالإضافة.

-٤-

أمـا آيات (من) المضافة إلى ما فيه (أل) نحو: (ومن الناس من يقول) (ومن الأعـراب من يتخذ أو من يؤمن) (ومن الأحزاب من ينكر بعضه) (ومن الشياطين من يغوصون) (ومن الجن من يعمل بين يديه).

فإنـنا نرى أن نون (من) فيها مفتوحة لا ساكنة لأن ما وليها ساكن وهو نون (الـناس) ولام (الأعراب) و (الأحزاب) و (الجن) وشين (الشياطين) فحركت نون (من) بالفتح تخلصا من التقاء ساكنين لا يمكن النطق بهما. وهذا دليل على أن اللغة العربية لغة التيسير والتخفيف.

فإذا لم تلتق ساكنة مع ساكن آخر ظلت ساكنة كما فى قوله **(وإن من أهل من إن تأمنه ... الآية).**

وفـى ذلـك يقـول الرضى: "اعلم أن نون (من) إذا اتصل به لام التعريف فالأشهر فتحه وذلك لكثرة مجئ لام التعريف بعد (من) فاستثقل توالى الكسرتين مع

كثرته... قال الكسائى: وإنما فتحوا فى نحو (من الرجل) لأن أصل (من): منى. أو منا. ونقل عن سيبويه قوله: وقد كسر أيضا بعض العرب - وليس بمشهور - نون (من) مع لام التعريف. على الأصل ولم يبال بالكسرتين لعروض الثانية"[١].

وربمـا يفهـم من كلام الكسائى أن تكتب (مِنَ) إذا دخلت على لام التعريف بالألـف أو بالـياء. على أصلها. فيقال: منى الرجل. ومنى الناس. كما يقال: لدى الـرجل ولدى الناس. أو يقال: منا الرجل ومنا الناس. كما يقال: رجا الرجل ورجا الناس[٢]. فتثبت الياء أو الألف خطا وتسقط نطقا. ويكون فى هذا دليل قوى على أن (من) ذات جذر ثلاثى لا ثنائى كما سبق فى الباب الأول.

أمـا كـسر (مـن) فى (من الناس) و (من الرجل) و (من الأعراب) و (من الجـن) أى سواء أكانت اللام شمسية أو قمرية فهو مقبول لا مرذول والدليل على ذلـك اسـتعماله فى العامية. وكم لها وفيها استعمال دقيق. ولا يغض من قيمته ما قـيل: إن توالى الكسرة ينشئ ثقلاً على اللسان. لأن من علمائنا من قرر أن توالى الحركة الثقيلة يكسبها خفة وسهولة لتحرك اللسان فى جهة واحدة ومن ذلك الضمة فـى نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ ٤٨ الـنور. وقـوله: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ ٢٤ الحج.

فتوالـى الكسرتين ليس أثقل من توالى الضمتين. والحكم فى هذه القضية هو الذوق والإحساس عند النطق فـ (مِنِ الناس) بكسر النون لم يبلغ من الثقل ما يمجُّه الـذوق أو ينفر منه الطبع السليم. مع انسجامه مع قاعدة (الأصل فى التخلص من الساكنين التحريك بالكسر).

---

(١) شرح الشافية ٢/٢٤٦: ١٤٧.

(٢) الرجا: الناحية.

ولـــيس معنى ذلك أننا ننكر فتح النون. إذ لا يمكن لأحد أن ينكره لما فيه من نقلــة اللسان إلى الأخف من الأثقل. وفى ذلك من السهولة والخفة ما لا يخفى على الذوق الرفيع.

-٥-

مــن البدهــى أن (أل) فى لغة العرب قد أخذت قسطا وافرا من الشهرة بأنها معــرفة. وأمـــا كونها موصولة فليس بذى شهرة. لقلة استعمالها ولكثرة من يجهل حقيقة أمرها واستعمالها. وهذه الحقيقة هى أن مدخولها يكون فيه معنى الفعل نحو: قائم. مؤمن. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ ٣٥ من سورة الأحزاب. فهذا بمعنى: إن الذين أسلموا واللائى أسلمن ... إلخ. ولعل القارئ فـــى غنى عن التنبيه إلى أن الأسلوب الأول ذو مكانة رفيعة من الذوق الرفيع فى تـــناغم الحـــروف والتحام بعضها ببعض... وللقارئ أن يستزيد ما شاء الله به من الاستزادة فى قراءة هذا الموضوع.

أمـــا موضـــوعنا هنا فهو (أل) التى دخلت عليها (من) البعضية فى (الناس) و(الأعراب)... إلى غير ذلك.

فهذه الكلمات مجردة عن معنى الفعل ومن ثم كان لزاما أن تكون (أل) معرفة لا موصولة. وإذا كانت معرفة فهى إما للجنس وإما للعهد. فإذا كانت للجنس كانت (من) نكرة موصوفة. وإذا كانت للعهد كانت (من) موصولة.

وهـــذا مـــا ذكره الزمخشرى فقد قال فى (ومن الناس من يقول): ومن الناس ناس يقولون كذا. كقوله: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ﴾ ٢٤ الأحزاب. وهذا على أن (أل) للجـــنس. وأمـــا على أنها للعهد فتكون (من) موصولة كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾ ٦١ التوبة[1].

---

(١) انظر الكشاف ١/٤٢، والبحر ١/ ٥٣.

وضـــعف أبو البقاء كون (من) موصولة لأن الموصول: كـــ (الذى) يتناول قوما بأعيانهم والمعنى ههنا على الإبهام"[١].

ورده ابن هشام بأن تلك الآيات نزلت فى أقوام معينين فقوله فى سورة البقرة: "ومن الناس من يقول آمنا ... الآية" نزلت فى عبد الله بن أبى وأصحابه[٢].

والذى نراه أن الذى يحدد المعنى المراد هو المقام الذى ترد فيه الآية فإن علم المقصود بها كانت (أل) للعهد و (من) موصولة. وإن لم يعلم كانت للجنس و (من) نكرة موصوفة.

وقـــد ذكـــرنا أن آية البقرة الأولى نزلت فى عبد الله بن أبى وأصحابه وعليه تكـــون (أل) عهديـــة و (مـــن) موصولة. وكذا فى قوله تعالى: ﴿ **ومن الناس من يعجـــبك قوله .. الآية**﴾ فقد نزلت فى الأخنس بن شريق. وفى قوله: ﴿**ومن الناس من يشرى نفسه...**﴾ فقد نزلت فى صهيب وفى قوله: ﴿ **ومن الناس من يجادل فى الله بغيـــر علـــم...**﴾ فقد نزلت فى النضر بن الحارث.. فأل فى كل هذه الآيـــات عهـــديـــة و (مـــن) موصولة فهى كقوله تعالى: ﴿**ومنهم الذين يؤذون النبى**﴾ فقد نزلت فى نبتل بن الحارث[٣].

فهـــذا التعيين هو ما يتفق مع معنى الموصول خاصا كـــ (الذى) أو عاما كـــ (مـــن) وأخـــواتهما "لأن وضعه على أن يطلقه المتكلم على ما يعتقد أن المخاطب يعرفه بكونه محكوماً عليه بحكم معلوم الحصول له"[٤].

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/٩..

(٢) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٣٧.

(٣) انظر الإتقان ٢/١٤٦ :١٤٧ ولباب النقول ٣٢، ١١٢.

(٤) شرح الكافية ٢/ ٣٥.

-٦-

فمـــا ذهب إليه أبو البقاء من أن جعل (من) موصولةِ ضعيف ليس من القوة بمكان وقوله (والمعنى هنا على الإبهام) لا يتعارض مع تعيين مدلول الموصول إذ الإبهـــام قد يقع فى المعارف ولذا قال الرازى: "الإخبار يجب أن يكون عما يعرف بمـــا لا يعـــرف. فإذا قلت: المنطلق زيد فالمنطلق معلوم. والشخص مجهول. وإذا قلت: زيد منطلق كان المقصود إثبات الانطلاق لزيد"(١).

وهذه القاعدة تفيدنا هنا لأن (من الناس) وغيره من الآيات السابقة معلوم معناه فهو فى مقام المحكوم عليه لا المحكوم به. وما يأتى بعده هو المحكوم به.

وعليه فلا مناص من جعل (من) مبتدأ فهى اسم بمعنى (بعض) وهو فى محل رفـــع و (الـــناس) مـــضاف إلـــيه و (من يقول) ونظائره خبر. سواء أكانت (من) موصولة أو للجنس.

وهـــو ما صرح به الخضرى حيث قال: "إن (من) اسم بمعنى (بعض) مبتدأ و(من يقول) خبر. وممن صرح بأن التبعيض اسم الإمام الطيبى"(٢).

وهذا ما نحرص عليه وندعو إليه. وما قمنا بهذه الدراسة إلا تنقيةً لفهم معانى القـــرآن وإعـــراب نـــصوصه من أشياء لا تليق به مثل: دعوى التقديم والتأخير. ودعـــوى الحـــذف والتقدير. ودعوى زعم أن الكلمة حرف وهى اسم بأجلى معنى الاســـمية وأتمه وتلك هى الجريرة التى سلبت من الكلمة نفسها وقضت على كيانها وجعلـــتها قلقة مضطربة فى مكانها. وقد حققنا فى المقدمة - أى فى الباب الأول - أن الكلمـــة فـــى اللغة العربية وضعت لمعنى ثم استعملت فى مكان مع غيرها من الكلمات بحيث لا ترضى به بدلا ولا تبغى عنه حولا.

---

(١) هامش دلائل الإعجاز ص ١١٧ وانظر حاشية الصبان ١/ ٢١٩.

(٢) حاشية الخضرى على ابن عقيل ١/٢٢٩.

فمـــثلها مثل الإنسان الذى خلقه الله بكيفية خاصة واستخلفه فى أرض لوظيفة معينة هى عمارة الأرض وحضارة المجتمع. فكما لا يجوز لأحد أن يسلب من هذا الإنسان جوهره ولا يضعه فى مكان ليس له. فكذلك الكلمة.

وبمـــا قدمـــناه مـــن الإعـــراب نحفظ للكلمة حقيقتها ونحافظ لها على مكانها ومكانتها.

-٧-

وليتـــضح للقارئ ما قررناه نسوق إليه آراء العلماء فى مثل هذه الآيات ليقف بنفسه على ما تنوء به من الأثقال والأحمال وأرق الليالى الطوال.

ومما ينبغى التنبيه إليه أن علماءنا مع ذكرهم هذه الأقوال يقرون ويقررون بل يعتـــرفون اعتـــرافا واضحا بأن (من) بمعنى (بعض) ومع هذا لا يسمحون لها بأن تكـــون اسما فدون ذلك خرط القتاد. مع ما يترتب عليه من لغو وحشو. وتلكم هى الآراء.

(أ) أن (من) للتبعيض وهى حرف متعلق بمحذوف خبر مقدم و (من يقول) مبتدأ مؤخر[1].

ولا يخفـــى علـــى ذى عقل وبصيرة ما فى هذا الرأى من الجناية على نوع (مِنْ) بجعلها حرفا وهى اسم لا شك فى ذلك. ومن دعوى الحذف والتقدير ودعوى الـــتقديم والتأخيـــر وهما باطلتان وأهم من ذلك ما جناه على معنى النص باعتراف بعـــض العلماء. يقول أبو السعود: "وأما جعل الظرف – يعنى: من الناس – خبرا مقـــدما كمـــا هو الشائع فى موارد الاستعمال فيأباه جزالة المعنى. لأن كونهم من الناس ظاهر. فالإخبار به عارٍ عن الفائدة كما قيل"[2].

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٩/١ وشرح شذور الذهب ١٠.

(٢) إرشاد العقل السليم هامش الرازى ١٢٣/١.

ويقـول الخـضـرى: "المتبادر أن (من الناس) خبـر عن (من يقول). ولا يظهر له فائدة[١].

ومما يقضى على هذا الرأى قضاء مبرما لا يسمح بعودته أن (من الناس) لو جعـل خبـرا مقدما لكان مكانه فى التقدير بعد أربع عشرة آية أى بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ ٢٠ البقرة. فهذه الآيات كلها صفات للمنافقين. وعلـيه يكون التقدير: من يقول آمنا بالله ...... إن الله على كل شئ قدير. كـائن من الناس.

فهـل هذا يليق بجـلال القـرآن وكمـاله؟!! شيئا من الدقة والرقة والرحمة أيها النحاة!!

(ب) أن (مـن) بمعنـى (بعض) ومع ذلك حرف كما فى الوجه الأول. ولكنها مع مجرورها مبتدأ باعتبار مضمونه أى وبعض الناس الذى يقول أو فريق يقول. ذكره أبو السعود[٢].

وصـرح به التفتازانى فى حاشيته على الكشاف وجعل تقديره: وبعض الناس من يفعل كذا. ومناط الفائدة تلك الأوصاف. وفى قول الحماسي:

فمنهم ليوث لا ترام وبعضهم ... مما قمشت وضم حبل الحاطب

تأنـيس لمـا ذكـرنا حيث وقع قرينة (منهم) وهى (بعضهم) مبتدأ[٣] وكان الأحرى بالتفتازانى أن يتخذ من مقابلة (بعضهم) لـ (منهم) دليلا على اسمية (من) لأنهـا تـردف (بعض) ولا يقابل الاسم بالحرف بل اللائق الذى ينبعث من التفكير السليم هـو مقابلة النظير بالنظير. ولكن يبدو أن بعض الباحثين الدارسين إذا ثار

---

(١) حاشية الخضرى على ابن عقيل ٢٢٩/١.

(٢) إرشاد العقل السليم هامش الرازى ١٢٣/١.

(٣) حاشية الأسير على المغنى ١٣٧/٢.

غبار كثيف حول شئ تمكن هذا الغبار من عقولهم وألسنتهم فصرفها عما تحته من حقائق مستورة ودقائق مقمورة.

(جـ) ذكر أبو السعود وجهاً ثالثاً وهو: أن يكون (من الناس) نعتا لمقدر هو المبتدأ والمعنى: وبعض من الناس يقول"[١].

وفي هذا تكرار ممل ومخل لأننا لم نتعود من لغتنا إلا غنى فى معنى مفرداتها بحيث تحمل الكلمة غير معنى لغير مقام. أما أن تتكرر كلمات لمعنى واحد فهذا ما لا يوجد فى اللغة فلا ينبغى لنا أن ندعيه أو نعبر عنه. ولكن يبدو أن علماءنا كانوا يولعون بذكر كل الآراء اللائقة وغير اللائقة. وفى مقامنا هذا رأينا أبا السعود يذكر الوجه الكامل الجميل. وكان الأجدر به أن يكتفى بذكره ولكنه أخذ يذكر ما ينقضه. وهل يصلح هذا أن يكون منهجا لتفسير كلمات الله؟! على أننا قد حققنا فى الباب الأول أن حذف الموصوف وإقامة الوصف مقامه قبيح.

فلا يليق ذلك بجلال القرآن وقدسيته.

(د) يرى الأخفش أن (من يقول) فاعل لقوله (من الناس) لأنه ظرف والظرف يرفع الفاعل كما فى قوله تعالى: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾ ١٠ إبراهيم. وقوله:

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴾ ٣٥ النجم. فـ (من الناس) جار ومجرور فى قوة الظرف فيرفع ما بعده فاعلا ويرى الأخفش أن ذلك جائز وإن لم يعتمد الظرف على شئ من الأمور المعروفة. إذ هو يجرى مجرى الفعل فيتحمل الضمير ويؤكد ما فيه كما يؤكد ما فى الفعل نحو: مررت بقوم لك أجمعون. وينتصب عنه الحال. فلما رآه بمثابة الفعل فى هذه المواضع

---

(١) إرشاد العقل السليم هامش للرازى ١/١٢٣.

جعلــه كالفعل فرفع به الفاعل فى نحو: "ومن الناس من يعجبك" "ومن الناس من يتخذ" "ومن الناس من يشرى"(١).

وفــى هذا الرأى شيئان لا يليقان باللغة العربية وخاصة لغة القرآن (أحدهما) أن جعــل (من الناس) من قبيل (فى المسجد) ليس له ما يسنده ولا ما يؤيده فشتان بين (فى) التى لم يصرح أحد باسميتها – اللهم إلا على ضرب من الاجتهاد – كما فعل الدكتور إبراهيم أنيس. وقد سبق ذكره لأن رأى أن (فى) بمعنى (داخل) فلم لا تكون اسما مثلها؟!(٢)

وأما (من) فنصيبها من الاسمية وفير والقائل باسميتها جم غفير. فأنى هذه من تلك؟! ففى هذا ضعف غير لائق بـــ (من).

(الثانـــى) أنه يشتمل على صعوبة. إذ لو قلنا لمبتدئ: إن (من الناس) ظرف و(من يقول) فاعله فهو مرفوع به لحار عقله وضل دليله وانعقد لسانه فلا يستطيع إلـــى فهـــم المعنى سبيلا. وخاصة أنه يرى العلاقة الوثيقة بين (من الناس) و (من يقول) فلو قلنا له (من الناس) مبتدأ و (من يقول) خبر أى بعض الناس من يقول.. لاطمـــأن عقلـــه واتضح الدليل له وحلت عقدة لسانه فعبر بالمعنى المراد وإعراب كلمات النص.

هذا: وربما يقال: إن (من الناس) بيانية. ولكننا لا نراه لما علمنا من رد هذا المعنى لاقتضائه زيادة (من). ولأنه لم يتقدم فى اللفظ شئ مبهم فيبين جنسه كما قال أبو حيان(٣).

---

(١) انظر إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ٥١٢: ٥١٣.

(٢) انظر ص ٢٣ من هذه الدراسة.

(٣) البحر المحيط ١/ ٥٣.

وبالــرد علــى هذه الآراء يتضح أن جعل (من) اسما مبتدأ و (من) خبرا هو اللائق بقدسية لغة القرآن وتنزيهها عما لا يليق بها وهو:

(أ)

دعوى التقديم والتأخير التى قيل: إنها خاصة بالضرورة والقرآن لا ضرورة فــيه. ولــست بــدعا فى إنكارى وإبطالى هذه الدعوى لأننى علمت أن غيرى من العلماء الأجلاء قد رسموا هذا المنهج رسما واضحا. ومنهم على سبيل المثال الإمام محمد عبده. ففى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ١٤٣ البقرة.

يقــول الجلال: "الرأفة شدة الرحمة. وقدم الأبلغ للفاصلة" وقد أثار هذا القول انتباه الإمــام محمد عبده فانبرى للرد عليه بأبلغ الحجج وأرفع الأدلة حيث يقول: "إن كل كملة فى القرآن موضوعة فى موضعها اللائق بها فليس فيه كلمة تقدمت ولا كلمة أخرت لأجل الفاصلة لأن القول برعاية الفواصل إثبات للضرورة كما قالوا فى كثير من السجع والشعر: إنه قدم كذا وأخر كذا لأجل السجع ولأجل القافية. والقرآن ليس بشعر ولا التزام فيه للسجع. وهو من الله الذى لا تعرض له الضرورة بل هو على كل شئ قدير. وهو العلم الحكيم الذى يضع كل شئ فى موضعه.

ومــا قــال بعض المفسرين مثل هذا القول إلا لتأثرهم بقوانين فنون البلاغة وغلبتها عليهم فى توجيه الكلام مع الغفلة فى هذه النقطة عن مكانة القرآن فى ذاته. وعــدم الالــتفات إلــى ما لكل كلمة فى مكانها من التأثير الخاص عند أهل الذوق العربى"(١).

تأمل هذا النص ثم استحضر ما سلف ذكره عن بعض العلماء وهو: أن (من الــناس) فى آية البقرة لها متعلَّق مقدَّر ومكان تقديره بعد الآية رقم ٢٠ من السورة فأين هذا مما ذكره الإمام؟!

---

(١) تفسير القرآن الحكيم ٢/١٠ : ١١.

(ب)

الحذف فى القرآن حيف وظلم بل إن التقدير ذاته تكدير وتعكير. وإن كنت فى شك من هذا فَخَبِّرنى: أى فائدة فى قولهم: من يقول آمنا بالله ..... كائن من الناس. أو فى قولهم: من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله كائن من الناس... إلخ.

إن لغتنا لغة العقل والمعنى لا لغة اللسان واللفظ غالبا. ومن عمل العقل فيها أنه حكم باسمية (من) إذا كانت دالة على بعض ما تضاف إليه. مع ما تختار به من خصائص يأتى ذكرها.

(جـ)

إن جعل (مِنْ) مبتدأ و(منْ) خبرا وضع للكلمات على سمت المعنى المراد بها فيكون الإعراب على سمت تفسير المعنى وذلك ما لا غاية وراءه كما قال ابن جنى ثم أردف قائلاً: "وإن كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه وصححت طريق تقدير الإعراب حتى لا يشذ شئ منها عليك"[1].

ولسنا فى أساليب (مِنْ) محتاجين إلى ذلك ما دمنا نفهم المعنى ونجعل الإعراب على سمته.

(د)

من البدهى أن الخبر صفة للمبتدأ فقولنا: محمد كريم يتضمن صفته بالكرم وذا تأملت أساليب (مِنْ) فى تلك النصوص علمت أن (مَنْ يقول) و (مَنْ يشرى) وغيرهما فى مقام الصفة وليست فى مقام المبتدأ. وقد تعلمنا من نظام التراكيب فى لغة العرب أن الموصوف يذكر من قبل الصفة لأن هذا مقتضى الفكر المستقيم

---

(١) الخصائص ١/ ٢٨٤.

والفهم السليم. ومن ثم رأينا أبا السعود يقول عن تلك الأساليب: "إن مناط الفائدة اتصافهم بما فى حيز الصلة أو الصفة لا كونهم ذوات أولئك المذكورين"[1].

(هـ)

أن جعل (من الناس) مبتدأ يثير فى نفس السامع اليقظة التامة والانتباه الكامل على ما يلقى إليه بعد ذلك فإذا ما قيل: (من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) طارت نفسه إلى آفاق عالية أن وجد فى الناس من يضرب المثل الأعلى فى البذل ويحقق أسمى معانى التضحية. وإذا ما قيل (من يشترى لهو الحديث..) تمزقت النفس حسرة والتياعا. وتملكها اكتئاب عميق أن كان فى الناس من يوصف بهذه الصفة التى تجعله أسفل سافلين.

(ز)

أن أهم ما يترتب على إعراب (من الناس) مبتدأ وما بعده خبرا – فضلا عما سبق – إنما هو استقلال النص بالدلالة على المراد منه دون احتياج إلى غيره وفى ذلك أعلى درجات التأثير فى النفس ولذا يقول الفيلسوف شوبنهاور:

"وأجمل ما يكون الحق حينما يكون عاطلا عن الحلى وبقدر البساطة فى التعبير عنه يكون عمق تأثيره فى النفس. ويرجع جانب من ذلك إلى أنه فى هذه الحالة ولا يجد عائقا فى الاستيلاء على روح السامع استيلاء تاما. ولا يترك مجالا لفكرة عابرة تلهيه.

كما يرجع جانب آخر من ذلك إلى أنه يشعر بأنه لم تخدعه الأساليب البلاغية ولم تفسد عليه أمره. وأن التأثير جميعه آت من الشئ نفسه"[2].

-٨-

هذه النقاط الست السبع متعلقة بـ (من) التى أضيفت إلى علامة إضمار جمع مذكر مخاطبا كان أو غائباً. والتى أضيفت إلى ما فيه (أل). والخبر فى الجميع هو (من) ويبقى أسلوبان مما سبق ذكره:

---

(١) إرشاد العقل السليم هـ الرازى ٢٧٩/٤.

(٢) مجلة العربى ع ١٣٧/ ٩٣.

أحـدهما: ما أضيفت فيه (مِنْ) إلى (هؤلاء) وخبرها (مَنْ) وهو قوله تعالى: "ومن هؤلاء من يؤمن به" وصدر هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾ ٤٧ العنكبوت.

والمـراد بــ (الكتاب) الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم: القرآن الحكـيم. والمراد بالكتاب فى (فالذين آتيناهم الكتاب): التوراه والإنجيل والمراد بـ (الـذين أوتـوه: عبد الله بن سـلام ومن آمن معه ممن عاصروا نزول القرآن وأوتوه حينئذ.

والمـشار إليه بـ (هؤلاء) من قوله (ومن هؤلاء من يؤمن به) إما أهل مكة وإمـا الـذين أوتـوا الكتاب قبل عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ومن فى عهده منهم. ولم يكونوا آمنوا بعد. ففى هذا إخبار بغيب بينه الوجود بعد ذلك فقد آمن بالقرآن كثير منهم وهذا معنى قوله: (ومن هؤلاء أى بعضهم من يؤمن به أى بالقرآن الحكيم)(١).

فالمبـتدأ هو (من) و (هؤلاء) مبنى فى محل خفض بالإضافة و (من يؤمن) الخبـر. فالمعنى نابع من كلمات النص ومن نسقها فهو مستغن أعلى استغناء عن تأويل بعض كلماته أو تأويل مكان إحداها.

الأسلوب الثانى: هو قوله تعالى: "ومنهم الذين يؤذون النبى... الآية" والمبتدأ فيه مضاف إلى علامة إضمار جمع غائبا وخبره اسم موصول (الذين) وربما يؤخذ من هذه الآية أن تكون (مَنْ) فى الآيات السابقة اسما موصولا ولكن ذلك ليس على سـبيل اليقـين لما علمنا سابقا من أن الاسم الموصول يقتضى تعيين من وقع منهم

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ٣٦٠ والمحرر الوجيز ٤/ ٣٢١.

الحدث أو من وصفوا بالجملة بعده. فالمقام هو صاحب الكلمة العليا فى دراسة تلك الأساليب. وعلى الباحث أو الدارس أن يبحث عن مقام كل آية ليعرف حق المعرفة من نزلت فى شأنه. ولولا ضيق المساحة الزمنية وطول الكلام طولا مخلا مملاً لقمت بذلك فى كل آية. ولو شاء الله وأمدنى بطول العمر لقمت بدراسة هذه الآيات مع بيان مقام كل آية.

وحسبنا هنا الإشارة إلى أن سورة التوبة قد سجلت على المنافقين والمنافقات كثيرا من قبيح الصفات مثل الكذب والتجسس واللمز وإيذاء النبى وخيانة العهد... إلى غير ذلك.

-٩-

ومما يجدر بنا التنبيه إليه أن ورود (من) نكرة موصوفة لا غرابة فيه كما ذكرنا أن بعض العلماء جعلها كذلك فى بعض الآيات. ويقول ابن هشام: "وتقع (من) نكرة موصوفة ولهذا دخلت عليها (رب) فى قول سويد بن كاهل اليشكرى:

رب من أنضجت غيظا قلبه ... قد تمنى لى موتا لم يطع

ووصفت بالنكرة فى نحو قولهم: مررت بمن معجب لك. وقال حسان رضى الله عنه:

فكفى بنا فضلا على من غيرنا ... حب النبى محمد إيانا

بخفض (غير). ويروى برفعها فيحتمل أن (من) على حالها – يعنى: نكرة – ويحتمل الموصولية. وعليها فالتقدير: على من هو غيرنا. والجملة صفة أو صلة. وقال الفرزدق:

إنى وإياك إذ حلت بأرحلنا ... كمن بواديه بعد المحل ممطور

أى كشخص ممطور بواديه.

وزعم الكسائى أنها لا تكون نكرة إلا فى موضع يخص النكرات. ورد بهذين البيتين. فخرجهما على الزيادة وذلك شئ لم يثبت.

وقال تعالى: ﴿**ومن الناس من يقول آمنا ....**﴾ فجزم جماعة بأنها موصوفة هو بعيد لقلة استعمالها وآخرون بأنها موصولة. وقال الزمخشرى: "إن قدرت (أل) فــى (الناس) للعهد فموصولة مثل (ومنهم الذين يؤذون النبى) أو للجنس فموصوفة مثل (من المؤمنين رجال). ويحتاج إلى تأمل"[(١)].

وبهذه النصوص لابن هشام يتضح أن الغالب استعمال (مَنْ) مــوصولة لأنها لم تستعمل موصوفة إلا فى أساليب محدودة. وتكون (ومنهم الذين يؤذون النبى) هى التــى أثبتت استعمال (مَنْ) موصولة غالبا فهذا هو الأصل فيها. ورب أصل كشفه أســلوب واحد. كما هو الحال هنا. فــ (الذين) فى آية التوبة قد كشفت النقاب عن حقــيقه (مَنْ) فى غيرها. ولكن ذلك غير معلل بل سببه ما يدركه العقل والذوق من خفة (مَنْ) عن (الذين) وقد حققنا فى الباب الأول أن الخفيف يكثر استعماله ودورانه على الألسنة.

أما الآية التى ذكرها الزمخشرى وهى: (من المؤمنين رجال) فسيأتى الحديث عنها وعن نظائرها مما أخبر فيه عن (مِنْ) بغير الاسم الموصول.

ثانــياً: آيات أضيفت فيها (مِنْ) إلى اسم ظاهر غير موصول ولا محلًّى بال. وخبرها غير اسم موصول. وذلك فى سبع آيات على النحو الآتى:

١- آيتان أضيفت فيهما (من) إلى اسم فيه معنى الجمع وهما من السورتين الآتيتين

الأعراف: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ ١٥٩.

الصافات: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ ١١٣.

---

(١) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٨: ١٩.

فالآية الأولى فى حق بنى إسرائيل أى وبعض قوم موسى أمة. فالخبر (أمة) وجملة (يهدون بالحق) صفة فى محل رفع. قال الزمخشرى: "والمراد بهؤلاء: المؤمنون التائبون من بنى إسرائيل. أو من أدرك النبى عليه السلام وآمن به من أعقابهم. وقيل: هم أحد الأسباط فروا من إخوانهم إلى ما وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلة المسلمين...."[1].

ولا يغيب عن أذهاننا هنا أن التعبير بـ (من قوم موسى) يشير إلى أن هؤلاء قلة وإن بلغوا حداً يقال لهم عنده (أمة). فذلك نظير قوله تعالى: "وممن خلقنا أمة يهدون بالحق".

والآية الثانية فى حق إبراهيم وإسحاق. أى: وبعض ذريتهما محسن وظالم لنفسه.

وهنا صفتان متقابلتان لا يجتمعان فى محل واحد مما يجعل العقل يدرك نظير المذكور أى وبعض ذريتهما محسن. وبعضها ظالم لنفسه. والظلم هو الكفر كما قال الله ﴿ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ٢٥٤ البقرة قال الجلال: "وباركنا عليه أى على إبراهيم بتكثير ذريته. وعلى إسحاق ولده بجعلنا أكثر الأنبياء من نسله.

ومن ذريتهما محسن أى مؤمن. وظالم لنفسه أى كافر بين الكفر"[2].

وكان على الجلال أن يقول: ومنها ظالم لنفسه. كما سبقت الإشارة إليه فـ(من) لثانية لم تذكر للدلالة عليها بالأولى.

وواضح أن (ذرية) فيها معنى الجمع. كما أن (قوم موسى) كذلك.

---

(١) الكشاف ٢/٢٣١.

(٢) تفسير الجلالين ٣٧٨.

٢- خمس آيات أضيفت فيها (من) إلى (آياته) أى الله. وهى من السور الآتية:

الروم: قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ ٢٢ ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ ٢٣.

فصلت: قوله تعالى:﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ ٣٧.

الشورى:﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ ٢٩ ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾ ٣٢.

فـ (من) بعضية مبتدأ أى وبعض آياته. وجاء الخبر مصدرا فى ثلاث آيات هى: خلق السموات والأرض. من الروم والشورى. و (منامكم بالليل والنهار) الروم وجاء اسما مقترنا بـ (ال) فى آيتين هما: (ومن آياته الليل والنهار) فصلت (ومن آيات الجوار...) الشورى. وما ينبغى ملاحظته أن (الجوار) منقوص أى محذوف اللام وأصله (الجوارى) فإعرابه على الياء المحذوفة وهو الضمة المقدرة.

فبعض آيات الله خلق السموات والأرض واختلاف الألسنة والألوان.

وبعض آياته نوم الناس بالليل والنهار وابتغاؤهم بعض فضله. وظاهر الآية أن الناس ينامون بالليل وبالنهار ويبتغون من فضله فى الليل والنهار وهذا يطابق الواقع أحيانا وخير شاهد على ذلك ما نعلمه فى زماننا هذا. فكأن هذه الآية وردت هكذا ليكون القرآن مشتملا على أحوال الناس التى لا يعلمها إلا خالقهم. وعليه فلا داعى لقول الزمخشرى: "هذا من باب اللف وترتيبه: ومن آيات منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار. إلا أنه فصل بين القرينين الأولين بالقرينين الآخرين لأنهما زمانان والزمان والواقع فيه كشئ واحد..

ويجوز أن يـراد: منامكم فى الزمانين وابتغاؤكم فيهما. والظاهر هو الأول لتكرره فى القرآن وأشد المعانى ما دل عليه القرآن يسمعونه بالآذان الواعية"[١].

أقول: لا داعى إلى حمل آية الروم على غيرها لما فى ذلك من إعادة ترتيب نسقها إذ اللائق أن نجعلها محتملة لحالة يعيشها الناس وهى الجمع فى النوم بين بعض الليل وبعض النهار. والجمع فى ابتغاء الفضل بينهما. وإن كان الغالب الكثير هو ما جاء فى قوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا - وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ ١٠، ١١ النبأ.

ثالثاً: آيات أخبر فيها عن (من) بغير الاسم الموصول وهى متنوعة بحسب المضاف إليه.

آيات أضيفت فيها (من) إلى علامة إضمار: إما لمفرد غائب أو مفردة غائبة. وإما لجمع متكلم وإما لجمع مخاطب وإما لجمع غائب

أ- الآيات التى أضيفت فيها (من) إلى علامة إضمار مفرد غائب. وهى فى السور الآتية:

آل عمران: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ ٧.

النحل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾ ١٠.

فهذه ثلاث مرات فى آيتين. وخبر (من) فيها إما جمع مؤنث منكر وهو (آيات محكمات) وإما مفرد منكر وهو (شراب) وإما اسم جنس جمعى يفرق بينه وبين مفرده بالتاء وهو (شجر) فمفرده: شجرة.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٣.

والـــضمير فـــى (منه) – وإن كان مفردا – فيه معنى الجمع لأنه عائد على (الكـــتاب) وفيه آيات كثيرة تربو على ستة آلاف آية. ولذا تقبل التبعيض. فالمعنى بعضه آيات محكمات.

وكذا الضمير فى (منه شراب ومنه شجر) فالمراد به (ماءً) والماء جنس يقبل التبعيض أى بعضه شراب وبعضه شجر.

فالجملة: مبتدأ وخبر وفيه المعنى المراد كاملا واضحا لا يحتاج إلى ما يكمله ولا إلى ما يوضحه.

ولكن علماءنا يأبون إلا إرهاق النص بما يسوءه وينوءه دون ما فائدة وحسبنا من نصوصهم نص يغنى عن سائرها ففى حاشية الجمل: "إن الظرف – يعنى؛ منه – خبر مقدم و (آيات) مبتدأ مؤخر. أو بالعكس بتأويل (من) باسم أى بعض آيات.

والأول أوفق بقواعد الصناعة – أى صناعة النحو – والثانى أدخل فى جزالة المعنـــى. إذا المقصود الأصلى انقسام الكتاب إلى القسمين المذكورين لا كونهما من الكتاب"(١).

أرأيت كيف يكون النص غنيا عن التعديل والتبديل والحذف والتقدير ثم يأبى بعض العلماء إلا إرغامه على الافتقار المصنوع والتعديل المخترع ثم أرأيت كيف يفـــرقون بين النحو وجزالة المعنى؟؟ ولست أدرى: ما يكون النحو إذا لم يكن هو مصدر الدقة فى التركيب والعماقة فى المعنى؟!

ألم يأن لهؤلاء وأولئك أن يجردوا عقولهم من هذا الفكر السقيم؟

وأمـــا آية النحل فمن العلماء من صرح بأن (من) فيها بمعنى (بعض) وهى مبتدأ وما بعدها خبر. وهذا هو المعنى الذى يطابق الإعراب. وليس بعد ذلك شئ. ومنهم من يرى ان (من) حرف ابتداء(٢).

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ١/٢٩٠.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٤٢ والبحر ٥/ ٤٧٨ وحاشية الجمل ٢/ ٦٦٩.

ولست أدرى كيف يكون المعنى على ابتداء الشرب أو على ابتداء الشجر؟؟

ولأبى البقاء رأى آخر وهو أن (من) سببية. وفيه من الخفاء ما لا يخفى لأن السبب لا يستمر وجوده مع المسبب. والماء ليس كذلك فهو دائم دائب.

ومنهم من يرى أن (من) بمعنى (بعض) مجازا. ومنهم من جعله على حذف مضاف أى ومن جهته أو سقية[1].

وهـذا كله لا يخرج عن دائرة الظن والتخمين. لأننا تعودنا من كتاب الله أن نفهم المعنى المراد من نصه بأيسر جهد وأقصر طريق فهو الكتاب المبين.

وحسبنا ما ذكرناه من آراء ومن أراد الاستزادة فعليه بكتب التفسير فهى زاخره عامرة بمثلها ولكننا نرى الاستغناء عنها ما دمنا قد قطفنا الثمرة الشهية من الشجرة السخية.

والذى ينبغى أن نذكره أن هناك من يقف على قوله (أنزل من السماء ماء) ثم يبتدئ (لكم منه شراب ومنه شجر) وعلى هذه القراءة نرى أن الجملة ظرفية ففيها (منه) مرفوع بـ (لكم) أى لكم بعضه و (شارب) بيان.

و (بعضه) و (شجر) بيان. فـ (من) هنا مسند إليه على أنه فاعل لا على أنه مبتدأ. ولم نزعم فيه تقديما ولا تأخيرا ولا حذفا ولا تقديرا. كما يراه بعض العلماء بل قد يلتزم به. والناس فيما يعشقون مذاهب. وأنا لا أعشق إلا الموجز البليغ الواضح الصريح.

(ب) آيات أضيفت فيها (من) إلى علامة إضمار مفردة غائبة وهى أربع آيات من السور الآتية:

التوبة: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ ٣٦.

---

(١) انظر البحر ٥/ ٤٧٨ وأمالى المرتضى ٣/ ٧١ مجلس ٤٧.

هـــــود: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ ١٠٠.

النحل: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾ ٩.

يس: ﴿ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ ﴾ ٧٢.

وعلامـــة الإضـــمار فـــى هذه الآية يجوز تبعيض ما هى بمعناه وهى (عدة الـــشهور فى الأية الأولى و (القرى) فى الثانية و(السبيل) فى الثـــالثة. و (الأنعام) فى الرابعة.

وخبر (من) فى الآية الأولى (أربعة) و (حرم) نعت لها أى أربعة أشهر حرم. أى حرام القتال فيها. وهى ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم. ورجب مـــضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى كما يقول الزمخشرى: "رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه. وعاد الحج فى ذى الحجة وبطل النسئ الذى كان فى الجاهلية. وقـــد وافقت حجة الوداع ذا الحجة. وكانت حجة أبى بكر رضى الله عنه قبلها فى ذى القعدة"(١).

وبهـــذا يتضح أن المراد بـــ (من) أربعة أشهر يحرم فيها القتال وأما الثمانية الأخرى فلا يحرم فيها. فمعنى (من) أقل من الباقى.

وأمـــا آيـــة هـــود (منها قائم وحصيد) فمعناها: بعضها – أى القرى – قائم وحـــصيد. وهذان وصفان متقابلان لا يجتمعان فى محل واحد. فالقرى بعضها قائم أى عامر بـ كانه لم يصبه زلزلة ولا اضطراب ولا طوفان ولا غير ذلك مما تدمر بـــه القـــرى. وبعـــضها حصيد أى مدمر كأنه زرع أتى على حصاده فصار مفتتا كعصف مأكول. فكيف يكون بعض القرى عامرا خرابا سالما مهشما.؟

---

(١) الكشاف ٢/ ١٣٦.

لمَّا رأى الزمخشرى ذلك وفكر هداه فكره المستنير إلى أن هنا محذوفا لبلاغة النص لأن العقل يدركه. إذ العقل هو الذى منع الجمع فى المحل الواحد بين وصفين متـضادين. فقـال: "أى بعضها قائم وبعضها عافى الأثر كالزرع القائم على ساقه والذى حصد"(١).

فوجود الخبرين المتضادين أرشد العقل إلى جعل المبتدأ متعددا لا واحدا وذلك إيجاز رائع يحمل العقل على التأمل والفكر على التعمق. حتى يدرك المعنى العزيز بـاللفظ اليـسير. فهـذه الآية مثل الآية السالفة ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ ١١٣ الصافات.

ولو قيل: منها قائم ومنها حصيد. لما وصل إلى أدنى مرتبة من مراتب البيان الموجز المعجز.

وأمـا آية النحل: (ومنها جائر) فيقول فيها الزمخشرى: المراد بـ (السبيل) الجـنس ولذا أضاف إليها القصد. وقال: (ومنها جائر) ليعلم ما يجوز إضافته إليه تعالى من السبيلين وما لا يجوز... وقرأ عبد الله: ومنكم جائر يعنى: ومنكم جائر: جارٍ عن القصد بسوء اختياره. والله برئ منه"(٢).

ويـبدو فى هذا النص نزعة الاعتزال التى كان الزمخشرى من أهلها. وليس هذا مقام الحديث عنها. لأن الذى يعنينا أن (أل) فى (السبيل) للجنس فيشمل القصد أى المستقيم والجائر أى الحائد عنه. وبذلك تتحقق بعضية (من) فتصلح للابتداء إذ علامة الإضمار فى (منها) لـ (السبيل). وذكر أبو حيان أنه قيل يعود على الخلائق

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٣٣.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٦٣: ٤٦٤.

أى ومـن الخلائق جائر عن الحق ويؤيده قراءة عيسى: ومنكم جائر. وكذا هى فى مصحف عبد الله. وقراءة على (فمنكم جائر) بالفاء[١].

ولعـل السر فى هذه القراءة قوله تعالى: من قبل هذه الآية: ﴿**والخيل والبغال والحميـر لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون**﴾ ٨. فالخطاب فيها لجماعة الذكور وبهذا تتحقق العلاقة بين (ومنكم جائر) وبين تلك الآية.

فـ (مـن) على القراءتين بعضية وهى المبتدأ وما بعدها الخبر: فلسنا فى حاجة إلى قول أبى السعود: "منها فى محل رفع على الابتداء إما باعتبار مضمونه وإمـا بتقديـر الموصـوف أى بعض السبيل. أو بعـض من السـبيل فإنها تؤنث وتذكر"[٢].

فأبـو السـعود هـنا متردد غير جازم باسمية (من) لأنه يقول: (إما باعتبار مضمونه) وهذا غير صريح فى اسميتها بل الواضح الصريح قوله: لأنها اسم بمعنى بعـض. ثم قال: (وإما بتقدير الموصوف) وهذا لا حاجة إليه فقد علمنا أن الحذف حيف والتقدير تكدير.

وأمـا آيـة يس (فمنها ركوبهم) فواضحة إذ المعنى: فبعض الأنعام ركوبهم ويأبـى الألوسـى إلا أن يقـول: "فبعض منها ركوبهم. فركوب مفعول كحصور وحلوب وهو مما لا ينقاس"[٣].

فالـنص فى أشد الاستغناء عن (منها) إذ المعنى يدركه العقل بدونه. وسيأتى لهذا النص بقية وهى قوله تعالى: "ومنها يأكلون".

(ج) الآيـات التـى أضيفت فيها (من) إلى علامة إضمار لجماعة المتكلمين وذلك ثلاث مرات فى آيتين من سورة الجن. قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾

---

(١) البحر ٥/ ٤٧٧.

(٢) إرشاد العقل السليم ٣/ ١٦٤.

(٣) روح المعانى ٧/ ٢٤٦.

وقـــــوله ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ﴾ ١٤ و (من) فيها ثلاث مرات.

أى بعــضنا الصالحون. وبعضنا المسلمون. وبعضنا القاسطون أى الجائرون الظالمون. والظلم كفر فقد قال الله: ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ٢٥٤ البقرة ففى هذه الآيات تقسيم للجن على مثال تقسيم الإنس. ولا يخفى أن بقية الآيــة الأولـــى (ومنا دون ذلك) وسيــأتى فيمــا يخــبر فيــه عن (من) بالظرف.

هذا: ولا يخفى على القارئ أن جملة (منا الصالحون) وسواها أخبار عن (أنا) فـــى الآيتــين وهى جمل اسمية. فهى تحتاج إلى رابط كما هو مقرر فى علم الـــنحو. وهـــنا أقول: إن الكلام يرتبط بعضه ببعض برباط عميق وثيق لأن علامة الإضمار فى الخبر هى نفسها علامة الإضمار فى المبتدأ. ومن ثم يجد القـــارئ عقله وقلبه مطمئنين بالمعنى ليس فيها أى خلجة لشك أو قصور فى المعنـــى. وهـــذا ما جعلنى – فى غير هذه الدراسة – أنتهى على أن علامة الإضمار هى أقوى الروابط بين الجملة الخبرية ومبتدئها[١].

(د) آيات أضيفت فيها (من) إلى علامة إضمار لجماعة المخاطبين. ذكرت مرتين فـــى آية واحدة من سورة التغابن وهى قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ ٢.

أى بعــضكم كافــر وبعــضكم مؤمن. فالتقسيم هنا للإنس وهو نظير التقسيم السالف للجن.

(١) انظر أسرار النحو ٢/ ٢٨٩ فما بعدها.

ومما ينبغي النظر إليه بدقة والتفكير فيه بعمق ذكر البعض الكافر من قبل البعض المؤمن. مع أن الإيمان هو فطرة الله التى فطر الناس عليها.

وما أستطيعه جوابا عن ذلك هو أن الواقع يشهد بكثرة الكافرين وقلة المؤمنين. بدليل قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ١ الرعد.

وبذلك يتضح أن (من) قد يقصد بها الكثرة كما يقصد بها القلة. والمقام هو سيد الأدلة على المراد.

ومما ينبغى الالتفات إليه أن الخبر فى آيتى الجن جمع مذكر مقترن بـ (أل) التى يحتمل أن تكون موصولة لأن مدخولها فيه معنى الفعل فهو اسم فاعل. ويحتمل أن تكون معرفة إما للجنس أو للعهد.

وأما الخبر فى آيتى الإنس فهو نكرة وفيها معنى الجنس.

(هـ) آيات أضيفت فيها (من) إلى علامة إضمار للجمع الغائب وهى عشر مرات فى ثمانى آيات من السور الآتية:

البقرة قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ ٧٨.

أى وبعض اليهود أميون. وهذه إحدى فرق أربعة لليهود ذكرها الرازى قائلا: "الفرقة الأولى: الضالة المضلة التى تحرف الكلم عن مواضعه وهى مذكورة فى قوله تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ

مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ٧٥ البقرة.

الفرقة الثانية والثالثة فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ ٧٦ البقرة. فقوله (قالوا آمنا) إشارة إلى طائفة تظهر الإيمان وتبطن الكفر وقوله: (قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون) إشارة إلى طائفة أخرى تنكر الحديث على غيرها حتى لا يتمكنوا من مجادلتهم عند ربهم وهذه صفة من لا عقل له لأن يمكن خصمه من أدلة الاحتجاج عليه.

وأما الفرقة الرابعة فهى موضع البحث هنا وقال عنها الرازى: "وهم العامة الأميون الذين لا معرفة عندهم بقراءة ولا كتاب"(١).

وخبر (من) جمع منكر نكرة وهو (أميون... إلخ).

آل عمران: ﴿ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ ١١٠.

وهنا حجة دافعة لجعل (من) مبتدأ أى بعضهم المؤمنون. وهى المقابلة بقوله (وأكثرهم الفاسقون) فـ (أكثرهم) تقابل (منهم) وهى المبتدأ فلا مفر من جعل (منهم) مبتدأ كذلك فـ (المؤمنون) محكوم به كما أن (الفاسقون) كذلك. ولعلك تستحضر ما تقدم ذكره من أن الكثرة الغالبة من البشر كافرة وغير مؤمنة بل جاهلة كما فى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا

---

(١) من مفاتيح الغيب ١/ ٤٠١.

عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ ١١١ الأنعام.

ولا يخفى أن علامة الإضمار فى (منهم) و (أكثرهم) لأهل الكتاب فى صدر الآيــة: "ولــو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم..." فمعنى البعضية فى (من) واضح جلى والمراد بها القلة بل أقل القلة لأن مقابله (وأكثرهم).

ولــو ســألنا علماءنا عن رأيهم فى إعراب (منهم المؤمنون) لرددوا ما سبق تكــراره وهــو أن (منهم) ظرف متعلق بمحذوف خبرا مقدما و (المؤمنون) مبتدأ مؤخر. وعليه يكون تقدير الآية: المؤمنون كائنون منهم. وفيه الدعويان الباطلتان: دعوى الحذف: وهو حيف. والتقدير: وهو تكدير.

ثم دعوى التقديم والتأخير وهى خلاف الأصل. وما بالآية حاجة إلى هاتين إذ الأصل فى القرآن الاستغناء عن هذه الأشياء فالعقل جدير بإدراك المعنى بدونها.

المائــدة: قـــوله تعالـــــى: ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ ٦٦.

والمراد هنا أهل الكتاب أيضا أى بعضهم أمة مقتصدة قال الزمخشرى: "منهم أمـــة مقتصدة: طائفة حالها أمم أى يسير فى عداوة رسول الله. وقيل: هى الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود وأربعون من النصارى"(١).

وتأمل هداك الله فى الارتباط العميق والعروة الوثقى بين هذه الآية من سورة المائــدة وتلــك التــى قبلها من سورة آل عمران. مع أن بينهما فاصلا من إحدى وثلاثين وثلاثمائة آية. تتمثل فى تسعين آية بقية آل عمران. وسورة النساء وآياتها

---

(١) الكشاف ١/ ٥١٢.

ســت وســبعون ومائة آية. ثم خمس وستين آية من سورة المائدة. أفلا يكون هذا برهاناً جليا وسلطانا قويا للدلالة على أن نظام القرآن أعجب العجب. وان ذلك إنما يهدى الله إليه من أدام الفكر فى كلماته.

هــذا: وقد قال أبو السعود فى آية المائدة: "ومنهم: مبتدأ إما باعتبار مضمونه أى بعضهم أمة. وإما بتقدير الموصوف أى بعض كائن منهم"(١).

وقد عرفنا ما فى الثانى من حذف وتقدير أى حيف وتكدير. وكأنى بمثل أبى السعود يحرصون أشد الحرص على تطبيق قاعدة: (لولا الحذف والتقدير لفهم النحو الحمير). وذلك لا يليق بوحى الله العلى القدير.

ولعلك تلحظ أن بقية الآية (وكثير منهم ساء ما يعملون) وهذا يثبت أن (من) تــدل على القليل وذلك مصـــداق قــوله تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ ١٣ سبأ.

ســــورة الأعــــــراف: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ ١٦٨.

أى بعــضهم الــصالحون. فالخبر فيه (أل) الموصولة أو المعرفة كما عرفنا يقــول الزمخشرى: "وقطعناهم فى الأرض أمما" أى فرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد مــن فــرقة مــنهم "منهم الصالحــون" الذين آمنوا منهم بالمدينة. أو الــذين وراء الصين"(٢).

وممــا يزيد إيماننا رسوخا بجلال القرآن وإحكامه وإعجازه أن هذه الآية فى أهــل الكــتاب. وبيــنها وبــين آية سورة المائدة المذكورة من قبلها ست وثمانون

---

(١) إرشاد العقل السليم هـ الرازى ٤/ ١٣٥.

(٢) الكشاف ٢/ ١٣٦.

وثلاثمائـــة آيـــة ومع ذلك نجدها تنوع اليهود تنويعا آخر غير ما ذكر فى آيتى آل عمـــران والمائـــدة. ففى الأولى نوعان (منهم المؤمنون) (وأكثرهم الفاسقون) وفى الثانـــية (مـــنهم أمـــة مقتـــصدة) و (كثير منهم ساء ما يعملون" وفى الثالثة: "منهم الصالحون" و "منهم دون ذلك" وسيأتى الحديث عن هذه.

وفى هذا بيان واضح ورسم صحيح لما تنطوى عليه نفوس هؤلاء الناس فهم دائمـــا طائفتان: طائفة قليلة وهى: المؤمنة المقتصدة الصالحة. وطائفة غالبة كثيرة وهى الفاسقة السيئة الأعمال غير الصالحة.

وهكذا لو تتبعنا القرآن فى هذه المعانى الخاصة بهذا الصنف من الناس وهم أهـــل الكـــتاب وجمعـــنا الآيات فى صفاتهم لألفنا كتابا ناطقا بما لهم من الصفات الخاصـــة بهم قلة كانوا أم كثرة. وإن دل ذلك فإنما يدل على أننا لو توفرت جهودنا وخلـــصت نياتـــنا وعلـــت همتنا وقويت عزيمتنا لاستخلصنا من آيات القرآن كتبا متـــنوعة فـــى أنواع البشر. ولا عجب فى ذلك فمنزل الوحى هو خالق البشر فهو العالم بسر كل منهم.

هـــود: قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ١٠٥.

علمـــنا ممـــا سبق أن قوله فى نفس السورة: "منها قائم وحصيد" قد جمع بين صـــفتين متقابلتـــين. الدائمة الحياة. والعافية الأثر. ومن ثم أدرك العقل أن المعنى: بعـــضها قائم وبعضها حصيد. وهذان الوصفان فى القرى أى المساكن ومن البدهى أن المراد الأماكن والأحياء الذين يقطنونها ويعيشون فيها.

وأمـــا الآيـــة التى تحضرنا فهى فى البشر فهم الذين يتنوعون إلى شقى وإلى ســـعيد وهاتان صفتان متقابلتان فالعقل يقرر أن (بعضهم شقى) و (بعضهم سعيد) وفـــى ذلـــك من الإيجاز المعتمد على العقل البشرى الذى أمر الله باستخدامه لفهم

نصوصه ما لا يخفى. وإدراك العقل المبتدأ غير المذكور هنا يشبه إدراكه الخبر فى قوله تعالى: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ ٣٥ الرعد أى دائم.

بل إننا نقول: إن القرآن يفسر بعضه بعضا فإننا قد سبق أن تكلمنا على عدة آيات مفصلة ومنها قوله تعالى: ﴿ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ١١٠ آل عمران. وقوله: ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ ٦٦ المائدة. وقوله: ﴿ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ ١٦٨ الأعراف ... إلى غير ذلك وهو كثير. أفلا يكفى هذا أن يكون حجة ساطعة. ودليلا قويا على أن نفهم (فمنهم شقى وسعيد) على أنه: فمنهم شقى ومنهم سعيد؟!

وبذلك يثبت ما فى القرآن من تفصيل يوضح ما فيه من إجمال.

هذا هو ما يتبادر إلى الذهن وينتبه إليه الفكر. ومع ذلك يرى أبو بكر الرازى أن الآية تحتمل وجها آخر حيث يقول: "فإن قيل: كيف قال الله: (فمنهم شقى وسعيد) وكلمة (من) للتبعيض. ومعلوم أن الناس كلهم إما شقى وإما سعيد فما معنى التبعيض؟.

أجيب بجوابين:

أحدهما: أن التبعيض هنا على حقيقته لأن أهل القيامة ثلاثة أقسام: قسم شقى وقسم سعيد وهم أهل النار والجنة كما فى هذه الآية. وقسم لا شقى ولا سعيد وهم أهل الأعراف.

و (الآخر) أن معنى الكلام فمنهم شقى ومنهم سعيد. وهذا يقتضى أن يكون الشقى بعض الناس والسعيد بعض الناس. والأمر كذلك. ولا يقتضى أن يكون الشقى والسعيد كلاهما بعض الناس. بل كل واحد منهما بعض وكلاهما كل كما

تقـول: مـن الحيوان إنسان. ومن الحيوان غير إنسان. وكل الحيوان إما إنسان أو غير إنسان"[١].

فعلى الوجه الأول تكون (من) المذكورة بمعنى (بعض) والمراد البعض الذى يوصـف بالشقاوة فهو من أصحاب النار ويوصف بالسعادة فهو من أصحاب الجنة ويقابل هذا ما لا يوصف بشقاوة ولا سعادة وهم أهل الأعراف الذين ذكرهم الله فى قـوله:﴿ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ﴾ قـوله: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ ﴾ ٤٦، ٤٨ الأعراف.

فقـوله (يعرفون كلا بسيماهم) أى من زمر السعداء والأشقياء بعلامتهم التى أعلمهم الله بها بما يلهمهم الله ذلك. أو تعرفهم الملائكة[٢].

إذن فالمراد أن البشر نوعـان أحدهما يوصف بالشقاوة والسعـادة والآخـر لا يوصف بهما.

وأما الوجه الآخر الذى ذكره أبو بكر الرازى فهو واضح إذ جعل البشر: شقيا وسـعيدا وصـرف النظر عن أهل الأعراف. وعليه يكون التقدير: فبعضهم شقى وبعضهم سعيد.

ولا ينبغى لنا أن ننسى أن ذلك الشقى أولا يدل على كثرته فقد علمنا أن أكثر البشر غير مؤمن والقليل هو المؤمن. فلابد من ملاحظة ذلك.

وممـا يثبت أن هذين النوعين هما المرادان هنا ما جاء من بعد هذه الآية من قـوله تعالـى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴾ ١٠٦ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ ١٠٧.

---

(١) أنموذج الرازى هـ إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٣٩.

(٢) انظر الكشاف ٢/ ٨٤.

ومن بعد ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ١٠٨.

وهـــذا لا يمــنع أن يكــون هناك فــريق ثالث بـــدليل قــوله تعالى فى ســـــورة الأعـــــراف: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْاْ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ - ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ - وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ - أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ٤٦: ٤٩.

يقول الزمخشرى: "ادخلوا الجنة: يقال لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد أن يحبسوا على الأعراف وينظروا إلى الفريقين ويعرفونهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون.

وفائــدة ذلــك بــيان أن الجــزاء على قدر الأعمال وأن التقدم والتأخر على حسنها... إلخ"(١).

هــذا: ولعلك تذكر هنا ما حققناه فى الباب الأول من العلاقة بين (من) بكسر المــيم و (مــن) بفتحها كما حققه الطبرى وجعلهما معا فيهما معنى (بعض) ومن

---

(١) الكشاف ٢/ ٨٤

الواجب علينا أن نسوق هنا آية تؤيد ما ذكره الطـبرى وهى قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ ١٠ الرعد.

فـــ (منكم) بمعنى (بعضكم) وهذا البعض يشتمل على من أسر القول. ومن جهر به. ومن مستخف بالليل و (من) سارب بالنهار.

فـــ (من) بكسر الميم اشتملت على أربعة أنواع ذكر نوعان منها بالتفصيل وذكـــر نـــوعان بالإجمـــال. وقد وضعنا (من) بينهما رمزا للتفصيل الذى قال عنه الزمخشرى: "فإن قلت: كان حق العبارة أن يقال (ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء: المستخفى والسارب.

وإلا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب؟

قلت: فيه وجهان (أحدهما) أن قوله (سارب) عطف على (من هو مستخف) لا علـــى (مـــستخف). و (الثانـــى) أنه عطف على (مستخف) إلا أن (مَنْ) فى معنى الأيتين كقوله: نكن مثل من يا ذئب يصطحبان.

كأنه قيل: سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار"(١).

ففـــى هذا النص للزمخشرى طول كان يمكنه أن يستغنى عنه لأن ذكر (مَنْ) فى (ومن هو سارب) يغنى عنه إذ قد علمنا أن حذف (مَنْ) هنا بلاغة وإيجاز لأن العقـــل يدركها وحده فهو الذى يجعل الصفتين (مستخف وسارب) لنوعين كما سبق فـــى قـــوله (فمنهم شقى وسعيد) و (ومنها قائم وحصيد). ولذا فإنى أرى فرقا. بين الآية والبيت الذى ذكره. لأن (من) فى هذا البيت من الموصول المشترك أى الذى يستعمل بلفظ واحد للمفرد وغيره فيقال: جاءنى من يخلص فى عمله. ومن يخلصان

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٠٢.

ومــن يخلــصون. فهنا قرينة تدل على أن المراد الاثنان أما الآية فليس فيها قرينة وعليه فإدراك العقل (مَنْ) مع (سارب بالنهار) هو أساس المعنى. وخاصة أن قوله من قبل ذلك : (من أسرَّ القول ومن جهر به) يشير إليه ويوحى به.

لقمان: ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ ٣٢.

أى فبعــضهم مقتصد. وفى معنى (مقتصد) يقول الزمخشرى: "فمنهم مقتصد فى الكفر والظلم. خفَّض من غلوائه. وانزجر بعض الانزجار.

أو مقتــصد فى الإخلاص الذى كان عليه فى البحر يعنى: أن ذلك الإخلاص الحــادث عــند الخوف لا يبقى لأحد قط والمقتصد قليل نادر. وقيل: مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله فى البحر. والختر أشد الغدر"(١).

ففى هذا النص نستنبط:

أن الجميع حينما غشيهم موج كالظل دعوا الله مخلصين له الدين. فلما نجاهم إلى البر صاروا طائفتين.

الأولــى: مقتــصدة. والــذى يتبادر إلى الذهن بالمقابلة فى قوله "وما يجحد بآياتنا..." أنها ظلت على إخلاصها غير أنها لم تبلغ الدرجة التى كانت عليها وقت الخوف من الغرق. وهذا هو المعنى الثالث الذى ذكره الزمخشرى فى قوله: وقيل: مــؤمن... إلــخ). وبَدَهِىّ أن صيغة (قيل) صيغة تضعيف وعليه يكون هذا المعنى ضــعيفا وأما المعنيان الأول والثانى فهما: أنه رجع كافرا كما كان قبل الخوف من الغــرق غيــر أن كفره لم يثبت على درجته السالفة بل انخفضت درجته حيث ظل منزجــراً بعض الانزجار. أو أنه ظل على إيمانه الذى كان عليه وقت الشدة. وهذا مــا أمــيل إليه ومما ينبغى التنبيه إليه قول الزمخشرى (إن الإخلاص الحادث عند

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٩٧.

الخــوف لا يبقى لأحد قط) حيث استعمل (قط) فى سياق الزمان غير الماضى فكان عليه أن يقول: لم يبق لأحد قط[١].

وللزمخـشرى نـص آخـر قرأته فى سياق كلامه على قوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ ١١١ الـتوبة وفـيه نفـس الخطأ حيث يقول: "إن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالذى لا يجوز عليه القبيح قط"[٢].

وعقب عليه أبو حيان قائلاً: "وفيه استعمال (قط) فى غير موضوعه لأنه أتى به مع قوله (لا يجوز) و (قط) ظرف ماض فلا يعمل فيه إلا الماضى"[٣].

وقول أبى حيان (فى غير موضوعه) صوابه (موضعه) كما جاء فى الدر اللقيط[٤].

وبذلك يبدو أن الزمخشرى تكرر منه ذلك وهو (وهم) من أوهام الخواص كما قال الحريرى فى عنوان كتابه(دره الغواص فى أوهام الخواص).

فــاطــر: قــوله تعالــى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾٣٢.

أى بعـضهم. قـال الجلال: فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير فى العمل به. ومنهم مقتـصد يعمـل بـه أغلب الأوقات. ومنهم سابق بالخيرات يضم إلى العمل التعليم والإرشاد إلى العمل"[٥].

---

(١) انظر درة الغواص ١١: ١٧.

(٢) الكشاف ٢/٢٤٦.

(٣) البحر ٥/ ١٠٣.

(٤) انظر هامش البحر ٥/ ١٠٢.

(٥) تفسير الجلالين ٣٦٧.

وبأدنى التفاتة ذهنية يدرك الملتفت أن (من) فى موضع المبتدأ لأنها تمثل المحكوم عليه وما بعدها هو الحكم فبعضهم محكوم عليه بظلم نفسه. وبعضهم محكوم عليه بالاقتصاد. وبعضهم محكوم عليه بالسبق بالخيرات بإذن الله. فهؤلاء أبعاض ثلاثة تمثل الذين أورثهم الله الكتاب أى القرآن.

الحديد: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ٢٦.

أى فبعضهم وهو القليل مهتد. وأكثرهم فاسقون. وهو نفس المعنى فى آيات سلفت منها قوله تعالى: "منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون. وغيره.

والمراد ذرية نوح وإبراهيم قال ابن عطية: "ثم ذكر تعالى رسالة (نوح وإبراهيم) تشريفا لهما بالذكر ولأنهما من أول الرسل ثم ذكر تعالى نعمه على (ذريتهما) وقوله تعالى: (والكتاب) يعنى: الكتب الأربعة فإنها جميعا فى ذرية إبراهيم عليه السلام. وذكر أنهم – مع ذلك – منهم من فسق وعند. فكذلك بل أحرى جميع الناس ولذلك يسر السلاح للقتال"(١).

ولا شك فى أن (منهم) مبتدأ لأن مقابله وهو (أكثرهم) كذلك. فلابد من تنسيق اللفظ حتى ينبع منه تنسيق المعنى. وقد علمنا أن هذا هو أرفع مستوى فى اللغة. فدعك من نزعة تمكنت من نفوس علمائنا فى مثل هذا النص وهى نزعة فيها نزعة حيث تحمل النص القرآنى على ما لا يليق به من دعاوى باطلة قد كررناها حتى حفظها القارئ.

آيات أضيفت فيها (من) إلى اسم موصول. وهى فى أربع آيات من السور الآتية:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٩.

المائـدة: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّـٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ ﴾ ٤١.

أى بعض الذين هادوا سماعون... فـ (من) مبتدأ و (سماعون) الخبر والذين هادوا هم اليهود.

وعلـى الرغم من وضوح المعنى وسهولة الإعراب لأنه مطابق للمعنى نرى علماءنا يسلكون دربا شاقا على النفس صعبا على العقل. ودونك بعض نصوصهم:

يقـول الفـراء: "إن شئت رفعت قوله (سماعون للكذب) بـ (من)[1] ويعنى بـذلك أن (مـن الذين) ظرف فـ (مِنْ) حرف جر تعمل عمل الظرف أى ترفع ما بعـدها. وقد وضح الزجاج هذا حيث قال: ويرتفع بـ (منهم) كما تقول: فى قومك عقـلاء. هـذا مذهب الأخفش. ثم قال: وزعم سيبويه أن هذا - يعنى: من- يرتفع بالابتداء" قال المحقق: "وتكون (من) مبتدأ بمعنى بعض"[2].

وممـا ينبغى الإشارة إليه أن تعبير الزجاج (ويرتفع منهم) وقد صححته بـ (منهم) حتى يستقيم الأسلوب فيتضح المعنى.

ثـم إن قوله: (وزعم سيبويه أن (من) يرتفع بالابتداء) أكاد لم أعثر عليه فى (الكـتاب) لأن سيبويه وضح معنى (من) بـ (بعض) كما ذكرنا غير مرة ولكنه لم يصرح باسميتها بل ظل متمسكا بأنها حرف. ولكنى لا أتهم الزجاج بل أتهم نفسى لأننـى لـم ولن أسمح لنفسى أن أكون مع هؤلاء بل أكون فخورا حينما أكون من أتباعهم.

---

(١) معانى القرآن ١/ ٣٠٨.

(٢) معانى القرآن وإعرابه ٢/ ١٧٥ وهامشها.

وربما يكون الزجاج قد اعتمد على عبارة سيبويه فى (هذا من القوم) أى هذا بعــض القــوم. ففى هذه العبارة إشارة على أنها خبر فهى اسم. وما جاز أن يكون خبراً صح أن يكون مبتدأ ما دام اسميته ثابتة.

وعلــى العمــوم فهــذا الإعراب هو الصواب كما علمنا. فلا داعى لما ذكره الفــراء أو غيــره كالرازى الذى حمل الآية على حذف الموصوف أى: ومن الذين هادوا قوم سماعون(١).

ولعلك أصبحت فى غنى عن قولنا: إن هذا الحذف قبيح بل أقبح منه.

هذا: وهناك وجه آخر فى الآية وخلاصته أن (ومن الذين هادوا) مرتبط بقوله تعالــى: يــا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواهم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا" ويكون (سماعون) من جملة أخرى. أى هم سماعون(٢).

وعلى هذا التقدير تكون (من) فى (من الذين قالوا) و (من الذين هادوا) حالا أى حالة كونهم – أى الذين يسارعون فى الكفر – بعض المنافقين وبعض اليهود.

وسيأتى الكلام على (من) البعضية التى تعرب حالا.

الأعراف: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ ١٨١.

أى بعــض مــن خلقنا أمة. فـ (من) مبتدأ و (أمة) خبر وجملة (يهدون) فى محــل رفع وصف للخبر. قال أبو حيان: "وفى لفظة (من) دلالة على التبعيض وأن المعظم من المخلوقين ليسوا هداة إلى الحق ولا عادلين به"(٣).

وهــنا نجد أبا حيان يعترف بمعنى التبعيض لــ (من) ويصرح بأن ما تدل عليه أقل من سواه. وقد عاهدنا ذلك فى جانبها كما صرحنا غير مرة.

---

(١) من مفاتيح الغيب ٣/ ٤١٦.

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١/ ٣٠٩: ٣١٠ ومعانى القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ١٧٤.

(٣) البحر ٤/ ٤٣٠.

التـوبة: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ﴾ ١٠١.

أى بعـض مـن حولكم حالة كونهم بعض الأعراب منافقون. فـ (من) فى موضـعيها بعضية غير أن الأولى مبتدأ خبره (منافقون) وأما الثانية فحال أى حالة كونهم بعض الأعراب.

وللزمخشرى هنا رأى يخالف ما عهدناه منه غالبا حيث يجعل (ممن حولكم) خبـرا مقـدما و (منافقون) مبتدأ مؤخرا. ونص كلامه: "ومن حولكم: يعنى حول بلدتكم وهى المدينة (منافقون) وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها. و (مـن أهـل المديـنة مردوا على النفاق) عطف على خبر المبتدأ الذى هو: "من حولكم"(١).

وعليه يكون نسق الآية: "منافقون ممن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة مردوا على النفاق.

وسـأترك للقارئ حرية التأمل ليدرك بذوقه الفرق الشاسع الواسع بين النص. والنص المعدل إن صح التعبير. ومن ثم فإنى أعجب كيف يسمح الزمخشرى لنفسه أن يزل هذه الزلة وهو من هو ذوقا رفيعا وأسلوبا بديعا حتى قيل فيه وفى السكاكى أو الجرجانى: "لولا الأعرجان لما عرف للقرآن بيان".

إننا إذا أمعنا الفكر فى أسلوب الآية وجدناه ذا نسيج متين وبناء قوى وضعت لبناته بدقة وإحجام. وهى مقطعان كاملان (وممن حولكم من الأعراب منافقون) ثم (ومـن أهـل المدينة مردوا على النفاق) وسيأتى الكلام على هذا الشطر من الآية. فلسنا فى حاجة إلى تقدير متعلق لـ (مِنْ) فى الموضعين فهذا من تدير صفو النص كما أننا لسنا فى حاجة إلى دعوى التقديم والتأخير فهذا خلاف الأصل. وحاش لنص قرآنى أن يكون هكذا لأنه عن ساحة الضرورة بمعزل.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٣٩.

الـرعـد: قـوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَـٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ ١٧.

أى وبعض ما يوقدون عليه فى النار لابتغاء حلية أو متاع زبد مثله.

فـ (من) مبتدأ وخبره (زيد مثله) و (ابتغاء) مفعول لأجله.

هـذا هو الإعراب الذى ينبع من معنى النص ونسقه. ولكن علماءنا قد دأبوا على تشقيق الكلام وتعديد الآراء. وحسبنا ما يلى:

ذكر النسفى أن (من) تكون للتبعيض أى: وبعضه زبد[١].

واستظهره أبو حيان لأن ذلك الـزبد هـو بعض مـا يـوقد علـيه من تلك المعادن"[٢].

ويقـول الزمخـشرى: " و (من) لابتداء الغاية أى: ومنه ينشأ زبد مثل زبد المـاء. أو للتبعـيض بمعنى: وبعضه زبدا رابيا منفخا مرتفعا على وجه السيل أى يرمى به..." [٣].

والذى يستوضحه الذهن إنما هو معنى البعضية لأنه يغنى النص عن دعوى الحذف والتقدير والتقديم والتأخير.

ويظهـر أن الزمخـشرى حكـى (زبدا رابيا...) على ما ورد عليه فى الآية (فاحـتمل الـسيل زبدا رابيا) وإلا لقال: زبد مثله. لأنه خبر لـ (مما يوقدون) أى بعض ما يوقدون عليه... زبد مثله.

ومـن أعجـب العجب أن يرجح أبو السعود معنى ابتداء الغاية الذى يستلزم حرفية (من) ويعلله قائلا: لأن معنى التبعيض يخل بالتمثيل"[٤].

---

(١) مدارك التنزيل ٢/ ٢٤٦.

(٢) البحر ٥/ ٣٨٢.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٠٨.

(٤) إرشاد العقل السليم ٣/ ١٠٤.

ولست أدرى ما معنى ذلك؟ وإنما الذى أدريه حق الدراية أن معنى البعضية أوضح فى الدلالة وأحفظ للنص مما يعكر صفوه ويـرفع افتقاره إلى ما ليس فى حاجة إليه.

هذا: وبالتأمل فى هذه الآيات الأربع ندرك أن (من) أضيفت إلى (الذين) فى الآية الأولى. وإلى (من) فى آيتى الأعراف والتوبة.

وإلى (ما) فى آية الرعد. وكلها من قبيل الاسم الموصول.

-٤-

آيات أضيفت فيها (من) إلى محلى بـ (ال) أو مضاف إلى محلى بها.

فأضيفت إلى المحلى بها فى أربع آيات من السور الآتية:

الأنعـام: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ ﴾ ٩٩.

أى وبعض النخل بعض طلعها قنوان دانية. فـ (من) الأولى مبتدأ والثانية بدل أو عطف بيان منها. و (قنوان) خبر و (دانية) صفة.

ومفرد (قنوان) قـنو بكسر القاف وضمها وهو العـذق بكسر العين وهو عنقود النخلة[1].

ويجوز وصف جمع التكسير بالمفرد كما فى قوله تعالى:﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴾ ٢٣ الحاقة وفى ذكر (من طلعها) تفصيل دقيق لأن القنو ليس من النخلة مباشرة بل هو: من طلعها فهو بعض بعض. وذلك نظير قوله تعالى: ﴿ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ - ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ ٧، ٨ السجدة.

---

(١) انظر البحر ٤/ ١٨٤.

فالنسل بعض بعض كالقنو. ولعلك تذكر هنا ما حققناه وقررناه من أن الأشياء الجسام أصلها أدنى جزء تتصوره الأفهام. فالمحيط أصله نقطة. وكذا الكلمات مهما بلغ عددها فى اللغة أصلها نقطة.. والإنسان أصله حيوان منوى لا يرى بالعين المجردة... وهكذا.

وبهذا يتضح أن إعراب الآية نابع من مفردات النص على نسقها التى وردت عليه ونزلت به من اللوح المحفوظ إلى الرسول الخاتم محمد ﷺ. فلا تعديل ولا تبديل ولا افتقار.

ولكننا لا يمكننا إهمال ما ذكره علماؤنا حتى يتضح للقارئ ما نسير عليه وما كان علماؤنا ينهجونه.

ذكر الزمخشرى: "أن (قنوان) مبتدأ و (من النخل) متعلق بمحذوف خبر. والتقدير: وحاصلة من طلع النخل قنوان.

ويجوز أن يكون الخبر محذوفا لدلالة (أخرجنا) فى صدر الآية عليه.

والتقدير: ومخرجة من طلع النخل قنوان"(١).

فهل بعد ذلك تفريق للبنات النص وتمزيق لثوبه البلاغى الرائع الجليل الجميل واستبدال ثوب أسمال به فتنصرف عنه العين. وتشمئز منه النفس ويجتويه الإحساس الوضئ؟

ويحذو أبو البقاء حذو الزمخشرى ويحطب فى حبله ويلهج فى غباره حيث يرى أنه لا يجوز فى (قنوان) وجهان (أحدهما) أن يكون مبتدا وخبره إما (من النخل) و (من طلعها) بدل منه بإعادة الخافض. وإما (من طلعها) وفى (من النخل) ضمير تقديره: وثبت من النخل شئ أو ثمر فيكون (من طلعها) بدلا منه.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٠.

و (الـــوجه الآخـــر) أن يرتفع (قنوان) على أنه فاعل (من طلعها) فيكون فى (مـــن الـــنخل) ضـــمير تفسيره (قنوان).. ثم قال: وإن رفعت (قنوان) بقوله (ومن الـــنخل) علـــى قـــول من أعمل أول الفعلين جـــاز. وكان فى (من طلعها) ضمير مرفوع"(١).

يـــا رحمة الله أدركينا ويا لطف الله أغثنا حتى نستطيع أن نجمع أشلاء النص المبعثـــرة التـــى تشبه أجزاء طير إبراهيم الخليل عليه السلام فأنى لنا أن نستطيع جمعها وبعث سر الحياة فيها؟!

ومصدر هذا كله دعوى حرفية (من) وكأنها غير صالحة لتبعيض ما أضيف إلـــيها. ثم دعوى إضمار ضمير فى شئ لا يحتاج إليه. ثم دعوى التقديم والتأخير وأخيرا دعوى التنازع بين عاملين فى معمول واحد.

وكل هذه دعاوى باطلة لأنها لا تتوفر فيها عناصر الصحة وأسس الصدق.

وقـــد عـــرفنا بطلان هذه الدعاوى ما عدا الأخيرة. وليس بعزيز علينا إقامة الدليل على بطلانها هنا ألا وهو أن التنازع لا يكون بين حرفى إضافة ولست أدرى ماذا كان على علمائنا لو سلكوا مسلكا سهلا يسيرا فى فهم النص القرآنى الذى يسره الله للذكـــر وجعلـــه هدى ورحمة؟ فهل يجوز أن نقطع رحلة عذاب لنحصل على المعنى القرآنى وهو أقرب إلى عقولنا وقلوبنا من حبل الوريد فهو الحياة وهو النمو وهو الثمر وهو الحق وهو أساس العيش الرغيد ثم الموت السعيد.

الأحـــزاب: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾ ٢٣.

أى بعـــض المؤمنـــين رجال. والمقصود: أبطال يذودون عن حريم الأرض وشـــرف العرض وفطرة الدين. فليس المراد هنا من يقابل الأنثى أى الذكر أو من

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٤٣.

يقابـــل المرأة أى الرجل. بل المراد ما اكتملت فيه عناصر الرجولة وأسس البطولة والغيــرة على المسلمين وأرض الإسلام بعد أن سكنت نفسه إلى اليقين وعمر قلبه بحب الدين.

وهـــنا لفـــتة لغوية جميلة ألا وهى: أن كلمة (رجل) تكون مقابلة لـــ (امرأة) وهذا من حيث النوع. ثم تكون دالة على الوصف أى الشجاعة والبطولة.

ومن العجيب أننى وجدت إمام النحاة سيبويه يذكر ذلك فقد تناول فى مستهل الجـــزء الثانـــى من طبع الأستاذ هارون أساليب متنوعة للنعت ورد فيها ذكر كلمة (رجـــل) إلـــى أن يقول: "ومثل ذلك مررت برجل رجل أبوه. إذا أردت معنى: أنه كامل. وجره كجر الأسد. يعنى فى: مررت برجل أسد أبوه. أى شجاع أبوه[1].

فمعنـــى الآية أنه ليس كل المؤمنين رجالا أى أبطالا بل بعضهم. وذلك حكم صـــادق دقـــيق لا يعتريه فضفضه ولا ضيق. فلسنا فى حاجة إلى ما يحرص عليه بعض علمائنا من دعاوى ليس لنا فيها ناقة ولا جمل.

فـــاطـــر: قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ ٢٧. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ﴾ ٢٨.

أى وبعـــض الجبال جدد وهى الخطط والطرائق.. ويقال: جدة الحمار للخطة الـــسوداء على ظهره. و (غرابيب) معطوف على (بيض) أو على (جدد) كأنه قيل: ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد: غربيب. ولابد من تقديم حـــذف المـــضاف فى قوله (ومن الجبال جدد) بمعنى: ومن الجبال ذو جدد بيض

---

(١) انظر الكتاب ٢/ ٢٩ ط هارون.

وحمــر وســود حتــى يؤول إلى قولك: ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال: ثرات مختلف ألوانها. هذا ما ذكره الزمخشرى[1].

وما قدره الزمخشرى هنا مقبول يقره العقل ويرتضيه الذوق البلاغى لأننا لا نقول: الجبل جدد. كما لا يقال: الثوب ألوان. ومن ثم يحتم العقل تقدير: ذو أى ذو جــدد وذو ألــوان. فهذا حذف بلاغى يحمل العقل على التفكير والقلب على التدبر. ولعــل قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ ٢٤ محمد يشير إلى ذلك بل يوجبه ويحتمه.

وقــول الزمخشرى: (غرابيب) معطوف على (بيض) معناه أن الجبال تجمع بــين اللونــين المتقابلين وهما: البياض والسواد. غير أنه تشوبه شائبة ضعف لأن بعــض الجبال الأول ليس ذا لون واحد وهو البياض. بل فيه البياض والحمرة فهو مخــتلف الألــوان. أمــا (غرابيب) فمعناه أن بعضها ذو لون واحد. ولذا أرى أن الراجح ما ذكره الزمخشرى فى قوله (أو على: جدد كأنه قيل: ومن الجبال مخطط ذو جدد مختلف ألوانها. ومنها ما هو على لون واحد: غرببيب.

وفى هذا تقرير بلاغى آخر وهو (ومنها) مع (غرابيب) لأن السواد والبياض لا يجمعهمــا محل واحد. وقد سبق نظير ذلك فى قوله تعالى: **"منها قائم وحصيد"** وقوله **"فمنهم شقى وسعيد"**.

وبهــذا تثــبت قاعدة: القرآن وحى الله. والعقل خلق الله. ولابد لوحى الله من خلق الله كما أنه لابد لخلق الله من وحى الله. فوحى بدون عقل معطل. وخلق بدون وحى مضلل.

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ٤٨١: ٤٨٢.

وأمـــا قوله تعالى: "ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك" فمعناه: وبعــض الـــناس... مخــتلف ألوانه كذلك أى مثل الجبال. فــ (من) مبتدأ وخبره (مختلف) و (ألوانه) مرفوع به.

وهنا نعجب كل العجب من قول الزمخشرى: "ومنهم بعض مختلف ألوانه... كذلك أى كاختلاف الثمرات والجبال"(١).

فلست أدرى فائدة لكلمة (بعض) هنا؟ أليس (منهم) بمعنى (بعضهم)؟!

وبالتأمل فى هاتين الآيتين ندرك:

(أ) أن الآيـــة الأولى نصت على أن الجبال منها مختلف الألوان ومنها ذو اللون الواحد.

(ب) وأن الآيـــة الثانـــية فقد نصت على أن بعض الناس وبعض الدواب وبعض الأنعام مختلف اللون. ولم تذكر أن منها متحد اللون أى ذو لون واحد.

ولعل السر فى ذلك أن يحمل العقل على التفكير حتى يدرك أن هناك بعض هذه المخلوقات يكون ذا لون واحد. ولكنه نادر لا يكون فى مكنة جميع الناس رؤيته.

(ج) وأن الإشـــارة فـــى (كذلك) إلى المصدر المفهوم مما سبق أى مثل الاختلاف السابق ذكره. فالكاف اسم مضاف إلى المصدر فتعرب مصدرا كما فى قولنا: فعلت كفعل محمد أى مثل فعله.

تلكـــم هى الآيات الأربع التى أضيفت فيها (من) إلى المحلى بـــ (أل) ولعلك أدركـــت أن خبر (من) فيها نكرة وهى: (قنوان) فى الأولى. و (رجال) فى الثانية و(جـــدد) فـــى الثالثة. وهذه جموع. و (مختلف ألوانه) فى الرابعة. وهى جمع فى المعنى لأن (ألوانه) فاعل (مختلف).

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٨٢.

وأما الآية التى أضيفت فيها (من) إلى مضاف إلى محلى بها فهى قوله تعالى:

﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ ١١٣ آل عمران.

أى بعض أهل الكتاب أمة .. فـ (من) مبتدأ و (أمة) خبر وما بعدها صفات لهـا. وبهذا نحصل على المعنى ونحسن الإعراب دون عنت ولا إرهاق ولو أخذنا بمـنهج أسـلافنا لقلنا: من أهل الكتاب: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم و(أمـة) مبتدأ مؤخر. ويكون تعديل الآية إلى: أمة قائمة يتلون كتاب الله آناء الليل وهم يسجدون كائنة من أهل الكتاب.

هـذا لو وقفنا على (يسجدون) والحق أن الآيتين بعده مرتبطتان به إلى قوله (والله علـيم بالمتقين) فيكون التقدير: بالمتقين كائنة من أهل الكتاب. فهل هذا يليق بجلال القرآن وجماله وكماله وإيجازه وإعجازه. بل هذا يجعلنا نحصل على المعنى المراد بدون إرهاق لنا وإزهاق لنفس النص بعد تقطيع أوصاله وتمزيق أديمه؟!!

-٥-

آيـات أضيفت فيها (من) إلى (آياته) وخبرها اسم مؤول بـ (أنْ) والفعل أو بـ (أنَّ) وجملتها.

فالأول فى أربع آيات من سورة الروم وهى:

قـوله تعالـى:﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ ٢٠ وقوله:﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ ٢١ وقـوله:﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ ٢٥ وقوله:﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ ٤٦.

والثانـــى فى آية واحدة من سورة فصلت وهى قوله تعالى:﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً ﴾٣٩.

فهـذه خمس آيات أضيفت فيه (من) إلى (آيات) المضافة إلى علامة إضمار مقصود بها الله عز وجل. والمعنى: وبعض آيات الله خلقكم من تراب.

وبعـضها خلـق أزواجكم من أنفسكم. وبعضها قيام السماء والأرض بأمره. وبعضها إرسال الرياح مبشرات. وبعضها رؤية الناس الأرض خاشعة أى ضعيفة لا تـستطيع الإنـبات بل ميته فإذا أنزل الله عليها الماء اهتزت وربت أى ظهرت عليها سمات الحياة وصلاحية الإنبات.

وبهـذا يتـضح أن المعنـى وليد النص على ما نزل عليه وحيا من الله إلى الرسـول محمـد ﷺ. وهـذا هو المنهج اللائق بعظمة الوحى وجلال الموحى به والموُحَى إليه.

ولكن عقول علمائنا تأبى ذلك وتلجأ إلى درب ملتو أشد الالتواء وسبيل تتوزع فـيها الأهواء فتصير نصوص هاتيكم الآيات أشلاء أى أشلاء وحسبنا ما جاء عن الزجاج حيث جعل فى إعراب تلك الآيات وجهين.

(أحـدهما) أن (مـن) حرف إضافة متعلق بمحذوف وهو خبر مقدم. والاسم المؤول مبتدأ مؤخر.

و **(الثانـى)** أنهـا تأخذ حكم الظرف فى رفع الاسم المؤول. قيل: وهذا رأى سيبويه و الأخفش"(١).

وعلى هذا تكون (من) حرف إضافة فتحتاج إلى متعلق. كما تكون غريبة فى موضعها فأصلها التأخير. والتقدير: خلقكم من تراب كائن من آياته... إلخ.

---

(١) انظر إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ٥١٤.

وقــد علمــت أن فى هذا حكمين باطلين وهما: الحكم بافتقار ما هو فى أعلى درجــات الغنـــى. والحكم بأن الكلمة فى غير مكانها مع أنها من تنزيل الله الحكيم ووحيه الصادق الأمين.

هــذا علـــى الوجه الأول. وأما على الوجه الثانى ففيه إزهاق نفس النص ثم محاولة إلباسه لبوس غيره حتى يصلح رافعا لما بعده على أنه فاعل.

وفى ذلك إماته كلمة (من) ثم إضفاء ما يتوهمه العلماء من أنه يحييها ويجعلها صالحة لرفع ما بعدها.

ولـــو تـــركوها اسما لما ارتكبوا فى حقها شططا لأنها حينئذ تكون مبتدأ وما بعدها الخبر. ومما يجعل هذا هو المقصود أن (من) مضافة على ما يقبل التبعيض فهى بمعنى (بعض) لا محالة.

هــذا: وقــد رأينا فى الأسلوب السابق: ومن آياته خلق السموات... إلخ وفيه الخبر مصدر صريح لا مؤول. وأما فى هذا الأسلوب فالمصدر مؤول فهل من فرق فى المعنى بين هذا وذاك؟

لم يكن ذلك ليفوت علماءنا النجباء. ففى حاشية السيوطى على المغنى عن ابن القــيم أن فائدة العدول عن المصدر صريح إلى (أن الفعل) ثلاثة أمور: دلالته على زمان الحدث من مستقبل فى نحو: يعجبنى أن تقوم.

ومـــاض فـــى نحو: أعجبنى أن قمت. والدلالة على إمكان الفعل دون وجوبه واستحالته. والدلالة على تعلق الحكم بنفس الحدث تقول: أعجبنى قدومك فيحتمل أن إعجابك لحالة من أحواله كسرعته لا لذاته.

ولو قلت: أعجبنى أن قدمت لكان إعجابك بنفس قدومه.

فهـــذه ثلاثة فروق. ثم نقل عن ابن جنى فرقين هما: أن (أن والفعل) لا يؤكد بهما الفعل فلا يقال: ضربت أن اضرب. ولا يوصفان فلا يقال: يعجبنى أن تضرب الشديد بخلاف المصدر فيهما أهـــ.

أقول – القائل هو الصبان – بقى أمران أحدهما: سد (أن والفعل) مسد الاسم والخبر في نحو قوله تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ ٢١٦ البقرة. بناء على نقصان (عسى). وسد المفعولين في نحو قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ ﴾ ٢ العنكبوت.

ثانيهما: صحة الإخبار بهما عن الجثه بلا تأويل عند بعضهم في نحو (زيد إما أن يقول كذا وإما أن يسكت لاشتماله على الفعل والفاعل والنسبة بينهما بخلاف المصدر الصريح"[1].

هذا ما ذكره الصبان وفيه سبعة فروق بين المصدر الصريح والمؤول. ومنها ثلاثة عن ابن القيم. ولما راجعتها في كتابه (بدائع الفوائد) وجدت الثالث منها يختلف عما ذكره الصبان ونصه: (تقول أعجبني أن قدمت أي نفس قدومك).

ولو قلت: أعجبني قدومك لاحتمل أن إعجابه لحالة من أحواله كسرعته لا لذاتر).

وأما نص ابن القيم فهو: والفرق بينهما أنك إذا قلت: يعجبني صنعك فالإعجاب هنا واقع على نفس الحدث بقطع النظر عن زمانه ومكانه. وإذا قلت: يعجبني ما صنعت فالإعجاب واقع على صنع ماض. وكذلك: ما تصنع واقع على مستقبل: فلم تتحد (ما والفعل) و (المصدر) ..الخ[2].

فما ذكره الصبان ليس فيه اعتبار لزمان الفعل المذكور مع أداة المصدر بل المعنى مأخوذ من المصدر المؤول وحده. وإذا ذكر هذا المصدر المؤول كان المعنى المراد هو معناه مجردا أيضا عن زمانه ومكانه. وإنا يراد وصف آخر.

---

(١) انظر حاشية الصبان ١/ ١٨٤.

(٢) انظر بدائع الفوائد ١/ ١٤٢ فما بعدها.

وأما نص ابن القيم فالمعنى فيه يدور مع زمان الفعل ماضيا كان أو مستقبلا إذا ذكر فإذا لم يذكر كان المراد هو نفس الحدث بقطع النظر عن زمانه.

وعلـــى هـــذا يكون معنى قوله تعالى: "ومن آياته أن خلقكم من تراب.." هو الخلق فيما مضى. وقوله تعالى: "ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة.." هو الرؤية فى المستقبل.

ويكون معنى قوله: "ومن آياته خلق السموات والأرض.." هو الخلق وحده من حيث هو لا من حيث زمانه.

وهـــذا ما نرجحه لأنه مبنى على ما يذكر فى النص من ألفاظ لابد أن يلحظ معناها.

هـــذا: وممـــا هو جدير بالتنبيه إليه أن قوله (من تراب) و (من أنفسكم) فى الآيتـــين الأولى والثانية ليس معناه مرادا هنا بل معناه سيأتى فى أساليب (من) التى تعرب حالا لا مبتدأ أى حالة كونكم بعض تراب. وحلة كونهن بعض أنفسكم.

ولعلـــك أدركـــت بمـــا لا خفاء فيه ولا مشقة أن معانى هذه الآيات نابع من نـــصوصها ونـــسق كلماتهـــا فلا تأويل ولا تعديل. ولكن علماءنا مع وضوح ذلك وســـهولته وتيسير فهمه يأبون إلا أن تكون (من) حرف إضافة كما سبق وقد عرفنا ما فيه مما لا يليق بجلال القرآن.

-٦-

آيات أضيفت فيها (من) إلى الضمير أو مضاف إلى ما أضيف إليه الضمير. وإما إلى اسم موصول. وإما مضاف إلى ما أضيف إلى ما فيه (ال). وخبرها جملة فعلية.

(أ) أضيفت (من) إلى الضمير فى آيتين من السورتين الآتيتين:

المؤمـــنون: قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ٢١.

يس: قوله تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ ٧٢.

ففى الآية الأولى تنبيه الذهن وإيقاظ الشعور النفسى إلى ما فى الأنعام – الإبل البقـــر الغـــنم– من منافع تجعلها عماد ثروة العرب بل البشر جميعا فهى التى تمد البـــشر باللبن واللحم والكساء ويعتمدون عليها فى الارتحال والانتقال من مكان إلى مكان.

ثـــم جاءت ثلاث جمل هى (نسقيكم مما فى بطونها) أى بعض ما فى بطونها والمراد: اللبن و (من) مفعول به كما سيأتى. و (ولكم فيها منافع كثيرة) وهى جملة ظرفية فالظرف (لكم) رافع لـــ (منافع) و (كثيرة) نعت. أى ويخصكم منافع كثيرة".

و(فـــيها) حال أى حالة كون تلك المنافع فى الأنعام. ولا بأس فى ذكر الحال قبل صاحبها لأن المعنى يقتضى ذلك.

والجملـــة الثالثة (ومنها تأكلون) وهى مناط دراستنا هنا أى وبعضها تأكلونه فـــــ (مـــن) مبتدأ وخبرها جملة فعلية (تأكلون) ورابطها يدركه العقل وهو علامة الإضمار أى: تأكلونه.

وأما آية يس فهى فى الأنعام أيضا إذ قبلها:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾ ٧١ و ذللناها... الخ.

و (مِـــن) فـــى (مما عملت) مفعول به أى بعض ما عملته كما سيأتى. وأما (فمنها ركوبهم).

فقـــد سبق ذكرها فى آيات الإخبار عن (من) بـــ (مفرد) لا جملة وأما (ومنها يأكلون) فالخبر فيها جملة فعلية (يأكلون) أى يأكلونه. كما ذكرنا آنفا.

قال الألوسي: والتبعيض فى (فمنها ركوبهم) باعتبار الجزئيات. وفى (ومنها يأكلون) باعتبار الأجزاء فالمأكول جزء الناقة"[١].

ولعلـــه يعنـــى بالجزئيات الأفراد فالذى يركب أفراد الإبل على حين أن الذى يؤكل جزء الجمل أو الناقة أو غيرهما من الأنعام.

(ب) وأضـــيفت (مـــن) إلى مـــا أضيف إلى الضمير وخبرها جملة فعلية فى آيـــة واحدة فى ســـورة الـــروم وهـــى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ ٢٤.

وقـــد سبق دراسة ست آيات من هذه السورة والخبر فيها إما مصدر صريح وإما مؤول. وهنا نجد الخبر جملة فعلية أى: وبعض آيات الله يريكم... .

فـــ (من) مبتدأ. والجملة خبـــر. مثلها مثـــل قـــوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾ ٢٤٥ البقرة.

ومما نجدر ملاحظته فى هذا المقام أننا لا يمكننا استبدال شئ بالجملة الفعلية فـــى هـــذه الآيـــات حتى يصح وقوعها خبرا بل المعنى يدركه العقل من الكلمات المذكـــورة وشتان بين (يقبض ويبسط) و (قابض وباسط) كما يدرك الحس اللغوى الصادق والذوق البلاغى الجميل.

وإذا صـــح هـــذا الذى ارتضيناه وقررناه ترتب عليه استغناء آية الروم عن تقديـــر (أن) قَبْـــلَ الفعل حتى يتحول الخبر من جملة فعلية إلى مصدر مؤول. فقد علمنا الفرق بين المصدر المؤول والصريح. فكيف لا يكون فرق بين الجملة الفعلية

---

(١) روح المعانى ٧/ ٢٤٦.

والمـــصدر المـــؤول؟! ومما يزيدنا يقينا إلى يقين بهذا الفرق أن آيات سورة الروم تنوع فيها الخبر من مصدر صريح: "ومن آياته خلق السموات...".

ومصدر مؤول "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً..." ثم جملة فعيلة: "ومـــن آياته يريكم البرق.." أليس هذا التنويع أبلغ حجة وأقوى برهان على الفروق الدقيقة بين هذه الآيات؟؟

ثـــم إنـــنا نقرأ قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾١٢الرعد. وفيه الجملة (يريكم البرق..) ولا يمكن تأويلها بمصدر لأنها صلة (الذى) والمعنى مفهوم بدون ذلك التأويل. فلم لا يفهم فى آية الروم؟!

أى أن ذلـــك غير وارد لأن قصارى الفرق بين الجملة الواقعة خبرا والواقعة صلة أن الأولى فى محل رفع أى فى محل مفرد لو وقع فى مقام آخر لكان مرفوعا وأن الثانية لا محل لها من الإعراب.

أقـــول: مع هذا كله نرى علماءنا يحرصون كل الحرص على زعم افتقار آية الروم إلى ما يكمل نقصا فيها أو يتمم معنى تدل عليه.

يقـــول الزمخـــشرى: "فى (يريكم) وجهان: إضمار (أن) وإنزال الفعل منزلة المصدر. وبهما فسر المثل: تسمع بالمعيدى خير من أن تراه. وقول الشاعر:

وقالـوا مـا تـشاء فقلـت ألـهـو ... إلـــى الإصـــباح آثـــر ذى أثيـــر

قـــال المعلـــق: أى هو أن ألهو. فـــ (أن) مقدرة معنى وإن لم ينصب الفعل لفظا. وقال الجوهرى: يقال: افعل هذا آثر ذى أثير"[1].

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ٣٧٢ وهامشها.

فالزمخــشرى لا يــرى فى الآية استغناء بل لابد من احتياجها إما إلى تقدير (أن) أو تأويل الفعل بالمصدر. وقد عرفنا أن تأويل الفعل بمصدر غير ذى فائدة أو معنى يراد. لأن العقل يدرك المعنى دون احتياج إلى شئ.

وأما تقدير (أن) فيقول عنه أبو حيان: "هذا النوع من إضمار (أن) مختلف فيه فمــن النحويــين من منعه وعلى ذلك متأخرو أصحابنا - لعله يعنى: البصريين - وذهــب جماعة من النحويين إلى أنه يجوز حذفها فى مثل هذا الموضع ثم اختلفوا فقيل: يجب رفع الفعل إذ ذاك وهذا مذهب أبى الحسن. ومنهم من قال: يبقى العمل - يعني: نصب الفعل - وهو مذهب المبرد والكوفيين.

والــصحيح قصر ما ورد من ذلك على السماع. وما كان هكذا فلا ينبغى أن تخرج الآية عليه لأن فيه حذف حرف مصدرى وإبقاء صلته..." (١).

ومـمــا يزكــى هذا ويؤيده أننا وجدنا القرآن يذكر (أن) المصدرية مع الفعل سواء أكان ماضيا نحو "ومن آياته أن خلقكم من تراب..." أم مضارعاً نحو: "ومن آياتــه أن تقوم السماء والأرض بأمره" و "ومن آياته أن يرسل الرياح..". كما سبق ذكره.

فلو قدرنا (أن) فى آيتنا هنا لسوينا بينها وبين تلك الآيات وفى هذا جراءة غير لائقة بجلال الله وكلماته. فلا مناص من جعل النص على ما ورد عليه.

هذا من ناحية: ومن ناحية أخرى أننا وجدنا ما يزعم العلماء فيه حــذف (أن) لا يخرج عن دائرة ما فيه ضرورة أو شبهها. فالأول كما فى قول الشاعر:

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى   وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

علــى روايــة نــصب (أحضر) فلا شك أن ضيق النظم يحظر على الشاعر ذكرها ومن ثم ينعدم قياس القرآن عليه.

---

(١) البحر ١/ ٢٨٣.

وأما شبه الضرورة فهو المثل: تسمع بالمعيدى خير من أن تراه. على رواية نصب (تسمع) فللأمثال نظامها أسلوبا واستعمالا وكم فيها من تباين بينها وبين سائر الكلام فهى تشبه الضرورة.

فلا غرابة إذاً أن نرى بعض الأدباء الشعراء ينكر تقدير (أن) فى مقامنا هذا إنكارا كاملا حيث يقول:

تفكرت فى النحو حتى مَلِلْتُ ... وأتعبت نفسى له والبدن
فكنت بظاهره عالما ... وكنت بباطنه ذا فطن
خلا أن بابا عليه العفا ... فى النحو ياليته لم يكن
إذا قلت لم قيل لى هكذا ... على النصب قيل بإضمار: أن[1]

فإذا كان هذا منكرا مع وجود علامة النصب الدالة على (أن) المقدرة فكيف لا يكون أشد إنكارا مع رفع الفعل كما فى الآية.

وبهذا نخلص إلى نتيجة حتمية وهى: أن (من آياته) بمعنى: بعض آياته فـ (من) مبتدأ وجملة (يريكم البرق) خبرا فمعنى الآية فى ذاتها ونسقها دون تبديل أو تعديل. وعليه يكون إعرابها مطابقا لمعناها.

(جـ) أضيفت (من) إلى (الذين) فى ثلاث آيات وخبرها جملة فعلية. وهى من:

سورة البقرة: قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ٩٦.

ومن سورة النساء: قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ ٤٦.

---

(١) فقه اللغة للثعالبى ٥٠٩.

ومـــن سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ ﴾ ١٤.

آية البقرة:

صدر هذه الآية قوله تعالى: "ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ..." والمراد: اليهود. ومن بعده قوله (ومن الذين أشركوا ... إلخ) وبذلك يتبين لنا أن اليهود غير المـــشركين حـــيث إنهم يحرصون على حياة آية حياة عزيزة كانت أم ذليلة سعيدة كانت أم شقية. مريحة كانت أم صعبة مليئة بالمشقة. حلالا طيبة أم حراما خبيثة... إلـــى غيـــر ذلك مما يمكن أن تتقلب فيها الحياة. فالمهم أن يكونوا أحياء تجرى فى أبـــدانهم الأنفاس وتنبض فى عروقهم الدماء. ولا عليهم بعد هذا إلا أن تطول حتى يتوهموا الخلود.

ولا أدل على ذلك كله من قوله تعالى فى الآيتين من قبل هذه الآية وهما قوله تعالـــــى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ ٩٤ ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ٩٥ ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ ﴾ ٩٦.

أيعـــد ذلك حجة ساطعة ودلالة قاطعة على بغضهم للموت وفزعهم من لقائه بسبب ما اقترفوه من آثام واجترحوه من سيئات.

فإذا قلنا: "ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحة من العذاب أن يعمر".

علمـــنا أن المشركين أقل من اليهود حرصا على أية حياة. وحسب أحدهم أن يعـــيش ألف سنة. وهذا العدد لا ينكر عليهم لأننا قد وثقنا بأن نبيا من الأنبياء ظل يدعـــو قومه إلى الدين الإسلامى ألف سنة إلا خمسين عاما وإذا كان أمد الصالحين فى الدنيا ألف سنة فلا مانع من أن يطمع أحد الكافرين فى هذا الأمر.

بـــل قيل: عن عمر نوح عليه السلام كان ألفا وخمسين سنة. بعث على رأس أربعـــين ولبث فى قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين. وقيـــل غير ذلك[1] فالمشركون بما أشركوا يود أحدهم أن يستمتع فى حياته الدنيا بما يمكن لأنه لـــيس لـــه فـــى الآخرة من نصيب يرتاح فيه. وإنما خص الألف بالذكر لأنه رأس العـــدد الذى لا رأس أكثر منه كما ذكره الزمخشرى.

وكان قول الله (وما هو بمزحزحة عن العذاب أن يعمر) قاطعا لتمنيهم رادعا لنفوسهم ولكن كيف ينقطع التمنى الخادع الكاذب وترتدع النفوس الفاجرة الكافرة.

وممـــا يزيدنا عمقا فى فهم هذه الآية وإدراكا لخسة اليهود وذلتهم أن الله عبر عنهم جميعا بقوله: "ولتجدنهم أحرص الناس على حياة" على حين فصل القول عن المـــشركين حيث قال: "ومن الذين أشركوا..." أى بعضهم فهذا يدل على أن بعض المـــشركين هم الذين شابهوا اليهود فى تمنى طول الحياة على حين كان ذلك دأب اليهود كلهم أجمعين.

وعلـــى هذا المعنى الذى نراه ونرتضيه تكون الواو فى (ومن الذين أشركوا) ابتدائية أى استئنافية لأن ما بعدها مستأنف بعد ما قبلها. إذ الوقف على قوله تعالى: "أحرص الناس على حياة".

ولكننا نرى فى المصاحف علامة الوقف (ج) على واو (أشركوا) وعليه تكون الـــتلاوة (ولـــتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا) ثم نبتدئ: **(يود**

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ٣٥١.

أحـــدهم لـــو يعمر ألف سنة) وهنا يشعر القارئ بضيق إزاء الواو فى (ومن الذين أشـــركوا) ثـــم إزاء (يود أحدهم..) إذ نسق النص ليس مستقيما تتآلف فيه الكلمات وتتـــناغم الحـــركات فالواو ليست مستقرة فى موضعها و (يود أحدهم) لا تتضمن براعة استهلاك ولا قوة تركيب على عكس الوجه الذى ارتضيناه وقررناه.

ومن ثم وجدنا علماءنا يرددون الآراء فى الواو على هذه التلاوة.

(أ) فمـــنهم مـــن يـــرى أنهـــا عاطفة ما بعدها على (أحرص الناس) لأنه بمعنى (أحـــرص مـــن الناس ومن الذين أشركوا. قال الفراء: "ومثله أن تقول: هذا أسخى الناس ومن هرم- يعنى: هرم بن سنان - ثم إنه وصف المجوس فقال: يـــود أحـــدهم لو يعمر ألف سنة. وذلك أن تحيتهم فيما بينهم (زه هزار سال) وتفسيره: زه: عن. هزار: ألف وسال: سنة"[١].

وحـــذا الزمخـــشرى حـــذو الفراء[٢] وربما يفهم من هذا أن (أحرص الناس) و(أحـــرص مـــن الناس) بمعنى واحد. ورفض ذلك زاده حيث قرر أن لكل منهما معنـــى يخـــصه ويلـــيق به فحيث أريد تفضيل اليهود على من هم بعضهم استعمل مـــضافا فقـــيل: أحرص الناس لأن اليهود بعض الناس. وحيث أريد تفضيلهم على المشركين الذين ليست اليهود بعضهم استعمل (من) فقيل: ومن الذين أشركوا.

فالقول بأن (أحرص الناس) بمعنى (أحرص من الناس) محل بحث لأنه يوهم ألا يكون اليهود بعض الناس[٣].

وهـــذه القاعـــدة أى إضـــافة اســـم التفضيل إلى ما هو بعضه قد نص عليها الحريرى حيث قال: "ويقول: زيد أفضل إخوته فيخطئون لأن (أفعل) الذى للتفضيل

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١/ ٦٢: ٦٣ وهامشها.

(٢) انظر الكشاف ١/ ١٢٥.

(٣) حاشية زاده على البيضاوى ١/ ٢٥٨: ٢٥٩.

لا يضاف إلا إلى ما هو داخل فيه وينتزل منزلة الجزء منه و (زيد) غير داخل فى جملـــة (إخـــوته). وتصحيح هذا الكلام أن يقال: زيد أفضل الإخـــوة أو أفضل بنى أبيه"(١).

وبهذا يثبت أن (أحرص الناس) غير: (أحرص من الناس) لأن الأول يتضمن معنى: بعض. أما الثانى فـــ (من) فيه ابتدائية أى حرف إضافة. فليس فيه أن اليهود بعض الناس إذ المراد أن الناس ابتداء حرصهم على أية حياة فهم أشد منهم حرصا.

وإذا صـــح هـــذا لا يجوز عطف (ومن الذين أشركوا) عليه بل الصواب أن تكون الواو استئنافية والوقف على (حياة).

فهذا الوجه مرفوض لما فيه من تقدير يعكر صفو النص ومن حمل شئ على شـــئ ليس بينه وبينه مودة ولا ألفة وقد عودنا القرآن العظيم أن الجامع بين كلماته هو الألفة والود والتعاطف. لا الفرقة والنفور والتباعد.

(ب) ومـــنهم من يرى التعديل فى النص حيث يجعل نسق الآية (ولتجدنهم أحرص الـــناس على حياة وأحرص من الذين أشركوا. فيزيد كلمة (أحرص) ويجعل حـــذفها لدلالة الأولى عليها. ويقول الزمخشرى عن هذا: "وفيه توبيخ عظيم لأن (الـــذين أشركوا) لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا فحرصهم علـــيها لا يستبعد لأنها جنتهم. فإذا زاد عليهم فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ"(٢).

وكأنـــى بالزمخشرى لا يدرك هذا المعنى إلا بتقدير (أحرص) ثانية فى الآية وفـــى هذا حكم على نصها بالافتقار والاحتياج وخاصة إذا تأملنا نسق الآية على ما ذكـــره وهو: ولتجدنهم أحرص الناس على حياة. وأحرص من الذين أشركوا. أليس فى هذا إيهام أن المشركين ليسوا من الناس؟!

---

(١) درة الغواص ١٢: ١٣ رقم ٤.

(٢) الكشاف ١/ ١٢٥.

إن القرآن ليس فى حاجة إلى كل هذا لأن نسيجه وتنسيقه لا يقبلان تعديلا ولا تأويلا. وعلى الناظر فيه والمتمعن فى معانيه أن يستنبط المعنى من النص بلا تعديل ولا فرض جسم غريب عليه.

(ج) ومنهم من جعل المعطوف عليه الضمير فى (ولتجدنهم) مع تقدير معطوف أى ولتجدنهم وطائفة من الذين أشركوا أحرص الناس على حياة.

وبأدنى التفاته ذهنية يدرك العقل أن فى هذا تدخلا بما يؤذى النص ويباعد بين لبناته ويفرق بين مؤلفاته. وما هذا بلائق لا معنى ولا لفظا ومن العجب أن يعقب أبو حيان على هذا قائلا: "فهو معنى يصح!! لكن اللفظ والتركيب ينبو عنه ويخرجه من الفصاحة ولا ضرورة تدعو إلى أن يكون ذلك من باب التقديم والتأخير بالضرورة"(١).

فلست أدرى كيف يصح المعنى مع نبو اللفظ والتركيب عن الفصاحة؟! هل تلد القردة ظبيا وهل يثمر الشوك عنبا؟

إننى فى هذا المقام لا أملك إلا أن أسأل الله أن يوفقنا إلى النظر الصادق والفهم الصائب لنسق كلماته واستخراج المعنى من ذاتها.

وبهذا يتضح أن هذه الأوجه الثلاثة غير لائقة بجلال المعنى المراد بالنص فلم يبق إذا إلا أن نجعل الوقف على قوله (أحرص الناس على حياة) ثم يبتدئ القارئ (ومن الذين أشركوا يود أحدهم ... إلخ). وقد ذكرنا أن الواو لابتداء جملة جديدة لمعنى جديد فليس بين الجملتين علاقة إعرابية حتى تكون الواو عاطفة كما هى فى قوله (والله يقبض ويبسط) وقد عبر بعضهم عن (الابتداء) بـ (الاستئناف) ومنهم ابن هشام فى المغنى وعلق عليه الأمير قائلا: "والاستئناف ابتداء الكلام. وهذا

---

(١) حاشية الأمير على المغنى ٢/ ٣٣.

حاصـــل أتى بالواو أم لا فما معنى إضافته للواو؟ بل ربما أوهمت هى العطف فلا تخرج عن الزائدة عند التدقيق"(١).

وحاش لله أن نزعم زيادة حركة فضلا عن حرف أو كلمة فى القرآن ومن ثم نرى أن قول الأمير فى حاجة إلى تدقيق ومراجعة.

ذلـــك: أننا حينما نقول: الواو استئنافية إنما نقصد أنها تربط جملة بأخرى لا على سبيل الحكم الإعرابى بل على أن كلا منهما لبنة فى بناء أسلوب يؤدى المعنى المـــراد. ولا يمكن الاستغناء عنها فلا يتسرب إلى الذهن زعم زيادتها. إذ لو قيل: ولـــتجدنهم أحرص الناس على حياة. من الذين أشركوا يود أحدهم ... إلخ. لما كان بناء الكلام قويا متينا. وهذا واضح كل الوضوح.

ومع هذا يمكننا أن تجعل الواو للحال فالمعنى: ولتجدن اليهود وهم أهل كتاب أحـــرص الـــناس علـــى حـــياة. والحال أن بعض المشركين وهم غير أهل الكتاب قصارى أمرهم أن يود أحدهم لو يعمر ألف سنة. وفى هذا من التشنيع على اليهود لما يحملونه من رذائل مسفه مسرفه ما لا يخفى على ذى عقل وبصيرة.

وممـــا يثبت حرص اليهود على طول حياة قوله تعالى: "أحرص الناس على حياة" دون (الحياة) فقد قال الزمخشرى: "لم قال: على حياة بالتنكير؟

قلـــت: لأنه أراد حياة مخصوصة وهى الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبى: على الحياة".

ثم ذكر أن (ومن الذين أشركوا) يجوز أن يكون كلاما مبتدأ أى: ومنهم ناس يـــود أحـــدهم علـــى حذف الموصول كقوله (وما منا إلا له مقام معلوم) و (الذين أشركوا) على هذا مشار به إلى اليهود لأنهم قالوا: عزير ابن الله..."(٢).

---

(١) حاشية الأمير على المغنى ٢/٣٣.

(٢) الكشاف ١/ ١٢٥. وانظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٣٠ والبحر ١/ ٣١٣: ٣١٤.

والحق أن الآية ليست فى حاجة إلى ذلك المقدر لأن (من) مبتدأ أى: وبعض الذين أشركوا يود أحدهم. كما وضحنا ذلك.

وإنـــى لأعجب أشد العجب من الزمخشرى الذى كانت كلمته عالية فى إثبات اســمية (مــن) البعضية. ومع هذا أراه هنا يسير فى ركاب الذين يحرصون على حرفيتها ثم يقع فيما وقعوا فيه من الحذف والتقدير والتقديم والتأخير.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ ١٦٤ الصافات فسيأتى أن (من) فيه مبتدأ أيضا.

هذا: وهناك من يقدر (من) بدل (ناس) أى: ومن الذين أشركوا من يود أحدهم لـــو يعمـــر ألف سنة. فلو جعلوها نكرة قيل فيها ما قيل فى (ناس) وهو: أن حذف الموصـــوف قبـــيح كما علمنا. ولو جعلوها موصولة أى الذين يود أحدهم. فقد رده المبرد مع إجازته أن تكون نكرة وذلك فى قول حسان بن ثابت:

فمـن يهجـو رسـول الله مـنكم ويمدحـــه وينعـــره ســـواء

فيرى بعضهم تقديره: ومن يمدحه. أى الذى يمدحه. قال المبرد: وليس الأمر عند أهل النظر كذلك. ولكنه جعل (من) نكرة وجملة (يمدحه) تقوم مقام الموصوف فكأنه قال: وواحد يمدحه وينصره لأن الوصف يقع فى موضع الموصوف إذا كان دالا عليه"[1].

فالمبـــرد هنا كالمستجير من الرمضاء بالنار. إذ ينكر أن تكون (من) المقدرة موصـــولة ويقـــر كونها موصوفة. والحق أن النص ليس فى حاجة إليها أصلا لأن معناه تام كامل واضح بين بدونها.

أما آية سورة النساء وهى: (من الذين هادوا يحرفون الكلم....) فهى أيضا فى حق اليهود كآية البقرة وتأمل – هداك الله – هذا التجاذب والتكامل على بعد المسافة

---

(١) المقتضب ٢/ ١٣٧.

بينهما إذ تقرأ بعد الأولى خمسا وثلاثين وأربعمائة آية. منها ست وتسعون بقية البقرة. ومائتا آية سورة آل عمران. وخمس وأربعون آية من النساء.

فإذا كانت آية البقرة تثبت لهم أرذل صفة وأكملها وهى: حرصهم على حياة أيا كان نوعها فهم يخافون الموت بل لا يكادون يؤمنون به فإن آية النساء ترميهم بما هو أشنع وأفظع وهو تحريف كلام الله عن مواضعه ومن البدهى أن كلام الله هو حياة القلوب والنفوس. وبتحريفهم له عن مواضعه يفرغون نفوسهم وعقولهم منه وينأون عنه ومن ثم يتجلى شأن حياتهم التى يحرصون عليها فهى حياة ليس فيها إلا تردد أنفاس مع ما يفعمها من أدناس وأرجاس.

ومما ينبغى الالتفات إليه أن الواو لم ترد فى آية النساء مما جعل الحديث هنا يختلف عن الحديث هناك.

إن الذى نراه – كما يدرك القارئ – هو أن (من الذين) مبتدأ وخبره (يحرفون) أى بعض الذين هادوا يحرفون الكلم... ففى هذا إيجاز فى النص ووضوح فى المعنى واقتناع العقل به دون حاجة إلى شئ.

ولكن علماءنا قد بلغوا من الآراء سبعة تفصيلا وإجمالها على النحو الآتى :

١- أن تكون (من) بيانا لأحد شيئين هما:

قوله تعالى: "ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب ...." ٤٤. فـ (من الذين هادوا) بيان لـ (الذين أوتوا نصيبا...) وقوله (والله أعلم بأعدائكم...) ٤٥ معترض بين الآيتين.أو (من الذين هادوا) بيان لـ (أعدائكم).

٢- أن يكون (من الذين هادوا ...) من تمام الآية قبلها (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا" فـ (من الذين) مرتبط بـ (نصيرا).

٣- أن يكون حالا إما من فاعل (يريدون) من قوله تعالى: "ويريدون أن تضلوا السبيل" وفيه فاصل بين الحال وصاحبها.

وإما من (أعدائكم) وفيه فاصل كذلك.

٤- أن يكون (من الذين هادوا) تفصيل لإجمال من وجهين: كأنه قيل: ومن الذين أوتوا الكتاب؟ فأجيب بقوله: (من الذين هادوا) ثم قيل: وكيف يشترون الضلالة؟ فأجيب يقول: يحرفون الكلم.

٥- أن (من الذين هادوا) خبر لمبتدأ محذوف أى هم من الذين هادوا. و (يحرفون الكلم) حال من فاعل (هادوا) [١].

وبمراجعة هذه الأوجه يتضح أن هناك فاصلا بين المبين والبيان على الوجه الأول. وأن يكون (من الذين هادوا) مرتبطا بـــ (نصيرا) وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ ٧٧ الأنبياء.

وقد علمنا أن (نصر) يذكر معها (من) فتكون بمعنى (نجىً) وأما (نصر على) فتكون بمعنى غلب أعداءه. وذلك لا يكون إلا فى الحرب كقوله تعالى: ﴿ فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ٢٨٦ البقرة.

فـــ (من) على هذا الوجه حرف إضافة ومعناها الابتداء. أما على وجهى البيان فاسم بمعنى (بعض) وهى فى محل خفض بيانا لـــ (الذين أوتوا نصيبا) أو لـــ (أعدائكم) أى بعض الذين هادوا.

وكذا تكون بمعنى (بعض) على أنها حال أى حالة كونهم بعض الذين هادوا. وعلى أنها تفصيل لإجمال.

وعلى هذه الأوجه جميعا يكون الوقف على (من الذين هادوا) ثم نبتدئ "يحرفون الكلم عن مواضعه..." ولابد حينئذ من تقدير شئ يبنى عليه. وعلى هذا

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١/ ٢٧١ والكشاف ١/ ٣٩٩. وإملاء ما من به الرحمن ١/ ١٠٣ والبحر ٣/ ٢٦٢. ومن مفاتيح الغيب ٣/ ٢٣٦ والإيضاح ٢/ ١٦٢.

تــوجد أشياء على خلاف الأصل وهى: إما الفصل بين البيان والمبيَّن أو بين الحال وصاحبها وتقدير لشئ لا احتياج بالنص إليه.

ويبقى وجهان مما ذكر العلماء احتمالهما وهما:

(أ) أن فــى قوله: "ألم تر إلى الذين أوتو الكتاب" إجمالا من وجهين. فكأنه قيل: (ومن الذين أوتوا الكتاب)؟ فأجيب بقوله (من الذين هادوا).

ثم قيل: (وكيف يشترون الضلالة)؟ فأجيب بقوله: (يحرفون الكلم).

(ب) أن (من الذين هادوا) خبر لمبتدأ محــذوف تقــديره: هم من الــذين هــادوا و (يحرفون الكلم) حال من فاعل: هادوا".

وفــيها من الحذف والتقدير (حيف وتكدير) ومن (التقديم والتأخير) ما لا يليق بجلال وقدسية كلام الله العلى القدير.

ولــذا رأيــنا أن الراجح – بال الصواب – أن تكون جملة (من الذين هادوا يحرفون الكلم..) استئنافية و (من) فيها مبتدأ وخبره (يحرفون) فلا حيف ولا تكدير ولا خلاف الأصل.

ولكن علماءنا – على هذا الوجه – يأبون إلا التقدير. وكأن القرآن فى نظرهم لا اســتغناء لــه عما يزعمون تقديره غير آبهين بما يترتب على ذلك من اختلاط المعجز بغير المعجز فيصير غير معجز كما حققنا ذلك فى الباب الأول.

فها هو ذا الفراء يقول: "وإن شئت كانت – يعنى: من الذين هادوا – فتقطعه منها مستأنفة ويكون المعنى: من الذين هادوا من يحرفون الكلم.

وذلــك أن مــن كلام العرب أن يضمروا (من) فى مبتدأ الكلام فيقولون: منا يقــول ذلــك ومنا لا يقوله. وذلك أن (من) بعض لمــا هى منــه فلذلك أدت عن المعنى المتروك.

ولا يجــوز إخبار (من) فى شئ من الصفات إلا على هذا الذى نبأتك به وقد قالها الشاعر ولست أشتهيها:

لـو قلت مـا فى قومها لم تِيثَم   يفــضلها فـــى حــسب وميــسم

وإنما جاز ذلك فى (فى) لأنك تجد معنى (من) وأنه بعض ما أضفت إليه ألا تــرى أنــك تقول: فينا الصالحون وفينا دون ذلك. فكأنك قلت: منا. ولا يجوز أن تقول: فى الدار يقول ذلك. وأنت تريد: فى الدار من يقول ذلك"[1].

وفى هذا النص عدة مخالفات وهى:

١- جعله (من) خبرا مقدما ومقتضى هذا أنه يجعلها حرف إضافة على الرغم من قوله: إن (من) بعض لما هى منه. إذ مقتضى هذا أن تكون اسما.

٢- تقديـــره مبــتدأ مؤخرا وهو (من) ثم زعمه أن من كلام العرب أن يضمروا (من). وليس هذا كما زعم بل هو من توهم النحاة المبنى على غير أساس. إذ العرب حينما قالوا: منا يقول ذلك إنما عنوا بما لا شك فيه: بعضنا يقول ذلك. فهو كلام تام مفيد ينبثق معناه من نسق كلماته.

٣- حكمـــه علـــى (مـــن) المزعوم إضمارها بأنها إما نكرة موصوفة وإما اسم موصـــول وقد عرفنا أن حذف الموصوف وبقاء صفته قبيح فلا يليق بجلال القــرآن. وأما جعلها موصولة فقد جرى الطبرى فى ركاب الفراء حيث ذكر أنها بمعنى: الذين[2].

ويتضح من هذا أنه مذهب كوفى لأن الفراء والطبرى من تلك المدرسة. وأما مدرســة البــصرة فتمنع تقدير الموصول. وقد ذكر ابن الحاجب الفرق بين تقدير الموصوف والموصول بقوله: "إن الصفة تدل على الذات التى دل عليها الموصوف

---

(١) معانى القرآن ١/ ٢٧١.

(٢) انظر جامع البيان ٥/ ٧٠ والبحر ٣/ ٢٦٢.

بنفسها باعتبار التعريف والتنكير لأنها تابعة للموصوف فى ذلك. ومن ثم جاز حذفه.

وأما الموصول فلا ينفك من جعل الجملة التى معه فى معنى اسم معرف فلو حذفت لكانت الجملة نكرة فيختل المعنى"(١).

وقد رضى ابن هشام عن مذهب أهل البصرة فقال: "إن تقدير البصريين أقيس لأن اتصال الموصول بصلته أشد من اتصال الموصوف بصفته لتلازمهما"(٢).

ولكن الرضى يقول: "ولا وجه لمنع البصريين من ذلك من حيث القياس إذ قد يحذف بعض حروف الكلمة وإن كانت فاء أو عينا كـ (شية) و (سه) وليس الموصول بألزق منهما"(٣).

والحق أن النحاة هم الذين ابتدعوا إضمار أو تقدير موصوف أو موصول فى بعض أساليب اللغة بدون داع كما نبهنا ونوهنا بل حذرنا من ذلك. لأن إضافة جسم غريب بدون داع إلى النص القرآنى لا يستسيغه ذو عقل أريب.

وأما قياس الرضى حذف الموصول على حذف الواو من (شيه) إذ أصل مادتها (و ش ى) والتاء من (سه) إذ أصل مادتها (س ت هـ) فليس بسديد لأنها وردت عن العرب هكذا وكان بحث النحاة فيه بحثا قيما لأن تصاريف المادة اللغوية تدل على ما حذف منها. أما النصوص القرآنية التى يزعم النحاة فيها إضمار الشئ فلابد من إعادة النظر فيها فإن فهم العقل المعنى بدونها فلا حاجة إليها. وإلا فلا.

وقد علمنا أن (من الذين هادوا) صالح للابتداء به أى بعض الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه.

---

(١) أمالى ابن الحاجب ٨٣٥ وانظر الأشباه والنظائر ٢/ ٢٣١.

(٢) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٦٦.

(٣) شرح الكافية ٢/ ٦١.

أمـــا آية المائدة وهى قوله تعالى: "ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم" فمعـــناها واضــــح من نسقها وكلماتها أى بعضهم أخذنا ميثاقهم. وإذا كانت الآيات السابقة فى اليهود فهذه الآية فى النصارى. وبذلك يتساوى أهل الكتاب يهودا كانوا أو نــصارى فـــى أن مـــنهم الذين يخالفون عن أمر الله ولا يتمسكون بحبله المتين ووحيه المبين.

وفـــى هذا إشارة إلى أن لا يستبعد أن يكون بعض أتباع محمد عليه الصلاة والسلام من يفعل ذلك. فتلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا.

ولا ينبغى أن يغيب عن القارئ منهج أسلافنا فى هذه الآية فقد حملها بعضهم علـــى الـــتقديم والتأخير أى أخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاقهم. وبهذا تكون (من) حرف ابتداء[١].

وقد علمنا أن دعوى التقديم والتأخير فى القرآن باطلة.

وهناك من يرى أن الواو عاطفة و (من الذين) معطوف على (منهم) فى الآية من قبلها (ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين) و يعنى (منهم) فى (خائنة منهم) والمراد اليهود الذين سلف ذكرهم فـــى قوله (ولقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل... الآية أى أنك يا محمد تظل تطلع على خائنة من اليهود... ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم".

ومـــن يرى هذا التقدير يمنع ذكر (ميثاقهم) فى صدر الآية فلا يجوز: وأخذنا ميثاقهم من الذين قالوا إنا نصارى لأن فيه إضمارا قبل الذكر لفظا وتقديرا"[٢].

ألـــيس فـــى هـــذا تمـــزيق الـــنص وتفريق كلماته والمباعدة بين المعطوف والمعطوف عليه وكل هذا يمكننا الاستغناء عنه بجعل (من) بمعنى (بعض) وتكون

---

(١) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ١١٩.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ١١٩.

العلاقـــة بين هذه الآية (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم) وبين قوله (ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنتى عشر نقيبا. ... الآيتين السابقتين. فهما فى شأن اليهود وهذه فى شأن النصارى وكما أن الله بعث بعضهم نقيبا خص بعض الذين قالوا إنا نصارى بأخذ الميثاق.

وبهـــذا نحصل على التوافق المعنوى والتناسق اللفظى بسلاسة وسهولة ويسر وبدون قلق وصعوبة وتمزيق.

(د) أضيفت (من) إلى مضاف إلى ما فيه (أل) فى آيتين من سورتى:

التوبة: قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ ١٠١.

والنحل: قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ٦٧.

فــــ (مـــن) فى الأولى مضافة إلى (أهل) المضاف إلى (المدينة) وفى الثانية مضافة إلى (ثمرات) المضافة إلى (النخيل). والخـــبر فيها جملة فعلية (مردوا على النفاق) و (تتخذون منه سكرا...) وفعل الأولى ماض. وفعل الثانية مضارع. ولكل دلالته.

وقـــد ســـبق الحديث عن صدر آية التوبة وهو: "وممن حولكم من الإعراب منافقون" أى بعضهم. ومن ثم كان معنى (ومن أهل المدينة...) وبعض أهل المدينة مردوا على النفاق. أى لجوا فيه واستمروا عليه. ولا شك فى وجود فرق بين الخبر المفرد (منافقون) والخبر الجملة (مردوا على النفاق) فالأول يثبت صفة النفاق لمن حـــول المديـــنة قـــيل: المراد بهم: جهينة وأسلم وأشجع وغفار. فإنهم كانوا نازلين حولها. فليسوا من أهلها. وأما الخبر الثانى (مردوا على النفاق) ففيه أن النفاق صفة مـــستحدثة فـــيهم غير متأصلة ولا صادرة عنهم بل تعلموها وتمرنوا عليها بالتلمذة على من حول مدينتهم.

ولعلـــك أيها القارئ قد استيقنت نفسك ورسخ فى قلبك التناسق بين الجملتين معنى وإعرابا بدون حذف (حيف) ولا تقدير (تكدير) ولا تقديم وتأخير.

ولكـــن علماءنـــا يأبون إلا ذلك فيقول الزمخشرى: "ومن أهل المدينة: عطف على خبر المبتدأ الذى هو (ممن حولكم)..

"ويجـــوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ و الخبر إذا قدرت: ومن أهل المديـــنة قـــوم مردوا على النفاق. على أن (مردوا) صفة موصوف محذوف كقول سميم بن وثيل المراحى:

أنـــا ابـن جـلا وطـلاع الثـنايا　　　متـى أضـع العمامـة تعرفونـى

أى أنا ابن رجل رجلا

وعلـــى الوجه الأول لا يخلو من أن يكون كلاما مبتدأ أو صفة لـــ (منافقون) فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره.

(مردوا على النفاق): تمهروا فيه من: مرن فلان عمله ومرد عليه إذ درب به وضرى حتى لان عليه وفهر فيه"[1].

ففى هذا النص:

(أ) يـــرى الزمخـــشرى أن (ممن حولكم) خبر مقدم ومقتضى هذا تقدير (كائن) فتقدير الآية: منافقون كائنون ممن حولكم من الأعراب. فأين هذا من :بعض من حولكم من الأعراب منافقون؟

و(من أهل المدينة) معطوف على (ممن حولكم) أى على الخبر. فأين موقع (مردوا على النفاق) من هذا التقدير؟ وكأنى بالزمخشرى يريد أن يستغنى عن هذا الـــنص ونحـــن نـــربأ به عن هذا لأنه ذو وزن كبير فى فقه اللغة بعامة والقرآن

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٣٩: ٢٤٠.

بخاصة. فلا يخفى عليه أن أهل المدينة يخالفون من حولهم من الأعراب فى أشياء شتى. ومنها صفة النفاق فهى ثابتة راسخة فيمن حولهم. حادثة فيهم فقد تعلموها ثم مرنوا عليها.

ولهذا كله لا يحتاج النص إلى ما ذكره الزمخشرى هنا لأن فيه إرهاقا للنص بتعديل أوضاع كلماته وتحميله ما لا يطيق من أشياء لا حاجة به إليها.

(ب) أجاز الزمخشرى وجها آخر وهو أن تقدير الآية: ومن أهل المدينة قوم مردوا علـــى النفاق. فقدر موصوفا لجملة (مردوا على النفاق) فضلا عما ذكره فى الوجه الأول من تقديم وتأخير وتقدير متعلق للجار والمجرور.

فـــتكون هكذا: وقوم مردوا على النفاق وكائنون من أهل المدينة. فزاد التقدير تقديرا والنص تكديرا إذ لا فائدة فيما ذكره ولا نفع له.

ومـــن العجيب أنه يقيس القرآن على الشعر فى جواز حذف الموصوف. وما ذلــك بالقياس السديد إذ شتان بين أسلوب منزه عن الضرورة وآخر هذه الضرورة من لوازمه.

وحسبك هذا بعثرة لكلمات النص وتشتيتا لمفرداته وقتلا لمعانيه.

ولست أدرى ماذا كان على الزمخشرى لو جعل معناه: وبعض من حولكم من الأعراب منافقون وبعض أهل المدينة مردوا على النفاق؟!!

إذ (مِنْ) بعض ما أضيفت إليه فليست حرف ابتداء فى هذا النص.

هـــذا: ومما لا ينقضى منه العجب أن نقرأ فى حاشية الجمل قوله: "منافقون: مخبر عنه بالأمرين أى: ومنافقون بعض من حولكم من القبائل. وبعض أهل المدينة فـــ (من) تبعيضية"(١).

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٣٧٦.

فمـــع اعتـــرافه باسمية (من) إذ هى بمعنى (بعض) نراه أسيرا لقاعدة التقديم والتأخيـــر مع إنكاره لقاعدة الحذف والتقدير. وهما فى إطار واحد لا تنفك إحداهما عـــن الأخـــرى من حيث إنهما جسم غريب على نسيج اللغة العربية فلا يخلو أى منهما من داء عضال يصيب جوهرها ويفتك بها.

أما آية النحل: "ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون".

فالمعنـــى فيها: وبعض ثمرات النخيل والأعناب تتخذون بعضه سكرا ورزقا حـــسنا. فـــ (مـــن) فيه ذكرت مرتين أى بعض بعض ثمرات النخيل والأعناب تـــتخذونه ســـكرا ورزقا حسنا. فالضمير فى (منه) الثانية عائد على (من) الأولى. فلـــيس المقصود بعض الثمرة بل بعض بعضها. وليس المراد أن هذا البعض يكون سكرا ورزقا حسنا معا بل المراد: بعضه سكر وبعضه رزق حسن. كما عرفنا ذلك مـــن قـــوله تعالـــى: "منها قائم وحصيد" وقوله: "فمنهم شقى وسعيد"وقوله: "ومن ذريـــتهما محـــسن وظـــالم لنفسه مبين".... وغير ذلك مما يجمع فيه بين صفتين متقابلتين لا يحلان فى محل واحد بل لابد له من محل يختص به. والعقل هو الحكم العدل فى هذه المسألة.

غير أن آية النحل يدرك العقل أن القسمة ثلاثية فيها لا ثنائية كتلك الآيات إذ بعضه يكون سكرا وبعضه يكون رزقا حسنا وبعضه لا يكون واحدا منهما.

إذ لابـــد لكل عصير من نقاية ولكل ثمرة من نواة أو بذرة يلفظها الآكل وتلك دقة بالغة وحكمة إذا أدركها العقل خشع لسلطان الله وإذا سكنت القلب عمر بالخوف منه وتقواه. وسبحان من تجلى على عباده بالنعمة فيما ظهر وخفى من عطاياه.

فـــ (من ثمرات) مبتدأ أى بعضها. وجملة (تتخذون) خبر و (منه) مفعول به أى بعـــضه و (ســـكرا ورزقا حسنا) حال. والسكر: الخمر. والرزق الحسن: التمر والزبيب.

ومما تجدر الإشارة إليه فى هذه الآية أن (النخيل) هو الشجر وثمرته: الرطب الجنى كما قال الله:﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ ٢٥ مريم.

وأن العـنب هـو الثمر وشجرته الكرم. وبهذا ندرك أن المنكور هنا شجرة الـنخل وثمـرة الكرم. فكيف عطف (الأعناب) وهى - حسب الظاهر - ثمر على (النخيل) وهو شجر؟ أليس التناسق - حسب الظاهر معدوما؟

هذا ما حملنى على الذهاب إلى معاجم اللغة. فوجدت ابن فارس يقول:

"إن العنب هو التمر لا الشجر واحدته عنبة. وليس فى كلام العرب مفرد على بـناء (فعلـة) بكسر الفاء وفتح العين إلا (عنبة) لأنه يكون فى الجمع نحو (قردة) وجمع العنب: أعناب"[١].

هذا ما ذكره ابن فارس وهو يساير المشهور الذى يألفه اللسان ويعرفه الجنان لشهرته وذيوع صيته.

ولـذا لم أجد بدا من أن أنتقل من حديقته إلى حديقة أخرى لغيره فذهبت إلى مفردات الراغب فوجدت فيه: "العنب يقال لثمرة الكرم وللكرم نفسه.

الواحدة: عنبة وجمعه: أعناب. قال الله تعالى: ومن ثمرات النخيل والأعناب" "جـنة مـن نخـيل وعنب" "وجنات من أعناب" جنتين من أعناب وخففناها بنخل" "وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا"[٢].

وبالتأمل فى هـذه الآيـات ندرك أن المراد بـ (العنب) و (الأعناب) الشجر لا الثمر.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤/ ١٤٩ وانظر اللسان مادة (عنب).

(٢) المفردات فى غريب القرآن ٣٤٩.

والمقام هو أعلى الحجج فى بيان المراد من المعنى. فإذا ما قلت: أكلت عنبا كـان المراد الثمر على عكس ما لو قلت زرعت أرضى عنبا فيكون المراد الشجر ومن ذلك قول بعض العامة: عندنا عنبة فى فناء منزلنا فهو لا يقصد غير الشجرة وكم فى اللغة العامية من لفتات ذهنية رائعة.

فالآيـة التى نحن بصددها شأنها شأن غيرها مما ذكرنا من آيات المراد فيها شجر العنب لا ثمرته حتى لا يتعارض مع صدرها (ومن ثمرات النخيل...).

وقـد علمنا أن معنى الآية: وبعض ثمرات النخيل والأعناب تتخذون بعضه سكرا ورزقا حسنا.

ولكن علماءنا يأبون إلا التدخل فى النص بما يرضى ما رسخ فى عقولهم من قـواعد صنعها النحاة ووضعها الحاذقون منهم ظنا أنها لابد منها فى فهم نصوص اللغة والوقوف على معانيها.

وحسبنا ما ذكره الزمخشرى وهو: أن فى الآية وجهين:

أحدهما: أن (من ثمرات) متعلق بمحذوف تقديره: ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعـناب. وحذف لدلالة (نسقيكم) قبله - يعنى فى قوله:﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾ ٦٦ الـنحل. وقـوله "تتخذون منه سكرا" بيان وكشف عن كنه الإسقاء.

و (الآخـر) أنـه مـتعلق بـ (تتخذون) و (منه) من تكرير الظرف للتوكيد كقولك: زيد فى الدار فيها"[1].

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٨٠.

وبالـــتأمل فــيما ذكره الزمخشرى ندرك عدم الدقة فى الوجه الأول من حيث المباعدة بين المتعاطفين وما ذلك بالمنهج الراشد السائد فى لغة العرب إنما هو من صنع النحاة وكم لهم من صنع يجر على اللغة من ويلات.

ومن حيث تفسير (نسقيكم) بـ (تتخذون) فذلك خلاف الواقع لأن الإنسان يتخذ الشئ أولا ثم ينتفع به ثانيا. ثم كيف يسقى الله ما يتخذه الإنسان سكرا؟!

وفى الوجه الثانى: من حيث الحكم بتكرار الظرف - بناء على أن (من) فى موضــعيها - حــرف جـــر. مع أنه قد صرح بمعنى التبعضية قائلا: لأنهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر"[1].

وقوله (من بعضها) ليس من الدقة فى شئ. ولا أدل على اسمية (من) هنا من عود الضمير فى (منه) عليها. ولكن الزمخشرى يأبى إلا مناقضة نفسه حيث يجعل الضمير عائدا على مقدر أى: ومن عصيرها"[2].

على أن ذلك يثبت اسميتها أى بعض عصيرها. ولو اعترف الزمخشرى بذلك لـــنأى بالنص عن دعوى الحذف والتقدير أو الحيف والتكدير. ولنأى به أيضا عن دعوى التكرير التى دعمها بقوله: زيد فى الدار فيها. فلست أدرى أى معنى لذلك؟

إننا نقرأ قوله تعالى:﴿ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾ ١٧ الحشر.

فــنجد الفــرق جوهريا بين (فى النار) و (خالدين فيها) وهذا واضح لكل ذى عقل وبصيرة. إذ لكل كلمة بل لكل حرف بل لكل حركة بل لكل نقطة فى اللغة العربية ولا سيما لغة القرآن معنى يقوم به ويؤديه ولولاه لما ورد فيما ورد فيه.

وتتميما لقول الزمخشرى فى هذه الآية نذكر باقى نصه ألا وهو: "ويجوز أن يكون (تتخذون) صفة لمحذوف كقوله:

جادت بكفَّىْ كان من أرمى البشر

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٨٠.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٨٠.

تقديره: ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لأنهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر. ثم فسر السكر بالخمر.

والرزق الحسن بالخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك[١].

وقدر غيره (ما) أى ما تتخذون منه سكرا[٢].

وقد عرفنا فى ذلك من تكدير لصفو النص فلا حاجة به إليه، ولا ينبغى أن نجعل القرآن خاضعا لما يخضع له الشعر من ضرائر. فإذا اضطر الشاعر إلى حذف شخص أو رجل في قوله: جادت بكفي رجل كان من أرمى البشر فليس هناك ما يجعل القرآن كذلك. وقد عرفنا فى الباب الأول أن (من) فى هذا البيت اسم بمعنى: بعض فهى خبر (كان) فى محل نصب.

-٨-

آيــات أضيفت (من) إلى علامة إضمار فى آيتين وخبرها الظرف (دون) وهذا فى السورتين الآتيتين:

الأعراف: قوله تعالى:﴿ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ ١٦٨.

الجن: قوله تعالى:﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ ١١.

وصــــدر الآيــــة الأولـــــى: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ﴾.

وهى فى حق بنى إسرائيل. وهم من الإنس. أى بعضهم الصالحون وبعضهم دون ذلك.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٨٠: ٤٨١.

(٢) انظر إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٣٠٣.

وصـــدر الآية الثانية: "وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك" وهؤلاء من الجن. أي بعضنا الصالحون وبعضنا دون ذلك".

فالمعنـــى واضح مفهوم ومن ثم كان الإعراب سهلا ميسورا. وهذا ما عهدناه ونعهده فى لغتنا العربية وخاصة النصوص القرآنية.

فلسنا فى حاجة إلى قول الزمخشرى فى الآية الأولى: "ومنهم ناس دون ذلك الوصـــف مـــنحطون عنه وهم الكفرة الفسقة. ومحل (دون) الرفع لأنه صفة لذلك المحذوف"[(١)].

والـــذى يتضح من هذا النص أن الزمخشرى يجعل (منهم) متعلقا بـــ (كائن) فهـــو خبـــر مقدم. و (ناس دون ذلك) مبتدأ مؤخر. وبهذا يرتكب الحذف والتقدير. والتقديم والتأخير بدون فائدة. فما أغنى النص عنهما؟!

وهـــناك من يرى أن هذه الآية وما يناظرها يحتاج إلى الحذف والتقدير فقط يقـــول الشيخ الأمير: "إن وقوع الظرف موقع المبتدأ غير مستبعد - يعنى بالظرف (منا) و (منهم) - كقوله تعالى:﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴾ ١٦٤ الصافات وقوله:﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾١١ الجن. والقوم - يعنى النحاة - يعتبرون الموصوف فى الطرف الثانى - يعنى (له) فى آية الصافات و (دون) فى آية الجن - ويجعلونه مبتدأ والظرف المتقدم خبرا".

فالأمير ذكر منهج النحاة وهو ما سلف ذكره عن الزمخشرى ولكنه لم يرض عنه بل قال: "ولو عكسوا لاستقام اللفظ والمعنى فى جميع الوارد أى: جمع منا دون ذلك. وما أحد منا إلا له مقام معلوم"[(٢)].

ولو تأملنا لعلمنا أن تقديره (جمع) و (أحد) إنما هو تكدير لصفو النص بما لا حاجة إليه إذ (من) فيها معنى ذلك المقدر.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٣٦.

(٢) حاشية الأمير على المغنى ٢/ ١٣٧.

ومما يريدنا يقينا على يقين بما قررناه وكررناه – وسنكرره – ما قال الشيخ محمد عليان في قول الشاعر:

ومن كل أفنان اللذاذة والصبا لهوت بـه والعيش أخضر ناضر

ونـصه: "و (من) بمعنى (بعض) على طريقة الزمخشرى أى وبعض الأفنان لهوت به وتمتعت".

فــ (من) هى المبتدأ وجملة (لهوت) هى الخبر، وهذه هى الطريقة المثلى فى معنى وإعراب النص وهى التى حث على الالتزام بها الشيخ عليان.

ثم نكر ما يراه بعض العلماء من حذف وتقدير. وتقديم وتأخير.

وزاد وجهــا ثالــثا وهو أن يكون من باب الاشتغال أى تمتعت من كل أفنان اللذاذة لهوت به. والواو فى (والعيش أخضر ناضر) للحال[1].

والذى يغنينا هنا هو الوجه الأول الذى يجعل النص غنيا عن التعديل والتبديل والاحتــياج إلى ما لا فائدة فيه. من دعوى الحذف وغيره وكذلك دعوى الاشتغال. ذلــك الاســم الــذى ينفر العقل من دراسة اللغة العربية. ولذا درسناه فى غير هذا الــبحث دراسة عميقة دقيقة حتى علمنا أنه أسلوب بلاغى رائع لما فيه من الإيجاز الــذى هو سبيل الإعجاز فالحذف فيه لدليل فلا يحتاج إلى تقدير شئ بل حسبه أن العقل يدركه. فمثلا إذا قلنا: محمدا أكرمته. أدرك العقل أن (محمدا) منصوب بفعل يــدل عليه (أكرم) أى: أكــرمت محمــدا أكرمته. وهــذا لا يصــرح به لوجــود ما يرشد إليه.

إحصـــاء:

بمراجعة آيات (من) الواقعة مبتدأ غير منسوخ ولا منفى يتبين لنا أن:

(أ) خبرها كلمة (من) بالفتح وقد وقع ذلك فى القرآن خمسا وخمسين مرة.

---

(١) انظر هامش الكشاف ٤/ ٣٦٠.

و(مَــنْ) تحــتمل أن تكون موصولة وهو الغالب الكثير. وأن تكون موصوفة وهــذا قلــيل. لأن تلك الآيات قد نزلت فى نوع من الناس معين. مثل قوله تعالى: **"ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله"** وقوله: **"ومن الناس من يشترى لهو الحديث... "** وقد وضحنا ذلك فى الدراسة.

(ب) وخبرها كلمة (الذين) فى آية واحدة هى: "ومنهم الذين يؤذون رسول الله".

وبهذا يكون هذا النوع قد ورد فى القرآن ستا وخمسين مرة.

كما تبين لنا أن خبرها يكون غير اسم موصول بل يكون:

(أ) مفردا أى غير جملة ولا شبهها مثل: "ومن قوم موسى أمة..." "ومن ذريتهما محسن وظالم..." "فمنكم كافر ومنكم مؤمن".

ومــثل: "ومن آياته خلق السموات..." ومن آيات الليل والنهار..." ومن آياته الجوار فى البحر..." "فمنها ركوبهم...".

ومثل: "ومنهم أميون..." "ومن الذين هادوا سماعون...".

(ب) أو مؤولا بــ (أن) نحو: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا..." "ومن آياتــه أن تقــوم الــسماء والأرض بأمره.... ومثل: "ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة".

(ج) أو يكون جملة فعلية مثل: "ومن آياته يريكم البرق.." "ومن الذين أشركوا يود أحدهم ..." "ومن الذين هادوا يحرفون الكلم...".

(د) أو يكون ظرفا مثل: "ومنهم دون ذلك" "ومنا دون ذلك".

وقــد ذكر هذا النوع أى آيات (مِنْ) الواقعة مبتدأ وخبرها غير اسم موصول أربعا وخمسين مرة.

وبهذا تكون (من) وقعت مبتدأ غير منسوخ ولا منفى فى القرآن الكريم ١٠٨ ثمانى ومائة مرة.

النــوع الثانــى

آيــات (من) الواقعة مبتدأ غير منسوخ. وهو إما فى سياق : نفى أو استفهام وبيان ذلك.

آيات سبقت فيها (من) بـ (ما) النافية وهى ثلاث آيات من السور الآتية:

الصافات فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴾ ١٦٤.

فصلت فى قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ ٤٧.

الحاقة فى قوله تعالى: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴾ ٤٧.

أما الآية الأولى فقد سبق لها نظائر مما حرص أسلافنا النحاة على تقدير كلمة لا حاجة إليها حيث يقولون: منا أحد إلا له مقام معلوم(١).

واستحــضارا لمــا ســبق من منهجنا يدرك القارئ أن المعنى مستغن أعلى الاســتغناء عن تلك الكلمة لأن تقديرها يهدم نسق النص ويبعثر كلماته حيث يكون تقديــره: وما أحد كائن منا. وما كان ضرهم لو قالوا: (ما) نافية و (من) مبتدأ فهى بمعنــى بعــض. وكلمة (بعض) تغنى عنها كلمة (أحد) أى: وما أحدنا إلا له مقام معلــوم. وجملة (له مقام معلوم) خبــر (منا) وهى جملــة ظرفيــة فــ (له) رافع لــ (مقام) و (معلوم) صفة.

وبذلك يكون معنى النص نابعا من نسق كلماته واستغنائها عما يكدر صفوها.

وأمــا آية فصلت فيقول فيها الزمخشرى: "آذناك: أعلمناك (ما منا من شهيد) أى مــا منا أحد اليوم – وقد أبصرنا وسمعنا – يشهد بأنهم شركاؤك أى: ما منا إلا

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ٥٠ وإعراب القرآن المنسوب للزجاج ٣٠٥.

مــــن هــــو مــــوحد لك. أو ما منا من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها فى ساعة التوبيخ.

وقـــيل: هو كلام الشركاء أى مـــا منا من شهيـــد يشهـــد بما أضافوا إلينـــا من الشركة.

ومعنـــى ضلالهم عنهم على هذا التفسير أنهم لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا عنهم"[١]

فى هذا النص يذكر الزمخشرى ثلاثة أوجه هى:

(أ) أن الذين أشركوا بالله فى الدنيا ينكرون هذا الشرك ويقرون بوحدانية الله فكلهم موحد. وقد أعلموا الله بذلك حيث قالوا: آذناك ما منا من شهيد أى يشهد بأنهم شركاؤك. ولأن السر فى ذلك الارتداد عن الشرك إلى التوحيد حيث لا ينفع إلا لأنهم أبصروا وسمعوا.

وقـــدر الزمخشرى كلمة (أحد) أى: ما منا أحد يشرك بك بل كلنا موحد. وقد علمـــنا أنه لا داعى إلى تقدير (أحد) إذ (منا) فيه معناه فـــ (ما) نافية و (من) مبتدأ وعلامة إضمار المتكلمين مضاف إليه أى ما أحدنا و (من شهيد) خبر أى ما أحدنا بعض الشهداء بأنهم شركاؤك. بل كلنا موحد بك. فقد تبدل ضلالهم هدى. وصارت غفلـــتهم وعيا. وسهوهم صحوة. وشكهم يقينا. وكل ذلك لا ينفعهم لأنه فى الآخرة وزمانه الدنيا.

(ب) أن المشركين لم يعودوا يشاهدون الشركاء الذين كانوا يعبدونهم فى الدنيا فقد ضـــل بعضهم عن بعض فى الآخرة. وقدره الزمخشرى قائلا: أو ما منا من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم... .

---

(١) الكشاف ٤/ ١٦٠.

وهنا نجد الزمخشرى يقدر (من) ولم يقدرها فى الوجه الأول حيث يقول: ما منـــا مـــن أحد. وفى الأول يقول: ما منا أحد. ولست أدرى سببا لاستمساكه بتقدير كلمة (أحد) مع أن الآية قد استوفت معناها بدون (أحد) تلك.

(ج) فـــى هـــذا الوجه يجعل الزمخشرى الآية من كلام الشركاء لا من كلام الذين عـــبدوهم مـــن دون الله. فهـــم ينكـــرون على الشركاء شركهم بالله ومن ثم لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا عنهم.

وســـواء قلنا بهذا أم بغيره فالآية كاملة تامة الدلالة على معناها دون احتياج إلى تعديل أو تقدير. فالمعنى: ما بعضنا ولو فردا واحدا يشهد.

ولو كانت من كلام المشركين كان المعنى: يشهد لهؤلاء الشركاء....

ولـــو كانت من كلام الشركاء كان المعنى: يشهد بما أضاف هؤلاء الشركاء إلينا من الشركة.

فـــ (منا) مبتدأ أى ما بعضنا و (من شهيد) خبر أى (أحد الشهداء).

وفى هذا استغراق واستئصال لشأفة الشاهد. فما أبلغه نصا؟!

وأمـــا آيـــة الحاقة وهى (فما منكم من أحد عنه حاجزين) ففيها ما يرد تقدير علمائنا كلمة (أحد) فى غيرها. لأن بلاغة القرآن وإعجازه فى اختياره نوع الكلمة واختيار مكانها فى النص بحيث لا يقوم غيرها مكانها ولا تقوم هى بدورها إلا فى ذاك المكان.

وعلى هذا تكون (منكم) مبتدأ أى بعضكم وعلامة إضمار جماعة المخاطبين مـــضاف إليه و (من أحد) خبر. وقد عرفنا أن كلمة (أحد) فيها معنى الجماعة ولذا تقبل التبعيض فـــ (من) بمعنى: بعض و (أحد) مضاف إليه. أى فما بعضكم بعض أفـــراد و (حاجـــزين) وصف لـــ (أحد) لما فيه من معنى الجمع كما نبهنا. ولا يتم

معنى الجملة إلا بهذا الوصف كما فى قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ ٨١ الأعـراف. و (عـنه) ظـرف فـى محل نصب حال أى حالة كونه مجاوزه. وصـاحب الحال إما (من) وإما (أحد). وضمير (عنه) للرسول عليه السلام وبهذا المعنى والإعراب يتضح أن النص ليس فى أدنى حاجة إلى تعديله أو تقدير شئ فيه أو زعم زيادة (من). فكل هذه دخيل على النص يؤذيه ولا يقويه.

وفى هذا يقول الزمخشرى: "قيل (حاجزين) فى وصف (أحد) لأنه فى معنى الجماعة وهو اسم يقع فى النفى العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. والضمير فى (عنه) للقتل أى لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه. أو لرسـول الله أى لا تقـدرون أن تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه. والخطاب للناس"(١).

ومع هذا الوضوح فى المعنى والمحافظة على نص اللفظ من الدعاوى الباطلة نـرى أبا البقاء يأبى إلا أن يثقل كاهله بالتقدير (التكدير) والتقديم والتأخير فيقول: "من: الثانية زائدة و (أحد) مبتدأ. وفى الخبر وجهان:

أحدهما: (حاجزين) وجمع على معنى (أحد) وجر على لفظ (أحد)، وقيل: هو منـصوب بـــ (ما) ولم يعتبر بـ (منكم) فاصلا. وأما (منكم) على هذا فحال من (أحد) وقيل تبيين.

والثانى: الخبر (منكم) و (عن) متعلق بـ "حاجزين"(٢).

تأمل – هداك الله – ما فعله أبو البقاء بكلام الله من:

دعـوى زيادة (من) فى (من أحد) وجعل (أحد) مرفوعا مبتدأ وهو مخفوض بـــ (مـن) وجعل (حاجزين) على الوجه الأول خبرا وهو مخفوض باعتبار لفظ

(١) الكشاف ٤/ ٤٨٦.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٤٢.

(أحد). وبهذا يكون المبتدأ والخبر معا مخفوضين لفظا بلا ضرورة اللهم إلا دعوى زيـــادة (مــــن) وهــــى باطلة. ثم جعل (منكم) حـــالا وصاحبهـــا (أحـــد) فالحـــال مقدمـــة على صاحبها.

أو جعـــل (مـــن) للتبيـــين. وقد عرفنا أن هذا المعنى يقتضى زيادته. وبهذا تتساوى (من) الأولى و (من) الثانية فى دعوى الزيادة.

وعلـــى الـــوجه الثانى تكون (منكم) خبرا لــ (أحد) مقدم عليه. ولا يخفى ما يترتب على ذلك من تقدير (كائن) و (عن) متعلق بـــ (حاجزين) وهو مؤخر عنه.

فهل بعد ذلك إثقال وتشتيت وإعدام موجود وتقدير مفقود؟! وفى أى كلام؟ فى كلام الله الخالق المعبود؟!

قارن ذلك بما ذكرناه آنفا من أن (منكم) مبتدأ و (من أحد) خبر و (عنه) حال من (أحد) و (حاجزين) وصف لــ (أحد) والمعنى يتم به.

ألـــم ندرك المعنى بأقصر طريق وأيسر مجهود مع الحفاظ على نص القرآن المحكم الذى قال الله فيه: ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ١ هود.

٢- آيات سبقت فيها (من) بـــ (إن) النافية.

ورد ذلـــك فـــى آيتين اثنتين لم يستطع أحد النحاة أن يزعم زيادة (من) فيهما وهما من سورتى:

النساء: قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ ﴾ ١٥٩

ومـــريم: قــوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾٧١.

فـــ (من) فى هاتين الآيتين لا يتطرق إليها احتمال الزيادة كما فى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ ٢١ الحجر. .. وغيره مما سيأتى فى فصل (من) التى زعم زيادتها. إذ ربما يروق أحد التأولين أن يقول: بزيادة (من) فتصبح الآية: "وإن شئ إلا عندنا خزائنه..." وسيأتى دحض هذه الشبهة.

أمـــا آيتا النساء ومريم فالمعنى فيهما واضح أى: وما بعض أهل الكتاب إلا ليؤمـــنن به. فـــ (من) مبتدأ سبق بأداة النفى (إن) وأضيف إلى (أهل) التى أضيفت إلى ما فيه (ال) وهو (الكتاب) وجملة (ليؤمنن به) هى الخبر إذ تتم بها الفائدة.

ومـــا بعضكم إلا واردها. فـــ (من) مبتدأ مضاف إلى علامة إضمار جماعة المخاطبين و (واردها) خبر مفرد لا جملة.

هذا مجمل الآيتين وهو نابع من نسقهما وكلمات كل منها دون تعديل أو توهم زيادة أو تقدير يكدر صفوها.

ولكن أسلافنا من النحاة يأبون إلا ما رسموه من منهج قائم على التقدير الذى هو (تكدير) فقد اتفقت كلمتهم على تقدير (أحد) قبيل (من).

يقول الزجاج: "وحذف (أحد) لأنه مطلوب فى كل نفى يدخله الاستثناء نحو: ما قام إلا زيد. معناه: ما قام أحد إلا زيد" هكذا ذكر أبو حيان[١].

وبالـــرجوع إلى نص الزجاج وجدته: "المعنى: وما منهم من أحد إلا ليؤمنن بـــه. وكذلك قوله: "وإن منكم إلا واردها" المعنى: ما منكم أحد إلا واردها. وكذلك:

---

(١) انظر البحر ٣/ ٣٩٢

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾ ١٦٤ الصافات. المعنى: وما منا أحد إلا له مقام معلوم. ومثله قول الشاعر:

لو قلتَ ما فى قومها لم تِيثَم　　　　يَفْضُلُها فى حسب وميسم

المعنى: ما فى قومها أحد يفضلها"[١].

ففى هذه الأمثلة نرى الزجاج يذكر (أحد) بعد ما فيه معنى التبعيض وهو (مِنْ) فى الآيات و (فى) فى البيت. وذلك يقتضى أن تكون (من) هى المبتدأ و (أحد) تابع له على طريقة البيان. والخبر ما بعد (إلا) جملة كان أو مفردا.

ثم قال بعد ذلك: "فالمعنى (ليؤمنن به قبل موته) فالهاء فى (موته) راجعة على كافر فى بعض الأقاويل. وقد قيل: ما من أحد إلا ليؤمنن به أى بعيسى ممن كفر به قبل موته ... وقال بعضهم: بمحمد ﷺ والقولان واحد لأن من كفر بنبى عاين قبل موته أنه كان على ضلال. وآمن حيث لا ينفعه الإيمان .... إلخ"[٢].

ففى هذا النص يذكر الزجاج (أحد) مكان أهل الكتاب فهى مضاف إليه. والفرق شاسع واسع بين نص القرآن وما ذكره. وهذا واضح للعيان والآذان والأفهام لما فى (أحد) من عموم لا يقبله المقام فالمقام لنوع معين من بنى الإنسان وهم: أهل الكتاب.

وبهذا يثبت بما لا شك فيه أن كل ما يذكره أسلافنا النحاة لا حاجة بالآية إليه فى تحديد المعنى المراد.

ومما ذكره النحاة قول أبى حيان: "إن: هنا نافية والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه. التقدير: ما أحد من أهل الكتاب. كما حذف فى قوله: وإن منكم إلا واردها. والمعنى وما من اليهود. وما أحد منكم إلا واردها"[٣].

---

(١) انظر معانى القرآن وإعرابه ٢/ ١٢٩.

(٢) معانى القرآن وإعرابه ٢/ ١٢٩: ١٣٠.

(٣) البحر ٣/ ٣٩٢.

وأبــو حــيان هنا يحطب فى حبل لا يحمل حطبا. لأن حذف الصفة وإقامة موصــوفها مقامهــا قبــيح أو أقــبح منه كما ذكرنا غير مرة. ومثل ذلك ما ذكره الزمخشرى مما يشير إلى أن (أحد) موصوف بـــ (ليؤمنن) حيث قال: "والمعنى وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى بأنه عبد الله ورسوله"[١].

فقــد ردّ علــيه أبو حيان بقوله: وهو غلط فاحش لأن (من أهل الكتاب) هو الصفة لـــ (أحد) وأما (ليؤمنن) فهو جواب لقسم محذوف والقسم وجوابه فى موضع رفع خبر المبتدأ الذى هو (أحد) المحذوف[٢].

وذكــر الألوســى ما يجعل الآية من الحذف والتقدير والتقديم والتأخير فقال: "وإن أحــد إلا ليؤمــنن بــه كائن من أهل الكتاب. وتقدير الآية: وما أحد من أهل الكتاب إلا والله ليؤمنن به"[٣].

ولعــل القارئ يدرك مدى التعسف فى هذا الذى يذكره علماؤنا عن الآية ففيه تمــزيق وتفــريق ودعاوى زائفة وتقدير ما لا حاجة بالآية إليه إذ (من) فيها معنى (أحــد) وهــى التــى تـصون الآيــة عما تأولوه وفرضوه فضلا عن أنها لا تفيد الاســتغراق لأهــل الكتاب الذين كفروا بعيسى حيث إن معنى الآية أن بعضهم هو الذى يؤمن به لا كلهم. ولكن كلمة (أحد) تفيد أن كلهم يفعل ذلك وهذا ما سطره قلم الزمخــشرى كاتــبا: "والمعنى وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيــسى وبأنه عبد الله ورسوله يعنى: إذا عاش قبل أن تزهق روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف" ثم كاتبا: "وقيل: الضمير فى (به) يرجع إلى الله تعالى. وقيل: إلى محمد عليه السلام"[٤].

---

(١) الكشاف ١/ ٤٥٥: ٤٥٦.

(٢) البحر ٣/ ٣٩٢.

(٣) روح المعانى ٢/ ٢١٢.

(٤) الكشاف ١/ ٤٥٥: ٤٥٦ وانظر تفسير القرطبى ص ٢٠٠٧.

أليس هذا كله افتئات على معنى الآية وفرض ما لا تتحمله عليها؟!

إن كلمة (من) هى العصب القوى الذى يدفع الحياة فى معنى الآية وخلاصته أن بعــض أهــل الكتاب الذين كفروا بالله وبعيسى أو غيره من الأنبياء سيراجعون أنفسهم وهم فى غاية الصحة والوعى وبمراجعتهم تلك يرجعون إلى الصواب وهو الإيمـــان بما كفروا به. ولا أدل على ذلك من القرآن ذاته. وخير ما يفسره القرآن. فلازلــنا – ولــن يزال غيرنا – يقرأ – إلى يوم الساعة – قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ ١٩٩ آل عمــران. فهــذه الآية فى السورة التى قبل السورة التى ذكرت الآية التى نحن بصدد دراستها.

فهل يجوز أن تكون آية آل عمران فى بعض أهل الكتاب ثم تكون آية النساء فى جميعهم مع أن التعبير فى الآيتين معا بـــ (من)؟!

مما جعل الإمام محمود شلتوت يجعل معنى آية آل عمران أن طائفة من أهل الكتاب تؤمن بالله لا يؤثرون دنياهم الفانية على رضا الله الباقى(١).

فالمقــصود إذاً بالآيتين الإيمان الصادق الصحيح ثم العمل الصالح الذى ينفع صاحبه فى الدنيا والآخرة.

ومما يزكى هذا المعنى أن تعبير الآية (قبل موته) لا (من قبل موته) مما يدفع شــبهة مــن قــال: إنه الإيمان عند الغرغرة. لأن عدم ذكر (من) مع (قبل) يجعل المسافة فسيحـــة واسعة بين الإيمـــان والموت على حين تجعلها (من) ضيقة بحيث

---

(١) إلى القرآن الكريم ص ٢٧.

لا ينفع صاحبه. إذ (من) مع الظرف تفيد التعقيب كما أشرنا فى الفصل الأول. وكما سنفصل القول فيه فيما سيأتى.

هذا: وقد قرئ (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن..) بضم النون.

وهذا باعتبار معنى (بعض) وقد ورد مثل ذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ ٤٢ يونس. كما جاءت الآية من بعدها باعتبار لفظ (من) وهى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ﴾ ٤٣ يونس.

وفى هذه الآية التى نحن بصدد دراستها بشرى للإسلام والمسلمين لأنها تعدهم بأن بعض أهل الكتاب سيؤمنون بالقرآن ونبوة محمد عليه السلام. على حين يظل بعضهم سادرا فى غيه مستجيبا لنزعة الضلالة والغواية فى نفسه. ومن ثم صح لقائل أن يقول: "فالقرآن الكريم يسلك طريق الإنصاف والعدالة فيسجل للمحسن إحسانه وللمسئ إساءته. فإذا كانت آيات عدة قد حملت على الأحبار والربانيين وأولى العلم من اليهود لكتمهم الحق وتدليسهم بالتوراة وحلف اليمين وإلباسهم الحق بالباطل وبيعهم دينهم وعلمهم وعهدهم باعراض الدنيا.

فإن فى هذه الآيات دليلا واضحا على أن فريقا من علماء اليهود قد أبى عليه علمه ودينه أن يندمج فيما تورط فيه سائرهم فينكر النبوة ويكابر فى صدق الدعوة النبوية والتنزيل القرآنى فآمن بهما ولم يعبأ بموقف قومه وزملائه"(١).

بهذا كله يتضح أن نص الآية واضح الدلالة على معناه لا يحتاج إلا إلى إعمال العقل وتدبر الفكر والرضا بما ورد فيه من كلمات مع وضع كل كلمة فى مكانها الذى اختاره الله لها أو اختارها له.

وأما الحذف فهو: حيف. وأما التقدير فهو: تكدير

---

(١) انظر (سيرة الرسول) للأستاذ عزه دروزة ٢/ ١٣٠.

وأمـــا الحذف فهو: حيف. وأما التقدير فهو: تكدير. ومن ثم نرى أن دعوى الحـــذف في (ما قام إلا محمد) أي: ما قام أحد إلا محمد. باطلة فما من أحد يسمع هـــذا الأسلوب إلا ويتبادر إلى ذهنه أن القائم هو (محمد) ولكن يبدو أن قاعدة (لولا الحذف والتقدير لفهم النحو الحمير) قد تمكنت من نفوس بعض النحاة ورسخت في قلوبهم ففرضت نفسها على ألسنتهم وأفهامهم وأقلامهم.

هـــــذا عـــن آية النســـاء ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ ١٥٩.

أمـــا آية مريم ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ ٧١. فقد سبق فيها ما قيل في آيـــة الـــناس، ومن ذلك قول أبي البقاء: "أي ما أحد منكم إلا واردها فيكون (أحد) مبتدأ. وقيل: وما منكم إلا من هو واردها"(١).

(أ) فعلى التقدير الأول يكون (منكم) وصفا لموصوف محذوف. وقد علمنا ما فيه مـــن قبح. كما يترتب عليه أن جميع المخاطبين واردوها أي داخلـــو جهنـــم بلا استثناء. ولكن علماءنا لما وجدوا ذلك احتالوا له فقد قال الزمخشري مثلا: "فـــإن أريـــد الجـــنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي جامدة. فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم"(٢).

وما كان أغناه عن هذا لأن الآية تنص على بعض المخاطبين لا كلهم. بل إن قـــول الزمخشري (دخولهم فيها وهي جامدة) لا يمت إلى الحقيقة بصلة لأن جهنم معدة للكافرين قبل يوم القيامة كما أن الجنة كذلك.

يقـــول الله عـــز وجل: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ ٢٤ البقـــرة. ويقول﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ ١٣١ آل عمران.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٦١.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٦.

ثم يقول: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ ١٢٣ آل عمران.

فهـل بعد ذلك يكون المقام فى حاجة إلى قول الزمخشرى (دخولهم فيها وهى جامـدة)؟ كلا. فكلمة (من) بمعنى (بعض) وهى عمود المعنى المراد وصلبه. وهنا نجـد للزمخـشرى مقولة صدق حيث يقول: "وإن أريد الكفرة وحدهم فمعنى: (ثم ننجـى الـذين اتقـوا) أن المتقـين يساقون إلى الجنة عقيب ورود الكفار لا أنهم يواردونهم ثم يتخلصون"[1].

ويـــؤيد ذلـك قـوله تعـالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ - قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ - وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ ٧١، ٧٣ الزمر.

(ب) وعلـى تقدير أبى البقاء الثانى (وما منكم إلا من هو واردها) يكون قوله (إلا مـن هـو واردها) متضمنا لغوا وحشوا إذ ما فائدة (من هو) أليس فى قوله تعالـى: "وإن مـنكم إلا ورادهـا" أى ما بعضكم إلا واردها استقلال النص ووفـاؤه بالمعنـى المراد الذى يدركه العقل من كلماته على حسب وضع كل منها فى موضعه الذى لا يبغى عنه حولا؟!!

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٧.

إنــنا فــى وضــعنا الاجتماعى نلتزم سلوكا معينا إزاء كل من الغنى والفقير استماعا لقولهما وتصديقا به. فقد قيل وهو حق:

إن الغَنِـيَّ إذا تكلــم بالخطــا قالـوا أصبتَ وصـدقوا مـا قـالا

وإذا الفقيرُ أصـاب قالـوا كلُّهم أخطـأتَ يــا هـذا وقلـتَ ضـلالا

إن الـدراهم فـى الأمـاكن كلهـا تكـسو الـرجال مهابـةً وجـلالا

فهى اللسان لمن أراد فصاحـةً وهى الســلاح لمن أراد قتــالا

إذا كان هذا مع البشر الذين ربما يكون غناهم سترا لنقص فيهم – بل هذا قد يكون الغالب عليهم – فكيف بنا مع الله عز وجل وهو القائل:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ ١٥ فاطــر. فكــيف يفتقــر أغنى الأغنــياء إلـــى كلام أفقر الفقراء وهم البشر الذين خاطبهم خالقهم بذلك. ولم نعهد خطاب غيرهم من سائر المخلوقات به؟!

فهل يبقى بعد ذلك كله ثغرة لتقدير شئ أو تعديل شئ فى كلام الله الغنى؟!

٣- آيات سبقت فيها (من) بــ (هل) الاستفهامية:

وهى ثلاث آيات من سورتين. وأضيفت فيها (من) إلى ما أضيف إلى علامة إضمار جماعة المخاطبين.

ســورة يــونس: قــوله تعالى: ﴿ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ ﴾ ٣٤.

وقوله: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ﴾ ٣٥.

وسورة الروم: قوله تعالى: ﴿ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ ﴾ ٤٠.

ولا يخفـى أن المـراد بالاستفهام هنا النفى. وأن (من) بمعنى (بعض) مبتدأ و(مـن يبدأ) و (من يهدى) و (من يفعل) الخبر أى ليس بعض شركائكم الذى يبدأ الخلـق ثم يعيده. ولا الذى يهدى إلى الحق. ولا الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم.

والنفى عن بعض شركائهم يستلزم - لا محالة - النفى عن كلهم أى أنه نفى استغراقى لا يفلت منه أحد.

فإذا انتفى عن هؤلاء الشركاء بدء الخلق وإعادته والهداية إلى الحق. والخلق ثـم الرزق ثم الإماتة ثم الإحياء. فما بقى لهم يستحقون أن يستعين بهم غيرهم فى نشأة الحياة واستمرارها ثم انتهائها.

وهـل من يقدر على ذلك كله يعجز عن بعثهم وحسابهم وجزاء كل منهم بما قدم وما آخر؟!

وتأمل - هداك الله - التعقيب على آية الروم بقول الله: "سبحانه وتعالى عما يشركون" ولعلك تستحضر هنا التنبيه الذى ذكرناه فى أول مبحث الآيات التى سبقت فـيها (مـن) بأداة النفى وهو: أن (من) فيها لا يمكن لأحد أن يزعم زيادتها. على غرار ما فعل بعضهم فى آيات سيأتى دراستها.

إحصـاء:

مما سبق يثبت أن (من) وقعت مبتدأ فى سياق نفى بـ (ما) أو (إن) أو (هل) بمعنـى النفـى ثمانى مرات. منها ثلاث مرات بـ (ما) ومرتان بـ (إن) وثلاث مرات بـ (هل).

وإلـى هـنا تكون (من) مبتدأ غير منسوخ ولا منفى ١٠٨ ثمانى ومائة مرة ومنفيا ٩ مرات فالجملة سبع عشرة ومائة مرة.

النـــوع الثالـــث

آيات (من) الواقعة مبتدأ منسوخا:

تمهـيد: ســلف القول فى دراسة قوله تعالى: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ ٤٧ الحاقة. وقد بينا أن (ما) تحتمل أن تكون حجازية أى ترفع المبتدأ وتنـصب الخبـر فـــ (منكم) اسمها فى محل رفع أى بعضكم. و (من أحد) بيان استغراقى أى يستغرق أفــراد ذلك المنفى. و (عنه) ظــرف فى محل نصب حال و (حاجــزين) خبر (ما) منصوب. فلا زائد ولا زيادة فى الآية إذ لكل مفردة من مفرداتها وظيفة تقوم بها ومعنى لا يغنى عنها غيرها فى أدائه.

وتحــتمل أن تكون تميمية فـ (منكم) مبتدأ غير منسوخ و (من أحد) خبر له و(عنه) حال. و (حاجزين) وصف لــ (أحد) لما فيه من معنى الجمع. وليست (من) فى (من أحد) زائدة كما يتوهم المتوهمون. وسيأتى لذلك مزيد بحث ودراسة.

وبتتبع آيات (من) الواقعة فى سياق بعض النواسخ علمت أنها قد وردت بعد (كان) عشر مرات. وبعد (ليس) مرتين. وبعد (إن) عشر مرات.

فهذا ما ذكرته فى (الرسالة) مجموعا فى فصل (من) الواقعة مبتدأ منسوخا.

وبإعــادة النظر فى تلك الآيات تيقنت أن (من) بعد (كان) وبعد (ليس) ليست مبــتدأ منسوخا بل هى فى الحقيقة فاعل. كما تبين لى أننى قد أهملت آيات وردت فــيها (مــن) مبــتدأ منــسوخا بــ (جعل) فقد ذكرتها فى باب المفعول به. وبهذه المراجعة والتأمل استيقنت نفسى واطمأن قلبى إلى أن (من) قد وقعت مبتدأ منسوخا من بابين من أبواب النحو وهما: باب (إن) وباب (ظن).

أولاً: آيات (إن):

(أ) وردت (مــن) بعد (إن) فى القرآن خمس مرات فى ثلاث آيات. وخبرها فى محــل رفــع وذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ

ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ ٧٤ البقـرة ثم فى قـوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ ١٩٩ آل عمران.

وقوله: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ ٧٢ النساء.

ففـى آية البقرة ذكرت (من) اسما لـ (إن) وهى مضافة إلى ما فيه (ال) – الحجارة – أو علامة إضمارها (منها).

وفـى آية آل عمران أضيفت إلى مضاف لما فيه (ال) (أهل الكتاب) وفى آية النساء أضيفت إلى علامة إضمار جماعة المخاطبين.

فهى فى محل نصب لأنها اسم (إن) أى: وإن بعض الحجارة. وبعضها. وإن بعض أهل الكتاب. وإن بعضهم.

ومما ينبغـى استحـضاره فى الذهن أن اللام وقعت فى خبر (إن) من هذه الأسـاليب. وأن خبر (إن) هو (ما) فى آية البقـرة ثلاث مـرات و (من) فى آيتى آل عمران والنساء. وكلتاهما اسم موصول لغير العاقل فى الآية الأولى. وللعاقل فى الآيتـين الآخـرين. فهما فى محل رفع خبر (إن) ومن المعهود كثيـرا فى اللغـة قـرآنا وغيـره ذكـر اللام فى صـدر خبـر (إن) ومنه قوله تعالى فى سـورة الحـج: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ ٤٠ ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ ٥٣ ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ ٥٨ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ ٥٩ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ ٦٠ ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ

ٱلْحَمِيدُ ﴾ ٦٤ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ٦٥ ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴾ ٦٦ ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ٦٧ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ ٧٤.

فهذه عشر آيات صدر خبر (إن) فيها باللام. وما ذلك إلا دعم للمعنى وقوة تمكنه من الإحساس والشعور الإنسانى فيزداد حبا له وحرصا عليه.

وما ذلك كله إلا لوجود أداة توكيد مع كل ركن من ركنى الجملة وهما المبتدأ والخبر. فـ (إن) مع الأول. واللام مع الثانى ولكن أسلافنا من النحاة قد وسموا اللام فى هذه الأساليب بسمة تنفر النفس منها وتزهد العقل فيها وبذلك يضيع أثرها فى المعنى. تلك السمة هى قولهم: (إنها اللام المزحلقة) أى التى زحلقت عن المبتدأ لوجود (إن) معه إلى الخبر. وكأنى بهم يريدون أن يعدلون تلك النصوص إلى: وإن لمن الحجارة ما يتفجر منه الأنهار.... إلى غير ذلك من آيات لو جمعت حسب ورودها فى القرآن لكانت عددا وفيرا.

أرأيت بعـد ذلك جرأة وجـورا على ما لا ينبغى الجـرأة عليه والجـور على حقه.؟!

إن اللغة العربية قد صيغ بها الفكر صياغة محكمة متينة النسج شديدة البنيان ومن ثم استوجب ذلك على الباحث فيها أن يكون ذا فكر ثاقب وإلا لانحرف فى فهمه عن القصد ونأى عن المراد وضل عن الحقيقة.

هذا هو المنهج الرشيد والقول السديد فى فهم تلكم الآيات.

ثم تعالوا معنا لنذهب إلى منهج الجمهور من النحاة فيها.

لعلك – أيها القارئ – قد ملئ عقلك بذلك المنهج ومن ثم تسبقنى إليه فتقول: (إن) حرف توكيد ونصب. و (من الحجارة) جار ومجرور متعلق بمحذوف خبرا

مقـدما. واللام مزحلقة و (ما) اسم (إن) مؤخرا. وعليه يكون تقدير الآية: وإن لما يتفجر منه الأنهار كائن منها أى الحجارة.

فهل بعد ذلك تفريق وتمزيق وتكدير وحيف؟!

وحسبنا فى هذا المقام ما ذكره الكرمانى فى كتابه (أسرار التكرار فى القرآن) عـند كلامه عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ ١٦٥ الأنعـام وقـوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ١٦٧ الأعراف.

فقـد لاحـظ أن اللام لم تذكر فى (سريع العقاب) من الآية الأولى على حين ذكـرت اللام فى (لغفور رحيم) لأنها وقعت بعد قوله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾١٦٠ وقوله: ﴿ وهو ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ ١٦٥ فقيد قوله (غفور رحيم) باللام ترجيحا للغفران على العقاب.

ووقـع مـا فى الأعراف بعد قوله: ﴿ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ ﴾ ١٦٥ وقـوله: كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ١٦٦ فقيد رحمة منه للعباد لئلا يرجح جانب الخوف على الرجاء(١).

ومما يثير العجب بل الاشمئزاز أن بعض العلماء يجعل تقدير الآية: وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار كائن. لأن مرفوع (إن) لا يليها"(٢).

(ب) وردت (مـن) بعـد (إن) خمـس مرات فى خمس آيات وما بعدها منصوب أعنـى: الخبر. وذكرت اللام فى الخبر مرتين فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ

---

(١) أسرار التكرار فى القرآن ٧٧.

(٢) انظر المغنى بحاشية الأمير ٢/ ٨٣.

لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ ٧٨ آل عمــران. وقوله: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ ٨٣ الصافات.

وجرد منها ثلاث مرات فى قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا ﴾ ٨٢ المائــدة. وقــوله: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾ ١٤ التغابن وقوله: ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾ ٤٩ الحاقة.

لــو جاز لنا أن ترجع بمثل هذه الأساليب إلى وضعها وصياغتها قبل دخول (إن) لكانت هكذا على الترتيب.

مــنهم فــريق يلوون ألسنتهم بالكتاب أى بعضهم. منهم قسيسون ورهبان أى بعضهم من شيعة إبراهيم أى بعضها. من أزواجكم وأولادكم عدولكم. أى بعضهم. منكم مكذبون أى بعضكم.

فـــ (مــن) فى مقام المبتدأ أى المحكوم عليه. وما بعدها فى مقام الخبر أى الحكم أو المحكوم به. فهى جمل وأســاليب سليمة الصياغة والتركيب ومن ثم لزم أن تكــون صــحيحة المعنى قوية الدلالــة على المراد بها فســلامة المبنى حجة لصحة المعنى.

وهنا نجد للعقل عملا. وللفكر رسالة يقومان بهما. فما دام المعنى قد تم واقتنع بــه العقل وانتهت رسالة الفكر عنده فلسنا فى حاجة إلى علامة لفظية وهى علامة الإعــراب لأن تلك العلامة إنما توضع ويؤتى بها عندما تتبهم الحدود بين المعانى ولا تبــرز السمات المميزة لكل منها. أما إذا اتضحت الحدود وميزا العقل كلا منها واقتنع الفكر بها فلسنا نرى لها جدوى حينئذ.

وإنمـــا نحتاج إلى ذلك لو لم يرد نصوص لغوية قد ارتضى العرب صياغتها على هذه الصورة – أعنى نصب المبتدأ والخبر – بعد (إن) لأن معانيها قد وضحت فى الذهن واطمأن بها القلب واقتنع العقل.

ولا أدل على ذلك من ورود اللام فى صدر الخبر كما وضحنا ذلك. فأى فرق بين قوله تعالى: "وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار" وقوله: "وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب"؟!

فتلك حجة دامغة على أن المعنى إذا تم فلا علينا من اللفظ.

وأخـــرى وهـــى أن علماء النحو تكاد تجتمع كلمتهم على أن (إن) قد عملت لمشابهتها الفعل[١].

فلماذا قصر بعضهم تلك المشابهة على ما ينصب ويرفع مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ١٢٤ البقـــــرة و﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ ١١١ الشعراء. وغير ذلك.

دون ما ينصب ركنى الجملة معا نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ ١٢٨ البقرة.

وحجة ثالثة ترضى من لا يرضى بما سلف. وتقنعه حتى يكون على بينة من أمر تلك القاعدة التى يأتى عليها نصوص لـــ (إن) ناصبة ركنى الجملة تلك الحجة هى: أن بعض قبائل العرب قد استعملوا هذا النوع ونقل عنهم فهى لهجة من لهجات العرب يقاس عليها ما دامت قد رويت عنهم.

---

(١) انظر منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ١/ ٢٧٩ وغيره.

نقل السيوطى عن ابن سلام أن لغة جماعة من تميم هم قوم رؤبة بن العجاج نصب الجزءين بــ (إن) وأخواتها. ونسب ذلك أبو حنيفة الدينورى إلى تميم عامة. ومن قال بأن ذلك لغة أيضا ابن الطراوة وابن السيد(١).

وقبيلة تميم هى إحدى القبائل الست التى اعتمد عليها علماء اللغة ورواتها فى تدوين اللغة وهذه القبائل هى: تميم. وقيس غيلان. وهذيل. وطئ. وأسد. وكنانه.

والقــرآن يشتمل على لغات شتى أكثرها من قلب الجزيرة. فقد ذكر أبو بكر الواسطى فى كتابه (الإرشاد فى القراءات العشر) أن فى القرآن من اللغات خمسين لغة. لغة قريش وهذيل وكنانة وخثعم والخزرج وتيم... إلخ(٢).

لذلك كله رأينا فضيلة أستاذنا الشيخ محمد عرفه يقول: "شابهت (إن) وأخواتها الأفعال التى بمعناها فنصبوا بها الجزء الأول.

وقد تأدت ببعضهم المشابهة إلى أكثر من ذلك فنصبوا بها الجزءين كما قال:

يــا ليت أيـــام الصبا رواجعــا

وقــوله:

كــــأن أذنــــيه إذا تـــــشوفا قادمـــةً أو قلمـًــا محــــرفا""(٣)

فهــذه الأساليب – وإن كانت شعرا – تمثل علامة قوية على أن نصب (إن) وأخواتها ركنى الجملة الأسمية له عمق تاريخى فى تاريخ اللغة العربية. فإذا جاءت نــصوص قــرآنية تقتضى معانيها هذا الإعراب دل ذلك على صدق تلك اللهجات العــربية. ولــيس ذلك فحسب لأن هذه النصوص تكسب تلك القاعدة مساحة أرحب وميدانا أوسع. وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على أن النحاة ربما ضاقت نفوسهم

---

(١) انظر الهمع ١/ ١٣٤.

(٢) انظر الإتقان فى علوم القرآن ١/ ١٣٥.

(٣) النحو والنحاة بين الأزهر و الجامعة ص ١٤٦.

بأشـياء تـبعث علـى انبساطها ولا يمكن لأحد أن يعيبهم بذلك لأن النفس البشرية والفكر الإنسانى لابد فيهما من عجز أحيانا. وقد يكون سبب هذا العجز وافدا عليهما مـن خارج الإنسان ممثلا فى شهرة القول وذيوع صيته. وليس كل مشهور صادقا وما كل ذائع الصيت رائقا.

ومن ثم لا نرى ذم النحاة – هنا– إلا فى دائرة ضيقة سطحية تتمثل فى عدم الأناة والتروى والتأمل فيمـا يعرضونه من آراء أو يعلمونه من نصوص. وهـذا ما وقع من البصريين فى مقامنا هذا وقد عبر عنه الأستاذ عباس حسن أحسن تعبير وأدقـه حيث قـال: "ولكن للبصريين لا يرضون بالمثال ولا بالمثالين ولا الثلاثة ولا الأربعة ولا الخمسة ولا الستة.

يد لك على ذلك ما ورد فى كتاب (الهمع) فى باب (إن) وأخواتها حيث يقول فى عملها: وسمع من العرب نصب الجزءين بعدها. فقيل: مؤول.

وعليه الجمهور – أى جمهور النحاة من البصريين – وقيل: سائغ فى الجميع وأنـه لغة. وعليه أبو عبيد القاسم بن سلام وابن الطراوة وابن السيد. وقيل: خاص بـ (ليت) وعليه الفراء. ومن الوارد فى ذلك: "إن حرا سنا أسد" "إن العجوز حية جـزورا" "ألا ليتنـى حجرا بواد" "يا ليت أيام الصبا رواجعا" "لعل زيدا أخانا" "كأن أذنيه ..... البيت.

فهـذه أمـثلة سـتة لـم تكف عند البصريين للقيـاس عليها لقلة عددها فى تقديرهم"(١).

ولا يفيد فى هذا المقام ادعاء ضرورة الشعر لأمرين:

الأول: أن الرفع والنصب والخفض لا تخرج بالبيت إلى دائرة تلك الضرورة لأنها لا تؤذى موسيقا الشعر ولا تغض من نعمته الوزنية.

---

(١) اللغة والنحو بين القديم والحديث ص ٤٦.

فلــو قلــنا: إن حراسنا أسداً. أو أسد. لا يترتب عليه إلا عيب القافية وعيب القافية ليس من الوزن أو الموسيقا.

الثانى: أن آيات القرآن التى وردت على هذه اللهجة وهى خمس آيات – ومن يدرى – لعل هناك غيرها لم أتمكن من اكتشافها إذ القرآن من العمق والسعة بحيث لا يستطيع إنسان الوصول إلى عمق ولا بلوغ ساحله إذ لا ساحل له.

أقــول: هذه الآيات هى حسبنا فى هذا المقام لأن المعنى نابع منها مع نصب ركنــى الجملــة فيها. والمعنى هو العنصر الجوهرى فى توجيه الإعراب. ومن لم يكفه القرآن فلن يكفيه شئ سواه.

ومما يثبت أن نصب الجزءين لا ينال من موسيقا الشعر قول الشاعر:

رأيــتُ اللهَ أكبــر كــل شــئ   محاولــةً وأكثــرَهم جــنودا

فالاحــتجاج بالشعر فى هذه القاعدة لا ينال منها شيئا لأنها تتحقق فى الشعر والنثر. ولا أبلغ فى الدلالة عليها من القرآن الكريم.

هــذا: وهناك آية لها صلة بما نحن فيه وقد قرئت بنصب ركنى الجملة وهى قــوله تعالــى: ﴿ إِنِ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ ١٩٤ الأعراف بتخفيف (إن) ونصب (عباداً أمثالكم).

واختلف العلماء فى تخريجها:

(أ) فمــنهم – وهــم الغالبية – يرى أن (إن) نافية تعمل عمل (ليس) و (الذين) اسمها و (عبادا) خبرها و (أمثالكم) نعت. وصح النعت بها وهى مضاف إلى علامة إضمار الجمع المخاطب. و (عبادا) نكرة لأن (مثل) مفــردة وجمعا لا تكتــسب التعــريف بالإضافة. والمعنى: ما الذين يدعون من دون الله عبادا

أمثالكم. وفيه تحقير شأن الأصنام ونفى مماثلتهم للبشر بل هم أقل وأصغر إذ هى جمادات لا تفهم ولا تعقل(١).

(ب) ومـــنهم من رد هذه القراءة فقد قال النحاس: "وهذه القراءة لا ينبغى أن يقرأ بها من ثلاث جهات. (إحداها) أنها مخالفة للسواد و (الثانية) أن سيبويه يختار الـــرفع فـــى خبر (إنْ) إذا كانت بمعنى (ما) فيقول: إن زيد منطلق لأن عمل (مـــا) ضعيف و (إنْ) بمعناها فهى أضعف منها. و (الثالثة) أن الكسائى زعم أن (إنْ) لا تكـــاد تأتى فى كلام العرب بمعنى (ما) إلا أن يكون بعدها إيجاب كما قال الله عز وجل: ﴿ إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾ ٢٠ الملك"(٢).

(ج) ومـــنهم مـــن رد هذه الجهات الثلاث ثم جعل (إن) الخفيفة عاملة النصب فى ركنى الجملة. فقد عقب أبو حيان على نص النحاس قائلا: "وكلام النحاس هذا هـــو الذى لا ينبغى لأنها قراءة مروية عن تابعى جليل ولها وجه فى العربية أما الثلاث جهات التى ذكرها فلا يقدح شئ منها فى هذه القراءة.

أما كونها مخالفة للسواد فهو خلاف يسير جدا لا يضر. ولعله كتب المنصوب علـــى لغـــة ربـــيعة فى الـــوقف على المنون المنصوب بغير ألف فـــلا تكون فيه مخالفة للسواد.

وأمـــا مـــا حكـــاه عن الكسائى فالنقـــل عن الكسائى أنه حكى إعمالها وليس بعـــدها إيجاب".

هكذا رد أبو حيان ما ذكره النحاس ثم قال: "والذى يظهر لى أن هذا التخريج الـــذى خرجوه من أن (إن) للنفى ليس بصحيح لأن قراءة الجمهور تدل على إثبات

---

(١) انظر الكشاف ٢/ ١٤٨ والمحرر الوجيز ٢/ ٤٨٩.

(٢) إعراب القرآن ٢/ ١٦٨: ١٦٩.

كـون الأصنام عبادا أمثال عابديها. وهذا التخريج يدل على نفى ذلك فيؤدى على عدم مطابقة أحد الخبرين الآخر. وهو لا يجوز بالنسبة إلى الله تعالى.

وقد خرجت هذه القراءة فى شرح التسهيل على وجه غير ما ذكروه وهو أن (إن) هـى المخففـة من الثقيلة وأعملها عمل المشددة. وقد ثبت أن المخففة يجوز إعمالهـا عمـل المشددة فى غير المضمر بالقراءة المتواترة: (وإن كلاً لما) وبنقل سـيبويه عـن العرب لكنه نصب فى هذه القراءة خبرها نصب عمر بن أبى ربيعة المخزومى فى قوله:

إذا اسْوَدَّ نبح الليل فلتأت ولتكن   خطـاك خفافا إن حراسنا أسدا

وقـد ذهب جماعة من النحاة إلى جواز نصب أخبار (إن) وأخواتها واستدلوا علـى ذلـك بشواهد ظاهرة الدلالة على صحة مذهبهم. فهذه القراءة الشاذة تتخرج علـى هذه اللغة... وتكون القراءتان قد توافقتا على معنى واحد وهو الإخبار أنهم عباد. ولا يكون تفاوت بينهما وتحالف لا يجوز فى حق الله تعالى"[1].

وهـذا مـا نراه ونؤيده بما سبق من آيات فيها نصب (إن) ركنى الجملة فى القراءة المتواترة لا الشاذة.

وقـول أبـى (وإن كلاً لما) يعنى به قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ١١١ هود. فقد قرئ فيها بتخفيف (إن) وإعمالها عمل الثقيلة"[2].

وهذه القراءة تشد من أزر قراءة سعيد بن جبير (إن الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم) بنصب الجزءين. فتكون (إن) شبيهة بفعل ينصب المفعولين وهذا ما نحن بصدد دراسته الآن.

---

(١) البحر ٤/ ٤٤٤: ٤٤٥.

(٢) انظر الكشاف ٢/ ٣٣٨. والمحرر الوجيز ٣/ ٢١٠ والبحر ٥/ ٢٦٦.

ثانياً: آيـــات: جعـــل:

وردت (من) مبتدأ منسوخا بـ (جعل) فى القرآن الكريم أربعا وعشرين مرة: وتلكم الآيات نوعان من حيث الصياغة

الـــنوع الأول: آيـــات سبقت فيها (من) بواو وهى ثلاث وكلها فى حق سيدنا إبـــراهيم علـــيه السلام. ومنها آيتان فى سورة البقرة وهما قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ ١٢٤ وقـــوله: ﴿ وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ ١٢٨.

وآيـــة من سورة إبراهيم وهى قوله تعالى: ﴿ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ ٤٠.

أمـــا الآية الأولى فالمعنى: واجعل بعض ذريتى إماما. فـــ (من) مفعول أول وهـــو فـــى الأصل مبتدأ و (إماما) التى أدركها العقل لأنها ذكرت آنفا مفعول ثان وهـــى فى الأصل خبر. فالأسلوب فى الأصل خبرى أى بعض ذريتى إمام. ولكنه هنا دعائى أى يا رب كما جعلتنى إماما فاجعل بعض ذريتى إماما.

ولا يخفـــى أن الكاف فى (جاعلك) و (إماما) فى الأصل: أنت إمام. فالكاف مفعول أول. و (إماما) مفعول ثان.

وممـــا ينبغى الالتفات إليه بل الحرص عليه أن (إماما) الأولى خبر عن مفرد وهو إبراهيم عليه السلام. وأما الثانية فخبر عن غير مفرد لأن بعض الذرية يحتمل أن يكون غير واحد كما يحتمل أن يكون فردا واحدا. ومما يحتمل ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ ٧٤ الفرقان. وفيه يقول الزمخشرى: "أراد: أئمة

فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله:﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ ٦٧ غافر. أو أرادوا: اجعل كل واحد منا إماما. أو أراد: جمع أم كصائم وصيام. أو أرادوا: اجعلنا إماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا.

وعن بعضهم: فى الآية ما يدل على أن الرياسة فى الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها"(١).

فهذه احتمالات واردة ولا بأس باختيار أى منها. وخلاصتها أن (إمام) يجوز أن تكون خبرا عن فرد واحد. وأن تكون خبرا عن غير فرد. هذه واحدة.

وأخرى: وهى لم طلب إبراهيم عليه السلام الإمامة لبعض ذريته ولم يطلبها لجميعهم؟ أجاب النيسابورى بقوله: "ولا يخفى أن (من) التبعيضية تدل على أنه طلب الإمامة لبعض ذريته لعلمه: أن كلهم قد لا يليق بذلك. ولعلمه أن بعضهم يليق بها كإسماعيل وإسحاق"(٢).

وقال أبو السعود: "وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة إمامة الكل وإن كانوا على الحق"(٣).

وقال الأستاذ رشيد رضا: "وقد راعى الأدب فى طلبه فلم يطلب الأمامة لجميع ذريته بل لبعضها لأنه الممكن. وفى هذا مراعاة لسنن الفطرة أيضا. وذلك من شروط الدعاء وآدابه"(٤).

وبذلك يتضح لنا أن الواو فى (ومن ذريتى) عاطفة لفعل يدركه العقل على (جاعلك للناس إماما) أى واجعل بعض ذريتى إماما. ولعل السر فى عدول إبراهيم عليه السلام عن ذكر (واجعل) مع أنها دعائية هو النأى بالأسلوب عما فيه رائحة

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٢٣.

(٢) غرائب القرآن ١/ ٣٨٥ هامش الطبرى.

(٣) إرشاد العقل السليم ١/ ٤٧١.

(٤) تفسير القرآن الحكيم ١/ ٤٥٦.

الأمر. فالنص خـبر بمعنى الطلب وفيه من الاختصار الواقـع موقعه مـا يروق كل ناظر[١].

فانظر هداك الله – كيف يخاطب القرآن الكريم عقل الإنسان المكرَّم. ويحرك فكره وحسه حتى يصل إلى المراد بالنص فى متعة ويسر وسلاسة مما يزيدنا يقينا إلـى يقين بما قلناه – وسنردده ما حيينا – وهو: (أن العقل خلقه الله والقرآن وحى الله. ولابد لأحدهما من الآخر فعقل بدون وحى مضلل. ووحى بدون عقل معطل).

وأمـا الآيـة الثانـية وهى: "واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) فمعـناها: واجعل من ذريتنا أى بعضها أمة مسلمة لك. وكأن الأصل: بعض ذريتنا أمـة مـسلمة لك. وإنما أريد بعض الذرية هنا لما علمنا سابقا من أن الله قـال فى حـق نـوح وإبـراهيم: ﴿ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ ٢٧الحديد.

ويقول أبو حيان: "لما تقدم لإبراهيم الجواب بقوله (لا ينال عهدى الظالمين) على أن من ذريتهما الظالم وغير الظالم فدعا هنا بالتبعيض لا بالتعميم فقال: (ومن ذريتنا) وخص ذريته بالدعاء للشفقة والحنو عليهم...

والمعنى على أن: (من ذريتنا) هو فى موضع المفعول الأول لقوله (واجعل) لأن الجعل هنا بمعنى التصيير. فالمعنى: واجعل ناسا من ذريتنا أمة مسلمة لك"[٢].

ولـست أدرى: أى معنـى لـ (ناسا) التى ذكرها أبو حيان؟! هل هناك من يتسرب وهم إلى نفسه أن بعض ذريتهما ليسوا بناس؟! وأعجب كل العجب هنا لأن أبـا حيان يذكرها مع تصريحه بأن (من) بعضية!! وليس هذا التقدير موقوفا على أبـى حيان فهناك من يرى أن (من) للتبيين وهو الزمخشرى[٣] وقد عرفنا أن هذا

---

(١) نظـر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٣٤ والبحر ١/ ٣٧٧ وحاشية زاده على البيضاوى ١/ ٤١١ وروح المعانى ١/ ٣٠٦.

(٢) البحر المحيط ١/ ٣٨٨: ٣٨٩.

(٣) الكشاف ١/١٤٠.

المعنـــى يستلزمه زيادة (من) وما هى بزائدة. بل لها أبلغ الفائدة. وهناك من يرى أنها حرف ابتداء وهو أبو البقاء[١] وذلك يقتضى دعاوى زائفة وهى دعوى الحذف والتقديـــر والتقديم والتأخير. وكلام الله مقدس ومنزه عن تلكم الدعاوى الباطلة ولما استمسك هذا القائل بأن (من) حرف ابتداء قال: "وجعل الحرف مفعولا تعسف"[٢].

ومـــا كان أغناه عن هذا لو تنبه إلى معنى البعضية التى لا تفارق (من) فى هذه الآية.

بـــل من أعجب ما قرأت أن بعضهم يرتب نسيج النص على هوى فى نفسه فيزعم أن (ومن ذريتنا) فى الأصل صفة لـــ (أمة – فيكون نسق الآية: وأمة مسلمة لك من ذريتنا – فلما قدمت عليه أعربت حالا.

ورده بعضهم بما يلزم عليه من الفصل بين العاطف والمعطوف بالحال.

وأبو على لا يجيزه بالظرف فما الظن بالحال التى هى شبيهة بالمفعول به[٣].

وعلى الرغم من ذلك يسير أبو السعود فى غبار من يجوز هذا الفصل[٤].

هل يعد هذا الركام من الكلام يليق بعاقل أن يزعم احتياج الآية إليه؟!

وقـــد صـــرح الألوســـى بأن (من) فى (ومن ذريتنا) معطوف على الضمير المنصوب فى (واجعلنا مسلمين لك) و (من) مفعول[٥].

ولا يخفـــى أنها مفعول أول لأنها كانت فى الأصل مبتدأ. و (أمة مسلمة) هى المفعول الثانى. فـــ (من) مبتدأ منسوخ الابتداء.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٣٥.

(٢) انظر حاشية الشهاب على البيضاوى ٢/ ٢٣٩.

(٣) انظر المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٢٦.

(٤) انظر إرشاد العقل السليم ١/ ٤٨٨.

(٥) انظر روح المعانى ١/ ٣١٤.

وأما الآية الثالثة: (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى) فالمعنى المراد بها واجعل بعض ذريتى مقيم الصلاة. ففيها من الإيجاز ما فى آية البقرة الأولى. ويقول الزمخشرى: "وبعض ذريتى: عطفا على المنصوب فى (اجعلنى) وإنما بعض لأنه علم بإعلام الله أنه يكون فى ذريته كفار وذلك قوله: "لا ينال عهدى الظالمين"[1].

وعلى هذا التقدير تكون (من) مفعولا أول كما أن الياء فى (اجعلنى) كذلك. وكأن أصل هاتين الجملتين: أنا مقيم الصلاة وبعض ذريتى مقيم الصلاة. فلما دخل فعل الدعاء وهو (اجعل) نصب ركنى الجملة فى الأسلوبين. وقد سبق من الآيات ما يوضح معنى البعضية مثل قوله تعالى: ﴿ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴾ ١١٣ الصافات. وقوله فى حق إبراهيم ونوح ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ ٢٦ الحديد. وقوله فى حق نوح: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ٤٢: ٤٧ هود.

كل هذه النصوص تثبت أن المقام فى آياتنا هنا مقام التبعيض.

النوع الثانى: آيات لم تسبق فيها (من) بالواو وهى ست عشرة آية وردت (من) فيها إحدى وعشرين مرة. وها هو ذا الحديث عنها:

١- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ ﴾ ٦٠ المائدة.

أى صير بعض اليهود القردة والخنازير. أى وبعضهم الخنازير.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٣٧.

فأصل التعبير: بعض اليهود القــردة وبعضهم الخنازير. ففيه من الإيجاز ما لا يخفــى سره على الواعى البصير. فهو مثل قوله "فمنهم شقى وسعيد" وغيره مما سلف ذكره.

وإننــى لأقرأ قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ ٦٥ البقرة ثم قوله: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ ١٦٦ الأعراف.

ففى هاتين الآيتين الحديث عن اليهود الذين صيرهم قردة خاسئين. أما فى آية المائــدة فالحــديث عــن تــصيير بعضهم القردة وبعضهم الخنازير وبعضهم عبد الطاغــوت. قــيل: ومعناه الغلو فى العبودية والمراد بالطاغوت إما الشيطان وإما العجــل لأنهــم عبدوه بما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت... وقيل: وجعل منهم القردة: أصحاب السبت. والخنازير كفار أهل مائدة عيــسى. وقــيل: كلا المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير(١).. .

وممــا ينبغــى الوقوف عنده والتأمل والتدبر فيه التعبير بــ (ال) الذى ربما يوحــى إلــى أن جمــيع القردة وكل الخنازير وكل عبدة الطاغوت أصلهم من بنى إسرائيل الذين عتوا عن ما نهوا عنه.

٢- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ ١٣٦ الأنعــام والمــراد هــنــا (من) فى (ممــا ذرأ) أما (من الحرث) فموضوع دراستها أساليب الحال وواضح بأن (مما) ذرأ) مفعول أول أيى بعض ما ذرأ... و (نصيبا) مفعول ثان. قال أبو حيان: "فى (من) التبعيضية دليل على قسم ثالث وهو ما بقى لهم من غير النصيبين"(٢).

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٥٠٧: ٥٠٨.

(٢) البحر ٤/ ٢٢٧.

٣- قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ١٨٩ الأعراف.

أى صــير بعــض الــنفس الواحدة زوجها. يقول الزمخشرى: "وجعل منها زوجها: وهى حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه أو من جنسها كقوله تعالى: "جعل لكم من أنفسكم أزواجاً"(١).

وهذه الفقرة الأخيرة يحتمل أنها من آية من سورة النحل وهى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ ٧٢ أو من آية من سورة الشورى وهى: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ﴾ ١١.

قــال الألوسى: "والمشهور أنها – أى: من تبعيضية أى من جسدها والكيفية مجهولة"(٢).

وهذا هو الصواب لأن: "التبعيض الحقيقى إما أن يكون جزءا من الكل بحيث لا يــوجد الكل الكامل بغيره. وإما أن يكون فردا من مجموع. وإما أن يكون نوعا من جنس يشمل أنواعا كثيرة"(٣).

٤- قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ﴾ ٥٩ يونس.

قال الزمخشرى: "أى فبعضتموه وقسمتموه إلى حرام وحلال"(٤).

ولا يخفــى أن الشئ الواحد لا يكون حراما وحلالا فى آن واحد ومن ثم لزم أن يكون تأويل الآية: فجعلتم بعضه حراما وجعلتم بعضه حلال.

---

(١) الكشاف ٢/ ٧٤٥.

(٢) روح المعانى ٣/ ١٨١.

(٣) النحو الوافى ٣/ ٥٦٣.

(٤) الكشاف ٢/٢٤٥.

فذلك نظير قوله تعالى: "منها قائم وحصيد" وقوله: "فمنهم شقى وسعيد" وغير ذلك.

٥- قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ ٧٢ النحل.

٦- قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ٨٠ النحل.

٧- قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا ﴾ ٨١ النحل.

هذه ثلاث آيات من سورة النحل فيها (جعل) ناصبة لركنى الجملة و (من) هى الركن الأول.

ففى الأولى: بعض أنفسكم أزواجكم. فالله صير بعض أجسادكم أيها الرجال أزواجا لكم. فالبعضية هنا من حيث النوع الذكر والأنثى.

وفيها: جعل لكم بعض أزواجكم بنين وحفدة. وقيل: معنى الحفدة الخدم. وقيل: البنون أنفسهم فهم حافدون أى يخدمون الآباء فهم جامعون بين صفة الذكورة ومهنة الخدمة[1].

---

(١) انظر الكشاف ٢/ ٤٨٣.

وفى هذه الفقرة يقول ابن العربى: "وجود البنين يكون منهما معاً – أى الرجل وزوجـه – ولكـنه لمـا كان تخلق المولود فيها – أى الزوج – ووجوده ذا روح وصورة بها. وانفصاله كذلك عنها أضيف إليها"(١).

فالبعضية بعضية جزء من كل لا نوع من جنس. ومقتضى النص السابق أن البنين فيهم من الزوج والزوجة. ولكن ظاهر الآية أنهم بعض الزوجة وحدها. ولعل ذلـك التعارض غير دقيق لأن الرجل له دورة فى الإخصاب إذ لابد من مني يمنى فـى رحـم المرأة. وكذلك المرأة غير أن دور المرأة كان أكبر وأطول وأثقل فلا عجـب فـى قوله تعالى: "جعل لكم بعض أزواجكم" لأن الولد لحما وعظما وشحما ودما وغير ذلك إنما هو من المرأة. وأما الذى من الرجل فهى النطفة التى قال الله فيها ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ ٨ السجدة فأين هذا من ذلكم.

وعلـى الرغم من مهانة هذا الماء أثبت العلم الحديث أنه صاحب اليد الطولى والأثر الأكبر فى تنويع الجنين داخل رحم المرأة.

"فقد أثبت علم الأجنة أن جينات الرجل هى وحدها التى تحدد نوع الجنين إن كان ذكرا أم أنثى.

هكذا قرر الأستاذ الدكتور نجيب محفوظ رائد أمراض النساء فى مصر. كما ذكـر ذلـك الكاتـب ثروة أباظة – فى صحيفة الأهرام يوم الاثنين ١٢ من شهر رمضان سنة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٩٩م.

فقـد روى أنه حينما سمع تلك الحقيقة من الدكتور نجيب محفوظ قال له: إن المرأة العربية علمت هذا بالسليقة منذ أكثر من الف عام. فقال الطبيب: كيف؟

فـرد علـيه بقوله: لقد قالت شعرا يؤكد هذه الحقيقة التى وصلتم إليها اليوم. فطلـب منه الطبيب ذاك الشعر فقص عليه قصة طريفة خلاصتها أن إحدى

---

(١) أحكام القرآن ص ١١٤٨.

نــساء العرب كانت لا تلد إلا إناثا مما جعل زوجها يتزوج عليها. فأنشدت – وهى تهدهد طفلتها أمام خيمة زوجها.

مــا لأبــى حمــزة لا يأتيــنا ... يظــل فــى البـيت الــذى يليـنا
غــضبان ألا نلــد البنيــنا ... تــالله مــا ذلــك فــى أيدينـا
نحــن كــالأرض لــزارعينــا ... تنبت مــا قــد غرسوه فينــا

فبدت النشوة وملأ السرور وجه الطبيب مما جعله يكتب تلك الأبيات بل نشر قصتها فى مجلة آخر ساعة. وهذا ما يثبت مدى عناية هذا الطبيب العالمى بالشعر العربى.

وقــد ذكــر الزمخشرى هذه القصة فى كتابه (الكشاف) عنــد تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ١٧ الزخرف ببعض اختصار حيث قال:

غــضبان ألا نلــد البنيــنا ... لــيس لـنا مـن أمـرنا مــا شـينا

وإنمــا نأخـــذ مــا أعطينــا

ثم ذكرها المعلق بزيادة:

وإنمــا نأخــذ مــا أعطيــنا ... حكمــة ربــى ذى الجـلال فيـنا(١)

هذا: وأما (من) فى الآيتين السادسة والسابعة فالتبعيض فيها تبعيض جزء من كل. أى بعض بيوتكم سكنا. وبعض جلود الأنعام بيوتا. وبعض أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا. وبعض ما خلق ظلالا. وبعض الجبال أكنانا.

فـــ (مــن) بعضية مفعــول أول وأصلها (مبتدأ) وما بعــدها مفعول ثان وأصله (خبر).

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ١٩١.

٨- قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ ٣٠ الأنبياء.

نكـر الزمخشرى أن (جعل) فى هذه الآية إما بمعنى (خلق) فتنصب مفعولا واحدا والمعنى: خلقنا من الماء كل حيوان كقوله:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴾ ٤٥ النور.

وعلـى هـذا يكون المراد بالماء النطفة أى ما يصب من الذكور فى أرحام النـساء أو أن المعنى: خلقناه من الماء أى الذى يصبه السحاب على الأرض وهو المذكور فى قوله تعالى:﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴾ ٢٥ عبس. فلفرط احتياجه إلى هـذا الماء وحبه له وقلة صبره عنه كأنه خلق منه كقوله تعالى:﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ٣٧ الأنبياء.

ولم يوضح الزمخشرى معنى (من) على هذا الوجه بل لم يذكر أصل النص. ويبدو أنه يرى (من) ابتدائية وأصل النص خلقنا كل شئ حى من الماء.

وإنى لأرى لستغناء النص عن هذا التعديل وأن (من) بمعنى (بعض) فى محل نصب حالا أى خلقناه حالة كونه بعض الماء إن كان المراد بالماء المنى.

فهـو عنـصره الأساسى. أو جعلنا استمرار حياته حالة كونه بعض الماء إن كان (الماء) هو المشروب. فالماء إما هو المصبوب فى الأرحام فهو العنصر الأول فى تكوين كل شئ حى. وإما المصبوب من السماء فهو العنصر الثانى فى استمرار الحياة. هذا على أن (جعل) بمعنى (خلق) فهو متعد إلى مفعول واحد.

ويحـتمل أن يكون بمعنى (صيّر) فيتعدى إلى اثنين أصلهما المبتدأ والخبر. وهـذا مـا أردناه بذكر هذه الآية هنا. وفيه يقول الزمخشرى: وإن تعدى إلى اثنين فالمعنى صيّرنا كل شئ حى بسبب الماء لابد منه. و (من) هنا نحو (من) فى قوله عليه السلام: (ما أنا من دد ولا الدد منى). والدد: اللهو واللعب.

ثم قال: "وقرئ (حيا) وهو المفعول الثانى. والظرف لغو"(١).

فالماء على هذا الوجه هو ما يصبه السحاب عل الأرض فهو سبب استمرار الحياة كما نبهنا.

ويفهم من كلام الزمخشرى أن (من) سببية أو تعليلية كما يعبر بعضهم. ومقتضى هذا أن يكون ذلك معناها فى الحديث الذى ذكره. ولست أدرى كيف يكون ذلك؟!

إنما الذى أدريه أن (من) فى هذا الحديث بمعنى (بعض) فهو ينفى عن الرسول عليه السلام أن يكون بعض اللهو من خلق الرسول عليه السلام ولا أن يكون. اللهو بعض خلقه فالنفى مستغرق للمنفى مستأصل لجذره فلا يحوم منه شئ حول مقام الرسول ولا يحوم الرسول حول شئ منه. فالعلاقة بينهما المباينة التامة.

وإذا تأملنا قول الزمخشرى صيرنا كل شئ حى بسبب الماء فإننا لا نكاد نعثر على مفعول ثان لـ (جعل) التى بمعنى (صير) وذلك على القراءة المشهورة. وأما على قراءة نصب (حيا) فإنه هو المفعول الثانى. وعقب الزمخشرى بقوله: (والظرف لغو) ومعنى ذلك أنه مرتبط بالفعل كما فى: صليت فى المسجد.

فأين المفعول الثانى.

لذلك كله رأيت أن الآية من قبيل (جعل) الناصبة للمفعولين. و(من الماء) هو المفعول الأول أى صيرنا بعض المنى و (كل شئ حى) المفعول الثانى فأصل النص: بعض الماء يوجد منه كل شئ حى. فالمراد ما يصب من الأصلاب فى الأرحام. أو من الذكور فى الإناث. فقد أثبت العلماء أنه: "يقذف فى كل جماع فى المهبل ما يتراوح عدده بين مائتى مليون وخمسمائة مليون خلية سنوية تموت جميعا عدا خلية واحدة تسبب الحمل"(٢).

---

(١)انظر الكشاف ٣/ ٨٩: ٩٠ ثم انظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٧٠ وحاشية الجمل ٣/ ١٢٧

(٢) انظر: محاضرات فى علم الصحة التربوية ص ٤٠.

وبهـــذا تتجلـــى عظمة قدرة الخالق فى تكوين الإنسان – وغيره – وهو بهذه الصورة المركبة تركيبا عجيبا من بذرة لا ترى بالعين المجردة. ويترتب على ذلك مدى جهالة وضآلة الإنسان الذى لا يعبد خالقه لأنه ضال العقل منحرف الفكر زائغ البصر عديم البصيرة.

فمـــا كـــان علـــى الزمخشرى لو استنبط المعنى من نسق الآية ومن معانى مفرداتها؟! لست أدرى.

وأما على قراءة نصب (حيا) فهى حال أى صيرنا بعض النطفة كل شئ حالة كونه حيًا.

هذا: ويمكننا تخريج الآية على ذلك المعنى مع إرادة معنى (الماء) المشروب المصبوب من السحاب لا من الأصلاب.

أى: وصـــيرنا بعـــض الماء أى الذى يشربه الحىّ كل شئ حى. وتلك إشارة موحـــية عجيبة تثبت أن أغلب ما يتكون الجسم الحى من الماء الذى لا يستغنى عن شـــربه فقـــد ثبت علميا أنه لابد لأى ظاهرة من ظواهر الحياة من مقدار كبير من المـــاء لا يقـــل عن ٧٠% إلا نادرا. ولكن ذلك ليس ضروريا لاستمرار الحياة فى الأحوال كلها إذ أن بعض الأحياء يحتمل فقد معظم ما فيه من الماء إن لم يكن كله من دون أن تنقص حيويته نقصا دائما[١].

ومما يجدر ذكره هنا لأنه من تمام بحث هذه الآية ودراستها أن بعض العلماء يـــرى أن (كل شئ حى) معناه: بعض كل شئ حى. كما فى قوله تعالى:﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ٢٣ النمل. لأن هناك بعض الأحياء لم تخلق من ماء كالملائكة والجن وآدم فهو مخلوق من تراب وناقة صالح مخلوقة من الحجر.

---

(١) العلم والعمران ص ١٣٤.

وأجيب عن ذلك بأن الكل مخلوقون من الماء ولكن بواسطة فالملائكة من ريح خلقها الله من الماء. والجن من نار خلقها الله من الماء. وآدم من تراب خلقه الله من الماء"(١).

وهــذا ليس ببعيد فكل الكائنات من صنع الله الذى أتقن كل شئ والذى أحسن كل شئ خلقه. والذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى.

ومــن ثــم أرى أن تفـسير (كل) بـ (بعض) فى آيتى الأنبياء وهى ما نحن بـصدده والــنحل وهى ما ذكرت فى النص سالف الذكر. غير لائق ولا محتمل إذ كيف يكون المعنى: وجعلنا بعض الماء بعض شئ حى. وأوتيت من بعض شئ؟

إنــنا فــى حاجة ماسة وشديدة إلى أن نفكر ونفكر ثم نفكر ونفكر من قبل أن نقـدم علـى نص قرآنى زاعمين أن فيه تعديلا لمكان كلمة أو تغييرا لمعنى كلمة أخرى أو تقديرا لشئ يفهم منه نقص النص بحيث يحتاج إلى شئ من كلماتنا.

فهو كلام الله الذى لا تبديل لكلماته.

وتبقـى كلمة أخيرة تتعلق بنص الزمخشرى الذى جعل فيه. وخلقنا من الماء كـل شئ حى نظير قوله تعالى: خلق الإنسان من عجل. وجامعا من سورة الأنبياء فهـذه المناظرة غير سديدة لأن خلق الإنسان من الماء سواء كان بمعنى المصبوب فـى الـرحم أم المـشروب حقيقة ثابته لكل مخلوق ومنه الإنسان. فالماء عنصره الأساسى فى الحياة أو عنصره الأساسى فى استمرار الحياة.

أمــا خلـق الإنـسان من عجل. فليس بهذه المثابة فقصارى أمره أنه لكثرة اسـتعجاله كانه خلق من عجل. ومن المعهود أن هذه صفة غير عامة بل هناك من أفراد الإنسان ما ليس بعجول. فالماء عنصر من عناصر الإنسان أما العجل فصفه تكـون ولا تكـون. وهــذا هو المعنى فى قوله تعالى: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴾ ١١ الإسراء.

---

(١) أنموذج الرازى هامش إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٦١: ٦٢.

علـــى أننا سنأتى بهذه الآية فى مكان دراستها وسنحقق أن الأصح أن معنى (عجل) هو: الطين.

٩- قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً ﴾ ٣٤ السجدة.

وعلامة الإضمار لبنى إسرائيل أى وصيرنا بعضهم أئمة. ومن بعد ذلك قوله (يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) فالصبر والإيقان شرطان أساسيان وعنصران عظيمان فيمن يريد أن يهدى سواه بأمر الله وبذلك يستحق صفة الإمامة.

وفـــى سورة الأنبياء نرى ذكر قصة إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب ثم نقرأ مـــن بعـــد ذلـــك ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ ٧٣.

فتأمل – هداك الله – كيف بتغير المعنى من مقام إلى مقام فيستلزم ذلك نصا غير النص وكلمات دون أخرى.

١٠- قوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ ٨٠ يس.

أى صـــير لكـــم بعض الشجر الأخضر نار للإيقاد. وقيل: المراد نوعان من الشجر وإن وجدت النار فى غيرهما لكن على الندرة والقلة. ففى أمثال العرب: فى كـــل بحر نار واستمجد المرخ والعفار. يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فينسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى أنثى فـــتقدح النار بإذن الله. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: ليس من شجرة إلا وفيها الـــنار إلا العناب ... وقرئ (الأخضر) على اللفظ وقرئ (الخضراء) على المعنى.

ونحـــوه قـــوله تعالـــى: ﴿ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ - فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ - فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴾ ٥٢ : ٥٤ الواقعة[1].

هــذا: ومــا يلفــت الــذهن هنا أن الخضرة تستلزم الماء. والنار تنطفئ به فاستبــصر - رعاك الله وحماك - كيف جمعت قدرة الله بين الماء والنار والخشب فــلا النار تأكل الخشب ولا الماء يطفئ النار. فهل بعد ذلك مجال لضلال عقل أو انحراف فكر؟!

١١- قوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ٦ الزمر

فالــنفس الــواحدة آدم. وزوجها حواء وهي إما مخلوقة من جسده. وإما من جنسه. والكيفية مجهولة كما ذكرنا سابقا.

والمعنى صير بعضها زوجها. فـ (من) مفعول أول. و (زوجها) مفعول ثانٍ.

١٢- قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ﴾ ١١ الشورى.

وهــنا نجــد أزواج الأنعام مطلقة. وفي ســورة الأنعــام نقــرأ قــوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ - ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ - وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ ﴾ ١٤٢ : ١٤٤ وفي سورة الزمر قــوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ ﴾ ٦.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٤.

فـزوج كـل نوع منه أى بعضه. والبعضية إما بعضية أجزاء وإما بعضية أنواع كما ذكرنا آنفا.

١٣- قوله تعالى: وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ١٢ الزخرف.

١٤- قـوله تعالـى: وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ١٥ الزخرف.

١٥- قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ ٦٠ الزخرف.

وكـأن أصـل الآيـة الأولـى: (من الفلك والأنعام ما تركبون) أى بعضها فالبعـضية هـنا فى الأنواع لا فى الأجزاء. فلما دخلت (جعل) نسخت حكم المبتدأ وصيرت (من) مفعولا أولا و (ما تركبون) مفعولا ثانيا. ولابد من ملاحظة علامة إضـمار أى (ما تركبونه) لأن جملة الصلة لابد من علاقة تربطها بالموصول حتى يتضح المعنى.

والتعبير بـ (من) هنا يكسب النص دقة وشمولا. فدقته من حيث: إنه لا يعقل أن أفـراد كـل جـيل من البشر يركبون كل أفراد ما يركب من الفلك والأنعام فى زمـانهم. وشـموله مـن حيث: إن الآية صالحة لكل زمان ومكان إذ لكل جيل ما يركبونه من الفلك والأنعام.

ويـزيد هـذا النص بعد ذلك عمقا لأنه يشتمل على ما هو صنعة البشر وهو الفلك فقـد قال الله لنـوح: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ ٢٧ المؤمـنون. وما هو من عمل الله حيث يقول: ﴿ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ

﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ -وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾

٧١: ٧٣ يس.

وربما يسأل أحد القرأة عن (لكم) بعد (جعل) ألا يحتمل أن أصل التركيب لكم مـــن الفلك والأنعام ما تركبون. وهذا يحتمل أن يكون جملة ظرفية فــ (لكم) ترفع (مـــن الفلـــك) أى لكم بعض الفلك والأنعام و (ما تركبون) بيان لهذا البعض. وأن يكـــون جملة اسمية على التقديم والتأخير أى ما تركبونه من الفلك والأنعام لكم. فـــ (من الفلك) حال مقدم على (ما) و (لكم) هو الخبر.

وإنى لأجيب عن ذلك بما يأتى:

لو كان لى أن أختار أحد هذين التوجيهين لاخترت أن الجملة ظرفية فـــ (من) فاعـــل للظرف. و (ما تركبون) بيان لها. فإذا دخلت (جعل) كان الظرف ومرفوعه فى مقام المفعول الاول و (ما تركبون) هو المفعول الثانى. وعليه تكون (من) فاعلا لا مبتدأ.

ومـــع هـــذا أفـــضل ما ذكرته أولا من أن (لكم) ظـــرف مرتبـــط بالفعـــل (جعـــــل) والجملة (من الفلك والأنعام ما تركبون) تمثل مفعولى (جعل) فـــ (من) مبتدأ منسوخ الابتداء.

أمـــا جعـــل الجملـــة اسمية فلا أقره لما فيه من تمزيق للنص وتقديم وتأخير وحذف وتقدير. وذلك كله لا يليق بالقرآن الحكيم.

أما الآية الرابعة عشرة (وجعلوا له من عباده جزءا) فالظرف (له) مرتبط بـــ (جعلوا) و (من عباده) مفعول أول أى بعض عباده. و (جزءا) مفعول ثان.

يقو ل الزمخشرى: "أى قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهن جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له"[١].

وكأن أصل الجملة (بعض عباد الله جزء له) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٨٩.

وأما الآية الخامسة عشرة (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفونه) فأصلها (بعضكم ملائكة فى الأرض) وهذه جملة مبتدأ وخبر وجملة (يخلفون) حال أى يخلفــون كمــا أن البشر خلفاء فى الأرض حيث قال الله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ٣٠ البقرة.

فالمعنـــى: ولو نشاء لصيرنا بعضكم أيها البشر ملائكة فيكونون خلفاء لله فى الأرض.

وهذا ما يفهم من قول الزمخشرى: "لجعلنا منكم: لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم فى الأرض كما يخلفكم أولادكم. كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل. فتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة. ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتوالد إلا من أجسام. وذات القديم متعالية عن ذلك"(١).

قال أبو حيان: "وهو تخريج حسن"(٢).

وقــد جعــل السمين ما ذكره الزمخشرى أحد تخريجين للبعضية. والتخريج الثانى عن أبى البقاء وهو: لحولنا بعضكم ملائكة"(٣).

هذا هو المعنى الذى ينبع من النص دون ساس له بأدنى شئ يشوبه أو بفض منه.

ولكن يأبى بعض أسلافنا إلا التفريع لمعان لا قيمة لها ولا وزن. ومن ذلك ما نـــسب إلى أبى على الفارسى من أنه جعل (من) بمعنى (بدل) لأن الإنس لا يكون منهم ملائكة.

وهـــناك مـــن يـــرى أنها تجريدية أى لو نشاء لجعلنا منكم مثل الملائكة فلا تعصون كما لا يعصون فأجبرناكم على الطاعة"(٤).

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٠٦.

(٢) البحر ٨/ ٢٥.

(٣) حاشية الجمل ٤/ ٩٣ وانظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١١٩.

(٤) انظر إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ص ٦٦٥. والمغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٥.

وقــد عــرفنا أن اســتعمال (من) فى معنى (بدل) مردود عند جمهور النحاة وخاصة الأندلسيين. ولذا رده أبو حيان(١).

ومـمــا يؤيد هؤلاء أن سيبويه لم يذكره بل لم يشر إليه من بعيد ولا قريب أما جعلها تجريدية فراجع إلى أنها إما ابتدائية وإما بيانية وكلاهما غير واضح هنا فلا يبقى إلا معنى البعضية فهو المستفاد من النص والمؤدى للمراد منه.

١٦- قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ ٣٩ القيامة.

ومــن قــبلها قوله تعالى: أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ - ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ - فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ٣٧: ٣٩ القيامة.

فعلامة الإضمار فى (منه) للمنىّ. والمنىّ جزء النطفة. والخلية المنوية جزء المنــى. فهى بعض البعض. بل إن بعضها هو أصل الإنسان فقد سبق أن ذكرنا أن الخلايــا المــنوية تموت كلها إلا خلية واحدة هى التى يحصل بها الإخصاب وهذا المعنى هو الذى انتهى إليه الشيخ المغربى فقد ذكر أن علامة الإضمار للإنسان. فى قوله تعالى:﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ ٣٦ القيامة أى أنه تعالى بعد أن خلق العلقة فسواها إنسانا خلق من الإنسان الذكور والإناث.

ثم قال: "ويخطر لى هنا أنه – أى الضمير – راجع إلى الماء القليل الذى يصب صبا. فيفيد بذلك زيادة فى تصوير الحالة وتجسيم الغرابة أمام عينى الإنسان فيدرك أن الــزوجين الذكــر والأنثى اللذين يتكون من بينهما البشر لم يخلقا إلا من مويهة حقيرة: حرارة الشمس تطيرها بخارا. ومسحة نعل تلاشيها فلا تبقى لها آثارا"(٢).

وبهــذا كله يتضح بما لا خفاء معه أن (من) هى العنصر الأساسى فى إفادة المعنـــى المراد إذ لو قيل: من منىّ يمنى فجعله الزوجين الذكر والأنثى لما وجدت

---

(١) البحر ٨/ ٢٥.

(٢) تفسير جزء تبارك ص ١١٥.

صفة الإعجاز العلمى الذى وصل إليها اجتهاد عقل البشر بتوفيق الله له. ولو حدث لكانت هناك فجوة بل جفوة بين العقل وهو خلق الله والقرآن وهو وحى الله. وهيهات هيهات أن يحدث مثل ذلك. فلن تزال العقول المستنيرة والقلوب البصيرة تكشف سرا من أسرار خلق الله. فإذا رجعت إلى القرآن وجدته متلوا فى كتاب الله. وهذا غاية التطابق والتوافق والتناسق بين كلام الله وكونه. وسبحان من يعلم أسرار كلماته وكائناته؟!

إحصاء:

بمراجعة عدد مرات وقوع (من) مبتدأ منسوخا يثبت أنها وردت فى القرآن أربعا وثلاثين مرة (٣٤) والناسخ إما (إن) وإما (جعل) وتفصيل ذلك.

١- وقعت (من مبتدأ منسوخا بـ (إن) عشر مرات منها خمس مرات الخبر فيها مرفوع. ومنها خمس مرات الخبر فيها منصوب.

٢- وقعت (من) مبتدأ منسوخا بـ (جعل) أربعا وعشرين مرة منها ثلاث مرات سبقت (من) فيها بواو العطف. وإحدى وعشرون مرة لم تسبق فيها بتلك الواو.

وبذلك يكون عدد مرات (من) مبتدأ غير منسوخ ومبتدأ منسوخاً اثنتين وستين ومائة مرة (١٦٢) تقريباً، وهذا هو الفصل الأول من الباب الثانى.

تعقيب:

لما كانت صفة الإيجاز عامة بحيث تشمل آيات القرآن غالبا رأينا هذه الصفة واضحة جلية فى سبع آيات من هذا الفصل فقد وردت فيها (من) مرة واحدة على حين أن ما بعدها يحتاج إلى مرة ثانية أو ثالثة وسأذكرها على حسب ترتيب سورها فى المصحف.

١- المائدة: قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ ٦٠، أى وجعل منهم الخنازير وجعل منهم عبد الطاغوت.

٢- يونس: قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ ٥٩ ، أى وجعلتم منه حلالا.

٣، ٤- هود: قوله تعالى:﴿ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ ١٠٠ هود أى ومنها حصيد.

وقوله: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ١٠٥ أى ومنهم سعيد.

٥- الرعد: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ ١٠، أى ومن هو سارب بالنهار.

٦- فاطر: قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ ٢٨ ، أى ومنها غرابيب سود.

٧- قوله تعالى: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ ١١٣ الصافات. أى ومنهم ظالم لنفسه.

٨- وقد ذكر أن هذا الإجمال قد فهم تفصيله من آيات كثيرة اشتملت على التفصيل. إذ القرآن يفسر بعضه بعضا ويفصل بعضه بعضا فقد ذكرت (من) ثمانى مرات فى هذه الآيات السبع وبذلك يكون عددها ستين ومائة مرة.

الفصل الثانى

آيــات (مِنْ) الواقعة خبرا وهى نوعان

- النوع الأول: أن يكون الخبر غير منسوخ.
- النوع الثانى: أن يكون منسوخاً.

آيــات النــوع الأول

والمبــتدأ فــى هــذه الآيــات إما أن يكون اسما ظاهراً وإما أن يكون إحدى علامات الإضمار وإما أن يكون اسم إشارة.

آيات الاسم الظاهر وهذا الاسم إما كلمة (كل) وإما غيرها.

فآيات كلمة (كل) ثلاث وهى:

١- قــوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ٨٥ الأنعام.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ٨٥ الأنبياء.

٣- قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ ٤٨ ص.

ولا يخفــى أن التــنوين فــى (كــلّ) عوض من المضاف إليه أى كلهم من الصالحين. كلهم من الصابرين. وكلهم من الأخيار"(١).

---

(١) الكشاف ٤/ ٧٧.

فهـــى معرفة فى الحقيقة. وتنوينها ضرب من الإيجاز فى لغة الإعجاز وهذا واضح لا خفاء فيه.

فـــ (من) خبر أى بعض الصالحين. وبعض الصابرين. وبعض الأخيار.

ولا يخفـــى ما فى هذا التعبير (كل من الصالحين) وسواه من سلاسة وسهولة ويـــسر. وإذا أردت أن تشعر بذلك وتستنبطه فوازن بين (كل من الصالحين): وكل بعض الصالحين. فلا شك أنك تدرك ما فى القرآنى من ذوق رفيع وحكمة بالغة.

وتفـــسير (من) بـــ (بعض) الذى يقتضى أسميتها أغنانا عن الإثقال والإعنات وغيـــرهما ممـــا ندركه من منهج أسلافنا حيث يزعمون أن (من) حرف والخبر ما يقدرونـــه بقـــوله (كائنون) مثلا. ففى هذا من الحيف والتكدير ما نبهنا إليه بقولنا: الحذف: حيف والتقدير: تكدير.

وأما آيات المبتدأ غير (كلّ) فهى أربع:

١- قوله تعالى: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ ٥٠ إبراهيم.

٢- قـــوله تعالـــى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ ٨٥ الإسراء.

٣- قـــولـــه تعـــالـــى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ ٥٤ الرحمن.

٤- وقوله تعالى: ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴾ ٢٧ المطففين.

أى قمـــصانهم بعض تلك المادة المشتعلة. والروح بعض أمر ربى. وبطائنها بعض استبرق. ومزاجه بعض تسنيم.

فالسربال: القميص من أى نوع كان. والقطران ما يتقطر من الهناء وقرئ: من قطر آنٍ أى من نحاس مذاب قد أنى حرها(١).

وقال الزمخشرى فى آية الإسراء: "المراد فى الأكثر بـ (الروح) هو الذى فى الحيوان. فقد سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أى مما استأثر بعلمه... وقيل: القرآن و (من أمر ربى) أى من وحيه. وكلامه ليس من كلام البشر"(٢).

ورجح بعض العلماء الثانى فقد سمى الله الوحى روحا فى قوله من سورة النحل: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾ ٢ وقال فى سورة الشورى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾٥٢.

بل إن سياق آية الإسراء ولحاقها يجعلان هذا المعنى هو المراد فمن سياقها قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾ ٨٢ الإسراء. ومن لحاقها قوله: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ ٨٦.

ولذلك رجح الإمام الشيخ شلتوت بل صحح هذا المعنى(٣).

فالوحى من أمر الله لا غيره. ولا يمكننا الاستغناء عن (من) لأنها صلب المعنى وعنصره الأسمى إذ ليس القرآن كل أمر الله. فلا يجوز دعوى زيادتها. ولا جعلها بيانية لأن هذا المعنى يقتضى أنها زائدة كما علمنا ومع ذلك رأينا من يقول به(٤).

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص ٢٢٩، ٤٠٧، وأن حرُها اشتد.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٣٨.

(٣) انظر الفتاوى ص ٢٠.

(٤) انظر إرشاد العقل السليم ٥/ ١٤٨. وروح المعانى ٤/ ٥٨٠.

هذا: ويرى الراغب أن معنى (أمر ربى) هو: إبداع ربى أى: قل الروح من إبداع ربى أى بعض إبداعه فالله مبدع الكائنات كلها روحها ومادتها"[١].

وفـــى آية الرحمن بيان أن فرش أهل الجنة لها ظهائر وبطائن. فبطائنها: من إستبرق وهو ما غلظ من الديباج وظهائرها من سندس. وقيل: من نور[٢].

"ومعنى (مزاجه) فى آية المطففين ما يخلط به الرحيق أى الخمر الخالصة من الدنس (المختوم) على إنهائها لا يفك ختمة إلا هم. فالضمير فى (مزاجه) عائد على (الــرحيق المخـــتوم) أى خلطه من تسنيم وهو عين بعينها سميت بالتسنيم الذى هو مـــصدر سنَّمه أى رفعه إما لأنها أرفع شراب فى الجنة وإما لأنها تأتيهم من فوق. فقـــوله (عينا) بعد (من تسنيم) تفسير له. وهو منصوب بـــ (أمدح) مقدرا أى أمدح عينا يشرب بها المقربون"[٣].

فـــــ (من) اسم بمعنى (بعض) فى تلكم الآيات وهى الخبر دون تكدير صفو النص بتقدير (الكينونة) والحيف عليه بدعوى حذف لا حاجة إليه.

آيات: المبتدأ فيها من علامات الإضمار. وهى: أنا وأنت وهو وهم.

١- ورد (أنا) مبتدأ خبره (من) فى خمس آيات هى:

قــوله تعالى: ﴿ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ ٨١ آل عمران. وقوله: ﴿ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ٩٠ يــونس. وقوله: ﴿ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ ٥٦ الأنبياء. وقوله:﴿ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ٢٠ الشعراء. وقــوله : ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ ٩٢ النحل.

---

(١) انظر المفردات فى غريب القرآن ص ٢٤.

(٢) انظر الكشاف ٤/ ٣٦٠ وتفسير الجلالين ص ٤٥١.

(٣) انظر الكشاف ٤/ ٥٧٧ وتفسير الجلالين ص ٥٠٥.

فالمتكلم إما بعض الشاهدين. وإما بعض المسلمين.

وإمـــا بعـــض الضالين. وإما بعض المنذرين. فـــ (من) هى الخبر لأنها اسم بمعنى (بعض). وهى واسطة العقد ولب المعنى.

والمـــراد بـــــ (أنا) فى الآية الأولى الله عز وجل. لأن تلك الفقرة خاتمة آية الميـــثاق الذى أخذه الله على النبيين أن يؤمنوا بالرسول الذى يجئ مصدقا لما معهم وهـــو محمد عليه السلام. فلما قالوا: أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين. وموضـــع (معكم) الأعرابي هو: الحال أى حالة كونى مصاحبكم. ومجئ الحال من المبـــتدأ لا غـــبار علـــيه كما قرره إمام النحاة سيبويه وتأمل: لو جاء التعبير: وأنا شاهد. هل كان المعنى قريبا مما ورد النص عليه؟

علـــى أننى لا أمنع أن يكون (معكم) هـــو الخبـــر و (من الشاهدين) حـــال. ولا يستغنى المقام عن الحال كما فى قولنا: أنا معك فى المسجد فالظرف كأنه المتمم للمعنى كما فى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ٤ الحديد.

وأمـــا آية يونس فعلى لسان الطاغية فرعون حينما أدركه الغرق قال: "آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين" أى بعضهم. وأنى يقبل هذا الإيمان؟!

وأمـــا آية الأنبياء فهى على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام حينما رد حجة أبيه وقومه فى عبادة غير الله " قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين".

وجاءت آية الشعراء على لسان سيدنا موسى عليه السلام فى محاورة فرعون لـــه حيث قال: "ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين. وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين. قال فعلتها إذا وأنا من الضالين" فمن نكد الحياة أن يزعم طاغية من الطغاة كفر هاد من الهداة. والحق أن النبى قبل النبوة لا يوصف بالكفر

وإنما يوصف بالضلال ومن ثم قال موسى: "فعلتها إذاً وأنا من الضالين" وتلك سنة الله فى أنبيائه. ألم نقرأ قوله تعالى فى حق سيد الأنبياء وخاتم الرسل: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ ٨ الضحى.

ثم جاءت آية النمل على لسان سيدنا محمد عليه السلام فقد قال الله: "وأمرت أن أكون من السلمين. وأن اتلوا القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل إنمـــا أنا من المنذرين" أى بعض الذين ينذرون أقوامهم ويحذرونهم من الوقوع فى الشر. ويحضونهم على الاستمساك بحبل الله المتين ودينه المستقيم.

٢- وردت (أنت) مبتدأ و (من) خبرا فى أربع آيات هى:

قــوله تعالى: ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ ١٩، ١٥٣، ١٨٥ الشعراء.

والخطاب فى الأولى لموسى عليه السلام وقد ذكرت آنفا. والخطاب فى الثانية لــصالح عليه السلام. وفى الثالثة لشعيب عليه السلام. و (المسحرين) الذين سحروا كثيرا. فــ (من) اسم بمعنى (بعض) خبر (أنت).

والآية الرابعة هى قوله تعالى: ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾ ٤٣ النازعات.

فالإنكار منصب على سؤال المرتابين الشاكين فى أمر الساعة ووقوعها. ومن بعد ذلك جاء تقرير وبيان شأن رسالة الرسول عليه السلام وموقفه من أمر الساعة فهو أمارة قربها وعلامة وقوعها وبعض ذكراها.

وهــناك وجهــان آخــران (أحدهما) أن (فيم) تعجيب من كثرة ذكره – عليه السلام – لها. والمعنى: أنهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها.

وواضـــح أن هذا المعنى فيه ما يشبه العتاب الموجه إلى رسول الله ﷺ وما هذا بلائق ولذا رده ابن المنير بقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ ١٨٧ الأعراف لأن معناه أنك لا تحتفى بالسؤال عنها ولا تهتم بذلك[١].

والوجه الثانى: أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى أى فى أى شئ أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به. يعنى: ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شئ"[٢].

والظاهــر أن الإنكـــار على هذا الوجه متجه إلى فعل حصل من النبى ﷺ. وهذا غير لائق إذ لا يعقل أن يحدث مثله من مثله عليه السلام حتى لا يستحق لوما ولا إنكارا.

وعلى هذا يخلو للمعنى المراد بهذه الآية الوجه الأول الذى ارتضيناه.

٣- ورد (هو) مبتدأ خبره (من) و (هو) ظاهر خمس مرات هى:

قــوله تعالى: ﴿ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ ٨٥ آل عمران وقوله: ﴿وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ ٥ المائدة. وقوله: ﴿ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ و﴿ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ ٢٦، ٢٧ يوسف وقــوله: ﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ ٦١ القصص.

ومرجع الضمير فى الأولى قوله تعالى: "ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل مــنه" وفـــى الثانية قوله: "ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله" و (هو) مبتدأ و (من الخاسرين) خبر أى بعضهم وأما (فى الآخرة) فهو ظرف فى محل نصب حالا.

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ٥٥٨ وهامشها.

(٢) انظر الكشاف ٤/ ٥٥٨ وحاشية الجمل على السمين ٤/ ٤٨٥.

وآيتا سورة يوسف فى حق يوسف ثم حق امرأة العزيز. "فصدقت وهو بعض الكاذبين؛ فكذبت وهو بعض الصادقين.

وآيــة القصص فى حق من ذكره الله فى قوله: "أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين أى الذى متعناه متاع الحياة الدنيا. وفى قوله تعالى: "ثم هو يوم القيامة من المحضرين" من التهديد والوعــيد مالا يخفى على ذى عقل وبصيرة. و (يوم القيامة) ظرف و (هو) مبتدأ و(من المحضرين) أى بعضهم خبر.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ ٥٣ النحل.

وفيها يقــول الزمخشرى: "أى وأى شئ حل بكم أو اتصل بكم من لعنة فهو من الله"(١).

أى من نعمة الله" فهو: مبتدأ و (من) بمعنى (بعض) خبر على تقدير مضاف وهذا أوجه رأى فيها: وقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ ١٥ القصص. وإنما أخرت الحديث عنها لأن صدر الصلة لـم يذكر بل يدركه العقل أى الــذى هو من شيعته على الــذى هو من عدوه.

وممــا يزكــى تقدير (هو) مرتين فى هذه الآية ذكــره صــريحا فى آيــة بعــدها من السورة نفسها وهى قــوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ﴾ ١٩ القصص.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٧٥.

فالقرآن يفسر بعضه بعضا حتى لا يحتاج إلى التدخل فيه بما يعيبه ويؤذيه.

وبـــذلك يتبين أن (من) وقعت خبرا عن (هو) ظاهرا خمس مرات فى خمس آيات وعنه مقدرا خمس مرات فى ثلاث آيات.

٤- آيـــات المبتدأ فيها اســـم إشـــارة وهـــو: إما (هـــذا) وإما (ذلك) وإما (تلك) وإما (أولئك).

١- وردت (هذا) فى آيتين هما قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى ﴾ ٤٠ النمل وقوله: ﴿ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ﴾ ١٥ القصص.

وواضـــح أن (هذا من) ذكرت أربع مرات أى هذا بعض فضل ربى وهو من كلام سليمان عليه السلام. وهذا بعض شيعته وهذا بعض عدوه وهما فى شأن موسى عليه السلام. وهذا بعض عمل الشيطان. وقائله موسى عليه السلام.

٢- وردت (ذلك) فى ثمانى آيات وهى:

قـــوله تعالـــى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ ٤٤ آل عمران وقـــوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ ٢٦ الأعـــراف. وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ﴾ ١٠٠ هـــود. وقـــــوله: ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ ٣٧، ٣٨، ١٠٢ يوسف. وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ

﴿أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾ ٣٩ الإســــــراء وقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ١٧ الكهف.

فـــ (ذلــك) مبتدأ ومن البدهي أن (ذا) هو اسم الإشارة في محل رفع واللام تفـيد بعـد المـشار إلـيه للتعظيم أو لغيره. والكاف حرف خطاب لا محل له من الإعراب.

والخبر (من) في محل رفع إذ هي بمعنى (بعض).

والمشار إليه في آية آل عمران هو أمر زكريا عليه السلام. وعلى الرغم من وضوح المعنى ويسر الإعراب نرى أبا البقاء يقول: "يجوز أن يكون التقدير: الأمر ذلك. فعلى هذا يكون (من أنباء الغيب) حالا من (ذا) ويجوز أن يكون (ذلك) مبتدأ و (مــن أنباء) خبره. ويجوز أن يكون (نوحيه) خبر (ذلك) و (من أنباء) حالا من الهــاء في (نوحيه). ويجوز أن يكون متعلقا بــ (نوحيه) أي الإيحاء مبدوء به من أنباء الغيب"(١).

فهــذه أوجــه أربعة ذكرها أبو البقاء لا لشئ إلا لإظهار القدرة على تشقيق القول وتفريق لبنات النص. وما ذلك بلائق بجلال كلام الله.

والــذي نراه أعدلها وأقومها وأليقها بالقرآن الكريم هو الثاني الذي أشرنا إليه فيما سبق وقد ذكره أبو حيان بقوله: "ذلك: مبتدأ و (من أنباء) خبر و (نوحيه) جملة مستأنفة. والضمير في (نوحيه) عائد على الغيب أي من شأننا أننا نوحي إليك الغيب ونعلمك به ... ثم راح يذكر غيره من الآراء التي لا نرضى بها ولا عنها(٢).

وهذا الوجه هو الذي جعله أبو البقاء الثاني. وأما الأول فقد أبيناه لما فيه من تقديــر مبــتدأ لا حاجــة إليه وهو: الأمر ذلك. وأما الثالث ففيه تقديم الحال على صاحبها وهذا خلاف الأصل فلا ينبغي تخريج القرآن عليه.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٧٥.

(٢) البحر ٢/ ٤٥٨.

وأمـــا الـــرابع ففـــيه تقديم (من أنباء) على (نوحيه) ولا يليق هذا إلا بموطن الضرورة والقرآن ليس موطنا لها.

هذا: ومما ينبغى الالتفات إليه أن أبا البقاء فسر (من) بـــ (بعض) على وجهى الخبر والحال. وجعلها حرف ابتداء على جعلها متعلقة بـــ (نوحيه).

والحـــق أن الآيـــة فى غنى عن كل هذا الإرهاق الذهنى. إذ معنى البعضية واضح كل الوضوح.

وممـــا يزيدنا يقينا على يقين تفسير (من) بـــ (بعض) فى غير هذه الآية فقد قـــال الزمخـــشرى فى آية هـــود: "ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك"(١).

وقال أبو حيان والسمين فى آية الإسراء: "من: للتبعيض وهى واقعة خبرا عن (ذلك) لأن هذه بعض ما أوحاه الله تعالى لنبيه"(٢).

وعلى هذا لا حرج علينا فى جعل (من) بمعنى (بعض) فى سائر الآيات حتى يستقيم المنهج ويتيسر فهم المعنى ويسهل الإعراب الذى هو فرع المعنى. فنقول فى آية الأعراف: ذلك بعض آيات الله. وفى آيات يوسف: ذلكما بعض ما علمنى ربى.

ذلك بعض فضل الله علينا ... ذلك بعض أنباء الغيب.

هـــذا: وهـــناك آية وردت فيها (من) يحتمل فيها أن تكون خبرا وغيره وهى قـــوله تعالـــى:﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ ٥٨ آل عمران وفيها يقول الزمخشرى: "ذلك: إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبـــتدأ خبره (نتلوه) و (من الآيات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون (ذلك) بمعنى (الذى) و (نتلوه) صلته و (من الآيات) الخبر.

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٣٣.

(٢) البحر ٦/ ٣٨ وحاشية الجمل ٢/ ٧٤٨.

ويجـوز أن ينتصب (ذلك) بمضمر تفسيره (نتلوه). و (الذكر الحكيم) القرآن وصف بصفة من هو سببه. وكأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه""(١).

يتضح من هذا النص ما يأتي:

(أ) أن (ذلك) إما اسم إشارة وإما اسم موصول هذا من حيث نوعه. وإما فى محل رفع وإما فى محل نصب من حيث إعرابه.

(ب) فـإن كان مرفوعا فخبره إما جملة (نتلوه) و (من الآيات) خبر ثان فهو متعدد بـدون عاطف. وذلك جائز إذا كانت الأخبار لمبتدأ واحد ولم تكن فى معنى خبر واحد"(٢).

ومـن ذلـك قـوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ - ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ - فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ ١٤: ١٦ البروج.

ويخـرج بقولهم: (لم تكن فى معنى خبر واحد) قولهم (الرمان حلو حامض) فليس من تعدد الخبر لأنهما بمعنى (مز).

فـ (من) على هذا اسم بمعنى (بعض) فى محل رفع خبرا ثانيا. و(ذلك) اسم إشارة. أى ذلك متلو عليك وبعض الآيات والذكر الحكيم والمراد بـ (الآيات والذكر الحكـيم: القرآن. ومما يرجح ذلك قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ - رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ - ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ - وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ - مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ - وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٨١.

(٢) انظر البحر ٢/ ٤٧٦.

نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ - لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ - مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ - إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ ١، ٩ الحجر. فهو (كتاب) أى مكتوب. و (قرآن) أى مقروء. و (ذكر حكيم) أى يذكر بكل شئ نافع حتى يحرص عليه البشر. أو ضار لينأوا عنه وينفروا منه.

ويرى الرازى أن المراد بـ (الآيات) العلامات الدالة على ثبوت رسالة النبى محمد ﷺ. لأنها أخبار لا يعلمها إلا قارئ من كتاب. أو من يوحى إليه.

فظاهر أنك لا تكتب ولا تقرأ فبقى أن ذلك من الوحى"[١].

(ج) يجوز أن يكون (من الآيات) خبرا لمبتدأ محذوف. والمعنى: ذلك نتلوه عليك وهو من الآيات والذكر الحكيم. أى بعضها. فهى اسم بمعنى (بعض). وهذا على جعل (ذلك) اسم إشارة أيضا. فهو مرفوع مبتدأ.

(د) فإذا كانت (ذلك) اسما موصولا كانت جملة (نتلوه) لا محل لها من الإعراب صلة. و (من الآيات) خبر أى بعضها. و (ذلك) مرفوع مبتدأ.

(هـ) ويبقى وجه نصب (ذلك) وقد ذكره الزمخشرى أى نتلو ذلك نتلوه فنصبه بما يفسره المذكور وهو جملة (نتلوه) فلا محل لها من الإعراب وهذا من باب ما يسمى بـ (الاشتغال) فى النحو العربى. والحق: أنه من باب حذف شئ للدلالة عليه بما هو مذكور. وذلك فن بلاغى بيانى رفيع المستوى لما فيه من الاعتماد على العقل الذى هو خلق الله فى فهم القرآن الذى هو وحى الله كما نبهنا ونوهنا كثيرا[٢].

---

(١) من مفاتيح الغيب ٢/ ٤٨٤.

(٢) انظر كتابنا (أسرار النحو فى ضوء أساليب القرآن جـ ٣ ص ٥٨٢ فما بعدها.

وإعــراب (من الآيات) على هذا الوجه أنه حال أى حالة كونه بعض الآيات والذكر الحكيم. فهى اسم بمعنى (بعض).

وهكذا نرى معنى (بعض) سائغــا واضحا يسيــرا على جميع هــذه الأوجه فى الآية.

ولكننا لا نلبث – هنا – حتى نرى خلاف النحاة يظهر قرنه لينبئ عن نفسه. فهناك من يرى أنها (بعضية) إذا أريد بالذكر: القرآن.

وابتدائية إذا أريد به اللوح المحفوظ[١].

وأرى أن البعــضية هى الواضحة حتى على هذا المعنى. أليس المتلو بعض اللوح المحفوظ؟

ومنهم من يرى أنها بيانية وقد تكفل أبو حيان برده قائلا: "ولا يتأتى ذلك هنا من جهة المعنى إلا بمجاز لأن تقدير (من) البيانية بالموصول.

ولو قلت: ذلك نتلوه عليك الذى هو الآيات والذكر الحكيم لاحتيج إلى تأويل. لأن هذا المشار إليه من نبأ من تقدم ذكره ليس هو جميع الآيات والذكر الحكيم إنما هــو بعــض الآيات فيحتاج إلى تأويل: أنه جعل بعض الآيات والذكر هو: الآيات والذكر على سبيل المجاز.

وممن ذهب إلى أنها لبيان الجنس أبو محمد بن عطية وبدأ به ثم قال: ويجوز أن تكون للتبعيض"[٢].

وذكر الألوسى أن معنى التبيين بعيد[٣].

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم ٢/ ٤٢٥هـ الرازى وروح المعانى ١/ ٦٠٠.

(٢) البحر ٢/ ٤٧٦، ٣/ ٣٦ وانظر المحرر الوجيز ٢/ ٢/ ١٠٩.

(٣) روح المعانى ١/ ٦٠٠.

فالمقــام مقــام اسمية (من) لأنها بمعنى (بعض) وهى خبر على جعل (ذلك) مــرفوعة سواء أكانت اسم إشارة أم اسما موصولا. وحال على جعل الآية من باب عدم ذكر العامل للدلالة عليه وهو ما يسمى بـــ (الاشتغال)، وهو لا حقيقة له.

وبهــذا يتبين أن ذكر هذه الآية فى فصل (من) الواقعة خبرا أحق وأجدر لأن وجــه نصب (ذلك) ليس على الأصل. وعليه تكون (من) خبرا عن (ذلك) فى تسع آيات لا فى ثمانية.

٣- وردت (مــن) خبــرا عن (تلك) فى آية واحدة وهى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ﴾ ٤٩ هود.

ويقــول فيها أبو السعود: "من أنباء الغيب: أى من جنسها أى ليست من قبيل سائر الأنبياء بل هى نسيج وحدها منفردة به عما عداها. أو بعضها"(١).

وظاهر هذا النص أن (من) إما بيانية وإما بعضية. وقد علمنا ما فى الأول فلا داعى إليه. وعليه فهى بعضية فى محل رفع خبرا على الوجهين معا والمشار إليه هو قصة نوح عليه السلام.

٤- وردت (مــن) خبــرا عــن (أولـــئك) فى آية واحدة هى: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ١١٤ آل عمران. أى بعضهم.

---

(١) إرشاد العقل السليم ٣/ ٢٧.

آيـات النوع الثانى

وهو ما تقع فيه (من) خبرا عن مبتدأ منسوخ.

والناسـخ فـى هـذه الآيات من ثلاثة أبواب نحوية: باب: كان. وباب: إن. وباب: ظن.

فمن باب (كان) فعلان هما: كان وأصبح.

آيات: كان وهى ثمانى عشرة ومائة آية من السور الآتية:

البقـرة: ومـنها سـبع آيات هى قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ٣٤ ﴿ وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ٣٥ ﴿ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ ٦٤ ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ ٦٧ ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ ١٣٥ ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ ١٤٧ ﴿ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ١٩٨.

والفعـل فى هذه الآيات للمفرد المتكلم (أكون من الجاهلين) والمخاطب (فلا تكـونن من الممترين) وللمثنى المخاطب (فتكونا من الظالمين) ولا يخـفى أنه من قبيل المضارع.

ويكون ماضيا للجمع المخاطب (لكنتم من الخاسرين) (وإن كنتم من قبله من الضالين).

وللمفـرد الغائـب: (وكان من الكافرين) (وما كان من المشركين) وفى هذا الأسلوب من البلاغة وعمق المعنى ما أشرنا إليه فيما سبق وهنا يقول الألوسى عند

قــوله تعالــى: (فتكونا من الظالمين) "ولم يكتف بأن يقول: ظالمين، بل قال: (من الظالمــين) بناء على ما ذكروا من أن قولك (زيد من العالمين) أبلغ من (زيد عالم) لجعلــه عــريقا فى العلم أباً عن جد. وإن قلنا بأن (تكونا) دالة على الدوام إزدادت المبالغة"(١).

وقـــال أبــو حــيان عند قوله تعالى: (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين): فيه تــصريح أن ثــم جاهلين واستعاذ بالله أن يكون منهم. وفيه تعريض أنهم جاهلون وكأنه قال: أن أكون منكم لانهم حوزوا على من هو معصوم من الكذب وخصوصا فى التبليغ عن الله أن يخبر عن الله بالكذب"(٢).

وباللمحــة يــدرك القارئ أن (من) بمعنى (بعض) فهى اسم فى محل نصب خبرا لــ (كان) وغيره من صيغ هذه المادة. وقد صرح بعض العلماء بذلك فى قوله تعالى: (لكنتم من الخاسرين): (من) فى محل نصب خبر (كان) وهى للتبعيض(٣).

ولمــا كان هذا التعبير يقتضى وجود جمع ينتمى إليه المتحدث عنه اختلف أسلافنا فى آية إبليس (وكان من الكافرين) من حيث: وجود كفرة من قبله حتى يكون واحدا مــنهم. فقــال قوم: إنه يدل على ذلك لان كلمة (من) للتبعيض. وإنما يذكر البعض الموجود إلى كل موجود لا إلى كل سيوجد. ومما يؤكد ذلك ما روى عن ابن بريده أنــه قــال: إنه تعالى خلق خلقا من الملائكة ثم قال لهم: إنى خالق بشرا من طين. قالوا: لا تفعل. ذلك الكفر. فبعث الله نارا فأحرقتهم. وكان إبليس من أولئك"(٤).

وفــى هذا الكلام مجازفة وجرأة على رب العزة وإله الرحمة إذ كيف نصدق ذلك مع أننا نقرأ نصا قرآنيا لا تحوم حول شبهة ولا يعتريه ريب وفيه هذا المعنى

---

(١) روح المعانى ١/ ١٩٦.

(٢) البحر ١/ ٢٥٠.

(٣) انظر حاشية الجمل ١/ ٤٧.

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان هــ الطبرى ١/ ٢٤٥. و: من مفاتيح العلوم ١/ ٣١٤.

ومع ذلك لم يحرقهم الله. اقرأ معى قوله تعالى: "**وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء...** إلى آخر الآيات التى جرت فيها المحاورة بين الله وملائكته حتى تلك الآية التى وصف بها إبليس بالإباء والاستكبار وصيرورته بعض الكافرينز

ومن ثَمَّ وجدت الزمخشرى يقول: "وكان من الكافرين: من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك أبى واستكبر كقوله: "كان من الجن ففسق عن أمر ربه"(١).

وقال الألوسى: "وقيل: كان من القوم الكافرين (الذين كانوا فى الأرض قبل خلق آدم"(٢).

ووجود قوم قبل خلق آدم مسألة تحتاج إلى نص يقينى لا تحوم حوله شبهة. وأنى يكون ذلك!!

ولعل هذا هو السر وراء من جعل (كان) بمعنى (صار) لأنه يفيد التحول من حال إلى حال فيكون مستقبل الدلالة لا ماضى الزمان وورود (كان) بمعنى (صار) ليس بغريب على اللغة العربية ولا على القرآن حيث يقول الله: ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا - وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴾ ١٩، ٢٠ النبأ فقد ذكر الأشمونى أن معنى (كان): صار(٣).

فأى مانع من إرادة هذا المعنى فى آية إبليس؟!

وعلى الرغم من ذلك رأيت من يمنعه. يقول ابن فورك: "كان: هنا بمعنى: صار خطأ ترده الأصول"(٤).

---

(١) الكشاف ١/ ٩٥.

(٢) روح المعانى ١/ ١٩٣.

(٣) منهج السالك ١/ ٢١٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ص ٥٣.

وقـد يكون قول الألوسي: "لأنه كان الظاهر حينئذ (فكان) بالفاء[1]" تعليلا له. لأن الفـاء تثـبت أن صيرورته كافرا متفرعة ومتسببة عن إبائه واستكباره. وعدم وجود الفاء لا يفيد ذلك إذ الواو تجمع بين صفات متعددة لنفس واحدة.

هذا ما يفهم من كلام ابن فورك. ولكنى أقول: إن جعل (كان) بمعنى (صار) لا تمـنعه الواو إذ لا مانع من أن يكون معنى الآية أن إبليس لمَّا أمره الله بالسجود لآدم حصل له الإباء وهو صفة ذاتية أى نفسية لا تتعدى الموصوف بها إلى سواه. وحـصل لـه الاسـتكبار وهى صفة مشتركة لأنها تتعدى صاحبها إلى غيره الذى يستكبر عليه ذاك الموصوف. وحصل له صيرورته من الكافرين أى بعضهم فمعنى الصيرورة لا يتعارض مع معنى الواو. وخاصة إذا كانت للترتيب.

كما يرى جمهور غفير من النحاة

هذا: وهناك آية أخرى ذكرت فيها الفاء وهى قوله تعالى: ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ ٥٠ الكهف وفيها يقول الزمخشرى: "كان من الجن: كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين كأن قائلا قال: ما له لم يـسجد؟ فقيل: (كان من الجن ففسق عن أمره ربه) والفاء للتسبب أيضا جعل كونه من الجن سببا فى فسقه لأنه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله لأن الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس"[2].

ولا ينبغى أن يقال: إن إفادة الواو الترتيب ليس معناها التسبيب إذ مما لا شك فيه أن قولنا: ترتب كذا على كذا أنه لو لم يوجد الأول لما وجد الثانى. فالصفات فى سـورة البقرة ترتب الثانى منها على الأول والثالث على الثانى فالاستكبار نابع من الإبـاء وصادر عنه وصيرورته بعض الكافرين نابت من بذرة الاستكبار فالمعنى المراد بالآية هو الذى يكشف الستار عن معانى كلماتها.

---

(١) روح المعانى ١/ ١٩٣.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٦٧: ٥٦٨.

وقــد تنوعت الآيات فى حق إبليس فقد علمنا ما وردت فيه الواو وما وردت فــيه الفــاء. وهــناك ما وردت فيه (مع) وذلك قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ - قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ ٣١، ٣٢ الحجر.

فالنفــى منصب على مصاحبته للساجدين الذين سجدوا عند أمر الله لهم وهم الملائكة.

هــذا: وممــا يتم به البحث هنا أننا وجدنا آية البقرة جامعة بين صفات ثلاث وهى الإيماء والاستكبار ثم صيرورته بعض الكافرين. وهذا إجمال جاء تفصيله فى ســورة أخرى. ففى سورة الحجر "إلا إبليس أبى أن يكون" ففيها الإباء وحده. وفى ســورة ص: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ٧٤. ففــيها الاستكبار وصيرورته بعض الكافرين. وأما آية البقرة ففيها الثلاثة.

وأرى أن (يكــون) و (تكــون) فى آيتى الحجر من (كان) التامة أى أبى أن يوجد مع الساجدين. وما لك ألا توجد مع الساجدين.

أمــا قــوله: ﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ ١٠ الأعراف فــ (يكن) من (كان) الناقصة. ولكل مقام معنى ومقال.

آل عمران: ومنها ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ ٦٠ ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ ٦٧، ٩٥.

الآية الأولى في شأن محمد ﷺ وصدرها: "الحق من ربك فلا تكن من الممترين" أي بعضهم والآيتان الثانية والثالثة في حق إبراهيم عليه السلام. فصدر الأولى: "وما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين" وصدر الثانية: "قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين" أي بعضهم فـ (من) في الجميع اسم بمعنى (بعض) خبر (كان).

النساء في آية واحدة مرتين وهي:

قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ ٩٢.

أي فإن كان القتيل بعض قوم" وإضافة (من) إلى (قوم) قد تفيد أن القتيل من الرجال لأن كلمة (قوم) بهذا المعنى كما في قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ ﴾ ١١ الحجرات. ولكني أقول: وردت (قوم) في آيات كثيرة والمراد بها الرجال والنساء معا ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ وقوله ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ٧٠، ١٠٥ الشعراء وغير ذلك. فلا يعقل أن يكون النبي مرسلا للرجال دون النساء. وعلى هذا يكون قوله (من قوم بينكم ... الآية) مرادا به الرجال والنساء. ومما يزكي ذلك أن كلمة (قتيل) يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث. فإذا قيل: قتيل بني فلان. احتمل أن يكون رجلا وأن يكون امرأة.

هذا: وعلى الرغم من وضوح معنى الآية ودلالة (من) على البعضية يأبى بعض أسلافنا إلا أن يجعل (من) بمعنى (فى) ففى الاتقان يقول السيوطى: "فى الشامل عن الشافعى أن (من) فى (من قوم عدو لكم) بمعنى (فى) بدليل قوله: وهو مؤمن"[١].

وكذا ذكره الرازى[٢].

وإذا تذكرنا ما يراه الفراء من أن (فى) تدل على معنى (بعض) كما فى قولنا: فينا الصالحون. علمنا أنه لا داعى لجعل (من) وهى بمعنى (بعض) مباشرة بمعنى (فى) التى هى بمعنى (بعض). هذه واحدة، وأخرى وهى أنه لابد من فرق بين قولنا: (فينا الصالحون) وقولنا (منا الصالحون) إذ الأول يدل على الاختلاط فكأن الصالحين قد امتزجوا بنا على عكس (منا الصالحون) ففيه معنى التمييز والانفرادية. فشتان بينهما. ومن ثم أرى أن (من) بمعنى (بعض) فهى اسم. على حين لم نعلم أحد اجعل (فى) اسما بمعنى (بعض) لتأصل معنى الظرفية فيها اللهم إلا ما جاء عن الكوفيين من قولهم. لا يجوز: صمت فى يوم لأن (فى) بمعنى (بعض) والصوم لابد أن يستغرق اليوم كله إذ لا يقبل التبعيض وهناك من يرى أنها اسم بمعنى (داخل) كما سبق فى الدراسة التمهيدية. فهى حينئذ ظرف.

بهذا كله يخلو لـــ (من) فى موضعيها من آية النساء وجه البعضية.

المائدة: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ ٢٩ وقوله: ﴿ وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ ١١٣.

---

(١) الإتقان ١/ ١٧٦.

(٢) انظر: من مفاتيح الغيب ٣/ ٢٩٨: ٢٩٩.

والأولى من قول أحد ابنى آدم للآخر: "إنى أريد أن تبوأ بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين" أى فتصير بعضهم.

والثانية من كلام الحواريين مع المسيح عليه السلام بشأن المائدة التى أرادوا أن ينــزلها الله عليهم من السماء ليأكلوا منها وتطمئن قلوبهم ويعلموا أن المسيح قد صدقهم. ويكونوا عليها بعض الشاهدين.

والظــرف (علــيها) مــرتبط بالفعل من قبله (نكون) و (من) خبره فى محل نصب.

الأنعام: فى تسع آيات هى:

قوله تعالى:﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ١٤ وهى خطاب للنبى ﷺ

وقوله: ﴿ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٢٧. وهما من قول الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون حينما يقفون على النار فيتمنون ذلك. وهــيهات. بــل قــال الله فيهم بعد ذلك: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ ٢٨ وقوله: ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ٣٥ هى خطاب للنبى ﷺ.

وقوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ٥٢ . خطــاب لمحمد عليه السلام. وقوله: ﴿لَئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ ٦٣ وهــى فى حق الذين لا يخلصون الدعاء إلا وقت الشدة والكرب فإذا انفك عنهم رجعوا إلى عادتهم. وقوله:

﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ ٧٥ وقوله: ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ٧٧ وهما فى حق إبراهيم عليه السلام. وقوله: ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ ١١٤ وهى خطاب لمحمد عليه السلام. وقوله:﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ١٦١. وصدر هذه الآية خطاب للنبى محمد ﷺ . ونهايتها فى حق إبراهيم عليه السلام.

ولعل القارئ فى غنى عن تنبيهه إلى أن (من) فى جميع هذه الآيات هى خبر كان وما تصرف منها لأنها أسم بمعنى (بعض) فهى فى محل نصب.

الأعراف: فى ثلاث عشرة آية هى:

قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ ١١ وقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ١٩ وقوله: ﴿ وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ ٢٠ وقوله: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ ٢٣ وهذه الآيات فى حق إبليس وآدم وحواء كما هو واضح. وقوله: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ٧٠ وهى من قول عادٍ لنبيهم هود عليه السلام. وقوله: ﴿ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ

مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ ٧٧ وقـــوله: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾ ٨٣. وقـــوله: ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ١٠٦ خطـاب مـن فـرعون لموسى عليه السلام. وقوله: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ ١٤٤. وقــوله: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ ١٤٩ وقوله: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ ١٧٥. وقــوله: ﴿ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ ١٨٩ وقــوله: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ ٢٠٥.

ولعل القارئ قد علم ما وردت فى حقه كل آية من هذه الآيات. وقد أيقن عقله واطمـأن قلـبه بأنهـا ليست فى حاجة إلى تكدير صفوها بتقدير شئ إذ (من) اسم بمعنى (بعض) فى محل نصب خبر (كان) وما تصرف منها.

ومع هذا أرى أننى لابد من الإتيان ببعض نصوص لبعض العلماء فى بعض هذه الآيات.

ففـــى آيـــة امـــرأة لوط (كانت من الغابرين) يقول الألوسى: "أى بعضا منهم فالتذكيـــر للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشر للفاحشة. ثم جوَّز أن يكون المعنى: كانت مع القوم الغابرين فلا تغليب"(١).

وقد عرفنا آنفا استعمال (قوم) فيما تشتمل على الرجل والمرأة.

وعلى هذا لا يبقى فى نص الألوسى إلا قوله (بعضا منهم) ففيه من السعة ما يجعلـــه مـــردودا ممجـــوجا لأن (بعضهم) يغنى عنه ويؤدى المعنى المراد ثم قوله (كانـــت مـــع القـــوم الغابرين) فلا تغليب. إذ لا مانع من كون المرأة مع الرجال. فالمعـــية أى المـــصاحبة غير البعضية أى المقابلة ومع جواز هذا المعنى أرى أن النص مستغن عنه إذ ما الداعى إلى استبدال كلمة بكلمة قرآنية؟ وقد حققنا فى الباب الأول أن اختـــيار الكلمة القرآنية ومكانها بلغ من الدقة والإحكام حالا ولن يستطيع أحـــد أن يعدله أو يبدله. فكلمة (من) تثبت أن جرم امرأة لوط بلغ من الفحش مبلغ جرم الرجال حتى كأنها رجل فى قسوة القلب وغلظ الحس ونكران المعروف. وذلك مالا يوجد فى (مع) التى تجعلها منفردة بما ارتكبته.

ولعل هذا هو السر فى قوله الله: ﴿ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ ٤٣ آل عمـــران. فلم يقل (من الراكعين) ليثبت أنها فرد مستقل بما اختصها الله من فضل وإكرام وتميز عن سائر بنات جنسها فكانت مع القانتين لا منهم أى لا بعضهم.

وممـــا يثبت هذا الفرق أننا نقول: النساء مع الرجال فى السلم الوظيفى. ولا نقول: النساء من الرجال فى السلم الوظيفى.

---

(١) روح المعانى ٣/ ٧٤.

ولعـل هذا كله سر التعبير بـ (من) فى آيـة امرأة لوط هنا ثم بـ (فى) فى آيـة الصـافـات: ﴿ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ - إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ ١٣٤ : ١٣٥ الـصافات. والدنـو فـى المعنى بين (من) و (فى) قريب من الذهن مقبول من العقل كما سلفت الإشارة إليه.

ويقـول الزمخشرى فى قوله تعالى: "فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين" أى: "فصار من الضالين الكافرين"[١].

وإفادة (كان) معنى: صار وارد معهود كما ألفناه.

التوبة: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ ١٨ وقوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ٧٥.

فالآية الأولى فى حق فريق من الناس يعمرون المساجد ويعملون الصالحات. فهم بعض المهتدين.

والآيـة الثانية فى نموذج يعتبر من قديم الزمان داء عضالا فى جسم البشرية وهو داء النفاق.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٣٩.

هــذا وممــا يلفــت الذهن قوله تعالى فى السورة نفسها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ ١١٩.

وقــد فــرقنا بــين المعــية أى المصاحبة والبعضية وعليه فلابد من مراعاة استعمال كُلٍّ فى مقامه ومكانه فلا داعى لدعوى أن تكون إحداهما بمعنى الاخرى. وهــذا مــا يصنعه الزمخشرى فى هذه الآية حيث قال: "وقرئ (من الصادقين) وهم الــذين صــدقوا في دين الله نية وقولا وعملا. وقيل: هم الثلاثة – أى الذين خلفوا وثاب الله عليهم – أى كونوا مثل هؤلاء فى صدقهم وثباتهم"(١).

فهذا النص يجعل الآية محتملة لمعنى (من). وهو (بعض) ومعنى (مع) وهو المصاحبة. ومعنى (مثل) وهو المشابهة.

والــذى يثبــته الــنص صــراحة هو الأول. ولا عجب فى ذلك فهو الأقوى والأمــثل. وأمــا (المصاحبة) فمعنى وافد على النص مع كلمته وهى (مع). و أما (المماثلــة) فــسيأتى أن (من) تكون للتشبيه ولكن ذلك فى آيات يكون هو المطلوب فــيها. أمــا هنا فالمطلوب هو الأول. فــ (من) هى الخبر فى محل نصب أى: أن يكونوا بعض المهتدين. ولنكونن بعض الصالحين.

يونس: فى سبع آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ ٢٢،

"فلمــا أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض بغير حق" وهى فى حق الذين لا يخلصون الــدين لله إلا فــى وقت عصيب حينما تجيئهم ريح عاصف ويجيئهم الموج من كل مكان. وقد سبق مثلها من آيات الأنعام الآية رقم ٦٣.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٥١ وانظر حاشية الجمل ٢/ ٣٨٩.

وقـوله تعالى: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ٧٢ وهى من قول نوح لقومه. وقوله: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ ٩١ وهى خطاب لفرعون عليه اللعنة. وقوله: ﴿ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ ٩٤ وهى خطاب لمحمد ﷺ. وقوله: ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ ٩٥ وقـــــوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ١٠٤ وقـــــوله: ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ١٠٥.

وهذه الآيات كلها خطاب لمحمد عليه الصلاة والسلام. ومما ينبغى ملاحظته أن (مـن) فى هذه الآيات السبع وردت ثمانى مرات وكلها بمعنى (بعض) فهى فى محل نصب خبر (كان) وما تفرع عنها.

هود: فى أربع آيات: هى:

قـوله تعالى: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ٣٢ وهى خطاب قوم نوح له. وقوله: ﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ ٤٣ والمراد بها ابن نـوح علـيه الـسلام. وقوله: ﴿ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ٤٦ من خطـاب الله لـنوح علـيه السلام وقوله: ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ ٤٧ وهى دعاء من نوح عليه السلام إلى ربه عز وجل.

هــذا: وممــا ورد فــى حق نوح وابنه من هذه السورة قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴾ ٤٢.

فخبر (تكن) الظــرف (مع) ولا شــك أن المعية غــير البعضية إذ الأولى لا تــستلزم اتحاد النوع إنما تستلزم اتحاد الوصف. وأما الثانية فتستلزم اتحاد النوع والوصف معاً. ومن ثم لزمنا أن ندقق النظر فى مواضع استعمال كل منهما إذ لكل كلمة مقام ولكل مقام مقال.

يوسف: فى ست آيات هى:

قــوله تعالــى:﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ ٣ وهى من خطاب الله لرسوله محمد ﷺ. ومما يلفت الذهن هنا وجود اللام فى خبر (إن) كما سبق فى قوله تعالى:﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ ١٤٣ البقرة. وفيهما يقول الزمخشرى: "إن: مخففة من الثقيلة واللام هى التى تفرق بينها وبــين النافية. والضمير فى (من قبله) راجع إلى قوله (بما أوحينا إليك). والمعنى: وإن الشأن والحديث أنك كنت من قبل إيحائنا إليك من الغافلين أى من الجاهلين به. ما كان لك فيه علم قط. ولا طرق سمعك طرف منه"(١).

وقــوله:﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ ٢٠ وهى فى حق الذين باعوا يوسف. وإنما زهدوا فيه لأنهم التقطوه من غيابات الجب الذى ألقاه فيه إخوته. يقول الزمخشرى: "من الزاهدين: أى ممن يرغب عما فى يده فيبيعه بما طف – أى قل –

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٤٤ وانظر ١/ ١٥٠.

من الثمن لأنهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به لا يبالى بم باعه. ولأنه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من أول مساوم بأوكس الثمن"(١).

فمعنى (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة) وباعوه بثمن... إلخ فـ (من) بمعنى (بعض) خبر (كانوا) فى محل نصب. و (فيه) ظرف يتضمن معنى السبب والعلة أى أنه كان سبب زهدهم للحالة التى التقطوه بها. فليس مرتبطا بـ (الزاهدين).

قال الزمخشرى: "وقوله (فيه) ليس من صلة (الزاهدين) لأن الصلة لا تتقدم على الموصول ألا تراك لا تقول: وكانوا زيدا من الضاربين. وإنما هو بيان كأنه قيل: فى أى شئ زهدوا؟ فقال: زهدوا فيه"(٢).

وأرى أن كون (فيه) سببية أقوى وأقرب إلى الحقيقة ولا سيما أن استعمال (فى) سببية مشهور معروف.

وقوله: ﴿ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِئِينَ ﴾ ٢٩. وهو خطاب لامرأة العزيز التى أرادت السوء بيوسف عليه السلام فاتهمته بما لا يحدث منه بل رمته بدائها وانسلت ولكن الله سخر له شاهدا من أهلها ليحكم بينهما بما أثبت براءته ونزاهته.

وقوله: ﴿ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ ٣٢ وعلى الرغم من تبرئة الذى من أهل امرأة العزيز ليوسف أبت إلا أن ينفذ رغبتها ويحقق لها شهوتها وإلا سجن وصغر " لئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين" وفى هذا أبلغ الأدلة وأدمغ الحجج على سفاهة من راحوا يظنون بيوسف السوء وأنه هم بتنفيذ رغبتها. وأنى يكون ذلك؟! وقد قالت من حاكت له حبال الخطيئة وحفرت لأجله بئر الرذيلة:

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٥٣.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٥٣.

"ولقـــد راودتـــه عن نفسه فاستعصم". أليس فى ذلك ما يذهب ما علق بأذهانهم من دنس الفكر وسوء الفهم؟!

وقـــوله تعالـــى: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ٣٣.

وهـــذه الآيـــة من قول يوسف ردًا على تهديد امرأة العزيز بسجنه أوصغاره فـدعا ربــه أن يـسجن لأن النبـــى أى نبى لا يرضى أن يكون صاغرا أو ذليلا. والـسجن لـيس فيه ذلك. ومعنى: أصب إليهن أمل إلى النسوة ميل الهوى وكأنهن كلهن قد دعونه إلى تلك الفعلة الشنعاء النكراء. فلم يجد له ملجأ إلا الله.

هـــذا: وممـــا ينبغـــى ملاحظته أن الواو فى قوله "رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه" ليست علامة إضمار لجماعة الذكور كما فى قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ - تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ - لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ ٤١: ٤٣ غافر.

فــ (تدعوننى) ذكرت ثلاث مرات فى هذه الآيات والواو فيها علامة إضمار لجماعة الذكور. وأما واو الفعل فى (تدعوننى) فقد حذفت حتى تكون الكلمة سلسلة الـــنطق سهلة اللفظ حلوة الشكل. ومن ثم كان وزن (تدعوننى): تفعوننى. لأن لام الفعل محذوفة.

أمـــا فـــى آية يوسف فالولو لام الكلمة والنون نون الإناث أو النسوة ووزن الفعل: يفعلننى. فلا حذف لشئ من الكلمة. والفعل مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة أما فى آيات غافر فالفعل مرفوع بثبوت النون والواو فاعل.

وقـــوله: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴾ ٨٥ وهـــذا مـــن قول إخوة يوسف لأبيهم يعقوب. ومعنى (حرضاً) مشفيا على الهلاك للمرض.

فـــ (مِنْ) فى هذه الآيات اسم بمعنى (بعض) فهى خبر الفعل (كان) وما تفرع عنه. فلا تقدير – تكدير– ولا حذف – حيف – لأنها فى غنى عن كل هذا.

الحجر: فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ٧ وهى من خطاب الكافرين للرسول محمد ﷺ فهم يطلبون منه دليلا على صدق نبوته وأنه مرسل من عند الله. وهذا الدليل ممثل فى إتيانه بالملائكة ليشهدوا بنبوته له أمامهم.

وقـــيل: أنهـــم طلبوا منه أن يأتيهم بملائكة العذاب يعذبونهم ليكون ذلك دليلا على صدق دعوته[١].

وقـــوله:﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴾ ٥٥. وهـــى مـــن خطاب الملائكة لإبـــراهيم عليه السلام حينما دخلوا عليه فوجل منهم فقالوا: لا توجل وبشروه بغلام عليم: فقال لهم: أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون. قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين" أى اليائسين من رحمة الله وقدرته.

---

(١) انظر الكشاف ٢/ ٤٤٥.

وقوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ ٩٨. وهى أمر من الله لرسوله محمد ﷺ. ولعل المراد بالسجود هنا العبادة والطاعة المطلقة العامة. إذ العبادة كلها تدور حول الذلة والمسكنة لله رب العزة والقدرة. والعبد أذل ما يكون وهو ساجد فـ (من) فى الآيات الثلاث فى محل نصب خبر (كان) ما ضيا وغيره.

النحل: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ١٢٣ وهما فى حق إبراهيم الخليل عليه السلام. و (من) خبرا فى محل نصب.

الكهف: فى آيتين هما:

١- قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا ﴾ ٩.

فـ (من) خبر (كانوا) فى محل نصب و (آيات) مضاف إليه. و (نا) مضاف إلى (آيات) أى كانوا بعض آياتنا و (عجبا) إما حال وإما خبر بعد خبر. فقد عرفنا أن خبر المبتدأ يتعدد بدون عاطف فما المانع من تعدد خبر (كان)؟ إننى لا أرى منعا له. فليس فى الآية على هذا الإعراب تقديم وتأخير. أو حذف وتقدير. ولكن أسلافنا أبوا إلا ذلك. فقد قال الزمخشرى: "كانوا آية عجبا من آياتنا. وصفا بالمصدر أو على: ذات عجب"[1].

فقدر (آية) على أن تكون خبر (كان) ومقتضى هذا أن يكون (من آياتنا) وصفا لذاك المقدر. وهذا غير لائق لما فيه من تكدير لصفو النص بتقدير

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٥٠.

ما لا يحتاج إليه. كما قدم وأخر بين (عجبا) و (من آياتنا). وهذا لا حاجة إليه لأن القـرآن ليس موطنا للضرورة. أما الوصف بالمصدر فلا غبار عليه وإن كان غير مرغوب فيه هنا.

وقـال أبو البقاء: (عجبا) خبر (كان) و (من آياتنا) حال منه. أو (من آياتنا) و(عجبا) خبران. أو (من آياتنا) خبر و (عجبا) حال من الضمير فى الجار"[1].

هـل نرى بعد ذلك تمزيقا للنص وتفريقا لكلماته؟! فما الداعى إلى جعل (من آياتـنا) حـالا مذكورا قبل صاحبه؟ وما الداعى إلى جعل (من) حرف إضافة مع وضوح معنى البعضية المقتضى لاسميتها المانعة من التكدير والتقديم والتأخير؟! ثم مـا معنى كون (عجبا) حالا من الضمير فى الجار؟ هل علمتم أن لام الجر أو باءه يضمر فيها؟.

بـذلك كلـه لا يبقى لائقا بجلال النص إلا أن تكون (من آياتنا) خبر (كان) و(عجـبا) إما خبر ثان وإما حال. ومجئ الحال مصدرا مألوف فى اللغة حتى قال ابن مالك:

ومـصدر منكـر حـالا يقـع   بكثـرة كبغـتة زيـد طلـع

ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ ٢٦٠ البقرة وقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ ٣٧ الإسراء... وغير ذلك.

٢- وقوله تعالى: ﴿ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ ٥٠ ، سـبق الحـديث عن هذه الآية عند آية البقرة (أبى واستكبر وكان من الكافرين). فـ (من) بمعنى (بعض) خبر (كان).

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٥٢. وانظر حاشية الجمل ٣/ ٦.

الأنبياء في آية واحدة هي:

قــوله تعالــى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ٨٧ أي بعضهم. والمراد بــ (ذا النون) يونس عليه السلام.

المؤمنون في آية واحدة وهي:

قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴾ ٤٨. وهي في حق من كذبوا موسى وهارون عليهما السلام.

النور في آيتين هما:

قــــوله: ﴿ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ ٧

وقوله: ﴿ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ٩.

وهما من الملاعنة بين الزوجين

الشعراء: في إحدى عشرة آية هي:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ٣١. وهي مــن خطاب فرعون لموسى عليه السلام حينما قال: ﴿ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ﴾ ٣٠.

وقوله: ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ٨٦. وهى من دعاء إبراهيم عليه السلام لأبيه وقد نزل فى حقه بعد ذلك: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ ١١٤ التوبة.

وقــوله: ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ١٠٢ وهــى من قول جــنود إبلــيس علــيه اللعــنة حينما يختصمون يوم القيامة ويلقون باللائمة على المجــرمين الذين زعموا أنهم هم الذين أضلوهم ثم يقولون: "فما لنا من شافعين. ولا صديق حميم. فلو أن لنا كرة...".

وقوله: ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ ١١٦.

وقوله: ﴿ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴾ ١٣٦.

وهى من خطاب عاد لنبيهم هود عليه السلام.

وقوله: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ١٥٤.

وهى من خطاب ثمود لنبيهم صالح عليه السلام.

وقوله: ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ ١٦٧.

وقــوله: ﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴾ ١٨١ وهــى من خطاب شعيب عليه السلام لأصحاب الأيكة.

وقـوله: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ ١٨٧ وهى من خطاب أصحاب الأيكة لشعيب عليه السلام.

وقـــوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ ١٩٣ ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ ١٩٤ ثـم قوله: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ ٢١٣. وهما من خطاب الله لنبيه ومصطفاه محمد ﷺ.

وتأمل – هداك الله – لو قيل فى هذه الآيات: إن كنت صادقا. إنه كان ضالا. فـنكون مؤمنين ... لتكون منذراً. فتكون معذبا.. أو قيل: إن صدقت. إنه ضل. فنؤمن ... لتنذر. فتعذب..

هـل كـان هـذا التعبير شيئا فى رحاب التعبير القرآنى؟ كلا. ولذا قال ابن المنير: "والسر فى ذلك – والله أعلم – أن التعبير بالفعل إنما يفهم وقوعه خاصة. وأمـا التعبير بالصفة ثم جعل الموصوف بها واحدا من جمع فإنه يفهم أمرا زائداً علـى وقوعه وهو: أن الصفة المذكورة كالسمة لموصوف ثابتة العلوق به كأنها لقـب وكأنـه مـن طائفة صارت كالنوع المخصوص المشهور ببعض الصفات الرديئة.

واعتبـر ذلك لو قلت فى قوله: ﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ ٩٣ الـتوبة: رضـوا بأن يتخلفوا لما كان فى ذلك مزيد على الإخبار بوقوع التخلف منهم لا غير. وانظر إلى السياق وهو قوله (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) كيف ألحقهـم لقبا رديئا وصيرهم من نوع رذل مشهور بسمة التخلف حتى صارت له لقبا لاصقا به"[1].

(١) الانتصاف هـ الكشاف ٣/ ٢٦٠.

وإذا كان هذا المعنى فى (مع) فكيف يكون فى (من) وقد عرفت الفرق بينهما. ولــذا كــان لــزاما علــى الــدارس أن يقف مليا ليدرك الفرق بين قوله تعالى: "فــصدقت" وقوله: ﴿ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ ثم بين قوله: "فكذبت" وقوله: ﴿ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ ٢٦، ٢٧ يوســف. وليدرك الفرق بين قوله: ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ﴾ ٣٧ غافر. وقوله: "من الكاذبين" وسبحان من أودع كلامه أسراره.!!

النمل: فى خمس آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ ٢٠.

وهــذه الآية من قول سليمان عليه السلام وهو يتعجب من نفسه كيف لا يرى الهدهد؟ وهل عدم رؤيته له لساتر وهو حاضر أو لأنه غائب ومن ثم أضرب عن هــذا وقال (أم كان من الغائبين) وعلينا أن نستحضر ونستذكر هنا ما ذكرناه آنفا من الفرق بين هذا وبين قولنا أم غاب.

وربما يقال هنا ما حقيقة وصف الهدهد بأنه بعض الغائبين؟ أليس هذا وصفا للعقــلاء؟ فهل الهدهد منهم؟ ولا يجوز التردد فى الجواب بعد أن علمنا ما قام به الهدهد من أعمال يعجز عنها البشر. فقد اكتشف مملكة سبأ ومنكتها. وعليه يتحتم أن يكون ذا عقل كما كان ذا بصر. فهو بعض الغائبين.

وقوله: ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ ٢٧.

وأيضا أقــول هنـــا: تأمــل كيف كــانت المعادلة بــ (كنت من الكاذبين) لا بـــ (كــذبت). ولا غرابة فى وصف الهدهد بصفة الصدق ومقابلها لأنه ممن يستحق الوصف بهما.

قال الزمخشرى: " لم يقل: أم كذبت وهو يؤدى المعنى المراد لأن (كنت من الكاذبين) أبلغ لأنه إذا كان معروفا بالانخراط فى سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة. وإذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيم أخبر به فلم يوثق به"[١].

وكلمة (فيم) وردت هكذا فى (الكشاف) ولست أدرى لم حذفت ألف (ما) منها. لأن (ما) ليست استفهامية حتى تحذف ألفها كما فى قوله تعالى: ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾ ٤٣ النازعات بل هى موصولة فالصواب: فيما أخبر به.. إلخ.

وقوله: ﴿ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ٤١ ، وواضح جزم (ننظر) جوابا لـ (نكروا) فالنظر مترتب على تنكير العرش. أى تبديل أوضاع محتوياته أو أساسياته. قال الزمخشرى: "وقرئ (ننظر) بالرفع على الاستئناف"[٢].

وتأمل قول الله (أم تكون من الذين لا يهتدون) دون (اللاتى أو اللائى) فهذه سنة متبعة فى التعبير القرآنى فهو - دائما - يجعل المرأة المميزة فى صفاتها ممدوحة - كانت - أم مذمومة بعض الرجال لا بعض النساء كما ألفنا ذلك.

وقوله: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ ٤٣.

والمراد ملكة سبأ. أى بعضهم. وفى هذه الآية ما فى السابقة.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٨٦.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٩٠.

وقــوله: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ٩١. وهى فى حق محمد ﷺ.

ونقــرأ فــى سورة الأنعام: ﴿ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ١٦٣. ففيه يخبر الرسول عليه السلام عن نفسه أنه أول المسلمين. وإذا عرفنا أن الإسلام دين بنــى آدم مــن لــدن آدم إلــى محمد عليهم السلام. فهل يجوز أن يكون المعنى المقــصود هو الإخبار بأن محمدا أول المسلمين جميعا من عند آدم أو يكون أول المسلمين حينما نزل عليه الوحى ليأخذ بيد البشر جميعا إلى الدين الإسلامى الذى هــو ديــن البــشرية جمعاء؟ لا أستطيع ترجيح أحدهما على الآخر. وإنما الذى أســتطيع أن أقرره هو: أننى لم أقرأ فى القرآن أن نبيا وصف بهذا الوصف غير النبى محمد ﷺ.

هذا فى آية الأنعام. وأما فى غيرها فقد أمر أن يكون بعضهم كما أمر فى آية مــن ســورة يونس أن يكون بعض المؤمنين. وقد سبق ذكرها. وقد جاء فى هذه السورة قول نوح عليه السلام (وأمرت أن أكون من المسلمين) كما ذكرنا.

بهــذا كلــه يتحقق قول من يقول: إن محمدا ﷺ هو إمام المرسلين كما أخبر القــرآن. وكمــا ســجله التاريخ النبوى حيث إنه قد أم الأنبياء كلهم فى المسجد الأقصى ليلة الإسراء ثم عرج به إلى السماء.

القصص: فى تسع آيات هى:

قوله تعالى فى حق فرعون: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ ٤. وقوله فى حــق أم موســى: ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٩ وقــوله خطابــا من عدو لموسى له: ﴿ وَمَا

كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ ٤٤. والمـراد بـــ (الــشاهدين) نقباء موسى الذين اخـــتارهم للميقات ومن ثم لم تكن لتقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى عليه السلام فى ميقاته وكتبة التوراة فى الألواح وغير ذلك[1].

وقــوله: فى حق قوم محمد عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٤٧.

وقــوله: ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ ٦٧.

وقوله: ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ ٧٦.

وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ ٨١. وهما معا فى حق قارون.

ثـم قــوله خطابــا للرســول محمــد علــيه الســلام: ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ٨٧.

العنكبوت: فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ ٢٩.

وقوله: ﴿ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴾ ٣٢.

---

(١) الكشاف ٢/٣٢٨.

وقوله: ﴿ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ ٣٣ وهى جميعا فى لوط وامرأته.

الـــروم: فى آيتين هما:

قــوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ - مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ﴾ ٣١، ٣٢ فـــ (من) الأولى) خبر (تكون) و (من) الثانية بدل أو بيان منها أى لا تكون بعض المشركين بعض الذين فرقوا دينهم...

فــلا حــذف ولا تقدير. إذ الحذف (حيف) والتقدير (تكدير). ولا شك أن فى البــيان أو الــبدل فائدة لا يتحقق وجودها إلا به ففى (من الذين فرقوا دينهم ...) توضــيح وتفصيل لا يمكن الاستغناء عنهما. يقول الزمخشرى: "من الذين: بدل (من المشركين) (فارقوا دينهم) تركوا دين الإسلام. وقرئ (فرقوا دينهم) بالتشديد أى جعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم ... ويجوز أن يكون (من الذين) منقطعا عمــا قــبله ومعناه: من المفارقين ومنهم كل حزب فرحين بما لديهم. ولكنه رفع (فرحون) على الوصل لــ (كل) كقول الشماخ:

وكـل خلـيل غيـرها ضم نفـسه   فبالصد والإعراض عنه جدير[1]

فالزمخــشرى يــرى أن (من الذين فرقوا دينهم) إما بدل من (من المشركين) فــ (من) الثانية فى محل نصب بالتبعية للأولى. وإما منقطعة عما قبلها أى يوقف علــى رأس الآية الأولى ثم يبتدئ القارئ (من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حــزب بمــا لــديهم فرحون) فــ (من) مبتدأ أى بعض الذين فرقوا دينهم و (كل حزب بما لديهم فرحون) جملة اسمية حيث إن (كل حزب) مبتدأ و (فرحون) خبر وهذه الجملة خبر (من الذين فرقوا دينهم). فخبر (من) جملة لا مفرد.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٨.

هذا هو نسق الآيتين وضبط كلماتهما فلا تعديل ولا تبديل.

ولكــن الزمخشرى يقول: ومعناه: (من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم) ومقتضى هذا أن يكون (فرحون) منصوبا ومن ثم قال الزمخشرى: "ولكنه رفع وصفا لـــ (كل). وبهذا يكون (كل حزب فرحون) خبرا عن (من الذين فرقوا دينهم) وهو مفرد إذ (فرحون) وصف لـــ (كل) لا خبر عنه.

ولا شك أن فى هذا غموضا وإيهاما غير لائقين بجلال النص ونسقه ولا ينفع الزمخـــشرى فـــى هـــذا المقام ما استشهد به من قول الشاعر لأن للشعر أحواله وخصائـــصه التى لا تجوز فى القرآن. فضلا عما يعترى رواية ضم (غير) فيه من احتمالات تسقط الاستشهاد بحركته. وهذا لا يؤذى الشعر أما أن نحمل القرآن علـــى ما يتردد احتماله فى الشعر فدون ذلك خرط القتاد كما يقال. إذ لا ضرورة إليه فالمعنى واضح بدونه.

هذا: ومما يجدر التنبيه إليه ذكر الزمنخشرى قراءة (فارقوا دينهم) قبل قراءة (فـــرقوا دينهم) ثم ذكر الفرق بينهما. والأجدر بالقبول ما جاء فى المصحف وهو قـــراءة حفص عن عاصم. وهو (فـــرَّقـــوا دينهم) ثم يقال: وقرئ: فارقوا دينهم. والتفـــرقة فى الدين هى المعنى السائد الملحوظ فى المجتمعات البشرية مما يجعل المقام الأول لـــ (فرقوا) أما مفارقة الدين فقليلة ولذا يلزم تأخير ذكرها.

وتبقـــى كلمة وهى: أننى فى صدر دراسة هذه الآية قلت: بدل أو عطف بيان ومعنى هذا أنهما على قدم المساواة فى تخريج الآية على كل منهما. وقد وضحنا معنـــى كـــونه بـــدلا وبينا أنه لا حذف ولا تقدير فى الآية لأن (من) اسم بمعنى (بعـــض). ولكن أبا البقاء يرى أنها حرف جر و (من المشركين) بـــــدل إعادة حرف الجر[١].

---

(١) انظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٩٧.

وقد عرفنا أن الآية فى أشد الاستغناء عن هذا.

وأمـا جعـل (من الذين فرقوا) بيانا فلا غبار عليه كما هو فى قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ ٦ الطـلاق. فقـد ذكـر الزمخـشرى أن (مـن وجـدكم) بيان لـ (من حيث سكنتم) وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكانا فى مسكنكم مما تطيقونه(١).

وما ذلك إلا لأن الفرق بين البيان والبدل جد عسير. وفى ذلك يقول الرضى: "وأنا إلى الآن لم يظهر لى فرق جلى بين بدل الكل من الكل وبين عطف البيان. بل لا أرى عطف البيان إلا البدل كما هو ظاهر كلام سيبويه فإنه لم يذكر عطف البيان بل قال: أما بدل المعرفة من النكرة فنحو: مررت برجل عبد الله كأنه قيل: بمـن مررت أو أظن أنه يقال له ذلك فأبدل مكانه ما هو أعرف منه ومثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ - صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ٥٢، ٥٣ الـشورى. قـال: ومن البدل قولك: مررت بقوم عبد الله وزيد وخالد، والرفع جيد أى: وهم عبد الله وزيد وخالد قال:

يـا مـىّ إن تفقـدى قـوما ولـدتهم ... أو تخلسيهم فـإن الدهـر خـلاّس

عمرو وعبد مناف والذى عهدت ... ببطن عرعر آبى الظلم عبّاس

قالـوا: عن الفرق بينهما أن البدل هو المقصود بالنسبة دون متبوعه بخلاف عطف البيان فإنه بيان. والبيان فرع المبين فيكون المقصود هو الأول.

والجواب: أنا لا نسلم أن المقصود بالنسبة فى بدل الكل هو الثانى فقط ولا فى سائر الأبدال إلا الغلط. فإن كون الثانى فيه هو المقصود بها دون الأول ظاهر.

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ٤٤٧.

وإنما قلنا ذلك لأن الأول فى الإبدال الثلاثة منسوب إليه فى الظاهر. ولابد أن يكـون فـى ذكره فائدة لم تحصل لو لم يذكر كما يذكر فى كل واحد من الثلاثة صونا لكلام الفصحاء عن اللغو ولا سيما كلامه تعالى وكلام نبيه ﷺ.

فإدعـاء كونه غير مقصود بالنسبة مع كونه منسوبا إليه فى الظاهر واشتماله على فائدة يصح أن ينسب إليه لأجلها دعوى خلاف الظاهر"(١).

وبهذا يستقيم القول بأن (من الذين فرقوا) بدل وعطف بيان إذ لا فرق بينهما. ولاسـيما أن (من) فى هذه الآية ليست حرف جر بل اسم بمعنى (بعض). وبهذا يـسقط ما ذكره ابن هشـام من أن الفرق بينهما موجود لأن الخافض لا يعاد إلا مع البدل(٢).

وإن كان يعنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ ٧٥ الأعراف.

فأقـول: لـيس فى هذه الآية دليل لما قاله لأن الجملة برمتها بدل من الأولى برمتها. فهذا هو الذى يستشعره الذوق الرفيع والحس اللغوى العميق.

فاطر: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ ٦ وهى فى حق الشيطان.

---

(١) شرح الكافية ١/ ٣٣٧ وانظر حاشية الصبان ٣/ ٨٨: ٨٩.

(٢) انظر المغنى بحاشية الامير ٢/ ١٤٢.

الصافات: فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ ٥٧. وهى على لسان أحد المتحاورين مع زميل له كان كافرا وهو مؤمن فلم يطعه ومن ثم نجا من العذاب وقال فرحا مستبشرا (ولولا نعمة ربى على بالإيمان لكنت أى يوم القيامة من المحضرين الذين تحضرهم الملائكة لتعذيبهم. ولكنه اطلع على محاوره الكافر فرآه فى سواء أى وسط الجحيم. قال تالله إن كنت لتردين أن تهلكنى ولولا نعمة ربى ... إلخ.

وقوله:﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴾ ١٤١.

وقوله: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾ ١٤٣.

وهما فى حق يونس عليه السلام. والمدحض المغلوب المقروع أى التى أصابته القرعة ليلقى فى البحر.

ص: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ ٧٤ وقوله: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ ٧٥.

وهما فى حق إبليس. ففى الأولى حكم عليه بأن صار بعض الكافرين وفى الثانية حكم عليه فإنه إما مستكبر وإما بعض العالين.

يقول الزمخشرى: "أريد وجود كفرة ذلك الوقت وإن لم يكن قبله كافر لأن (كان) مطلق فى جنس الأوقات الماضية فهو صالح لأيها شئت. ويجوز أن يراد: وكان من الكافرين فى الأزمنة الماضية فى علم الله"[1].

---

(١) الكشاف ٤/ ٨١.

الزمر: فى ست آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ - ٥٦ وقوله: ﴿ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ٥٧ وقوله: ﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ٥٨ وقوله: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ٥٩.

فهذه الآيات الأربع فى حق النفس التى تفرط فى جنب الله ثم تتحسر على ذلك. والأولى منها (إن) المخففة أى وإن الحال والشأن كنت بعض الساخرين واللام هى الفارقة بين (إن) النافية والمخففة كما بينا.

وقد سجلت الآية الرابعة أن نحرهم لا ينفعهم لأنهم استكبروا وكفروا حينما جاءتهم آيات ربهم.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ ٦٥ وقوله: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ ٦٦ وهما فى حق النبى ﷺ. فالأولى تهديد له ووعيد بما كان ينتظره لو أشرك بالله. والثانية أمر له بالتزام عبادة الله وشكره على نعمه عليه.

فصلت: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ ٢٩. وهذا نداء لا رجع له ولا فائدة فيه.

الدخان: فى آية واحدة هى:

قـــوله تعالـــى: ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ - مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ ٣٠، ٣١. والمراد هنا (كان عاليا من المسرفين) وفيه يقول الزمخشرى: "عاليا أى كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهـــم بلـــيغا فى إسرافه. أو عاليا متكبرا كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ٤ القصص (من المسرفين) خبر ثان كأنه قيل: كان متكبراً مسرفا"[(١)].

ولعـــل فى قوله تعالى: (عاليا) ثم قوله (من المسرفين) إشارة إلى أن فرعون قد انفرد بصفة العلوم لأنه زعم أنه ربهم الأعلى. وأما الإسراف فهو غير منفرد لأنه قد شاركه غيره فى هذه الصفة. فكان بعضهم لا ربهم. يقول الله: ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ - ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ - فَحَشَرَ فَنَادَىٰ - فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ٢١: ٢٤ الـــنازعات وإنما قلت: ولعل فى قوله... إلخ لأن هناك آية تجعل صفة العلو مـــشتركة بـــين فرعون وملئه وهى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ - إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴾ ٤٥: ٤٦ المؤمنون.

فـــ (عالين) صفة لفرعون وملئه.

فلا مانع من الاشتراك فى أصل الوصف ثم انفراد أحد الموصوفين بالزيادة.

فـــ (الأعلى) مقصورة على (فرعون).

---

(١) الكشاف ٤/ ٢١٩.

الأحقاف: فى آية واحدة وهى:

قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ٢٢.

وهى من خطاب عاد لنبيهم هود عليه السلام.

الواقعة فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾ ٨٨. ﴿ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴾ ٨٩.

وقوله: ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ - فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴾ ٩٠، ٩١.

وقوله: ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ٩٢.

المنافقون: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ١٠.

وفى جزم (أكن) بعد (فأصدق) عدة توجيهات وهى:

(أ) نقل سيبويه عن أستاذه الخليل أن الأصل: لولا أخرتنى إلى أجل قريب أصدق وأكن من الصالحين. بدون الفاء. فتكلموا بالثانى أى (أكن) مجزوما على اعتبار عدم وجود الفاء. وكأنهم قد جزموا قبله فعلى هذا توهموا هذا"[1].

---

(١) انظر الكتاب ٣/ ١٠٠: ١٠١.

وهذا سر تعبير النحاة بقولهم: إنه مجزوم على التوهم أى توهم جزم ما قبله.

وقال الفراء: "إن الفاء لو لم تكن فى (فأصدق) كانت مجزومة فلما ردت - أى عطفت - (وأكن) ردت على تأويل الفعل لو لم تكن فيه الفاء إذ التقدير: إن أخرتنى أصدق"(١).

وقال الزجاج: "وجزم (وأكن) على موضع (فأصدق) لأنه على معنى: إن أخرتنى أصدق وأكن من الصالحين"(٢).

(ب) قرئ (فأصدق وأكون من الصالحين) بنصب (أكون). قال الفراء: "ومن أثبت الواو - يعنى فى : أكون - رده - أى عطفه - على الفعل الظاهر فنصبه وهى قراءة عبد الله (وأكون من الصالحين"(٣).

وقال الزجاج: "ومن قرأ (وأكون) فهو على لفظ فأصدق وأكون"(٤).

هذا على ذكر الواو فى (أكون). وأما على حذفها فالمشهور أن الفعل مجزوم ولكن الفراء يقول: "وقد يجوز نصبها فى قراءتنا - أى أكن - وإن لم تكن فيها الواو - أكن - لأن العرب قد تسقط الواو فى بعض الهجاء كما أسقطوا الألف من (سليمن) وأشباهه. ورأيت فى بعض مصاحف عبد الله: فقولا. فقُلا بغير الواو"(٥).

ولا شك فى أن هذه القراءة غير مألوفة ولكنها كانت معروفة عند علمائنا.

(ج) وقرئ (وأكون) بالرفع قال الزمخشرى: "وقرأ عبيد بن عمير (وأكون) بالرفع على: وأنا أكون عدة منه بالصلاح"(٦).

---

(١) معانى القرآن ٣/ ١٦٠.

(٢) معانى القرآن وإعرابه ٥/ ١٧٨ وانظر الكشاف ٤/ ٤٣٦.

(٣) معانى القرآن ٣/ ١٦٠.

(٤) معانى القرآن وإعرابه ٥/ ٧٨ وانظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٤٣٦: ٤٣٧ والكشاف ٤/ ٤٣٦.

(٥) معانى القرآن ٣/ ١٦٠.

(٦) الكشاف ٤/ ٤٣٦.

وعلـــى هـــذه القراءة يكون الوقف على (فأصدق) وقِراْه أبى : فأتصدق على الأصل. ثم يبتدئ القارئ. وأكون أى وأنا أكون من الصالحين.

فلـــيس الواو حرف عطف لفعل على فعل بل لجملة على جملة. فعلى قراءتى الجزم والنصب يكون الجمع بين صفتى التصدق والصلاح. وأما على قراءة الـــرفع فالعطف لجملة على جملة. أى كونه متصدقا وكونه من الصالحين أى بعضهم.

التحريم: فى آية واحدة وهى:

قـــوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ ١٢.

ذكـــر الزمخشرى أنه قال (من القانتين) دون (القانتات) لتغليب الذكور على الإنـــاث و (من) للتبعيض. ثم قال: "ويجوز أن تكون لابتداء الغاية على أنها ولدت من القانتين لأنها من أعقاب هارون أخى موسى صلوات الله عليهما"[1].

ومـــن البدهى أن المراد الحكم بمستقبل مريم لا الإخبار عن نشأتها وولادتها. وعليه يكون المقام لمعنى التبعيض ولذا قال الأمير: "فى التبعيض المقتضى للتغليب خبر أمها حيث طلبت غلاما"[2].

وقـــال الشمنى: "والأول – يعنى: التبعيض – هو الوجه لأن الغرض مدحها بأنها صدقت بشرائع ربها وبكتبه وكانت من المطيعين له"[3].

ونقل الجمل عن البيضاوى قوله: "والتنكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكامليز حتى عدت من جملتهم"[4].

---

(١) الكشاف ٤/ ٤٥٩ وانظر حاشية الجمل ٤/ ٣٧٢.

(٢) حاشية الأمير على المغنى ٢/ ١٩٥.

(٣) حاشية الشمنى على المغنى ٢/ ٢٨١.

(٤) حاشية الجمل ٤/ ٣٧٢: ٣٧٣.

آيـــات أصبـــح:

وهى ثلاث آيات اثنتان من المائدة وهما قوله تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾٣٠ وقـــــوله: ﴿ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴾ ٣١.

وواضـــح أنهما فى حق من قتل أخاه من بنى آدم فـ (من) فيهما خبر أصبح أى بعض الخاسرين. وبعض النادمين. بلا حيف ولا تكدير.

وقـوله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ ٢٣ فصلت.

وهى فى حق الذين تشهد عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم عندما يحشرون إلى النار وهم أعداء الله. فينكرون على تلكم الأعضاء تلك الشهادة فترد عليهم أبلغ رد وأقـــساه "قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ... إلخ. وأيضا أنهم ظنوا أن الله لا يعلم كثيرا مما يعلمون. فخسروا الدنيا والآخرة حيث صاروا بعض الخاسرين.

هذا: وهناك آيتان سبق ذكرهما فى آيات (من) الواقعة مبتدأ يحتمل أن يكون منسوخا وأن يكون غيـــر منسوخ ولكننا اعتبرناهما من الثانى وهما وقولـــه تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَاذَنَّـٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ ٤٧ فصلت، وقـــوله تعـــالى: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴾ ٤٧ الحاقة.

ويمكـــن جعلهمـــا هنا من المبتدأ المنسوخ فتكون (من) الأولى فى محل رفع وعليه تكون (من) الثانية فى محل نصب. فـــ (ما) عاملة عمل (ليس).

ولذا ترتب على ذلك أن نجعل (من) هناك مرتين. وهنا مرتين فى العند.

آيـــات: إنّ

وهى أثنتان وخمسون آية من السور الآتية:

البقرة فى أربـــع آيات هى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ١٣٠ وهى فى حق إبـــراهيم عليه السلام.

وقوله: ﴿ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ١٤٥ وهى فى حق محمد ﷺ إن اتبع أهواءهم من بعد ما جاءه من العلم.

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ ١٥٨.

وقوله: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ ويلاحظ دخول اللام مع الخبر فى قوله "لمن الصالحين" و "لمن الظالمين" "وإنك لمن المرسلين" ولم تدخل فى آية واحدة وهى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾.

آل عمران: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ ١٨٦.

قال الزمخشرى: "من معزومات الأمور أى مما يجب العزم عليه من الأمور. أو مما عزم الله أن يكون. يعنى: أن يكون عزيمة من عزمات الله لابد لكم أن تصبروا وتتقوا"[1].

فـــ (من) بمعنى (بعض) فى محل رفع خبر (إن).

---

(١) الكشاف ١/ ٣٤٦.

المائدة: فى آيتين هما:

قــوله تعالــى: ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴾ ١٠٦

وقــولــه: ﴿ وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ١٠٧ وهمــا فى حق كاتم الشهادة والمعتدى. واللام داخلة على الخبر فى الآيتين.

الأعراف: فى خمس آيات هى:

قــوله تعالى: ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ ١٣.

وقوله: ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ ١٥.

وهاتان فى حق إبليس عليه اللعنة

وقــوله: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ ٢١. وهــى من خطاب إبليس عليه اللعنة لآدم وحواء.

وتأمــل كيف وردت اللام فى (لمن الناصحين) دون الآيتين قبلها ما ذلك إلا لأن إبليس حريص بل يزعم أنه حريص كل الحرص على نصحهما. فقد عرفنا أن الجملــة حينئذ مؤكدة الركنين أى المحكوم عليه والمحكوم به. ومن ثــم أقسم لها. ولا يخفــى مــا فــى القــسم مــن تأكـيد وقوله: ﴿ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ ٧١.

وهى من كلام هود عليه السلام لقومه عاد حينما استعجلوه بالعذاب.

وقوله: ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ ١١٤ دخلت اللام على الخبر.

وهــى مــن خطاب فرعون للسحرة حينما: قالوا: "إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين".

وتأمــل ذكــر الــلام مع (لمن المقربين) فالمقام مقام تأكيد كما هو المقام فى خطــاب إبلــيس لآدم وحــواء. وما أقوى وجه الشبه بين فرعون المدعى الربوبية وإبليس الذى خرج عن دائرة الاعتراف بتعظيم آدم استجابة لأمر ربه.

هذا: ومما تجدر الإشارة إليه ذكر (معكم) فى آية هود عليه السلام مع قومه. (إنــى معكــم من المنتظرين) فربما يظن أحد أن (معكم) هو خبر (إن). والحق أنه حال. فقد نقل الجمل عن السمين عند قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ ٨١ آل عمران قوله: "من الشاهدين: هو الخبر لأنه محط الفائدة. وأما قوله (معكم) فيجوز أن يكون حالا أى وأنا من الشاهدين مصاحبا لكم. ويجوز أن يكون منصوبا بـــ (الشاهدين) ظرفا عند من يرى تجويز ذلك. ويمتنع أن يكون هو الخبر إذ الفائدة به غير تامة فى هذا المقام"[1].

وأرى أنـــه لا داعى لجعل (معكم) معمولا لـــ (الشاهدين) ما دام يمكن جعله حالا من المبتدأ فقد حققنا ذلك تحقيقا يليق بجلال اللغة[2].

يونس: فى أربع آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ ٢٠ وهى من قول محمد عليه الــسلام وسياقها: "ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إنى معكم من المنتظرين".

---

(١) انظر حاشية الجمل ١/ ٣٥١.

(٢) انظر فصل المقال فى دراسة أساليب الحال ص ٤٨ فما بعدها.

ومــــثلهــا قـــــوله تعالـــــــى: ﴿ قُلِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴾ ١٠٢.

و (معكم) فى الآيتين مثلها فى آية الأعراف. فهو حال من اسم (إن) الذى هو فـــى الأصـــل مبتـــدأ. لأن ذلك يصون النص عن دعـــوى التقـــديم والتأخيـــر إذ لا حاجة إليها.

والآيتان الأخريان من يونس هما:

قـــوله تعـــالى: ﴿ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ ٨٣.

وقـــوله: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ١٠٦.

وهـــى فى حق محمد ﷺ. وعليك ملاحظة دخول اللام على (لعالٍ) و (لمن المرسلين).

هـــــود: فى آيتين هما:

قـــوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ٣١ وقوله: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾ ٤٥. فهما معاً على لسان نوح عليه السلام. ولا يخفى على القارئ سر ذكر اللام فى الأولى دون الثانية فكم نبهنا إليه.

يوسف: فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ ٢٤ وهى فى شأن يوسف عليه السلام.

وقوله: ﴿ رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ٢٨.

وهى حكم الشاهد الذى كان من أهل امرأة العزيز.

وقوله: ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ ٥١.

وهى شهادة امرأة العزيز ببراءة يوسف مما ادعته عليه من تهمة لا أساس لها. ولاحظ دخول اللام على (من) فى (لمن الصادقين).

ولعلك أصبحت مستغنيا عن التنبيه إلى جعل (من) فى محل رفع خبر (إن) لأن ذلك - فيما أستيقن - صار لا شبهة فيه. ولكنى - رغم ذلك - وجدت الزمخشرى يقول فى الآية الأولى: "معناه: بعض عبادنا أى هو مخلص من جملة المخلصين. أو هو ناشئ منهم لأنه من ذرية إبراهيم الذين قال فيه: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ ٤٦ ص(١).

فبعد أن جعل الزمخشرى (من) هى الخبر وهذا هو الرأى السديد نراه يقول: أو هو ناشئ منهم .. والمراد بهذا أن (من) حرف ابتداء وقد احتاج إلى متعلَّق وهو (ناشئ). ولو كان المقام محتاجا إليه لما وقفنا فى سبيله ولا اعترضنا عليه. ولكن

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٣٤.

الواقع أنه لا حاجة إليه إذ المعنى تام بدونه. فيكف نحكم على التام بالنقصان وعلى الغنى بالافتقار؟!

الحجر: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ ٣٧ وهى فى حق إبليس عليه اللعنة.

وقــوله: ﴿ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ٥٩ ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ ٦٠ وهى فى حق امرأة لوط عليه السلام. وهنا ينبغى دخول اللام على الخبر فى (لمنجوهم) وفى (لمن الغابرين).

النحل فى آية واحدة وهى:

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ١٢٢ لاحظ وجود اللام فى (لمن الصالحين) وهى فى حق إبراهيم عليه السلام.

الأنبياء فى ثلاث آيات هى:

قــوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ٥٩ لاحظ اللام فى الخبر. وهى فى شأن إبراهيم عليه السلام.

وقوله: ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ٧٥ فى حق لوط عليه السلام.

وقــــوله: ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ٨٦ وهى فى شأن إسماعيل وإدريس وذى الكفل.

الحج: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ ٣٢.

قال الزمخشرى: "فإن تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب. فحذفت هذه المضافات. ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها لأنه لابد من راجع إلى الجزاء على (من) ليرتبط به"(١).

والذى أراه أن العقل يدرك المعنى بدون تقدير ما قدره الزمخشرى كله. إنما الذى يدركه العقل هو مصدر الفعل (يعظم) أى إن تعضيم الشعائر من تقوى القلوب. وهذا منهج لغوى سائد فى اللغة والقرآن فمنه فى اللغة (من كذب كان شرا له) أى كان الكذب شرا له. ومنه فى القرآن قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ﴾ ١٨٠ آل عمران أى البخل. وقوله: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ ٨ المائدة. .. وغير ذلك.

بذلك وحده يستقيم معنى الآية لأن التقوى فعل القلب لا الجوارح فالمعنى: فإن تعظيم شعائر الله بعض التقوى التى هى عمل القلب.

فالتعظيم صادر ونابع من الحب. والحب مثواه القلب. وهو أساس الطاعة والخضوع. غير أنه لابد له من مظهر يدل عليه ويرشد إليه. وهو اتباع منهج المحب المعظم. وذلك قوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ٣١ آل عمران.

ولقد عرف الإمام على كرم الله وجهه التقوى بقوله: "الخوف من الجليل والرضا بالقليل. والاستعداد ليوم الرحيل. والعمل بالتنزيل".

---

(١) الكشاف ٣/ ١٢٣.

ففـــى هذا التعريف جانب للقلب وهو: الخوف والرضا وجانب للجوارح وهو الاستعداد ليوم الرحيل بالعمل بالتنزيل. وبذا يكون معنى التقوى شاملا للحس والمعنى.

هذا: وهناك من يرى أن (من) للتعليل لا للتبعيض أى أن تعظمها لأجل تقوى القلوب. أو لابتداء الغاية أى أن تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب. وعليهما فلا يحتاج إلى تقدير المضافين المذكورين[1].

والـــذى يتمـــتع بالذوق اللغوى الرفيع ويملأ نفسه الحس الرقيق يدرك لأول الوهلة الفرق بين معنىَ (بعض) والتعليل والابتداء.

فالدلالة على البعضية بـــ (من) دلالة واضحة مباشرة تتبادر إلى الذهن دون تعثـــر ولا عقـــبة. وهـــذا هو المستوى الرفيع الذى ينبغى أن نتعامل به مع النص القرآنـــى. فالتقوى عمل القلب كما أن القول عمل اللسان. والحركة عمل الجوارح. وتعظيم الشعائر من ذاك العمل لا كله.

النـــور: فى آيتين وهما:

قـــوله تعالـــــى: ﴿ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ٦.

وقوله: ﴿ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ٨. ولا يخفىَ أنهما من آيات الملاعنة بين الزوجين. وهو مقام فيه مجاذبـــة ومدافعة إذ كل منهما حريص على إثبات ما يريده ومن ثم جاءت اللام فى الخبر (لمن) حتى تتكمل صورة اللفظ فتطابق صورة المعنى.

---

(١) انظر حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى ٦/ ٢٩٧.

الشعراء: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾ ٤٢ واللام فى (لمن) لام التوكـيد وهى جواب فرعون على السحرة حينما سألوه: ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴾ وقوله: ﴿ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴾ ١٦٨ وهى إخبار لوط لقومه بأنه يكره عملهم وهو إتيان الذكران دون الإناث.

قـال الزمخـشرى: "و (من القالين) أبلغ من أن يقول: إنى لعملكم قال – أى مـبغض – كما تقول: فلان من العلماء فيكون أبلغ من قولك: فلان عالم لأنك تشهد له بكونه معدودا فى زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم فى العلم.

ويجوز أن يريد: من الكاملين فى قلاكم"[١].

وقـال أبـو حيان: "وكونه بعض القالين يدل على أنه يبغض هذا الفعل ناس غيـره هو بعضهم. ونبه ذلك على أن هـذا الفعل مـوجب للبغض حتـى يبغضه الناس"[٢].

والـذى يتضح من هذين النصين أن (من القالين) خبر (إن) أى بعضهم. وأما اللام فى (لعملكم) فهى لام التعليل فكأن سبب بغضه إياهم هو فعلتهم النكراء البشعة وهـى إتـيان الذكران فى أدبارهم دون إتيانهم الإناث فى فروجهم التى هى موطن الحرث وموضع النسل. فهذه فعلة أبتها الذكور من غير البشر.

وجعل اللام للعلة يغنيها عن تعلقها بـ (القالين) فلا تقديم لشئ على شئ.

وعلى الرغم من ذلك نرى أبا البقاء يأبى إلا التعديل للنص والحذف والتقدير حيث يقول: "من القالين: صفة لمحذوف أى لقال من القالين. فـ (من) صفة للخبر

---

(١) الكشاف ٢/ ٢١٦.

(٢) البحر ٧/ ٣٦.

متعلقة بمحذوف. واللام متعلقة بالخبر المحذوف. وبهذا نخلص من تقديم الصلة على الموصول إذ لو جعلت (من القالين) الخبر لأعملته فى (لعملكم) [١].

فتقدير الآية على هذا: وإنى لقال لعملكم من القالين. فالخبر هو (قال) و(لعلكم) متعلق به و (من القالين) وصف له.

فالخبر محذوف ومع ذلك تعلق به (لعملكم) ووصف بـ (من القالين) وإذا راعينا منهج النحاة فى هذه الصفة وجب تقدير (كائن) قبلها. أى لكائن من القالين.

وهكذا نجد النص محتملا عدة أشياء لا حاجة به إليها وهى:

(أ) حذف الموصوف وبقاء وصفه. وهذا قبيح أو أقبح من القبح كما قررنا.

(ب) تقدير (كائن) قبل (من القالين). وهذا تكدير لصفو النص.

(ج) جعل (لعملكم) متعلق بـ (قال) المحذوف. وما هى بحاجة إليه.

(د) جعل (أل) فى (القالين) موصولة. ولا أرى ضرورة لذلك.

فهذه أمور مفروضة على النص وما فرضها إلا قواعد النحو التى يحرص العلماء على الاستمساك بها وإخضاع نصوص القرآن لها. وقد استنكر بعضهم ذلك فقد قال العبكرى: "كيف نجعل ما وضعه النحويون للتقريب والتعليم مما لا أصل له ولا ثبات حجة على لسان العرب الفصحاء. وهذا ما لا يكون. ولا يحتج به إلا جاهل"[٢].

ولعل ذلك هو السر فى عدم اهتمام بعض النحاة بما ذكره أبو البقاء فذى أبا حيان يجوز تعلق (لعملكم) بـ (القالين) وإن كانت (أل) اسما موصولا أنه يسوغ فى المجرورات والظروف ما لا يسوغ فى غيرها لاتساع العرب فى تقديمها حيث لا يتقدم غيرها[٣].

ولست أدرى من أين لأبى حيان أو غيره أن الظروف يجوز فيها ما لا يجوز فى غيرها؟!

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٨٨.

(٢) انظر اللغة والنحو بين القديم والحديث ص ٩١: ٩٢.

(٣) البحر ٧/ ٣٦.

إن الكلمـــة فى اللغة تخضع لنسق النص كما يخضع هذا النسق لنسق المعنى في النفس فما اقتضى النسق النفسى ذكره أولا لزم ذكره كذلك. ألم نقرأ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ٥ الفاتحة وقوله:﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ ٦٦ الزمـــر. ... إلى غير ذلك. فلو لم يكن المقام قد اقتضى ذكــر اللفــظ أولا لما ذكر أولا. وليس معنى ذلك أن علاقته بما بعده قد بترت وأن صلته به قد فقدت؟ كلا بل هذا يدركه العقل ويطمئن به القلب. ولذا رأيت أن التزم بتعبيــر (ذكــر اللفظ أولا) لا بتعبير (قدم كذا على كذا) وشتان بينهما وعليه فذكر الظرف أو المفعول قبل ما يرتبطان به سائغ وارد لأنه مقتضى المعنى فلا تعديل فه ولا تقدير.

ولا يعنيـــنا أن تكون (أل) فى (القالين) موصولة أو غيرها. فقد اختار المبرد فـــى مـــثل هـــذه الآية أن تكون للتعريف وذلك فى قوله تعالى:﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ ٢١ الأعـــراف. وقوله:﴿ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ ٥٦ الأنبياء"(١).

فالظرف والجار والمجرور قد ذكر أولا لأن المعنى يقتضى ذلك. والتكلم وهو إبليس فى آية الأعراف كأنه يختص آدم وحواء بالنصح وإبراهيم الخليل عليه السلام فـــى آيـــة الأنبـــياء كأنه يخصص شهادته بأن ربهم رب السموات والأرض الذى فطرهن.

النمل: فى آية واحدة وهى:

قـــوله تعالـــى:﴿ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴾ ٢٩ ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ ﴾ ٣٠ وظاهر هذه الآية أن (من) حرف ابتداء لأن (سليمان) لا يقبل التبعيض.

---

(١) انظر الكامل ١/ ٢٣.

فالمعنـــى إنه آت من سليمان. وعلى ذلك يكون الخبر (آت) محذوفا كما هو منهج النحاة الذائع الشائع عند دارسى النحو.

وأنا لا أرى مانعا من إرادة هذا المعنى ولكن ليس على حذف الخبر لأن (من سليمان) هو الخبر إذ المعنى يتم به ويدركه العقل بدون تقدير فالتقدير تكدير.

ومـــع ذلك أرجح أن تكون (من) اسما بمعنى (بعض) والمضاف إليه يدركه العقـــل مما سبق ذكره وهو (كتاب كريم) أى إنه من كتب سليمان. وفى هذا إشارة إلى معنى جديد جميل وهو: أن سليمان كان رسولا ذا رسالة فيها عموم فهو يبلغها لـــيحملهم علـــى الإيمان بالله الخالق الرازق. ومن ثم يكون هو المعبود على وجه الحقيقة واليقين.

القصص: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ ٢٠ واللام تعليلية كما عرفنا أو ذكرت قبل (من الناصحين) لأن المقام يقتضى ذلك. فـــ (من) اسم بمعنى (بعض) وهى الخبر على الوجهين.

وقوله: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴾ ٣١.

وهـــى من خطاب الله عز وجل لموسى عليه السلام. و (من) هى الخبر أى بعض الآمين.

العنكبوت: فى آية واحدة هى:

قـــوله تعالـــى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ٢٧ وهى فى شأن إبراهيم عليه السلام. أى بعضهم.

لقمان: فى آية واحدة هى:

قـوله تعالـى:﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ ١٧ أى بعض معزومها أى المقـدور علـيه وإن احتاج إلى بذل طاقة وطول أناة. ولا يخفى أن (عزم) بمعنى (معزوم) يقبل التبعيض أى بعض معزوم الأمور.

و(ذلـك) إشـارة إلى ما ذكر فى صدر الآية وهو: "يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعـروف وإنهـى عـن المنكر واصبر على ما أصابك" فهو مفرد اللفظ متعدد المعنى. ولا يخفى أن هذه الآية من وصايا لقمان لابنه.

يس: فى آية واحدة هى:

قـوله تعالـى:﴿ يسٓ .وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ .إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ ١: ٣.

وهى خطاب من الله لمحمد عليه السلام.

الصافات: فى ثمانى آيات هى:

قـــوله تعالـــى:﴿ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴾ ٥٢﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ .... إلخ.

وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ٨١ وهى فى حق نوح عليه السلام.

وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾١١١ وهى فى حـق إبـراهيم عليه السلام.

وقـوله: ﴿ إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ١٢٢ وهـى فى حق موسى وهارون عليهما السلام.

وقـــوله: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ١٢٣ وقـــوله: ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ١٣٢ وهما فى حق إلياس عليه السلام.

وقوله: ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ١٣٣. وقوله: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ١٣٩.

ص: فى آيتين هما:

قــوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ ٤٧ وهى فى حق إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام.

وقوله: ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ ٨٠ وهى فى حق إبليس عليه اللعنة.

الزمر: فى آية واحدة هى:

قــوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ ٨ وهى فى حق من إذا خوله الله نعمة منه نسى ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله. فأمر الله رسوله عليه يقول:"قل تمتع بكفرك قليلا. إنك من أصحاب النار" أى بعضهم.

فصلت: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ٣٣.

الشورى: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ ٤٣. أى صبره وغفرانه من معزومات الأمور.

الأحقاف: فى آية واحدة هى:

قـــوله تعالى: ﴿ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ١٥.

الطور: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ ٣١.

هـذا: ومما يجدر التنبه إليه قوله: (وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) ثم قوله: " فإنى معكم من المتربصين" ففى كل من هامش الآيتين ظرف وهـو (عندنا) و (معكم) فهل يتم المعنى بهذا الظرف؟

الواضح أن الجواب بالنفى وغنما الخبر (لمن المصطفين) و (من المتربصين) هـو الـذى يتم به المعنى أى بعضهم وأما الظرف فهو فى محل نصب حال مما أصله المبتدأ.

آيـات الأفعال التى تنصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر وهى سبعة أفعال رتبتها على ترتيب حروف الهجاء هكذا.

١- جعــل

وذلك فى سبع آيات من السور الآتية:

الحج: فى آية واحدة هى:

قـوله تعالى:﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾٣٩. أى بعضها فهى فى محل نصب مفعولا ثانيا. والظرف (لكم) يفيد التخصيص.

الشعراء: فى ثلاث آيات هى:

قـــوله تعالـــى: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ٢١ وهى من كلام موسى خطابا لفرعون وقومه.

وقوله: ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ ٢٩.

وهى من خطاب فرعون عليه اللعنة لموسى عليه السلام.

ويقول فيها الزمخشرى: "فإن قلت: ألم يكن (لأسجننك) أخصر من (لأجعلنك من المسجونين" ومؤديا مؤداه؟

قلـــت: أما أخصر فنعم. وأما مؤد مؤداه فلا. لأن معناه لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم فى سجونى"[(١)].

وتعبيـــر الزمخـــشرى بـــــ (واحــدا) لا حاجة إليه فالدقيق: لأجعلنك بعض المسجونين.

وقـــوله: ﴿ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ ٨٥ وهى من دعاء إبراهيم عليـه الـــسلام لـــربه. ولا داعـــى لمن قدرها: وارثا من ورثة. فـــ (من) متعلق بمحذوف[(٢)].

إذ تقدير الموصوف لا داعى إليه لأن حذفه قبيح. ولذا وجدنا من يجعل الآية غنية بنصها حيث يقول: "من ورثة: مفعول ثان و (من) تبعيضية أى اجعلنى بعض الذين يرثون جنة النعيم أى لجعلنى مندرجا فيهم ومن جملتهم"[(٣)].

القصص: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ٧. وهى فى شأن موسى عليه السلام وأمه.

السجدة: فى آية واحدة هى:

قـــوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ ٨ أى بعض سلالة فـــ (من) مفعول ثان فى محل نصب.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٤٣.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٨٨.

(٣) انظر حاشية الجمل ٢/ ٣٨٣.

يس: فى آية واحدة هى:

قــوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ ٢٧. وهى من كلام من جاء من أقــصى المدينة إلى أصحاب القرية لينصحهم فكان جزاؤه الجنة فقال: "ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين.

٢- حســـب:

وذلك فى آية واحدة من سورة:

آل عمران. وهى قوله تعالى: ﴿ يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ٧٨. أى بعضه.

٣- رأى

وذلك فى آيتين من سورة:

يوسف: وهما قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ٣٦، ٧٨. وهما معاً خطاب ليوسف: الأولى من الفتيين اللذين دخلا معه السجن. والثانية من إخوته.

٤- ظـــن

وذلك فى ثلاث آيات من السور الآتية:

الأعراف: فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ٦٦ وهى من خطاب قوم هود عليه السلام له.

الشعراء: فى قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ١٨٦.

وهــى من خطاب أصحاب الأيكة لشعيب عليه السلام. ولا تنس أن اللام فى (لمــن) للفرق بين (إن) المخففة والنافية. وهى هنا مخففة أى وإن الشأن والقصة: نظــنك من الكاذبين أى بعضهم ولا يذهبن بك الظن إلى أن تلك هى مهمتها فحسب

بل الحقيقة أن لها معنى لا يوجد بدونها بكسب النص قوة وجلالا على قوته وجلاله فبها يتأكد جانب الخبر كما علمنا.

القصص: فى قوله تعالى: ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٣٨.

وهى من افتراءات فرعون عليه اللعنة ومزاعمه فى حق الله عز وجل.

٥- عـــدَّ:

وذلك فى آية واحدة من سورة:

ص وهى: قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ ٦٢.

وربما يخفى على بعض دارسى النحو أن هذا الفعل مما ينصب فعلين أصلهما مبتدأ وخبر. ولفتا لذهن هؤلاء إليه أسوق قول ابن مالك فى خلاصته:

ظن حسبت وزعمت مع عد ∴ حجا درى وجعل اللذ كاعتقد

وقد مثل الأشمونى لهذا الفعل بقول الشاعر:

فلا تعدد المولى شريكك فى الغنى ∴ ولكنما المولى شريكك فى العدم

ويعنى بذلك (عد) الذى بمعنى (ظن) – لأنه أردف قائلا: فإن كانت بمعنى (حسب) تعدت لواحد"(١).

وإنما يريد بـ (حسب) بفتح السين الذى بمعنى العدد أى الحساب نحو قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ ٥ يونس.

---

(١) انظر منهج السالك ٢/ ٢٠.

وكان الأجدر بالأشمونى أن يمثل بالآية لأنها نص وثيق دقيق لا تحوم حوله شبهة ولا تنال منه ريبة إذ القرآن أوثق أصول اللغة. ولكن شهرة القول بأن الشعر مصدر مهم من مصادر النحو هو الذى يجعل بعض النحاة يهتم به حتى إنه ليذكر البيت من الشعر مجهول القائل وربما لا يلتفت إلى آية يكون فيها قاعدته.

والمتعحب فى الآية إنما هم الطغاة. والمتعجب منهم هم المسلمون.

يقول الزمخشرى: "وقالوا: الضمير للطاغين. (رجالا) يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم (من الأشرار) من الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى. ولأنهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم أشراراً"[١].

فأصل الجملة (هم من الأشرار) والخبر (من) فلما دخلت (نعدهم من الأشرار) نصبتها فـ (هم) و (من) فى محل نصب مفعولى (نعد).

هـذا عن الآية. وأما البيت الذى ذكره الأشمونى فقد عدل نسقه الصبان حيث قـال: "قوله: المولى أى الصاحب مفعول ثان و (شريكك) مفعول أول أى مخالطك فى حال: الغنى والعدم كقفل"[٢].

والعـدم هـو الفقر. وكأنى بالصبان يريد أن يكون أصل الجملة شريكك فى العدم المولى أى الصاحب. ولكنى أرى أن المعنى نابع من نسق النص فهو: لا تظن المولـى شـريكك أى الـذى يشاركك فى الغنى فقط بل هو من يشاركك فى الغنى والفقر أى يكون حليفا لك فى الحالين فهو حينئذ صادق فى ولايته وأما الذى يكون خائـنا فى صداقته فقصارى أمره أن يعرف صديقه فى حال يسره وينكره فى حال تعسره. وتلك خلة رذلة وصفة ذميمة.

---

(١) الكشاف ٤/ ٧٩.

(٢) حاشية الصبان على منهج المسالك ٢/ ٢٠.

٦- قـــدَّر

وذلك فى آية واحدة من سورة:

الـنمل: وهـــى قوله تعالى:﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾ ٥٧. وفى سورة الأعراف:﴿ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾ ٨٣.

ومعنى (غبر) إما البقاء وإما الذهاب وإما لون من الألوان(١).

فهى مما يستعمل فى الشئ وضده أى: البقاء والفناء. وقال الزمخشرى فى آية الأعـــراف: "كانـــت من الغابرين" أى من الذين غبروا فى ديارهم أى بقوا فهلكوا. والتذكير لتغليب الذكور على الإناث"(٢).

ولا يخفى أن (من) فى آية النمل اسم بمعنى (بعض) فهى المفعول الثانى لـــ (قـــدرنا) كمــا أنها فى آية الأعراف خبر (كان). وعليه يكون الفعل (قدر) ناصبا لمفعولين أصلهما المبتدأ والخبر. والأصل: هى من الغابرين.

كما أن (كان) رافعة للمبتدأ ناصبة للخبر. والأصل كذلك.

ولـــم نعهـــد من النحاة – فيما نعلم – أحدا ذكر الفعل (قدر) مع الأفعال التى تنصب المبتدأ والخبر أى: من أخوات: ظن.

وبهذا تكون من إضافة القرآن الكريم. وكم له من إضافات إلى اللغة.

وهناك آيتان يحتمل أن يكون (قدر) فيهما ناصبا للمفعولين وهما قوله تعالى: ﴿ وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ ﴾ ٥ يونس. وقوله:﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾ ٣٩ يس وبذلك تكون (قدر) ناصبة للمفعولين ثلاث مرات.

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة ٤/ ٤٠٨ والقاموس ٢/ ٩٩.

(٢) الكشاف ٢/ ٩٩.

علـــى احتمال أن المعنى فى هاتي الآيتين فى الأصل: والقمر منازل. ولكنه غير واضح فيهما.

٧- وجـــــد:

وذلك فى آيتين من سورتين هما:

القـــصص: قوله تعالى:﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ٢٧

وهـــى فـــى شأن موسى عليه السلام من الذى أراد أن ينكحه إحدى ابنتيه على أن يأجره ثمانى حجج أى يخدمه ثمانية أعوام. فإن أتم عشرة فمن عنده أى فضل منه. ولا يريد أن يشق عليه بل سيجده إن شاء الله بعض الصالحين.

الصافات: قوله تعالى:﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ١٠٢.

وهى من قول إسماعيل عليه السلام حينما قال له أبوه إبراهيم: "إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى".

خاتـــــمـــــة

ممـــا ســبق يتــضح أن عدد مرات (مِنْ) غير الواقعة فى سياق ناسخ إحدى وثلاثون مرة.

وأن عدد مرات (مِنْ) الواقعة فى سياق عامل ناسخ أربعا وثمانين ومائة مرة.

وبذلك يكون عدد الاثنين معاً خمس عشرة ومائتى مرة.

وهذا مع ملاحظة أن القرآن معجز ولا تبديل لكلماته وهو السميع العليم.

الفصل الثالث

آيات (من) الواقعة فاعلا أو نائب فاعل

وهى بحسب رافع الفاعل ثلاثة أنواع:

النوع الأول: آيات رفع الفاعل فيها فعل من غير باب (كان) والفاعل فيها إما غير متبوع بعطف بيان وإما متبوع به. ووردت (من) فيهما أربع عشرة مرة.

آيات الفاعل غير المتبوع وهى ثلاث آيات:

١- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ٣٤ الأنعام.

أى جاءك بعض نبأ المرسلين لا كله. وبذلك تتفق هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ ١٦٤ النساء وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ ٧٨ غافر. فلـ (مِنْ) هنا الكلمة العليا حيث عبر بها دون (بعض) مما يثبت ويؤكد ما حققناه فى الباب الأول من أن القرآن يختار الكلمة التى يخف لفظها ويعمق معناها ويتيسر فهمها.

ولكن أسلافنا النحاة يأبون إلا تشقيق القول وتشتيت الآراء. فيوردون فى هذه الآية أربعة أوجه وهى:

(أ) أن (من) زائدة: وهى رأى الأخفش[1] وعليه تكون الآية (ولقد جاءك نبأ المرسلين) ويترتب على هذا اختلاف هذه الآية مع آية غافر. وخاصة أن

---

(١) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٣٥.

علمـــاء العربية لم يستطيعوا أن يحكموا على (من) فيها بالزيادة. فهل يجوز هذا؟ إن الله ينزه قرآنه عن الاختلاف حيث يقول:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ ٨٢ النساء.

ومما ينقض القول بالزيادة – إضافة إلى ما سبق – أن النحاة بدعوى الزيادة هـــنا قد ناقضوا أنفسهم حيث إن جمهورهم لا يدَّعى زيادة (مِن) إلا إذا كانت فى سياق نفى أو شبهة. وهنا ترى الأخفش يزعم ذلك.

ومـــا أغنانا بل ما أغنى النص القرآنى عن كل هذه الأقاويل التى لا نفع فيها ولا فائدة لها.

(ب) أن الفاعل محذوف وهى موصوف بـــ (من نبأ) أى (ولقد جاءك شئ من نبأ المرســـلين) جـــاء هذا الرأى فى (إعراب القرآن) المنسوب إلى الزجاج وقد عللـــوا له بـــ (أنك لو لم تقدر هذا لوجب عليك تقدير زيادة (من) فى الواجب وليس مذهب صاحب الكتاب – لأن الذى يجعلها زائدة فى سياق الإيجاز هو الأخفـــش – ثم قال: وجاز إضمار (شئ) وإن كان فاعـــلا لأن الفعل لابد له من فاعل"(١).

وقـــد عرفنا أن حذف الموصوف قبيح أو أقبح ومن ثَـــمَّ يلزمنا تنزيه القرآن عنه. ومما يلفت الذهن أن ابن هشام قدر الآية: ولقد جاءك نبأ من نبأ المرسلين ثم حذف الموصوف وهذا ضعيف فى العربية لأن الصفة غير مفردة فلا يحسن تخريج التنزيل عليه"(٢).

فأنت تراه يصف هذا الرأى بأنه ضعيف فقط والحق أنه سخيف ومن أعجب العجـــب أن نـــرى عالما جليلا مثل ابن الحاجب يقدر مثل ذلك فى قول العرب: قد

---

(١) انظر إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢٩٠، ٢٩١ ثم ٤١٦.

(٢) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٨.

كـــان مـــن مطـــر فقال: "إن التقدير (شئ من مطر) ثم يقرر أن (من) للتبعيض أو للتبيين. وهذا الأسلوب يتفق مع أسلوب الآية.

وكـــنا نـــود من ابن الحاجب أن يجعل (من) هى الفاعل لـــ (جاء) فى الآية و(كان) فى كلام العرب لأنها تامة. ولو فعل لأضفى على كلامه جمالا وكمالا حيث نزه القرآن عن دعوى التقدير الذى عرفنا أنه تكدير. ومن ثم قال الرضى عن كلام ابـــن الحاجب: "وفيه نظر لأن حذف الموصوف وإقامة الجملة أو الظرف مقامه بلا شرط فى باب الموصوف قليل وخاصة إذا كان الموصوف فاعلا"[(١)].

(جـــ) قال ابن عطية: الصواب عندى أن يقدر (جلاء) أو (بيان). وفسر أبو حيان ذلـــك قـــائلا: وتمام هذا القول أن التقدير: ولقد جاءك هو أى بيان. فيـَون الفاعل مضمرا يفسره بيان. لا محذوفا لأن الفاعل لا يحذف.

ثم قال: والذى يظهر لى أن الفاعل مضمر تقديره (هو) ويدل عليه المعنى من الجملـــة الـــسابقة أى: ولقد جاء هذا الخبر من تكذيب أتباع الرسل للرسل. والصبر والإيذاء إلى أن نصروا وأن هذا الإخبار هو بعض نبأ المرسلين... و (من نبأ) فى موضع الحال. وذو الحال ذلك المضمر. والعامل فيها وفيه: جاءك"[(٢)].

قـــال الدنوشـــرى: فالمتعين كون الفاعل ضميراً راجعا إلى النبأ المعلوم من السياق وقوله (من نبأ) حال منه.

ورد ذلك الشيخ يسن فى حاشيته بأنه غير صحيح كما يعلم من الوقوف على كلام المعربين للآية:

علـــى أن ظاهـــر كلام الكشاف أن (من) فاعل بمعنى (بعض) فلا حذف ولا ضمير مستتر فتأمل"[(٣)].

---

(١) حاشية الشمنى على المغنى ٢/ ٩١.

(٢) البحر ٤/ ١١٣.

(٣) حاشية يسن على التصريح ٢/ ١١٨.

ونص عبارة الزمخشرى: "ولقد جاءك من نبأ المرسلين" بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين"(١).

أرأيت بعد ذلك تيسيرا ومحافظة على جمال أسلوب القرآن وجلاله؟!

(د) بالتأمل فى الوجهين السابقين نعلم أن (من) بمعنى (بعض) وهو واضح ظاهر. وأما جعلها للتبيين فضعفه ظاهر واضح إذ يترتب عليه تقدير مبين وهو موصوف. وقد عرفنا أن التقدير: تكدير. وحذف الموصوف قبيح. وكلاهما غير لائق بالقرآن البليغ الفصيح. ومن ثم اقتصر عليه الزمخشرى.

ومما لا ينقضى منه العجب أن أبا حيان كعهدنا به ترصدا لما يبديه الزمخشرى من آراء وتحاملا عليه إن بالحق وإن بالباطل نراه هنا يقول: "إن هذا تفسير معنى لا تفسير إعراب لأن (من) لا تكون فاعلة"(٢).

ولكن الله عز وجل لا يترك الحق دون نصير ينصره ومدافع يدفع عنه الأذى بل يدافع عنه ولو دفع حياته ثمنا لذلك. ومن هنا نرى الشهاب الخفاجي يقول: "إنه تفسير إعراب لأن الحرف عنده – يعنى الزمخشرى – يكون مسندا إليه إذا أول باسم كما جعل (من) مبتدأ فى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ﴾ ٨ البقرة (٣).

وكنت أود من الشهاب أن يكون دقيقا فى تعبيره حتى ينال الخير كله فيقول: لأن (من) اسم ما دامت بمعنى (بعض).

تعقيب:

فى عبارة أبى حيان (تفسير معنى لا تفسير إعراب) غموض لابد من توضيحه ولبس لا مناص من كشفه. لأن ظاهره ينقض القاعدة الحصينة وهى:

---

(١) الكشاف ٢/ ١٥.

(٢) البحر ٤/ ١١٣.

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوى ٤/ ٢٢.

(الإعــراب فــرع المعنى) فبدون إدراك المعنى إدراكا تاما كاملا لا يكون إعراب واضــح مبــين. ولعــل الذين يروجون لتلك المقولة وهى (تفسير معنى لا تفسير إعراب) قد استمدوا ترويجهم هذا من نص لابن جنى يقول فيه: "باب فى الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى:

هــذا الموضــع كثيرا ما يستهوى من يضعف نظره إلى أن يقوده إلى إفساد الــصنعة. وذلك كقولهم فى تفسير قولنا (أهلك والليل) معناه: الحق أهلك قبل الليل. فربما دعا ذلك من لا دربه له إلى أن يقول: أهلك والليل فيجره. وإنما تقديره: الحق أهلك وسابق الليل.

ومن ذلك قولهم فى (عليك زيدا) إن معناه: خذ زيدا. وهو – لعمرى – كذلك إلا أن (زيــدا) الآن إنمــا هو منصــوب بنفس (عليك) من حيث كان اسمــا للفعل متعد لا أنه منصوب بــ (خذ).

ألا ترى إلى فرق ما بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى؟ فإذا مر بك شئ من هــذا عــن أصحابنا فاحفظ نفسك منه ولا تسترسل إليه. فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى فهو ما لا غاية وراءه. وإن كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المغنى تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه. وصححت طريق تقدير الإعــراب حتــى لا يــشذ شــئ منها عليك. وإيــاك أن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه"(١).

ففــى هذا ينبه ابن جنى إلى مبدأ سليم وعادة جميلة ينبغى أن يحرص عليهما دارس اللغة ألا وهو: أن يكون استنباطه للمعنى من نسق النص على ما ورد عليه حتــى يتفق إعرابه مع معناه. وقد ضرب لذلك مثلين أولهما: أهلك والليل. فقد ورد هذا النص بنصب (أهلك) و (الليل) معا. فلابد من ملاحظة ذلك عند استنباط المعنى

---

(١) الخصائص ١/ ٢٧٨: ٢٨٤.

ثـــم إعـــراب الـــنص. ومن المعلوم أن هذا مثل يراد به الحث على السرعة الفائقة ليدرك المخاطب أهله ولو أدى ذلك إلى مسابقة الليل في سرعته. وبفهم هذا المعنى يستقيم إعراب المثل.

هكـــذا: أدرك أهلك وسابق الليل فـــ (أهلك) مفعول به وناصبه حذف للعلم به مـــن مقـــام المثل وهو (أدرك) وكذا (الليل) مفعول وناصبه معلوم من مقام المثل. وبهذا يتطابق تفسير المعنى مع تقدير الإعراب. ويتحقق معنى قوله: (الإعراب فرع المعنى).

وإذا فسر بغير ذلك كما ذكره ابن جني ضاعت المطابقة وفسد المعنى ومن ثم يفسد الإعراب.

والمثل الثاني: عليك زيدا. ومثله قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾ ١٠٥ المائـــدة. فقـــد ذكر ابن جني أن تفسيره بـــ (خذ) أو (خذوا) لم يتـــرتب علـــيه صلاح الإعراب. لأن (عليك) و (عليكم) اسم فعل متعد فهو ينصب المفعـــول بنفـــسه أي الزم زيدا والزموا أنفسكم. فلا داعي لتقدير (خذ) لأن النص مـــستغن عـــنه أشد الاستغناء إذ المعنى واضح بدونه وما دام المعنى واضحا فإن الإعراب يكون سهلا ميسورا.

وهـــذا مـــا سلكه الزمخشري في قوله: "ولقد جاءك من نبأ المرسلين" حينما أدرك أن المعنى: جاءك بعض نبأ المرسلين. وعليه تكون (من) اسما لأنها مرادفة لـــ (بعض) فتعرب فاعلا وليس بعد ذلك غـــاية في تطابق الإعراب مـــع المعنى إذ هو فرعه.

٢- الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ ﴾ ٣٦ هود.

ذكـــر كل من الزمخشرى وأبى البقاء ما يفيد أن فاعــل (يؤمن) هــو (من قد آمن)[١].

والمعنى على هذا: يؤمن من قد آمن. ولست أدرى ما معنى ذلك؟

أيجــوز أن تقول: يضرب من ضرب. أو: ينجح من نجح... إلى غير ذلك؟! إن ذلك تفسير غير دقيق لمعنى النص. ومن ثم لا يستقيم إعرابه.

ولذا رأينا أن (من) هى الفاعل أى لن يومن بعض قومك فى المستقبل إلا من قد آمن فى الماضى.

ففــى (لــن يــؤمن) إقــناط من إيمان بعضهم فى المستقبل. على حد تعبير الزمخشرى. أما (قد) فقد فسرها بالتوقع[٢].

والــذى أراه غير ذلك لأن الذى آمن تحقق إيمانه ووقع والتوقع لا يكون لما وقع وإنما لما سيقع.

فــ (من) فاعل (يؤمن) و (إلا) وصف لها بمعنى (غير) أى غير من قد آمن. ومــثل الآية قولنا: ما أتانى أحد إلا زيد. وفيه يقول سيبويه: "أنت بالخيار إن شئت جعلت (إلا زيد) بدلا وإن شئت جعلته صفة"[٣].

وعليه يجوز أن يكون (مَنْ قد آمن) بدلا.

وربما يقال: كيف يكون بدلا وهو موجب ومتبوعه منفى كما يقول أبو العباس ثعلــب. فــنقول: "أجاب السيرافى بأنه بدل منه فى عمل العامل فيه. وتخالفهما فى النفــى و الإيجــاب لا يمــنع البدلية لأن سبيل البدل أن يجعل الأول كأنه لم يذكر والثانــى فــى موضــعه. وقد يتخالف الموصوف والصفة نفياً وإثباتا نحو: مررت برجل لا كريم ولا لبيب"[٤].

---

(١) انظر الكشاف ٢/ ٣٠٧ وإملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢٠.

(٢) انظر الكشاف ٢/ ٣٠٧.

(٣) الكتاب ٢/ ٣٣٤.

(٤) منهج السالك للاشمونى ٢/ ١٤٨.

بـــل إن فـــى اللغة ما هو أبعد من ذلك فقد يوصف الاسم بأنه فاعل مع نفى الفعل عنه كما فى قولنا: ما ينجح الكسول ولا يخيب المجتهد.

وممـــا ينبغـــى التنبيه إليه ما جاء فى النص السابق وهو (لأن سبيل البدل أن يجعل الأول كأنه لم يذكر والثانى فى موضعه).

فمعنـــى هـــذا أن المـــبدل منه على نية الطرح والرمى على حد تعبير بعض النحاة. وهذا غير مقبول ومن ثم ينبغى إعدامه.

وإلا فكيف نحكم بهذا على بعض آيات القرآن الحكيم مثل قوله تعالى: "اهدنا الـــصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم ... الآية" هل يجوز الاستغناء عن المـــبدل مـــنه وهـــو (الصراط المســـتقيم)؟ كلا. وهـــذا ما حققناه فيما ســـبق عن الإمـــام الرضى.

٣- الآيـــة الثالـــثة قوله تعالى: ﴿ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡ ﴾ ٣٨ العنكبوت. وهى فى حق من أهلكهم الله من الأمم السابقة.

ومعـــناها أن المسلمين فى عصر خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام قد علموا ورأوا بعـــض آثارهم. مما يحمل العقل على التبصر والقلب على التذكير ثم النفس على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسلة واليوم الآخر.

فـــ (من) فاعل (تبين) وهذا ما صرح به البيضاوى حيث قال: "من: للتبعيض وهى الفاعل فقال: تبين لكم بعض مساكنهم"(١).

وقال الألوسى: "وكون (من) هى الفاعل على أنها اسم بمعنى (بعض) مما لا يخفى حاله"(٢).

---

(١) هامش حاشية الشهاب ٧/ ١٠١.

(٢) روح المعانى ٦/ ٤١٠.

ولست أدرى ما المقصود بـ (ما لا يخفى حاله) هل يعنى: أنه ضعيف وضعفه باد واضح؟ أو يعنى: أنه قوى لأنه هو المناسب للمقام دون تقدير؟! أرى أن الثانى هو الأليق.

ومع أن جعل (من) هى الفاعل هو اللائق بجلال القرآن نرى من يلجأ إلى غير ذلك.

فالزمخشرى يذكر ما يفيد أن (من) حرف ابتداء حيث يقول: "تبين لكم من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها"(١).

وذكر الألوسى أنها للابتداء أو التعليل أى من جهة مساكنهم أو بسببها. كما ذكر أنها اسم بمعنى (بعض). بل جوز أن تكون زائدة والفاعل (مساكنهم) وزيادتهم فى سياق الإيجاب لا النفى قال: "ويؤيده قراءة الأعمش (مساكنهم) بالرفع من غير: مِن"(٢).

وهذا كله إثقال على النص بما لا يوجد فيه فضلا عن أنه تنفير للناس من دراسة لغة القرآن على ما وردت عليه مع ما فى ذلك من خفة وتيسير ومحافظة على جلال النص القرآنى وكماله وجماله.

ومن العجيب أنهم هم الذين قرروا أن ما لا يحتاج خير مما يحتاج؟!

ثم إننا لو أخذنا بقراءة الأعمش لكنا مؤثرين لقراءة الآحاد على قراءة الجماعة وأرى أنه لا داعى لذلك إذ ربما يكون الأعمش قد تأثر فى قراءته بمن يزعم زيادة (من). فيصبح البشر حكاما على وحى الله عز وجل.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٥٧.

(٢) روح المعانى ٦/ ٤١٠.

آيـــات (من) الواقعة فاعلا متبوعا بعطف البيان

وأساليبها ثلاثة لأن عطف البيان إما بــ (ما) وإما بــ (من) وإما بغيرهما.

أولاً: آيات عطف البيان بــ (ما) وهى ثلاثة:

١- قــوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴾ ٤٣ مريم وهى من خطاب إبراهيم الخليل عليه السلام لأبيه آذر.

فــ (من) فاعل (جاء) أى بعض العلم. ثم بين هذا البعض بقوله (ما لم يأتك) وبهــذا يثبت أن إبراهيم يعلم ما لا يعلمه أبوه ولابد للعالم أن يعظ غير العالم. ففى (مــا لم يأتك) نوع من البيان لــ (من العلم: على سبيل التبعيض أى شئ من العلم ليس معك"[1].

ولست أدرى ما وجه الحاجة إلى كلمة (شئ)؟!

٢- قوله تعالى: ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ ٧٨ طه.

وهى فى حق فرعون وجنوده فصدرها "فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم..إلخ".

ومعــناها أن الله لما أمر موسى عليه السلام بأن يضرب البحر فصار طريقا يبــسا فسلكه ومن معه. فأخذ فرعون وجنوده يتبعونهم فأهلكهم الله. وبهذا يثبت أن الشئ الواحد يكون نعمة على الطائعين وفى الوقت نفسه يكون نقمة على العاصين. فــ (من اليم) أى بعض اليم. ثم جاءت (ما) لتبين عظمة الذى غشيهم وهذه العظمة نابعــة مــن الإبهــام فى (ما) وتلك لفتة جميلة من لفتات اللغة القرآنية حيث يكون المشتمل على الإبهام بعظمته بيان لمقدار ما قبله.

---

(١) البحر ٦/ ١٩٤.

والواضـــح أن (من) فاعل. وفى هذا يقول الزمخشرى: "ما غشيهم: من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التى تستقل مع قلتها بالمعانى الكثيرة أى غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله." ثم يقول:

"وقــرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم. والتغشية: التغطية. وفاعل (غشاهم) إما الله سبحانه أو: (ما غشاهم) أو (فرعون) لأنه الذى ورط جنوده وتسبب لهلاكهم"[1].

فإذا كان الفاعل هو (الله) كان الكلام على الحقيقة لا المجاز وفى سياق الآية ما يشير إلى جواز ذلك حيث يقول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ ٧٧؛ فالذى أوحى هو الذى (غشّى).

وعلـــى هـــذه القراءة يكون (غشّى) متعديا إلى مفعولين الأول علامة إضمار الغائبين والثانى (من اليم) أى بعض اليم. و (ما) بيان لهذا البعض على ما وضحنا.

وإذا كـــان الفاعل هو (فرعون) كان الكلام على وجه المجاز لأن (فرعون) كان سبب ذلك لا فاعله.

و (غـــشّى) مـــتعد للمفعولـــين السابقين كما بينا و (ما) بيان وقد ثبت تعدى (غشّى) و (أغشى) إلى مفعولين كما فى قوله تعالى: ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ ٥٤ الأعراف. وقرئ فيها (يغشى الليل النهار)[2].

وبهـــذا يتبـــين أن (من) على قراءة (فغشيهم) تكون فاعلا و (غشى) من باب (علـــم). وعلـــى قراءة (فغشّاهم) تكون مفعولا ثانيا. والفعل من باب (علّم) كما فى قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ٥ العلق.

---

(١) الكشاف ٣/ ٦١.

(٢) انظر الكشاف ٢/ ٨٦.

٣- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ ٤ القمر.

وهـــى فى حق المعرضين القائلين فى شأن القرآن (سحر مستمر) والآية فى أشد الاستغناء عن التقدير أو التقديم والتأخير.

فـــ (من) فاعل (جاء) أى جاء بعض الأنبياء و (ما فيه مزدجر) بيان لـــ (ما) على نحو ما وضحنا آنفا.

ولكـــن الشهاب الخفاجي يأبى إلا حمل القرآن على ما لا يليق به إذ يزعم أن (من الأنباء) حال من (ما) وقدم عليه رعاية للفاصلة وتشويقا لما بعده".

وهـــو بذلك يحكم بأن نسق الآية فى الأصل: ولقد جاءهم ما فيه مزدجر من الأنـــباء. ثم مضى قائلا: " و (من) للتبعيض أو للتبيين بناء على جـــواز تقـــديمه على المبين.

وفيه خلاف للنحاة. وقال الرضى: إنما جاز تقديم (من) المبينة على المبهم فى نحـــو: (عـــندى مـــن المال ما لا يكفى) لأنه فى الأصل صفة لمقدر أى: شئ من المال. والمذكور عطف بيان للمبين المقدر قبلها ليحصل البيان بعد الإبهام"(١).

تأمـــل هذا النص تجد فيه ما لا حاجة به إليه من حيف وهو (الحذف) وتكدير وهو (التقدير). ولعلك قد فهمت مما سبق المعنى واضحا صريحا صافيا منسقا.

فضلا عما سبق من أن دعوى التقديم والتأخير لأجل الفاصلة باطلة كما قرر الإمام الشيخ محمد عبده. لما فيه من مماثلة القرآن بالشعر وهذا غير لائق.

ثانيا: بينت (من) بفتح الميم (من) بكسرها فى آيتين:

١- قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ ١٠ الرعد.

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوى ٨/ ١٢١.

أى يستوى فى علم الله (بعضكم) ثم فصل هذا البعض بـ (من أسر القول) و(من جهر به). فـ (من) فاعل بـ (سواء) لأنه بمعنى (يستوى) وقد اشتمل هذا البعض على من يسر القول ومن يجهر به والمراد بـ (بعضكم) هنا: بعض الكافرين الذين ورد ذكرهم فى الآية قبلها وهى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ٧ الرعد.

ويمكن أن يكون الراد (بعض المخاطبين) إنسا وجنا مؤمنا وكافرا.

وسواء مبتدأ ... و (من) فاعله سد مسد خبره. كما فى (قائم زيد). والنكرة هنا لا تحتاج إلى مسوغ للابتداء بها لأنها وصف قائم مقام الفعل فهو محكوم به لا محكوم عليه والفعل مرتبته النكرة(١).

والمشهور أن هذا مذهب الكوفيين والأخفش فهم الذين يجوزون رفع الوصف لما بعده فاعلا له ومغنيا عن الخبر دون اعتماد ذلك الوصف على نفى أو استفهام أو غير ذلك مما هو معلوم فى علم النحو.

وأرى أنه لا غبار عليه ما دام المعنى واضحا لا غموض فيه صريحا لا إيهام فيه. ولكن أبا البقاء لا يرضى عن ذلك ولا به بل يقرر أن (من أسر) مبتدأ و(سواء) خبر فأما (منكم) فيجوز أن يكون حالا من الضمير فى (سواء) لأنه فى موضع (مستو) ... ويضعف أن يكون (منكم) حالا من الضمير فى (أسر وجهر) لوجهين:

أحدهما: تقديم ما فى الصلة على الموصول. أو الصفة على الموصوف.

والثانى: تقديم الخبر على (منكم) وحقه أن يقع بعده"(٢).

---

(١) انظر النحو الوافى ١/ ٤٨٥. ومنهج السالك وحاشية الصبان عليه ٢٠٠، ٢١٥، ٢١٦.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٣٣.

ولو أردنا تنسيق كلمات الآية على هذا لكان هكذا:

سواء من أسر القول ومن جهر به حالة كونه بعضهم. على أن يكون صاحب الحال الضمير فى (سواء) ويضعف أن يكون صاحبها الضمير فى (أسر) لما فيه من تقديم ما فى الصلة على (من) الموصولة. أو ما فى الصفة على (من) الموصوفة. إذ (من) عنده تحتمل أن تكون بمعنى (الذى) وأن تكون بمعنى (شئ).

فأى شئ عاد على المعنى من هذا الإثقال والخلخلة للنص وبعثرة كلماته حتى يضل القرين عن قرينة والأليف عن أليفه. فكلمات النص كالبنيان المرصوص لكل منها وضعه وموضعه ومكانه ومكانته.

وهناك من يزعم أن (سواء) مبتدأ ولما كان نكرة احتاج إلى مسوغ وهو (منكم) فهو وصف له. و (من أسر) خبر"[1].

وبالتأمل ندرك أن هذا القول يحتاج إلى تقدير متعلق لـ (من) أى سواء كائن منكم... ولست أدرى ما المعنى فى ذلك؟!!

ومما يزيدنا يقينا بهذا أن جعل (من) اسما بمعنى (بعض) يغنى عنه أى غناء. كما أنه يجعل نسق النص محفوظا مصونا عن زلزلة كلماته وخلخلة لبناته.

ويؤيد ذلك أن الزمخشرى جعل (من) فى الآية للاثنين حيث قال: "إن (من) فى معنى الاثنين كقوله:

نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

كأنه قيل: سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار"[2].

---

(١) حاشية الجمل ٢/ ٥٨٨ وإعراب القرآن المنسوب للزجاج ص ٦٤.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٠٢ وانظر الجامع لأحكام القرآن ص ٣٥١٩.

وإذا قـيل: إن (يـستوى) من الأفعال التى لا تكتفى بفاعل واحد كالاختصام والاصطلاح والاقتتال كما قال ابن يعيش[١].

قلـنا إن (من) فيها معنى التعدد لأن (بعض القوم) أفراد متعددون. ومثل ذلك (الحـسنة والـسيئة) فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ ٣٤ فصلت.

وفيها يقول الزمخشرى: "يعنى أن الحسنة والسيئة متفاوتتان فى أنفسهما فخذ بالحسنة التى هى أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التى ترد عليك من بعض أعدائك"[٢].

وكـأن المعنى: لا تستوى أفراد الحسنة ولا أفراد السيئة فالمقصود بالآية ففى استواء أفراد الحسنة نفسها ثم نفى استواء أفراد السيئة نفسها كذلك. ويثبت بطريق الأولى عدم التساوى بين الحسنة والسيئة[٣].

٢- قـوله تعالـى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ ﴾ ١٠ الحديد.

فـ (من) فاعل و (من أنفق) بيان له. وقد يرى بعضهم ان (منكم) حال مقدمة علـى) (مـن أنفق) وهذا هو الفاعل. وعليه يكون نسق الآية: لا يستوى من أنفق حالـة كونه بعضكم. ولكن ذلك لا يروقنى لما علمنا فيه من قبح فنسق الآية صالح لأخذ المعنى المراد منه دون تقديم وتأخير أو حذف وتقدير.

---

(١) شرح المفصل ٨/ ١٣٧.

(٢) الكشاف ٤/ ١٥٦.

(٣) انظر مجلة الأزهر عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ ص ٢٣٣.

فالخطـــاب للمؤمنين متقدميهم ومتأخريهم. فمعنى (لا يستوى منكم) أى بعـــضكم ثم فصل هذا البعض بـــ (من) أنفق من قبل الفتح وقاتل. ومن أنفق من بعد الفتح.

وهنا نرى حذفا للبلاغة حيث إن العقل يدرك المعنى وبذلك يستغنى عن جملة (ومن أنفق من بعد الفتح) للعلم بها كما قال الزمخشرى"(١).

ثالثا: جاء بيان (من) بغير (ما) و (من) سبع مرات فى الآيات الآتية:

١- قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾ ١٢٢ التوبة.

فـــ (من) فاعل مضاف إلى (كل) و (طائفة) بيان لها. يقول الألوسى: "مزقة: أى جماعة كثيرة. .. وطائفة: أى جماعة قليلة. وهل (الفرقة) و (الطائفة) على ذلك مأخـــوذ من السياق و (من) التبعيضية لأن البعض فى الغالب أقل من الباقى. وإلا فالجوهرى لم يفرق بينهما"(٢).

فالفرقة أعم من الطائفة(٣).

ومعنـــى الآية فلولا نفر بعض كل جماعة كثير ثم بين هذا بقوله: (طائفة) أى جماعة قليلة. فـــ (طائفة) عطف بيان لـــ (من).

٢، ٣- قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ ٨١ هود و ٦٥ الحجر.

أى لا يلتفت بعضكم ثم بين هذا البعض بـــ (أحد). وبهذا يكون استغراق النفى لأن (أحد) من ألفاظ الاستغراق. على عكس (من) فليست نصافيه ومن ثم كان البيان بعد الإجمال.

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٧٨.

(٢) روح المعانى ٣/ ٣٩٠.

(٣) انظر شرح الألفاظ المترادفة ص ٢٣.

٤- قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ﴾ ٢٨ فاطر.

أى إنما يخشى الله بعض عباده ثم جاء البيان بـــ (العلماء) وبهذا البيان يطمئن القلب ويرضى العقل وتسكن النفس ويرتاح الإحساس.

وفى هذه الآية قراءة أخرى مع لفظ الجلالة ونصب العلماء. قال الزمخشرى: "وهى قراءة عمر بن عبد العزيز. ويحكى عن أبى حنيفة. والخشية فى هذه القراءة استعارة. والمعنى: إنما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشى من الرجال بين الناس من بين جميع عباده"(١).

وعلـــى هذه القراءة تكون (من) مفعولا به أى إنما يعظم الله بعض عباده. ثم جاء البيان بـــ (العلماء).

٥- قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ﴾ ١٦ غافر.

أى لا يخفـــى بعـــضهم. وكلمـــة (شـــئ) بيان استغراقى لأنها تشمل الأدنى والأعلـــى. قال الزمخشرى: "يوم هم بارزون: لا يسترهم شئ من جبل أو أكمة أو بـــناء. لأن الأرض بارزة قاع صفصف. ولا عليهم ثياب. إنما هم عراة مكشوفون كما جاء فى الحديث: يحشرون حفاة عراة غرلا. (لا يخفى على الله منهم شئ) أى من أعمالهم وأحوالهم"(٢).

وســـواء قلـــنا: إن المراد إفرادهم أو أحوالهم وأعمالهم فـــ(من) اسم بمعنى (بعض). و (شئ) بيان لها.

٦- قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ ٢٢ الرحمن.

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٨٣.

(٢) الكشاف ٤/ ١٢٢.

فاللؤلــؤ مكــون مــن مـــاء البحــرين فهو بعضه فــ (من) فاعل و (اللؤلؤ والمــرجان) بيان لها. وهـــذا يــدل على أن الماء تتكون منه كائنات لا تحصى ولا تحــصر ولا تعــد ولا تحد. وصدق الله إذ يقــول: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ ٣٠ الأنبياء.

٧- قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ ١٨ الحاقة وفسر الزمخشرى (خـــافية) بـــ (سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا بستر الله عليكم)[1].

فـــ (منكم) أى بعض أحوالكم وأعمالكم و (خافية) بيان لـــ (من).

النوع الثانى: آيات رفع الفاعل فيها (كان) التامة.

وهـــى عـــشر مرات فى ثمانى آيات و (من) فيها اسم بمعنى (بعض) فاعل (كان) وقد أتبعت فى الآيات كلها بعطف بيان.

١- الآيـــة الأولـــى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ ١٠٤ آل عمران.

والمعنى: ولتوجد بعض أفرادكم ثم جاء بيان ذلك (أمة) فلا تقديم ولا تأخير. ولما كانت (أمة) مؤنثا لحقت علامة التأنيث للفعل (تكن).

ولما كان (منكم) خطابا لجماعة الذكور جاء (يدعون) مشتملا على علامة هذه الجماعـــة ثـــم لوحظ لفظ (أمة) من حيث إنه اسم ظاهر فجئ بـــ (ياء) الغائبين فى (يدعون) وما بعده من الأفعال.

---

(١) الكشاف ٤/ ٤٨٢.

ولا شـك أن أسلوب الإجمال ثم التفصيل أو الإبهام ثم البيان أوقع فى النفس وأرسخ للمعنى فى الذهن.

ولكـن علماءنـا لا يرضون بذلك ولا عنه ومن ثم رأينا من يرى: أن (تكن) تامة و (أمـة) هى الفاعل. و (يـدعون) صفـة. وعليـه تكون (منكم) متعلقا بـ (تكن) أو بمحذوف حال من (أمة) لأنه كان صفة لها قدم عليها فصار حالا".

وواضح أن (من) على هذا الرأى حرف إضافة لا اسم بمعنى (بعض).

وهى إما مرتبطة بالفعل (تكن) أى متعلقة به وإما متعلقة بمحذوف حالا.

والحق أن جعلها اسما فاعلا وما بعدها بيانا لها أجزل فى المعنى وأجمل فى اللفظ وأحفظ للنص وأصون له من زلزلة بنائه وخلخلة كلماته.

ثـم يـرى هـؤلاء جواز أن تكون (تكن) ناقصة و (أمة) اسمها و (يدعون) الخبـر. و (مـنكم) إمـا أن تتعلق بها وإما أن تتعلق بمحذوف حال وإما أن تتعلق بمحذوف خبر (تكن) و (يدعون) صفة.

قال السمين وفيه بعد"(١).

والـرأى هنا أيضا أن (من) اسم (تكن) و (أمة) بيان لها وجملة (يدعون ... إلخ) خبر.

وعلى القول بأن (تكن) ناقصة يكون فى اسمها معنى الفاعلية فقد ذكر سيبويه أن هناك شبها قويا بين اسم كان وفاعل ضرب مثلا. وبين خبر كان ومفعوله: حيث قـال: "هـذا بـاب الفعـل الذى يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول. واسم الفاعل والمفعـول فيه لشئ واحد - يعنى اسم كان وخبرها - فمن ثَمَّ ذكر على حدته ولم يذكر مع الأول - يعنى: باب الفاعل الذى يتعداه فعله إلى مفعول(٢) - ولا يجوز فيه

---

(١) انظر فى ذلك إملاء ما من به الرحمن ١/ ٨٢ وحاشية الجمل ١/ ٣٦١.

(٢) انظر الكتاب ١/ ٣٤.

الاقتـصار على الفاعل – يعني: اسم كان – كما لم يجز في ظننت الاقتصار على المفعـول الأول، لأن حالك في الاحتيـاج إلى الآخـر ههنا كحالك في الاحتياج إليه ثمة....

وذلك قولك: كان ويكون وصار وما دام وليس وما كان نحوهن من الفعل مما لا يستغنى عن الخبر تقول: كان عبد الله أخاك. فإنما أردت أن تخبر عن الأخوة وأدخلت (كـان) لتجعل ذلك فيما مضى. وذكرت الأول – يعني: عبد الله – كما ذكـرت المفعـول الأول في ظننت .... إلا أن اسـم الفاعل والمفعول فيه لشئ واحد"(١).

وخلاصـة معنـى ذلك النص أن (كان عبد الله أخاك) مثل (ضرب عبد الله أخـاك) فقـد عبر سيبويه عن (عبد الله) فيهما معاً بأنه (فاعل) وعبر عن (أخاك) أيضا بأنه مفعول. ثم ذكر الفرق بين الأسلوبين وهو: أن المقصـود بـ (عبد الله) و (أخـاك) في أسلوب (كان) شخص واحد. وهو أخو المخاطب. وأما في أسلوب (ضـرب) فـ (عبد الله) شخص و (أخاك) شخص آخر. وتلك لفتة دقيقة لا يقدر عليها إلا مثل سيبويه.

والـذي يعنيني هنا أن قوله تعالى: "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير" يمكن جعلـه من باب (قام) أي الفعل القاصر فيرفع الفاعل وهو (منكم) و (أمة) بيان له. وجملـة (يدعـون) حـال أي: ولـيقم بعـضكم وهو أمة داعين إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر... إلخ.

وعلى ذلك يكون (تكن) تامة. ومثل ذلك قولنا: قام محمد آمرا بالمعروف.. إلخ.

وهذا ما ذهب إليه الكوفيون ما عدا الفراء فعندهم أن المنصوب بعد (كان) في (كان محمد قائما) حال حقيقة وعند الفراء شبيه بالحال..

---

(١) الكتاب ١/ ٤٥.

وكذا يمكن جعل (ولتكن منكم..) فعلا ناقصا و (منكم) اسمه. وجملة (يدعون) خبــر. والاســم شبيه بالفاعل والخبر شبيه بالمفعول. قال الصبان: "وهو الصحيح لوروده باطراد معرفة وجامدا"[1].

وهــو يعنــى بذلك أن الحال لا تكون معرفة ولا جامدة. والحق أننا قد حققنا مجيئها كذلك فى غير هذا الكتاب[2].

فالمعنى على كلا الحالين لا يخرج عن معنى أن تكون (من) فاعلا أو شبيها بــه. وجملة (يدعون) حالا. ومما يرجح ذلك بل يصححه أننا لا نمس نسق النص بسوء بل يكون المعنى نابعا من نسقه مأخوذا من ترتيب كلماته.

فــلا نقدم ونؤخر. ولا نحذف ونقدر، بل يكون المعنى نابعا من نسقه مأخوذا من ترتيب كلماته.

ولــذلك رأيــنا الزمخشرى يرجح: "أن (من) للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهــى عن المنكر من فروض الكفايات، ولأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الأمر فى إقامته وكيف يباشر"[3].

وجعــل القرطبــى معنى التبعيض أصح لأنه يدل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض على الكفاية. وقد بينهم الله بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ٤١ الحج وليس كل الناس مكنوا"[4].

وقــال أبو حيان: "والظاهر أن قوله (منكم) يدل على التبعيض وقاله الضحاك والطبرى.. فمتعلق الأمر بعض الأمة وهم الذين يصلحون لذلك"[5].

---

(١) حاشية الصبان على منهج السالك ١/ ٢٣٨.

(٢) انظر فصل المقال فى دراسة أساليب الحال من ص ١٠٧ إلى ١٤٥.

(٣) الكشاف ١/ ٣٠٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ص ١٤٠٧.

(٥) البحر ٣/ ٢٠.

وقـــال ابـــن المنير: "وفى هذا التبعيض وتنكير (أمة) تنبيه على قلة العاملين بذلك وأنه لا يخاطب به إلا الخواص"[١].

ومن ثم قال السيد رشيد رضا: "يجب أن يتألف للدعوة جماعات تعد لها عدتها وأن هذا متعين على الوجه الآخر فى الآية وهو جعل (منكم) للتبعيض"[٢].

وعلى هذه الآراء كلها يثبت أن معنى (البعضية) هو سيد الموقف لأنه مطلب المقام وأصل صدق المعنى ودقته ومطابقته للواقع فى المجتمع.

ولكنـــنا – على عادتنا – لمن نألف من أسلافنا الإجماع على معنى مهما بلغ حق اليقين وعلم اليقين بل لابد من خلافهم واختلافهم وكأنهم قد جعلوا الخلاف سنة من سنن العلم.

ولـــذا رأيـــنا الزمخشرى يقول بعد ما نقلناه عنه: "وقيل (من) للتبيين بمعنى: وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ ﴾ ١١٠ آل عمران[٣].

وواضح من هذا التقدير أن الزمخشرى قد حكم على (من) بالإعدام فالله يقول (ولتكن منكم) وهو يقول: "وكونوا أمة .." فهل يليق هذا بجلال كلامه وكماله؟!

ومـــن أعجب العجب أن هذا القول لا يعدم أنصارا له فقد رجحه البيضاوى والشهاب الخفاجى وزاده والرازى ونقله أبو حيان فى البحر عن الزجاج[٤].

---

(١) الانتصاف هـ الكشاف ١/ ٣٠٤.

(٢) تفسير القرآن الحكيم ٤/٢٣.

(٣) الكشاف ١/ ٣٠٥.

(٤)انظر البيضاوى وحاشية الشهاب عليه ٣/ ٥ والرازى ٣/ ١٩ وتفسير أبى السعود ٢/ ٤٨٦: ٤٨٧ والبحر ٣/ ٢٠.

وقال الإمام محمد عبده: "والراجح المختار أن قوله تعالى: "ولتكن منكم أمة: تجريد كقول القائل ليكن لى منك صديق أى لتكن صديقا لى. وأنه يجب على جميع المسلمين أن يكونوا دعاة إلى الخير الأعظم الذى هداهم الله إليه"(١).

وبهــذا يتــضح أن القــول بالتجريد مثل القول بالتبيين فى الحكم على (من) بالإعدام.

وأصــحاب هــذين الــرأيين يدركون ذلك إدراكا كاملا وهذا مما يدعو إلى العجــب إذ كــيف يكونون من أتباع الإسلام وحراس القرآن وشراح آياته ومقدسى كلماته لأنها تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومع هذا يزعمون أن كلماته يمكن الاستغناء عن بعضها حين فهم النص التى تكون فيه. أليس ذلك انتهاكا لقدسيتها وطمسا لبلاغتها وتعسفا لفائدتها وثمرتها؟؟

وعلــى الرغم من ذلك أرى الأستاذ رشيد رضا يصر على أن المراد بالآية العموم ويرد على ما نعيه حيث يقول:"فالذين منعوا عموم الأمر بالمعروف والنهى عــن المنكر جوزوا أن يكون المسلم جاهلا لا يعرف الخير من الشر ولا يميز بين المعروف والمنكر وهو لا يجوز دينا"(٢).

وأرى أن هذا غير دقيق لأن هناك فرقا شاسعا بين المعرفة والعلم بالمعروف والمنكــر والخير والشر وبين إحسان الدعوة إلى الله فربَّ عالم بذلك كله ولكنه لا يحــسن الدعوة إليه ومن ثم قال الله عز وجل: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ ١٢٤ النحل.

---

(١) تفسر القرآن الحكيم ٤/ ٢٣.

(٢) تفسير القرآن الحكيم ٤/ ٢٣.

فالمســلم على وجه العموم عالم بذلك ولكن الذين يدعون إليه متميزون وعلى الرغم من ذلك يصر الأستاذ/ رشيد رضا على أن المراد بالآية العموم ومن ثم يرد على ما نعيه قائلا: "فالذين منعوا عموم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر جوزوا ان يكــون المسلم جاهلا لا يعرف الخير من الشر ولا يميز بين المعروف والمنكر. وهو لا يجوز دينيا"[١].

والحــق: أن هــناك فرقا بين معرفة المسلم الخير والشر والمعروف والمنكر وبين إحسان الدعوة إلى الله. فرب عالم بذلك كله لا يحسن الدعوة إليه. ومن ثم قال الله عز وجل: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ ١٢٤ النحل.

ولذا يتجلى سر التعبير بـــ (من) وخاصة أن هذه الآية واردة فى سياق الكلام لحثٍ قبيلتى الأوس والخزرج على إصلاح ما بينهم وذكر نعمة الله عليهم إذ أنقذهم من شر العداوة التى كادت تودى بهم فقال: "ولتكن منكم أمة..... الآية"، فكلمة أمة هــنا يقصد بها جماعة منهم. وأما قوله تعالى:﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ ...... الآية﴾. ١١٠ آل عمران فهو خطاب للأمة الإسلامية كلها بأن يقوم كل فرد – حسب استطاعته – بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ولــيس معنــى ذلك أن سائر العلماء قد سكتوا عن هذا المسلك بل هناك من كشف ميله عن الحق وزيغه عن طريق الحقيقة ولذا رأينا ابن الأثير ينكر أية تكون (مــن) للتجريد. ولعله فى ذلك قد أدرك أن التجريدية تبيينية وإذا كانت تبيينية فلابد لهــا من مبين. فأين هو؟ إن النص (ولتكن منكم) فأين ما بينته (من)؟ وكذا وجدنا الإمام الرضى يقدر مبينا هكذا: ولتكن طائفة منكم. وتكون (أمة) عطف بيان.

---

(١) تفسير القرآن الحكيم ٤/ ٢٣.

وتأمل كيف يقدر مبينا لـ (من) التبيينية ثم يجعل لها عطف بيان فما الداعي إلى ذلك؟ إذ لابد لـ (من) من معنى يراد بها وينفقد بفقدها. وفي ذلك يقول قدامة بن جعفر: "كل ما ظهر فيه حرف العموم فهو عام كقولك: كل القوم جاءنا. وجميع المال أنفقت ومنه قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ القصص ٨٨. فهذا لا يجوز أن يراد به الخصوص لظهور حرف العموم فيه. وكل ما ظهر فيه حرف الخصوص فهو خاص كقولك: بعض المال قبضت. ومن القوم من جاءنا ومثله قول الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا ﴾ ٩٨ التوبة.

فهذا لا يجوز أن يراد به العموم لظهور حرف الخصوص فيه"[١].

وواضح أن قدامة يعني بحرف العموم (كل) ويعني بحرف الخصوص (بعض) و (من). ومعنى (حرف): كلمة والمراد بها هنا: الاسم. إذ لا يعقل أن يريد قدامة بـ (كل) و (بعض) الاسم ثم يريد بـ (من) الحرف الاصطلاحي؟!!

وبهذا يتأكد أن يكون المراد بـ (منكم) في الآية (بعضكم) لا محالة وأما التأنيث في (تكن) فهو حسب المعنى إذ بعض الأمة أمة وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾ ١٠ يوسف. على قراءة التاء قال الزمخشري: "وقرئ بالتاء لأن بعض السيارة سيارة"[٢].

وما الزمخشري إلا تابع لسيبويه حيث يقول عن هذه القراءة: وربما قالوا في بعض الكلام: ذهبت بعض أصابعه، وإنما أنث البعض لأنه أضاف إلى مؤنث هو منه. ولو لم تكن منه لم يؤنثه ... ومما جاء مثله في الشعر:

---

(١) نقد النثر ص ٦.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٤٩.

وتشرق بالقول الذى قد أذعته

كما شرقت صدر القناة من الدم

لأن صدر القناة مؤنث. ومثله قول جرير:

إذا بعـض الـسنين تعـرقتنا　　　كفـى الأيـتام فقـد أبـى اليتـيم

لأن (بعض) ههنا سنون"[١].

٢- الآيـة الثانية قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا ﴾ ١٥٤ آل عمران.

فـ (كان) تامة و (لنا) ظرف مرتبط بها و (من الأمر) فاعل إذ (من) اسم بمعنـى (بعـض) و (شئ) بيان. أى لو حصل لنا بعض الأمر ولو شيئا يسيرا. ما قتلنا.. هذا هو المعنى المستنبط من النص نسقا وترتيبا فلا تقديم ولا حذف.

ولكن العلماء درجوا على أن (كان) ناقصـة واسمهـا (شئ) و (لنا) الخـبر و (من الأمر) حال مقدم على شئ[٢].

ولو جعلنا النص على ترتيبهم لكان هكذا: لو كان شئ لنا حالة كونه من الأمر ما قتلنا

وغنـى عن البيان ما أحدثوه فى النص من تمزيق وتفريق وتمزيع لو أحدثه أحـد بكـلام غيره لشنوا عليه حربا شعواء ولكان له منهم أشد العداء. فكيف بهم يحرصون على سلامة نصوصهم ولا يعبأون بسلامة نصوص الله المقدسة؟! أليس هذا تناقضا؟!

٣- الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ ٦٥ الأنفال.

---

(١) الكتاب ١/ ٥٠: ٥٤.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٨٧ والبحر ٣/ ٨٨.

٤- الآية الرابعة قوله تعالى: ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ ٦٦ الأنفال.

فــى هاتــين الآيتين ذكرت (من) أربع مرات وهى فاعل (يكن) التامة. وما بعدها عطف بيان لها وهو (عشرون) و (مائة) فى الآية الأولى. و (مائة) و (ألف) فى الآية الثانية.

ومما ينبغى الالتفات إليه فى الآيتين أن (عشرون) وصف بـــ (صابرون) فهو ملفــوظ. ويلحظ مثله فى (مائة) وهذا فى الآية الأولى. ومثله فى الآية الثانية حيث وصفت (مائة) بـــ (صابرة) ملفوظة. وينبغى لحظه فى (ألف).

وهذا يدركه العقل وبه يتحقق المستوى الرفيع فى لغة القرآن.

٥- الآية الخامسة قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ ﴾ ١٦٦ هود.

فـــ (من) فاعل (كان) ومضاف إلى (القرون) و (من قبلكم) ظرف لأن (من) الداخلة على الظرف حرف إضافة كما سيأتى بيانه.

و (أولوا) بيان لـــ (من). و (ينهون...) صفة لـــ (أولوا)..

٦- الآيــة السادسة قــــوله تعالــى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ ﴾ ٣١ الروم.

فـــــ (يكــن) فعــل تام و (لهم) ظرف مرتبط به و (من شركائهم) فاعل و (شفعاء) بيان أى لم يوجد لهم بعض شركائهم شفعاء.

٧- الآيــة الــسابعة: قــوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ ٧ المجادلة.

وفيها يقول الزمخشرى: "ما يكون: من كان التامة. وقرئ بالياء والتاء. والياء علـى أن (النجوى) تأنيثها غير حقيقى و (من) فاصلة أو على أن المعنى: ما يكون شـئ من نجوى. والنجوى التناجي. فلا تخلو إما أن تكون مضافة إلى (ثلاثة) أى: من نجوى ثلاثة نفر. أو موصوفة بها أى: من أهل نجوى ثلاثة فحذفوا الأصل. أو جعلوا نجوى فى أنفسهم مبالغة كقوله تعالى: ﴿ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾ ٨٠ يوسف.

وقـرأ ابــن أبى عبلة (ثلاثة) بالنصب على الحال. بإضمار (يتناجون) لأن (نجوى) يدل عليه. أو على تأويل (نجوى) بـ (متناجين).

ونصبها من المستكن فيه.... (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر) قرئ بالنصب على أن (لا) لنفى الجنس. ويجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء. وأن يكون ارتفاعهما عطفا على محل (من نجوى) كأنه قيل: ما يكون من أدنى ولا أكثر إلا هو معهم.

ويجــوز أن يكونا مخفوفين عطفا على (نجوى) كأنه قيل: ما يكون من أدنى ولا أكثر إلا هو معهم"[1].

ويمكننا إبراز ما فى هذا النص على النحو الآتى:

(أ) أن (يكــون) فعــل تــام أى يرفع الفاعل نحو: يقوم. وعلى قراءة الياء تكون (نجوى) مؤنثا غير حقيقى وعلى قراءة التاء يكون مؤنثا.

(ب) جعــل الزمخــشرى (من) فاصلة. ولعله يعنى أنها زائدة بدليل أنه فى النقطة السالفة جعل (نجوى) هى الفاعل. وبهذا يكون إعرابها على الطريقة المعروفة

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٩١.

المألوفة وهى: أن (نجوى) فاعل مرفوع بضمة مقدرة على الألف ولكن هذه الـضمة غيـر موجودة لأن الألف مشغولة بالكسرة التى تجلبها (من) الزائدة على حد قولك: ما جاءنى من رجل.

ولا يخفـى عليك ما فى هذا من دعاوى فارغة لالب فيها متوهمة لا حقيقة لها. إذ كيف تكون (من) موجودة ثم نحكم بإعدامها؟!

إن هذا لشئ محال فلا ينبغى أن يخطر على بال. فالصواب جعل (من) اسما بمعنى (بعض) وهى الفاعل و (نجوى) مضاف إليه.

(جـ) ثم قال الزمخشرى: "أو على أن المعنى: ما يكون شئ من نجوى" وهنا يقدر فاعلا محذوفا موصوفا وهو (شئ) وقد عرفت أن الفاعل لا يحذف. هذا من جانب. ومن جانب آخر. قد علمت أن حذف الموصوف قبيح بل أقبح منه. فكيف نخرج القرآن عليه؟!

فالصواب إذاً الاستغناء عن (شئ) وجعل (من) هى الفاعل.

(د) فسر الزمخشرى (النجوي) بـ (التناجى) أى تناجى ثلاثة.

أو يقـدر لهـا مـضاف أى من أهل نجوى. أو أن المراد بالنجوى أهـل النجوى مبالغة.

ومما يؤخذ على الزمخشرى هنا أنه ناقض نفسه. فقد حكم فى أول نصه على (مـن) بالزيادة. ثم نراه هنا يحرص كل الحرص على ذكرها فى التأويل والتقدير. فـإن دل ذلـك على شئ فإنما يـدل على أن (من) ذات سلطـان مهيب ومكانة لا يسد مسدها سواها.

(هـــ) مما يثبت هذا أنه فى آخر نصه يقول فى إعراب (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر) وأن يكون ارتفاعهما على محل (من نجوى).

ولا شك أن محله الرفع لأن (من) اسم فهى الفاعل و (نجوى) مضاف إليه.

ثـم يقـول: ويجوز أن يكونا مخفوضين عطفا على (نجوى). فهى مخفوضة بالإضافة إذ (من) مضاف وهى مضاف إليه.

وبهـذا يتضح أن (من) فاعل (يكون) و (ثلاثة) بيان (نجوى) وجملة (إلا هو رابعهم) صفة لـ (ثلاثة).

فلا حذف ولا تقدير.

٨- الآية الثامنة قوله تعالى: ﴿ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾ ٢٠ المزمل.

أى يكون بعضكم حالة كونهم مرضى. والحال هنا لازمة كما فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ ٣٧ الإسراء. فـ (يكون) فعل تام لا ناقص. فما بعده مرفوع به كما فى (يقوم محمد مصليا).

وبذلك نكون قد انتهينا من الكلام على (من) الواقعة فاعلا لفعل غير (كان) أو لـ (كان) التامة.

النوع الثالث: أن تكون واقعة فاعلا للظرف[١].

و (مـن) فـيها إمـا فى سياق إيجاب أو نفى بـ (ما) أو نفى بـ (ليس) أو استفهام بـ (هل).

(أ) وقعت فى سياق إيجاب ست مرات فى الآيات الآتية:

١-قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ٢٦٦ البقرة.

٢-ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ١٥ محمد.

---

(١) جـاء هذا النوع فى الرسالة تحت عنوان: النوع السادس: آيات تقدم فيها الخبر على (من) وهو جار ومجرور. ولما كان فى ذلك دعوى التقديم والتأخير رأيت تصحيح وضعه على ما ذكرته فى كتابى (أساليب الجملة الظرفية فى القرآن).

ومعنى هاتين الآيتين واضح كل الوضوح لو تركنا ما يذكره النحاة مما يثقل كاهله ويطمس معالمه. فالظرف (له) معناه: يخصه و (فيها) مرتبط به بيان لمكان الاختـــصاص وهو (الجنة) و (من) اسم بمعنى (بعض) فاعل (له) و (كل) مضاف إلـــيه وهـــو مضاف و (الثمرات) مضاف إليه. أى أن المتحدث عنه يخصه بعض ثمرات الجنة. فلا إزعاج لكلمة ولا إعدام لأخرى.

ولكـــن أبا البقاء قد نأى بنفسه عن محيط هذا المعنى الصافى الرائق الرائع. وذكر ما لا يمت إليه بصلة بانيا لذلك كله على أن (من) حرف جر.

استمع إليه يقول: "فى الكلام حذف وتقديره: له فيها رزق من كل الثمرات أو ثمرات من كل أنواع الثمرات.

ولا يجـــوز أن يكـــون (من) مبتدأ وما قبله الخبر لأن المبتدأ لا يكون جارا ومجرورا إلا إذا كان حرف الجر زائدا.

ولا يجـــوز أن يكون فاعلا لأن حرف الجر لا يكون فاعلا. ولكن يجوز أن يكون صفة لمحذوف.

ولا يجوز أن تكون (من) زائدة على قول سيبويه ولا على قول الأخفش لأن المعنـــى يـــصير: لـــه فيها كل الثمرات. وليس الأمر على هذا إلا أن يراد به ههنا الكثرة لا الاستيعاب فيجوز عند الأخفش لأنه يجوز زيادة (من) فى الواجب"[1].

ففى هذا عدة دعاوى باطلة وهى:

التزام كون (من) حرفا. ولو تأمل أبو البقاء لأدرك أنها مبعضة لما بعدها إذ (كـــل) من ألفاظ العموم. وما دام المعنى على هذا فلا مناص من جعل (من) اسما بمعنى: بعض.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٦٤.

وقد أشار أبو البقاء إلى أنه لا يمكن الاستغناء عن (من) لما يترتب عليه من فساد المعنى.

وبما سبق يكون إعراب (من) على أحد وجهين أن يكون مبتدأ ولا صحة لما زعمه أبو البقاء من امتناع ذلك بناء على أن حرف الجر غير زائد. فقد عرفنا أن (من) اسم. ولكن يمنع جعلها مبتدأ دعوى التقديم والتأخير بلا داع.

ولهذا كله تعين أن تكون فاعلا للظرف (له) أو (لهم) كما وضحنا ذلك في مستهل البحث.

ولا أساس لما قدره أبو البقاء من موصوف لما قد علمنا غير مرة من أن حذف الموصوف قبيح بل أقبح منه.

٣- الآية الثالثة قوله تعالى:﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ ٣٣ النساء.

وأقصر الطرق لإدراك معنى هذه الآية هو أن الله جعل للموالي نصيبا مما ترك الوالدان والأقربون. أي ولكل أحد جعلناه من الموالي بعض ما ترك الوالدان والأقربون. والمقصود بـ (الموالي) إما الورثة لأن بينهم وبين مورثهم موالاة ونصرة. وإما غيرهم من المملوكين.

فالظرف (لكل) معناه الاختصاص أي يخص من جعلناه من الموالي بعض ما تركه الوالدان والأقربون.

فـ (من) فاعل (لكل).

ولكن الزمخشري على الرغم من أنه قد ذكر خلاصة هذا المعنى لم يوضح إعراب الآية إعرابا يليق بجلال كلام الله. ودونك نص كلامه:

"ممــا ترك: تبيين لــ (كل) أى ولكل شئ مما ترك (الوالدان والأقربون) من المال جعلنا موالى وراثا يلونه ويحرزونه.

أو: ولكــل قوم جعلناهم موالى نصيب مما ترك الوالدان والأقربون على أن (جعلــنا موالى) صفة لــ (كل) والضمير الراجع إلى (كل) محذوف. والكلام مبتدأ وخبر كما تقول: لكل من خلقه الله إنسانا من زرق الله أى حظ من رزق الله.

أو: ولكــل أحد جعلنا موالى مما ترك أى وراثا مما ترك على أن (من) صلة (موالى) لأنهم في معنى: الوارث. وفى (ترك) ضمير (كل) ثم فسر (الموالى) بقوله (الوالدان والأقربون) كأنه قيل: من هم؟ فقيل: الوالدان والأقربون"[١].

فالزمخــشرى يــرى أن فــى الآية ثلاثة أوجه. وذكر أبو البقاء منها: الثانى والثالث ثم قال: "وقيل (ما) بمعنى (من) أى ولكل أحد مما ترك الوالدان"[٢].

ومعنــى (من) على الوجه الأول: التبيين. وقد عرفنا أن فيه حكما بزيادتها. وهــذا غير لائق بجلال القرآن. ومن ثم أنكره المغاربة وقد يرجح إنكارهم هذا بأن سيبويه لم يذكره.

وممــا يثبت فساده أن المعنى عليه هو: ولكل شئ هو ما ترك. ولا يخفى ما فــيه مــن تعميم غير مقصود لان ما تركه ليس كل شئ وعلى الوجه الثانى تكون (مــن) بمعنــى (بعــض) فهى اسم. ويحتمل أن تكون مبتدأ مؤخرا أى: ولكل قوم جعلــناهم موالــى بعض ما ترك الوالدان والأقربون. ولا يخفى ما فيه من دعوى التقديم والتأخير فلم يبق إلا جعل (من) فاعلا. وهذا ما نراه.

أمــا (مــن) على الوجه الثالث الذى ذكره الزمخشرى فهى اسم أيضا ولكنه مفعــول لــ (موالى) إذ هو بمعنى (وراث). وقد رده أبو السعود لما فيه من تفكيك

---

(١) الكشاف ١/ ٣٩٠.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٠٠.

للـــنظم الكـــريم لأنه ببيان الموالى بما ذكر يفوت الإبهام المصحح لاعتبار التفاوت بيـــنهم، وبـــه يـــتحقق فى الانتظام مع ما فيه من خروج الأولاد من الموالى إذ لا يتناولهم الأقربون كما لا يتناول الوالدان"[١].

وبهـــذا يثبت على وجه الرجحان - إن لم يكن على اليقين - أن (من) فاعل الظـــرف (لكل) لأن المعنى على هذا الإعراب واضح كل الوضوح إذ هو تابع من نسق كلمات الآية دون تقدير ولا تقديم وتأخير.

٤- الآيـــة الرابعة: قوله تعالى:﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾ ٤١ الأعراف والظرف (لهم) معناه: يخصهم و (من) اسم بمعنى (بعض) أى يخصهم بعض جهنم ثم بين ذلك بـــ (مهاد) والبيان بعد الإبهام سمو بالأسلوب إلى مقام ساحق ومكانة سامية.

هذا هو معنى النص وإعرابه بسهولة ويسر وإيجاز ومحافظة على نسق النص.

ولكن علماءنا قد ضربوا فى واد من وديان التيه فذهب بعضهم إلى أن (من) تجريدية[٢].

وقد علمنا ما فى هذا المعنى من خلل فى اللفظ لأنه بمثابة دعوى زيادة (من) مع أنها محور المعنى فى النص.

وهناك من يرى تقدير شئ قبيل (من) أى لهم شئ أو مكان من جهنم كما فى قـــولهم: عندى من المال ما يكفى. ويعجبنى من زيد كرمه. وكسرت من زيد يده. فتقدير هذه الأساليب عندى شئ من المال. ويعجبنى شئ من زيد. وكسرت عضو من زيد. ثم يجعل ما بعد هذا بيانا لذلك المقدر. لأن معنى: يعجبنى من زيد أى شى من أشيائه بلا ريب فإذا قلت: وجهه فقد بينت ذلك الشئ المبهم[٣].

---

(١) إرشاد العقل السليم ٣/ ٢٦٩ هامش الرازى.

(٢) انظر إرشاد العقل السليم ٤/ ٥٢٦ وبغية الإيضاح ٤/ ٤٤.

(٣) انظر شرح الكافية ٢/ ٣٢٢.

ولست أدرى أى داع يقتضى ذلك التقدير؟ لأن كلمات النص كفيلة بأداء المعنى دون احتياج إلى ما يكدر صفوها أو يكون دخيلا عليها فالتطفل لا يليق بالرجال وكذا لا يليق بالكلام فالآية نص فى اختصاص الكافرين ببعض جهنم ثم فسرت هذا البعض بأنه مهاد. ومن المعهود أن المهاد أخو المهد وهما ما يتلقى الطفل عند مفارقته بطن أمه إلى ظهر الأرض وفيه من الحنان ما فيه حتى يعوض الطفل عما كان فيه من بطن أمه. ولكنه هنا لا حنان فيه على الكافرين.

٥- الآية الخامسة قوله تعالى:﴿ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ ٤٤ الحجر. أى يخص كل باب من الغاوين بعضهم ثم بين بـ (جزء مقسوم). فـ (من) اسم بمعنى (بعض) وهى فاعل و (جزء) بيان. و (مقسوم) نعت له.

ولا يخفى ما فى ذلك من سلاسة ورقة وخفة ويسر وتناول المعنى ولكن أبا البقاء يقول: "منهم: فى موضع الحال من الضمير الكائن فى الظرف وهو (لكل باب).

ويجوز أن يكون حالا من (جزء) هو له صفة ثانية قدمت عليه. ولا يجوز أن يكون حالا من الضمير فى (مقسوم) لأن الصفة لا تعمل فى الموصوف. ولا فيما قبله. ولا يكون صفة لـ (باب) لأن الباب ليس من الناس".

وبالتأمل فى هذا النص يتبين لنا ما يأتى:

(أ) أنه يضمر فى (لكل) ضميرا دون حاجة إليه إذ لا معنى: لكل باب هو حالة كونه منهم.

(ب) أنه يجعل (منهم) حالا قدم على (جزء) لأنه فى الأصل صفة له فلما قدم عليه أعرب حالا.

وهذا ظن أو تخمين يترتب عليه فساد الأسلوب بإخضاعه لدعوى التقديم والتأخير. وقد علمنا بطلان تلك الدعوى.

(جـ) ومع أنه أجاز جعل (منهم) حالا مقدما على (جزء) منع جعله حالا مقدما على الضمير فى (مقسوم) بدعوى أن الصفة لا تعمل فى الموصوف ولا فيما قبله.

(د) وفــى آخــر النص منع أن يكون (منهم) صفة لـ (باب) مع وقوعه من بعده بدعوى أن الباب ليس من الناس(١).

ولــست أدرى كــيف يرد مثل هذا على ذهن أبى البقاء مع أن الآية واضحة الدلالة على أن هؤلاء قد حصص الله لكل طائفة منهم بابا من أبواب جهنم يدخلون منه. فهل يترتب على ذلك أن يكون الباب من الناس؟

فكل هذا لا يفيد شيئا ذا بال فى معنى الآية. فما كان ضره أن يقول: "يخص كلَّ باب بعضهم ثم بين ذلك بقوله: جزء مقسوم.

فــيكون فى النص بيان بعد إيهام وذلك باب من البلاغة الرفيعة ومنه ما جاء فــى ســورة الحجر أيضا وهو قوله تعالى:﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ ﴾ ثم بينه بقوله:﴿ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴾ ٦٦ الحجر.

٦- الآية السادسة قوله تعالى:﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴾ ٥٢ الرحمن.

فى الآيات السابقة رفع (من) فاعلا للظرف (له) أو (لهم).
ولا يخفى أن معناه الاختصاص.

وهنا نجد الظرف (فى) فهذا الحرف أصل معنى الظرف لأنه يفيد حلول شئ داخــل شــئ آخر ففيه من التمكن والاستقرار ما ليس فى غيره. وعلى هذا يكون معنى الآية. يدخلها ويتمكن منها بعض كل فاكهة. وقوله (زوجان) بيان لهذا البعض.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١١٥.

قـال الزمخـشري: "زوجـان: أى صـنفان قـيل: صنف معروف وصنف غـريب"(١).

(ب) وقعت (من) فاعلا فى سياق نفى بـ (ليس) فى آيتين هما:

١- قوله تعالى:﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ ١٢٨ آل عمران.

و (لـيس) بمـثابة (ما) النافية لا عمل لها فهناك من يرى أنها حرف مطلقا. ولكننا قد حققنا أنها تكون فعلا من أخوات (كان) فى نحو قوله تعالى:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ ١٧٧ البقرة. فلها اسم وخبر على قراءة نصب (البر) ورفعه. فإن كان منصوبا كان خبرا و (أن تولوا...) مؤول باسم مبتدأ. وإن كان مرفوعا كان هو الاسم و (أن تولوا) خبرا.

وتكـون حرفا فى نحو قوله تعالى:﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾ ٢٧٢ البقرة فهـى حرف نفـى اعتمد عليه الظرف (عليك) و (هداهم) فاعل الظرف. فلا تقديم ولا تأخير(٢).

قال المجد: "ليس: كلمة نفى فعل ماض أصله (ليس) كفرح فسكنت تخفيفا .. وإنما – أو ربما – جاءت بمعنى: لا التبرئة"(٣).

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٦٠.

(٢) انظر أساليب الجملة الظرفية فى القرآن للمؤلف.

(٣) القاموس ٢/ ٢٥٠.

والآية التى معنا مثل هذه الآية فـ (لك) ظرف معتمد على أداة النفى (ليس) و (من الأمر) فاعل الظرف. و (شئ) بيان له. فنسق الآية محفوظ.

وممـا يثبت صحة هذا الإعراب وصدق ذلك المعنى أننا لو جعلنا (ليس) هنا عاملة عمل (كان) لكان خبرها مقدما على اسمها. وفى هذا تصرف فى عملها وقد قـال ابـن مالك: "إن (ليس) فعل لا يتصرف فى نفسه فلا يتصرف فى عمله كما وجب لغيره من الأفعال التى لا تتصرف كعسى ونعم وبئس... مع أن (ليس) شبيهة فى المعنى بحرف لا يشبه الأفعال وهو (ما) بخلاف (عسى) فإنها تشبه حرفا يشبه الأفعـال وهو (لعل). والوهن الحاصل بشبه حرف لا يشبه الأفعال أشد من الوهن الحاصل بشبه حرف يشبه الأفعال"(١).

وفى حاشية الصبان: "قد ذكر ابن مالك فى التسهيل أن (ليس) تختص بجواز الاقتـصار على اسمها وحذف خبرها. قال الدمامينى: حكى سيبويه: ليس أحد أى: هنا أهـ"(٢).

والذى وجدته فى التسهيل: "وتختص (ليس) بكثرة مجئ اسمها نكرة. وبجواز الاقتصار عليه دون قرينة"(٣).

٢- الآية الثانية قوله تعالى:﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ ٧٨هود.

ولو أخذنا بالمشهور عن العلماء فى أن (ليس) فعل ناسخ لكان (رجل) اسمها و (رشيد) صفته و (منكم) خبرها قدم على اسمها. وكان المعنى: أليس رجل رشيد كائنا منكم.

---

(١) شرح التسهيل ١/ ٣٥١: ٣٥٢.

(٢) حاشية الصبان على منهج السالك ١/ ٢٣٨.

(٣) التسهيل بشرحه لابن مالك ١/ ٣٥٨.

وفى هذا تقديم وتأخير ثم حذف وتقدير بدون احتياج إلى شئ من ذلك.

ولـــذا رأيــت أن يكون (منكم) فاعل (ليس) التى هى أداة نفى فــ (من) اسم بمعنـــى (بعض) و (رجل) بيان له و (رشيد) وصف لــ (رجل). وعليه فــ (ليس) حرف نفى.

ولا غرابة فى ذلك فقد جاء فى بعض المعاجم أنها تكون نافية ونصه: "وربما جاءت بمعنى (لا) التبرئة"(١).

والذى يعنينا هنا هو: أنها لم يمتنع أن تكون أداة نفى.

ويجــوز أن تكــون فعلا تاما يكتفى بمرفوعه كما سبق أن ذكرنا وبهذا يثبت التناسق بينها وبين (كان) فكما تكون (كان) تامة تكون (ليس) تامة أى لها فاعل يتم به المعنى. ولا شك فى تمام معنى الآية على هذا الوجه.

وبهذا تكون (من) وردت فاعلا فى القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة.

تتمــــــة:

من المقرر فى علم النحو أن العلاقة وثيقة وعميقة جدا بين الفاعل ونائبه. وقد درسنا فيما سلف آيات (من) الواقعة فاعلا وكنا نظن أن (من) لم تقع نائب فاعل فى القــرآن. ولكننا بالإحصاء وقفنا على ثلاث آيات فيها (من) نائب فاعل. ولم يزعم أحــد أنهــا زائدة. وهناك آيات أخرى زعم فيها زيادة (من) وقد عقدنا لها الفصل الثامن وعنوانه: آيات (من) التى يقال إنها زائدة وليست كذلك.

---

(١) انظر اللسان. ص ٤١١٣ والقاموس ٢/ ٢٥٠.

والذى يعنينا هنا الآيات الثلاث التى لم يزعم أحد أنها زائدة وهى نائب فاعل:

١- قوله تعالى:﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ ١٧٨ البقرة.

وفــيها يقول الزمخشرى: فمن عفى له من جهة أخيه شئ من العفو على أنه كقولك: سير بزيد بعض السير وطائفة من السير.

ولا يجــوز أن يكــون (شئ) فى معنى المفعول به لأن (عفا) لا يتعدى إلى مفعول به إلا بواسطة. و (أخوه) هو ولى الدم[(١)].

وعلــى هــذا تكون (من) حرف ابتداء وهو معنى قول الزمخشرى (من جهة أخيه) والجهة مكان و (من) التى تدخل على المكان حرف إضافة نحو قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ ١ الإسراء.

ويكــون (شئ) نائب فاعل (عفى) كما ذكر الزمخشرى فى قولهم: سير بزيد بعض السير. فــ (بزيد) مرتبط بــ (سير) و (بعض) نائب فاعل.

ومعنى (عفى) على هذا الإعراب (ترك) أى فمن ترك له من جهة أخيه شئ فاتباع بالمعروف.

وهــناك وجــه آخر رجحه ابن المنير وهو: "أن (عفى) بمعنى (أعطى) كأنه قــال: فمــن أعطــى شيئا من أخيه أى بدلا من أخيه. ويكون (من) مثلها فى قوله تعالى:﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ ٦٠ الزخرف.

---

(١) الكشاف ١/ ١٦٦: ١٦٧.

ونظيـره فى استعمال العفو فى العطاء قوله تعالى:﴿ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾ ٢٣٧ البقرة.

إذا حمل (الذى بيده عقدة النكاح) على الزوج وهو مذهب الشافعى ... وسار المعنى: فمن أعطى من الأولياء بدلا من أخيه فليتبع بالمعروف فى طلب ما أعطى .. وبذلك ينتظم الكلام موجها إلى جهة واحدة"[1].

وبهـذا يتبـين أن فى (من) وجهين أحدهما أنها حرف ابتداء على تقدير: من جهة أخيه. والثانى أنها حرف بمعنى (بدل) على تقدير: بدل أخيه.

وقد عرفنا أن معنى (البدل) هو معنى (بعض) وسيأتى مزيد لذلك.

والـذى نراه أن (من) بمعنى (بعض) نائب فاعل ومبعضها يدركه العقل وهو (دية) أى فمن ترك له بعض دية أخيه وهو المقتول.

وكلمة (شئ) بيان لـ (من). وبذلك نصون نسق الآية من التغيير.

وقـد صعب الزمخشرى أمر الفعل (عفا) فلم يسمح بأنه يكون بمعنى (ترك) حتى لا يتعدى إلى مفعول. ومن ثم يرفعه نائب فاعل إذا بنى للمفعول. ولكن المجد يقول: "العفو: ترك عقوبة المستحق: عفا عنه ذنبه وعفا له ذنبه وعن ذنبه"[2].

وبذلك يكون التقدير (عفى له بعض دية أخيه) أى ولى الدم أى إذا ترك للقاتل بعـض دية المقتول بمعنى ترك ولى الدم بعض الدية للقاتل ثم أبدل (شئ) من ذلك البعض أى ولو شيئا يسيرا. "فأتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان) أى فليتبع الولى

---

(١) انظر هامش الكشاف ١/ ١٦٦: ١٦٧.

(٢) القاموس ٤/ ٣٦٤.

القائــل بالمعروف بألا يعنف به ولا يطالبه إلا مطالبة جميلة "وليؤد إليه القاتل بدل الدم أداء بإحسان بألا يمطله ولا يبخسه"[١].

٢- الآية الثانية قوله تعالى:﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ ﴾ ١٨ فاطر.

٣- الآيــة الثالثة قوله تعالى:﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ ٣٦ فاطر.

فــ (من) فى الآيتين نائب فاعل بمعنى (بعض) و (شئ) فى الأولى بيان لها.

وبــذلك يكون عدد مرات (من) فى الفصل الثالث ٣٦ مرة ستا وثلاثين مرة منها ثلاث وثلاثون مرة فاعلا. وثلاث مرات نائب فاعل.

والله الموفق

---

(١) الكشاف ١/ ١٦٧.

الفصل الرابع

(من) الواقعـة مفعـــولا بـــه

وهى إما فى سياق إيجاب أو غيره.

آيات (من) الواقعة مفعولا به فى سياق إيجاب

تمهيـــد:

لمـا كانـت الأفعال أو ما يشبهها هى الناصبة للمفعول به رأيت ترتيب هذه الآيات على حسب مواد تلك الأفعال الثلاثية وقد بلغت هذه المواد تسعين مادة أولاها مادة: أ ت ى وأخراها مادة: و هـ ب.

وتفصيل ذلك على النحو الآتى:

١- مادة: أ ت ى.

ومما يجدر التنبيه إليه أننا وجدنا (من) فى آيات هذه المادة مفعولا ثانيا للفعل (آتى) مبنيا للفاعل أو آت فعل أمر وللفعل (أوتى) مبنيا للمفعول.

فقـد وردت بعـد مادة (أ ت ى) خمس عشرة مرة فى ثلاث عشرة آية بنى الفعـل للمفعـول ثلاث مرات مع ملاحظة ترتيب الآيات على ترتيب سورها فى المصحف وللفاعل فى الباقى أى مرتين. وتفصيل ذلك:

أولاً: آيات (مِنْ) الواقعة مفعولاً ثانيا وهى من السور الآتية:

آل عمـــران: ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْأَخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ ١٤٥.

قـــال الزمخشرى: "ومن يرد ثواب الدنيا" تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد "نؤته منها" أى من ثوابها"(١).

وبتقديـــر ثـــواب يتضح المراد وعلى هذا يكون (الثواب) ليس مقصورا على جـزاء الآخرة بل يشمل مع ذلك جزاء الدنيا. والذى يعنينا هنا أن الذى يعطيه الله يكون بعض هذا الجزاء أو ذاك. فليس هناك أحد يستغرق ثـــواب أى منهما لأن ما عند البشر ينفد وما عند الله لا تنفد خزائنه.

فمعنى (بعض) لازم لهذه الآية.

الـــتوبة: ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ ٥٩ ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ ٧٥ ﴿فَلَمَّا ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ ٧٦.

يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ ١٠١.

قـــال الزمخشرى: "من: للتبعيض لأنه لم يعط إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر"(٢).

وبهذا تكون تلك الآيات مستغنية أشد الاستغناء عن تقدير شئ إذ المضاف إليه صالح بذاته للتجزئة. أى بعض فضله وبعض الملك.

ولكـــنّ أبا البقاء يجيز حذف المفعول فى آية يوسف أى عظيما من الملك. ثم يقول: وقيل: هى زائدة. وقيل للبيان"(٣).

---

(١) الكشاف ١/ ٣٢٦.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٩٤.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٣١.

وأظن - إن لم أعتقد - أننا لم نعد فى حاجة إلى التنبيه إلى أن تقدير المفعول ودعـوى الزيادة ودعوى أن (من) للبيان لا حاجة إليه. لما فيه من تكدير وبطلان. ولذا رأيت أبا حيان يستبعد كون (من) للبيان(١).

وبهذا يخلص المقام للوجه الأول.

إبـراهيـم: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ ٣٤.

المشهور فى هذه الآية (من كل ما سألتموه) بإضافة (كل) إلى (ما) فهى غير منونة. وفى الاتحاف: "وعن الحسن والأعمش (من كلٍّ) بتنوين (كل) و (ما) بعدها إمـا نافـية أو موصـولة. فالجمهـور على إضـافة (كل) إلى (ما) وتكون (من) تبعيضية"(٢).

وقال الزمخشرى: "آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا فى مصالحكم. وقرئ (مـن كـلٍّ) بالتنوين و (ما سألتموه) نفى ومحله النصب على الحال أى آتاكم من جميع ذلك غير سائليه. ويجـوز أن يكون (ما) موصولة على: وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه ولم تصلح أحوالكم ومعايشكم إلا به فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال(٣).

فعلـى القراءة الأولى تكون (من) اسما بمعنى (بعض) فهى مفعول به. وهى مـضاف و (كـل) مـضاف إلـيه. و (كل) مضاف و (ما) مضاف إليه وهى اسم موصول وجملة (ما سألتموه) صلة الموصول فلا محل لها من الإعراب.

وعلـى القراءة الثانية يحتمل أن تكون (ما) موصولة على ما تقدم ويجوز أن تكون نافية والجملة فى محل نصب على الحال كما وضحه الزمخشرى.

---

(١) البحر ٥/ ٣٤٩.

(٢) إتحاف فضلاء البشر ٣٢٧.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٣٤ وانظر مدارك التنزيل ٢/ ٢٦٣ وتفسير أبى السعود ٣/ ١٢٨.

ومعنـــى الآية واضح تمام الوضوح لأنه نابع من نصها دون تدخل فيه بأدنى تغيير أو تبديل أو تعديل.

ولكـــن بعض النحاة يأبون إلا أن يُعْمِلُوا عقولهم فى الآية على ضوء ما وَقَرَ فـيها مـن قواعد نحوية قد أذعنوا لها وخضعوا لما تمليه عليهم تمـام الخضوع. وبيان ذلك:

(أ) اعترض بعضهم على جعل (من) للتبعيض لأنه يفضى إلى إخلاء لفظ (كل) عن فائدة زائدة لأن (ما) نصٌّ فى العموم. بل يوهم إتيان البعض من كل فرد متعلق به السؤال. ولا وجه له.

وأجيب عن ذلك بأنه: بعد تسليم كون (ما) نصا فى العموم هنا عمومان عموم الأفـراد وعموم الأصناف بمعنى: كل صنف صنف. وهما مقصودان هنا فالمعنى: أعطـاكم مـن جمـيع أفـراد كل صنف سألتموه. فإن الاحتياج بالذات إلى النوع والصنف لا لفرد بخصوصه[1].

وبهـذا الرد يسقط دعوى المعترض كما يزول معنى ابتداء الغاية عن (من) وهو الذى ادعاه ذلك المعترض.

(ب) وهناك اعتراض آخر وهو: أن المعنى إذا كان للتبعيض فإنه لا يحسن الامتنان به.

(جـ) واعتراض ثالث وهو: أنه لا يناسب قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ ٣٤ إبراهيم.

وأجيب عن هذين بأن ذاك البعض الذى أعطانا هو الأكثر فى جميع ما سألناه وهـو الأصـلح والأنفع لنا فى معاشنا ومعادنا بالنسبة إلى البعض الذى منعه هنا لمصلحتنا أيضا. لِمَ لَمْ يحسن الامتنان به[2].

---

(١) انظر روح المعانى ٤/ ٢٤٠.

(٢) أنموذج الرازى هامش أبى البقاء ١/ ١٥٩.

وبهـذا يثبت بما لا شك فيه أن (من) هنا هى محور معنى الآية لأنها بمعنى (بعض). وهذا المعنى يجعل الآية مطابقة للواقع الذى يعيشه الناس. فلو جردنا هذا الأسـلوب عـن (من) البعضية وجعلنا المعنى: وآتاكم كل ما سألتموه لكان مناقضا للواقع. وحاش للقرآن أن يكونه. فلست أدرى ما الذى يبغيه الإنسان بعد إيتائه بعض كل ما يسأله وتتوق إليه نفسه؟!!

وممـا تجـدر الإشارة إليه الواو فى قوله تعالى: (من كل ما سألتموه) ومثله قـوله تعالـى:﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ ﴾ ٢٣٧ البقرة﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ ﴾ ٢٣ المائدة. ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ﴾١٢١ الأنعام.... إلى غير ذلك.

وربما يذهب بعضهم إلى أن هذه الواو للإشباع وهذا مردود لأن الإشباع من قبيل الضرائر والقرآن ليس موطنا لها.

ولـذا وجدت العلماء المحققين يرون أنها واو جمع المذكر كما أن الألف فى (سألتما) و (دخلتما) للمثنى بعد الميم.

يقـول المالقى عن أنواع الميم: "النوع الثالث أن تكون فى آخر الكلمة للتكثير وذلـك قولهم: زُرْقم للكثير الزرقه.. وشجعم للكثير الشجاعة. .... ومن ذلك فى الضمائر نحو: هما وهم. وكَما وكُم وأنتما وأنتم. زيدت دلالة على تكثير الواحد لخبر الاثنين بالألف بعدها. ولحيز الجمع بالواو بعدها..........

ثم قال عن الواو: "أن تكون دلالة على التذكير فى موضع. والتذكير والجمع فـى موضع. فالدلالة على المفرد المذكر فى الضمير نحو: ضربتهو وقتلتهو. كما دلـت الألـف على التأنيث فى الضمير نحو: ضربتها وقتلتها والدالة على التذكير والجمع فى نحو: ضربتمو وقتلتمو كما كانت الألف دالة على التثنية فيه.

وربما حذفت هذه الواو تخفيفا فسكنت الميم فقيل: ضربتم وقتلتم إذ الميم تدل على الجمع لما فيها من معنى الزيادة للتعظيم كما تقدم فى باب الميم"[1].

الكهف: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ ٨٤.

أى بعـض كـل شـئ ثم بين هذا بقوله (سببا) . أى آتيناه سبب كل شئ أى طـريق الـذى يصل به إليه. فالله هو الذى ييسر السبيل للعبد لينال مأربه ويصل إلـى غايته.

وعلى هذا فالآية ليست فى حاجة إلى تقدير شئ كما قال الزمخشرى ونصه: "أى من أسباب كل شئ أراده من أغراضه ومقاصده فى ملكه (سببا) طرقا موصلا إليه. والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة"[2].

وإنما أقول ذلك لأن الآية قد اشتملت على مقصد بلاغى جميل وهو البيان بعد الإبهـام. وتلك فضيلة لا ينكرها مثل الزمخشرى وسيلة من وسائل التعبير البلاغى البيانى الرائع.

النور: ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ ٣٣.

هـنا نرى الفعل (آت) أمرا فـ (من) مفعول ثان له أى أعطوهم بعض المال الـذى أعطاكم. وهنا نلحظ ضميرا محذوفا لا حاجة إلى اللفظ به لإدراك العقل له. أى آتاكموه. وهو الرابط للصلة بالموصول.

وتتـضح قيمة (مِن) هنا فى هذه الآية وما يناظرها من آيات الإنفاق فالغالب الكثيـر أن الله يأمـر أو يحـث علـى إنفاق بعض المال لا كله وهذا ما نبه عليه الزمخشرى فى مستهل سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

---

(١) رصف المبانى فى شرح عموم المعانى ص ٣٠٦: ٣٠٧، ص ٤٣٤، وانظر شرح الكافية ٢/٨.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٨٠.

الآية ٣ حيث قال: "وأدخل (مِنْ) التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الإسراف والتبذير المنهى عنه"(١).

القـــصص: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ ٧٦.

أى آتيناه بعض الكنوز. ثم بين هذا بقوله (ما إن مفاتحه... إلخ).

أى الذى يتأكد ويثبت بما لا ريب فيه أن مفاتحه يثقل حملها بالجماعة الكثيرة الـــشديدة القوة. فـــ (ما) موصولة والجملة من بعدها لا محل لها من الإعراب صلة الموصول. وفى النص من وسائل التوكيد ما لا يخفى.

قـــال الزمخـــشرى: "المفاتح جمع مِفْتح بالكسر. وهو ما يفتح به. وقيل: هى الخـــزائن. وقـــياس واحدها: مَفْتح بالفتح. ويقال: ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله. والعُـــصبة: الجماعة الكثيرة. والعصابة مثلها. واعصوصبوا اجتمعوا. وقيل كانت تحمـــل مفاتيح خزائنه ستون بغلا بكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على إصبع.. وقد بولغ فى ذكر ذلك بلفظ: الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة وأولى القوة"(٢).

وبهـــذا يثـــبت قيمة (مِنْ) فى الآية من جهتين إحداهما أن كنوز الله لا تنفد. والأخـــرى أن قارون قد فعل ما فعل مع بعضها فما كان سيفعل لو ساغ أن حصل عليها كلها؟!

الشورى: ﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ ٢٠.

أى نـــؤته بعـــض حرثها. كما سبق فى قوله: "من يرد ثواب الدنيا نؤته منها .... الآية".

---

(١) الكشاف ١/ ٣٢.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٣٨.

الـــدخان: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ﴾ ٣٣ أى بعض الآيات و (ما) بيان لذلك البعض وهو الذى يكون مشتملا على بلاء مبين.

قال الزمخشرى: "من الآيات" من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والـــسلوى وغيـــر ذلك من الآيات العظام التى لم يظهر الله فى غيرهم – أى بنى اســـرائيل – مـــثلها (بـــلاء مبين) نعمة ظاهرة لأن الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة. أو اختبار ظاهر لننظر كيف تعملون. كقوله تعالى: ﴿ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ ٤٩ البقرة[١].

ثانياً: وردت (من) مفعولا ثانيا بعد (أوتى) مبنيا للمفعول فى ثلاث آيات من السور الآتية:

الإســـراء: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ٨٥ (مرة واحدة) فالضمير فـــى (أوتيـــتم) نائـــب فاعل. و (من العلم) مفعول ثان أى بعض العلم. ولما كانت (بعـــض) ليـــست نصا فى الدلالة على القلة بينت بـــ (قليلا) وبذلك يتضح المعنى المـــراد مـــع إدراكـــه من نص الآية دون العبث فيه بأدنى شئ. وهو أن البشر لم يُحَصِّلوا إلا بعض قليل العلم.

ولكن أبا البقاء يأبى إلا هذا العبث حيث يقول: "من العلم: متعلق بـــ (أوتيتم) ولا يجوز أن يكون حالا من (قليلا) لأنه مقدم على (إلا)[٢].

وعلى هذا تكون (من) حرف ابتداء ولست أدرى ما معنى هذا؟

ويرى بعضهم أن (قليلا) صفة لمصدر محذوف أى علما قليلا[٣].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٢٠.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٥١.

(٣) الكليات ص ٢٩٢.

ولكــن سيبويه والمحققين يرون أنه لا يجوز حذف المصدر الموصوف بدليل قــولهم (سير عليه طويلا) ولا يقولون: طويل. ولو كان نعتا للمصدر لجاز. وبدليل أنـــه لا يحذف الموصوف إلا والصفة خاصة بجنسه تقول: رأيت كاتبا. ولا تقول: طويلا لأن الكتابة خاصة بجنس الإنسان دون الطول"[١].

وقد عرفنا – إضافةً إلى ذلك – أن حذف الموصوف قبيح بل أقبح.

وبهــذا يثبت أن ما ذكرناه في معنى الآية هو الصواب الصادق لأنه مطابق لواقع النص ونسقه. فــ (مِنْ) اسم بمعنى (بعض) و (العلم) مضاف إليه والمراد هنا المعلــوم أي وما أوتيتم بعض المعلومات. و (إلا) استثناء و (قليلا) بيان كما ذكرنا آنفا ويمكن أن يكون بدلا كما في قولنا: ما ضربت أحدا إلا زيدًا.

فقــد جعلـــه ابـــن هـــشام بدلا ثم قال: "وهو أرجح أقوال ثلاثة في مثل هذا الأســلوب. والثانـــي أنه منصوب على الاستثناء. والثالث أن (إلا) وما بعدها نعت وهو أضعفها[٢].

النمل: ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ١٦﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ٢٣.

الآية الأولى في حق داود وسليمان عليهما السلام. والثانية في حق ملكة سبأ الذي نقل الهدهد خبرها من سبأ إلى سليمان.

ومـمـــا قـــرأته فـــي معنى هاتين الآيتين قول ابن خالوية: "كل: تكون بمعنى (بعــض) و (بعــض) تكون بمعنى (كل) ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ ٦٣ الزخــرف. ومـــنه أيضا: وأُوتِيَتْ من كل شئ أى من بعضه"[٣].

---

(١) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٧٨.

(٢) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٣٥.

(٣) الألفاظ الكتابية ٣١٤: ٣١٥.

وعلـــل ابن قتيبـــة ذلـــك بأن الشئ يكون كله بعضا لشئ فهو بعضٌ وكلٌّ ثم ذكر الآيتين[١].

ولعمرى لماذا هذا العناء فى شئ ليس فيه عناء. إن النص(من كل شئ).

والدال على البعضية هو (من). و (كل) دال على الكلية فالمعنى: أوتينا بعض كل شئ. وأوتيت بعض كل شئ. فلم ننكر موجودا ونتوهم مفقودا أليس ذلك بعجيب غريب؟!!

٢-أ خ ذ:

وردت (من) مفعولا به لصيغ هذه المادة من الفعل ست عشرة مرة فى أربع عشرة آية من السور الآتية:

البقـــــرة: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ ١٢٥ ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا ﴾ ٢٢٩ (مرتان).

والواضـــح فى الآية الأولى أن (من) اسم بمعنى (بعض) مفعول به و (مقام) مضاف إليه و (مصلى) مفعول ثان. أى وأتخذوا بعض مقام إبراهيم مكانا للصلاة. وهذا ما ذكره أبو البقاء[٢].

واستظهر هذا المعنى كل من أبى حيان والسمين[٣].

والمراد بـــ (المقام) عليه إما الحرم كله وإما موضع الحجر[٤] .

وعلـــى الـــرغم من وضوح هذا المعنى مع المحافظة على نسق النص دون تدخل فى ترتيبه أو تأويله نرى أن بعض العلماء يأبى إلا التدخل فيه.

---

(١) تأويل مشكل القرآن ١٤٥: ١٤٦.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٣٤.

(٣) انظر البحر ١/ ٣٨ وحاشية الجمل ١/ ١٢٤.

(٤) حاشية زاده على البيضاوى ١/ ٣١٥.

(أ) فمنهم من يرى أنها تجريدية قال القفال: "من فسَّر (مقام إبراهيم) بالحجر خرَّج قوله: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) على مجاز قول الرجل: اتخذت من فلان صديقا. وإنما تدخل (من) لبيان المتخذ الموصوف وتميزه فى ذلك المعنى عن غيره"(١).

وعليه فـ (من) بيانية وقد عرفنا أنها حينئذ فى حكم الزائدة ومن ثَم قررنا أن تكون اسما بمعنى (بعض).

أو تكون تجريدية ابتدائية وهذا ليس بواضح إذ ما معنى ابتداء اتخاذ مقام إبراهيم مصلى؟! لا معنى له وعليه لابد من جعل (من) بعضية.

(ب) يرى بعضهم أن (مِن) بمعنى (فى). والذى يتبادر إلى الذهن أن الإنسان يصلى على بعض المقام. وإن كان ذلك يستلزم الظرفية.

(ج) ويرى بعضهم أن (مِن) بمعنى (عند). وشتان بينهما إذ المصلَّى جزء من مقام إبراهيم. وليس عنده. فالعندية لا تكون بعضية.

(د) ويرى بعضهم أنها زائدة. وعليه يكون المقام كله مصلى. وهذا – وإن كان جائزا لأن الناس يصلون عليه كله فى آن واحد – ليس دائما بل فى حال الحج وحده أما فى غيره فقد يكون بعض الناس يشغل بعض المقام بالصلاة وبعضه الآخر خال لا يصلى فيه أحد. ومن ثَمَّ يكون النص دقيقا كل الدقة حكيما كل الحكمة باستعماله (مِنْ). وما دام القرآن قد وضعها فى نص لا يجوز لأحد أن يرفعها عنه أو يجرده منها. والذى ذكر هذه المعانى الثلاثة الأخيره هو السمين؛ وعلق عليها الجمل قائلا: "وهذه المعانى الثلاثة لـ (مِنْ) لا يظهر فيها شئ. وإنما الذى يظهر أنها بمعنى (عند) ويكون المعنى: واتخذوا مصلى كائنا عند مقام إبراهيم والعندية تصدق بجهاته الأربع"(٢).

---

(١) من مفاتيح الغيب ١/ ٤٩٨.

(٢) حاشية الجمل ١/ ١٢٤.

وقد عرفنا أن هذه العندية لا تفيد أن يكون المقام مكاناً للصلاة بل ما يجاوره وهذا بعيد كل البعد عن معنى نص الآية وهو (من مقام إبراهيم).

وأما الآية الثانية فيقول فيها أبو البقاء: (شيئا) مفعول (تأخذوا) و (ما) وصف له مقدم عليه فصار حالا و (من) للتبعيض"[1].

وأرى ألا ضرورة إلى دعوى التقديم والتأخير لأن المعنى واضح بدونها أي (ولا تأخذوا بعض ما آتيتموهن) ثم بين هذا بقوله (شيئا) ليفيد أنه لا يجوز أخذ أدنى شيء منه فضلا عن أن يأخذه كله. فنسق الآية واضح الدلالة على المراد به. فلا داعي للتدخل فيه بأدنى شيء.

آل عمران: ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾ ١٤٠ أي ويتخذ بعضكم شهداء.

النساء: ﴿ فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ ٢٠ . ﴿ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ٨٩ ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ ١١٨.

ومعاني هذه الآيات واضح على ضوء ما سبق.

الأعراف: ﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا ﴾ ٧٤ ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا ﴾ ١٤٨.

فمعنى الأولى: تتخذون بعض سهولها قصورا. إذ القصور لا تستوعب السهول كلها. ومعنى الثانية أن قوم موسي لم يلبثوا بعد ذهابه إلى الطور فاتخذوا بعض حُلِيِّهم عجلا. فالعجل لم يأت على حليهم كلها وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على أن بني إسرائيل قد فاضت خزائنهم بالمال والذهب فمهما أخذوا منه لا ينفد.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٥٤.

فالمراد هنا معنى (مِنْ) فى (من حليهم) وأما (مِنْ) فى (من بعده) فهى حرف ابتداء تدل على التعقيب بين ذهاب موسى واتخاذهم العجل معبودا.

ولكن النحاة لم يرقهم هذا بل ذهبوا يخضعون كلام الله لما وقر فى عقولهم من قواعد غير لائقة بالقرآن. فنرى أبا البقاء يقول فى الآية الأولى: إن معنى (من) الابتداء وهى متعلقة بالفعل على أنه متعد لواحد. وإذا لم تتعلق به فهى إما مفعول ثان للفعل أو حال من (قصورا) مقدم عليه"(١).

والحق أن (من) اسم بمعنى (بعض) وهى المفعول الأول لـ (تتخذون) و(قصورا) مفعول ثان. فأصل الأسلوب. من سهول الأرض قصور أى بعض سهولها قصور. ومن ثَمّ يلزم أن يكون بعضها الآخر غير صالح لإقامة القصور عليه لأنه رمال لا صلابة فيها.

وقد ذكر البيضاوى ما يشير إلى هذا المعنى حيث يقول: "أى تبنون فى سهولها أو من سهولة الأرض بما تعملون منها كاللَّبِنْ والآجرّ".

وعلق الشهاب قائلا: "فـ (من) بمعنى (فى) أو ابتدائية أو تبعيضية"(٢). والحق أن التبعيض يستلزم معنى الظرفية والابتدائية فهو أدق وأليق بالنص.

التوبة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ ١٠٣.

أى خذ بعض أموالهم حالة كونه صدقة فهذه هى الحال التى يجب آخذ جزء المال فيها. أما غيرها فيكون غير واجب بل هو تطوع.

النحل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ٦٧.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٥٦.

(٢) البيضاوى وحاشية الشهاب عليه ٤/ ١٨٤.

قال الزمخشرى: "لم يقل: فى الجبال وفى الشجر لأنه أريد معنى البعضية وألا تبنى بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش. ولا فى كل مكان منها"(١).

وعلى هذا فـ (من) اسم بمعنى بعض وهو ما رجحه ابن المنير، ويرى(٢) الخازن أن (من) بمعنى (فى)(٣).

ورده أبو بكر الرازى قائلا: "إنما ذكر بلفظة (من) لأنه أراد كون البيت ببعض الجبل وبعض الشجر كما نشاهد ونرى من بيوت النحل لأنه يتخذ من طين وعيدان فى الجبل أو الشجر كما يتخذ الطيور. فلو أتى بلفظة (فى) لم تدل على هذا المعنى. ونظيره قوله ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ ١٤٩ الشعراء"(٤).

وبهذا يكون المعنى مأخوذا من كلمات النص ونسقها فيه وهذا هو اللائق.

الإسراء: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ﴾ ٤٠.

الزخرف: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾ ١٦.

فالآية الأولى واضح معناها إذ أن الله ينكر على المشركين اعتقادهم أنه اتخذ بعض الملائكة إناثا على حين أنهم يفضلون البنين على البنات. فـ (من) مفعول أول و (إناثا) مفعول ثان.

ولكن السمين يأبى إلا أن يجعل الآية على التقديم والتأخير حيث يقول (من الملائكة) مفعول ثان و (إناثا) مفعول أول"(٥).

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٨١ بتصرف.

(٢) انظر الانتصاف هـ الكشاف ٢/ ٤٨١.

(٣) انظر حاشية الجمل ٢/ ٦٩٤.

(٤) الأنموذج ٢/ ١٠.

(٥) حاشية الجمل ٢/ ٧٤٨.

وهذا لا داعى إليه لأنه لا يليق بكلام الله إذ موطنه الشعر ربيب الضرورة.

وكـذا الآيـة الثانـية فـ (من) مفعول أول. و (بنات) مفعول ثان إذ معناها الإنكار عليهم أن يتخذ بعضَ ما يخلق والمراد به الملائكةُ بناتٍ. ومع ذلك يؤثرهم بالبنين الذين يفضلونهم على البنات.

ولـو قلنا: إن (اتخذ) ناصب لمفعول واحد. لكان (إناثا) و (بنات) حالين من (من الملائكة) و (مما يخلق).

الحاقـــة: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾ ٤٤ ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾ ٤٥ يؤخذ من كلام الزمخشى أن المراد (يمين الرسول) وأن (من) زائدة فقـد قـال: "ومعنـى (لأخذنا منه باليمين) لأخذناه بيمينه كما أن قوله "لقطعنا منه الوتين" لقطعنا وتينه وهذا بيِّنٌ"(١).

والزمخشرى هنا يحيد عن النص ويريد أن يسوى بين نصين لا مساواة بينهما فلـيس من حقه أن يزعم ما زعمه فى آية اليمين حتى تتساوى بآية الوتن. فالله فى الأولى يوعد رسوله بأنه لو تقوَّل عليه بعض الأقاويل لأخذ بعضه بالقوة الباطشة. والظاهـر أن المراد بالبعض هنا هو اللسان لأنه أداة التقوّل والبهتان مع أنه عضو الـبلاغة والبيان. ولذا قال الراغب : "لأخذنا منه باليمين" أى بأشرف جوارحه"(٢). وبأدنـى التفاتة ذهنية يدرك القارئ التناسق العجيب المعجب بين (بعض الأقاويل) و(لأخذنا منه) أى بعضه. ولو قيل: لأخذنا بعضه لكان ثقيلا على اللسان لما عرفنا من ثقل (بعض) وخفة (مِنْ).

ومن قبل ذلك ومن بعده كيف يستبيح الزمخشرى أو غيره أن يدَّعى أن (من) زائدة مع أنها فى أقدس نص وأبلغ كلام؟!

---

(١) الكشاف ٤/ ٤٨٦.

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص ٥٥٣.

وليس هذا مقصورا على الزمخشرى هنا بل يؤخذ من كلام السمين أن اليمين إمـــا قـــوة الله وإمـــا يد الرسول. فقد ردد القول بين زيادة (مِنْ) وزيادة (الباء) أى لأخذناه باليمين أى القوة. أو لأخذنا منه اليمين"[1].

وذكر الشيخ المغربى أن (اليمين) قوة الله. والمعنى: لانتقمنا منه بقوتنا"[2].

وكأنه يعنى أن (أخذنا) مُضَمَّن معنى (انتقمنا).

والحق أن الآية فى أشد الاستغناء عن دعوى الزيادة والتضمين لأن كلا منهما لـــيس مـــن الحقـــيقة فـــى شئ. وكم رأينا (أخذ) مستعملا فى العقاب وحسبنا قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ١٠٢ هود، وقوله: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ ١١٣ النحل.

وقوله: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾ ٤٠ العنكبوت .... إلى غير ذلك.

٣- أ ك ل:

وردت (مـــن) مفعـــولا بـــه لصيغ هذه المادة فى أربع وأربعين آية. ثمانية وأربعين مرة.

وهذه الآيات خمسة أقسام:

القسم الأول: آيات أضيفت فيها (من) إلى عـــــلامة مضمر مفرد إما مذكر وإما مؤنث.

وهو نوعان:

الـــنوع الأول: ذكرت فيه (مِنْ) بعد الفعل. والضمير المضاف إليه إما مذكر وإما مؤنث:

---

(١) حاشية الجمل ٤/ ٤٠٢.

(٢) تفسير جزء تبارك ص٤٤.

أولاً: آيــات علامــة المضمر المذكر التى ذكرت فيها (من) بعد الفعل وذلك أربع مرات من السور الآتية:

يوسف: ﴿ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ ﴾ ٣٦.

النحل: ﴿ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا ﴾ ١٤.

ففى الآية الأولى يتضح أن الطير يأكل بعض الخبز الذى يحمله أحد الفتيين.

وأمــا آيــة النحل فقد جَوَّز فيها أبو البقاء أن تكون (من) ابتدائية وأن تكون تبعيضية وقدَّر مضافا وهو: من حيوانه"[1].

ومــا دام العقــل يدرك ذلك المضاف فلا مناص من جعل (مِنْ) بعضية أى لتأكلوا بعض حيوانه و (لحما) حال و (طريا) نعت. أى حالة كونه لحما طريا. قال الزمخشرى: "هو السمك ووصف بالطراءة لأن الفساد يسرع إليه فيُسَارَعُ إلى أكله خيفة للفساد عليه"[2].

ولعل القارئ قد اقتنع عقله بأن معنى الابتدائية هنا غير مراد.

ولا يذهبَنَّ بأحد ظنه إلى أن (حيوانه) الذى ذكره أبو البقاء مما سميناه تكديرا لأنــه مما يلحظه الفكر ويدركه العقل من السياق وفى ذلك إثبات للجانب العقلى فى فهم نصوص القرآن.

المؤمـــــــنــــون: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ ﴾ ٣٣.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٤٢.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٦٥.

أى يأكـل بعض ما تأكلون بعضه. إذ لا يستطيع أحد أن يأكل ما أكله غيره ففى معنى البعضية دليل على دقة التصوير ومطابقته لما يشاهده البصر.

ولـو قـيل: يأكل مما تأكلون. على تقدير ضمير يعود على (ما) أى تأكلونه لأدى ذلـك إلى وقوع الأكلين على مأكول واحد. وهذا من بدائه المحال. ولا يخفى أن المراد هنا (منه) لأن (مما تأكلون) ستأتى.

الـسجدة: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ٢٧.

قـال الفـراء: "الجُرُز: التي لا نبات فيها .... ويقال: أرض جُرُز وجُرْز وأرض جَرَز وجَرْز لبنى تميم. كلٌّ لو قرئ به لكان حسنا. وهو مثل: البُخُل والبُخْل والبَخَل والبَخْل ..."[1].

وقـال الزمخشرى: "الجرز التى جُرِزَ نباتها أى قُطِع إما لعدم الماء وإما لأنه رُعِىَ وأُزِيل. ولا يقال للتى لا تنبت كالسباخ: جرز ويدل عليه قوله: (فنخرج به زرعا) .... (تأكل) من الزرع (أنعامهم) من عصفه (وأنفسهم) من حبه. وقرئ (يأكل) بالياء"[2].

وتأمـل – هداك الله – إلى روعة الإيجاز فى هذه الآية التى يصل إليها الفكر العمـيق والـذوق الرفيع. فهو الذى يدرك أن للأنعام نصيبهم من الزرع أى بعضه وللإنسان نصيبه منه أى بعضه.

ولعـل فـى هذا الإجمال الذى فَصَّله العقل البشرى مستعينا بواقع الحياة وما تـتطلع علـيه منها عيناه الإشارة إلى أن هناك بعض الزرع يستوى فى الأكل منه الإنسان والأنعام. وهذا واضح لمن له عينان.

---

(١) معانى القرآن ٢/ ٣٣٣.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٠٨.

ثانيا: آيات علامة المضمر المفرد المؤنث التى ذكرت فيها (من) بعد الفعل.

وهى تسع آيات من السور الآتية:

البقرة: ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ ٣٥ ﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ ٥٨.

والآيــة الأولى خطاب لآدم وحواء. والثانية خطاب لبنى إسرائيل ومثلها آية الأعراف: ﴿ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾ ١٦١.

فالــضمير فى الأولى عائد إلى الجنة التى كان يسكنها آدم وحواء. وقدر أبو البقاء مضافا أى كلا من ثمرها ثم جعل (من) ابتدائية[1].

وفى إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج: "كلوا من نعيمها"[2].

وما دام لَحْظُ هذا المضاف فنًّا من فنون البلاغة الراقية فاللائق أن تكون (مِنْ) اســما بمعنــى (بعض) أى بعض ثمرها أو بعض نعيمها الذى هو من الطعام. ولا معنــى لجعلها حرف ابتداء. وذلك يدرك بالحس اللغوى العالى. ولذا فنحن مع قول أبــى السعود فى آية الأعراف: "كلوا من طعامها وثمارها على أن (من) تبعيضية" ولسنا معه فى قوله: "أو منها على أنها ابتدائية"[3].

لأن الأكل يتعلق مباشرة بما يستمتع به آدم وحواء من طعامها وثمارها.

ومما يلفت الذهن هنا أن هذه الآيات الثلاث لم تصرح بالشراب مع أننا نلحظ اقتران الأكل والشرب فى أغلب آيات القرآن مثل قوله تعالى: ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٧.

(٢) انظر ص ٤٦.

(٣) إرشاد العقل السليم ٥/ ٥١.

مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ ﴾ ٦٠ البقــرة. وغيره. ويبدو أن حذف الشرب فى آياتنا هنا للعلم به من تلك الآيات. أو لأن الأكل يستلزم الشرب. والــذى يحتم ذلك هـــو العقـــل إذ لا تستقر حياة الجسم إلا بهما معاً.

المائدة: ﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا ﴾ ١١٣.

والــضمير عائــد على المائدة التى طلب الحواريون من عيسى أن يسأل ربه لينــزلها لهـم. ومـــن المقرر أن المائدة لا تطلق إلا على الطعام الذى وضع على الخوان. فمعنى البعضية واضح أى نأكل بعض الطعام الذى وضع عليه.

الأعراف: ﴿ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ ﴾ وقد سبق ذكرها.

طه: ﴿ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا ﴾ ١٢١.

والــضمير عائــد إلـــى الشجرة التى نهى الله آدم وحواء أن يذوقا شيئا من ثمارها. ولكنهما بوسوسة الشيطان أكلا بعض تلك الثمار.

الحــــــج: ﴿ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴾ ٢٨ ﴿ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّ ﴾ ٣٦.

والضمير فى الأولى عائد على الهَدْيِ فالسنة المستحبة أن يأكل الحاجّ بعضَه كمـــا يأكل المضحى بعض أضحيته. "والبائس: الذى أصابه بؤس أى شدة. والفقير: الذى أضعفه الإعسار"(١).

والــضمير فى الآية الثانية عائد على البُدْن التى تنحر أيام الحج وفيها يقول الله: "والــبُدْن جعلناها لكم من شعائر الله ..... فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها..........".

---

(١) الكشاف ٣/ ١٢١.

قال الزمخشرى: "صواف: قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن.

وقرئ: صَوَافِنَ من صُفُونِ الفرس وهو: أن يقوم على ثلاث. وينصب الرابعة على طرف سنبكه لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقف على ثلاث.

وقــرئ (صوافى) خوالص لوجه الله .. بسكون الياء مع أنها منصوبة و ذلك مثل قول العرب: أعط القوس باريها بسكون الياء.

ووجــوب الجُنُوب: وقوعها على الأرض من: وجب الحائط وجبة إذا سقط. ووجــبت الشمس وجبة: غربت. والمعنى: فإذا وجبت جنوبها. وسكنت نسائسها – أى تــم خروج أنفاسها فلم تعد تتحرك – حل لكم الأكل منها والإطعام. و (القانع) الــسائل مــن قــنعت إلــيه وكــنعت إذا خضعت له وسألته قنوعــا. و (المعتر) المعتـــــرض بغير سؤال.

أو القانــع: الراضـــى بما عنده وبما يعطى من غير سؤال. من: قنعت قَنْعا وقناعة. والمُعْتَرّ: المعترض بسؤال"[1].

فمعنى البعضية واضح فى (من) فهى المفعول به لأنها اسم.

الفـــــرقان: ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ ٨.

أى بعض ثمارها وغيرها مما يطعم.

الصافــــات: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا ﴾ ٦٦.

والــضمير هنا عائد على الشجرة فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾ ٦٤، ٦٥.

ففـــى هاتــين الآيتــين الــشجرة ثــم طَلْعها. والطلع للنخلة أى ثمرها. قال الزمخــشرى: "فاســتعير لمـــا طلع من شجرة الزقوم من حملها ... وشبه برءوس

---

(١) الكشاف ٣/ ١٢٤: ١٢٥.

الشياطين دلالة على تناهيه فى الكراهية وقبح المنظر ... (لآكلون منها) أى: من طلعها"(١) ولا يخفى أن المراد بعضه لأن ثمرها لا ينفد. فـ (من) مفعول به.

وعلى رغم وضوح المعنى نرى الألوسى يقول: "و (من) ابتدائية أو تبعيضية وهناك مضاف مقدر أى: من طلعها. وقيل (من) تبعيضية والضمير للطلع. وأنث لإضفاته إلى المؤنث. أو لتأويله بالثمرة. أو للشجرة على التجوز ولا يخلو كل عن بعد ما"(٢).

ولعلك تدرك أن معنى الابتدائية غير واضح وضوح معنى البعضية. وينبغى أن يحمل القرآن على أوضح معنى ولا سيما إذا كان لا يترتب عليه تقدير مما يعكر صفو الأسلوب أو يغض من بلاغته وقدسيته.

النوع الثانى: آيات ذكرت فيها (من) قبل الفعل. والضمير المضاف إليه إما لمفرد منكر أو لمفرد مؤنث.

أولا: ورد المفرد المذكر فى آية واحدة فى سورة يس وهى قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ ٣٣.

قال الزمخشرى: "وقوله (فمنه يأكلون) بتقديم الظرف للدلالة على أن الحَبَّ هو الشئ الذى يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الإنس. وإذا قَلَّ جاء القحط ووقع الضر. وإذا فُقِدَ جاء الهلاك ونزل البلاء"(٣).

فقوله (تقديم الظرف) يعنى (منه) وهو يقتضى حرفية (من) لأنها حينئذ ابتدائية. ولايخفى ما يترتب على ذلك من دعوى حذف المتعلق الذى ترتبط به. وبهذا يكون فى النص دعويان لا حاجة به إليهما وهما: دعوى التقديم والتأخير ودعوى الحذف والتقدير.

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٦.

(٢) روح المعانى ٧/ ٢٧٩.

(٣) الكشاف ٤/ ١١.

وأمـــا إذا جعلـــنا (من) بعضية كانت من ذكر المفعول به أولاً وفى ذلك من الاختــصاص مـــا فيه دون دعوى شئ مما ذكر فهو مثل قوله تعـــالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ٥ الفاتحة.

ثانياً: وَرَدَ المفرد المؤنث فى ست آيات منها أربع فى شأن الأنعام واثنتان فى شأن الفاكهة.

(أ) آيات الأنعام من السور الآتية:

الـــــــنحـــــل: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ٥.

المؤمـــنون: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ٢١.

يس: ﴿ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ ٧٢.

غافـــر: ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ٧٩.

وفـــى الأولـــى مـــن هـــذه الآيـــات يقول الزمخشرى: "تقديم (منها) مؤذن بالاختصاص. إذ الأكل منها هو الأصل الذى يعتمده الناس فى معايشهم. وأما الأكل مـــن غيـــرها من الدجـــاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتمد به وكالجارى مجرى التفكه.

ويحتمل: أن طُعْمَتكم منها لأنكم تحرثون بالبقر. فالحَبّ والثمار التى تأكلونها منها. وتكتسبون بإكراء الإبل وتبيعون نتاجها وألبانها وجلودها"(١).

فعلى الأول تكون (مِنْ) بمعنى بعض وهذا ما رجحه أبو حيان(٢).

وهى مفعول ذُكِرَ قيل فعله للاختصاص كما علمنا.

وأما على الثانى فـ (من) سببية قال الألوسى: "أى تأكلون ما يحصل بسببها كالحب والثمار .. والتبعيض أظهر"(٣).

ونقل أبو حيان عن ابن عطية فى آية غافر" أن (من) لبيان الجنس. ثم قال: ولا يظهر كونها لبيان الجنس ويجوز أن تكون للتبعيض ولابتداء الغاية"(٤).

ونص كلام ابن عطية: "الأنعام: الأزواج الثمانية. و (منها) الأولى – يعنى (منها ركوبهم) – للتبعيض لأن المركوب ليس كل الأنعام بل الإبل خاصة.

و (منها) الثانية – يعنى ومنها تأكلون – لبيان الجنس لأن الجميع منها يؤكل ..... ثم ذكر أن الطبرى يرى أن (منها) فى الموضعين للتبعيض.."(٥).

فقوله (لبيان الجنس لأن الجميع منها يؤكل) ليس مأخوذا من النص إذ ذِكْرُ (مِنْ) يقتضى البعضية أما جعلها بيانية فهو بمثابة القول بزيادتها. وقد عرفنا ذلك.

(ب) آيتا الفاكهة هما فى سورتى:

المؤمنون: ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ١٩.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٦٢.

(٢) انظر البحر ٥/ ٤٧٥.

(٣) روح المعانى ٤/ ٣٤١.

(٤) البحر ٧/ ٤٧٨.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٧١.

الزخرف: ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ٧٣.

والضمير فى الأولى لجنات الدنيا. وفى الثانية لجنة الآخرة.

قال الزمخشرى فى الأولى: "ووصف النخل والعنب بأن ثمرها جامع بين أمرين بأنه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رُطْبا ويابسا. رُطَباً وعِنَباً. وتمرا وزبيبا...

ويجوز أن يكون قوله: (ومنها تأكلون) من قولهم: يأكل فلان من حرفة يحترفها. ومن ضيعة يغتلها. ومن تجارة يتربح بها. يعنى: أنها طعمته وجهته التى منها يحصل رزقه كأنه قال: وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم. ومنها ترتزقون وتتعيشون"(١).

ومقتضى هذا أن (من) تحتمل أن تكون اسما بمعنى (بعض) وأن تكون حرفا بمعنى: السبب. وكنت أظن أن الزمخشرى قد سار على وتيرة واحدة فى جميع الآيات ولكننى لم أظفر ببغيتى لأنى وجدته فى الآية الثانية لا يذكر سوى معنى البعضية حيث قال: "أى لا تأكلون إلا بعضها. وأعقابها باقية فى شجرها"(٢).

ومع هذا ألتمس له عذرا وخلاصته: أنه لاحظ أن هذه الآية فى فاكهة الجنة. فلا تتأتى أن تكون سببا لعيش إذ الغذاء فيها للتفكه والتلذذ لا للمحافظة على الحياة.

وهو فى ذلك يقرر أن لكل مقام مقالا يليق به ويتفق معه.

غير أنى لا أفرق بين الآيتين فى معنى البعضية. إذ أن الإنسان إذا أكل فإنه لا يأكل إلا بعض الثمر لأنه لا يأكل نوى التمر ولا يأكل بذر العنب فلابد فيهما من بقية وتلك البقية هى امتداد للنوع ما دامت الحياة الدنيا.

القسم الثانى: آيات أضيفت فيها (من) إلى (ما) وهى عشر آيات من السور الآتية. ولم تذكر فيه (من) قبل الفعل.

---

(١) الكشاف ٣/ ١٤١: ١٤٢.

(٢) الكشاف ٤/ ١٠٨.

البقـــرة: ﴿ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ ١٦٨.

المائـــــــدة: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ ٤ ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ ٨٨.

الأنعـام: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ١١٨﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ١١٩﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ١٢١ ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ١٤٢.

الأنفـــال: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ ٦٩.

النحـــل: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ١١٤.

المؤمنون: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ ﴾ ٣٣.

فـ (من) فى هذه الآيات نَصٌّ فى البعضية فهى مفعول به و (ما) مضاف إليه وهـى اسم موصول وصلته فى الأولى الظرف (مما فى الأرض) و (حلالا) حال و(طيبا) حال ثانية. وكذا فى الآية الثالثة والثامنة.

وصلته فى الثانية جملة (أمسكن عليكم). وفى الثالثة جملة (رزقكم الله). وكذا فـى السابعة والتاسعة. وفى الرابعة جملة (ذُكِرَ اسمُ الله عليه) وكذا فى الخامسة. وفى السادسة جملة (لم يذكر اسم الله عليه) وفى الثامنة جملة (غنمتم). وفى العاشر جملـة (تأكلـون منه). والضمير الرابط للصلة بالموصول فى الأولى مضمر فى الظـرف. وفـى الثانـية والثالثة والسابعة والثامنة والتاسعة محذوف تقديره على التـرتيب: مما أمسكنه.. مما رَزَقَكُمُوه الله ... مما غَنِمْتُمُوه. وأما فى العاشرة فهو ضمير مذكور فى (منه).

هذا ما يتضح فى تلك الآيات فلا تقدير لشئ لا يدركه العقل فيها.

وهــذا ما رأيته غالبا فى نصوص العلماء. فقد قال الكرخى فى الأولى: من: تبعيضية فى موضع مفعول (كلوا) أى كلوا بعض ما فى الأرض إذ لا يؤكل كل ما فى الأرض"(١).

وقــد اعتــرف أبو حيان هنا باسمية (من) صراحة حيث قال: "من: تبعيضية و(ما) موصولة و (من) فى موضع المفعول نحو: أكلت من الرغيف و (حلالا) حال من الضمير المستقر فى الصلة المنتقل من العامل فيها إليها"(٢).

وذكر الرازى أن (من) فى (مما أمسكن) إما زائدة وإما للتبعيض ففيه وجهان أحــدهما: أن الصيد كله لا يؤكل فإن لحمه يؤكل أما عظمه وريشه ودمه فلا يؤكل والثانى أن المعنى كلوا ما تبقى لكم الجوارح بعد أكلها منه"(٣).

والــذى عهدناه فى الرازى أنه لا يعترف بزيادة شئ فى القرآن فكيف به هنا يقر بذلك؟!

وقد ردَّ الطبرى القول بزيادتها معللا ذلك بقوله: "لأن (من) إنما تدخل الكلام مبعضة لما دخلت عليه ... ولا تدخل إلا لمعنى مفهوم. وقد يجوز حذفها فى بعض الكلام وبالكلام إليه حاجة لدلالة ما يظهر من الكلام عليها.

فأمــا أن تكون فى الكلام بغير معنى أفادته بدخولها فذلك غير جائز أن يكون فيما صح من الكلام. ومعنى دخولها فى (مما أمسكن) للتبعيض"(٤).

القــسم الــثالث: آيات أضيفت فيها (من) إلى (كل) وهى آيتان من السورتين الآتيتين:

---

(١) حاشية الجمل ١/ ١٦١.

(٢) البحر ١/ ٤٧٨.

(٣) من مفاتيح الغيب ٢/ ٢٥١.

(٤) جامع البيان ٦/ ٥٥: ٥٦. وانظر الغريب فى مفردات القرآن ص ٤٧٢.

النحل:﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ٦٩.

فاطـــر:﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ ١٢.

ومعنـــى البعضية واضح إذ المضاف إليه كلمة تفيد العموم فـ (مِنْ) مبعضة لهذا العموم. يقول الزمخشرى: "من كل الثمرات: إحاطة بالثمرات التى تجرسها – أى تأكلها – النحل. وتعتاد أكلها أى كلى من كل ثمرة تشتهينها"(١).

وقال أبو حيان: "من: الظاهر أنها للتبعيض"(٢).

هذا وقد سبق أن الآية فيها تقييد النحل ببناء بيوتها فى بعض الجبال والشجر ومـــا يعرشـــون. ولكـــنه هنا أمرها أن تأكل ما تشتهيه من الثمرات دون تقييد أو تخـصيص وقـد علـل ذلك ابن المنير بقوله: كأنه تعالى وَكَلَ الأكل إلى شهوتها واختـيارها فلـم يَحْجُر عليها فيه وإن حُجِر عليها فى البيوت وأمرت باتخاذها فى بعـض المواضـع دون بعض لأن مصلحة الأكل على الإطلاق باستمراء مشتهاها مـنه. وأما البيوت فلا تحصل مصلحتها فى كل موضع. ولهذا المعنى دخلت (ثم) لـتفاوت الأمر بين الحَجْر عليها فى اتخاذ البيوت والإطلاق لها فى تناول الثمرات كمـا تقول: راعِ الحلالَ فيما تأكله ثم كُلْ أىَّ شئ شئت فتوسط (ثم) لتفاوت الحجر والإطلاق فسبحان اللطيف الخبير"(٣).

وأما الآية الثانية فقد ذكرت (من) أولا فهى مفعول (تأكلون) و (كل) مضاف إلـيه والتنوين فيها عوض عن المضاف إليه أى ومن كل واحد من البحرين العذب والملح. وقد سبق فى آية النحل تقدير (حيوان) أى وبعض حيوان كل منهما تأكلون. وأن المقصود السمك. كما ذكرنا سبب التعبير بقوله (لحما طريا).

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٨١.

(٢) البحر ٥/ ٥١٢.

(٣) الانتصاف هـ الكشاف ٢/ ٤٨١.

القسم الرابع: آيات أضيفت فيها (من) إلى (طيبات) وهى خمس من السورة الآتية:

البقرة:﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ ٥٧﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ ١٧٢.

الأعراف:﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ ١٦٠.

طه:﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ ٨١.

المؤمنون:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ ٥١.

ففى الآيات الأربع الأولى يتحد النص وخلاصته: أن الله يأمر الناس أن يأكلوا بعض طيبات رزقه الذى رزقهم إياه. وفى هذا دليل واضح أن رزق الله لا ينفد لأنهم لا يستطيعون استغراقه بالأكل.

وأما الآية الخامسة فهى نداء للرسل بأن يأكلوا بعض الطيبات.

واختلف العلماء فى المراد بالرسل. فيرى الفراء أن المراد النبى فجمع كما يقال فى الكلام للرجل الواحد: أيها القوم كفوا عنا أذاكم".

وقيل المراد بالنبى (عيسى عليه السلام)(١).

ومعنى هذا أن المنادى الجمع مراد به المفرد.

ويرى الزمخشرى: أن المراد الرسل جميعا حيث قال: "هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما. وكيف والرسل إنما أرسلوا متفرقين فى أزمنة مختلفة. وإنما المعنى: الإعلام بأن كل رسول فى زمانه نودى لذلك وَوُصِّىَ به. ليعتقد السامع أن أمرا نودى له جميع الرسل وَوُصُّوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه"(٢).

---

(١) معانى القرآن ٢/ ٢٣٧ وهامشها.

(٢) الكشاف ٣/ ١٤٩: ١٥٠.

القسم الخامس: آيات فيها المضاف إليه اسم ظاهر غير ما تقدم وهى ثمانى آيات من السور الآتية:

البقرة: ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ ﴾ ٦٠.

الأنعام: ﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾ ١٤١.

يوسف: ﴿ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ﴾ ٤١.

النور: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ٦١.

سبأ: ﴿ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ ﴾ ١٥.

يس: ﴿ لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ ﴾ ٣٥.

الواقعة: ﴿ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ ﴾ ٥٢.

المُلك: ﴿ وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ ١٥.

ومعنى البعضية واضح لا خفاء فيه فـ (من) اسم مفعول به فى محل نصب وما بعدها مضاف إليها. غير أننا نقف هنا عند بعض هاتيكم الآيات.

(أ) الآيـة الأولى (كلوا واشربوا من رزق الله) هذه الآية خطاب لبنى إسرائيل.

ويقـول فـيها الزمخشرى: "من رزق الله: مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون. وقيل: الماء ينبت منه الزرع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب"(١).

وهنا فعلان كل منهما طالب لـ (من) التى هو مفعول به وعليه ففى الآية ما سماه سيبويه (باب الأعمال) وما سماه غيره (التنازع). إذ العاملان تنازعا معمولا واحدا. والمعروف أن فى مثلها مذهبين نحويين أحدهما بصرى وهو أن الثانى هو الناصب للمفعول به. وأن مفعول الأول مقدر. كلوا من رزق الله.

والثانـى كوفـى وهو أن الفعل الأول هو الناصب ومفعول الثانى مقدر. أى اشربوا من رزق الله.

وقـد تـناولت هـذا الباب بالدرس والتفصيل حتى وصلت إلى أن مثل هذا الأسـلوب مـن باب حذف المفعول لوجود دليل عليه فلا تنازع ولا منازعة. وأن المذكور معمول للفعل الثانى. ومثله محذوف من الأول. فـ (من رزق الله) مفعول لـ (اشربوا) ومثله مقدر مع (كلوا) أى كلوا من رزق الله.

وتأمـل هداك الله – هذا الإيجاز الرائع الذى يحمل العقل على الفكر العميق حتى يدرك المعنى الدقيق.

والله يـشهد أننـى قد اهتديت فى ذلك بكتاب سيبويه حيث يقول: "ومما يقوى تـرك نحـو هـذا لعلـم المخاطـب قوله عز وجل: ﴿ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ ٣٥ الأحزاب.

---

(١) الكشاف ١/ ١٠٨.

فلــم يَعْمل الآخر فيما عمل فيه الأول استغناء عنه ومثل ذلك: "ونخلع ونترك من يفجرك"(١).

فــ (من) منصوب بــ (نترك) وحذف نظيره مع (نخلع) للعلم به.

(ب) فتأكل الطير من رأسه" هذه الآية توضيح لما جاء فى رؤيا أحد الفتيين اللذين دخــلا السجن مع يوسف عليه السلام حيث رأى: أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه. كما سبق ذكره. وحينما أول يوسف هذه الرؤيا قال له: "وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه" أى بعض رأسه. إذ الطير لا تأكل إلا ما سهل عليها من اللحم فلا تأكل العظم وما يشبهه فالبعضية لازمة هنا. فقد أوّل يوسف ما حمل على الرأس بالرأس ولا غرابة فى ذلك فإن الجار يؤخذ بجرم الجار.

(جـ) لآكلون من شجر من زقوم. أى بعض شجر.

فالواضــح أن (مــن) بعضية وأن هناك مضاف ملحوظا أى من ثمر شجر. ولكن أبا البقاء يقول: "لآكلون شيئا من شجر. وقيل (من) زائدة"(٢).

وكأنــه يعنــى بتقدير (شيئا) أن (من) حرف إضافة و (شجر) مخفوض بها. والظرف صفة لــ (شيئا). وإلا لقال: بعض شجر أى ثمر. ولم يكتف بذلك التقدير الــذى هو من باب (التكدير) بل أضاف إليه ما هو أبشع وأفظع وذلك دعوى زيادة (من). وهى باطلة.

فالصواب أن (من)اسم بمعنى (بعض) وبعدها ملحوظ يدركه العقل أى (بعض ثمر شجر) إذ الشجر لا يؤكل بل ثمره.

ويبقــى قوله (من زقوم) وهى بيان لنوع الشجر فــ (من) بمعنى بعض صفة لــ (شجر) وسيأتى الحديث عن (من) الواقعة نعتا.

---

(١) الكتاب ١/ ٧٤.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٣٤.

٤- المادة الرابعة: بث:

وردت (من) معها ثلاث مرات فى أسلوبين. الأول قوله تعالى: ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾ ١٦٤ البقرة. ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾ ١٠ لقمان.

وجـوز أبو البقاء أن يكون المفعول به محذوفا وتقديره: وبث فيها دواب من كل دابة. وأن تكون (من) زائدة على رأى الأخفش"[١].

وكلاهما غير لائق بالقرآن. فالصحيح أن (من) هى المفعول به لأن (كل) مما يـبعض فمعنى البعضية واضح فهى اسم ومن ثَم قال أبو حيان: "من: تبعيضية فى موضع المفعول"[٢].

الأسلوب الثانى هو: ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ ١ النساء.

لمـا كـان الأسـلوب الأول فى الدواب عموما فهو يشمل الإنسان وأما هذا الأسـلوب فخاص بالإنسان إذ صَدْر هذه الآية هو: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ فالمراد آدم وحواء أصل البشر وغنى عن البيان أن الذَّكَر والأنثى إذ التقيا تكـوَّن الجنـين من حيوان منوى للذكر وبويضة للأنثى. وهما جزءان دقيقان من الـرجل والمـرأة فالبعضية واضحة فـ (من) اسم وهى المفعول به ثم جاء بيانها (رجالا كثيرا ونساء).

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٤٠.

(٢) البحر ١/ ٢٦٧.

قال الطبرى: "ونَشَّر منهما يعنى: من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء كما قال جل ثناؤه ﴿ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ ٤ القارعة. يقال: منه بث الله الخلق وأبثهم"(١).

ولعل هذا التعبير الأخير يوحى بمعنى الابتداء لـ (من) وهو ما عبر به أبو البقاء حيث قال: " من: لابتداء الغاية"(٢).

ولكن المعلوم المقرر أن الولد بعض والديه أى وبث بعضهما حال كونه رجالا ونساء لا دماء وأشلاء.

٥- بخس:

وردت (من) معه مرة واحدة فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾. ٢٨٢ البقرة.

فـ (منه) مفعول به والضمير عائد على الدَّين المكتوب فى قوله تعالى: ﴿ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾.

أى لا ينقص بعضَه ولو شيئا يسيرا. وفى هذا ما فيه من الثقة الغالية بالمدين حيث يوكل إليه الإقرار والاعتراف بما عليه كاملا غير منقوص.

وعلى الرغم من وضوح المعنى نرى علماءنا لا يكتفون به فمثلا نرى أبا البقاء يُجَوِّز أن تكون (من) متعلقة بالفعل فهى حرف ابتداء ولن يكون حالا من: شيئا"(٣).

---

(١) جامع البيان ٤/ ١٤٠ وانظر من مفاتيح الغيب ٣/ ١٣٥.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٩٣.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٦٧ وانظر روح المعانى ١/ ٥٠٢.

وغنى عن البيان ضعف الابتداء إذ الضمير عائد على ما يمكن تبعيضه وهو الـــدِّين. كمـــا أن جعل (منه) حالا من (شيئا) مبنى على دعوى باطلة وهى دعوى التقديم والتأخير.

٦- بعــث: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ ﴾ ١٢ المائدة.

وقوله: ﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ﴾ ٨٤ النحل.

وواضـــح أن المضاف إليه قابل للتبعيض وهى (هم) من (منهم) و (كل أمة). فـــ (من) اسم بمعنى (بعض) وهى المفعول به و (اثنى عشر) بيان و (نقيبا) تمييز. وكذا (شهيدا) بيان أو حال.

٧- بغى فى ثمانى آيات من السور الآتية:

النحـــل: ﴿ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ ١٤.

الإسراء: ﴿ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓ ﴾ ٦٦.

القصص: ﴿ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ ٧٣.

الـــروم: ﴿ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ ٤٦.

فاطـــر: ﴿ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ ١٢.

الجاثية: ﴿ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ ١٢.

الجمعة: ﴿ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ ١٠.

المزمل: ﴿ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ ٢٠.

وواضـــح أن (مـــن) اسم بمعنى (بعض) فهى المفعول به لأننا مهما بلغنا من ابتغاء فضل الله فلن ننال إلا بعضه إذ خزائنه لا تنفد فهو القائل: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ ٢١ الحجر.

ولكن أبا السعود يزعم أنه يجوز أن تكون زائدة[1].

وهو بذلك لا يعطى التعبير حقه من القدسية والجلال.

٨- بلـــــغ:

فى قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ ٨ مريم

قـــال الزمخشرى: "أى بلغت عتيا وهو اليبس والجسارة فى المفاصل والعظام كالعــود القاحل من أجل الكبر والطعن فى *السن العالية. أو بلغت من مدارج الكبر* ومراتبه ما يسمى عتيا"[2].

فـــ (مـــن) علـــى الأول للتعليل كما هو ظاهر عبارة الزمخشرى (من أجل الكبر..) وفى هذا من الضعف ما لا يخفى لأن المعهود عقلا وطبعا أن تكون العلة بعد المعلول فيقال: ضربت ابنى للتأديب. فلو قلنا: ضربت للتأديب ابنى لما كان فى انـــتظام واتساق الأول. وأيضا من معانى العتى: الكبر ففى القاموس: "وعتا الشيخ عتيا بالضم ويفتح كبر وولى"[3].

فكأن المعنى: بلغت الكبر لأجل الكبر. وهذا من الضعف بمكانة.

فلـــم يبق إذاً إلا معنى البعضية أى بلغت بعض مراحل الكبر وهى ما تسمى بالعتى. فـــ (عتيا) بيان لـــ (من) الواقعة مفعولا به.

---

(١) إرشاد العقل السليم ٣/ ٢٢٥.

(٢) الكشاف ٣/ ٤ وانظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٥٨.

(٣) القاموس ٤/ ٣٥٩.

٩- بـــاء:

فى ثلاث آيات من السور الآتية:

يـوسف: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ ٥٥.

العنكبوت: ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا ﴾ ٥٨.

الزمر: ﴿ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾ ٧٤

قـــال أبو البقاء فى الأولى: "حيث: ظرف لــ (يتبوأ) ويجوز أن يكون مفعولا به و (منها) يتعلق بــ (يتبوأ) ولا يجـــوز أن يكون حالا من (حيث) لأن (حيث) لا تتم إلا بالمضاف إليه. وتقديم الحال على المضاف إليه لا يجوز"(١).

وأبو البقاء تابع للفارسى فى إعراب (حيث) مفعولا به فقد قال ابن هشام: "وقد تقع (حيث) مفعولا به وفاقا للفارسى. وحمل عليه قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ ١٢٤ الأنعام.

قـــال الأمير: "قال فى البحر: هذا مردود بنصهم على أن (حيث) لا تتصرف واختار أنها باقية على الظرفية"(٢).

وهـــذا فضلا عما فى دعوى التقديم والتأخير من افتئات على أسلوب القرآن حيث ينظم نسقه على هوى النحاة فى قواعدهم الموضوعة.

ومـــن ثم كان اللازم جعل (من) مفعولا به لــ (يتبوأ) أى يتبوأ بعض أرض مـــصر و (حـــيث) ظرف مبين أن ليوسف عليه السلام التنقل حيث يريد فى أرض مصر فحيث حل كان شاغلا بعض أرضها.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢٩.

(٢) حاشية الجمل ٢/ ٥٥٠ وانظر البحر المحيط ٤/ ٢١٦.

وكذا المعنى فى "تتبوا من الجنة حيث نشاء".

وأمـــا (لنبوئنهم من الجنة غرفا) فــ (من) مفعولا به و (غرفا) بيان لها. فلا تقديم ولا تأخير.

وبهذا يتبين أن (بَوَّأَ) ينصب مفعولين.

فقــد قـــال ابـــن فارس: "وبوأهم الله تعالى منزل صدق .... وبوأها إياه تبويئا"(١).

١٠- تــــرك:

فى آية واحدة من سورة العنكبوت:﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ٣٥.

قـــال الألوسى: "منها: أى من القرية على ما عليه الأكثر (آية بينة) قال ابن عباس: هى آثار ديارها.

وقال الفراء: المعنى تركناها آية كما يقال: إن فى السماء آية ويراد أنها آية. وتعقبه أبو حيان بأنه لا يتجه إلا على زيادة (من) فى الواجب ... وقال بعضهم: إن ذلك نظير قولك: رأيت منه أسدا .... والظاهر ما عليه الأكثر"(٢).

ففــى أول هــذا الــنص نرى أن (من) اسم بمعنى (بعض) لأنها مضافة إلى علامــة إضــمار القرية فهى مبعضة لها أى (بعضها) و (آية بينة) بيان لها. وفى تعبيــر ابــن عــباس رضــى الله عنه بــ (آثار ديارها) إشارة واضحة إلى معنى البعضية إذ الآثار بعض القرية لا كلها.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١/ ٣١٢: ٣١٣.

(٢) روح المعانى ٦/ ٤٠٩. وانظر البحر المحيط ٧/ ١٥١.

وأما دعوى الفراء زيادة (من) فلا اعتبار لها لأنها دعوى باطلة. ومثله قول مــن قــال إن هذه الآية مثل: رأيت منه أسدا وهو ما يسمى بأسلوب التجريد عند علماء البيان. وغايته القول بزيادة (من). فلا احتياج إليه.

١١- تــــلا:

وذلك فى آيتين من سورتين هما:

الكهف: ﴿سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ ٨٣. أى بعضه حــالة كونه ذكرا. أو للذكر أى التذكير.

القصص: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾٣.

أى بعــض أنــبائهما. قال الزمخشرى: "من نبأ: مفعول (نتلو) أى نتلو عليك بعض خبرهما"[1].

فلا حاجة إلى ما ذكره أبو البقاء من حذف المفعول أى شيئا من نبأ موسى أو أن (من) زائدة على قول الأخفش"[2] فهذا واضح البطلان.

١٢- ثبــت:

فى قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ البقرة ٢٦٥.

من البدهى أن (تثبيتا) مصدر (ثبّت) وهذا الفعل ينصب المفعول كما فى قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ إبراهيم ٢٧.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٠٧ وانظر إرشاد العقل السليم ٤/ ١٤٦.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٩٢.

كمـــا أنـــه من المقرر أن النفس جوهر متعدد النزعات فمنها النفس المطمئنة ومنها النفس اللوامة ومنها النفس الأمارة. فهذه – وغيرها – صفات متنوعة للنفس الواحدة.

وعلـيه فـــ (مـــن) بعــضية أى أن الإنفــاق يثبت بعضها. وهذا ما ذكره الزمخشرى فى صدر كلامه عن الآية حيث قال: "وليثبتوا منها ببذل المال الذى هو شــقيق الروح. و (من) على هذا التفسير للتبعيض مثلها فى قولهم: هز من عطفه. وحـــرك من نشاطه.. ومعنى التبعيض: أن من بذل ماله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذى ثبتها كلها.

ومـــع أن هـــذا المعنى كاف واف لما يتضمنه نص الآية نرى الزمخشرى لا يكتفـــى بـــل يسترسل قائلا: "ويجوز أن يراد: وتصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء من أصـــل أنفسهم. و (من) لابتـــداء الغاية مثـــل ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ ١٠٩ البقرة"[1].

وهذا مردود لأن (من) مضاف إليها ما هو صالح للتبعيض وذلك هو الضابط الدقـــيق لاســـتعمالها اسما بمعنى (بعض) وقد غاب عن الزمخشرى هنا الفرق بين (من أنفسهم) و (من عند أنفسهم) فشتان بينهما. وليس ذلك بما يمنعه من الفهم مانع أو يقف فى سبيل الوصول إليه حاجب أو حاجز. فكلمة (عند) فى الثانية لا يمكن أن تتـــبعض بل هى ظرف بمعنى الحضور وسيأتى أن (من) مع الظرف تكون حرف ابتداء وتدل على التعقيب والمباشرة.

وبهذا يكون الزمخشرى قد ذكر رأيين فى معنى (من) والثانى منهما مردود.

وذكـــر أبو البقاء رأيا ثالثا قائلا: "يجوز أن يكون (من) بمعنى اللام أى تثبيتا لأنفسهم كما تقول: فعلت ذلك كسرا من شهوتى"[2].

---

(١) الكشاف ١/ ٢٣٩. وانظر البحر ٢/ ٣١١.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٦٣.

ولست أدرى كيف يستسيغ أبو البقاء ذلك مع أن (من) مضاف إليها ما يقبل التبعيض وهو (أنفس) فى الآية و (شهوة) فى المثال. وقد سبق قول الزمخشرى فى الآية واضحا صريحا. وأما الشهوة فالإنسان لا يجمل به أن يكسرها كلها بل يكسر ما يدفعه إلى الشر وينحرف به عن سبيل الخير. لأن للشهوة فى الإنسان فائدة غزيرة النفع ومفسدة كثيرة الضر. والإنسان القوى يمنعها عن الشر ويدفعها نحو الخير.

ويبقى فى (من) رأى رابع أشار إليه الرازى فى قوله: "ثبت فى العلوم العقلية أن تكرير الأفعال سبب لحصول الملكات. فمن يواظب على الإنفاق مرة بعد أخرى لابتغاء مرضاة الله حصل له من تلك المواظبة أمران.

أحدهما: حصول هذا المعنى. **والثانى**: صيرورة هذا الابتغاء والطِّلبَة ملكة مستقرة فى النفس"[1].

فقد يفهم من قوله (مستقرة فى النفس) أن (من) بمعنى (فى) وليس بشئ إذ كيف يقول الله (من أنفسهم) ونقول نحن (فى أنفسهم)؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ ٦٣ النساء. وألم يقل: ﴿ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ ٨ المجادلة.

فما كان المانع من أن يقول هنا "وتثبيتا فى أنفسهم"؟

وهل كان ذلك سائغا مقبولا؟

وبذلك يثبت بما لا شبهة فيه ولا حَوْله أن المعنى الذى يطلب من قوله (وتثبيتا من أنفسهم) هو البعضية أما غيره فلا كما علمنا. فضلا عما يترتب عليه من كون (تثبيتا) لازما لا متعديا. إذ لا يصح تأيله بـ (يتثبتون تثبتا) قال ابن جرير: "وليس

---

(١) من مفاتيح الغيب ٢/ ٣٥٣.

قــوله (وتثبيتا من أنفسهم) كلاما يجوز أن يكون متوهما به أنه معدول عن إثباته. ومعنى الكلام: وَيَتَثَبَّتُون فى وضع الصدقات مواضعها"[1].

١٣- جبـــى:

فى قـــوله تعالـــى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ ١٧٩ آل عمران.

وتأمل جمال المعنى عندما يتلو القارئ: ولكن الله يجتبى بعض رسله. فتتطلع نفس السامع إلى أولئك الذين اجتباهم الله ولم تلبث أن تقف على قوله (من يشاء) أى أن الذين اجتباهم هم الذين اختارتهم مشيئة الله وحده.

١٤- جـزى:

فــى قـــوله تعالـى: ﴿ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ ﴾ ٤٥ الروم.

من المقرر أن (جزى) تنصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر فـ(الذين) مفعــول أول و (مِــنْ) هى المفعول الثانى والمعنى أن الله ذو فضل عظيم وأن ما يكافئ به العاملين الصالحاتِ بعض هــذا الفضل. إذ فضله لا ينفد مهما طال عليه الأمد.

١٥- جعـــل:

وردت جعل ناصبة لـ (من) البعضية مرتين فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ﴾ ٢٦٠ البقرة.

وقوله: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ٣ الرعد.

---

(١) جامع البيان ٣/ ٤٤.

فالآية الأولى خطاب لنبى الله وخليله إبراهيم عليه السلام حينما طلب من الله أن يريه كيف يحيى الموتى ليطمئن قلبه فأمره الله أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحها ويمسك برؤوسها ثم يخلط بعض لحمها وعظمها ببعض ثم أمره بأن يلقى على كل جبل من الجبال المحيطة به بعض تلك الأجساد المختلط بعضها ببعض ثم أمره بأن يدعو جسد كل طائر إلى رأسه فيأتيه سعيا.

فـــ (اجعل) هنا بمعنى: ألق. و (من) اسم بمعنى (بعض) مفعوله و (جزءا) بيان له. فلا تقديم ولا تأخير.

ولكن العلماء لم يكتفوا بهذا المعنى الجميل الذى يؤخذ من النص على ما نزل به ونقل إلينا كما روى فقد رأى بعضهم أنه يحتمل أن يكون (اجعل) بمعنى (صيِّر) فيتعدى إلى مفعولين هما (جزءا) فهو المفعول الأول. و(على كل جبل) فهو المفعول الثانى ويتعلق بمحذوف و (منهن) حال من: جزءا"[1].

وفى هذا دعوى التقديم والتأخير ثم دعوى الحذف والتقدير وهما باطلتان كما حققنا وقررنا.

وعلـــى هـــذا يكون الصحيح هو ما ذكرناه أولا من أن (اجعل) بمعنى (ألق) وخيـــر ما يفسر القرآن القـــرآن فقد قرأنا قـــوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ ١٠ فصلت ثم قوله: ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ ٧ ق. فالواضح فى آية البقرة (وألق علـــى كـــل جبل بعضهن جزءا) فـــ (على كل جبل) ظرف مرتبط بالفعل. و (من) مفعول به و (جزءا) بيان له. فلا تكدير ولا حيف.

وأمـــا الآية الثانية (وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات) فـــ (جعل) إما بمعنى (ألقى) وإما بمعنى (خلق). والأقرب إلى الوضوح هو الأول لأنه يناسب

---

(١) حاشية الجمل ١/ ٢٥٩: ٢٦٠.

للرواســـي والأنهـــار. ولا مانـــع من مناسبته للثمار لأنها مما ألقاه الله فى الأرض أليـــست البذرة تلقى فى الأرض حتى يتهيأ لها الإنبات. وهل تنبت بدون إلقائها فيها فالمـــراد إلقاء بعض الثمرات وهو البذور فـــ (من) مفعول به إذ هو معطوف على مفعول به وهو (أنهارا) أو (رواسى).

هذا: ومما ينبغى ذكره أن آخر هذه الآية: "جعل فيها زوجين اثنين" فهذه جملة اســـتئنافية. فيها بيان لـــ (من كل الثمرات) وهذا أرجح آراء ثلاثة ذكرها أبو البقاء وهـــو ثالـــثها. أما أولها فهو: أن (من كل الثمرات) متعلق بـــ (جعل فيها زوجين) والتقدير: وجعل فيها زوجين من كل الثمرات.

وأما ثانيها فهو: أن (من كل الثمرات) حال من (اثنين) مقدم عليه إذ كان فى الأصل صفة له"[1].

ولا يخفـــى ما فى هذين الوجهين من دعوى التقديم والتأخير وفيها من الجرأة على تعديل نسق كلام الله ما لا يخفى.

فالـــصواب إذاً ما قررناه من أن جملة (جعل فيها زوجين اثنين) بيان لإبهام ســـابق إما فى (من كل الثمرات) وإما فى الآية كلها أى لجميع ما ألقى فى الأرض وهـــو الجـــبال والأنهار والثمار. وهذا ما نراه لقوله تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ٤٩ الذاريات.

ولا يخفـــى أن البيان بعد الإبهام فن رفيع من فنون البلاغة التى يمثل القرآن أعلى أساليبها وأقواها.

١٦- جـــاء:

فى قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ ٤١ النساء.

---

(١) انظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٣٢.

قــد يفهم بعض الدارسين أن (جاء) لازمة لا محالة أى لا تنصب مفعولا بـه وهــذا الفهم ناء عن الصواب بعيد عن محيط اللغة ألا وهو القرآن فقد قرأنا فيه – كمــا يقــرأ غيرنا – قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ وقــــوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ﴾ ١١٣،١٣١ الأعــراف. وقرأنا قوله: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ وقــوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ ٢٢، ٣٦ النمل. وقرأنا قوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ وقوله ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ٧٦، ٧٨ يونس... إلى غير ذلك مــن آيات فيها (جاء) ناصبا للمفعول به. وهناك آيات فيها (جاء) رافع للفاعل غير ناصب للمفعول ومنها قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا . وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ ٢٢، ٢٣ الفجر. ففــى هاتيــن الآيتين نــرى فى الأولى فاعلا لــــ (جاء) ولا نرى له مفعولا به. وفى الثانية نرى (جئ) مبنيا للمفعول فهو رافع لــنائب الفاعل. (بجهنم) وهذا خافض ومخفوض. وتلك أمارة الفعل اللازم كما فى قوله تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ ٥٤ سبأ.

وإنمــا مهــدنا بهذا لتهيئ ذهن القارئ إلى أن (جئنا من كل أمة بشهيد) فيه (جاء) متعديا فهو ناصب لــ (من) أى جئنا بعض كل أمة بشهيد.

ولعل المراد هنا بالبعض غير المكذبين والكافرين والضالين بدليل قوله تعالى فـــي آخــر الآيــة: "وجئـــنا بك على هؤلاء شهيد" فقد قال الزمخشري: المراد بـــ (هؤلاء) المكذبون"(١).

ففـــي هـــذه الآية تبعيض الأمة إلى مهتدين مصدقين وهؤلاء لهم شهداء منهم عليهم. ومكذبين ضالين وهؤلاء عليهم شهيد واحد وهو الرسول المبلغ.

أما قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ ٢١ ق. فهو عام.

وبهــذا المعنـــى يتنــــزه نص القرآن عن دعاوى النحاة التي لا أساس لها. ودونك بيانها:

قـــال أبو البقاء: "من كل أمة: متعلق بـــ (جئنا) أو حال من (شهيد) على قول من أجاز تقديم حال المجرور عليه"(٢).

فقوله (متعلق بجئنا) يوحى بأن (من) حرف إضافة وليس اسما بمعنى (بعض) لأن الـــذى يحتاج إلى متعلق إنما هو الحرف. وهذا افتئاتٌ على حق الكلمة وهَضْمٌ لحقيقتها إذ كيف تكون البعضية واضحة فيما بعد (من) ثم نزعم أنها حرف ابتداء؟! هذه واحدة. والأخرى أن قوله: (أو حال من (شهيد) دعوى غير لائقة إذ فيها تقديم وتأخير قائم على صناعة نحوية مفروضة على نصوص قرآنية لا ينبغي أن يتدخل فيها أحد بالتعديل أو التبديل.

والثالثة أن قوله (على قول من أجاز تقديم حال المجرور عليه) قد احتدم حوله خـــلاف الـــنحاة ففـــى شرح المفصل: "فإن قدمت الحال من المجرور على الجار والمجـــرور نحـــو قولك: مررت راكبا بزيد. فإن سيبويه وأبا بكر بن السراج ومن تـــبعهما مـــنعا من جواز ذلك لأن العامل – وإن كان الفعل – لكنه عامل بواسطة حرف الجر فلم يجز أن يعمل فى حاله قبل ذكر الحرف.

---

(١) الكشاف ١/ ٣٩٦.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٠٢.

وقد أجازه ابن كيسان قياسا إذ كان العامل فيه الفعل فى الحقيقة"(١).

ولـــو تأملــت المثال الذى ذكره ابن يعيش (مررت راكبا بزيد) لما بدر إلى ذهـــنك أن (راكــبا) حال من (زيد) بل هو حال من فاعل (مررت) فالمار فى حال ركـــوب عند مروره بزيد. هذا هو الذى يفهم ويعلم من نص الأسلوب فإذا ما أريد جعله حالا من (زيد) تحتم تعديله إلى: مررت بزيد راكبا. هذا ما تعلمناه وألفناه من لغتـــنا العـــربية التى تجعل لكل مقام مقالا يليق به. فتلك دعوى باطلة. ولعل الذين مـــنعوا ذلـــك قـــد منعوه لفساد المعنى المراد وهذا الفساد نابع من اختلال تركيب الأسلوب.

وعليه فإننا لا نرضى لكلام الله أن يكون واقعا تحت أثقال هذه الدعوى الفاسدة.

ومن العجيب أن ابن مالك قد أجاز مثل ذلك حيث يقول فى خلاصته

وَسَبْقَ حالٍ ما بحرف جُرَّ قد أَبَــوْا ولا أمــنعه فقـــد ورد

ولست أدرى أين ورد هذا؟ إن كان يزعم أن مثل آية النساء التى نحن بصدد الكلام عليها تصلح شاهدا لما زعمه فذلك باطل لأن الآية ليس معناها فى حاجة إلى تعديل نصها أو تبديله.

ومـــع هـــذا أرى الأشمونى يجرى فى غبار ابن مالك فيقول: "ولا أمنعه: بل أجيـــزه وفاقا لأبى على وابن كيسان وابن برهان لأن المجرور بالحرف مفعول به فى المعنى فلا يمتنع تقديم حاله عليه كما لا يمتنع تقديم حال المفعول به"(٢).

---

(١) شرح المفصل ٢/ ٥٩ وقوله (لأن العامل – وإن كان الفعل – لكنه عامل.) فيه ذكر (لكنه) فى صدر الخبر وهذا خطأ فالصواب حذفها فيكون؛ لأن العامل – وإن كان الفعل – عامل بواسطة.

(٢) منهج السالك ٢/ ١٨٢، ١٨٣ وحاشية الصبان ٢/ ١٧٣.

ويعنى الأشمونى بقوله (إن المجرور بالحرف مفعول به فى المعنى) أن قوله تعالى فى الآية: (بشهيد) مفعول به فى المعنى. وعليه يجوز أن يكون (من كل أمة) حالا منه مع كونه مقدما عليه.

والعجب هنا كل العجب ألا يقول الأشمونى: إن (من كل أمة) مفعول لـ (جئنا) أى بمعنى المفعول بناء على أنه – مع المشهور – من أن (من) حرف إضافة لا اسم بمعنى (بعض).

وإذا جاز أن يكون فى مقام المفعول به فالأحق والأجدر أن تكون (من) اسما بمعنى (بعض) فهى المفعول حقيقة لا تأويلا. كما سبق أن قررنا.

١٧- حدث:

فى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ ٧٠ الكهف أى حتى أحدث لك بعضه حالة كونه ذكرا أو للتذكر والاعتبار. ووقوع المصدر حالا كثير فى اللغة قال ابن مالك

ومصدر منكر حالا يقع ... بكثرة كبغتةً زيدٌ طلع

ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ ٢٦٠ البقرة.

وقوله: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ ٣٧ الإسراء....... إلى غير ذلك.

١٨- حرم:

فى قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ ﴾ ١٤٦ الأنعام.

فـ (من) اسم بمعنى (بعض) فى محل نصب عطفا على (كل ذى ظفر) أى حرم الله كل ذى ظفر وبعض البقر والغنم. ثم بين ذلك بقوله (حرمنا عليهم

شـــحومها) أى شـــحوم البقـــر والغنم. ففى هذه الفقرة بيان وتوضيح للمراد بقوله (من البقر والغنم). وبهذا يكون معنى الآية نابعا صافيا مستقيما من نصها على نسقه الـــذى أوحى به. ولكن الزمخشرى لم ير ذلك حيث يقول "ومن البقر والغنم حرمنا علـــيهم شحومها" كقولك: من زيد أخذت ماله. تريد بالإضافة زيادة الربط. والمعنى أنـــه حـــرَّم عليهم لحم كل ذى ظفر وشحمه وكل شئ منه. وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرِّم منهما إلا الشحوم الخالصة"[١].

ومقتضى هذا أن (من البقر والغنم) مكانه اللائق – على ما ذكره الزمخشرى – هو من بعد (حرمنا عليهم شحومها) أى: من البقر والغنم.

ونأخذ على الزمخشرى هنا ما يلى:

(أ) أن قـــياس نص الآية على قوله (مِنْ زيد أخذت ماله) غير دقيق لأن (من) فى هذا المثال غير اسم بل هى حرف ابتداء فلا يظهر معنى البعضية فيها. وذلك علـــى عكـــس الآية فمعنى البعضية واضح لا يرتاب فيه أحد ولا سيما مثل الزمخـــشرى الـــذى كـــان من الذين حققوا معنى البعضية لـــ (من) ومن ثم قرروا اسميتها.

(ب) أننا لو أردنا أن نعدل نسق ذلك المثال لقلنا: أخذت من زيد ماله. وإذا قلنا ذلك كـــان المعنى أن أخذ المال ابتداؤه الآخذ بزيد. وهذا المعنى بعيد كل البعد عن معنى الآية.

(ج) أنـــنا لو لاحظنا تقدير الآية على ما ذكره الزمخشرى لكان فيها – زيادة على دعـــوى الـــتقديم والتأخير – عـــود الضمير من (شحومهـــا) على المتـــأخر لفظا ورتبة.

ولـــو قـــيل: إنه ذكر بعدها لفظا لكان ذلك اعتذارا عن مخالفة النص للنسق الـــصحيح وقـــرآن الله لـــيس موطنا لذلك فكل كلمة فيه وضعت موضعها الذى لو

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٩.

حرفت عنه لسكنت حركتها وفقدت قيمتها وفرغت من معناها. وأنى يجوز ذلك فى كلام الله؟!

وبهذا يتبين لنا أن ما ذكرناه من أن (من البقر والغنم) معطوف على ما قبلها وجملـة (حـرمنا عليهم شحومهما) جملة بيانية توضح المراد بالبعض المفهوم من (مـن). ولـذا وجـدنا أبـا الـبقاء يذكر هذا الوجه أولا ثم ذكر الوجه الذى ذكره الزمخشرى آخرا[1].

١٩- حـس:

فى قوله تعالى: ﴿ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ ٨٧ يوسف.

التحسس طلب الخبر بالحاسة. وهو قريب من التجسس بالجيم.

وقيل: إن التحسس بالحاء يكون فى الخير. وبالجيم فى الشر. ومنه: الجاسوس وهـو الـذى يطلـب الكشف عن عورات الناس... ونفى السمين الفرق بينهما فى المعنى بدليل أنه قرئ هنا: فتجسسوا[2].

وقال اللحيانى: ومن الشاذ قراءة من قرأ هنا: فتجسسوا من يوسف وأخيه"[3].

ويبدو أن الراجح تخصيص (تحسس) بالحاء لمعنى الخير و (تجسس) بالجيم لمعنـى الـشر. والدليل على ذلك أن يعقوب عليه السلام لم يكن ليريد من بنيه أن يبحثوا عن شرٍّ أصاب حِبَّه وهو (يوسف) ومعه أخوه. بل الذى يفيض به الواقع أنه كـان يريد منهم أن يعلموا عنه ما هو فيه وكان حسه وشعوره مليئين بالخير العميم الذى ينعم به يوسف وأخوه.

---

(١) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٤٨.

(٢) انظر حاشية الجمل ٢/ ٥٦٨.

(٣) اللسان.

وبهذا تكون القراءة بالجيم وهى شاذة غير دقيقة المعنى هنا. وإنما الذى يليق بطلب الشر قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ ١٢ الحجرات. فلكل مقام مقال. وللشر صيغه وأساليبه وللخير جُمَلُهُ وتراكيبه.

ولا شك أن معنى البعضية واضح فى الآية أى ابحثوا عن يوسف حتى تعلموا بعض أحواله وكيفية حياته. فالمعنى يقتضى (من) فلا داعى لقول ابن الأنبارى: "يقال: تحسست عن فلان. ولا يقال: من فلان وهنا يقول (من يوسف) كأنه أقيمت (من) مقام (عن).

ويجوز أن يقال: إن (من) للتبعيض ويكون المعنى: تحسسوا خبرا من أخبار يوسف"(١).

أقول: لا داعى لدعوى استبدال (عن) بـ (من) فهى غير جائزة وخاصة فى القرآن. فلا مناص من جعل (من) اسما بمعنى (بعض) وهى ذاتها المفعول به. والمعنى: فتحسسوا بعض أخبار يوسف. وهذا المضاف إليه يوحى به النص ويدركه العقل كما هو الحال فى قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ ٨٢ يوسف. ألا يدرك العقل أن المراد: واسأل أهل القرية. فلم لا يدرك أن المراد: فتحسسوا بعض أخبار يوسف. فكما أدرك فى الأولى المضاف يدرك فى الثانية المضاف إليه.

أما تقدير (خبرا من أخبار يوسف) ففيه من الإثقال ما لا يخفى على ذى بصيرة بالمقام والحال. لأن (خبرا) لا يخرج عن معنى (بعض) الذى تكفلت بالقيام به (من) فما الداعى إلى التكرار المخل؟!

---

(١) حاشية الجمل ٢/ ٥٦٨.

ومما يؤكد ذلك ويقويه قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ ٩٤ يوسف.

و (أخيه) معطوف على (يوسف) وبتقدير (أخبار) يكون (يوسف) مضافا إليه. والعطف على المضاف إليه جائز. إذ المضاف قصد به التبعيض فحسب. وذلك نظير: كل فتى يتقى الله فائز. فجملة (يتقى الله) صفة لـ (فتى) وهو المضاف إليه لأن المضاف (كل) إنما جئ به لقصد التعميم لا للحكم عليه[1].

٢٠- حشر:

فى قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ ٨٣ النمل.

يرى الزمخشرى وأبو حيان وأبو السعود والجَمَل: أن (من) للتبعيض"[2].

و (فوجا) جماعة كثيرة لأن كل أمة منقسمة إلى مصدِّق ومكذِّب[3].

وعلى هذا فـ (من) اسم بمعنى (بعض) فى محل نصب مفعولا به و (فوجا) بيان لها. فلا تقديم ولا تأخير.

٢١- حلى:

والصيغ الواردة من هذه المادة هى (يُحَلَّى) بضم ياء المضارعة وفتح اللام مشددة أي بصيغة الفعل المبنى للمفعول. والفعل المبنى للفاعل منها ينصب مفعولين فيقال: أَحَلِّى العروسَ ثيابًا قشيبا. فإذا ما بنى للمفعول رفع أول المفعولين وظل الثانى منصوبا فيقال: تُحَلَّى العروس ثيابا قشيبا. وقد وردت هذه الصيغة فى ثلاث آيات كلها فى صفات أهل الجنة وظاهرها أن المراد الرجال لا النساء – وتلكم الآيات هى:

---

(١) انظر المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٣٨.

(٢) انظر الكشاف ٣/ ٣٠٣ والبحر ٧/ ٩٨ وإرشاد العقل السليم ٤/ ١٤٣.

(٣) البحر ٧/ ٩٨.

١- قوله تعالى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ ٣١ الكهف.

٢- قـوله تعالى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ ٢٣ الحج.

٣- قوله تعالى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ ٣٣ فاطر.

والـصريح الواضح أن (من) بمعنى (بعض) وهى المفعول الثانى إذ المفعول الأول صار نائب فاعل ودليله علامة إضمار جمع المذكر وهى الواو من (يحلون). فالمعنـى أنهم يلبسون بعض أساور الذهب فلا يمكنهم استغراق ما عند الله من تلك الأساور إذ عطاؤه سبحانه وتعالى لا ينفد ولا يحد.

أما (من ذهب) فـ (من) فيه وصف لـ (أساور) وسيأتى بابها. إن شاء الله.

وقـد ورد الفعل الماضى مبنيا للمفعول رافعا للمفعول الأول مع نصب الثانى وذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ ٢١ الإنسان.

فـ (من فضه) وصفه لـ (أساور) ولا ينبغى أن يتوهم أحد أنها بدون (من) قـبلها تفـيد الاستغراق لأن ذلك غير وارد على الإطلاق إذ من المعهود أن تنكير الكلمـة يقصد به التبعضية لا الكلية وبهذا تتفق الآيات الأربع فى الدلالة على عدم نفاد عطاء الله.

وكـنا نأمـل أن تتحد كملة علمائنا فى معنى (من) فى الآيات الثلاث لاتحاد أسـاليبها ولكن ضاع أملنا هباء. فعلى حين نرى الزمخشرى يجعلها فى آية الكهف حـرف ابـتداء نراه يقول فى آية فاطر: و (من) داخلة للتبعيض أى يحلون بعض أسارو من ذهب كأنه سابق سائر الأبعاض كما سبق المُسَوَّرُون به غيرهم[1].

وكـذا رأينا أبا السعود فقد اتفق مع الزمخشرى على أن (من) فى آية الكهف ابتدائية ثم قال فى آية الحج: (من) إما للتبعيض أى بعض أساور وهى جمع أسورة

(١) الكشاف ٢/ ٥٦٢، ٣/ ٤٨٥.

وهـــذه جمـــع ســـوار. أو للبيان..... وقيل: زائدة. وقيل نعت لمفعول محذوف لـــ (يُحَلَّـــون) فإنــــه بمعنــــى يلبسون. ثم يقول فى آية فاطر (من) الأولى تبعيضية أى يُحَلَّون بعض أساور"(١).

أرأيـــت بعـــد ذلك تمزيقا وتفريقا وعدم استقرار أفهام العلماء واقلامهم على معنى واحد فى أساليب متعددة لكلمة واحدة؟

وهل هذا يليق بجلال كلمات الله المقدسة؟

فــلا مـــناص إذاً مـــن جعل (من) اسما بمعنى (بعض) وهى المفعول الثانى و(لؤلؤا) فى آيتى الحج وفاطر معطوف عليها. فلا حاجـــة إلى تقدير فعـــل ناصب لـــ (لؤلؤا) وهو (ويؤتون) لؤلؤا كما قال الزمخشرى(٢).

٢٢- حـــمل:

فى قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾٤٠ هود.

وهـــناك آيـــة أخرى فيها مادة (سلك) وهى قوله :﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾٢٧ المؤمنون.

واختلف فى الآيتين قراءةً ومعنىً وبيان ذلك:

(أ) فقراءة حفص بتنوين (كل) فيهما على تقدير محذوف عُوِّضَ عنه التنوين أى من كل حيوان. ووافقه الحسن والمطوعى. و (زوجين) مفعول بـــ (احمل) أو (اسلك). وقراءة الباقين بغير تنوين: كل(٣) .

---

(١) إرشاد العقل السليم ٣/ ٢٥٠، ٤/ ١٠، ٢٤٥.

(٢) انظر الكشاف ٣/ ١١٨.

(٣) انظر النشر ٢/ ٢٨٨ والإتحاف ٣٠٥.

ومقتـضى هذا أن (من) حرف ابتداء مرتبط بـ (احمل) كارتباط (فيها) به. ولست أدرى ما معنى ابتداء الحمل أو السلوك هنا؟ وإنما الذى أدريه أن (من) هـى المفعـول كما سبق غير مرة أنها (اسم بمعنى: بعض) قبل (كل). أى احمل فيها أو اسلك فيها بعض كل زوجين.

(ب) وبمـثل مـا سـبق قـال أبو البقاء ونصه: أن (زوجين) مفعول لـ (احمل) و(اثنـين) توكيد له و (من) إما متعلقة بـ (احمل) أو بمحذوف حال مقدم من (زوجين)..

وعلى القراءة الثانية يكون المفعول (اثنين) و (من كل زوجين) حال. أو (من) زائدة والمفعول (كل) أى احمل فيها كل زوجين اثنين وهذا على قول الأخفش"(١).

وقد عرفنا أنه لا حاجة بنا إلى جعل (من) حرف ابتداء إذ البعضية لازمة هنا وعلـيه يـبطل دعوى كونها متعلق بـ (احمل) أو (اسلك) كما يبطل جعله متعلقة بمحـذوف حال مقدم من (زوجين) بناء على قاعدة متوهمة واهية ألا وهى أن (من كـل) كانت صفة ثم قدمت فصارت حالا. فهذا ضرب من الظن غير لائق بجلال وكمال النص القرآنى.

وكـذلك يـبطل كونها زائدة فقد حققنا بطلانه بما لا مزيد عليه. سواء أكان القائل به الأخفش أو غيره فلا يعنينا القائل فى شئ.

(ج) وعلى هذا لا يجوز فى الآية إلا جعل (من) مفعولا لـ (احمل) أو (اسلك) ثم إذا قـرئت (كـل) بالتنوين كانت (زوجين) بيانا لـ (كل) والتقدير (من كل حيوان زوجين) ويكون (اثنين) توكيدا لـ (زوجين).

وإذا قرئت بدون تنوين كانت (زوجين) مضافاً إليه و (اثنين) توكيدا له.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢٠: ٢١ ببعض تصرف.

أمـــا (وأهلـــك) فهو معطوف على (من كل) منصوبا. وبذلك يسلم النص من دعاوى زائفة.

٢٣- خـــــرج:

وذلك فى ست آيات وتفصيل القول فيها على النحو الآتى:

(أ) أضـــيفت (مـــن) إلـــى الثمـــرات مرتين فى قوله تعالى:﴿ فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ ٢٢ البقرة. وقوله تعالى:فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾٣٢ إبراهيم.

والضمير فى (به) عائد على (ماء) فى (وأنزل من السماء ماء) فى الآيتين.

فالمـــاء سبب إخراج بعض الثمرات فمعنى البعضية واضح وبه تكون (من) اســـما منصوبا لأنه مفعول به. ولعل السر فى التعبير بـــ (من) هو: أن تكون الآية صـــالحة لكل زمان ومكان ففيها خطاب للكون كله مكانه وزمانه قديمه وحديثه إلى أن تقوم الساعة. فإذا كان المخاطبون بعض الخلائق فلابد أن يكون المخْرَج بعض الثمـــرات فيحـــصل التعادل بين الآكل والمأكول. وهذا التعادل هو نظام الكون كله وحسبه أنه مشتق من العدل أى المساواة.

وأمـــا (رزقا) فهو حال أى حالة كونه رزقا لكم. وقد سلف أن المصدر يكثر وقوعه حالا.

(ب) أضيفت (من) إلى (كل) مرة واحدة فى قوله تعالى:﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ٥٧ الأعراف.

والضمير فى (به) عائد على (الماء) من قبلها. ولعلك عرفت واستيقنت أن (مِنْ) المضافة إلى (كل) بمعنى (بعض) لا محالة فهى اسم فى محل نصب مفعولا به.

ولعل سائلا يسأل ما الفرق بين إضافة (مِنْ) إلى (الثمرات) وإضافتها إلى (كل)؟

وإجابة على هذا أقول: إن الاستغراق لما يُخْرِجه الله ليس نصا فى (الثمرات) بل هو محتمل احتمالا قويا ولكنه غير عام. أما (كل) فالاستغراق بها عاما عموما مستيقنا.

(ج) وأضيفت (من) إلى (ما) مرة واحدة وإلى (بقل) مرة كذلك وهما فى آية واحدة هى قوله تعالى:﴿ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا ﴾٦١ البقرة.

أى بعض الذى تنبته الأرض. وبعض بقلها وقثائها. ومعنى الإخراج: الإظهار والإيجاد كما قال الزمخشرى(١).

وقال الألوسى: "المراد بالإخراج المعنى المجازى اللازم للمعنى الحقيقى وهو الإظهار بطريق الإيجاد لا بطريق إزالة الخفاء. والحمل على المعنى الحقيقى يقتضى مخرجا منه وما يصلح له ههنا هو الأرض. وبتقديره يصير الكلام سخيفا"(٢).

والواضح أن (من) فى موضعيها (مما تنبت الأرض) و (من بقلها) بمعنى (بعض) إذ المخرج بعض ما فى الأرض وبعض البقل.

---

(١) الكشاف ١/ ١٠٨.

(٢) روح المعانى ١/ ٢٢٧.

وعلى عادة أسلافنا العلماء نراهم قد اختلفوا فذكروا فى الأولى ثلاثة آراء:

(أحـــدها) أنهـــا للتبعـــيض قال الطبرى: "إن (من) لمعنى التبعيض لما بعدها فاكتفى بها من ذكر التبعيض... فتأويل الكلام إذًا. فادع لنا ربك يخرج لنا بعض ما تنبت الأرض"[١].

فالطبـــرى يلتزم بالجادة فى فهم النص وإظهار معناه. فكلامه واضح فى أن (مِنْ) اسم بمعنى (بعض) وهى المفعول به.

وهـــناك مـــن يرى المفعول محذوفا أى شيئا مما تنبت الأرض وأن سيبويه يحمـــل هـــذا ونظائره فى التنزيل على حذف الموصوف الذى هو المفعول وإقامة الصفة مقامه[٢].

وقد عرفنا وألفنا الرد على هذه القاعدة الواهنة التى لا تصلح لتخريج القرآن عليها لأنها لا تحمل بين كلماتها قدسيته وجماله.

(الثانى) يرى ابن هشام أن (من) حرف لابتداء الغاية[٣].

ووضـــح ذلك زاده بقوله: "لأن خروج الشئ المأكول يبتدئ من نبات الأرض وهذا قول سيبويه"[٤].

ولعل زاده يعنى أن سيبويه قد ذكر معنى الابتداء لـــ (من).

ولكنـــى أرى أن هذا لا يصلح دليلا على هذه الآية وما يناظرها لأن سيبويه كمـــا ذكـــر الابتداء ذكر التبعيض وقد أسلفنا تحقيق ذلك فى الدراسة التمهيدية. مما يغنى عن ذكره هنا.

---

(١) جامع البيان ١/ ٢٣٦.

(٢) انظر إعـــراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ٤١٦. وإملاء ما من به الرحمن ١/ ٢٢ والبحر ١/ ٢٣٢.

(٣) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٨.

(٤) حاشية زاده على البيضاوى ١/ ٣١٠.

علـى أنـنا قد بينا أن معنى البعضية هنا واضح جدا إذ (من) مضافة إلى ما يقبل التبعيض وما دام الأمر كذلك فلا يجوز العدول عنه إلى غيره.

(الـثالث) يرى الأخفش أن (من) زائدة. فقد نقل القرطبى عن النحاس قوله: وإنمـا دعـا الأخفش إلى هذا لأنه لم يجد مفعولا لـ (يخرج) فأراد أن يجعل (ما) مفعولا"(١).

ولكن العلماء قد ردوا على الأخفش بأن (من) لا تزاد فى سياق إيجاب.

وفـضلا عن ذلك فإن المعنى يؤول إلى: يخرج ما تنبت الأرض وهو بقلها.. إلخ. ولا يخفى فساده إذ فيه حصر للنبات فى المذكور هنا.

وقد ذكر الطبرى أن (من) فى كل موضع دخلت فيه تفيد معنى البعضية وأنها لا تدخل إلا لمعنى مفهوم"(٢).

وبهـذا يخلـو المقام هنا لمعنى البعضية ومنه يلزم اسمية (من) وإعرابها مفعولا به.

هـذا عن (مِنْ) فى (مما تنبت الأرض) وأما (من بقلها) فلم يقف العلماء عند الواضح الظاهر المفهوم وهو معنى (بعض) بل ذكروا أنها إما للابتداء وإما للتبيين صرح بذلك أبو البقاء وابن هشام ونقله أبو حيان عن المهدوى وابن عطية ثم قال: "والمختار أن تكون (من) فى الموضعين للتبعيض. وأما أن تكون لبيان الجنس فقد أباه أصحابنا"(٣).

وبهذا يخلو وجه الآية لجعل (من) اسما بمعنى (بعض).

(د) أضيفت (من) إلى علامة إضمار الغائب المذكر ثلاث مرات فى آيتين هما:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ص ٣٦١.

(٢) جامع البيان ١/ ٢٣٦.

(٣) البحر ١/ ٢٣٣ وانظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٢٢ والمغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٨.

١- قولــه تعــالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ ٩٩ الأنعام.

أضيفت (من) فى هذه الآية مرتين إلى الهاء فى (منه). والضمير فــى (بــه) عائد إلى الماء. أى فسبب إخراج نبات كل شئ الماء – وأما الضمير فــى (منــه) الأولى فعائد إلى (نبات كل شئ) أى فأخرجنا بعض هذا النبات حالة كونه خضرا. وفى (منه) الثانية عائد إلى البعض الخضر أى فنخرج بعض هــذا الخضــر حبــا متراكبا. فالحب بعض بعض.

ولعلك تذكر هنا ما سلف من أن الإنسان نسل من سلالة من ماء مهين. فهــو بعض البعض. ففى الآيتين تطابق بين الإنسان والنبات. ولا عجب فى ذلك فكما قال الله هنا عن النبات قــال فى آية أخــرى عن الإنسان ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ ١٧ نوح.

أبعد ذلك كله يسمح إنسان لنفسه أن يذهب بــ (من) إلى غير هذا المعنى؟!

وحسبنا فى هذا المقام أن نذكر ما قاله أبو البقاء. فقد جعل الضمير فى (منه) الأولى للماء حيث قال: "فأخرجنا منه – أى الماء – خضــرا أى بســببه – وهــذا معنى: من– والخضر بمعنى الأخضر" ثم قال: "ويجوز أن تكون الهاء فى (منــه) راجعه على النبات وهو الأشبه – لعله يعنى: الأقوى.

وعلى الأول: يكون (أخرجنا) بدلا من (أخرجبا) الأولى. وجملة (نجرج) فى موضع نصب صفة لــ (خضرا).

ويجوز أن يكون مستأنفا والهاء فى (منه) تعود على الخضر"(١).

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٤٣.

فأنت ترى أن أبا البقاء يردد القول بين عدة احتمالات لا ضرورة إليها وكان الأجدر به أن يقتصر على أن الهاء فى (منه) الأولى للنبات.

وفــى (منه) الثانية للخضر. أى فأخرجنا بعض النبات خضرا تخرج بعضه حَبًّا وهذا هو الشاهد الملموس بل المعلوم فليس كل النبات يخرج أخضر وليس كل الأخضر يكون حَباًّ.

٢- الآية الثانية هى:

قوله تعالى: ﴿ وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ ١٤ النحل.

وهــناك آية أخرى فى سورة فاطر رقم ١٢ ونصها" ﴿ وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ بــدون (من) ولو تَرَكَ بعض علمائنا السابقين العَنَانَ لتفكيرهم لزعموا أن (مِـنْ) فــى آيــة النحل زائدة لأنها لم تذكر فى آية فاطر. فقد عهدنا ذلك منهم كثيرا. ولكن هيهات هيهات لما يقولون.

ولا يخفى أن الضمير فى (منه) عائد على البحر المذكور فى الآية "وهو الذى سخر البحر..." قال الزمخشرى:

"والمراد بالحلية هنا اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم ولأنهن من جملتهم ولأنهن إنما يتزيَنَّ بها من أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم"(١).

وغنى عن البيان أن اللؤلؤ والمرجان ليسا كل ما فى البحر بل هما بعضه وقد سبق قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ ٢٣ الرحمن.

أى بعض البحرين العذب والملح. فقد ثبت أنهما لا يتخلقان إلا فى ملتقى الماء العــذب بالمــاء الملــح. وقد ذكرنا أن (مِنْ) فى هذه فاعل. ولكنها هنا مفعول به.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٦٥: ٤٦٦.

ومعنى الآية: أنكم تستخرجون بعض الماء حالة كونه حلية تلبسونها وهى: اللؤلؤ والمرجان.

ومما يلفت الذهن هنا أن آية فاطر الآنفة الذكر أسبق نزولا من آية النحل.ومن ثَمَّ كان فيها إجمال جاء تفصيله فى آية النحل.

٢٤- خصف:

وذلك فى آيتين هما قوله تعالى: ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ ٢٢ الأعراف وقوله: ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ ١٢١ طه.

قال المجد: "خصف الورق على بدنه ألزقها وأطبقها عليه وَرَقَةً وَرَقَةً"[1].

وقال الجارَ بردى: "من: للتبعيض"[2].

وقال أبو حيان: "والأَوْلى أن يعود الضمير فى (عليهما) على عورتهما كأنه قيل: يخصفان على سوآتهما من ورق الجنة"[3].

ثم قال: "و (على) هنا ظرف مجازى بمعنى (فوق) لا حرف جر"[4].

والحق أنها ظرف حقيقى وأنها اسم دائما كما حققنا ذلك سابقا.

وعلى هذا فمعنى الآية: يلصقان على سوآتهما بعض ورق الجنة.

---

(١) القاموس ٣/ ١٣٤.

(٢) حاشية الشهاب ٤/ ١٥٩.

(٣) البحر ٣/ ١٩٥.

(٤) النهر هامش ٣/ ١٩٥.

٢٥- خفـف:

فـي قـولـه تعالـى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾ ٤٩ غافر.

والواضـح المتـبادر إلى الذهن أنهم – أى الكافرين – يرجون أن يخفف الله عنهم بعض العذاب فى يوم من الأيام. فـ (يوما) ظرف و (من) هى المفعـول به إذ معنى (بعض) لازم لها هنا وواضح فيها.

ولكـن علماءنـا لم يرضوا عن ذلك بل لم يرتضوا به فقد ذهب بعضهم إلى تقديـر مفعـول محـذوف أى شيئا من العـذاب وإلى أن (من) تحتمل البيان والتبعيض[1].

وذهـب بعـضهم إلـى ما قررناه آنفا وهو أن (من العذاب) مفعول و (من) للتبعيض و (يوما) ظرف[2].

وهذا ما يليق بجلال النص القرآنى وقدسيته.

٢٦- خلـق:

وذلك فى تسع آيـات هى:

قـوله تعـالـى: ﴿ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ ﴾ ٤٩ آل عمران.

وقوله: ﴿ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾ ١ النساء.

وقوله: ﴿ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي ﴾ ١١٠ المائدة.

---

(١) انظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١١٥ وحاشية الشهاب على البيضاوى ٧/ ٣٧٧. وحاشية الجمل ٤/ ١٩. وروح المعانى ٧/ ٤٥٧.

(٢) حاشية الجمل ٤/ ١٩.

وقوله: ﴿ خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا ﴾ ٥٤ الفرقان.

وقوله: ﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ ٢١ الروم.

وقـــوله: ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ ٤٢ ﴿خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا ﴾ ٧١ يس.

وقوله: ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ ٤٩ الذاريات.

وقوله: ﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ ١٢ الطلاق.

وفى معنى (خلق) عدة آراء وهى:

أنـــه بمعنـــى (قدر) على الحقيقة وقيل على المجاز ففى الأساس للزمخشرى: "ومن المجاز خلق الله الخلق أوجده على تقدير أوجهة الحكمة"(١).

وقيل بمعنى: صوّر. وقد استدل الرازى على أن خلق بمعنى (صور) و (قدر) بالقـــرآن والـــشعر والاستشهاد أما القرآن فآيات: (إحداها) قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ ١٤ المومنون. أى المقدّرين. وذلك أنه يثبت أن العـــبد لا يكـــون خالقـــا بمعنى: التكوين والإبداع فوجب تفسير كونه خالقا بالتقدير والتسوية.

و (ثانيها) أن لفظ الخلق يطلق على الكذب قال تعالى فى ســـــورة الشعراء: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ١٣٧. وفـــى العنكبوت: ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ ١٧. وفـــى ص: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ ٧ والكاذب إنما سمى خالقا لأنه يقدر الكذب فى خاطره ويصوره.

---

(١) الأساس ص ٢٤٨.

و (ثالثها) الآية التى نحن فى تفسيرها وهى آية آل عمران. كل ذلك يدل على أن الخلق هو التصوير والتقدير.

و (رابعها) قـــوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ ٢٩ البقرة وقوله (خلق) إشارة إلى الماضى. فلو حملنا (خلق) على الإيجاد والإبداع لكان المعنى: أن كل ما فى الأرض قد أوجده الله فى الزمان الماضى وذلك باطـل بالاتفاق. فإذا وجب حمل الخلق على التقدير حتى يصح الكلام وهو: أنه تعالى قدر فى الماضى كل ما وجد الآن فى الأرض.

وأما الشعر فقوله:

ولأنـت تفـرى مـا خلـقْـت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى

وقول الآخر

ولا يعطى بأيدى الخالقين ولا ... أيـدى الخوالـق إلا جهـد الأدم

وأما الإستشهاد فهو: أنه يقال: خلق النعـل إذا قـدرها وسـواها بالقيـاس. والخلاق: المقدار من الخير. وفلان خلوق بكذا أى له هذا المقدار من الاستحقاق..

فثبت أن الخلق عبارة عن التقدير والتسوية...

إذا عرفت هذا فمعنى: (خلق لكم من الطين) صور وقدر"(١)

وبهذا نكون قد ألقينا ضـوءا كاشـفا لمعنى هذه المادة التى كثر اسـتعمالها فى القرآن.

وربما يقال: وما تفعل فـى قولـه تعـالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ ٢ الفرقان والجواب على ذلك قول الزمخشرى: "المعنى أنه أحدث كـل شئ إحداثا مراعى فيه التقدير والتسوية. فقدره وهيأه لما يصلح له.

---

(١) من مفاتيح الغيب ٢/ ٤٧٤.

مـثاله: أنـه خلـق الإنسان على هذا الشكل المقدر المُسَوَّى الذى تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطه به فى بابى الدين والدنيا. وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير.

فقدره لأمرٍ مَا ومصلحة مطابقا لما قدره غير متجاف عنه.

أو سمى إحداث الله خلقا لأن لا يحدث شيئا لحكمته إلا على وجه التقدير من غيـر تفاوت. فإذا قيل: خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك: أحدث وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق. فكأنه قيل: وأوجد كل شئ فقدره فى إيجاده لم يوجده متفاوتا.

وقيل: فجعل له غاية ومنتهى. ومعناه: فقدره للبقاء إلى أمد معلوم"(١).

هـذا عـن معنى (خلق) على وجـه العمـوم أما معناه فى كل آيـة فعلـى النحو الآتى:

١- الآيـة الأولـى: يقول فيها الزمخشرى: "أى اقدر لكم شيئاً مثل صورة الطير (فـأنفخ فـيه) الضمير للكاف أو فى ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير (فيكون طيرا) كسائر الطيور حيا"(٢).

ومـن المعلـوم أن هذه الآية على لسان المسيح عيس بن مريم عليه السلام ومثلها آية المائدة فالمسيح قدر بعض الطين وصوره مِثْلَ صورة الطير.

ثم نفخ فى هذه الصورة فكانت أى صارت طيرا بإذن الله. وقول الزمخشرى: أقـدر لكم شيئا مثل صورة الطير. يشير إلى أنه فسر (مِنْ) بـ (شيئا) وهو غيـر بعيد من (بعض) فالتقدير وقع على بعض الطين حتى صار مثل هيئة الطير. فـ (من) مفعول به.

وفى قول الزمخشرى: (الضمير للكاف) دليل على اسمية الكاف مطلقا إذ عود الضمير على الكلمة يثبت اسميتها دائما وقد حققنا ذلك فيما سبق.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٠٧: ٢٠٨.

(٢) الكشاف ١/ ٢٧٩.

٢- وأما آية النساء (وخلق منها زوجها) فتكاد تجمع كلمة المفسرين على أن (من) ابتدائية وعليه تكون حرفا[1].

ولعلي لست في حاجة إلى التنبيه إلى رد ذلك لأن ما بعد (مِنْ) صالح لأن تبعضه فتكون بمعنى (بعض) وسواء في ذلك القول بأن حواء من ضلع آدم أي بعضه. والقول بأنها من جنسه. والقول بأن الضمير في (منها) عائد على الطينة التي فصلت من طينة آدم لا على النفس أي أن حواء خلقت مما خلق منه آدم[2].

فهي – أي حواء – بعض جسده أو بعض جنسه أو بعض طينته التي صور منها.

٣- وأما آية الفرقان (خَلَقَ من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا) فمعناها أن المنى أو النطفة صور بعضها بشرا. والمقصود أولاد آدم الذين خلقوا منه ومن زوجه حواء. فهم من الماء الذي يُصَبُّ في الرحم وقيل: المراد الماء الذي يُصَبُّ من السحاب أي المشروب. هكذا قال الألوسي ثم أردف قائلا: "وهذا الماء الذي خُمِّر به طينة آدم والمراد بالبشر آدم أو جنس البشر الصادق عليه وعلى ذريته و (مِنْ) ابتدائية"[3].

وقد عرفنا أن معنى الابتدائية غامض مبهم غير مدرك ومن ثم لزم جعلها (بعضية) وهذا ما نص عليه الزمخشري قائلا: حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكراً وأنثى"[4].

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٣٥٥ وإملاء ما من به الرحمن ١/ ٩٣ والبحر ٣/ ١٥٤ ومن مفاتيح الغيب ٣/ ١٣٤.

(٢) البحر ٣/ ١٥٤.

(٣) روح المعاني ٦/ ١٦٤.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٢٧.

ولا يخفى أن بعض النطفة هو الذى يكون بشرا إما ذكرا وإما أنثى.

٤- وأما آية الروم فيقول فيها الألوسى: "فإن خَلْق أصل أزواجكم حواء من ضلع آدم يتضمن لخلقهن من أنفسكم فـ (من) تبعيضية والأنفس بمعناها الحقيقى .. ويجـوز أن تكون ابتدائية والأنفس مجاز عن الجنس أى خلق لكم من جنسكم لا من جنس آخر"(١).

ولعل القارئ يدرك أن المعنى الحقيقى هو سيد المقام إذ لا يجوز اللجوء إلى المجاز ما دام الحقيقى صوابا. وسواء فى ذلك قلنا: الخلق من الأنفس أو من الجنس فالبعضية هى الواضحة الصريحة.

٥- وأما قوله (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) فيقول فيه أبو حيان: "والظاهر فى قـوله (وخلقـنا) أنه أريد الإنشاء والاختراع فالمراد الإبل وما يركب وتكون (من) للبيان ... وإذا أريد به (السفن) تكون (من) للتبعيض"(٢).

وقـد عـرفنا أن أبا حيان لا يرى لـ (من) معنى البيان اتفاقا مع الأندلسيين الذين هم أهله. فلست أدرى لِمَ يخالفهم هنا؟ هذا من جهة ومن جهة ثانية يلزم مـن هذا القول تقديم البيان على المبين ولا ضرورة إلى ذلك. إذ الضمير فى (مـثله) عائد على (الفلك المشحون) أى بعض مثل الفلك. وهذا بعض إما من الفلك أو مما يركب غيره. وعلى كل فمعنى البعضية واضح صريح. و (مِنْ) هـى مفعول (خلق) و (ما يركبون) بيان لها. وبذلك يستقيم نسق الآية وينبع المعنى منه فلا تقديم ولا تأخير.

ومن العجيب أن الجَمَل يرى أن (من) إما زائدة أو بعضية. ثم يزعم أنها على الوجهين فى محل نصب على الحال من المفعول المؤخر وهو (ما يركبون)(٣).

---

(١) روح المعانى ٦/ ٣٤٦.

(٢) البحر ٧/ ٣٣٨.

(٣) انظر حاشية الجمل ٣/ ٥١٥.

وقد عرفنا – غير مرة – فساد ذلك إذ المعنى يدرك كاملا تاما بدونه.

٦- وكـذا (مـن) فـى قوله تعالى: (خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما) فـ (من) مفعـول (خلـق) إذ معنـى البعضية ثابت لازم لها و (أنعاما) بيان أى خلقنا بعض ما عملته أيدينا أنعاما.

٧- وأما آية الذاريات (ومن كل شئ خلقنا زوجين) فيقول فيه أبو البقاء: "من كل شئ: متعلق بـ (خلقنا) ويجوز أن يكون نعتاً لـ (زوجين) قدم فصار حالا"(١).

قال السمين: "والأول أقوى فى المعنى"(٢).

وبالتأمل فى نص أبى البقاء ندرك أنه يجعل الآية على التقديم والتأخير حتما. وأرى ألا ضرورة إلى هذا لأن (من) مفعول لـ (خلقنا) و ذكر أولا للعناية به فليس من قبيل التقديم والتأخير الذى كاد يبرى ألسنة النحاة وأقلامهم من كثرة جـريانه علـيها. إذ هـو مـن قبيل قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ٥ الفاتحـة. أى ذكـر أولا للعناية والاهتمام به. فليس له بعد الفعل مكان فمكانته ما ذكر فيها.

والمعنى وبَعْضَ كلٍّ خلقنا و (زوجين) بيان لـ (بعض).

٨- وأخيـر آيـة الطلاق (ومن الأرض مثلهن). قال المجد: "الأرض مؤنثة اسم جنس أو جمع بلا واحد ولم يسمع: أرضة"(٣).

فمعنـى البعـضية واضـح أى بعـض هذا الجنس فهى معطوفة على (سبع سـموات) و (مـثلهن) بيان لهذا البعض. ومن ثَمَّ قيل: ما فى القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه"(٤).

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٢٩.

(٢) حاشية الجمل ٤/ ٢٠٨.

(٣) القاموس ٢/ ٣٢٣.

(٤) الكشاف ٤/ ٤٤٩.

وعلـــى الـــرغم من وضوح المعنى نرى علماءنا يأبون إلا التقدير أو التقديم والتأخيــر. فــيقول الزمخشرى: "فى (مثلهن) قراءتان النصب والعطف على (سبع سموات). والرفع على الابتداء وخبره: من الأرض"(١).

وبالــتأمل نــدرك أن نسق الآية على النصب (خلق سبع سموات ومثلهن من الأرض) ففيه دعوى التقديم والتأخير. مع الفصل بين واو العطف ومعطوفها. وعلـــى الـــرفع (ومثلهن من الأرض) فالواو عاطفة جملة اسمية على جملة فعلــية. وفــى هذا خلاف بين العلماء. هذا من جانب. ومن جانب آخر تكون الـــواو ليــست داخلـــة علـــى المبتدأ مباشرة بل فصل بينها وبينه بما جعله الزمخشرى خبرا وهو (من الأرض).

ولو تأملت معنى (من) على الوجهين لعرفت أنه البعضية فهى حال على وجه نصب (مثلهن) وخبر على وجه رفعه.

ومـــا دام الأمـــر كذلك فلسنا فى حاجة إلى دعوى التقديم والتأخير. إذ نسق الآيـــة خلق سبع سموات وبعض الأرض. حالة كونه مثلهن. وفى هذا المعنى إشـــارة إلـــى أن الله قـــد أخبرنا بسبع سموات وسبع أرضين. ولا يعلم مـــا عنـــــده إلا هو.

هـــذا وقد اختلف العلماء فى كيفية وجود هذه الأرضين. فقال جمهورهم: إن الأرضين على صورة طبقات بعضها فوق بعض مثل السموات السبع. وبين كل واحدة والأخرى مثل ما بين السماء والأرض.

وقـــال بعـــضهم إنها سبع طبقات متلاصقة. وقال آخرون: إنها سبع أرضين متفرقة فى البحار وتظللها سماء واحدة(٢).

---

(١) الكشاف ٤/ ٤٤٩.

(٢) التفسير العلمى للأيات الكونية فى القرآن ١٢٧.

هـذا: وممـا يجدر بنا ذكره وبيانه أن الكاف فى (كهيئة الطير) من آيتى آل عمـران والمائدة و (زوجها) من آية النساء. و (أزواجا) من آية الروم و (زوجين) مـن آيات الذاريات. و (بَشَرًا) من آية الفرقان. و (ما يركبون) و (أنعاما) من آيتى يس. و (مثلهن) فى آية الطلاق.

كـل هؤلاء تعرب حالا لازمة لأن عاملها (خلق) يشعر بتجدد صاحبها مثل ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ ٢٨ النساء. وقولهم: (خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها) وقول الشاعر:

جـاءت بـه سَبْط العظـام كأنمـا عمامــته بـين الــرجال لـواء

هـذا ما ذكره الأشمونى. قال الصبان: (قوله: يتجدد صاحبها) أى حدوثه بعد أن لم يكن ومأخذ لزومها: أنها مقارنة للخلق أى الإيجاد فهى خِلْقية جِبلِّية لا تتغير ولا يـرد علـيه: خلق الإنسان طفلا لأن انتقاله من طور إلى طور بمنزلة خَلْقٍ له متجدد فتكون الحال الأولى لازمة للخلق الأول فـ الثانية لازمة للخلق المتجدد"[1].

٢٧- دنـا: وذلـك قـوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ ٥٩ الأحزاب.

والجلـباب إمـا القميص والثوب المشتمل على الجسد كله. وإما الخِمار وما يلـبس فوق الثياب. وإما ثوب أوسع من الخمار دون الرداء تُغَطِّى به المرأة رأسها وصدرها. وقيل: هو ثوب واسع دون المِلْحَفة تلبسه المرأة وقيل: هو الملحفة[2]..

(١) انظر منهج السالك للأشمونى وحاشية الصبان عليه ٢/ ١٧٥.

(٢) انظر لسان العرب ص ٦٤٩ والمعجم الوسيط ١٠/ ١٢٨.

قـال الزمخشري: "من: للتبعيض ومعنى التبعيض مُحْتَمِلٌ وجهين: **(أحدهما)** أن يتجلبـبن ببعض ما لهن من الجلابيب. والمراد ألا تكون الحرة متبذلة في درع وخمار كالأَمَة والماهنة.

(الثاني) أن تُرْخِي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز عن الأمة"(١).

وبالتأمل في هذا النص يتضح أن (من) بعض ما أضيفت إليه لأن المراد على الـوجه الأول أحد الجلابيب وبعضها فالمبعض عدد الجلابيب. وعلى الوجه الثاني يكـون المراد جلبابا واحدا فـ (من) تبعضه. وما دام الأمر كذلك كانت (من) اسما بمعنى (بعض) وتعرب مفعولا به أي يدنين عليهن بعض جلابيبهن(٢).

٢٨- ذاق: وذلك في خمس آيات هي:

﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٢٥ الحـج ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ ٤٦ الروم ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ ٢١ السجدة ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ ١٢ سبأ ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ٥٠ فصلت.

فـ (من) بعض العذاب في أربع آيات وبعض الرحمة في آية واحدة وهي مفعول ثانٍ في محل نصب. ولعل التعبير ببعض هنا يوحي بأن رحمة الله مهما منَّ الله بها على عباده لا تبلغ المدى إذ ليس لها نهاية فهي بعض ما عنده. وكذا عذابه. فخزائنه لا تنفد وعطاؤه لا يُحَدّ. ولا يخفى أن (ذاق) ينصب مفعولين. ليس أصلهما المبتدأ والخبر.

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٤٣.

(٢) انظر روح المعاني ٧/ ١٠٣.

٢٩- رأى:

وقد ورد الفعل من هذه المادة فى خمس آيات ناصبا لـ (من) البعضية وهو نوعان:

الأول: رباعى ينصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر والثانى فيهما (من) وذلك فى ثلاث آيات هى:

(أ) قوله تعالى: ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ﴾ ١ الإسراء. وقوله: ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾ ٢٣ طه. وقوله: ﴿ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ﴾ ٣١ لقمان.

والآية الأولى فى حق خاتم الرسل محمد ﷺ. بشأن معجزة الإسراء فصدرها قوله تعالى: "سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لنريه من آياتنا" أى بعض آياتنا. فقد نقل الكرخى عن أبى شامة قوله فى هذه الآية: "من: للتبعيض وإنما أتى بها تعظيما لآيات الله فالذى رآه عليه السلام – وإن كان جليلا عظيما – فهو بعضٌ بالنسبة إلى آيات الله تعالى وعجائب قدرته وحكمته"(١).

هذا: وقد يقول قائل: قد ورد فى حق إبراهيم عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ ٧٥ الأنعام وربما يتوهم من هذا فضل إبراهيم على محمد عليهما السلام. ولكن العلماء قد بادروا بنفى ذلك فقد قال الخازن: "إن ملكوت السموات والأرض من بعض آيات الله. وآيات الله أعظم من ذلك وأكبر. والذى أراه محمدا

---

(١) انظر حاشية الجمل ٢/ ٧٢٧. والصواب حذف (فهو) ليكون النص: بعض بالنسبة إلى آيات الله.

عليه السلام من آياته وعجائبه تلك الليلة كان أفضل من ملكوت السموات والأرض. فظهر بهذا البيان فضل محمد على إبراهيم ﷺ"[١].

وتأمل قول الخازن (من بعض آيات الله) تدرك أن الملكوت بعض البعض. وإلا لاكتفى إما ببعض آيات الله وإما بـ (من آيات الله) فما دام قد جمع بينهما فإن ذلك يدل على أن ما أطلع الله إبراهيم عليه بعض بعض آيات التي أطلع الله عليها محمدا ﷺ.

(ب) والآية الثانية في حق موسى عليه السلام. والمعنى: لنريك بعض آياتنا الكبرى كما قال أبو السعود[٢].

وعلى الرغم من وضوح المعنى واستغنائه عما يتحمله بعض البشر متوهما أن الآية محتاجة إليه نرى أبا البقاء – على عادته يجعل (الكبرى) مفعولا و (من آياتنا) حالا مقدما عليها إذ هي في الأصل – على زعمه – صفة لـ (الكبرى) فلما قدمت صارت حالا[٣]. وكم مر علينا ذلك حتى مللنا ذكره.

(ج) والآية الثالثة خطاب للأمة فصدرها قوله تعالى: "ألم تر أن الفلك تجرى في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته".

وكون الخطاب في (ألم تر) للرسول عليه السلام لا يترتب عليه تعارض بينه وبين الخطاب في قوله (ليريكم). إذ الرائي ليس هو وحده بل هم يرون معه. ولكنه لنبُوَّته – يؤثر – بالخطاب إذ هو المُبَلِّغ عن الله عز وجل. والمعنى كما قال أبو السعود: "أي بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته"[٤].

---

(١) حاشية الجمل ٢/ ٧٢٧.

(٢) انظر إرشاد العقل السليم ٣/ ٣٠٢.

(٣) انظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٦٣.

(٤) إرشاد العقل السلم ٤/ ١٩٤.

مقــــارنة:

هــذا: وهناك آيات لم تذكر فيها (من) مع أن الخطاب للأمة مثل قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ ٩٣ النمل. وقــوله تعالــى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ ٥٣ فصلت.

بــل هــناك آية ذكر فيها أن فرعون قد أراه الله آياته كلها ونصها: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ ٥٦ طه.

فما السر فى ذكر (من) فى آية لقمان وعدم ذكرها فى هذه الآيات؟

والجــواب عن ذلك ما ذكره الزمخشرى فى آية فرعون ونصه: " أَنْ يُحْذَى بهذا التعريف الإضافى حذو التعريف باللام ولو قيل: الآيات كلها. أعنى: أنها كانت لا تعطــى إلا تعــريف العهــد والإشارة إلى الآيات المعلومة التى هى تسع الآيات المختــصة بموســى عليه السلام وهى: العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل"[1].

فهذا الوجه يمكن تطبيقه على آيتى النمل وفصلت. ولذا ذكر الزمخشرى فى آية النمل أن المراد بآياته: آيات تلجئهم إلى المعرفة والإقرار بأنها آيات الله. وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعنى فى الآخرة. وعن الحسن وعن الكلبى: الدخان وانشقاق القمــر ومــا حلّ بهم من نقمات الله فى الدنيا. وقيل هو كقوله: "سنريهم آياتنا فى الآفاق .. الآية"[2].

---

(١) الكشاف ٥٤/٣.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٠٦.

وقد ذكر فى هذه الآية أن المراد: الفتوح ونصرة الدين وتقوية الضعيف ... إلى غير ذلك مما يجعلها آيات خاصة لا عامة[١].

فالمراد بها بعض آيات الله الذى يعهدونه ويعرفونه.

الثانى: فعل ثلاثى ينصب مفعولا واحدا وهو (من) وذلك فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ ﴾ ٢٦ مريم وقوله: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ ١٨ النجم.

ومعنى الأولى: فإما ترين بعض البشر أحدا. فـ (أحدا) بيان لـ (بعض) وتوضيح. وقد ذكر هذا الوجه أبو البقاء حيث جعل (من) مفعولا به. ولكنه لم يكتف به على الرغم من وضوحه وموافقته لجلال نص القرآن بل راح يعمل عقله فى النص حتى يتفق مع قاعدة: أن (من البشر) كان فى الأصل صفة لـ (أحدا) فلما قدم عليه صار حالا كما عرفنا ذلك عنه[٢].

وهذا لا احتياج إليه وحسبه أنه يخرج بالنص عن نسقه وهو تنزيل من حكيم حميد.

وقد سبق أن ذكره فى آية طه ثم رأيته صرح به فى آية النجم حيث جعل (من آيات ربه) حالا من (الكبرى) وهى المفعول به. وقد عرفنا فساده فى حينه بل فى أحيان غزيره.

ولذا رأينا الجلال يقول فيها: "لقد رأى بعض آيات ربه الكبرى أى العظام" وعقب الجمل قائلا: "قوله (بعضها) بالنصب أشار به إلى أن (من) تبعيضية وأنها هى المفعول"[٣].

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ٣١٢.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٦٠.

(٣) حاشية الجمل ٤/ ٢٢٨.

وعلــى هــذا تكــون (الكبرى) نعتا لــ (مِنْ). فيتنزه نص الآية عما يتأوله المتأولون ويتكلفه المتكلفون.

٣٠- رزق:

وذلك فى تسع آيات وهى متنوعة على النحو الآتى:

(أ) آيــتان أضيفت فيهما (من) إلى (الثمرات) وهما قوله تعالى:﴿ وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ١٢٦ البقرة. وقوله:﴿ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ٣٧ إبراهيم وهما من دعاء إبراهيم ربَّه أن يرزق أهل مكة بالثمرات ولكننا عهدنا فيه أن يذكر (من) التى بمعنى (بعض) أى بعض الثمرات. فهو هنا مستمسك بمنهجه فــى الطلب من ربه قال أبو حيان: "من: للتبعيض لأنهم لم يرزقوا إلا بعض الثمرات" ثم رد القول بأنها بيانية إذ لم يتقدمها مبهم يبين بها[١].

ويــرى النيــسابورى أنها ليست للتبعيض بل إنها للابتداء بدليل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ ٥٧ القصص[٢].

والحق أن لكل مقام مقالا ومقام آية القصص امتنان الله على عباده والله يمن على من يشاء بما شاء. أما مقام آيتى إبراهيم فهو مقام الدعاء ومن آداب الدعاء – وخاصة مع الله – عدم الإلحاح والاستقراق فيه.

---

(١) البحر المحيط ١/ ٣٨٤. وانظر حاشية الجمل ١/ ١٢٦.

(٢) غرائب القرآن ١/ ٣٩٢.

(ب) آيات أضيفت فيها (من) إلى (الطيبات) وهي:

قوله تعالى:﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ ٢٦ الأنفال. وقوله:﴿ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ ٩٣ يونس. وقوله:﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ ٧٢ النحل. وقوله: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ ٧٠ الإسراء. وقوله:﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ ٦٤ غافر. وقوله:﴿ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ ١٦ الجاثية.

وكون (من) بمعنى (بعض) واضح كل الوضوح أي: بعض الطيبات.

وقد قال الزمخشري في آية النحل: "يريد بعضها لأن كل الطيبات في الجنة. وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها"(١).

(ج) آية واحدة أضيفت فيها (من) إلى علامة إضمار المفرد المذكر وذلك في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ ٨ النساء.

والمراد قسمة تركة الميت. قال الزمخشري: "وإذا حضر القسمة: أي قسمة التركة (أولو القربى) ممن لا يرث (فارزقوهم منه) الضمير لما ترك الوالدان والأقربون وهو أمر على الندب .. وقيل: هو على الوجوب"(٢).

فـ (من) اسم بمعنى (بعض) أي فارزقوهم بعض ما ترك الوالدان والأقربون.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٨٣.

(٢) الكشاف ١/ ٣٦٧: ٣٦٨.

ولا يخفى فى جميع الآيات التسع أن (من) مفعول ثان لأن (رزق) تنصب مفعولين. أحدهما المرزوق والثانى المرزوق به. وليس أصلهما المبتدأ والخبر.

مقارنة:

فى الآية رقم ٥ من سورة النساء قوله تعالى:﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ ﴾ فأتى بـ (فى) دون (من). وقد سبق عن بعض العلماء أن (فى) قد تكون بمعنى (بعض) فلو أخذنا بذلك لتساوى الآيتان فى الدلالة على البعضية.

والحق أن المقصود فى هذه الآية معنى الظرف لا معنى البعض. ومن ثَمَّ قال الزمخشرى: "واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتترابحوا حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق"(١).

فهذه الآية تبين أن القَيِّم على السفيه لا يصرف ولا ينفق ماله عليه بل يجعله منبعا ومصدرا لربح ينفق عليه منه حتى إذا انتهت مدة القوامة وبلغ السفيه رشده تسلم ماله كما كان دون نقصان.

أما آية التركة فالمقصود أن أولى القربى وغيرهم يأخذون بعضها. وبهذا تتجلى لنا الحكمة فى اختيار كلمات القرآن ووضع كل منها فى المقام الذى تليق بها وتقوم بدورها فيه. وهذا أهم عنصر فى بلاغة الأسلوب وأعلى درجة فيها. ومن ثَمَّ قال قدامة بن جعفر فى حد البلاغة: "وحَدُّها عندنا أنه: القول المحيط بالمعنى المقصود مع اختيار الكلام وحسن النظام وفصاحة اللسان وإنما أضفنا إلى الإحاطة

---

(١) الكشاف ١/ ٣٦٣ وانظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٩٤ ومن مفاتيح الغيب ٣/ ٢٤٨ وإرشاد العقل السليم ٣/ ١٩٩ وروح المعانى ٢/ ٢٢.

بالمعنـــى اختــيار الكلام لأن العامى قد يحيط قوله بمعناه الذى يريده إلا أنه بكلام مرذول من كلام أمثاله فلا يكون موصوفا بالبلاغة"(١).

وعلـــى الــرغم من ذلك وجدنا أبا البقاء يُجَوِّز أن تكون (فى) بمعنى (من) وتبعه السيوطى حيث قال "أى أطعموهم فيها".

ولكـــن الجَمَـــل علَّق على هذا قائلاً: "آثر التعبير بـــ (فى) على (من) مع أن المعنى عليها كما ذكره الشارح إشارة إلى أنه ينبغى للولى أن يتجر لوليه فى ماله. ويربحه له حتى تكون نفقته عليه من الربح لا من أصل المال"(٢).

ولـــست أدرى وجهـــا ســديدا لجعل (فى) بمعنى (من) إذ لو لم يكن فيه إلا الافتـــئات على التعبير القرآنى لكفاه ضعفا وخذلانا. إذ كيف يقول الله (فى) ويزعم أحد أنها: من!!

٣١- ركـــــب:

وذلك فى قوله تعالى:﴿ لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا ﴾ ٧٩ غافر.

وعلامـــة الإضـــمار للأنعام فى صدر الآية (الله الذى جعل لكم الأنعام) فهم يـــركبون بعضها وهو الإبل. وأما قوله (ومنها تأكلون) فعلامة الإضمار فيه للإبل والبقـــر والغنم. فهم إذا ذبحوا أيـــا منها أكلوا بعضه لأنهم لا يأكلون من فرثها ولا جلدها ولا عظمها. ومن هنا تبين لنا دقة التعبير بـــ (من) التى بمعنى (بعض). فلو قـــيل: لتـــركبوا بعضها وبعضها تأكلون لما كان فى عذوبة وسلاسة وسهولة (منها ومنها).

ولكن علماءنا – مع هذا كله – أبوا إلا الترداد فى القول فنرى الألوسى يقول: "مِـــنْ: لابتداء الغاية اى ابتداء تعلق الركوب بها. أو تبعيضية وكذا من قوله (ومنها

---

(١) نقد النثر ص ٧٦.

(٢) حاشية الجمل ١/ ٤٢٧.

تأكلــون) ولــيس المــراد على إرادة التبعيض أن كلا من الركوب والأكل مختص بــبعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر. بل على أن كل بعض منها صالح لكل منهما.

نعم: كثيرا ما يُعِدُّون النجائب من الإبل للركوب"[١].

ولست أدرى ما معنى ابتداء الركوب أو الأكل؟ ثم هل هذا يطابق امتنان الله عليهم بها؟ أرى أننا لسنا فى حاجة إلى هذه الافتراضات فى معانى تلك الكلمات.

٣٢- رهــق:

فى قوله تعالى:﴿ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ ٧٣ الكهف.

مــن البدهى أن (ترهق) بضم التاء وكسر الهاء من (أرهق) وهذا رباعى. ثلاثــيه (رهق) كفرح. قال المجد: "رهقه كفرح غشيه ولحقه .... والرهق: اسم من الإرهاق وهو: أن تحمل الإنسان على ما لا يطيقه"[٢].

فالثلاثــى ينــصب مفعــولا واحدا. والرباعى ينصب مفعولين فيقال: رهقت محمدا أى غشيته ولحقته. ثم يقال: أرهقته عسرا أى ألحقته عسرا. وهنا نجد النص يــشتمل علــى أمر جميل حيث: إن موسى عليه السلام يطلب من العبد الذى كان يتــتلمذ علــيه حينما عاتبه على خرق السفينة فلامه العبد على هذا العتاب فقال له موســى: لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى أى لا تُحَمِّلنى بعض أمرى عــسرا ولكــن الزمخشرى يأبى إلا أن يحمل الآية ما لا يليق بها وهو ما ظاهره التقديم والتأخير حيث يقول: "يقال: رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أى لا تغشنى عسرا من أمرى. وهو إتباعه إياه"[٣].

---

(١) روح المعانى ٧/ ٤٦٧.

(٢) القاموس ٣/ ٢٣٩.

(٣) الكشاف ٢/ ٥٧٤.

فظاهر عبارته أن (عسرا) هو المفعول الثانى لـ (تغشنى) إذ ينصب مفعولين كما فى قوله تعالى:﴿ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ ٥٤ الأعراف. وعلى هـذا يكون (من أمرى) حالا من (عسرا) على قاعدة النحاة من أنه كان فى الأصل وصـفا له فلما قدم عليه صار حالا منه. وهنا أقول له: كان الأولى بك أيها العالم الجليل أن تجعل (من) اسما بمعنى (بعض) كما هو شأنها فتكون هى المفعول الثانى ولك – بعد ذلك – أن تجعل (عسرا) حالا منها أو بيانا لها. وبذلك ينأى النص عن دعوى زائفة مع تضمنه أمراً بلاغيا يليق بجلال كلام الله.

٣٣- زاد

وذلك فى أربع آيات هى:

قوله تعالى:﴿ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ ١٧٣ النساء، ٣٨ النور، ٣٠ فاطر، ٢٦ الشورى.

فهـذه مواضع أربعة من سور أربع اتحد فيها نصّ الجملة الفعلية التى نصب الفعـل (يـزيد) فيها مفعولين أحدهما علامة إضمار لجماعة الذكور التى ينضوى تحتها سواها من الإناث. والثانى (مِّن) أى يزيدهم بعض فضله. وقد فسر السيوطى (بعـض فـضله) بـ (ما لا عين رأت. ولا أذن سمعت. ولا خطر على قلب بشر) ومقتـضى هذا أن فضل الله لا يحيط به سواه فهو الذى يدرك مداه ويعلم منتهاه أما نحن فقصارى أمرنا أن نعلم ما يمن الله به علينا منه.

ومع هذا أرى الشيخ الجَمَل يـرى أن (مـا لا عين رأت ... إلخ) مفعول (يزيد)[١].

---

(١) حاشية الجمل ١/ ٥٤٥.

ولست أدرى وجها لذلك؟ أيكون كلام الله فى حاجة إلى ما يتمم معناه؟! إن هذا – لعمرى – فى القياس غريب عجيب.

ولا يخفى على القارئ أن ما قيل فى إحدى هذه الآيات يقال فى الباقى.

٣٤- سأل:

وذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ ٣٢ النساء.

لقد مر بنا أن سيدنا إبراهيم عليه السلام قد علَّم الناس كيف يسألون الله حيث التزم ذكر (مِنْ) التى بمعنى (بعض). وهنا نجد هذه الآية تسير فى ركب ذاك المنهج وتتبع خطاه. فعلينا أن ندعو الله عز وجل أن يمن علينا ببعض فضله فبعضه لا نحيط نحن به بل أقول: لا نستحقه إلا بفضله.

وبهذا يثبت استغناء النص عن تكدير صفوه وبخس جلاله وجماله وكماله.

ولكن نحاة العربية يأبون إلا إخضاعه لما صنعوه من قواعد. ولعلك أيها القارئ قد مَلِلْتَ ذكره ألا وهو أن المفعول مقدر وهو (شيئا من فضله) كما ذكره أبو البقاء وتبعه أبو حيان. بل هناك من زعم زيادة (من) وهو الأخفش[١].

وهناك من يرى أن (من) للتعدية ففى كليات أبى البقاء: "السؤال.. إذا كان لاستدعاء مال فيعدى بنفسه نحو:﴿ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ ﴾ ١٠ الممتحنة أو بـ (من) نحو: "وسئلوا الله من فضله"[٢].

وعليه تكون (من) حرف ابتداء. والمقام والمعنى يَرُدَّانه إذ معنى البعضية واضح كل الوضوح وفضلا عن ذلك فهو المراد إذ المقام مقامه ولا يغنى عنه سواه.

---

(١) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٠٠ والبحر ٣/ ٢٣٦.

(٢) الكليات ص ٢٠٥.

وما دام الأمر كذلك فلابد من جعل (من) اسما بمعنى (بعض) مفعولا ثانيا لـــ (اسألوا).

٣٥- سقـــــى:

جاء الفعل من هذه المادة بصيغة المضارع ست مرات متنوعة:

(أ) جاء مبنيا للفاعل فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا ﴾ ٦٦ الــنحل. وقــوله: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ ٢١ المؤمــنون. وقــــوله: ﴿ وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾ ٤٩ الفرقان.

(ب) وجاء مبنيا للمفعول فى ثلاث آيات هى:

قــوله تعالى: ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ ١٦ إبراهيم وقوله: ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾ ٢٥ المطففين. وقوله: ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ ٥ الغاشية.

ومما ينبغى ملاحظته أن (من) فى الآيات مفعول ثان. ومقتضى ذلك أن الفعل (أســقى) مــتعد لمفعولــين. بــل إن القرآن قد ورد فيه (سقى) الثلاثى متعد أيضا لمفعولين ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ ٢١ الإنسان.

ومـــن ثـــمّ قال ابن فارس: "السين والقاف والحرف المعتل أصل واحد وهو: إشراب الشئ الماء وما أشبهه تقول: سقيته بيدى أسقيه سقيا. وأسقيته إذا جعلت له سقيا. والسقى المصدر"[١].

وقـــد يفهـــم من هذا النص فرق بين (سقى) و (أسقى) فالأول يفيد أن الفاعل نـــاول المفعول الشئ المسقى حتى شربه. وأما الثانى فيفيد أن الفاعل هَيَّأَ المشروب للمفعول بحيث يتمكن منه إذا أراد الشرب.

وهـــذا مـــا صـــرح به ابن منظور حيث قال: "ويقال: سقيته لشفته. وأسقيته لماشـــيته وأرضـــه ... وقيل: سقاه بالشفة وأسقاه دلّه على موضع الماء ونقل عن سيبويه قوله: سقاه وأسقاه جعل له ماء أو سِقْيا فسقاه ككساه.

وأســـقاه كألبس. وقال: أبو الحسن يُذْهَبُ إلى التسوية بين فعلت وأفعلت. وأن (أفعلت) غير منقوله من (فعلت) لضرب من المعانى كنقل أدخلت."[٢].

ومـــن هـــذا الـــنص يتبين أن علماء اللغة فريقان أحدهما يفرق بين الثلاثى والرباعـــى فـــى المعنى وإن تساويا فى العمل إذ كل منهما ينصب مفعولين. ولكن الثلاثـــى يـــدل على أن الفاعل قد سقى المفعول الأول المشروب بشفته بمعنى أنه وضع إناء المشروب على شفتيه ليشرب.

والآخر. لا يرى هذا الفرق فكلاهما – أى الفعلين – يستعمل فى سقيه بالشفه وتهيئته له. وقد عبر المجد عن ذلك قائلا: "أو كلاهما جعل له ماء"[٣].

والـــذى أراه ويطمئن به قلبى أن هناك فرقا بينهما من حيث نوع الفاعل فإذا كـــان الفاعـــل هـــو الله عـــز وجل كان معنى الثلاثى والرباعى واحدا وهو خلق

---

(١) معجم مقاييس اللغة جـ ٣ ص ٨٤.

(٢) اللسان ص ٢٠٤٢.

(٣) القاموس ٤/ ٣٤٣.

المشروب وتهيئته للشارب. بحيث يتمكن من تناوله والحصول عليه بيسر وسهولة. إذ بدون خلق الله لا يكون شئ.

وإذا كان الفاعل البشر احتمل المعنيين إذ يمكن للساقى أن يضع المشروب فى فم الشارب كما يمكنه أن يهيئه له بحيث يتمكن من تناوله عند الاحتياج إليه.

والـــذى حملنى على هذا الرأى أن الآيات الست المذكورة وهى ما ورد فيها الفعـــل رباعيا. وكذا آية سورة الإنسان التى ورد فيها الفعل ثلاثيا أقول: جميع هذه الآيـــات تدل على أن الله قد خلق المسقى وهيأه بحيث يتمكن منه الشارب متى شاء وحيث شاء.

ففى آيتى النحل والمؤمنون قال الله (نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين). ثم قال: "تسقيكم مما فى بطونها".

وعلامة الإضمار فى (بطونه) و (بطونها) للأنعام. وقد ذكر سيبويه أن الجمع بــصيغة (أفعال) يعامل معاملة الجمع ومعاملة الفرد. ففى سورة المؤمنون عُومِلَ معاملة الجمع لأن (ها) يمكن أن يرجع إلى المفرد نحو: البنت أكرمتها. وان يرجع إلـــى الجمع كما فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ ٣٦ التوبة.

وأما الهاء فى (بطونه) فالمشهور أنها تعود على المفرد نحو: محمد أكرمته. فكيف تعود هنا على (الأنعام) وهو جمع؟!

أجـــاب ســـيبويه عن هذا قائلا: "وأما (أفعال) فقد يقع للواحد من العرب من يقول: هو الأنعام. وقال الله عز وجل: "تسقيكم مما فى بطونه"[١].

---

(١) الكتاب ٣/ ٢٣٠، وانظر: معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٢٠٨.

وعلامة إضمار الجمع المخاطب فى (نسقيكم) هى المفعول الأول و (من) هى المفعـول الثانى أى بعض ما فى بطونه أو بطونها. والمراد اللبن الذى استخلصته القدرة الإلاهية من بين الفرث والدم وهيأته ليكون نعمة لبنى البشر.

أمـا فى آية الفرقان. فالهاء من (نسقيه) مفعول أول والثانى (من) والضمير للماء. و (ما) فى (مما) اسم موصول فى الآيات الثلاث وصلتها (فى بطونه) و (فى بطونها). و (خلقنا) مع ملاحظة الضمير الذى يدركه العقل فى الأخيرة أى (خلقناه) و (لبـنا خالـصا سائغا) بيان (ما). فى آية النحل. وكذا (أنعاما وأناسى كثيرا) فى سورة الفرقان.

هذا ما نراه فى هذه الآيات. ولكن بعض علمائنا لا يرى ذلك وبعضهم يراه. يقـول الزمخـشرى فى آية النحل: "ومن فى (مما فى بطونه) للتبعيض لأن اللبن بعض ما فى بطونها كقولك: أخذت من مال زيد ثوبا"(١).

ولا يخفى على القارئ أن (من) هى المفعول و (ثوبا) بيان لها.

وأما أبو السعود فيردد القول فيها عند كلامه على آية المؤمنون فيقول: و (ما فى بطونها) عبارة إما عن الألبان فـ (من) تبعيضية والمراد بالبطون: الجوف.

أو عن العلف الذى يتكون منه اللبن فـ (من) ابتدائية والبطون على حقيقتها.

وقرئ بفتح النون. وبالتاء أى تسقيكم الأنعام"(٢).

فعلـى فتح النون يكون الفعل ثلاثيا كما هو واضح. وعلى قراءة التاء يكون الفاعل هو (الأنعام). ولا يخفى أن فى هذا ضربا من المجاز.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٧٩.

(٢)إرشـاد العقل السليم ٤/ ٢٨. وانظر معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٢٠٨ ففى هامش رقم ٣ قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بالفتح من الثلاثى.

وأمـــا قـــول أبي السعود (فـــ: من) ابتدائية فلا معنى له إذ كيف يعقل ابتداء السقي من العلف؟ هذا شئ بعيد. أما معنى (البعضية) فواضح للأذهان قريب البيان.

هذا: وجوز أبو البقاء في آية الفرقان: "أن يكون (مما خلقنا) حالا من (أنعاما وأناسي كثيرا) وأن يكون متعلقا بـــ (نسقيه) فـــ (من) لابتداء الغاية كقولك: أخذت من زيد ماله فقد أجازوا فيه الوجهين"(١).

والقياس مع الفارق إذ (من زيد) لا يمكن أن تكون (من) بعضية لأنها داخلة على ما يشبه المكان فهي حرف ابتداء. ومع هذا لا أرى دعوى التقديم والتأخير هنا جائزة إذ (من زيد) مرتبط أيما ارتباط بالفعل من قبله.

فـــ (مـــالا) مفعول به لا محالة. وكذا في آية الفرقان فـــ (من) تبعيضية لا محالـــة. فهـــي المفعول الثاني. وما بعدها بيان لها. إذ من يشرب وما يشرب الماء بعض خلق الله وهو الأنعام والأناس.

وإلـــى هـــنا نكون قد انتهينا من الكلام على آيات الفعل المبني للفاعل وهو (نسقي) بضم النون أو فتحها فهو رباعي على الضم وثلاثي على الفتح.

أما آيات الفعل المبني للمفعول. فمنها آية في النعمة وهي قوله: "ويسقون من رحيق مختوم" فعلامة إضمار الجمع هي المفعول الأول في الأصل ثم صارت نائب فاعل بعد بناء الفعل للمفعول. و (من) هي المفعول الثاني أي بعض رحيق مختوم. والرحيق: "الخمر أو أطيبها أو أفضلها أو الخالص أو الصافي كالرحاق"(٢).

ومـــنها آيـــتان فـــي العذاب وهما قوله تعالى: "ويسقى من ماء صديد" وقوله (تسقى من عين آنية) ولا توجد علامة إضمار للفاعل فيها إذ يدركه العقل مما سبق

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٨٥.

(٢) القاموس ٣/ ٢٣٥.

وهــو منكر في الأولى ومؤنث في الثانية. فالمراد به في الأولى: ﴿ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ ١٥ إبراهيم.

والمراد به في الثانية: الوجوه الخاشعة العاملة الناصبة التي تصلى نارا حامية فهــي التي (تسقى من عين آنية). و (آنية) هنا وصف لمؤنث مذكره (آن) وقد ورد فــي قــوله تعالى: ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ ٤٤ الرحمان. قال المجد: "وأَنَى الحميم انتهى حره فهو آن"(١).

فــــ (آنــية) في سورة الغاشية مؤنث (آن) في سورة الرحمن. و (الحميم) الحار الساخن قال المجد: "وحمّ الشحمة أذابها والماء سخنه كأحمه وحممه"(٢).

هــذا وربما يلتبس قوله تعالى: (من عين آنية) أى بالغة النهاية في الحرارة. بقــوله تعالــى:﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ﴾١٥ الإنسان. ففي الظاهر ترى العين الكلمتين بحروف واحدة ونسق واحد فهل هما في الحقيقة بمعنى واحد؟

الجواب بالنفي لأمرين:

(أحدهما) أن (آنية) في سورة الغاشية وَصْف على وزن (فاعلة) لأنها للمؤنث ويقابلهــا (آنٍ) فــي ســورة الرحمن فهو على وزن (فاعل) إذ أصله (آني) ويُعَلّ بحــذف الياء رفعا وجرا. وأما (آنية) في سورة الإنسان فهي جمع إناء على وزن (أفعله) قال المجد: "الإناء جمع آنية وأوان"(٣).

---

(١) القاموس ٤/ ٣٠١.

(٢) القاموس ٤/ ١٠٠.

(٣) القاموس ٤/ ٣٠١.

وأصــله (أأنية) أبدلت الهمزة الثانية حرف مد من جنس حركة الأولى وهى الفــتحة فصارت ألفا. أما (آنية) فى (الغاشية) فأصله (أنى) زيدت ألف اسم الفاعل بعد الهمزة فصارت (آنى). فألفها ليست بدلا من همزة كالأولى و (الأمر الآخر) أن معنـــى (آنـــية) فى (عين آنية) حار بالغ النهاية فى الحرارة. وأما معنى (آنية) فهو جمع الإناء الذى يستخدم للطعام أو الشراب.

هـــذا عـــن معنـــى (عـــين آنية). وأما معنى (ماء صديد) فـــ (الصديد) الدم المختلط بالقيح يقال منه: أصد الجرح"(١).

٣٦- سكـــــن:

وذلك فى قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ ٣٧ إبراهيم.

قال الزمخشرى: "بعض أولادى وهم إسماعيل وَمَنْ وُلِدَ منه"(٢).

وهـــذا واضح فى أن (من) اسم بمعنى (بعض) وهى المفعول به. ويرى أبو البقاء تقدير مفعول أى ذرية من ذريتى أو ناسا من ذريتى(٣).

وهذا من تكدير صفاء اللغة وتقبيح جمالها فلا حاجة بالنص إليه. وهناك من يـــرى أشد من ذلك تكديرا وتقبيحا هو: أنها زائدة. وهذا القول مشهور عن الأخفش فهـــو الذى يرى زيادتها فى سياق الإيجاب. وقال عنه الألوسى: "لا يرتضيه سليم البصيرة كما لا يخفى"(٤).

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٢٨٢.

(٢) الكشاف جـــ٢ ص ٤٣٥.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٣٧.

(٤) روح المعانى ٤/ ٢٨٤.

٣٧- ســــلك:

وذلــك فــى آيتين هما قــوله تعالى: ﴿ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ ٢٧ المؤمنون وقوله: ﴿ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا ﴾ ٢٠ نوح.

وقــد ورد الفعل (سلك) ما ضيا ومضارعا وأمرا. فمن الماضى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ ٢٠٠ الشعراء وقوله:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾٢١ الزمــر. وقوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ ٤٢ المدثر".

ومن المضارع قــوله تعالــى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ ١٢ الحجر. وقوله: ﴿ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا ﴾ ٢٠ نوح.

ومن الأمر: ﴿ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ ٢٧ المؤمنون.

وبالــتأمل فى هذه الآيات ندرك أن (سلك) و (نسلك) ناصبة للمفعول به وهو فــى الآيــات حسب ذكرها هنا علامة المضمر المذكر فى آيتى الشعراء والحجر. والمــراد به القرآن الكريم أى الذكر الحكيم. وقد جاء قوله تعالى:﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ ٢٠١ الــشعراء. وقوله: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ١٣ الحجر.

قــال الزمخــشرى: "يقــال سلكت الخيط فى الإبرة وأسلكته إذا أدخلته فيها ونظمته وقرئ (نُسْلكه) - يعنى بضم النون فيكون رباعيا ولا فرق فى التعدى إلى

واحد بين الثلاثى والرباعى – والهاء لِلذِّكْرِ أى مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر فى قلوب المجرمين على معنى أنه يلقيه فى قلوبهم مكذّباً مستَهْزَءاً به غير مقبول.. ومحل قوله (لا يؤمنون به) النصب على الحال أى غير مؤمن به. أو هو بيان لقوله (كذلك نسلكه) وعلق ابن المنير قائلا: "كما سلك ذلك فى قلوب المؤمنين المصدقين. فكذب به هؤلاء وصدق به هؤلاء. كلٌّ على علم وفهم ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ ٤٢ الأنفال. ولئلا يكون للكفار على الله حجة بأنهم ما فهموا وجوه الإعجاز كما فهمها من آمن"(١).

وفى آية الزمر علامة إضمار للماء فى قوله (أنزل من السماء ماء فسلكه) ثم (ينابـيع فى الأرض). قال الزجاج "جاء فى التفسير: أن كل ما فى الأرض فابتداؤه من السماء. ومعنى (ينابيع) الأمكنة التى ينبع منها الماء. وواحد الينابيع: ينبوع.

وتقديره – يعنى: وزنه – يفعول من نبع ينبع"(٢).

وقد جاء المفرد فى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ ٩٠ الإسراء.

وقال الزمخشرى: "فسلكه: فأدخله ونظمه (ينابيع فى الأرض) عيونا ومسالك ومجارى كالعروق فى الأجساد"(٣).

فهـل يجـوز فى هذه الآية أن يكون (ينابيع) مفعولا ثانيا لـ (سلك)؟ وعليه يكـون الثلاثى منه ناصبا لمفعولين أحيانا. أو أن الراجح الذى يتبادر إلى الذهن أن يكون (ينابيع فى الأرض) حال؟ هذا ما أراه.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٤٦ وهامشها. وانظر ٣/ ٢٦٥.

(٢) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٣٥٠. وانظر البحر المحيط ٧/ ٤٢٢.

(٣) الكشاف ٤/ ٩٤.

وأما آية المدثر فالمفعول فيها هو علامة إضمار المخاطبين (ما سلككم).

وبأدنى التفاته ذهنية يتبين أن المفعول فى الآيات السابقة غير (مِنْ) أما فى الآيتين اللتين ذكرتهما صدر هذا المبحث فالمفعول فيهما هو (من). والفعل مضارع فى آية نوح (لتسلكوا منها سبلا فجاجا). أى لتسلكوا بعضها - يعنى الأرض - حالة كونه سبلا فجاجا أى واسعة منفجة على حد تعبير الزمخشرى[1] ومعناها الواسعة.

هـذا: وهـناك آية فى سورة الأنبياء وهى قوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا ﴾أى الأرض ﴿فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ٣١.

وفـيها يقول الزمخشرى: "الفج الطريق الواسع. فإن قلت: فى الفجاج معنى الوصـف فما لها قدمت على (السبل) ولم تؤخر كما فى قوله تعالى: "لتسلكوا منها سبلا فجاجا" آية نوح؟ قلت: لَمْ تقدم وهى صفة ولكن جعلت حالا كقوله:

لعـزة موحـشا طـلـلٌ قـديمُ ... عفـاه كـلُّ أسـحم مـستديمُ

فـإن قلـت: ما الفـرق بينهما من جهة المعنى؟ قلت: أحدهما: الإعلام بأنه جعـل فيها طرقا واسعة. والثانى: بأنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثمة"[2].

وواضح أن الزمخشرى يعنى بـ (أحدهما) آية نوح وبـ (الثانى) آية الأنبياء.

ولـو حاولنا تطبيق هذا على الآيتين على حسب ترتيبهما فى المصحف. لما أمكننا ذلك لأن نسق الآيتين لا يتفق معه. وأما لو حاولنا تطبيقه على حسب ترتيب النـزول لجـاز لأن سورة نوح أسبق نزولا حيث إن ترتيب نزولها ٧١ على حين ترتيبَ نزل سورة الأنبياء ٧٣[3].

---

(١) الكشاف ٤/ ٤٩٥.

(٢) الكشاف ٣/ ٩٠: ٩١.

(٣) انظر التفسير الحديث ١/ ١٥.

فآية نوح نزلت على الأصل الذى يدركه العقل ألا وهو ذكر الموصوف قبل الوصـــف. أمـــا آية الأنبياء فجاءت على ما ذكره الزمخشرى بناء على زعم ذكر الحـــال قـــبل صاحبها قياسا على بيت من الشعر. وهذا القياس فاسد. لما علمناه – مرارا – من أن التقديم والتأخير من قبيل الضرورة غير اللائق بنظم القرآن المعجز ولـــو أمعـــنا النظر فى نص الآيتين لأدركنا أن نسق كل آية متفق مع مقامها. فآية الأنبـــياء (وجعلـــنا فيها فجاجا ســـبلا) أى خلقنا فجاجا والفج الطريق الواسع كما علمنا وَوَصْفُه بالسعة لا ينفى صعابا فيه يعثر بها السائر ومن ثم جاء قوله (سبلا) بعد (فجاجا) ليكشف سهولتها وتمهيدها. فالسبيل الطريق الممتد. فقد ذكر ابن فارس أن مـــادة الـــسين والباء واللام أصل واحد يدل على إرسال شئ من علو إلى سفل. وعلى امتداد الشئ. فالأول من قيلك: أسبلت الستر وأَسْبَلتِ السحابةُ ماءها وبمائها. والـــسبل: المطر الجود وسبال الإنسان من هذا لأنه شعر منسدل... والممتد طولا: السبيل وهو الطريق سمى بذلك لامتداده"(١).

فالله خلق الفجاج واسعة ثم مدّها ومهدها فكانت سبلا. هذا فى آية الأنبياء أما آيـــة نوح ففيها (سلك) حيث يقول الله: "لتسلكوا منها أى بعض الأرض سبلا ممتدة وســـيعة. وهكـــذا: لكـــل مقام مقال. فلا داعى لدعوى التقديم والتأخير. فـــ (منها) مفعول و (سبلا) حال و (فجاجا) صفة.

وأما آية المؤمنون "فاسلك فيها من كل زوجين اثنين" فيقول فيها الزمخشرى: "يقال: سلك فيه دخله. وسلك غيره. وأسلكه. قال:

حتـى إذا أسـلكوهم فـى قـتـائده وشلا كمـا تطرد الجمالـة الشردا

(مـــن كـــل زوجـــين) من كل أمتى زوجين. وهما أمة الذكر وأمة الأنثى. كالجمال والنوق.. (اثنين) واحدين مزدوجين كالجمل والناقة ...... وقرئ (من كل) بالتنوين أى من كل أمة زوجين. و (اثنين) توكيد وزيادة بيان"(٢).

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣/ ١٢٩: ١٣٠.

(٢) الكشاف ٣/ ١٤٥.

فـــ (من) بمعنى (بعض) وهى المفعول به أى بعض كل. وإذا كانت (كل) بـدون تـنوين فهـى مضافة إلى (زوجين) و (اثنين) بيان. وإذا كانت منونة فـ (زوجـين) بـيان لـــ (من) و (اثنين) توكيد له. وبهذا نصون النص القرآنى من دعاوى زائفة.

هذا: والبيت الذى ذكره الزمخشرى لعبد مناف بن رافع الهذلى. يصف قوما أُغِيرَ عليهم فدفعوا العدو حتى أدخلوه فى قتائده – وهى ثنيه بعينها أو عقبة بعينها – أى فى طرائقها. (وشلا) أى ماء سائلا من أعلى (الجبل. و (الجمالة) جمع (جمال) وهـو صاحب الجمل و (الشرد) بفتحتين الإبل المنتشرة أو بضمتين جمع (شرود) كعروس[1].

٣٨- شـــرب:

وذلك خمس مرات فى أربع آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ ﴾ ٢٤٩ البقــرة وقوله: ﴿ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴾ ٣٣ المؤمــنون وقــوله: ﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴾ ٥٤ الواقعة وقــولــه: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ ٥ الإنسان.

والـضمير فـى الآيــة الأولى عائد على (نهر) والنهر بسكون الهاء وفتحها مجرى الماء[2].

ولذلك جعله الألوسى على حذف مضاف أى فمن شرب من مائه[3].

---

(١) انظر هامش الكشاف ٣/ ١٤٥.

(٢) القاموس ٢/ ١٥٠.

(٣) روح المعانى ١/ ٤٥٥.

ومـــا دامت (من) مضافة إلى ما يجوز تبعيضه كانت اسما بمعنى (بعض) فهى المفعول.

ويبدو أن الزمخشرى لم يلحظ تلك المضاف لأنه جعل (من) حرف ابتداء أى فمن ابتدأ شربه من النهر بأن كرع فيه"[1].

ومعنى (كرع فيه) أخذ الماء بيديه[2].

ولـــست أدرى كـيف غـاب عــن الزمخشرى معنى البعضية هنا فلم يلحظ المضاف مع وضوح المعنى عليه. وكم فى القرآن من هذا المضاف الملحوظ غير الملفــوظ لأنـــه من سبل البلاغة – فالإيجاز هو البلاغة. وكم نوه الزمخشرى بهذا الإيجاز ونبه إليه. وحسبنا ما ذكره فى قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ ٨٢ يوســـــف. ونصـــه: "القرية: هى مصر أى أرسل إلى أهلها فسلهم عن كنّه القصة"[3].

فأى فرق بين (القرية والنهر) حتى يلحظ مضاف فى الأولى دون الثانية؟

أرى أنـــه لا فرق إذ العقل يدرك ذلك المضاف فى الآثنين معا. وعليه فجعل (من) اسما بمعنى (بعض) هو اللائق بجلال النص القرآن بل بقيمة العقل الإنسانى فى فهم هذا النص.

وفـــى الآيـــة الثانية (ويشرب مما تشربون) يقول أبو حيان "أى مما تشربون منه" وهـــذا أولـــى مـــن تقديره: مما تشربونه. لأن الأخير يفوت فصاحة معادلة التـــركيب. ألا ترى أنه قال: مما تأكلون منه. فعداه بـــ (من) التبعيضية. فالمعادلة

---

(١) الكشاف ١/ ٢٢٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٥/ ١٧١..

(٣) الكشاف ٢/ ٣٨٦.

تقتــضى أن يكون التقدير: (مما تشربون منه). فلو كان التركيب: مما تأكلونه لكان تقدير (تشربونه) هو الراجح"[١].

وبالتأمل فى هذا النص ندرك أن أبا حيان قد أصاب فى تقدير: تشربون منه دون (تــشربونه) وإن كــان يعوزه بعض التوضيح وهو: أن ما يأكله أحد لا يذوقه آخر فكيف يأكل بعضه. وكذا ما يشربه أحد لا يتمكن آخر أن يشرب بعضه. فتقدير (من) هو اللائق بدقيق المعنى وبليغ اللفظ. هذه واحدة.

وأخرى: وهى أن أبا حيان قد خانه التوفيق وجانبه الصواب فى قوله (فعداه بـــ (من) التبعيضية. لأن (من) التبعيضية اسم لا حرف. وهى المفعول لا سواها.

إذ الفعــل (شـــرب) ينــصب المفعول بنفسه فيقال: شرب المريض الدواء. وشرب الكافر الخمر. ومنه قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴾ ٦٨ الواقعة أى تشربونه.

فالفعــل فى أشد الاستغناء عما يزعم بعض العلماء أنه محتاج إليه لأن (من) هـــى المفعــول لا محالة. والمعنى: ويشرب بعض ما تشربون بعضه. كما هو فى (يأكل مما تأكلون منه) أى يأكل بعض ما تأكلون بعضه.

وأمـــا آية الواقعة (فشاربون عليه من الحميم) فالمعنى: فشاربون عليه بعض الحميم. وهو الماء الحار.

وأما آية الإنسان (إن الأبرار يشربون من كأس). فمعناها متوقف على المراد بـــــ (كأس) فقد قيل: إنها الإناء يشرب فيه أو ما دام الشراب فيه[٢] وقد قيل: إنها الـــزجاجة إذا كانت فيها خمر. وقيل: تطلق على الخمر نفسها. ذكره أبو السعود ثم قال: "فـــ (من) على الأول ابتدائية وعلى الثانى تبعيضية أو بيانية"[٣].

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٤٠٤.

(٢) القاموس ٢/ ٢٤٤.

(٣) إرشاد العقل السليم ٥/ ٢١٦.

تلكم هى الأقوال التى يمكن احتمالها فى معنى (كأس) ومعنى (من). وأرى أن المراد بـ (كأس) الخمر فى هذه الآية بدليل قوله (كان مزاجها كافورا) إذ المزاج يكون للخمر لا للكأس. قال الزمخشرى: "وتسمى الخمر نفسها كأسا (مزاجها) ما تمزج (كافورا) ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده"[١].

فالقرينة التى تثبت أن المراد الخمر واضحة وهى (المزاج) إذ الذى يمزج به غيره هو الخمر لا الكأس بمعنى الإناء. وإذا ثبت هذا لزم أن تكون (من) بمعنى (بعض) فهى المفعول به. أما معنى الابتدائية أو البيانية فالمقام ليس لأحدهما.

ومما ينبغى التنبيه إلى ما ينبغى رده قول أبى البقاء: "المفعول محذوف أى خمرا أو ماء من كأس. وقيل (من) زائدة"[٢].

ففيه دعويان باطلتان وهما: دعوى الحذف والتقدير بلا حاجة إليه فهما حيف وتكدير. ثم دعوى الزيادة وهى باطلة لا محالة.

ولو احتاج المقام إلى تقدير لقدّرنا مضافا أى: يشربون من خمر كأس كان مزاجها كافورا. إذ هذا فن جميل من فنون البلاغة. وقد ورد فى قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ ٩٣ البقرة. قال الزمخشرى: "أى تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله (فى قلوبهم) بيان لمكان الإشراب كقوله: ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ ١٠ النساء[٣].

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٣٤.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٤٦.

(٣) الكشاف ١/ ١٢٤.

٣٩- شــــرع:

وذلك فى آيتين من سورة الشورى وهما قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ ١٣ وقوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ ٢١.

مــن المقــرر فــى اللغة أن كلمة (دين)) معناها: الخضوع والطاعة والذل والانقــياد. ويقال: قوم دين أى مطيعون منقادون. والمدينة مَفْعِلَة سميت بذلك لأنها تقام فيها طاعةُ ذوى الأمر. والمدينة: الأَمَةُ والعبد مدين كأنهما أذلهما العمل[1].

ولا خضوع أتم من خضوع المخلوق لخالقه والمصنوع لصانعه. ولكن هناك خضوع لغير الخالق والصانع فكم من مخلوق خاضع لمخلوق مثله.

بل ربما يخلقه ويصنعه ليخضع له. ولذلك أمر الله نبيه أن يقول لمثل هؤلاء: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ ٦ الكافرون. وبهذا يتضح سر التعبير فى الآيتين بــ (من) أى شــرع لكــم بعض الدين. وهو الحق الخالص لوجه الله. ومن ثَمَّ بينه فى الآية الأولــى بــ (ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين... إلخ الآية.

وفى الآية الثانية "أم لهم شركاء شرعوا بعض الدين. وَبَيَّنه بقوله: ما لم يأذن به الله".

فـــ (الدين) صالح للدين الخالص. والدين غير الخالص. فالنبيون المرسلون يوحى إليهم بالأول. والملاحدة المنحرفون يخضعون – لجهلهم – للثانى.

---

(١) إانظر معجم مقاييس اللغة ٢/ ٣١٩.

وفـــي الأولى يقول الزمخشري: "شرع لكم من الدين: دين نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء. ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله (أن أقــيموا الــدين ولا تتفرقوا فيه) والمراد إقامة دين الإسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلما. ولم يرد الشرائع التى هى مصالح الأمم على حسب أحوالها فإنها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ ٤٨ المائدة. ومحل (أن أقيموا الــدين) إما نصب بدل من مفعول (شرع). وإما رفع على الإستئناف كأنه قيل: وما ذلك المشروع؟ فقيل: هو إقامة الدين"[1].

وعلى هذا يكون (أن أقيموا) نظير (أخاه) فى قوله تعالى:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ ٥٣ مــريم. وفــيه يقــول الزمخشري: "مِنْ: مفعول بمعنـــى: بعــض و (أخاه) بدل و (هارون) عطف بيان كقولك: رأيت رجلا أخاك زيدا"[2].

وهذا مبنى على أن هناك فرقا بين البدل المطابق وعطف البيان. والتحقيق أنه لا فرق بينهما. فالظاهر من كلام سيبويه أنه لا فرق بينهما[3].

ووضــحه الرضى قائلا: "وأنا إلى الآن لم يظهر لى فرق بين بدل الكل من الكــل وبــين عطــف البيان بل لا أرى عطف البيان إلا البدل كما هو ظاهر كلام ســيبويه فإنــه لــم يذكر عطف البيان بل قال: (أما بدل المعرفة من النكرة فقولك: مــررت برجل عبد الله كأنه قيل: بمن مررت؟ أو ظن أنه يقال له ذلك فأبدل مكانه

---

(١) الكشاف ٤/ ١٦٩.

(٢) الكشاف ٣/ ١٧.

(٣) انظر الكتاب ٢/ ١٤: ١٥.

مـــا هـــو أعـــرف مـــنه. ومثل ذلك قوله عز وجل:﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ .صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾٥٢: ٥٣ الشورى.

ثـــم رد الفـــرق بيـــنهما بأن البدل هو المقصود بالنسبة دون متبوعه بخلاف عطف البيان والبيان فرع المبين فيكون المقصود هو الأول.

أقـــول: ردّ الرضى هذا الفرق بقوله: لأن الأول فى الأبدال الثلاثة منسوب إلـــيه فى الظاهر ولابد أن يكون فى ذكره فائدة لم تحصل لو لم يذكر صونا لكلام الفصحاء عن اللغو ولا سيما كلامه تعالى وكلام نبيه ﷺ .

فإدعـــاء كونه غير مقصود بالنسبة مع كونه منسوبا إليه فى الظاهر واشتماله على فائدة يصح أن ينسب إليها دعوى خلاف الظاهر"[1].

وبهـــذا يتـــساوى جعل (أن أقيموا) و (أخاه) بدلا أو بيانا ما دام الفرق بينهما عسيرا غير يسير.

٤٠- شـــــرى:

وذلـــك فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ ١١١ التوبة.

الإنسان فى الظاهر: جسم ونفس. فالجسم هو: البدن الذى يجمع العظم والدم والـــشحم واللحـــم والشعر والظفر. وأصل هذه المكونات الطين يقول الله:﴿ وَلَقَدْ

---

(١) شرح الكافية ١/ ٣٣٧.

خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ .ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ .ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ ١٢: ١٤ المؤمنون.

والمراد بقوله: (أنشأناه خلقا آخر) أن الله قد وضع فيه سر الحياة وهى النفس التــى يحــيا بها وينمو ويقوى حتى يخوض غمار الحياة يقول الإمام الزمخشرى: "خلقــا آخر: أى خلقا مباينا للخلق الأول مباينة ما أبعدها حيث جعله: حيوانا وكان جمــادا. وناطقا وكان أبكم. وسميعا وكان أصم. وبصيرا وكان أَكْمه. وأَوْدَعَ باطِنَه وظَاهِــرَه – بــل كــل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه – عجائب فطرة. وغــرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف. ولا تبلغ بشرح الشارح. وقد احتج به أبو حنيفة فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده قال: يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لأنه خلق آخر سوى البيضة"(١).

وبهذا يثبت أن الإنسان مادة ونفس ولا حياة للمادة بدون نفس. والنفس حَيٌّ – مع كونها عنصر الحياة والنماء – موضع التكليف. وصدق الله إذ يقول:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ٢٨٦ البقــرة. ويقول:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا .فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ٧، ٨ الشمس... إلى غير ذلك من آيات متنوعة.

وهناك آية أو آيات تشير إلى أن الإنسان ثلاثى البناء لا ثنائية بمعنى أنه ليس جــسما ونفــسا فقــط بل هناك قوة ثالثة هى التى تقف للنفس بالمرصاد حتى تظل ملتزمة طريق الحق. متحلية بحلية الصدق. تبعث فى النفس قوة الطاعة وتمنع عنها

---

(١) الكشاف ٣/ ١٤٠.

زلـــة المعصية. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ ١١ الرعد.

وقـد فـسرها الزمخشرى بقوله: "إن الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصى"(١).

ومعنى هذا أن الأصل فى النفس البشرية أن تكون على الفطرة ألا وهى الدين الخـالص لوجه الله وهذا الدين مصدر النعمة والصحة والعافية وكل ما يعود على الإنـسان بالنفع والفائدة. فإذا ما انحرفت بها قوة الشر الممثلة فى (إبليس) عن تلك الفطرة فلابد من قوة أخرى تقابل قوة الشر تلك حتى تدفعها وترفعها وتأتى بالخير ليحل محلها. فتزكو بعد رجس وتتعدل بعد انحراف.

وبهذا يثبت أن فى الإنسان غير البدن والنفس قوتين متقابلتين إحداهما تحافظ علـى الفطـرة الطاهرة الزكية والثانية تحاول أن تنزع تلك الفطرة وتغرس مكانها الانحـراف ولكن لابد من وقوف قوة المحافظة بالمرصاد للنفس حتى لا تزيغ عن الصواب ولا تميل عن الفطرة.

وإنما أطلت بتلك المقدمة بين يدى. بيان معنى قوله تعالى: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة" لأن هذه الآية تشير إلى عناصر ثلاثة فى الإنسان المؤمن ألا وهى: البدن النفس القوة التى تسيطر على النفس.

وذلك أن أركان البيع أو الشراء أربعة بائع ومشترى وثمن ومبيع وفى الآية البائع ليس هو النفس أو المال. بل هما المبيع. والمشترى هو الله عز وجل وهذا من فـضل الله علـى عـباده. إذ هو خالق البدن والنفس وكل شئ فكيف يكون الخالق الـرازق ثم يشترى مَنْ خلقه ورزقه بثمن لا يحد ثمنه. ولذا قال الزمخشرى: "مثل

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٠٣.

الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم فى سبيله بالشروى – أى الاشتراء – وروِىَ: تَاجَرَهُمْ فأغلى لهم الثمن. وعن عمر رضى الله عنه: فجعل لهم الصفقتين جميعا. وعن الحسن: أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها..."(١).

إذاً فهناك قوة فى الإنسان تتصرف فى النفس والبدن والمال. تلك القوة تمثل البائع. والنفس والمال يمثلان المبيع. والله عز وجل هو المشترى. والجنة هى الثمن. وعلى هذا يكون معنى الآية: إن الله اشترى بعض المؤمنين وهو النفس والمال. من قوة فيهم تتصرف إن بالخير وإن بالشر. وجعل الثمن الجنة.

وما هذه القوة إلا التى حملت الإنسان على أن يحارب نزعة الجبن وخلة الشح فيخوض المعركة باستبسال يؤدى إلى استشهاد. كما يبذل ما جمعه من مال لنصرة الحق ونشر العدل والأمان.

وبالتأمل فى هذا ندرك أن البائع هو قوة الحق والخير والجمال وهى التى قبضت الثمن وهو الجنة لتتمتع بها النفس والبدن. فالباء داخلة على الثمن الذى يحصل عليه البائع من المشترى. كما فى قوله تعالى:﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ ٢٠ يوسف. أى باعوه. فـ (شرى) معناه: باع أى ترك العين مقابل النقد. وأما (اشترى) فمعناه أخذ عينا وترك نقدا. وربما استعمل (شرى) فى ترك العين ابتغاء شئ آخر كما فى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ ٢٠٧ البقرة أى يبيع. وقوله: ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ ٧٤ النساء. أى يبيعون. وقوله: ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ ١٠٢ البقرة. فالباء فى هذه

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٤٥.

الآيات داخله على الذى يحصل عليه البائع ويفوز به كما فى غير الآية الأخيرة. أما فيها فالياء داخلة على ما يحصل عليه البائع ليَعذّب به.

أما الباء مع (اشترى) فتدخل على المتروك أى المبيع غالبا فقد ورد منه فى القـرآن قـوله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ ١٦ وقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ ٨٦ البقرة. وقوله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾ ١٧٥ البقـرة. وقـوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـًٔا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ١٧٧ آل عمـران ... إلى غير ذلك من آيات دخلت فيها الباء على المتروك وهو النافع المفيد الباقى الدائم. فمقامها مقام الذم للكافرين والعاصين.

أمـا آية التوبة التى نحن بصدد الكلام عليها ففيها البائع ملحوظ لأنه ليس له لفظ يرى أو ينطق وهو قوة الخير التى تدفع المؤمن أن يبذل نَفْسَه ومَالَه ليأخذ ثمنها وهو الجنة.

فمدخـول الباء ليس متروكا وإنما قد حصل عليه البائع ومما يوضح ذلك بل يثبته ويؤيده قوله تعالى فى نهاية الآية: "فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم" ولذا قال أبو حيان: "الذى بايعتم به" وصف على سبيل التوكيد ومحيل على البيع السابق"(١).

وذكـر الراغب فى قوله: "ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله" : معنـى يـشرى يبـيع فـصار ذلـك كقوله: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم.. الآية". فـ (اشترى) فى هذه الآية متضمن معنى البيع كما وضحنا ذلك.

---

(١) البحر المحيط ٥/ ١٠٣.

٤١- صـــب:

فى قـــوله تعالـــى : ﴿ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ ٤٨ الدخان. أى بعضه. فـ (من) هى المفعول به.

٤٢- صـــرف:

وذلــك فـــى ثلاث آيات هى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ ٨٩ الإسراء. وقوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ ٥٤ الكهف. وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ ﴾ ١١٣ طه.

والواضح الذى لا خفاء فيه أن (من) بمعنى (بعض) فهى اسم واقع مفعولا به أى بعـــض كل مثل. وبعض الوعيد. فالنص غنى قوى ولكن علماءنا يأبون إلا أن يجعلـــوه فقيرا ضعيفا فيقدرون المفعول بقوله: مثلا من كل جنس أو البينات والعبر أو يجعلـــون (مِنْ) زائدة. فـ (كل) هى المفعول. وهذا مبنى على مذهب الكوفيين والأخفش ومن قال بأنها غير زائدة جعلها حرف ابتداء[1].

وهذا فى آيتى الإسراء والكهف. أما آية طه فيقول فيها أبو السعود: "وكررنا فيه بعض الوعيد. أو بعضا من الوعيد"[2].

والأول هـــو الـــصواب السديد. إذ لا حاجة بنا إلى (بعضا من الوعيد) ففيه تكرار غير لائق بالقرآن.

---

(١) انظر المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٤ وإملاء ما من به الرحمن ٢/ ٥٥ وروح المعانى ٤/ ٢٩٢.

(٢) إرشاد العقل السليم ٣/ ٣٢٥.

٤٣- صـــــفا:

وذلك في آيتين هما قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ٧٥ الحج.

وقـــوله تعالـــى: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ ٤ الزمر.

قـــال الرازى فى الأولى: "قوله (من الملائكة) يقتضى أن تكون الرسل بعض الملائكة لا كلهم فيناقض قوله تعالى: ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ ١ فاطر. ويدفع هــذا التــناقض بأن المراد بما هنا من كان رسولا من الملائكة إلى بنى آدم. وهم أكابر الملائكة كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل. والحفظة صلوات الله عليهم. وبأن المراد من قوله (جاعل الملائكة رسلا) أى بعضهم رسلا إلى بعض"[1].

فـــ (من) هى المفعول به و (رسلا) بيان أو حال. وكذا فى (من الناس) أى بعـــضهم وفيه إيجاز بعدم ذكر (رسلا). أى وبعض الناس رسلا. وبهذا يتضح أن الملائكة أى بعضهم رسل إلى بعض الناس وهم الرسل إلى البشر.

وفـــى آية الزمر يقول الزمخشرى: "يعنى: لو أراد أن يتخذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت إلا أن يصطفى من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم ... وقـــد فعـــل ذلك بالملائكة. فافتتنتم به وغركم اختصاصه إياهم فزعمتم أنهم أولاده جهـــلا مـــنكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الأجسام والأعراض ... ثم تماديتم فى جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كافرين ..."[2].

---

(١) انظر حاشية الجمل ٣/ ١٨١: ١٨٢.

(٢) الكشاف ٤/ ٨٦. وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٥١٨: ٥١٩.

فـــ (من) فى (مما) اسم بمعنى (بعض وهى المفعول به. وقوله (ما يشاء) بيان له.

٤٤- ضــــرب:

وذلــك فــى ثلاث آيات هى قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ٥٨ الــروم و ٢٧ الزمــر. وهمــا فى شأن القرآن قال الكرخى: "من كل مثل: أى يرشدهم قطعا لعذرهم وكلمة (من) للتبعيض"[(١)].

أى بعض كل مثل. فـــ (من) هى المفعول به.

والآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ١٢ الأنفال.

أى بعضهم ثم بيّن هذا البعض بـــ (كل بنان). ويجوز أن يكون (حالاً).

وعلـــى الرغم من وضوح ذلك نرى أبا البقاء والألوسى يجعلان (منهم) حالا مـــن (كل بنان) أى كائناً منهم على القاعدة المكررة غير اللائقة. ثم يضعفون جعله حالا من (بنان) أى المضاف إليه إذ فيه تقديم حال المضاف إليه على المضاف. ثم جوز الألوسى أن تكون (من) حرف ابتداء متعلقا بـــ (اضربوا)[(٢)].

ومـــا أغنانا عن كل هذا التأويـــل الـــذى هو بمثابة التعطيل والتقدير الذى هو تكدير.

ثم الحذف الذى هو حيف. فهذه أمـــور ثلاثة غير لائقة بجلال القرآن وجماله وكماله. فلا داعى إليه.

---

(١) انظر حاشية الجمل ٣/ ٤٠٠.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٣ روح المعانى ٣/ ٢١٢.

٤٥- ضـــل:

فى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا ﴾ ٦٢ يس.

والجبلّ: الأمة العظيمة. قال النقاش عن الضحاك: أقلها عشرة آلاف. ولا حد لأكثرها"(١).

فــ (منكم) أى بعضكم ثم بين هذا البعض بقوله (جبلا كثيرا) أى خلقا كثيرا يصل إلى حد الأمة العظيمة.

٤٦- طعـــم:

وذلــك فى آية واحدة من سورة المائدة هى قوله تعالى: ﴿ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ ٨٩.

يـــرى أبو البقاء وأبو حيان أن (من أوسط) صفة لمفعول محذوف تقديره: أن تطعموا عشرة مساكين طعاما وقوتا من أوسط أى متوسطا"(٢).

وقــد عرفنا – غير مرة – أنه لا داعى لهذا الحذف والتقدير ما دامت (من) بمعنـــى (بعــض) لأنهــا تــصلح مفعولا به وعليه يستغنى النص عن ذاك الحذف والتقدير. والمعنى: أن الإطعام يكون بعض الإطعام الوسط الذى تطعمونه أهليكم.

و "الإطعــام يقــع فى كل ما يُطْعم حتى قال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ ﴾ ٢٤٩ البقرة وقال عليه السلام فى زمزم: إنها طَعام طُعْمٍ وشِفاءُ سَقْمٍ وعيب خالد بن عبد الله القسرى بقوله: أطعمونى ماء ... وذلك عندنا ليس بعيب لما ذكرناه"(٣).

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٠.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٢٦ والبحر المحيط ٤/ ١٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٤١١.

ومع هذا أرى أن التعبير الدقيق هو ما استعمله القرآن الكريم مصداقا لقوله: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾ ٧٩ الشعراء وقوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ . لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ . فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ . فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ . فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ ٥١: ٥٥ الواقعة. وقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا . يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا . وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ ٥: ٩ الإنسان.

ومن البدهى أنه لا يجوز إطعام الماء فى الكفارة.

٤٧- طاع: وذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ ٢٤ الإنسان. أى لا تطع بعضهم حالة كونه آثما أو كفوراً. وقد وضح الزمخشرى معنى (من) هنا مبينا سر التعبير بها حيث قال: "فإن قلت: معنى (أو): ولا تطع أحدهما فهلا جئ بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا؟ قلت: لو قيل: ولا تطعهما جاز أن يطيع أحدهما. وإذا قيل: لا تطع أحدهما علم أن الناهى عن طاعة أحدهما عن طاعتهما جميعا أنهى. كما إذا نهى أن يقول لأبويه: أف علم أنه منهى عن ضربهما على طريق الأولى"(١).

ولا يخفى على ذى بصر وبصيره أن (من) هى التى تدل على (أحد) لانهما معاً يدلان على معنى (بعض) كما حققنا ذلك.

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٣٩.

وهــذا الــذى ذكــره الزمخشرى أدق مما ذكره الشيخ المغربى حيث يقول: "و(أو) بعد الجحد تكون بمعنى الواو فالمعنى: ولا تطع منهم آثما ولا كفورا"(١).

وإنما قررت ذلك لأن نص الآية ليس فيه (ولا) وإنما الذى أوحى به هو (أو كفــورا). والذى لا يختلف فيه اثنان أن المعنى لابد أن يكون نابعا من النص دون دعوى حذف أو زيادة.

٤٨- ظلــــم:

فى قــوله تعالــى: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ﴾ ٣٣ الكهف.

قال الراغب: "والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء: وضع الشئ فى غير موضــعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة ... ثم قال: "ولم تظلم منه شيئا" أى لم تنقص"(٢).

فمعنى الآية لم تنقص بعض أُكُلِها. ثم بيَّن هذا البعض بــ (شيئا) والمراد به أقلُّــه. فالمقــام هــنا مقام أقل مقدار. وكلمة (شئ) فى اللغة هى أعم كلمة إطلاقا واستعمالا فهى تُطْلَق على أى كائن حيا كان أو غيره. كما تستعمل فى أكثر الكثير وأقل القليل.

٤٩- عطـــا:

وذلــك فى قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ ٥٨ التوبة.

---

(١) تفسير جزء تبارك ص ١٢٣.

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص ٣١٥، ٣١٦. وانظر القاموس ٤/ ١٤٥: ١٤٦.

من البدهى لدى دارسى اللغة أن (أعطى) تنصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر فيقال: أعطى الأستاذ التلميذ الكتاب. وإذا بنى هذا الفعل للمفعول رفع المفعول الأول وظل الثانى منصوبا فيقال: أُعْطِى التلميذُ الكتاب.

وعلى هذا جاء نظم الآية (فإن أعطوا منها) فالواو نائب فاعل وكان أصلها المفعول الأول. و (منها) أى بعضها مفعول ثان. وكذا فى (وإن لم يعطوا منها).

ومن الإيجاز حذف (شيئا) هنا للعلم به مما سبق ذكره.

ومما يجدر التنبيه إليه أن فى الفعلين حذفا للامهما. وأصل الأول: (أعطيوا) ومن المقرر أن الضم ثقيل على الياء - ولغتنا لغة اليسر - فحذف هذا الضم ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع واو الجمع. ثم ضمت الطاء فصار (أعطوا). والذوق السليم يدرك مدى الخفة التى حدثت فى نطق الكلمة. وأما (لم يعطوا) فأصله (يُعْطَوُوا) تحركت الواو الأولى وفتح ما قبلها فقلبت ألفا فصارت الكلمة (يعطاوا) فحذفت الألف لالتقاء الساكنين فصارت (يعطوا) وليس بعد ذلك تسهيل وتيسير فى نطق الكلمة.

وإنما نبهت على ذلك لأن هناك من يزعم أننا لسنا بحاجة إلى دراسة (الإعلال والإبدال) فى اللغة العربية. فأردت بهذا أن ألفت الأذهان إلى قيمة دراسة هذا الباب لأنه يضع أفهامنا وأقلامنا وأذواقنا على عظمة اللغة العربية التى وردت إلينا وخاصة: القرآن الكريم.

٥٠- علم:

فى ست آيات هى: ﴿ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ ٢٥١ البقرة. و ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ ٦ يوسف.﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ ٢١ يوسف ﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾ ١٠١ يوسف. ﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن

تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ ٦٦ الكهف ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ﴾ ٩ الجاثية.

والآية الأولى فى حق داود عليه السلام وأولها: "فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء".

ومما يلحظ هنا التعبير بـــ (الملك) و (الحكمة) دون (من) ثم وردت مع العلم.

ممـــا جعل المفسرين وعلى رأسهم الزمخشرى يقولون: "وآتاه الله الملك فى مـــشارق الأرض المقدســـة ومغاربها. وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود. والحكمة: النبوة. و (علمه مما يشاء) من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك"[1].

ومـــا هذه الإشارة إلا لأن العلم لا يستطيع أحد من البشر أن يلم به أو يحيط بأطرافه وكيف !! والله يقول: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ٨٥ الإسراء.

وعليك أن تتأمل (من العلم) أى بعضه ثم تتعمق فى التأمل عند قوله (إلا قليلا) لأن هذا استثناء من (بعض العلم) فما يحدث للبشر منه قليل من بعضه لا من كله. وبهذا لا ينبغى لأحد أن يغتر بما يطالعه أو يسمعه من علم هذا القرن العشرين. فهو قليل مـــن قلـــيل. بل أقل القليل من القليل ومن ثم ندرك دقة التعبير فى (مما يشاء) أى بعض ما يشاؤه الله عز وجل لا ما يشاؤه داود.

ولمـــا آيـــات سورة يوسف عليه السلام فهى فى حقه، فالأولى من قول أبيه يعقـــوب "وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث. والأحاديث هى: الرؤى المنامـــية مفـــردها: الرؤيا فى الآية السابقة وهى: "يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك" فهى مثل الدنيا والدنا. والعليا والعلى..

---

(١) الكشاف ١/ ٢٢٥.

قـال الزمخـشرى: "والأحاديث الرؤيا لأن الرؤيا أما حديث نفس أو مَلَك أو شيطان. وتأويلها: عبارتها وتفسيرها. وكان يوسف عليه السلام أعبر الناس للرؤيا وأصحهم عبارة لها ... "[1].

والآيـة الثانية خبر من الله فى حق يوسف حيث يقول: "وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث" فهذه الآية تحقيق لأمل يعقوب أن يُعَلِّمَ الله يوسفَ من تأويل الأحاديث.

ثم جاءت الثالثة لتعلن اعتراف يوسف بفضل الله عليه حيث علمه ذلك: "رب قد آتينى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنتَ ولِيِّ فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين".

وبهذا نرى أن هذه الآيات الثلاث يجمعها خيط فى نظام واحد: أمل ثم تحقيقه ثم الاعتراف لله بفضله على هذا التحقيق.

ولا يغـيب عـنا قـيمة التعبير بـ (من) فى (من تأويل الأحاديث) لأن هذا الـتأويل علـم. ولا يستطيع بشر ولو كان نبيا أن يناله كله. كما لا يستطيع أحد أن يستولى على الملك كله ولذا قال يوسف: "آتيتنى من الملك. أى بعضه.

فـ (من) مفعول ثان لأنها بمعنى (بعض) قال الزمخشرى: "من: للتبعيض لأنه لم يؤت إلا بعض التأويل"[2].

وأما الآية الخامسة "هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا" فهى من قول موسـى علـيه السلام للعبد الصالح وهو يرجوه أن يمكنه حتى يحصل على بعض علمه الذى علّمه الله إياه. و (رشدا) حال.

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٤٧.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٩٤.

وأمــا آية الجاثية: "وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا" فهى فى حق الأفاك الأثــيم الذى ذُكِرَ فى آية سابقة. و (من) بمعنى (بعض) أى بعض آياتنا. و (شيئا) بيان لذاك البعض. وقد عرفنا أنه يفيد قلة العلم.

هذا: ومما ينبغى الالتفات إليه أن (من) فى الآيات الخمس السابقة مفعول ثان لأن (علّــم) بتــشديد اللام تنصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر أما فى الآية السادسة فهى مفعول به لــ (علم) بفتح العين وكسر اللام فهو لا ينصب إلا مفعولا واحدا.

٥١- عمــــل:

فى ثلاث آيات هى:﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ ١٢٤ النساء،﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾١١٢ طه، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾ ٩٤ الأنبياء.

قــال ابــن عطية: "دخلت (من) للتبعيض إذ (الصالحات) على الكمال مما لا يطــيقه البــشر. ففى هذا رفق بالعباد. لكن فى هذا البعض الفرائض وما أمكن من المندوب إليه. ثم قيد الأمر بالإيمان إذ لا ينفع عمل دونه.

وحكى الطبرى عن قوم أن (من) زائدة وضعفه كما هو ضعيف"(١).

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ١١٦: ١١٧.

وعلى هذا تكون (من) اسما وهى المفعول به. فالآية غنية مستغنية عن المزاعم الواهية. ومن هذه المزاعم دعوى زيادة (من). التى أشار إليها ابن عطيه.

وقال أبو البقاء: "من: زائدة عند الأخفش وصفة للمفعول المحذوف عند سيبويه[1] ونقل أبو حيان عن الطبرى قوله: وزيادة (من) فى الشرط ضعيف ولا سيما وبعدها معرفة"[2].

والصواب أن الزيادة مردودة بل القول بها محال فى كلام الله بل فى اللغة العربية عموما.

أما ما نسبه أبو البقاء إلى سيبويه من أن المفعول محذوف فقد عرفنا – إن لم نكن تحققنا – أنه باطل لأن نص القرآن لا يحتاج إلى ما يكمله.. وقد أشار البيضاوى إلى هذا التقدير مع اعترافه ببعضية (من) ونص عبارته: "من الصالحات: بعضها أو شيئا منها فإن كل أحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها"[3].

ولا شك أن الأول هو السديد الرشيد.

٥٢- غدر:

فى قوله تعالى:﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ ٤٧ الكهف.

تدور معانى صيغ هذه المادة حول الترك. ومن ذلك (الغدر) فهو نقض العهد وترك الوفاء به يقال: غدر يغدر غدرا... ويقال: رجل ثَبْتُ الغدر... أى أنه لا يبالى أن يسلك الموضع الصعب الذى غادره الناس من صعوبته[4].

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١١٠.

(٢) البحر المحيط ٣/ ٣٥٦.

(٣) تفسير البيضاوى ٣/ ١٨١.

(٤) انظر معجم مقاييس اللغة ٤/ ٤١٣: ٤١٤.

فـــ (مــن) فـــى الآية مفعول (نغادر) أى لم نترك بعضهم. ثم بَيَّنَّ ذلك بـــ (أحدا) أى ولو فردا واحدا.

٥٣- غض

وذلــك فى ثلاث آيات هى:﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾ ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ﴾ ٣٠، ٣١ النور.﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ﴾ ١٩ لقمان.

قـــال الزمخـــشرى: : مـــن: للتبعـــيض. والمـــراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحلّ.

وجوز الأخفش أن تكون مزيدة وأباه سيبويه"[١].

وقال ابن عطية: "أظهر ما فى (من) أن تكون للتبعيض. وذلك أن أول نظرة لا يملكهـــا الإنسان وإنما يغض فيما بعد ذلك فقد وقع التبعيض ... ويصح أن تكون (من) لبيان الجنس ويصح أن تكون لابتداء الغاية"[٢].

وذكـــر الثعالبى ما يشير إلى أن (من) زائدة ونصه: "من: للتبعيض والمراد يغضوا أبصارهم كلها"[٣].

ولايخفى ما فى القول بزيادة (من) من دعوى زائفة. كما لا يخفى ما فى قول الثعالبى من تناقض إذ كيف تكون (من) للتبعيض ثم يكون الغض للأبصار كلها؟؟

وأما قول ابن عطيه إنها لبيان الجنس – وقد ذكره أبو البقاء العكبرى – فقد ردَّه أبـــو حيان بأنه "لم يتقدم مبهم فتكون (من) لبيان الجنس. على أن الصحيح أن

---

(١) الكشاف ٣/ ١٨٠.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٧٧.

(٣) فقه اللغة ص ٥٧٤.

(مــن) ليس من موضوعاتها أن تكون لبيان الجنس. ثم ذكر أن ابن عطية أجاز أن تكون ابتدائية أيضا[١].

وأرى أنـــه لا معنـــى لكـــونها ابتدائية إذ للبصر كل وبعض فمعنى البعضية واضح بلا خفاء فكان ينبغى أن يتفق عليه العلماء.

هذا كله عن آيتى النور. أما آية لقمان فيرى الأخفش زيادة (من) فيها كما هو مـــشهور عنه. وقال السمين: "ويؤيده قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ ٣ الحجرات[٢].

والقياس مع الفارق إذ مقام الرسول غير مقام غيره فينبغى إخفات الأصوات كلهـــا عنده وفى مقامه حتى يكون الحديث كأنه نجـــوى. ومـــا ذلك بشأن غيـــره من البشر.

ويـــرى أبـــو البقاء كعادته أن المفعول فى آية لقمان مقدر أى اكسر شيئا من صـــوتك" وقـــد عـــرفنا ما فيه من دعوى احتياج النص القرآنى إلى غيره وهذا لا ضـــرورة إليه هنا. ومن ثم قال الزمخشرى: "وانقص منه واقصر من قولك: فلان يغض من فلان إذا قصر به ووضع منه"[٣].

وهذا واضح فى معنى البعضية فـــ (من) هى المفعول به.

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٤٤٣: ٤٤٤. وانظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٨١.

(٢) انظر حاشية الجمل ٣/ ٤٠٦.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٩٣.

٥٤- غفـــر:

وذلـك فـي ثلاث آيات هي: ﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ ١٠ إبراهيم ﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ ٣١ الأحقـاف. ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ.يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ ٣، ٤ نوح.

وفى هذه الآيات عدة آراء نبدأ بذكر المردود منها:

(أ) أنهـا لابتـــداء الغاية ذكره أبو حيان[١] وواضح أنه لا معنى لابتداء المغفرة من الذنوب.

(ب) أنها زائدة على رأى الأخفش وقد عرفنا أنه مردود لا محالة.

(ج) أنهـا للـبدل قال أبو البقاء: "وقال بعضهم (مِنْ): للبدل أى ليغفر لكم بدلا من عقـــوبة ذنوبكـم كقـوله ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ٣٨ التوبة[٢].

ومعنـــى الـبدل ليس متفقا عليه إذ معنى البعضية أوضح منه وأهدى سبيلا وأقوم قيلا وأقوى دليلا. وقد عرفنا – غير مرة – أن متاع الدنيا فى الآخرة قليل أى أنه بعضه.

(د) أنها لبيان الجنس ذكره النسفى[٣]. ورده أبو حيان بأنه ليس قبلها ما تبينه"[٤].

(هـ) أن (غفر) مضمنة معنى (خلّص) أى يخلصكم من ذنوبكم قاله الكرخى.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٣٨.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٣٦.

(٣) مدارك التنزيل ٤/ ٢٨٢.

(٤) البحر المحيط ٨/ ٣٣٨.

وعلق عليه الجمل قائلا: "ويكون مقتضاه غفران جميع الذنوب وهو أولى من دعوى زيادتها"[١].

ومـع هـذا أرى أنـه غيـر واضح بل غير لائق إذ ما العلاقة بين (غفر) وأخلص؟ لا علاقة.

ويـرى الشيخ المغربى أن (غفر) مضمن معنى(حلّ) والمعنى أن الله يغفر لقوم نوح إذا أطاعوه جاعلا لهم فى حل من ذنوبهم التى كانوا ارتكبوها"[٢].

وهذا أيضا مردود لأن دعوى التضمين زائفة فهى ظن وتخمين لا يقوم عليه يقين. كما أثبتنا ذلك فى الباب الأول.

(و) ويرى أبو البقاء أن المفعول محذوف والتقدير: ليغفر لكم شيئا من ذنوبكم"[٣].

وقـد عرفت ما فيه من تكدير لا يليق بصفاء اللغة على وجه العموم والقرآن على وجه الخصوص.

فهـذه الأوجـه كلها يؤخذ عليها ما ينقضها ويردها. ويبقى الوجه الذى يليق بالنص وهو:

أن (من) بمعنى (بعض). فهى المفعول به واقتصر عليه الخضرى حيث قال: "من: تبعيضية فهى بمعنى بعض مفعول به و (ذنوبكم) مضاف إليه"[٤].

وهذا صريح فى اسمية (من) وجعلها مفعولا. وقد ذكره الزمخشرى أيضا ثم وجهه بأمرين:

---

(١) حاشية الجمل ٢/ ٦١٦.

(٢) تفسير جزء تبارك ص ٥٥.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٣٦.

(٤) حاشية الخضرى على ابن عقيل ص ٣٥٧.

(أحـــدهما): أنـــه ما جاء هكذا - يعنى بـــ (من) - إلا فى خطاب الكافرين. وهو فى هذه الآيات الثلاث. وقال فى خطاب المؤمنين﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ ٣١ آل عمـــران، ١٧١ الأحـــزاب، ١٢ الصف. وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء. وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين فى الميعاد.

(الثانـــى): أنـــه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها"[1].

ويرى أبو حيان أن التبعيض لأن الإسلام يجب ما قبله. ويبقى ما يستأنف بعد الإيمان من الذنوب مسكوتا عنه فهو فى المشيئة والوعد.

ولم يرتض التفرقة فى الخطاب بين المؤمن والكافر. فقال: ما فائدة الفرق فى الخطاب والمعنى مشترك إذ الكافر إذا آمن والمؤمن إذا تاب مشتركان فى الغفران. وما تَخَيَّلْتَ فيـــه مغفرة بعض الذنوب فى الكافر الذى آمن هو موجود فى المؤمن الذى تاب.

ثـــم ذكر قول أبى عبد الله الرازى: "أما قول صاحب الكشاف: المراد تمييز خطاب المؤمن من خطاب الكافر فهو من باب الطامات لأن هذا التبعيض إن حصل فلا حاجة إلى ذكر هذا الجواب. وإن لم يحصل كان هذا الكلام فاسدا"[2].

والذى يطمئن به القلب وترتاح إليه النفس أن الله خبير بعباده بصير بأحوالهم فهو الذى يعلم سرهم ونجواهم فمنهم من يستحق مغفرة الذنوب جميعا كما فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ٥٣ الزمر.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٢٣، ٤/ ٢٤٨.

(٢) البحر المحيط ٥/ ٤٠٩، ٤١٠.

ومنهم من لا يستحق ذلك فهو يغفر بعض ذنوبهم. والله يفعل ما يريد وصدق الله إذ يقول: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ . إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ . وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ . ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ . فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ ١٢: ١٦ البروج.

٥٥- فتـــى:

فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ ٢٢ الكهف فـ (من) بمعنى (بعض) مفعول به و (أحدا) بيان لها.

٥٦- فجــر:

فى آيتين هما قوله تعالى: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ ٩٠ الإسراء وقوله: ﴿ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾ ٣٤ يس.

ومما ينبغى التنبه إليه أن (تفجر) فى الأولى من الثلاثى (فجر) و (فجر) فى الثانـية مــن المضعف وقد ورد المضارع منه فى قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴾ ٩١ الإســـراء. والماضى فى قوله: ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ ١٢ القمر.

ومــن دقـة التعبير ما نراه من أن الفعل الثلاثى نصب (مِنْ) مفعولا به أى بعــض الأرض. ثــم بــين بـــ (ينبوعا) وهو مفرد لا جمع. أما الفعل المضعف فأضيفت فيه (مِنْ) إلى (العيون) وهى جمع. ففيه من التناسق ما لا يخفى على ذى عقل وبصيرة.

ومثل ذلك قوله (فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا) وقوله (وفجرنا الأرض عيونا).

قال الزمخشرى فى الأولى: "ومعنى (تفجر) تفتح و (من الأرض) أى أرض مكة و (ينبوعا) عينا غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع (مفعول) من نبع الماء كـ (يعبوب) من: عبَّ الماء"[١].

وبأدنى موازنة ندرك الفرق بين الآيات الثلاث أى آية الإسراء وآية يس وآية القمر. ففى الأولى يطلب أهل مكة من الرسول محمد ﷺ أن يجعل بعض الأرض ينبوعا وهذا أدنى ما يريدون التحدى به إذ المتحدى يطلب من خصمه أدنى شئ فإذا عجز عنه كان عن سواه أعجز.

وفى الثانية امتنان من الله على البشر فيناسبه تضعيف وتكثير المفعول مع ملاحظة الضبط بـ (من) لأنه لو لم تذكر (من) لكانت الأرض كلها عيونا فتصير النعمة نقمة. وهذا محال.

وفى الثالثة عقاب لقوم نوح بالطوفان فلا يناسبه (من) بل جعل الله الأرض كلها عيونا قال الزمخشرى: "وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك: وفجرنا عيون الأرض. ونظيره فى النظم ﴿ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾ ٤ مريم[٢].

ويعنى الزمخشرى بالنظم جعل الأرض مفجرة و (عيونا) تمييزا محولا عن المفعول وكذا الرأس يعمها الشيب ولكنه جعل تمييزا محولا عن الفاعل.

وربما يقال: إن القرآن ذكر الفعل المضعف مع عين واحدة فى قوله تعالى: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴾ ٦ الإنسان.

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٤٠: ٥٤١.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٤٥.

وأقـــول: إن هذا التضعيف للتكرار لا للكثرة أى أن هذه العين لا تنضُب بل كلما شرب منها الأبرار تكرر الماء فيها وما الكثرة إلا تكرار الشئ.

٥٧ - فضـــــل:

فى قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ . وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ﴾ ٨٦: ٨٧ الأنعام.

أغلـــب مـــا اطلعنا عليه من مراجع تجعل (من) تبعيضية أى بمعنى (بعض) فهـــى اســـم مفعول به. فقد قاله الزمخشرى وأبو حيان والرازى وابن عطية وأبو السعود فى أحد قوليه والسيوطى.

وفى المعطوف عليه وجهان (أحدهما) أنه (كلاًّ) قال الزمخشرى: "ومن آبائهم فى موضع نصب عطف على (كلاًّ) بمعنى: وفضلنا بعض آبائهم"(١).

وقال ابن عطيه: "ومن آبائهم: والمعنى وهدينا من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم جماعـــات فـــــ (مـــن) للتبعـــيض. والمـــــراد: من آمن منهم نبيا كـــان أو غير نبى........"(٢).

ومقتضى هذا أن (من آبائهم) معطوف على (ونوحا هدينا من قبل) فى الآية رقـــم ٨٤ ولذا قال السيوطى: "و (من آبائهم) عطف على (كلاًّ) أو (نوحا) و (من) للتبعيض لأن بعضهم لم يكن له ولد وبعضهم كان فى ولده كافر" وعلق عليه الجمل قـــائلا: "عطفا على (كلاًّ) أى فالعالم فيه (فضلنا) أو (نوحا) أى فالعامل فيه (هدينا) وقوله (من: للتبعيض) أى على كل من العطفين.

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٣.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٣١٨.

وظاهره أن التبعيض يعتبر فى كل من الآباء والذرية والإخوان. والظاهر أنه لا يحتاج إليه فى الأخير لأن إخوانهم كلهم مهديون"[1].

والـــذى أراه أن المعطوف عليه هو (وكلا فضلنا على العالمين) إذ لا فاصل بـــين المعطوف والمعطوف عليه. أما فى عطفه على (نوحا) فالفاصل موجود ومما يترتب على ذلك عدم احتياجنا إلى ما ذكره الجمل من أننا لسنا محتاجين إلى معنى (بعـــض) فـــى (إخوانهم) إذ التفضيل غير الهداية فيمكن تفضيل بعض الرسل على بعـــض ومصداق ذلك قوله تعالى:﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ٢٥٣ البقرة.

هـــذا: وهـــناك وجه آخر ذكره أبو السعود فى معنى (من) وهو أنها لابتداء الغايـــة والمفعـــول محـــذوف أى: وهدينا من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم جمـــاعات كثيرة"[2].

والمـــشابهة بين هذا النص ونص ابن عطية واضحة غير أن ابن عطية جعل (مِـــنْ) بمعنى (بعض). فأختلف نص أبى السعود عنه وإن اتفق فى أنه جعل (من) معطوفة على مفعول (هدينا) وقد عرفنا ما فيه. ولعل أبا السعود قد غره تعبير ابن عطـــيه (جماعات كثيرة). ولكنه يعنى بذلك تفسير (من). فتقدير أبى السعود مفعولا غير دقيق إذ الآية فى أعلى درجات الاستغناء عنه.

٥٨ – فعـــل:

فـــى قوله تعالى:﴿ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ﴾ ٤٠ الـــروم سبق الكلام فى آيات (من) الواقعة مبتدأ عن (من) الأولى وخبرها (من

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٦٩: ٧٠.

(٢) إرشاد العقل السليم ٤/ ٣٦٧.

يفعل) وأما (من ذلكم من شئ) فـ (من ذكرت مرتين وهى فى محل نصب مفعولا به فى المرة الأولى وبيانا أى عطف بيان فى المرة الثانية. والمعنى: أن الآية تنفى عن شركائهم فعل أدنى شئ مما سبق ذكره وهو الخَلْق والرِّزق والإماته والإحياء. وإذا انتفى فعلهم للأدنى لزم – من باب أولى – نفيه للأعلى.

فـ (من) فى (من ذلكم) لا يزعم زيادتها فهى من باب المفعول به وأما فى (من شئ) فيتوهم بعضهم أنها زائدة. وعلى هذا سنذكر هذه الآية فى فصل (من) المزعوم زيادتها.

٥٩ - فـــاض:

فى آية واحدة وهى قوله تعالى:﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ ﴾ ٥٠ الأعراف.

ومعنـى (أفـاض) دفع الشئ بشدة ومنه قـوله تعالـى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ. ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ ١٩٨: ١٩٩ البقرة. قال الزمخشرى: " فإذا أفضتم من عرفات: دفعتم بكثرة وهو من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة وأصله: فإذا أفضتم أنفسكم. فترك ذكر المفعول كما ترك فى: دفعوا من موضع كذا وصبّوا"(١).

وبهذا يثبت نصب (أفاض) المفعول وهو (من الماء أو مما رزقكم الله) بعضه أى بعض ما رزقكم الله من غير الله من الأشربة لدخوله فى حكم الإفاضة.

---

(١) الكشاف ١/ ١٨٥.

ويجوز أن يراد أو أَلْقُوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله:

"علفتها تبناً وماء باردا"(١).

هــذا ما ذكره الزمخشرى ومقتضاه أن (مما رزقكم الله) مفعول لفعل يدركه العقــل ويحــدد نوعه كما ذكره الزمخشرى (ألقوا بعض الطعام). كما يدرك العقل الفعل الناصب لــ (ماء باردا) وهو (سقيتها).

ومعنى هذا أنه لا تضمين فى الفعل (أفيضوا) أو (علفتها) بل تقدير العقل ما يناسب المقام هو الذى يليق بجلال النص القرآنى وإيجازه. ومن ثَم فلسنا فى حاجة إلى قول أبى حيان: "وهما مذهبان للنحاة فيما عطف على شئ بحرف عطف والفعل لا يصل إليه. والصحيح منهما التضمين لا الإضمار"(٢).

فلــسنا فى حاجة إلى التضمين لأنه محل خلاف بين العلماء ولا ضرورة إلى فرضــه على كلمات القرآن. بل إنى أقول: إن النص فى غنى عن تقدير عامل لأن (أفاض) معناه الدفع قال المجد: "أفاض الماء على نفسه أفرغه. والناس من عرفات دفعوا أو رجعوا وتفرقوا وأسرعوا منها إلى مكان آخر وكل دفعة إفاضة"(٣).

فالمعنى: ادفعوا إلينا بعض الماء وبعض ما رزقكم الله من غيره.

٦٠ - قبــــس:

فى قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ ١٣ الحديد.

ذكــر ابــن فارس أن القاف والباء والسين أصل صحيح يدل على صفة من صفات النار ثم يستعار. من ذلك القبس: شعلة النار قال الله تعالى فى قصة موسى

---

(١) الكشاف ٢/ ٨٥.

(٢) البحر المحيط ٤/ ٣٠٥.

(٣) القاموس ٢/ ٣٤١. وانظر إصلاح المنطق لابن السكيت ص ٢٦٤.

عليه السلام ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ ﴾ ١٠ طه. ويقولون: أقبست الرجل علما. وقبسته نارا.

قال ابن دريد: قبست من فلان نارا. وأقتبست منه علما. وأقبسني قبسا"[١].

وواضح أن (من) في آية الحديد بمعنى (بعض) ومعنى (انظرونا) أمهلونا نقتبس بعض نوركم.

فقد ذكر ابن فارس أن النون والظاء والراء أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمل الشئ ومعاينته... [٢].

ولا شك أن التأمل والمعاينة فيهما تمهلٍ وتأنٍّ. ومن ثم قال إبليس لربه: ﴿ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ .قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴾ ١٤: ١٥ الأعراف.

٦١- قتـــل:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴾ ٣٣ القصص وهذا من كلام موسى عليه السلام فـ (منهم) أي بعضهم وهو المفعول به و (نفسا) بيان لها فالمراد أنه قتل فردا. وكلمة (من) تشمل الواحد فما أكثر.

٦٢- قصـــر:

في قوله تعالى: ﴿ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ١٠١ النساء.

أي أن تقصروا بعضها فتصير الرباعية ثنائية وهي: الظهر والعصر والعشاء. قال الرازي: "من: في قوله (من الصلاة للتبعيض وذلك يوجب جواز

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٤٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٤٤٤.

الاقتصار على بعض الصلاة. فثبت أن تفسير القصر بإسقاط بعض الركعات أولى من تفسيره بالإماء والإشارة"[١].

وقال أبو السعود: "فليس عليكم جناح أن تقصروا بعض الصلاة"[٢].

وبذلك يتبين أننا لسنا فى حاجة إلى دعوى زيادة (من) كما هو مذهب الأخفش ولا دعوى تقدير مفعول قبلها أى شيئا من الصلاة كما ذكره أبو البقاء ونسبه إلى سيبويه[٣].

٦٣- قص:

فى آيتين هما قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ﴾ ١٠١ الأعراف وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ ٩٩ طه.

قال الزمخشرى فى الأولى: "تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك"[٤].

وذكر أبو السعود هذا المعنى فى الثانية. ولم يكتف به بل جوَّز أن يكون المفعول مقدرا أى بعضا كائنا من أنباء ما قد سبق"[٥].

ولست أدرى ما وجه احتياج الآية إلى ما ذكره؟ مع أنه قد ذكر ما يثبت الاستغناء عنه؟؟!

---

(١) من مفاتيح الغيب ٣/ ٣٠٩.

(٢) إرشاد العقل السليم ٣/ ٣٩٣ هامش الرازى.

(٣) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٠٨.

(٤) الكشاف ٢/ ١٠٦: ١٠٧ وانظر البحر المحيط ٤/ ٣٥٢.

(٥) إرشاد العقل السليم ٣/ ٣٢٣.

٦٤- قطـــع:

فى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ ٤٦ الحاقة.

قـــال ابن سيده: "الوتين عرق لاصق بالقلب من باطنه أجمع يسقى العروق كلها الدم ويسقى اللحم وهو نهر الجسد.

وقال غيره: هو نياط القلب وهو حبل الوريد إذا قطع مات صاحبه"(١).

وواضح أن الهاء فى (منه) للنبى ﷺ. والوتين بعضه فـــ (من) هى المفعول و (الوتين) بيان له.

وقــد سـبق قوله تعالى: ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾ ٤٥ الحاقة أى بعضه.

والظاهر أن المراد اللسان. فتكون الآيتان تهديد ووعيد للنبى ﷺ. لو كذب على الله لقطـــع لسانه ووتينه. لأنهما أداتا الكذب فالكاذب يُعْمِل فِكْرَه وقلبه ثم ينطق بلسانه فالتهديد منصب على أداتى الكذب والافتراء والبهتان.

فكل أداة تأخذ نصيبا من التهديد. ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ ٢٨٣ البقـــرة. وفيه يقول الزمخشرى: "فإن قلتَ: هلا اقتصر على قوله (فإنه آثم)؟ وما فائدة ذكر القلب. والجملة هى الآثمة لا القلب وحده؟

قلـــت: كتمان الشهادة: أن يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان إثما مقترفا بالقلب أســند إلـــيه. لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التى يعمل بها أبلغ. ألا تراك تقول إذا أردت التوكيد: هذا مما أبصرته عينى ومما سمعته أذنى ومما عرفه قلبى. لئلا يظن أن كـــتمان الـــشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط. وليعلم أن القلب أصل متعلَّقه ومعدن احترافه. واللسان ترجمان عنه"(٢).

---

(١) تفسير جزء تبارك ص ٤٤.

(٢) الكشاف ١/ ٢٥٢.

٦٥- قـــال:

فى قوله تعالى: ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ ٨٨ الكهف.

قـــال الزمخـــشرى: "أى لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخَراج وغير ذلك. وتقديره: ذا يسر كقوله: "قولا ميسورا"[١] وهذا جزء آية هـــــى: ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ ٢٨ الإسراء.

فمعنى الآية سنبلغه بعض أوامرنا. ثم بين هذا البعض بأنه (يسرا) لا (عسرا) ففيه معنى قوله تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ٢٨٦ البقرة.

وإنما قلنا (سنبلغه) لأن اللام بعد (قال) ومتصرفاته معناه التبليغ.

٦٦- كـــتب:

فـــى قـــوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ ١٤٥ الأعراف.

قـــال الزمخـــشرى: "من كل شئ: فى محل نصب مفعول (كتبنا) و (موعظة وتفـــصيلا) بدل منه. والمعنى كتبنا له كل شئ كان بنو إسرائيل محتاجين إليه فى دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام"[٢].

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٨٢.

(٢) الكشاف ٢/ ١٢٤.

وقـد ذكر البيضاوى هذه العبارة. وعلق عليها الشهاب قائلا: قوله (بدل) لو جعلت (من) تبعيضية. لأن كل شئ من المواعظ بعض كل شئ على الإطلاق اتجه وسـلم من زيادة (من) فى الإثبات. إلا أن قوله (كتبنا له كل شئ) يشعر بأن (من) مزيدة لا تبعيضية"[١].

فالـشهاب يصرف النظر عن نص الآية (من كل شئ) إلى تعبير الزمخشرى (كـل شئ) بدون (من). ولست أدرى مسوغا لهذا؟ وإنما الذى أدريه هو: أنه كان ينبغى للشهاب أن يرد تعبير الزمخشرى بنص الآية إذ كيف يقول الله (من كل شئ) ثم يجرؤ أى بشر أن يزعم أنه (كل شئ).

وهـناك من يرى أن (موعظة) هى المفعول و (من كل شئ) حال إذ هو فى الأصل كان صفة فلما قدم صار حالا[٢].

وما النص بحاجة إلى هذا لأنه مجرد زعم ووَهَم لا تحقيق فيه ولا حقيقة له ومن ثم رده الشهاب قائلا: "لم نجعل (من) ابتدائية حالا من (موعظة) و (موعظة) مفعول به لأنه ليس له كبير معنى"[٣].

ومـن العجـيب قـول أبـى حيان: "يحتمل أن يكون مفعول (كتبنا) موضع المجرور كما تقول: أكلت من الرغيف و (من) للتبعيض أى كتبنا له أشياء من كل شـئ. وانتصب (موعظة وتفصيلا) على المفعول من أجله أى كتبنا له تلك الأشياء للاتعاظ والتفصيل لأحكامهم"[٤].

وإنمـا نتعجب من ذلك لأن فيه تقدير شئ لا حاجة بالنص إليه. كما أن فيه جعل (من) البعضية حرفا وهذا لم يَعُدْ له مكان فى كتب النحو بعد ما حققناه. ثم إنه

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوى ٤/ ٢١٦.

(٢) انظر البحر المحيط ٤/ ٣٨٧.

(٣) حاشية الشهاب ٤/ ٢١٦.

(٤) البحر المحيط ٤/ ٣٨٧: ٣٨٨.

قد غفل عن أن ما قدره موصوف ونسى أن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه قبـيح أو أقـبح منه. وأخيرا فيه جعل (موعظة و تفصيلا) مفعول لأجله وقد رده الشهاب الخفاجي بقوله: "ولم نجعل (موعظة) مفعولا له – وإن استوفى شرائطه – لأن الظاهـر عطف (تفصيلا) على (موعظة). . وظاهر أنه لا معنى لقولك: كتبنا من كل شئ لتفصيل كل شئ.

أما جعله عطفا على محل الجار والمجرور فبعيد من جهة اللفظ والمعنى"[(١)].

ويرى الطيبي أن (من) تبعيض و (موعظة) وحدها بدل. و (تفصيل كل شئ) معطـوف علـى (مـن) والمعنى: كتبنا بعض كل شئ فى الألواح من نحو السُّوَر والآيـات وغيرهما موعظة. وكتبنا فيها تفصيل كل شئ يحتاجون إليه من الحلال والحرام ونحو ذلك"[(٢)].

فالمكتوب (بعض كل شئ) وهو موعظة. و (تفصيل كل شئ). وهذا – وإن كـان سـائغا فى المعنى – لا يبلغ مبلغ ما قاله الزمخشرى من الدقة والإيجاز ولذا أُرَجِّحُ ما قاله الزمخشرى. غير أنى لا يفوتنى أن ألفت ذهن القارئ إلى أنه لا فرق بـين جعـل (موعظة وتفصيلا) بدلا وجعله عطف بيان لما حققنا من أنه لا فرق بينهما كما نص عليه سيبويه ووضحه الرضى.

٦٧ – كثـــر:

فـى آيتين هما قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ ﴾ ١٢٨ الأنعام.

وقـــوله: ﴿ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ ﴾ ١٨٨ الأعراف.

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوى ٤/ ٢١٦.

(٢) روح المعانى ٣/ ١٢١.

ففى الآية الأولى يقول الزمخشرى: "أضللتم منهم كثيرا. أو جعلتموهم أتباعكم فحـــشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول: استكثر الأمير من الجنود واستكثر فلان من الأتباع"(١).

فالمراد بالبعض عدد غفير لا نزر يسير.

وقـــال فى الثانية وهى فى حق الرسول عليه السلام: "أى لكانت حالى خلاف مـــا هى عليه من استكثار الخير، واستغزار المنافع، واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسنى شئ منها. ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى فى الحروب"(٢).

فالمقام هنا لمعنى (بعض) لأن المستكثر لشى لا يجوزه كله.

٦٨ - كفـــــر:

فى قوله تعالى:﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ ٢٧١ البقرة.

وسياق هذه الآية يدل على أنها فى حق المؤمنين المسلمين الذين خاطبهم الله فـــى قـــوله تعالـــى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ ٢٧٠البقرة، ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ الآية٢٧١ البقرة.

و (مـــن) بمعنـــى (بعـــض) وهى المفعول أى يكفر عنكم بعض سيئاتكم قال بعض العلماء: "لأن الصدقات لا تُكَفِّر جميع السيئات" ومع هذا الوضوح فى المعنى أَبَى بعض العلماء إلا أن يقدر مفعولا أى شيئا من سيئاتكم.

---

(١) الكشاف ٢/ ٥١.

(٢) الكشاف ٢/ ١٤٥.

وهذا وجه عرفنا فساده وعدم لياقته بالنص القرآنى. وهناك وجه ثان وهو أن (من) زائدة كما يحكى عن الأخفش. وقد رده ابن عطية فى سياق كلامه حيث قال: " و (من) فى قوله (من سيئاتكم) للتبعيض المحض.

والمعنى فى ذلك متمكن. وحكى الطبرى عن فرقة أنها قالت: (من) زائدة فى هذا الموضع وذلك منهم خطأ".

ويقى وجه ثالث وهو: أن (من) للسببية أى من أجل ذنوبكم. وهذا ضعيف".

وبذلك يثبت صدق وصواب جعل (من) بمعنى (بعض) ومن ثَمَّ رأيت الرازى يرد الوجهين الأخيرين ثم يقول: "والأول أولى وهو الأصح"[(١)].

وكذا رد ابن يعيش مذهب الأخفش وذكر أن (من) للتبعيض لأن الله عز وجل وعد على عمل ليس فيه التوبة ولا اجتناب الكبائر تكفير بعض السيئات. وعلى عمل فيه توبة واجتناب الكبائر تمحيض جميع السيئات. يدل على ذلك قوله تعالى فى الآية الأخرى: "إن تبدوا الصدقات فنعما هى .... الآية" فجئ بـــ (من) هنا.

وفـــى قـــوله تعالـــى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ ٣١ النساء. لم يأت بـــ (من) لأنه سبحانه وَعَدَ باجتناب الكبائر تكفير جميـــع الـــسيئات ووَعَـدَ بإخراج الصدقة على ما حد فيها تكفير بعض السيئـــات فاعرفه"[(٢)].

٦٩ - لبـــــس:

فـــى قـــوله تعـــالـــى: ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ ٥٣ الدخان.

---

(١) انظر حاشية الجمل ١/ ٢٩٩. والمحرر الوجيز ١/ ٣٦٧ وإملاء ما من به الرحمن ١/ ٦٥ والبحر المحيط ٢/ ٣٢٦ ومن مفاتيح الغيب ٢/ ٣٦٤.

(٢) شرح المفصل ٨/ ١٢

فهم لم يلبسوا السندس والإستبرق كلها بل لبسوا بعضها. فـ (من) مفعول به و (سندس) مضاف إليه و (إستبرق) معطوف على (سندس) كما فى قولك أكلت من العيش والحلوى.

٧٠- مـد:

فى آيتين هما قوله تعالى: ﴿ كلاً نُمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك﴾ ٢٠ الإسراء وقوله:﴿ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴾ ٧٩ مريم.

ويجدر هنا التنبيه إلى أن الفعل فى الآية الأولى مضارع (أمدّ) الرباعى وغالبا ما يرد هذا الفعل فى الخير ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ . وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ١٣٢: ١٣٤ الشعراء. وقوله: ﴿ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ ٦ الإسراء. ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ ٥٥ المؤمنون و ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ ١٢٥ آل عمران و﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ ١١ نوح و﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ ١٢٤ آل عمران.

فهذه الآيات كلها نرى الفعل الرباعى مستعملا فى الخير. وأما الشر فالذى يستعمل فيه الفعل الثلاثى ومنه قوله تعالى: ﴿ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴾ ٧٩ مريم. وقوله: ﴿ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ ٧٥ مريم.

وقوله: ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ١٥ البقرة. ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ ٢٠٢ الأعراف.

ولذا قال المجد: "فى الشر مددته وفى الخير أمددته"(١).

وفى اللسان: ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ١٥ البقرة أى يُمْلى ويُلِجُّهم. قال: وكذلك مد الله له فى العذاب مدا وفى التنزيل: ﴿ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴾ ٧٩ مريم. قال: وأمده فى الغىّ لغة قليلة. وقوله تعالى: ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ﴾ ٢٠٢ الأعراف. قراءة أهل الكوفة والبصرة: يمدونهم بفتح الياء. وقرأ أهل المدينة يُمِدُّونهم بضم الياء".

وابن منظور ناقل هذا النص عن ابن سيده فهو الفاعل للفعل (قال). ثم قال ابن منظور "وقال يونس: ما كان من الخير فإنك تقول: أمددته. وما كان من الشر فهو: مددته"(٢).

وقال ابن عطية: "وقرأ جميع السبعة غير نافع (يمدونهم) من (مددت) وقرأ نافع وحده (يُمدونهم) بضم الياء من: أمددت. فقال أبو عبيدة وغيره مد الشئ إذا كانت الزيادة من جنسه. وأمده شئ آخر. قال القاضى أبو محمد: "وهذا غير مطرد. وقال الجمهور: هما بمعنى واحد إلا أن المستعمل فى المحبوب أمد فمنه قوله تعالى:﴿ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ ٥٥ المؤمنون وقوله:﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ ﴾ ٢٢ الطور. وقوله:﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ﴾ ٣٦ النمل والمستعمل فى

(١) القاموس: ٢/ ٣٣٧.

(٢) اللسان ص ٤١٥٧.

المكـــروه (مـــد) فمنه قوله﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَنِهِمْ ﴾ ١٥ البقرة[١] وخلاصة هذه النصوص أن (أمد) فى الخير أكثر وأغزر. و (مد) فى الشر على عكس ذلك.

والذى يتأمل فى آيتيهما فى القرآن يدرك أن (أن) ينصب مفعولين فـــ (من) فـــى قـــوله تعالـــى: "نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك" مفعول ثان. ولما الثلاثى فينـــصب مفعـــولا واحـــدا كما فى قوله "ونمد له من العذاب مدا" أى بعض العذاب و(مدا) مصدر.

والمفعـــول الأول فى الأولى: كُلاًّ. و (هؤلاء) بدل منه. قال الزمخشرى (كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف إليه (نمدهم) نزيدهم من عطائنا"[٢].

وقـــال أبـــو الـــبقاء: "كلاً منصوب بـــ (نمد) والتقدير: كل فريق. و (هؤلاء وهؤلاء) بدل من (كل)[٣].

وقـــال الزمخـــشرى فـــى الثانية: "نمد: إما بمعنى: نطول له من العذاب ما يستأهله.

وإمـــا بمعنـــى (نزيده من العذاب) ونضاعف له من المدد. ويقال: مده وأمده بمعنى ويدل عليه قراءة على بن طالب و (نمد) بالضم"[٤].

فعلـــى مـــا ذكـــره الزمخشرى يكون (مد) و (أمد) فى هذه الآية على قراءة الرباعى ناصبين لمفعول واحد على معنى: نطول له من العذاب. أو لمفعولين على معنى (نزيدهم من العذاب) أى بعضه.

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٤٩٣.

(٢) الكشاف ٢/ ٥١٢.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٤٧.

(٤) الكشاف ٣/ ٣١.

٧١- مســـح:

فــي آيتين هما قوله تعالى:﴿ فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُ ﴾ ٦ المائدة. وفي سورة النساء قوله تعالى:﴿ فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡ ﴾ ٤٣ بدون (من).

قــال الــزجاج: "الصعيد ليس هو التراب إنما هو وجه الأرض ترابا كان أو غيــره. ولو أن أرضا كانت كلها صخرا لا تراب عليها ثم ضرب المتيمم يده على ذلــك الــصخر لكان ذلك طهورا إذا مسح به وجهه قال الله عز وجل: ﴿ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴾ ٤٠ الكهف فأعلمك أن الصعيد يكون زلقا ... وإنما سمى صعيدا لأنهــا نهاية ما يصعد إليه من باطن الأرض. لا أعلم بين أهل اللغة اختلافا فى أن الصعيد وجه الأرض"(١).

قال الزمخشري: "وهو مذهب أبى حنيفة. فإن قلت: فما يصنع بقوله تعالى فى ســورة المائــدة: "فامــسحوا بوجوهكم وأيديكم منه" أى بعضه. وهذا لا يتأتى فى الــصخر الذى لا تراب عليه؟ قلت: قالوا (من) لابتداء الغاية. فإن قلت: قولهم إنها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل: مسحت برأسه مــن الدهن ومن الماء ومن التراب إلا معنى التبعيض؟ قلت: كما تقول: والإذعان مــن الحق أحق من المراء"(٢) وعليه فلا مناص ولا خلاص من جعل (من) بعضية فــتكون اســما مفعولا به أى فامسحوا بوجوهكم وأيديكم بعض الصعيد. وأما قول الزجاج فغير مسلم فقد قال ابن فارس عنه: "وهذا مذهب يذهب إليه مالك بن أنس. وقــولهم: إن الصعيد وجه الأرض سواء كان ذا تراب أو لم يكن هو مذهبنا إلا أن

---

(١) معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٥٦. وانظر الكشاف ١/ ٣٩٨.

(٢) الكشاف ١/ ٣٩٨.

الحـق أحـق أن يتبع والأمر بخلاف ما قاله الزجاج وذلك: أن أبا عبيدة حكى عن الأصمعي: التراب. وفي الكتاب المعروف بالخليل: قولهم: تيمم بالصعيد أي خذ من غباره فهذا خلاف ما قاله الزجاج"[١].

وبهذا يزداد يقيننا بأن (من) اسم بمعنى (بعض) فالضمير عائد على (صعيدا) الذي هو بمعنى (ترابا). ففي هذا من الوضوح والبيان ما لا يعتريه أدنى خفاء ولا غموض. ومن ثم فلسنا في حاجة إلى ما ذكره ابن المنير من أن الضمير عائد على الحدث المدلول عليه بقوله: "وإن كنتم مرضى ... الآية.

فـإن المفهـوم منه: وإن كنتم على حدث في حال من هذه الأحوال سفر أو مرض أو مجيء من الغائط أو ملامسة نساء فلم تجدوا ماء تتطهرون به من الحدث فتيمموا منه. يقال: تيممت من الجنابة. وموقع (من) على هذا مستعمل بتداول وهي على هذا الإعراب إما للتعليل أو لابتداء الغاية وكلاهما فيها متمكن"[٢].

أقول: أقرب المعنى إلى الذهن هو الذي يستنبط من النص بأوجز طريق وأقل إعمال فكر.

ولا شك أنه في جعل الضمير لـ (الصعيد) بمعنى (التراب). وبذلك يتأكد ما ذكرناه.

٧٢- مكـن:

وذلـك في قوله تعالى:﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾٧١ الأنفال.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣م ٢٨٧.

(٢) الانتصاف هامش الكشاف ١/ ٣٩٨.

ومعنى الآية أن الله قد أمكن من الكفار يوم بدر فإن خافوه فسَيُمَكِّن منهم. هذا ما ذكره الزمخشرى(١).

وفى معنى (مكن) يقول: "مكنته من الشئ وأمكنته منه فتمكن واستمكن. يقول المــصارع لــصاحبه: مكنّى من ظهـــرك. وأما أمكننى الأمر فمعناه أمكننى من نفسه"(٢).

وفى هذا النص إشارة إلى معنى (من) لأنه يفيد أن (مكّن) بالشديد و (أمكن) كل منهما يتعدى إلى اثنين فقولهم: مكنته من الشئ بمعنى: ملكته بعض الشئ.

وكذا أمكنته بعض الشئ أى ملكته بعضه. ويمكن إرادة هذا المعنى فى الآية إذ معنـــى (فأمكن منهم) فـــ (فملككم بعضهم يوم بدر) والمراد بهذا البعض الأسرى الـــذين وقعوا فى أيدى المؤمنين الظافرين. فالمعقول الأول ملحوظ عقلا لا ملفوظ لـــسانا. ويـــؤيد ذلـــك قول الزمخشرى: "مكن له فى الأرض: جعل له مكانا فيها. ونحوه: أرّض له. ومنه قوله تعالى: إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٨٤ الكهف وقوله: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ﴾ ٥٧ القصص. وأما مكنته فى الأرض فأثبته فيها ومنه قوله: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ﴾ ٢٦ الأحقاف للتقارب بين المعنيين جمع بينهما فى قوله: "مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم".

والمعنـــى: لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة فى الأجسام والسعة فى الأموال"(٣).

فتفســيره (مكّن) بـــ (أعطـــى) يفيـــد معنى الملكيَّة) فـــ (ما) مفعول ثـــان لـــــ (مكّن) وظاهر هذا أنه لا تضمين فى الفعل وهناك من يرى التضمين فيه قال

---

(١) الكشاف ٢/ ١٨٧.

(٢) أساس البلاغة ص ٦١٠ ط الشعب.

(٣) الكشاف ٢/ ٤.

ابـــن هشام "وفيه تكلف" وعلق الأمير قائلا: "ينظر ما وجهه؟ فلعله مخالفة الأصل مـــرتين: يحـــذف العائد والتضمين. ولا يخفى أن الآية تحتمل الموصولية الاسمية أيضا فلم سكت عنه؟"(١).

وبهـــذا يتبـــين أن الفعـــل (مكّن) و (أمكن) بمعنى (ملّك) أى ملكه مكانا فى الأرض. أى أعطـــاه له. ولا شك أن فى هذا معنى الغلبة والنصر والقهر وهو سر التعبير فى الآية (فأمكن منهم) أى جعلهم مكانا لملكية غيرهم.

٧٣- مـــلأ:

وذلك فى ست آيات هى:

قـــوله تعالـــى: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ١٨ الأعراف. وقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ ١١٩هـــود. وقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ ١٣ السجدة وقوله: ﴿ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴾ ٦٦ الـــصافات. وقـــوله: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ٨٥ص. وقوله: ﴿ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴾ ٥٣ الواقعة. فذكرت (من) سبع مرات فى ست آيات.

وممـــا ينبغـــى ملاحظته أن (جهنم) ذكـــرت فى أربـــع آيات. و (البطون) ذكرت فى آيتين.

قـــال المجـــد: "وجهنم كـــ (عَمَلَّس) بعيدة القعر وبه سميت جهنم أعاذنا الله تعالى منها"(٢).

---

(١) المغنى بحاشية الأمير ١٣/٢.

(٢) القاموس ٤/ ٩٢.

"والعَمَلَّس بفتح العين والميم واللام المشددة: القوى على السير السريع. والذئب الخبيث. وكلب الصيد. ورجل كان برا بأمه ويحج بها على ظهره ومنه: أبر من العَمَلَّس والعُمْلُوسة بالضم: القوس الشديدة السريعة السهم. والعَمَلسة: السرعة"(١).

وقوله: "وبه سميت جهنم: جرى على أنها عربية لم تُجْرَ – أى لم تتصرف – للتأنيث والتعريف. وجرى يونس وغيره على أنها أعجمية لا تُجْرَى للتعريف والعجمة أ. هـ.

وقوله: (لم تجر) بمعنى لم تتصرف وهى عبارة سيبويه. واصطلاح البصريين المنصرف وغير المنصرف. واصطلاح الكوفيين: المُجْرى وغير المُجْرى. أ هـ نصر(٢).

وخلاصة ذلك أن (جهنم) معناها: شئ ذو قعر عميق. وما هو كذلك يحتاج إلى ما يملأه أى يشغل فراغه من القاع إلى السطح. والذى يملأ الإناء وغيره إنما يدخله ويشغل فراغه وفضاءه. إذ يقال: ملأت الإناء ماء أى أدخلته فيه حتى لا يترك فراغا. ومن المقرر أن (أدخل) ينصب مفعولين ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ ١٢ المائدة وقوله: ﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ٦٥ المائدة وقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ ١٩٢ آل عمران. أى من تدخله النار.

فقوله تعالى: "لأملأن جهنم منكم أجمعين" أى لأدخلن جهنم بعضكم أجمعين. والفرق بين الإدخال والملء أن الأول يتطلب مساواة المملوء بالإناء. على عكس الثانى فلابد من المساواة بينهما. وفى ذلك:

---

(١) القاموس ٢/ ٢٣٣.

(٢) هامش القاموس ٤/ ٩٢: ٩٣.

يقـــول ابن فارس فى سياق كلامه على (ملى).. "وإذا همز دل على المساواة والكمال فى الشئ. وملأت الشئ أملؤه ملئا. والملء: الاسم للمقدار الذى يملأ وسمى لأنه مساو لوعائه فى قدره"(١).

ففى آيات الأعراف وهود والسجدة: لأدخلن جهنم بعضكم أجمعين. ولأدخلن جهنم بعض الجنة والناس أجمعين.

وفى آية ص: لأملأن جهنم بعض جنسك وهم كفرة الجن. إذ إبليس من الجن بــــدليل قـــوله تعالـــى: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ ٥٠ الكهف وبعض ذرية آدم.

و (أجمعـــين) فى جميع الآيات الأربع توكيد لـــ (من) إذ هى بمعنى (بعض) والبعض صالح للواحد فما فوقه.

وإنمـــا كـــان التعبير بـــ (من) التى تثبت البعضية لأن بعض الجن والإنس مؤمنون ينجيهم الله من جهنم فلو حذفت لفسد المعنى.

ومما يثبت أن من الجن من هو مؤمن قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ . قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ . يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٣٤٦.

أَلِيمٍ. وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ٢٩: ٣٢ الأحقاف.

ثم قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا. يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾

وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ..." ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا. وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا. وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ الآيات ١، ٢، ١١، ١٣، ١٤ من الجن.

فالمراد بالبعض فى تلكم الآيات الكافرون من الإنس والجن والتوكيد بـ (أجمعين) يثبت أنه لن يفلت من هؤلاء البعض فرد واحد. حتى ولو كان ذلك الكافر أباً لنبىّ أو ابنا لنبى كما ذكر ذلك الزمخشرى[١].

هذا عن آيات جهنم. وأما آيتا (البطون) وهما آيتا الصافات والواقعة فمعنى (البطن) العضو الذى يعرفه الجاهل والمتعلم. وقد قال ابن فارس عن مادة (بطن) الباء والطاء والنون أصل واحد.. وهو: إنسى الشئ والمقبل منه فالبطن خلاف الظهر تقول: بطنت الرجل إذا ضربت بطنه... وباطن الأمر: دخلته بفتح الدال وضمها وكسرها. خلاف ظاهره[٢].

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ٨٣: ٨٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة ١/ ٢٥٩.

ومعنى قوله (إنسيّ الشئ) الظاهر منه إذ مادة (أنس) تدل على الظهور ومنه الإنس فقد سموا بذلك لظهورهم[1].

وبهذا يثبت أن معنى (البطن) هو العضو الذى يظهر من الإنسان عند مقابلته وأما الظهر فهو خلف الرجل لا قدامه. ولعل السر فى تسميته بطنا مع ظهوره أن فيه أشياء كثيرة مستترة من أعضاء الإنسان. ومما يشتد به الطعام والشراب. فمن ثَمّ ورد قوله (فمالئون منها البطون).

والضمير فى (منها) لشجرة الزقوم فى الآيتين معاً. أى يُدْخِلُون بعض ثمرها بطونهم حتى تمتلئ فثمرها لا ينفد ولا ينتهى.

٧٤- نبـــأ:

وذلك فى قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ ٩٤ التوبة.

ومعنى الآية واضح كل الوضوح ألا وهو: قد نبأنا الله بعض أخباركم. فـ (نبأ) ناصب لمفعولين كما قال البيضاوى[2].

فالآية فى غنى عن تقدير شئ مما زعمه أبو البقاء وهو: أن (نبأ) متعد لثلاثة مفاعيل ذكر الأول منها وهو (نا) من (نبأنا) وحذف الآخران وتقديرهما: أخبارا من أخبـاركم مثبـته. و (من أخباركم) تنبيه على المحذوف. وليست (من) زائدة إذ لو كانـت زائدة لكانت مفعولا ثانيا والمفعول الثالث محذوف. وهو خطأ لأن المفعول الثانى إذا ذكر فى هذا الباب لزم ذكر الثالث.

وقيل (مِنْ) بمعنى (عن)[3].

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة ١/ ١٤٥.

(٢) هامش حاشية الشهاب ٤/ ٣٥٦ وانظر البحر المحيط ٥/ ٨٩.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١١ وانظر إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ص ٤١٢.

ففــى هــذا النص ما لا يخفى من مزاعم لا رجع لها ولا نفع فيها ومن ذلك قــوله: (إذ لو كانت زائدة لكانت مفعولا ثانيا) فكيف تكون مفعولا مع كونها زائدة؟ إن هــذا الفكر عجيب؟. ثم قوله (لأن المفعول الثانى إذا ذكر .. لزم ذكر الثالث). وقــد رده أبــو حــيان بأنه يجوز حذف الثالث اختصارا لدلالة الكلام عليه أى من أخباركم كذبا ونحوه"[1].

والحــق أن الآية ليست فى حاجة إلى مفعول ثالث فصدر الآية قوله تعالى: "يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وســيرى الله عملكــم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون".

فــأى مكــان فــى هذه الآية يحتاج إلى شئ حتى يتهيأ لبعض العقول زعم تقديــره؟! إن معنى الآية – لمن يدقق الفكر فيها – واضح لا غموض فيه. كامل لا نقص فيه. جميل لا عيب فيه. فعلى العلماء الذين لا يهتمون إلا بقاعدة (لولا الحذف والتقدير لفهم النحْوَ الحميرُ) أن يقلعوا عنها وأن ينخلعوا منها وأن يربأوا بأنفسهم أن يقعوا فى تلك المزاعم.

ومما يؤيدنا فى ذلك أننا وجدنا الصبان ينقل عن شيخ الإسلام قوله: "اعلم أن نَــبَّأ وأَنْبَأ وحدَّث وأخبر وخبر لم تقع تعديتها إلى ثلاثة مفاعيل فى كلام العرب إلا وهى مبنية للمفعول"[2].

بــل إنــى أقــول: إن الفعل (نبأ أو أنبأ) لم يرد أى منها ناصبا لمفعولين فى القــرآن إلا فــى آيــة الــتوبة التى نحن بصدد الكلام عنها وهى (قد نبأنا الله من

---

(١) البحر المحيط ٥/ ٨٩.

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشمونى للألفيه ٢/ ٢٧.

أخباركم) ثم فى آية التحريم رقـــم ٣ وهى ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ﴾.

ولمــا ورودها فى آيات أخرى فقد كان بعد المفعول حرف إضافة وهو الباء مـــع المــضاف إليه (نبأها به). وقوله ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ ٣١ البقرة. وقوله: ﴿ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ١٤٣ الأنعام.

وربما جاء تعديتها إلى ثلاثة وهى مبنية للمفعول فى الشعر مثل قول الشاعر:

نُبِّئْتُ زرعة – والسفاهة كاسمها يهــدى إلــىَّ غــرائب الأشعار

فالتاء نائب فاعل فهو المفعول الأول. و (زرعة) مفعول ثان. وجملة (يهدى إلى) مفعول ثالث.

وذكر الصبان أن (ينبئ) نصبت ثلاثة مفاعيل فى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ٧ ســبأ. حيث قال: "وقد وقع فى القرآن تعدية (نبأ) مبنية للفاعل إليها – أى المفاعــيل الــثلاثة – واحد صريح و (اثنين سد مسدهما (إنَّ) المكسورة المعلقة بــاللام ومعمــولاها فى قوله تعالى: ﴿ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[1]

وقال ابن عطية: "وكُسِرَ الألف من (إنكم) لأن (ينبئكم) فى معنى: يقول لكم ولمكان اللام التى فى الخبر"[2].

---

(١) حاشية الصبان ٢/ ٢٧.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠٦.

وليست هذه اللام ما أطلق عليها النحاة (المزحلقة) من المبتدأ إلى الخبر.

بل هي مؤكدة لجانب الخبر كما أن (إن) مؤكدة لجانب المبتدأ كما نبهنا إلى ذلك كثيراً.

٧٥ - نبت:

في ست آيات هي قوله تعالى: ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ﴾ ١٩ الحجر وقوله: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ ﴾ ١١ النحل. وقوله: ﴿ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ ٥ الحج. وقوله: ﴿ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴾ ٧ الشعراء. وقوله: ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴾ ١٠ لقمان وقوله: ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ ٧ ق.

ومعنى البعضية واضح كلَّ الوضوح في هذه الآيات مما يثبت أن (من) فيها اسم وهو المفعول به. أي بعض كل شئ موزون. وبعض كل الثمرات. وبعض كل زوج بهيج وبعض كل زوج كريم.

قال أبو حيان في الأولى: "من: للتبعيض. وعند الأخفش: هي زائدة أي كل شئ"(١).

وكم نبهنا إلى أن دعوى الزيادة باطلة بطلانا كبيرا. ومما يؤكد ذلك قول الزمخشري في الثانية: "قيل: (من كل الثمرات) لأن كل الثمرات لا تكون إلا هكذا. وإنما ينبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة"(٢).

---

(١) البحر المحيط ٥/ ٤٥٠.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٦٤.

هكذا وردت (بعض من كلها) والصواب: بعض كلها. فلا داعى لذكر (من) أو أن الصواب (بعضا من كلها) إذ (من) تبين (بعضا).

وبهذا يثبت أن (من) هى المفعول فى تلك الآيات لأنها اسم مادامت بمعنى (بعض).

٧٦- نحت:

فى آيتين هما قوله تعالى: ﴿ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ ٨٢ الحجر وقوله: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ ١٤٩ الشعراء. وهناك آية أخرى وهى: ﴿ وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ ٧٤ الأعراف. ولم ترد فيها (من). وقد أعرب النحاة (بيوتا) فى هذه الآية حالا مع أنها جامدة غير مؤولة بمشتق وعللوا لذلك بأنها فرع لصاحبها[1].

فالجبال هى المفعول به وكأنهم بذلك قد أولوا الآية بقولهم: وتنحتون بيوتا من الجبال.

وبالبحث تبين لنا أن الأعراف أسبق نزولا ويليها الشعراء ثم الحِجْر. وبذلك تكون آية الأعراف مشتملة على إجمال فصلته آيتا الشعراء والحِجْر. فالنحت قد وقع فيها على الجبال أما فيهما فقد وقع على بعضها فالآيات يكمل بعضها بعضا ويفصل اللاحق منها السابق. وعلى هذا تكون (من) بمعنى بعض فهى اسم يعرب مفعولا به و (بيوتا) حال من المضاف إليه وهو (الجبال) إذ المضاف جزء المضاف إليه كما هو فى قوله تعالى:﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ ١٢ الحجرات.

---

(١) انظر حاشية الصبان ٢/ ٢٧.

وبهذا يتضح أن الآيات الثلاث على نسق واحد فلا تأويل ولا تعديل ولا حذف ولا تقدير. ولكن بعض النحاة يأبى إلا ذلك فقد جاء في أوضح المسالك لابن هشام التمثيل بقوله تعالى: "وتنحتون الجبال بيوتا" وهي آية الأعراف مثّل ابن هشام بها لجواز مجئ الحال جامدة إذا كانت فرعا لصاحبها كما سبق بيانه. وعلق الشيخ خالد على هذا قائلا: "وفي غالب النسخ (وتنحتون من الجبال بيوتا) وهو سهو فإن (بيوتا) على هذا مفعول به لا حال" وهذا مبني على أن (من) حرف لا اسم رغم كونها بمعنى (بعض) وهو ضعيف مردود ودليل ذلك ما جاء في حاشية يس على التصريح ونصه: "قال اللقاني: قد يقال إن (من) هي المفعول بناء على كونها كبعض معنى وإعرابا كما عليه الزمخشري وطائفة من المحققين. أو نعت لمقدر أي شيئا من الجبال. فـ (بيوتا) حال من (من) أو من المقدر وهذا أولى من دعوى السهو"[1].

وهذا النص - وإن ردّ إلى (من) اعتبارها - محل نظر: من حيث إنه جعل (من) صاحب الحال وهو المضاف. ولعل السر في ذلك أن هناك من يمنع مجئ الحال من المضاف إليه. ولكن ابن مالك قد صرح بجوازه حيث قال في ألفيته.

ولا تجِزْ حالا من المضاف له … إلا إذا اقتضى المضاف عمله
أو كان جُزءَ ماله أضيفا … أو مثل جزئه فلا تحيفا

وهذا ما أراد. مع أني لا أمنع جعل (من) هنا صاحب الحال إذ أن الذي صار بيوتا هو بعض الجبال لا كلها. ولا حاجة بالنص إلى قوله يس (نعت لمقدر أي شيئا من الجبال).

---

(١) التصريح بمضمون التوضيح وحاشية يس عليه ١/ ٣٧٢.

٧٧- نـــزع:

فى آيتين هما قوله تعالى:﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾٦٩ مـــريم وقـــوله:﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ ٧٥ القصص.

والآيـــة الثانية واضحة إذا تخلينا عن منهج النحاة القائم على الحذف والتقدير أو الـــتقديم والتأخير. فـــ (من) اسم بمعنى (بعض) مفعولا به و (شهيدا) حال منه. أى نزعنا بعض كل أمة حالة كونه شهيدا عليها. ليكون الشاهد من أهلها.

أما الآية الأولى ففيها بعض تفصيل:

(أ) قرئ فى (أيهم) بالنصب والرفع. أما قراءة النصب فيقول عنها سيبويه: "سألت الخلـــيل عـــن قـــولهم: اضرب أيهم أفضل فقال: القياس النصب. كما تقول: اضـــرب الذى أفضل لأن (أيا) فى غير الاستفهام والجزاء بمنزلة (الذى) كما أن (من) فى غير الجزاء والاستفهام بمنزلة (الذى).

وحدثـــنا هـــارون أن الكوفيين يقرءونها: (ثم لننزعن من كل شيعة أيَّهم) – بالنصب – وهى لغة جيدة"[1].

ويقـــول الزمخشرى: "إن النصب عن ملحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء"[2].

ويقـــول الأنـــبارى: "وأما من قرأ (أيهم) بالنصب فإنه نصبها بـــ (لننزعن) وجعلها معربة وهى لغة لبعض العرب. قال أبو عمر الجرمى: (خرجت من الخندق

---

(١) الكتاب ٢/ ٣٩٧.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٦.

- يعنى: خندق البصرة - حتى صرت إلى مكة لم أسمع أحدا يقول: (اضرب أيهم أفضل) أى كلهم منصوب"(١).

ولعل صواب العبارة: أى كلهم ينصبون. وفى بعض الكتب أن القائل هو: أبو عمر بن العلاء(٢).

(ب) وإعراب (من) على هذه القراءة أنها مفعول به أى لننزعن بعض كل شيعة و(أيهم) بالنصب بدل أو عطف بيان وهى اسم موصول. أى الذى. وصدر صلتها ملحوظ أى الذى هو أشد قال الرضى: لم تحذف الصلة بكمالها بل حذف أحد جزءيها وقد بقى ما هو معتمد الفائدة"(٣).

(ج) وأما قراءة الرفع فقد اختلف فى توجيهها هل الضم ضم إعراب أو ضم بناء؟ وهل (أىٌّ) موصولة أو استفهامية.

وقد سبق عن سيبويه أن الخليل ينصب (أيهم) ويجعلها موصولة وأن الكوفيين ينصبونها. ومع هذا رأيت الرضى يقول: "فذهب الكوفيون والخليل إلى أنها معربة مرفوعة على الابتداء وما بعدها خبرها وهى استفهامية لا موصولة"(٤).

وذكر ابن هشام أنها عند سيبويه مبنية وهى موصولة والتقدير: لننزعن الذى هو أشد. ثم قال: وخالفه الكوفيون وجماعة من البصريين لأنهم يرون أن (أيا) الموصولة معربة دائما كالشرطية والاستفهامية... وجوز الزمخشرى وجماعة كونها موصولة مع أن الضم إعراب"(٥).

---

(١) البيان فى غريب إعراب القرآن ٢/ ١٣٣. وانظر شرح الكافية ٢/ ٥٧ والمغنى بحاشية الأمير ١/ ٧٢.

(٢) انظر القرآن وأثره فى الدراسات النحوية ص ٧٥.

(٣) شرح الكافية ٢/ ٥٧.

(٤) شرح الكافية ٢/ ٥٧: ٥٨.

(٥) المغنى بحاشية الأمير ١/ ٧٢. وانظر الجامع الصغير مخطوط ورقة ٩.

وما ذكره ابن هشام عبر عنه سيبويه بقوله: "وزعم الخليل أن (أيهم) وقع فى (أيهم أفضل) على أنه حكاية كأنه قال: (اضرب الذى يقال له أيهم أفضل)(١).

وعبر عنه الزمخشرى بقوله: "واختلف فى اعراب (أيهم أشد) فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره: لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد"(٢).

وبالتأمل فى هذه النصوص نرى أن سيبويه ليس له مذهب مقصور عليه وإنما قصارى أمره أنه يحكى مذاهب غيره وآراء سواه. مع أننا رأينا ابن هشام ينسب إليه أنه يرى بناء (أىّ) وفى الوقت نفسه يقول: "وقد خطأوا سيبويه فى بنائه (أىّ) فى هذا الأسلوب فقد قال أبو جعفر: (وما علمت أن أحدا من النحويين إلا خطأ سيبويه فى هذا سمعت أبا إسحاق يقول: ما يبين لى أن سيبويه غلط فى كتابه إلا فى موضعين هذا أحدهما. قال وقد أعلمنا سيبويه إعراب (أىّ) وهى مفردة لأنها تضاف فكيف يبنيها وهى مضافة"(٣).

فمما يؤخذ على ابن هشام أنه نسب إلى سيبويه بناء (أيهم) على الضم فى الآية دون أن يصرح بذلك ثم اعتمد على الزجاج فى تخطئته سيبويه. ومعنى عبارته: "وقال سيبويه إن (أيهم) مبنية على الضم لأنها خالفت أخواتها ..... إلخ"(٤).

وكان الأولى بابن هشام أن يذهب إلى (الكتاب) ليأتى لنا بنصه حتى لا تكون عبارته غير موثقة. ونص سيبويه هو: "وأرى قولهم: اضرب أيهم أفضل على أنهم جعلوا هذه الضمة بمنزلة الفتحة فى خمسة عشر. وبمنزلة الفتحة فى (الآية) حين قالوا من الآن إلى غد. ففعلوا ذلك بأيهم حين جاء مجيئا لم تجئ أخوانه عليه إلا

---

(١) الكتاب ٢/ ٣٩٧: ٣٩٨.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٦.

(٣) المغنى بحاشية الأمير ١/ ٧٢. وانظر القرآن وأثره فى الدراسات النحوية ص ٨١.

(٤) معانى القرآن وإعرابه ٣/ ٣٤٠.

قلـــيلا. واســتعمل استعمالا لم تستعمله أخواته إلا ضعيفا. وذلك أنه لا يكاد عربى يقول: الذى أفضل فاضرب. واضرب من أفضل حتى يدخل: هو. ولا يقول: هات ما أحسن حتى يقول: ما هو أحسن.

فلمــا كانــت أخــواته مفارقة له لا تستعمل كما يستعمل خالفوا بإعرابها إذا اســتعملوه علـــى غير ما استعملت عليه أخواته إلا قليلا. كما أن قولك: يا ألله حين خالـــف ســائر ما فيه الألف واللام لم يحذفوا ألفه. كما أن (ليس) لما خالفت سائر الفعــل ولم تصرف تصرف الفعل تركت على هذه الحال. وجاز إسقاط هو فى أيهم كما كان فى: لا عليك تخفيفا. ولم يجز فى أخواته إلا قليلا ضعيفا"[1].

ففـــى هذا النص نجد سيبويه يعرض رأيه واضحا مفصلا معلِّلاً موجِّها إذ لم يتـــرك فى نفس قارئه شبهة إلا أذابها وأزالها. وتلك قوة ينبغى أن يتعلمها أصحاب الدرس النحوى وأن يعوها وعيا دقيقا عميقا. حيث فرق بين المتشابهات فى الظاهر مـــستدلا لـــذلك بأساليب العرب الذين كانوا يزنون كل كلمة بميزان على حدة حتى يعطوها حقها كاملا غير منقوص.

وبهذا يتبين أن لعلمائنا فى (أىّ) من قوله تعالى: (أيهم أشد) ضبطين أحدهما: النـــصب وقـــد ذكـــرناه آنفا وهو المشهور عن جمهرة العلماء. والآخر الضم وفيه توجـــيهأن أحـــدهما أنه ضم إعراب. وهو المعول عليه غالبا. والآخر أنه ضم بناء وهو ما انفرد به سيبويه ورده عليه العلماء.

والذى يعنينا هنا هو إعراب (من كل شيعة).

وفيها أربعة مذاهب:

المذهب الأول:

مـــذهب الخلـــيل وبعض الكوفيين وتبعهم الزمخشرى قال الرضى: "وذهب الكوفـــيون والخلـــيل إلى أنها معربة استفهامية وهى مبتدأ خبره (أشد) و (من كل

---

(١) الكتاب ٢/ ٤٠٠.

شيعة) مفعول لـــ (ننزعن) كما تقول: أكلت من كل طعام. قال تعـــالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ ٢٣ النمل. فتكون (من) للتبعيض. والكلام محكـــى أعنـــى أن (أيهم أشد) صفة لـــ (شيعة) على إضمار القول أى: كل شيعة مقول فيهم أيهم أشد. كقوله (جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط) قال الخليل: وأيهم على هذا استفهامية"(١).

وحكى الزمخشرى تقدير الخليل ثم قال: "ويجوز أن يكون النزع واقعا علـــى (مِنْ كل شيعة) كقوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَآ ﴾ ٥٣ مريم. أى لننزعن بعض كل شيعة. فكأن قائلا قال: مَنْ هم؟ فقيل: أيهم أشد عتيا"(٢).

فـــ (مَن) اسم بمعنى (بعض) وهى المفعول به فى محل نصب. وأمـــا (أى) فاستفهامية معربه مبتدأ وخبرها (أشد) فلا حذف ولا تقدير.

ولكن ابن هشام يقرر أن الزمخشـــرى وجماعـــة يجعلهـــا – يعنـــى: أى – موصولة. وذكر أنه يقدره: هو الذى هو أشد. ثـــم حـــذف المبتـــدءان المكتنفـــان للموصول وفيه تعسف ظاهر ولا أعلمهم استعملوا أيا الموصولة مبتدأ(٣).

ولست أدرى من أين لابن هشام بهذا التعسف الذى ارتكبه الزمخشرى فـــى حق الآية؟

إن الزمخشرى لم يصرح بأنها موصولة بل هو يسير فى ركاب الخليل الذى قرر أنها استفهامية. ومن العجيب أن الأمير أقر ابن هشام على دعـــواه التعســـف قائلا: "أى بكثرة الاعتبارات وإن وافق كل منها القياس"(٤).

---

(١) شرح الكافية ٢/ ٥٨.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٦.

(٣) انظر المغنى بحاشية الأمير ١/ ٧٢.

(٤) حاشية الأمير ١/ ٧٢.

ووضـــح الدمامينـــى هذا التعسف بأنه: " من جهة اجتماع أمور هى: حذف مفعـول (ننـــزع) فإن (من كل شيعة) ليس مفعوله حقيقة. وتقدير سؤال محذوف. وحذف مبتدأين" ثم قال: "والظاهر ألا تعسف لأن هذه الأمور التى اجتمعت كل منها جـــارٍ على القواعد. إذ لا نزاع فى صحة قولك: أخذت من الدراهم. ولا فى جنسه. ولا فـــى أن الاســـتئناف علـــى تقدير سؤال سائغ فى تراكيب البلغاء. وفى الكتاب العزيز منه شئ كثير. ولا فى جواز حذف المبتدأ لقرينة"(١).

والذى نأخذه على الدمامينى هو قوله بحذف المفعول وأن (من كل شيعة) ليس مفعـــولا ولعله قصد ذلك فى قولهم: أخذت من الدراهم. وعلى هذا يكون التقدير فى الآية لننزعن فريقا من كل شيعة. وفى المثال: أخذت شيئا من الدراهم.

وبهذا يقع الدمامينى فى أقبح مما فر منه ألا وهو حذف الموصوف فقد علمنا غير مرة. أنه أقبح من القبيح.

المذهب الثانى:

للكسائى والأخفش وهو: أن (من) زائدة و (كل شيعة) هى المفعول. وجملة الاســـتفهام مـــستأنفة. قـــال ابـــن هشام: "وهو مردود بأنه لم يثبت زيادة (من) فى الواجب"(٢).

المذهب الثالث:

لـــيونس وهو: أن مفعول (ننزع) الجملة وعلقت (ننزع) عن العمل كما فى قـــوله تعالـــى:﴿ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ ﴾ ١٢ الكهف. قال الأنبارى: "وهذا ضـــعيف لأن هـــذا الفعل ليس من أفعال القلوب بشئ. بل هو فعل كسائر الأفعال المؤثرة فينبغى ألا يُلْغَى كما لا يُلْغَى غيره من سائر الأفعال المؤثرة"(٣).

---

(١) شرح الدماميني على المغنى ١/ ١٦٨ هامش الشمنى.

(٢) المغنى بحاشية الأمير ١/ ٧٢.

(٣) البيان فى غريب إعراب القرآن ٢/ ١٣٢.

ورد أيضا بأن حروف الجر لا تُعلَّق"(١).

ولا يخفى أن هذا مبنى على أن (من) حرف جر. والحقيقة أنها اسم بمعنى (بعض) فهى المفعول به فلا حاجة بالأسلوب إلى ما ذكره يونس..

المذهب الرابع:

للفراء وله فيه ثلاثة أوجه. (الوجه الأول): أن تجعل الفعل مكتفيا بـ (من) فى الوقوع عليها كما تقول: قد قتلنا مِنْ كل قوم. وأصبنا مِنْ كل طعام. ثم تستأنف (أيا) فترفعها بالذى بعدها. كما قال جل وعز:﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ ٥٧ الإسراء. أى ينظرون أيهم أقرب. ومثله:﴿ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ ٤٤ آل عمران.(٢)".

ومعنى هذا النص أن (مِنْ) معمولة لـ (ننزع) إذ هى التى وقع عليها الفعل. ومن أمثلة الفراء يفهم أنه يجعل (مِنْ) اسما إذ لا يقع عليها الفعل إلا إذا كانت اسما. وحيث إنها لا تكون اسما إلا إذا كانت بمعنى (بعض) فكأن الفراء يرى ذلك.

هذه واحدة. وأخرى وهى أن الفراء يجعل (أيهم أشد) مبتدأ وخبرا على أن المبتدأ هو (أشد) و (أيهم) الخبر. فـ (أى) بالرفع عنده يعمل فيه ما بعده وبالنصب كذلك فى قوله تعالى:﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ ٢٢٧ الشعراء. فإذا أوقعت الفعل المتقدم عليها خرجت عن معنى الاستفهام كما تقول لأضربن أيهم يقول ذلك. بالنصب(٣).

(١) المغنى بحاشية الأمير ١/ ٧٢.

(٢) معانى القرآن ١/ ٤٧.

(٣) هامش الصفحة السابقة.

(الوجه الثانى) "أن تقدير الآية: لننزعن من الذين تشايعوا على هذا. ينظرون بالتشايع أيهم أشد على الرحمن عتيا فتكون (أى) فى صلة التشايع"[١].

وعلى هذا تكون (أيهم أشد) مبتدأ وخبر فى موضع نصب بالفعل (ينظرون) المضمر ولا يعمل الفعل فى لفظ (أى) لأنها استفهام[٢].

(الـوجه الثالث) أن يكون (أيهم أشد) معمولا لأداة النداء أى لَنُنَادِيَنَّ أيهم أشد على الرحمن عتيا. قال الفراء: وليس هذا الوجه يريدون"[٣].

ولعـل السر فى عدم إرادتهم هذا الوجه أنه لا معنى لقولنا لننادينّ أيهم أشد) ولا يخفـى أن (لننزعن مِنْ كل شيعة) على هذا الوجه جملة مستقلة تامة إذ (من) مفعول (ننزع). كما لا يخفى أنه كذلك على الوجه الثانى. وبهذا يكون الخلاف بين هذه الأوجه الثلاثة التى ذكرها الفراء إنما هو فى (أيهم أشد) فهو على الوجه الأول مبـتدأ وخبـر على التقديم والتأخير كما وضحنا ذلك. وهذا مذهب للفراء فى (أى) الاستفهامية إذ لا يعمل فيها ما قبلها عنده. وعلى الوجه الثانى تكون فى محل نصب بالفعل المضمر. وعلى الثالث تكون منادى بأداة نداء مقدرة.

وإذا كـان لـنا أن نخـتار من هذه الأوجه فلا مفر من اختيار الأول إذ فيه اسـتغناء الـنص عن إضمار شئ. غير أنه يشوبه شئ لا نرضى به ولا عنه وهو التقديم والتأخير فى الجملة.

أما (مِنْ) على الأوجه الثلاثة فهى فى موضع نصب لأنها اسم بمعنى (بعض) هـذا كله على قراءة الرفع فى (أيهم) أما على قراءة نصبها فقد عرفنا أنها بدل أو عطـف بـيان لــ (من كل شيعة) أى الذى هو أشد. فـ (أى) اسم موصول. قال

---

(١) معانى القرآن ١/ ٤٨. بتصرف.

(٢) هامش الصفحة السابقة.

(٣) معانى القرآن ١/ ٤٨. وانظر فى هذه الأوجه المدارس النحوية ص ٢١٢.

الرضـــى: "لـــم تحذف الصلة بكمالها بل حذف أحد جزءيها وقد بقى ما هو معتمد الفائدة أى الخبر"(١).

٧٨- نـــزل:

وذلك فى سبع وعشرين آية وهى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: آيات تتحدث عن المطر. وأساليبها أربعة

الأسلوب الأول: يقع فى عشرين آية وهى:

قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ٢٢ البقرة. ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ٩٩ الأنعـام: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ١١ الأنفـال. ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ١٧ الرعد. ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ٣٢ إبراهيم. ﴿فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ٢٢ الحجر. ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ١٠، ٦٥ النحـل. ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ٥٣ طه. ﴿ أَنزَل مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ٦٣ الحـج.﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ ﴾ ١٨ المؤمنـون، ٤٨ الفـرقـان. ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ٦٠ النمل ﴿ نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ٦٣ العنكـبوت. ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ٢٤ الروم. ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ١٠ لقمـان. ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ٢٧ فاطر. ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ٢١ الزمـر. ﴿ نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ ﴾ ١١ الزخـرف. ﴿ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ٩ ق.

---

(١) شرح الكافية ٢/ ٥٧.

الأسلوب الثاني:

فـــى آية واحدة هى قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾ ٤٣ النور.

الأسلوب الثالث:

فى آيتين فى قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ ﴾ ١٣ غافر.

وقوله: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ ﴾ ٥ الجاثية.

الأسلوب الرابع:

فى قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ ١٤ النبأ.

وبالتأمل فى هذه الأساليب يتبين لنا ما يلى:

(أ) أن (مـــن) دخلـــت علـــى (الـــسماء) فـــى ثلاث وعشرين آية ودخلت على (المعصرات) فى آية واحدة.

(ب) أن كلمة (ماء) وردت بعد (السماء) فى عشرين آية. ووردت بعد (المعصرات) مرة واحدة.

(ج) أن كلمة (رزقا) وردت بعد (السماء) مرة واحدة.

(د) أن (من رزق) وردت بعد السماء) مرة واحدة.

(هـــ) أن (من جبال) و (من برد) وردتا بعد (السماء) مرة واحدة.

ودراسة هذه الآيات تدور حول ما يلى:

١- بيان المراد بـــ (السماء) و (المعصرات) لأنه يترتب عليه تحديد معنى (من) ونوعها ثم إعرابها.

٢- إعــراب ما بعدها من الكلمتين وهو (ماء) فى إحدى وعشرين آية و (رزقا) فـــى آية واحدة و (من رزق) فى آية كذلك ثــم (من جبال) و (من برد) فى آية النور.

أولا: المراد بـــ (السماء) و (المعصرات).

مـــن النظــر فى (السماء) الواردة فى كتاب الله يتبين لنا أنها وردت لمعنيين أحـــدهما: البـــناء الـــذى بناه الله بأيد ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ ٢٢ البقـــرة. وقوله: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ ٦ الصافات. وقوله: وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ . وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ﴾ ٤٧: ٤٨ الذاريات. وقوله: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا . رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴾ ٢٧: ٢٨ النازعات ثم قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا . وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ ٥: ٦ الشمس.

فالمـــراد بـــ (السماء) فى هذه الآيات البناء الذى هو سقف الارض التى هى فـــــراش ولهـــذا. وذلك فى قـــوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ ٣٢ الأنبياء.

وقـــد وردت السماء بهذا المعنى فى قوله تعالى: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ ٩٢ الإسراء.

وقــوله: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ١٨٧ الــشعراء. وقوله: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ ٤٤ الطور.

فالسماء هنا البناء والكسف قطع منها تتساقط على البشر. فأهل مكة أُرادوا أن يأتــيهم الرســول محمــد ﷺ بعدة أشياء منها أن يجعل السماء تتساقط أجزاء منها عليهم. وأهل مدين طلبوا من شعيب عليه السلام أن يفعل ذلك إن كان صادقا.

وأما آية الطور فهى عامة تشمل المعاندين المكابرين فى كل مكان وحين فلو سقط عليهم أجزاء من السماء لما استجابوا لدعوة الحق بل قالوا: هذا سحاب مركوم ينزل علينا المطر فنروى به ولا نعذب.

وكــذلك وردت (السماء) بمعنى البناء فى قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ ﴾ ٤٨ الروم.

فهذا مشهد كونى يملأ الحس ويثير الفكر حيث يشعر الإنسان بالريح المرسلة ويرى أنها تثير السحاب فيبسطه الله فى أجواء السماء أى عاليا مرتفعا ويجعله قطعا مختلفة الألوان ثم يخرج المطر من خلاله.

وبهــذا يــدرك القارئ إدراكا كاملا لا يعتريه نقص أن المطر إنما ينزل من الــسحاب الذى عبر عنه القرآن فى الآيات التى ذكرناها بـــ (السماء) وهى فى هذا المعنى حقيقة لا مجاز.

ومـــن ذلك يتحقق معنى الجناس التام فى كثير من آيات القرآن كما فى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ٢٢ البقــرة. فبــين (الــسماء) الأولى و (السماء) الثانية جناس تام حيث إن المراد بالأولى البناء والمراد بالثانية السحاب.

المعنـــى الثانى: (السحاب) وذلك فى الآيات السابقة التى هى موطن دراستنا مـــع (من) الداخلة عليه. وهى التى ورد بعدها (ماء) ولا يخفى أن مادة (س م و) تتفرع عنها صيغ لغوية يجمعها معنى العلو والسمو.

ومـــن ثم قيل: كل ما علاك فهو سماء. وسواء أكان هذا المعنى حسيا يدركه البصر أم معنويا يدركه العقل كما فى قولنا سما فلان على الصغائر من الأمور فكل ما دل على معنى (العلو) سماء.

وقـــد أجمع العلماء على معنى (السماء) الدالة على البناء وأنها سبع سموات كما فـــى قـــوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ ١٢ الطـــــلاق. وقـــوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ ٢٩ البقرة.

أمـــا السماء التى ذكرت مع الماء فقد اختلف فيها العلماء فمنهم من يرى أنها بمعنـــى البـــناء. وقد اجتمعا فى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ٢٢ البقرة. وقال أبو حيان: "يجوز أن يراد بالسماء الثانية: السحاب ويجوز أن يراد به السماء المعروفة"[1].

---

(١) البحر المحيط ١/ ٩٨.

ولكـــن الرازى فى قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ١٩ البقرة ذكر أن المـــراد الـــسماء المعروفة ثم قال: "من الناس من قال: المطر إنما يحصل من ارتفاع ابخرة من الأرض إلى الهواء فتنعقد هناك من شدة برد الهواء. ثم ينزل مرة أخـــرى فـــذاك هـــو المطر. ثم إن الله سبحانه أبطل المذهب ههنا بأن بين أن ذلك الـــصَّيِّب نـــزل من السمـــاء. وكـــذا قوله ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ ٤٨ الفرقان وقوله: ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ ﴾ ٤٣ النور[١] والرازى فى ذلـــك مـــسبوق بالزمخشرى حيث قال فى هذه الآية: "ومنه أن السحاب من السماء يـــنحدر. ومـــنها يأخـــذ ماءه لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر. ويؤيده قوله تعالى: "وينزل من السماء من جبال فيها من برد"[٢].

والذى نرجحه بل نصححه أن (السماء) فى (أنزل من السماء ماء) وغير من آيات معناها (السحاب) ليس غير. وذلك لما يأتى:

١- ثبت لغويا أن من معانى السماء: السحاب[٣].

وقـــال ابن قتيبة: "كل شئ علاك وأظلك فهو سماء. والسحاب سماء يقول الله:" ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ ٩ ق"[٤].

٢- ثـــبت علمـــيا أن أصـــل المطر هو البخار المتصاعد من مياه البحار والأنهار وغيـــرهما. ففى كتاب (التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن: "وجود بخار الماء الغازى فى الهواء وتكاثفه إلى سحاب.

---

(١) من مفاتيح الغيب ١/ ٢٠٨.

(٢) الكشاف ١/ ٦٣.

(٣) انظر القاموس ٤/ ٣٤٤.

(٤) تأويل شكل القرآن ص ٢٧٨.

(أ) دلت البحوث العلمية على أن الماء يتبخر ويتصاعد على هيئة بخار غازى فى كل درجات الحرارة بمقادير تزيد بزيادتها وتقل بنقصها وأن بخاره الغازى أخف من الهواء إذ تبلغ كثافته نحو ثلثى كثافة الهواء. وأن الهواء الجوى يحوى دائما كميات كثيرة من بخار الماء الغازى الذى يتصاعد من مياه البخار والأنهار وغيرهما. بتأثير حرارة الشمس فيها...

(ب) عوامل تكاثف بخار الماء الغازى فى الهواء:

وأهم هذه العوامل الطبيعية لتبريد الهواء الجوى هى الرياح والجبال الشاهقة. فالأولى تصعد ببخار الماء فيها إلى طبقات الجو العليا حيث يقل الضغط ودرجة الحرارة فتبرد إلى درجة يصير بخار الماء فيها فوق مقداره المشبع. فيتكاثف على هيئة سحاب.

والجبال العالية فى تعرضها للرياح الأفقية المنخفضة تجبرها على الصعود إلى أعالى الجو حيث تبرد ويتكاثف بخار الماء فيها. كما أن قممها العالية التى تكون دائما مكسوة بطبقة من الجليد تبرد السحاب الذى عَبَر بها وتعمل على تكثيفه وإنزال الماء منه. وهذا هو السبب فى هطول الأمطار على سفوح الجبال. ونبع كثير من الأنهار منها"(1).

٣- يقول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ٥٧ الأعراف.

فهذه الآية نص صريح فى أن المطر يهطل من السحاب لا من السماء التى هى بناء. فهذا هو الذى يشاهده الناس وتشهد به وله الأبصار. وبهذا يتآلف الحس

---

(١) التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن ص ١١٠، ١١١.

مــع العقــل فــى إثبات هذا المشهد الذى يفيض بالحياة ويبعث الحركة والنمو فى الأحياء.

بــل إن هذا النص قد وضح وبين بما لا غموض فيه ولا خفاء معه أن الذى يــصب المطر على الأرض يتنقل من مكان إلى مكان. وهذا ما شهدت به الأبصار علــى اخــتلاف الأزمان والأمكنة. فهل السماء بمعنى (البناء) هى التى تتنقل بين جنبات الأرض لتحيى مواتها؟! أليس فى قوله تعالى: "والسماء بناء" ما يثبت أنها لا تتحرك ولا يعتريها أدنى خلل فى تركيبها؟

٤- لعــل ما سبق شرحه وتوضيحه هو الذى حمل الألوسى على تعنيف الرازى لرأيه السابق فيقول: "إن قول الرازى من أبخرة الجهل إذ ليس فى الآية – أو كــصيب من السماء... – سوى أن المطر من هذه الجهة وهو غير مناف لما نكر. كيف والمشاهدة تقضى به فقد حدثنى من بلغ مبلغ التواتر أنهم شاهدوا وهــم فــوق الجــبال الشاهقة سحابا يمطر أسفلهم.. وشاهدوا نارات أبخرة تتصاعد من نحو الجبال فتنعقد سحابا فيمطر.

فإياك أن تلتفت لبرق كلام خلب"(١).

ومن ثَمَّ فسَّرَ أبو السعود (السماء) فى (كصيب من السماء) بـــ "السحاب"(٢).

٥- يقــول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ . ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ ٦٨: ٦٩ الواقعة.

قــال الزمخــشرى: "المزن: هى السحاب الواحدة مزنة. وقيل: هو السحاب الأبيض خاصة وهو أعذب الماء"(٣).

---

(١) روح المعانى ١/ ١٤٥.

(٢) إرشاد العقل السليم ١/ ١٦٥.

(٣) الكشاف ٤/ ٣٧١.

٦- ويقول الله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ ١٠، ١١ نوح.

فالـــذى يدركـــه العقـــل أن (السماء) هنا هى (السحاب) لأن الماء لا ينزل مدرارا إلا منه كما تشاهده الأبصار. وقد عرفنا أن هذه الدلالة على سبيل الحقيقة لا المجاز إذ مادة (س م و) تدل على الارتفاع ولا شك أن السحاب يعلو ويعلو. ولكن الزمخشرى يقول: "السماء: المظلة لأن المطر ينزل منها إلى السحاب".

ومقتضى هذا أن نسبة نزول المطر إلى (السحاب) مجاز. ولكن الحقيقة تأبى ذلـــك ولـــذا رأينا الزمخشرى يعقب بقوله: "ويجوز أن يراد السحاب أى المطر من قوله:

إذا نـــزل الـــسماء بـــأرض قوم ... رعيـــناه وإن كانـــوا غضابا[1]

ومـــن المعلـــوم أن فى هذا البيت استخداما حيث أطلق (السماء) على المطر وأعـــاد علـــيه الـــضمير بمعنـــى النبات. وقد عقب الشيخ محمد عليان على قول الزمخـــشرى قـــائلا: "تطلق السماء على: المظلة – يعنى: البناء – وعلى السحاب. وعلى المطر كما هنا لما فيه من السمو والارتفاع.

وتطلق على النبات مجازا لأن المطر سببه"[2]

وبذلك يثبت يقينا أن (السماء) مع (الماء) معناها السحاب لأنه مخزنه وحامله وموزعه على الأرض.

هذا وكما وردت (السماء) بمعنى (البناء) مفردة وردت جمعا نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ ٢٩ البقرة وقوله: ﴿ ٱللَّهُ

---

(١) الكشاف ٤/ ٤٩٤.

(٢) الكشاف ٤/ ٤٩٤.

ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ ﴾ ١٢ الطـلاق. وقـوله: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ . فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوۡمَيۡنِ ﴾ ١١، ١٢ فصلت.

فالسموات فـى هـذه الآيات بمعنى الأبنية بعضها فوق بعض كما فى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ ٣ الملك. وقوله: ﴿ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعًا شِدَادًا ﴾ ١٢ النبأ.

وهنا أقول: كما وردت (السماء) بمعنى (السحاب) مفردة. وردت جمعا كذلك. وهى فى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقًا فَفَتَقۡنَـٰهُمَا ﴾ ٣٠ الأنبياء.

والمشهور فى هذه الآية أن السموات والأرض كانت أجراما متلاصقة متداخلة مـرتـوق بعـضها ببعض فالرتق بتسكين التاء أو فتحها بمعنى المرتوق كالخلق بمعنى المخلوق. والنقض بمعنى المنقوض.

ثم فتقهن الله عز وجل وباعد بينهن.

وقـد ملـئت بعـض كتب التفسير بهذا المعنى على أنه الراجح الواضح بل الصواب الصحيح. وبناء عليه قرر بعض المفسرين أن الاستفهام للتقرير أى تقرير الكافـرين وحملهـم علـى الإيمان بالله عز وجل لأنهم قد رأوا عظيم قدرته وبالغ عظمـته حيـنما فتق هذه الكائنات المرتوق بعضها ببعض. وحسبنا هنا قول الإمام الزمخشرى. فإن قلت: أقد رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك؟ قلت: فيه وجهان (أحدهما): أنه وارد فى القرآن الذى هو معجزة فى نفسه فقام مقام المرئى المشاهد.

و (الثانى) أن تلاصق الأرض والسماء وتباينهما كلاهما جائز فى العقل فلابد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه"[1].

وكـم تمنيت أن أوافق الزمخشرى على قوله هذا لما له من مكانة عظيمة فى نفـوس دارسى اللغة العربية ولا سيما القرآن الكريم. ولكنى وجدتنى عازفا عنه – فى هذا المقام – لما قرأته فى القرآن نفسه ونصه.

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ ٥١ الكهـف. ومـن قـبل هـذه الآية قـوله تعـالـى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ ٥٠ الكهـف وبهـا يتضح أن مرجع الضمير فى (ما أشهدتهم) هؤلاء الظالمون. ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ٢٥٤ البقرة.

فكـيف يستسيغ أحد بعد آيتى الكهف أن يراد بآية الأنبياء إشهاد ورؤية الذين كفروا خلق السموات والأرض؟!

إن هذا لشئ عجاب وأمر غريب!!

لـذلك كلـه أرى أن الاسـتفهام فـى هذه الآية ليس للتقرير كما نص عليه الزمخـشرى. بل هو للإنكار. وهذا ما ذكره الزمخشرى على أنه القول ذو المرتبة الثانية لا الأولى. وعليه ذكر أن المراد بالسموات: السحب التى تهطل المطر فتتفتق بجـباته بعـد أن كانت رتقا وأن الأرض تكون رتقا حيث وضع الزراع النبات فى طياتها ثم إذا نزل عليها الماء تفتق رتقها بنبات المطر.

---

(١) الكشاف ٣/ ٨٩.

ونـــصه: "أو كانـــت الـــسموات متلاصقات وكذلك الأرضون لا فرج بينهما ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة.

وإنما قيل (كانتا) دون (كنَّ) لأن المراد جماعة الأرض"(١).

وكـــان على الزمخشرى هنا أن ينبه إلى أن معنى الهمزة الإنكار لا التقرير فالقرآن ينكر على الكافرين فى أى زمان ومكان كفرهم مع أنهم يرون هذا المشهد المتكـــرر مـــن السحب التى يفتقها حبات المطر والأرض التى تفتقها براعم النبات والشجر. ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ ٢٧ السجدة.

ويقول ابن عطية: "وقالت فرقة: السماء قبل المطر رتق والأرض قبل النبات رتق ففتقهما الله تعالى بالمطر والنبات كما قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ . وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴾ ١١، ١٢ الطارق.

وهـــذا قول حسن يجمع العبرة وتعديد النعمة والحجة بمحسوس بين. ويناسب قوله: "وجعلنا من الماء كلَّ شئ حى" أى من الماء الذى أوجده الفتق. فيظهر معنى الآية ويتوجه الاعتبار"(٢).

ولا يخفـــى أن معنى (السماء) فى سورة الطارق: السحاب قال الفراء: "تبتدى بالمطر ثم ترجع به كل عام. وقوله: (والأرض ذات الصدع) تتصدع بالنبات"(٣).

---

(١) الكشاف ٣/ ٨٩.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٨٠ وانظر البحر المحيط ٦/ ٣٠٨ فما بعدها.

(٣) معانى القرآن ٣/ ٢٥٥.

٧- سبق قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ ١٤ النبأ.

وفى هذه الآية قراءة ثانية "وأنزلنا بالمعصرات ماء" أما القراءة الأولى. فيقول فـيها الزمخـشرى: "المراد بالمعصرات: إما السحائب إذا عصرت أى شارف أن تعصرها الرياح فتمطر ومنه: أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض.

وإما الرياح ذوات الأعاصير وهو رأى مجاهد.

وإمـا السموات وتأويله أن الماء ينزل من السماء إلى السحاب فكأن السموات يعصرن أى يحملن على العصر ويمكن منه. وهذا رأى الحسن وقتادة.

فـإن قلـت: فمـا وجـه مـن قرأ (من المعصرات) وفسرها بالرياح ذوات الأعاصير – يعنى مجاهدا – والمطر لا ينزل من الرياح؟

قلـت: الـرياح هـى التى تنشئ السحاب وتُدِرُّ أخلافه فَصَحَّ أن تجعل مبتدأ للإنزال"(١).

فـ (من) حرف ابتداء على هذا الوجه. ولكن الذى يرضاه العقل ويطمئن به القلب أن معنى (بعض) هنا هو الذى يتطلبه المراد بالآية.

وممـا يجدر ذكره أن ما نسبه الزمخشرى إلى مجاهد. نسبه ابن منظور إلى ابـن عـباس رضـى الله عنهما فقال: "روى عن ابن عباس أن قال: المعصرات الـرياح. وزعموا أن معنى (من) معنى الباء الزائدة كأنه قال: وأنزلنا بالمعصرات ماء ثجاجا".

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٤٨.

قال المحقق: "ولعل الراد بالزائدة: التى ليست للتعدية وإن كانت سببية"[١]

وهـنا – أيـضا – أقول: إن معنى السببية غير واضح. ولا يخفى أن معنى الـزيادة مـردود. كما عرفنا وعلمنا: أن معنى الابتدائية لا حاجة إليه. فلم يبق إلا معنى (بعض).

وأما قراءة (بالمعصرات) فهى قراءة عكرمة. والمراد بـ (المعصرات) عليها إمـا الرياح وإما السحائب لأنه إذا كان الإنزال منها فهو بها كما تقول: أعطى من يده درهما وأعطى بيده"[٢].

ولعـل صـاحب هـذا النص – وهو الزمخشرى – يـرى أن (من) و(الباء) للسببية.

ولكنـى أقول: شتان بين (المعصرات) و (اليد) إذ الأولى تقبل التبعيض دون الثانية. فمعنى التبعيض هو السائد هنا مكتسب من حلول الباء محل (من) البعضية وهذا ما أشار إليه ابن مالك فى قوله: "ومثل مع ومن وعن بها انطق".

أمـا إفادة الباء معنى (بعض) فى غير ذلك الوضع فغير ممكنة ومن ثم يتبين فساد القـول بأنها بمعنى (بعض) فى قـوله تعالـى: ﴿ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ ﴾ ٦ المائدة. فقد قال ابن قدامى: "وزعم بعض من ينصر ذلك أن الباء للتبعيض فكأنه قـال: "وامـسحوا بعـض رؤوسكم. ولنا قوله تعالى: "وامسحوا برؤوسكم" والباء للإلـصاق فكأنـه قـال: وامـسحوا رؤوسـكم" فيتناول الجميع كما قال فى التيمم (وامـسحوا بوجوهكم) وقولهم الباء للتبعيض غير صحيح. ولا يعرف أهل العربية ذلـك. قـال ابـن بـرهان: مـن زعم أن الباء تفيد التبعيض فقد جاء أهل اللغة بما لا يعرفونه[٣].

---

(١) لسان العرب ٤/ ٥٧٨ وهامشها.

(٢) الكشاف ٤/ ٥٤٨.

(٣) المغنى لابن قدامى ١/ ١١٢.

ومع هذا نرى أن قــول الزمخشرى (أعطى من يده وأعطى بيده) ليس نصا فــى أن (من) و (الباء) بمعنى (بعض) إلا على تقدير مضاف مع (من) أى أعطى مــن ذات يــده أو من ملك يده. وأما (بيده) فالباء إما للسببية وإما للآلة فهى سبب الإعطاء أو آلته.

وبهذا كله يثبت يقينا أن المراد بــ (السماء) و (المعصرات) فى (من السماء ماء) و (من المعصرات ماء) هى السحاب. فالمطر ماء السحاب[1].

وهــذا المعنى حقيقى لا مجازى إذ فى (السحاب) والمعصرات) وهى بمعنى (السحاب) معنى العلو الذى يوجد فى السماء).

ثانيا: إعراب ما بعد هاتين الكلمتين:

إذا ثــبت أن (السماء) و (المعصرات) بمعنى (السحاب) تأكد أن (من) بمعنى (بعض) فهى اسم أى أنزل بعض السحاب حالة كونه ماء. ولكن علماءنا – كدأبهم – لم يتفقوا على هذا المعنى بالرغم من وضوحه وملاءمته لقدسية كلام الله وجلاله وكماله وتنزهه عن الحذف والتقدير أو التقديم والتأخير.

(أ) فقــد رأينا أبا حيان يقول: "ومعناه إذ ذاك التبعيض ويكون فى الكلام مضاف محذوف أى من مياه السماء"[2].

وواضح أنه يجعل (السماء) بمعنى (البناء) لأنها بهذا المعنى لا تقبل التبعيض كالسحاب إذ هو حامل الماء.

(ب) كمــا رأيــنا أبــا البقاء يقرر أن (من) حرف لابتداء الغاية وأن تقدير الكلام وأنــزل مــاء من السماء. فلما قدم الجار والمجرور صار حالا وهو متعلق

---

(١) انظر القاموس ٤/ ١٣٤.

(٢) البحر المحيط ١/ ٩٨.

بمحذوف[1] أي كائنا من السماء. ولا يخفى ما فى ذلك من افتئات لحق قدسية كلام الله وتعكير صفوه وتكدير صفائه.

(ج) وقـد استمسك الألوسى بما ذهب إليه أبو البقاء ثم قال: "إن (من السماء) قُدِّمَ علـى (مـاء) لتتأتى الحالية على الوجه الثانى إذ لو قُدِّمَ المفعول وهو نكرة صار الظرف صفة"[2].

أرأيـت كيف يصل تحكم النزعة التقديرية فى نفوس وعقول علمائنا إلى حد: أن يـزعموا أن الله يقـدم الكلمة ليصح إعراب من أعاريبهم؟ وما كان ضرهم لو أخذوا المعنى من النص على حسب نسقه وجعلوا (من) اسما بمعنى (بعض) ما دام المراد بـ (السماء) هو السحاب فتكون (من) مفعـولا به و (السماء) مضافا إليـه. و (ماء) حالا من (مِنْ) لأنها بعض ما أضيفت إليه كما وضحنا ذلك.

وبهذا نكون قد انتهينا من آيات الأسلوب الأول.

أمـا آية الأسلوب الثانى وهى قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾ ٤٣ النور.

إن نـص الآيـة: "ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فتـرى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار".

والمعنـى الإجمالى أن الله ينشئ السحاب ثم يسوقه قِطَعًا قِطَعًا ثم يؤلف بينه حتى يكون ركاما ويخرج الودق – المطر – من خلاله. وبعد ذلك ينزل من السماء وواضـح أن المـراد بها (السحاب) الذى سبق ذكره – من جبال فيها أى مما يشبه الجبال من بـرد.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٣.

(٢) روح المعانى ١/ ١٥٩.

فـــ (من) فى مواضعها الثلاثة بمعنى (بعض) أى بعض السماء أى السحب بعــض جــبال فــيها بعض بــرد. والأولى مفعول به والثانية بــدل من المفعول. والثالثة حال.

وبهذا نصون النص عن دعاوى غير لائقة بالقرآن. فقد أطال النحاة الكلام فى هذه الآية وبيان ذلك.

(أ) جوز الفراء وأبو على الفارسى زيادة (من) فى (من جبال ومن برد)[1].

ومقتضى هذا أن يكون المعنى: وينزل بعض السماء جبالا وبردا. ولا يخفى مــا ذلك من نقص وافتئات على حق النص القرآنى. إذ كيف يقول الله (من جبال) و(مِنْ بَرَد) ثم نزعم نحن أنه (جبالا وبردا)؟!

(ب) يرى الطبرى زيادة (مِن) فى (من برد) دون (من جبال) فقد جعلها للتبعيض.

وقــال: "فنجيز حذفها فى (من برد) ولا نجيز حذفها فى (من جبال). ثم علل الأول بقــوله: لأن البــرد مفــسر- يعنى: تمييز - عن الأمثال كما يقال: عنــدى رطلان زيتا.

وعندى رطلان من زيت. وليس عندى الرطل وإنما عندى المقدار فــ (من) تدخل فى المفسَّر وتخرج منه.

وعلل الثانى بقوله: لأنها دالة على الذى فى السماء"[2].

وكأنــى بالطبــرى يرى أن تقدير الآية: وينزل بعض السماءِ - السحاب - بعــض جبال بردا على جعل (بردا) تمييزا بدليل قبوله (من). وهو بذلك لم يحاول ذكر الفرق بين قولنا: عندى رطلان زيتا وقولنا: عندى رطلان من زيت. ويتجلى هذا الفرق بينهما بأن فى الأول بيانا لجنس المقدار. وأما الثانى ففيه ذكر لبعض هذ

---

(١) انظر البحر المحيط ٦/ ٤٦٤ والمغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٧.

(٢) جامع البيان ٦/ ٥٥ ببعض تصرف.

الجنس. وشتان بينهما. ومن ثم لزم أن نجعل لكل أسلوب مقامه الذى يليق به. وما دام قـوله تعالــى (من بَـرَد) بذكر (من) وجب مراعاة معناها الذى يليق بمقامها. وبهذا ننزه النص عن دعوى الزيادة إذ هى باطلة.

هـذا: وقـد ذكـر الزمخشرى شبه ما ذكره الطبرى حيث قال: "من: الأولى لابـتداء الغايـة والثانـية للتبعـيض والثالثة للبيان. أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض. ومعناه: أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها.

وعلى الأول مفعول (ينزل): من جبال. ثم ذكر أن معنى (من جبال فيها من برد) إما أن يخلق الله فى السماء جبالَ بَـرَد كما خلق فى الأرض جبالَ حَجر. وإما أن يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال: فلان يملك جبالا من ذهب"(١).

ومقتضى جعل (من) الأولى لابتداء الغاية أنها حرف فلا تكون مفعولا به.

ولذا قال الزمخشرى: وعلى الأول مفعول (ينزل) (من جبال) لأنه جعل (من) فى هذا للتبعيض فهى التى تصلح مفعولا به. ولعل الذى حمل الزمخشرى على هذا أنـه جعـل (الـسماء) بمعنى (البناء). فابتداء نزول الماء من (السماء) أى البناء. والصواب أنها بمعنى السحاب.

وبذلك كله يثبت بما لا شك فيـه أن معنى الآيـة : (وينزل بعض السحاب) فـــ (من) الأولى مفعول به و (بعض جبال فيها) بـدل. و (بعض برد) حـــال كـــ (ماء) فى قوله تعالى: "وأنزل من السماء ماء".

والضمير فى (فيها) عائد على السماء التى هى بمعنى السحاب. قال الشريف الرضى: "إن الضمير فى (من جبال فيها) عائد على (السماء) لا على (الجبال) فكأن التقدير: وينزل من جبال فى السماء من برد. يريد من (السحاب) المشبهة بالجبال. وتكـون الفائـدة فـى قوله (من جبال فى السماء) تخصيص تلك الجبال من جبال

---

(١) الكشاف ٣/ ١٩٤ وانظر شرح المفصل ٨/ ١٤.

الأرض لأنا لو جعلنا الضمير الذى (فيها) عائد على (الجبال) لأوهم أنه جبال تنزل إلى الأرض من السماء. فإذا جعلنا الضمير عائداً إلى (السماء) أمن الالتباس.

وكان في ذلك أيضا تعجب لنا من وصف جبال فى السماء على طريق التشبيه لأن الجبال على الحقيقة لا تكون إلا فى قرارات الأرض وصفحات التراب"(١).

والـذى يلمحـه القـارئ من نص الشريف الرضى هو: أن (السماء) بمعنى (البـناء) لا بمعنـى (السحاب). وقد علمنا أن اللائق الثانى. وأما (من جبال فيها) فالـضمير عائد على السماء بمعنى السحاب. وكأن السحاب تحمل ما يشبه الجبال ثقلا من الماء. ومما يؤكد ذلك أننا لو تأملنا بعض السحب لعلمنا أن بينها وبين جبال الأرض وجـه شبه إذ منها ما هو أسود ومنها ما هو أحمر ومنها ما هو غير ذلك. كمـا فـى قـوله تعالـى: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ ٢٧ فاطر.

فالمماثلة بين جبال الأرض وألوان السحاب واقعة لا محالة.

الأسلوب الثالث: قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ ١٣ غافر.

الأسلوب الرابع: قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ٥ الجاثـية

فمعنـى كلمـة (السماء) فى الآيتين: السحاب فـ (من) بعضية أى ينزل لكم بعض الـسحاب رزقـا. أى مطرا يترتب عليه إنبات الرزق فى الأرض. أى وينزل لكم

---

(١) تلخـيص البـيان ص ٢٤٦: ٢٤٧. وانظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٨٣ وإرشاد العقل السليم ٤/ ٦٦.

بعــض السحاب حالة كونه رزقا. والذين يتذكرون ذلك ويتدبرونه هم الذين ينيبون إلى ربهم.

وفــى الآية نجد قوله تعالى: "وما أنزل من السماء من رزق...... أى بعض السحاب حالة كون هــذا البعض رزقــا. والمــراد: المطر الــذى يحيي الأرض بعد موتها.

فآيــة غافر ورد فيها (رزقا) مطلقة من التقييد وسورة غافر أول ما نزل من الحواميم. وآخــرها سورة الأحقاف. لأن الحواميم قد نزلت متتالية متتابعة حسب وجودها فى المصحف العثمانى.

فــلا عجب أن تكون آية غافر (رزقا) وآية الجاثية (من رزق) فالمطلق أولا والمقيد آخرا. وسبحان من يعلم أسرار كلامه.

النــوع الثانى:

آيتان إحداهما عن الوحي بمعنى أنه من فضــل الله وهــى قــوله تعالــى: ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾٩٠ البقرة.

فـــ (مِــنْ) مفعول إذ هى اسم بمعنى (بعض) أى بعض فضله والمراد هنا الوحـــى الذى أنزله الله على محمد ﷺ ممثلا فى القرآن الكريم. والآية تنص على أهــل الكتاب أنهم لا يؤمنون به. ومع وضوح معنى البعضية نرى أبا البقاء يجعل المفعول محذوفا أى شيئا من فضله[1].

وأنت فى غنى عن الرد على هذا فقد علمته مما سلف.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٢٩.

وهـناك من يجعل (من) حرف ابتداء كما أن هناك من يجعلها زائدة على ما يراه الأخفش[(١)].

والذى يرد ذلك أنهم – أى العلماء – لا يختلفون فى أن المراد بالفضل الوحى والنبوة. ولا شك فى أن هذين يتبعيض كل منهما إذ رسول الله محمد ﷺ. لم ينزل علـيه وحـى الله كله ولم يؤت النبوة كلها. وهذا ما يؤكد معنى (بعض) لـ (من) فتكون مفعولا به إذ هى اسم.

أمـا الآية الثانية فهى تتحدث عن القـرآن وهى قـوله تعالـى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ٨٢ الإسراء.

وقـد ترددت أقوال العلماء فى (من) هنا حول معنى الابتدائية أى أنها حرف ابتداء[(٢)].

أو معنـى البيانية ذكره الزمخشرى وأبو السعود والألوسى. والذى يعنينا هنا نـص أبـى السعود ألا وهو: "من: بيانية قدمت على المبين اعتناء فإن كل القرآن كذلك"[(٣)].

فانظـر – هداك الله – كيف يجوز عند بعض علمائنا تقديم البيان على المبين فهـذا أمر عجيب غريب لأنه يخالف طبيعة الأشياء إذ الأصل ذكر المبيَّن أى الذى يحتاج إلى بيان ثم يذكر ما يبينه. ومن ثَمَّ رده أبو حيان ولكن الشهاب الخفاجى يأبى إلا أن يـرد على أبى حيان قائلا: "إنه جاء بناء على جواز تقديم البيان على المبين

---

(١) انظر البحر المحيط ١/ ٣٠٦ وحاشية الجمل ١/ ٩٣.

(٢) البحر المحيط ٦/ ٧٤.

(٣) إرشاد العقل السليم ٣/ ٢٣٠ وانظر الكشاف ٢/ ٥٣٨ وإملاء ما من به الرحمن ٢/ ٥٠.

وهو (ما) – أى فى (ما هو شفاء ..) – فلا يسمع رد أبى حيان له وعلى هذا يكون القرآن كله شفاء"[١].

ولكنــى أرى أن الحق بجانب أبى حيان هنا لأن فيه تنزيه القرآن عن دعوى الـتقديم والتأخيــر التى عرفنا بطلانها. وفضلا عن ذلك فإنه يترتب عليه أن (من) زائدة وتلك دعوى أخرى أشد بطلانا من سالفتها.

ويبقــى المعنى الثالث لــ (من) وهو (البعضية) أى ونزل بعض القرآن (ما) بـيان لــــ (من) وبه قال الزمخشرى وأبو السعود والألوسى: ونص الزمخشرى: "والتبعــيض أى كــل شــئ نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به إيمانا ويستصلحون به دينهم. فموقعه منهم موقع الشفاء من المرض"[٢].

ومعنى قول الزمخشرى (كل شئ نزل من القرآن) أن (من) تدل على ما نُزِّل من القرآن جزءا جزءا. فكل آيات نزلت منه فهى شفاء فإذا جمعنا نجومه التى نزل بها انتهى بنا الأمر إلى أن القرآن كله شفاء. وبهذا يسقط إنكار الحوفى لهذا المعنى – أى البعضية – لاستلزامه أن بعض القرآن لا شفاء فيه"[٣].

ومن ثم رده أبو السعود بأنه: "ليس المراد بالتبعيض أن بعضه ليس فيه شفاء بـل بمعنــى: أنا ننزل منه فى كل نوبة ما تستدعى الحكمة نزوله حينئذ فيقع ذلك موقــع الــدواء الــشافى. فكل بعض منه متصف بالشفاء لا فى كل حين بل عنــد تنزيله"[٤].

وبهــذا يستقيم إعراب (من) مفعولا لــ (ننزل) و (ما) بيانا لها. وعليه يتنزه القرآن عن دعويين باطلتين وهما: دعوى التقديم والتأخير ودعوى الحذف والتقدير.

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى ٦/ ٥٦.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٣٨. وانظر إرشاد العقل السليم ٣/ ٢٣٠ وروح المعانى ٤/ ٥٧٤.

(٣) انظر البحر المحيط ٦/ ٧٤.

(٤) إرشاد العقل السليم ٣/ ٢٣٠.

النوع الثالث:

ويتمثل هذا النـــوع فى آية واحـــدة تتحدث عن الأنعـــام وهى قوله تعالـــى: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ ٦ الزمر.

وفسرها الزمخشرى بقوله: "وأنزل لكم: وقضى لكم وقسم لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب فى اللوح كل كائن يكون.

وقـــيل: لا تعيش الأنعام إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها.

وقيل: خلقها فى الجنة ثم أنزلها.

(ثمانـــية أزواج) ذكرا أو أنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز. والزوج اسم الواحد معه آخر. فإذا انفرد فهو فرد ووتر. قال الله تعالى:﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ ٣٩ القيامة"[1].

وإذا كان الزمخشرى فسر الأنعام بالإبل والبقر والضأن والمعز فهو آخذ ذلك مـــن نص قرآنى هو قوله تعالى:﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ .وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ

---

(١) الكشاف ٤/ ٨٨.

كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ١٤٢ : ١٤٤ الأنعام.

وهـــناك مـــن فسره بغير ذلك فقد قال المجد: "والنعم وقد تسكن عينه: الإبل والشاء. أو خاص بالإبل جمع أنعام"(١).

ولا شك أن تفسير الزمخشرى أوثق وأقوى وأعم.

وظاهـــره أن (مـــن) بعـــضية إذ (الأنعام) تقبل التبعيض. فهى مفعول به أى وخلق لكم بعض الأنعام. فالمخاطب جميع البشر على اختلاف أجياله وأزمانه فكل جـــيل يخلـــق الله لـــه بعضها لا كلها. وأما (ثمانية أزواج) فبيان أو بدل من (من الأنعام).

ولعـــل الـــسر فى اختصاص (الأنعام) بامتنان الله على خلقها لعباده هو: أنها ذات مكانة عليا فى نفوس العرب. إن لم تكن فى نفوس سائر الأجناس البشرية.

٧٩- نشـــــأ:

وذلك فى آية واحدة هى قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ .وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًاۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ١٤١ :١٤٢ الأنعام.

---

(١) القاموس ٤/ ١٨٢.

أى وأنشأ بعض الأنعام. فالبعضية تساوى البعضية المفهومة من تنكير (جنات معروشـــات وغيــر معروشـــات) وكمــا أن (الجنات) منها معروشات ومنها غير معروشـــات. فــ (الأنعام) منها حمولة ومنها فرش. فــ (مِن الأنعام) معطوف على (جــنات) وهـــى متــضمنة معنى البعضية لتنكيرها. ومن ثَمّ كان فى عطف (من الأنعام) الذى فيه معنى البعضية عليه من الاتساق ما لا يخفى.

ولكـــن الزمخـــشرى جعل (حمولة وفرشا) عطفا على (جنات) أى وأنشأ من الأنعـــام ما يحمل الأثقال وما يُفْرش للذبح. وينسج من وبره وصوفه وشعره الفُرُش .. وجعل (من الضأن اثنين ... إلخ) تفسير الـــ ثمانية أزواج"(١).

ومقتـــضى ذلك أن (حمولة وفرشا) هى المفعول به. لأن الزمخشرى لم يعبأ بمعنـــى (من) فى (ومن الأنعام) وأغلب الظن أنه يجعلهـــا حـــرف ابتداء متعلقـــة بـــــ (أنشأ) وذلك بعيد كل البعد. فالأولى بل الذى يليق بجلال كلمات الله أن تكون (مِنْ) بمعنى (بعض) وهى المعطوفة على (جنات) ثم جعل (حمولة وفرشا) تفسيرا وبـــيانا لــــــ (من) أو بدلا كما قلنا. والمراد بدل كل من كل لأنه هو الذى يتفق مع البيان فى معناه حتى قال علماؤنا: إنه لا فرق بينهما كما حققنا ذلك فيما سبق.

٨٠- نشـــــر:

فى آية واحدة قوله تعالى:﴿ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾ ١٦ الكهف أى بعـــض رحمته لأن رحمته وسعت كل شئ. والمخاطبون بعض ما خلق الله لا كله فالواقع بهم بعض رحمته لا كلها.

٨١- نفـــخ:

فـــى خمـــس آيـــات ثلاث منها فى شأن آدم عليه السلام وهى: قوله تعالى: ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ ٢٩ الحجـــر. وقوله:﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ ٩ السجدة. وقوله:﴿ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ ٧٢ ص.

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٨ وانظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٤٧.

واثنـــتان فى شأن مريم عليها السلام وهما قوله تعالى:﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ ٩١ الأنبياء. وقوله:﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ ١٢ التحريم.

واضـــح أن (مِـنْ) بمعنـــى (بعض) ومن ثم قال الجمل: "روحا هى بعض الأرواح التى خلقتها أى أدخلتها وأجريتها فيه"[1].

فالمـــراد مـــا يحيا به البشر. فالله هو الذى يحييه وغيره من الكائنات. ومن البدهى أن لله حياة فهو الحى الذى لا يموت. ولكن شتان بين حياة الله وحياة البشر.

ولـــذا قـــال العلماء فى القَسَم الذى نصه (لعمر الله لأفعلن ذلك) إنما يراد به القسم بحياةٍ يُحْيِى الله بها غيره لا حياة يحيا بها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا"[2].

هـــذا: ومما هو جدير بالملاحظة فى آيتى مريم عليها السلام قوله تعالى فى ســـورة الأنبـــياء (فنفخنا فيها) وفى سورة التحريم (فنفخنا فيه). وهما معا مسبوقان بقـــوله تعالى: فى الأولى: (والتى أحصنت فرجها) وفى الثانية: "ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها. والظاهر أن مرجع الضمير هو (الفرج) فلم أنثه فى الأولى؟

قال الزمخشرى: "فإن قلت: نَفْخ الروح فى الجسد عبارة عن إحيائه قال الله: "فإذا سويته ونفخت فيه من روحى" أى أحييته. وإذا ثبت ذلك كان قوله: "فنفخنا فيها من روحنا" ظاهر الإشكال لأنه يدل على إحياء مريم؟

قلت: معناه نفخنا الروح فى عيسى فيها أى أحييناه فى جوفها. ونحو ذلك أن يقول الزَّمَّار: نفخت فى بيت فلان أى نفخت فى المزمار فى بيت فلان.

ويجـــوز أن يـــراد: وفعلنا النفخ فى مريم من جهة روحنا وهو جبريل عليه السلام لأنه نفخ فى جيب درعها فوصل النفخ إلى جوفها"[3].

---

(١) حاشية الجمل ٢/ ٦٤٨.

(٢) تلخيص البيان ص ١٩٠.

(٣) الكشاف ٣/ ١٠٥.

هــذا ما ذكره الزمخشرى ولا غبار عليه لأنه حاول أن يفرق بين التعبيرين وهذا هو اللائق بجلال كلام الله ودقته وحكمته.

ومع هذا أرى أن اختلاف السياق فى الآيتين يقتضى اختلاف مرجع الضمير.

وبــيان ذلــك: أن آية الأنبياء (والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا) والتعبير بـــ (التى أحصنت فرجها) فيه من الإجمال ما لا يخفى لأنه لم يشتمل على اسـم مــريم عليها السلام فناسب هذا الإجمال قوله (فنفخنا فيها) أى التى أحصنت فرجها.

وأما آية التحريم فهى (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه).

ففــيها تفصيل وتبيين بذكر اسم مريم. ولذا ناسب تفصيل وتبيين مكان النفخ وهو الفرج. فلكل آية سياق وتعبير. وسبحان من يعلم أسرار كلماته.

٨٢- نفـــق:

و (مِنْ) مع هذه المادة إما مضافة إلى (ما) أو مضافة إلى (طيبات) أو مضافة إلى الضمير أو مضافة إلى (سعة).

١- الآيات التى أضيفت فيها (مِنْ) إلى (ما) ولهذه الآيات أسلوبان.

(الأول) ذكــرت فــيه (مِنْ) قبل الفعل و ذلك فى سبع آيات هى: قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ ٣، ٢٦٧ البقرة، ٣ الأنفال، ٣٥ الحج، ٥٤ القصص، ١٦ السجدة، ٣٨ الشورى.

و (الثانـــى) ذكرت فيه (من) بعد الفعل وذلك فى إحدى عشرة آية هى: قول تعالى:﴿ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ... وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ ٢٥٤ ٢٦٧ البقرة: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ٩٢ آل عمــران

﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ ٣٦ النساء،﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ ٢٢ الرعد، ﴿وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ ٣١ ابراهيم،﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ ٢٩ فاطر، ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ٤٧ يس، ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ ٧ الحديد، ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ ١٠ المنافقون ﴿ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ ٧ الطلاق.

فهذه ثمانى عشرة آية أضيفت فيها (من) إلى (ما) ونكرت قبل الفعل الناصب لها فى ست آيات اتحد اسلوبها فى مواضعه الستة وأولها فى سورة البقرة "ومما رزقناهم ينفقون" وآخرها فى سورة الشورى. و (ما) فيها اسم موصول وصلته (رزقناهم) وقد علمنا أن الفعل (رزق) ينصب مفعولين. ذكرَ الأول منهما وهو علامة إضمار جماعة الذكور (هم) وأما الثانى فيدركه العقل وهو العائد على (ما) ليربط جملة الصلة بـ (ما) الموصولة.

أى: رزقناهموه. أو رزقناهم إياه. ففى الأسلوب ضرب من الإيجاز يجعله عذبا سهلا جميلا.

ولا يذهبن بالقارئ ظنه إلى أن هذا الأسلوب فيه تقديم وتأخير. لأن الحقيقة أن (مما) ذكرت أولا لاقتضاء المقام ذلك وما اقتضاه المقام يكون فى مكانه الذى لا يزول عنه. فهو مثل قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ٥ الفاتحة. فالمفعول ذُكِرَ قبل الفعل لإفادة معنى الاختصاص. ولذا قال الزمخشرى فى آية البقرة: "وأدخل (من) التبعيضية صيانة لهم وكفًّا عن الإسراف والتبذير المنهى عنه. وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم كأنه قال: ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به. وجائز أن يراد به الزكاة المفروضة لاقترانه بأخت الزكاة

وشـــقيقتها وهى الصلاة. وأن تراد هى وغيرها من النفقات فى سبيل الخير لمجيئه مطلقا يصلح أن يتناول كل منفق"[١].

فــ (مــن) بمعنــى (بعــض) وهــى المفعــول به وذكر قُبيلُ فعله لإفادة الاختصاص.

وعلــى الرغم من وضوح ذلك المعنى نرى زاده فى حاشيته على البيضاوى يقول: "المشهور فى مثله أن يكون المفعول مقدرا ويكون الجار والمجرور فى محل نصب على أنه صفة لذلك المقدر. والتقدير: وبعضا أو شيئا مما رزقناهم ينفقون ثم حذف الموصول وأقيمت الصفة مقامه. إلا أن المصنف - يعنى البيضاوى - سماه مفعولا على الإطلاق نظرا إلى المعنى. فإن المعنى: وبعض ما رزقناهم ينفقون"[٢].

ومقتــضى ما ذكره زاده أن (من) حرف مع دلالتها على معنى (بعض) وهذا لا شــك فــى ضــعفه بل فى فساده لما حققناه فى هذا الشأن. كما أن دعوى حذف الموصــوف وإقامــة الوصف مقامه باطله لما علمناه من أن هذا الحذف أقبح من القبــيح. بــل هــو فى مثل القرآن أشد ما يكون قبحا لأن الأسلوب تام الدلالة على المعنى بدون تلك الدعوى.

وهناك من يرى أن (من) حرف ابتداء غاية الإنفاق وهو أبو البقاء[٣].

ولــست أدرى أيــن انتهاء الغاية؟ هل يعنى أنه يمكن إنفاق المال كله أى من أولــه إلــى آخره؟ لو جاز ذلك لما كان التعبير بــ (من) ومن ثم قال الألوســى: "و(مــن) التبعيــضية مما لا يسأل عن سرها إذ الزكاة المفروضة لا تكون بجميع المال. وأما إذا كان المراد بالإنفاق مطلقه الأعم مثلا ففائدة إدخالها الإشارة إلى أن

---

(١) الكــشاف ١/ ٣٢. وانظــر البحــر المحيط ١/ ٤٥ ومدارك التنزيل ١/ ١٣: ١٤. وروح المعانى ١/ ١٠١. وتفسير القرآن الحكيم ١/ ١٣٠.

(٢) حاشية زاده على البيضاوى ١/ ٩٤: ٩٥ وانظر حاشية الشهاب الخفاجى عليه ١/ ٢٢٩.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٧.

انفاق بعض المال يكفى فى اتصاف المنفق بالهداية والفلاح. ولا يتوقف على إنفاق جميع المال"(١).

وقـــال السيد رشيد رضا: "وقوله (ومما رزقناهم ينفقون) يدل على أن النفقة المـــشروعة تكـــون بعـــض ما يملك الإنسان لا كل ما يملك فهو ركن من أركان الاقتصاد"(٢).

هـــذا عن الآيات الست التى ذكرت (مِنْ) فيها قبيل الفعل. وبذلك يكون عدد مرات (من) أربعا وعشرين مرة إلى هنا.

وأمّـــا قوله تعالى:﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ ٢٦٧ البـــقرة.

فـــ (الخبيث) مفعول (تيمموا) أى ولا تقصدوا الخبيث. و (منه تنفقون) (من) مفعول لتنفقون وهى بمعنى (بعض) قال الزمخشرى: "منه تنفقون يخصونه بالإنفاق. وهو فى محل الحال"(٣).

وهـــذا دلـــيل علـــى أن (من) مفعول لـــ (تنفقون) ولكنها ذكرت قبله لإفادة الاختصاص.

وقـــال أبو حيان: "و (منه) متعلق بـــ (تنفقون) والضمير فى (منه) عائد على الخبـــيث) و (تـــنفقون) حـــال من الفاعل فى (تيمموا). قيل: وهى حال مقدرة لأن الإنفاق منه يقع بعد القصد إليه.

ويجـــوز أن يكون حالا من المفعول – الخبيث – لأن فى الكلام ضميرا يعود عليه(٤).

---

(١) روح المعانى ١/ ١٠١.
(٢) تفسر القرآن الحكيم ١/ ١٣٠.
(٣) الكشاف ١/ ٢٤٠.
(٤) البحر المحيط ٢/ ٣١٨.

أما الآيات الأحدى عشرة فقد ذكرت فيها (من) بعيد الفعل. فهى مفعول به أى أنفقـوا بعض ما رزقناكم. ورابط الصلة بالموصول مضمر يدركه العقل كما ذكرنا ومما يثبت بعضية (من) فى هذه الآيات قراءة عبد الله (بعض ما تحبون) فى آية آل عمـران كما ذكره الزمخشرى ثم قال: "وهذا دليل على أن (من) فى (مما تحبون) للتبعيض. ونحوه: أخذت من المال"(١).

وقـال أبو حيان: "و (من) فى (مما تحبون) للتبعيض. ويدل على ذلك قراءة عبد الله (حتى تنفقوا بعض ما تحبون) و (ما) موصولة والعائد محذوف"(٢).

وحذف العائد فى الآيات السبع عشرة سمة واضحة فهى لم تتخلف إلا فى آية الحديد: "وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه".

٢- أضـيفت (من) إلى الطيبات فى آية واحدة هى قوله تعالى:﴿ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ ٢٦٧ البقـرة. فـ (من) اسم بمعنى (بعض) مفعول به و(طيـبات) مـضاف إليه. وهى مضاف و (ما) مضاف إليه وجملة (كسبتم) صلة الموصول والعائد محذوف أى ما كسبتموه..

٣- أضيفت (من) إلى الضمير فى آية واحدة وهى قوله:﴿ فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ ﴾ ٧٥ النحل. أى ينفق بعضه.

٤- أضيفت (من) إلى (سعة فى آية واحدة هى قوله تعالى:﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ ٧ الطلاق.

قال ابن فارس: "الواو والسين والعين كلمة تدل على خلاف الضيق والعسر. يقـال: وسـع الشئ واتسع. والوسع: الغنى.. والجِدة والطاقة. وهو ينفق على قدر وُسْعِهِ.

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٢٩٤.

(٢) البحر المحيط ٢/ ٥٢٤.

وقال تعالى فى السعة: "لينفق ذو سعة من سعته"(١).

وبهـذا يثبت معنى البعضية لـ (من) فتكون مفعولا به أى بعض ماله الذى وسَّع الله به عليه. فلسنا فى حاجة إلى تقدير مضاف وحمل (من) على غير معناها كما قال الجمل ونصه: "أن قوله (من سعته) على حذف مضاف و (من) بمعنى (على) أى على قدر سعته"(٢).

ولو كان الأمر كذلك للزم ذا السعة أن ينفق كل ماله. وهذا بعيد الاحتمال إذ هو قريب من المحال. ولا أدل على ذلك من قوله تعالى من بعد هذه الفقرة: "قَدَرَ - أى ضيَّق - عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله" أى بعض ما آتاه الله. فكلمة (من) صاحبة اليد الطولى والأثر البالغ فى المعنى المراد.

وبذلك يثبت أن (مِنْ) استعملت مع فعل من مادة (نفق) سبع عشرة مرة. وأنها محور المعنى فى آياتها لأنها تدل على علم الله بطبائع البشر ونفوسهم فلم يطلب منهم أن ينفقوا كل ما لهم بل بعضه ولذا قال الله:﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ ﴾ ٣٧ محمد. وبهذا يرسم القرآن صورة الكثرة الكاثرة من الناس وهى ما يعبر عنه بالوسط. وتبقى بعد ذلك صورة الطرف الأعلى وصورة الطرف الأدنى. وقد رسم الله الصورة الأولى بقوله:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ وقوله:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ

(١) معجم مقاييس اللغة ٦/ ١٠٩.

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ٤/ ٣٦٠.

أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

وقـــوله﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ٢٦١، ٢٦٥، ٢٧٤ البقرة.

هذه هو الصورة العليا التى تدل على أن هناك طائفة لا تبقى من أموالها شيئا. فى سبيل الخير.

واما الصورة الدنيا فقد رسمها بقوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا .وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ ٣٩ النساء.

فرفعت (من) فى جانب الكفر ووضعت فى جانب الإيمان.

وبهــذا تتجلى لنا الصور الثلاث لبنى البشر فى إنفاق المال الذى هو عصب الحياة كما يقال.

٨٣- نقــص :

فى خمس آيات هى قوله تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ١٥٥البقرة. وقوله:﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا

ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ١٣٠ الأعراف. وقوله:﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً .نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾٢، ٣ المزمل.

ففى هذه الآيات الثلاث نجد مصدرا منونا فى اثنتين. وفعل أمر فى الثالثة.

كما نرى المصدر والفعل متعديين لمفعول واحد هو (مِنْ) التى بمعنى (بعض) ففـــى الأولى. ونقص بعض الأموال والأنفس والثمرات. وفى الثانية ونقص بعض الثمـــرات. والمصدر المنون عامل رفعا ونصبا ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ .يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ .أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ ١٤: ١٦ البلد.

ومعنى (مِنْ) فى الآيتين له قيمة كبرى إذ يدل على أن الله عز وجل لا يبتلى عـــباده بتدميـــر كل شئ بل يكون فى ابتلائه لطف ورحمة. وبذلك يعطى الفرصة للمبتلى أن يثوب إلى رشده ويتوب من ذنبه.

وفـــى آيـــة المزمل أمر رسوله ﷺ بنقص بعض الليل من القيام والتهجد ثم وضح ذلك بـــ (قليلا) فـــ (قليلا) بيان لـــ (من).

هـــذا ما نراه واضحا جميلا لائقا بجلال القرآن وكماله. ولكن بعض علمائنا أبى إلا أن يتردد بين آراء متعددة فذكروا فى آية البقرة أربعة أوجه هى:

(أ) أن يكـــون المفعـــول محذوفا أى ونقصٍ شيئا من الأموال. و (من) للتبعيض صفة لذلك المحذوف.

ومقتضى هذا أن (من) حرف مع دلالتها على معنى (بعض) وهذا لا فائدة فيه ولا نفـــع له إذ ما الفرق فى المعنى بين (شيئا) و (من)؟ لا فرق. اللهم إلا إذا كان الحذف والتقدير) سنة لابد من اتباعها وإن كانت متضمنة (حيفا وتكديرا).

(ب) أن تكون (من) صفة لـــ (نقص) فهى فى محل جر ومعناها ابتداء الغاية.

وبالــتأمل في هذا الوجه نرى أنه غير ذي جدوى إذ ما معنى أن يكون ابتداء النقص هو الأموال والأنفس والثمرات؟ وما معنى كون (من) الحرفيه فى محل جر؟ هــل الحــرف يعــرب محلا؟ إننا لم نعهد ذلك عند جمهور العلماء إذ لم نعلم قائلا بإعراب الحرف إلا الفرآء كما سبق ذكره. فما الداعى أن نخرج بالكلمة عن ميدانها الرحب وقيمتها الكبرى إلى ما يفقدها ذلك؟؟

(ج) أن تكون متعلقة بــ (نقص) والظرف لغو.

ومعنـــى هــذا أن الآية مثل قوله تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ ١ الإسراء.

وهــذا بعــيد لأن (من الأموال ..) فيه ما يصلح لمعنى البعضية وليس ذلك موجــودا فى (من المسجد) وما دام يمكننا أن نجعل الكلمة اسما فلا مناص عنه ولا فرار منه لأن ذلك يصون النص عن العبث واللغو.

(د) أن تكون زائدة وذلك قول الأخفش[1].

وقد علمنا علم اليقين أن دعوى الزيادة باطلة.

فــإذا ثبت ما قلناه لزم أن تكون (من) اسما بمعنى (بعض) وهى المفعول به وتعرب محلا.

أفــرأيت كــيف يــنأى علماؤنا عن الوجه السديد إلى ما دونه إرضاء لشهوة الحذف والتقدير. أو إعدام الحرف بدون ما ذنب ولا جريمة؟!

---

(١) انظــر فــى هذه الأوجه إملاء ما من به الرحمن ١/ ٣٩ والبحر المحيط ١/ ٤٥٠ وحاشية الجمل ١/ ١٤٨.

هــذا: وهــناك آيتان تعدى فيهما (نقص) إلى اثنين وهما قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ ٤١ الـــرعد. وقـــوله: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ﴾ ٤٤ الأنبياء.

فالمفعول الأول علامة إضمار المؤنث المفرد (ها) والثانى هو (من أطرافها) أى بعض أطرافها. وقد علمنا فيما سبق أن (نقص) صالحة لنصب المفعول الواحد. ولنصب المفعولين. ومثله فى ذلك (زاد).

قال الزمخشرى فى آية الرعد: "الأرض: أرض الكفر (ننقصها من أطرافها) بما نفتح على المسلمين من بلادهم. فننقص دار الحرب ونزيد فى دار السلام. وذلك مــن آيــات النــصرة والغلبة. ونحوه: "أفــلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها"[(١)].

٨٤- نكـــح:

فى قوله تعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ ٢٥ النساء.

والمراد هنا (من) فى قوله (فمن ما ملكت أيمانكم) أى فلينكح بعض ما ملكت يمينه. أما (منكم) و (من فتياتكم) فسيأتى أنها من باب الحال لا المفعول به.

فمعنـــى الآيـــة واضح لا غموض فيه ولكن أبا البقاء – على عادته وحرصه على تعدد الآراء لغير فائدة – يقول: "وفيها وجهان أحدهما: أنها زائدة أى فلينكح ما ملكـــت. والثانى: ليست بزائدة والمفعول محذوف و (من) صفة. وقيل مفعول الفعل المحـــذوف – فلينكح – (فتياتكم) و (من فتياتكم) زائدة. وقيل (فمن ما ملكت) خبر مبتدأ محذوف أى فالمنكوحة مما ملكت"[(٢)].

---

(١) الكشاف ٢/ ٤١٦.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٩٩.

أرأيــت هــذا العناء فيما ليس فيه غناء؟ وحسبك أن تقارن بين ما قررناه فى الآية وبين هذه الآراء التى لا نفع فيها إلا صداع الدماغ والمشقة على العين والقلم والفكر فيما لا ثمرة فيه.

ولعلــك تتكر ما نبهنا إليه فى مثل هذه الأوجه وهو أنها تشتمل على دعاوى باطلــة وهــى: دعــوى الزيادة لــ (من) و (من فتياتكم) ودعوى الحذف والتقدير والتقديم والتأخير.

وكان الأجدر بأبى البقاء أن يتنبه إلى قوله تعالى فى الآية رقم ٣ من السورة نفسها وهو: "فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم" حيث لم ترد (من) هنا مع (ما ملكت).

ولعــل السر فى ذلك أن هذه الآية فى نكاح المستطيع بماله العاجز عن العدل بــين الحرائــر. وأمــا الآية التى نحن بصددها ففى نكاح العاجز عن مؤنة النكاح للحرة.

فيباح له ما يحصن فرجه وهو إحدى الإماء فجاء التعبير بــ (من) فيها دون الآخرة قال الزمخشرى: "سوى فى السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر ولا توقيت عدد. ولعمرى أنهن أقل تبعة وأقصر شغبا وأخف مؤنة مــن المهائــر. لا عليك أكثرت منهن أم أقللت. عدلت بينهن فى القَسْم أم لم تعدل. عزلت عنهن أم لم تعزل"(١).

وقــد وصــفت الأَمَة بالإيمان. وهو شرط للأفضلية قال الزمخشرى: "ونكاح الأمــة المؤمــنة أفــضل. فحملوه - أى الإيمان - على الفضل لا على الوجوب. واستــشهدوا علــى أن الإيمــان ليس بشرط يوصف الحرائر به مع علمنا أنه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه أفضل. ثم ذكر أن نكاح الأَمَة منحط عن نكاح الحرة لمــا فــيه من اتباع الولد الأم فى الرق. ولثبوت حق المولى فيها وفى استخدامها.

---

(١) الكشاف ١/ ٣٦١.

ولأنهــا ممتهنة مبتذلة خرّاجة ولاّجة. وذلك كله نقصان راجع إلى الناكح ومهانة. والعزة من صفات المؤمنين"(١).

أرأيــت كيف كان التعبير بــ (من) بالغ الدقة والحكمة فلا يستغنى النص عن معناها.

٨٥- هــدى:

وذلــك فــى قوله تعالى: ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ ﴾ ٨٤ الأنعام.

فــــ (نوحا) مفعول لــ (هدينا) وذكر قبله للاختصاص فلا ينبغى تقديره بعده لأن المقام هو الذى حدد المكان. وما كان كذلك فهو حتم لازم.

(ومن ذريته) معطوف على (نوحا) أى بعض ذريته. و (داود وسليمان) بدل أو عطف بيان. فلا حذف ولا تقدير فى الآية. ولكن الزمخشرى وأبا السعود يقدران فعلا أى وهدينا داود. و (من ذريته) متعلق به أى بالفعل المقدر(٢).

ومقتضى هذا أن تكون (من) حرف ابتداء. وهذا غير سديد إذ معنى (بعض) واضــح جميل هنا وما لا يحتاج إلى تقدير أقوى وأغنى مما يحتاج إليه كما قرره علماؤنا أنفسهم.

٨٦- هــيئ:

فى آيتين هما قوله تعالى: ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾، ﴿ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ ١٠، ١٦ الكهف.

قال الأخفش فى الثانية: "أى شيئا يرتفقون به" (٣).

---

(١) الكشاف ١/ ٣٨٦.

(٢) انظر الكشاف ٢/ ٣٣ وإرشاد العقل السليم ٤/ ٣٦٥.

(٣) معانى القرآن ٢/ ٦١٧.

فقوله (شيئا) يحــتمل أن يكون تفسيرا لــ (من) وهو ما نراه أى بعض أمركم و(مــرفقا) بيان لــ (من) كما يحتمل أن تقديره له على أن يكون موصوفا بــ (من) وهذا ما لا نراه لأن المعنى يأباه كما عرفناه غير مرة.

وقــال الزمخشرى فى الأولى: "هيئ لنا من أمرنا الذى نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين. أو اجعل أمرنا رشدا كله كقولك: رأيت منك أسدا"(١).

وهــو يعنى أن (من) تجريدية وقد عرفنا أنها إما ابتدائية وإما بيانية وكلاهما غير واضح هنا.

فالمعنــى الواضح هو أن تكون (من) بعضية أى يهيئ لكم بعض أمركم وهو ما أنتم عليه و (رشدا) بيان لــ (من).

وقد عهدنا فى دعاء أبى الأنبياء سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام أن يحرص على ذكر (من) كما فى قوله: "قال ومن ذريتى" وقوله: "إنى أسكنت من ذريتى"... إلى غير ذلك.

فلــم لا تكون (مِنْ) فى آيتى الكهف اسما بمعنى (بعض) والمراد به ما كانوا عليه عند الدعاء. وإذا كان الشاعر يقول:

قلــيل مــنك يكفينــى ولكــن ... قلــيلك لا يقــال لــه قلــيل

فلم لا نستكثر بعض أمرنا ونحن ندعوه ونرجوه؟

ولكــن علماءنــا لا يرضــون بذلك حيث يجعلون (من أمركم) متعلقا بالفعل (يهيــئ) و (مــن) لابتداء الغاية أو للتبعيض وقيل بمعنى (بدل) قال ابن الأنبارى: ويجوز أن يكون حالا من (مرفقا) فيتعلق بمحذوف"(٢).

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٥٠.

(٢) انظر حاشية الجمل ٣/ ١١.

وقد عرفنا ما فى معنى الابتداء من غموض. وأنه لا داعى لدعوى التقديم والتأخير ما دام المعنى واضحا بدونها فهى حينئذ باطلة. وكذا قوله (أو للتبعيض) ليس من الدقة فى شئ لأنها لو كانت بهذا المعنى لزم أن تكون اسما فتكون هى المفعول به. وهذا ما قررناه فى الآيتين. ولعل فيما نقله أبو حيان عن ابن عباس ما يشير إليه ونصه: "ويهيئ لكم: يسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه. ويأتيكم باليسر والرفق واللطف"(١).

فالمراد بـ (مِنْ أمرنا) و (مِنْ أمركم) ما كان عليه هؤلاء وأولئك. وبذلك نصون النص عن دعاوى لا أساس لها من الصحة.

٨٧- ورث :

وذلك فى آيتين هما قوله تعالى:﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ ٦، ٦٣ مريم.

فالفعل فى الأولى ثلاثى ينصب مفعولا واحدا أى ويرث بعض آل يعقوب. قال الزمخشرى: "وقيل (من) للتبعيض لا للتعدية لأن آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء. وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن إسحاق وقيل: هو يعقوب ابن ماثان أخو زكريا. وقيل يعقوب هذا وعمران أبو مريم أخوان من نسل سليمان بن داود"(٢).

وهذا المعنى هو اللائق بجلال القرآن ودقة أسلوبه. ولكن الزمخشرى قد ذكر من قبله معنى آخر حيث قال: "وعن ابن عباس والجحدرى: يرثنى وارث آل يعقوب...

---

(١) البحر المحيط ٦/ ١٠٦.

(٢) الكشاف ٣/ ٣.

وعن علي رضى الله عنه وجماعة: وارث من آل يعقوب أى يرثنى به وارث ويسمى التجريد فى علم البيان. والمراد بالإرث إرث الشرع والعلم. لأن الأنبياء لا تُوَرِّث المال"(١).

ولا يخفـــى أن جعلهـــا للتجريد يستلزم أن يكونوا كلهم ورثة وهذا خلاف ما قـــرره الزمخشرى من أن آل يعقوب كلهم لم يكونوا أنبياء. فمعنى (بعض) هو سيد الموقف هنا.

ومـــن ثَمّ قال أبو السعود: "إنها – أى: من – على قراءة على رضى الله عنه تبعيضية"(٢).

وهناك من يرى فى الآية تقديما وتأخيرا فقد نقل أبو حيان عن صاحب اللوائح أن فـــى الآية تقديما. فالمعنى فهب من لدنك وليا من آل يعقوب يرثنى إن مت قبله أى نبوتى. وأرثه إن مات قبلى أى مالَه وهذا معنى قول الحسن"(٣).

ولا داعى لهذا كما علمنا غير مرة. فهو واضح القلق والاضطراب.

هـــذا عن الآية الأولى. وأما قوله (نورث من عبادنا من كان تقيا" فالفعل فيها مـــزيد بالهـــزة أى أورث. فهـــو متعد لاثنين أولهما (من عبادنا) أى بعض عبادنا والثانى (من كان تقيا) أى الأتقياء.

قـــال الزمخشرى: "وقرئ نُوَرِّث استعارة أى نبقى عليه الجنة كما نبقى على الـــوارث مـــال المورث. ولأن الأتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت أعمالهم وثمـــرتها باقـــية وهـــى الجنة. فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث

---

(١) الكشاف ٣/ ٣.

(٢) إرشاد العقل السليم ٣/ ٧٥.

(٣) البحر المحيط ٦/ ١٧٤.

الــوارث المال من المتَوفَّى. وقيل: أُورِثُوا من الجنة المساكن التى كانت لأهل النار لو أطاعوا"[١].

فــ (مِنْ عبادنا) فيه عموم و (مَنْ كان تقيا) فيه تخصيص وبيان. وقد عرفنا العلاقة المعنوية الوثيقة بين (مِنْ) و (مَنْ). فكلاهما يوضح الآخر ومن ذلك:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ٨ البقرة.

ومنه: ﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ ٢٦ البقرة.

٨٨- وهـــب:

فــى ثــلاث آيــات هى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ ٥٠، ٥٣ مــــريم. وقـــوله: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ١٠٠ الصافات.

ذكر صاحب إعراب القرآن فى الأولى: أن المفعول محذوف. أو (من) زائدة على قول الأخفش"[٢].

وكلاهما مردود لأنه غير لائق بالقرآن الغنى بنصه عما سواه. والمنزه بنفسه عن دعوى الزيادة.

وقــال الزمخشرى فى الثانية: "أى من أجل رحمتنا له وترأفنا عليه وهبنا له هــارون أو بعــض رحمتنا كما فى قوله تعالى: (ووهبنا لهم من رحمتنا) و (أخاه) على هذا الوجه بدل و (هارون) عطف بيان كقولك: رأيت رجلا أخاك زيدا"[٣].

---

(١) الكشاف ٣/ ٢١.

(٢) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ص ٥٠٨.

(٣) الكشاف ٣/ ١٧. وانظر إرشاد العقل السليم ٣/ ٢٨٩. وحاشية الجمل ٣/ ٦٧.

وقـال فى الثالثة: "هب لى بعض الصالحين يريد الولد – يعنى: الذكر – لأن لفـظ الهـبة غلب فى الولد. وإن كان جاء فى الأخ فى قوله تعالى: "ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا"(١).

وقال أبو السعود: أى بعض الصالحين ليعيننى على الدعوة والطاعة"(٢).

ولم يَرُقْ ذلك نظرَ أبى حيان فقال: "ولا ترادف (من) بعضا فتبدل منها"(٣)

ولست أدرى من أين له هذه الدعوى الباطلة ومما يثبت بطلانها قوله فى قوله تعالـى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون). "ومن: فى (مما تحبون) للتبعيض ويـدل علـى ذلك قراءة عبد الله: "بعض ما تحبون(٤) وبذلك نكون قد انتهينا من الكلام على أساليب (من) البعضية الواقعة مفعولا به فى سياق إيجاب.

آيات (من) الواقعة مفعولا به فى سياق نفى أو شبهه.

وقعت (من) مفعولا به فى سياق نفى أو شبهه على النحو الآتى:

(أ) النفى بـ (لا) وذلك فى آيتين هما:

قـوله تعـالى: ﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾ ١٢٠ التـوبة وقـوله: ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ﴾ ١٤ الحجرات.

---

(١) الكشاف ٤/ ٤١.

(٢) إرشاد العقل السليم ٤/ ٣٧٣.

(٣) البحر المحيط ٦/ ١٩٩.

(٤) البحر المحيط ٢/٥٢٤.

وكلمـــة (عَـــدُوٌّ) فى الأولى صالحة للفرد والمثنى والجمع. فمن المفرد قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾٦ فاطر. وقوله: فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ ١١٧ طــه. ومـــن الجمـــع قـــوله تعالى:﴿ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ .أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ .فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾٧٥: ٧٧ الشعراء. وهذا هو المراد فى آية التوبة ولذا قال المجد: "عدو: للواحد والجمع والذكر والأنثى"(١).

فــ (من) بمعنى (بعض) إذ كلمة (عدو) قابلة للتبعيض أى: ولا ينالون بعض أعـــدائهم نـــيلا إلا أثيبوا عليه قال الزمخشرى: ولا يَرْزَؤُونهم شيئا بقتل أو أسر أو غنـــيمة أو هزيمة أو غير ذلك (إلا كتب لهم به عمل صالح) واستوجبوا الثواب ... ويقـــال: نال منه إذا رزأه ونقصه وهو عام فى كل ما يسوءهم وينكبهم ويلحق بهم ضررا"(٢).

وأما (لاَ يِلِتْكُمْ من أعمالكم شيئا) فالفعل (لات يليت) بمعنى (نقص) وقد عرفنا أن (نقـــص) ينـــصب مفعولـــين فـــ (مِـــنْ) مفعول ثان. وعلامة إضمار جماعة المخاطبـــين (كم) هو المفعول الأول. قال الفراء: "لا يلتكم: لا ينقصكم ولا يظلمكم من أعمالكم شيئا. وهى: من لات يليت. والقراء يجمعون عليها. وقد قرأ بعضهم: لا يألتكم. ولست أشتهيها لأنها بغير ألف كتبت فى المصاحف وليس هذا بموضع يجوز فيه سقوط الهمز"(٣).

---

(١) القاموس ٤/ ٣٦٠.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٥٢.

(٣) معانى القرآن ٣/ ٧٤.

فالمعنـــى: لا ينقـــصكم بعـــض أعمالكم. و (شيئا) بيان لهذا البعض ومعناه (يسيرا).

(ب) النفى بـــ (ما) وهو فى أربع آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾ ٢١ النور. وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ ٢٠ الفـــــرقان. وقـــوله: ﴿ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ﴾ ١٢ العنكبوت. وقوله: ﴿ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ ٢١ الطور.

ففى آية النور (ما زكى منكم) أى بعضكم و (من أحد) بيان له أى بعض أحد وهـــذا لاســـتغراق النفـــى جنس المنفى. وليس بعد هذا استغراق. وقرئ (مازكّى) بتشديد الكاف قال أبو السعود: "أى ما طهر و (من) فى قوله (منكم) بيانية وفى قوله (مـــن أحـــد) زائدة و (أحد) فى حيز الرفع على الفاعلين على القراءة الأولى – أى بالتخفيف – وفى محل نصب على المفعولين على القراءة الثانية"(١).

ومقتـــضى هذا أن (زكا) لا ينصب المفعول بل يرفع الفاعل. فـــ (مِنْ) تكون فاعلا أى ما صلح بعضهم و (من أحد) استغراق وسيأتى أن (من) الاستغراقية التى زعمـــوا زيادتها. بمعنى (بعض) فهى بدل من الفاعل أو بيان له. وقد قال ثعلب فى قـــول الـــنابغة (عَيَّت جوابا وما بالربع من أحد): "تدخل (مِنْ) تجزئة على كل أحد كأنه قال (ما بالربع أحد أمكن أن يزيد اثنين أو ثلاثة"(٢).

---

(١) إرشاد العقل السليم ٤/ ٥١.

(٢) مجالس ثعلب ٢/ ٤٣٦.

وأمـــا (زكـــى) بتـــشديد الكاف فتنصب المفعول (من) و (من أحد) منصوب أيضا.

قـــال ابن منظور: "وقرئ (ما زكَّى منكم) فمن قرأ (ما زكا) فمعناه ما صلح مـــنكم. ومـــن قـــرأ (ما زكى) فمعناه: ما أصلح (ولكن الله يزكِّى من يشاء) أى يصلح"(١).

وســـواء أكانت (منكم) فاعـــلا أو مفعولا. فليس النص محتمـــلا لما ذكـــره أبو السعود من دعوى الزيادة فى القرآن. وتقديم البيان على المبيَّن كما عرفنا ذلك.

وأما آية الفرقان (وما أرسلنا قبلك من المرسلين...) فقد قدَّر فيها الزمخشرى مفعـــولا موصـــوفا بـــ (من المرسلين) أى أحدا من المرسلين ثم قال: "وإنما حذف الموصوف اكتفاء بالجار والمجرور أعنى (من المرسلين)" (٢).

وهـــذا من القُبْح بمكان كما قرر العلماء على ما حققناه. وهنا نزيد المقام أن (أحـــدا) التـــى قدرها الزمخشرى تجعل النص عاما فى المرسلين ملائكة أو بشرا. والمـــراد هـــنا البشر فقط ومِنْ ثم جاء التعبير (من المرسلين) أى بعض المرسلين وبـــذلك تكون نصا فى البشر. قال الخطيب الإسكافى: "إن المعتمد بالخبر هو الحال التى للمرسلين وهى: أنهم يأكلون الطعام وليسوا من الملائكة الذين طلب الكفار أن يبعـــثوا إليهم وأخبر الله به عنهم فى قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ ﴾ ٢١ الفرقان(٣).

فـــ (من) بمعنى (بعض) وهى المفعول به.

---

(١) اللسان ص ١٨٤٩.

(٢) الكشاف ٣/ ٢١٤.

(٣) درة التنزيل ص ٢٤١.

وأما آية العنكبوت (وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ) فالواضح فيها أن (مــن). الأولـــى مفعول به إذ هى اسم بمعنى (بعض) أى بعض خطاياهم. و (من شئ) بيان يفيد الاستغراق بـــ (مِنْ) التى يزعم العلماء أنها زائدة والحق أنها – هى الأخرى – اسم بمعنى (بعض). وعلى الرغم من هذا الوضوح نرى أبا السعود يقدر مفعولا قبل (من خطاياهم) أى (شيئا من خطاياهم) التى التزموا أن يحملوا كلَّها على أن (من) الأولى للتبيين. والثانية للاستغراق[(١)].

وقد عرفنا الاستغناء عن هذا المقدَّر الذى يكدر صفو النص ويغض من كماله وجمالـــه وجلاله. كما أننا لسنا فى حاجة إلى جعل (مِنْ) بيانا لما ليس مذكورا فهذا ضـــد طبـــيعة الأشـــياء. ولذا يخلص وجه الآية لجعل (مِنْ) فى موضعيها بمعنى (بعض) فالأولى فاعل والثانية بيان لاستغراق المنفى.

وأما آية الطور (وما ألتناهم من عملهم من شئ). فقد سبق فى آية الحجرات (لا يلـــتكم) وأن الفراء لم يشته قراءة (لا يألتكم) ... والذى يعنينا هنا قوله عقب ما سلف ذكره: "وإنما اجترأ على قراءتها (يألتكم) لأنه وجد (وما ألتناهم من عملهم من شئ) فى موضع فأخذوا ذا من ذلك. فالقرآن يأتى باللغتين المختلفتين"[(٢)].

وقـــال أبـــو حيان: "لا يلتكم من لات يليت: وهى لغة الحجاز. وقرأ الحسن والأعرج وأبو عمرو (لا يألتكم) من (ألت) وهى لغة غطفان وأسد[(٣)].

وبهـــذا يتبـــين أن (لات) و (ألات) ينـــصبان مفعولـــين لا فرق بين الثلاثى والرباعى. ولذلك نظائر وقد سبق بعضها فى هذا البحث.

---

(١) إرشاد العقل السلم ٤/ ١٦٦.

(٢) معانى القرآن ٣/ ٧٤.

(٣) البحر المحيط ٨/ ١١٧.

فـ (من) الأولى هى المفعول الثانى أى ما نقصناهم بعض عملهم و (من شئ) بيان للاستغراق بـ (من) البعضية التى زعموها زائدة.

(ج) الاستفهام بالهمزة

وذلك فى آية واحدة هى قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾ ٧٨ القصص.

والذى نعنيه هنا هو (من القرون) أى بعض القرون فهو مفعول به و (من هو أشد) بيان لـ (من) كما سبق بيانه فى آيات مماثلة.

(د) الاستفهام بـ (هل) آية واحدة وهى:

قوله تعالى:﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ ٨٩ مريم فـ (من) الأولى بمعنى (بعض) مفعول به. و (من أحد) بيان له و (من) بعضية كذلك. وتفيد الاستغراق. وهى التى يزعم العلماء أنها زائدة وما هى كذلك.

(هـ) المسبوقة بـ (لا) الدعائية وذلك فى آية واحدة هى:

قوله تعالى:﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ ٢ نوح.

قال الزمخشرى: "ديار: من الأسماء المستعملة فى النفى العام. يقال: ما بالدار ديار وديور كقيَّام وقيّوم. وهو فيعال من الدور أو من الدار أصله ديوار ففعل به ما فعل بأصل (سيد وميت) ولو كان (فعّالا) لكان: دوّارا"[1].

ولو سئل نحاتنا عن رأيهم فى هذه الآية لقالوا: (ديارا) مفعول و (من الكافرين) حال منه لأنه فى الأصل نعت فلما قدم أعرب حالا.

---

(١) الكشاف ٤/٤٩٧.

ونراهم صامتين عن معنى (من) وكأنها غير موجودة. والحق أن أثرها فى النص واضح فهى بمعنى (بعض) أى بعض الكافرين. و(ديارا) بيان لها. فلا تقديم ولا تأخير.

ويدل لذلك أن بعض العلماء ذكر معنى (ديارا) وهو: أحد. أى لا تذر من الكافرين أحدا(١).

ولا شك أن الكافرين فى عهد نوح عليه السلام بعض الكافرين فى عهد سائر الرسل عليهم جميعا السلام. فمعنى الآية لا تذر بعض الكافرين وهم الذين فى عهد نوح و (ديار) بيان لهذا البعض. وبذلك يؤدى النص معناه دون قبح أو حمل على التقديم والتأخير.

خـــــلاصـــــة:

وخلاصة هذا الفصل الذى وقعت فيه (من) اسما بمعنى (بعض) وهى مفعول به: أن منهج النحاة والمفسرين قد قام فيه على قاعدة من قاعدتين. فإما أن تكون (من) عندهم صفة للمفعول المحذوف. وإما أن تكون حالا مقدما على المفعول لأنها كانت فى الأصل وصفا فلما قدمت صارت حالا.

وبالبحث وصلنا إلى قبح هاتين القاعدتين فى أساليب اللغة على وجه العموم. وفى اساليب القرآن على وجه الخصوص.

والذى حقق لنا البعد بالنص القرآنى عن هذا القبح هو جعل (من) اسما بمعنى (بعض) فتكون هى المفعول به. وبذلك نزهنا ساحة القرآن عن دعوى القبح والتكدير والحيف. وفى هذا البعد عن خلط المعجز بغير المعجز واستغناؤه عما يزعم علماؤنا احتياجه إليه. ولذا حرصنا كل الحرص على أن ننادى دائما بإعادة دراسة قواعد النحو فى ضوء أساليب القرآن حتى نكشف غموضها ونُقَوِّمَ معوجها وننقيها مما يشوبها من نقص وعلل.

خـــــاتمة: بإحصاء عدد (مِنْ) فى الفصل الرابع ثبت أنه اثنتان وثلاثون وثلاثمائة ٣٣٢ مرة تقريباً إذ القرآن غالب لا مغلوب. والله أعلم وهو ولى التوفيق.

---

(١) انظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٤٣.

الفصل الخامس

أساليب (من) بمعنى (بعض) وهى مفعول فيه

سبق قول قدامة بن جعفر: إن (كلاً) حرف – أى كلمة – عموم و (من) و(بعض) حرفا – أى كلمتا – خصوص. وبهذا يثبت التقابل فى المعنى بين (كل) من جانب و (من) و (بعض) من جانب آخر.

ومن المقرر فى اللغة العربية أن (كلّ) تكون بمعنى ما تضاف إليه. فإذا أضيفت إلى مصدر كانت مصدرا نحو قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ ﴾ ١٢٩ النساء. وقوله: ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾ ٧٠ الأنعام.

وإذا أضيفت إلى ظرف زمان كانت ظرف زمان نحو قوله تعالى: ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ ٢٥ إبراهيم وقوله: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ ٢٩ الرحمن.

والعامل فى (كل) النصب ما قبلها وهو (تميلوا) و (تعدل) و (تؤتى). وأما (كل يوم هو فى شأن) فالعامل فيها ما يدل عليه (هو فى شأن) قال الفراء: "وشأنه فى كل يوم أن يميت ميتا. ويولد مولودا. ويغنى ذا. ويفقر ذا. فيما لا يحصى من الفعل"[١].

---

(١) معانى القرآن ٣/ ١١٦.

وقال الزمخشرى: "أى كل وقت وحين يحدث أموراً ويجدد أحوالا كما روى عـن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تلاها فقيل له: وما ذلك الشأن؟ فقال: من شأنه أن يغفر ذنبا. ويفرج كربا. ويرفع قوما ويضع آخرين" .. ثم نقل قول الحسين ابن فضل: "وأما قوله (كل يوم هو فى شأن) فإنها شئون يبديها لا شئون يبتديها"(١).

ومـثل (كل) (بعض) كم فى قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ ٢٥٩ البقــرة وقوله: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ . قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾ ١٩ الكهف، ١١٣ المؤمـنون

فلا عجب إذاً أن تدل (من) على معنى الظرف إذا أضيفت إليه كما فى قولنا: قمت من الليل. أى بعضه. ونمت من الليل أى بعضـه. وسعيت من النهـار. ولـبثت من الوقت.

ومن المقرر نحويا أن الظرف على معنى (فى) قال ابن مالك:

الظرف وقت أو مكان ضُمِّنَا ... فِى بِاطِّرَادٍ كـ (هنا امكث أزمنا)

وشرحه الأشمونى بقوله: ضُمِّنَا معنى (فى) دون لفظها" قال الصبان: "ومعنى تـضمنه معناها إشارته إليه لكونه فى قوة تقديرها. وإن لم يصح التصريح بها فى الظروف التى لا تتصرف كـ "عند"(٢).

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٥٦.

(٢) منهج السالك وحاشية الصبان عليه ٢/ ١٢٦: ١٢٧.

وقد أضيفت (من) إلى ظرف الزمان في سبع آيات من القرآن الكريم وأضيفت إلى ظرف المكان في آيتين:

والمضاف إليه في الآيات الأولى إما (الليل) وذلك في أربع آيات وهي:

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ ٧٩ الإسراء. وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ ٤٠ ق. وقوله:﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ ٤٩ الطور. وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴾ ٢٦ الإنسان.

والظاهر من هذه الآيات أن الأمر بالتهجد والتسبيح والسجود للرسول عليه الصلاة والسلام. والذي قرره علماؤنا أن الأمر للرسول أمر للأمة.

وقد عهدنا في أساليب القرآن أن ما بعد الفاء ينصب ما قبلها نحو قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ ٦٦ الزمر.

وإنما يتحقق ذلك إذا لم يكن بعد الفعل ما ينصبه نحو الآية السابقة ومثلها قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ. وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴾ ٩، ١٠ الضحى.

وأما إذا وجد بعده ما ينصبه أو يعمل فيه الخفض كان المذكور أولاً منصوبا لفعل يدركه العقل مما ذكر وهذا ضرب من البلاغة والبيان عبر عنه علماؤنا بقولهم: الحذف للعلم به. ولما كان إدراك العقل لمعناه حتما لازما امتنع ذكر لفظه حتى لا يصير الأسلوب فماً في غير مستساغ طريا غير ناضج وعليه تكون (من)

فـــى الآيات السابقة منصوبة بفعل يدل عليه المذكور أى فتهجد بعض الليل. وسبح بعض الليل. واسجد بعض الليل.

وممـــا ينبغى لحظه قول الله فى الآية الأخيرة (وسبحه ليلا طويلا) بعد قوله (ومـــن الليل فاسجد له). وما ذلك إلا لأن التسبيح غير الصلاة لأنه يكون بالصلاة وبـــدونها والسجود يكفى فيه قليل من الليل ومن ثم عبر عنه لـــ (ومن الله فاسجد) فـــ (من) للقلة. وأما فى التسبيح فوصف (الليل) بالطول وهذا يدل على أن التسبيح يكون زمنا أطول من السجود.

هـــذا: وبمـــا قررناه فى هذه الآيات من أنها من باب الإيجاز. والإيجاز هو الـــبلاغة نكـــون قد باعدنا بينها وبين ما عبر به النحاة عن قاعدتها – الاشتغال – حـــيث إن العامـــل قد اشتغل بنصب ما يليه عن نصب ما وليه. وهذا اللفظ – أى الاشتغال – ينفر العقل ويقبض النفس ويشغل الفكر ولذا حققنا فى غير هذه الرسالة القول فى هذا العنوان ورفضنا استعماله ورضينا تسمية هذا الباب بـــ (باب الإيجاز بالحذف من الأول لدلالة الثانى عليه[1]).

ويكون المضاف إليه (آناء الليل) وذلك فى آية واحدة هى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ ١٣٠ طه.

وفى هذه الآية نجد أن (من آناء) منصوب بـــ (فَسَبِّح) حيث لم يذكر بعده ما ينـــصبه فهى مثل قولـــه تعالـــى: "بل الله فاعبد" و "أطراف النهار" معطوف على (من الليل).

---

(١) انظر كتابنا (أسرار النحو) جــ٣ (الفصل الثانى) ص ٤٩١ فما بعدها.

ويكون المضاف إليه (عمر) كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ ١٨ الشعراء أي بعض عمرك ثم بينه بـ (سنين).

ويكون المضاف إليه (يوم) كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ٩ الجمعة فالنداء يقع في بعض يوم الجمعة لا كله.

هذا ما نراه في هذه الآيات ولعلك تدرك أنه خال من تعقيد بعض النحاة لأننا لم ننزع كلمة في مكانها ولم ننقلها إلى غيره كما أننا لم نعتمد على حرمتها بالحذف الذي هو حيف ولا بالتقدير الذي هو تكدير.

وهاكم بعض نصوص لعلمائنا في هذه الآيات:

قال الزمخشري في الآية الأولى: "وعليك بعض الليل فتهجد به"(١).

وظاهر هذا الأسلوب أنه إغراء وقد اعترض عليه أبو السعود قائلا: "لا يكون المغرى به حرفا ولا يجدي نفعا كون معناه التبعيض. فإن واو (مع) ليست اسما بالإجماع وإن كانت بمعنى الاسم الصريح. بل هو منصوب على الظرفية أي قم بعض الليل"(٢).

وفي هذا النص من الاضطراب ما لا يخفى على ذي بصيرة لأن أبا السعود أبى إلا أن يضع (بعض) موضع (من) في آخر نصه وما ذلك إلا أن الحقيقة تأبى إلا أن تفيض من قلب المنكر لها إلى لسانه ثم إلى مداد قلمه. ولا أدل على ذلك من

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٣٦.

(٢) إرشاد العقل السليم ٣/ ١٢٨ وانظر البحر المحيط ٦/ ٧١ وحاشية الجمل ٢/ ٧٦٦.

أنـــنا نقلنا عن أبى السعود كثيرا من النصوص التى يثبت هو فيها اسمية (من) التى بمعنى (بعض).

ولعـــل هـــذا ما حمل الألوسى على رد كلامه هنا قائلاً: "إنه يحتمل أن يكون القائـــل بذلك قائلا باسمية (من) فى مثل ذلك. كما قالوا باسمية الكاف فى نحو قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ ٥ الفيل. و (عن) فى نحو (من عن يمينى تارة وشمالى" وعلى فى نحو (من عليه).

وكذا القائل بأن ذلك نصب على الظرفية بمقدر أى قم بعض الليل"[1].

وبهذا يعود الصفاء إلى نص الآية كما قررنا آنفا.

وقال الزمخشرى فى آية طه: "يكون (وأطراف النهار) معطوفا على (من آناء الليل) فكأنه قال: وبعض آناء الليل فسبح وأطراف النهار. وقرئ (وأطراف النهار – يعنى بالخفض – عطفا على "آناء الليل"[2].

وعلى هذه القراءة يكون التبعيض ملحوظا فى (أطراف النهار) دون الأولى.

وأمـــا آية الجمعة فذهب الزمخشرى والبيضاوى إلى أن (من) بيان لـــ (إذا) وتفسير لها. قال الشهاب: "إن البيان المراد هو البيان اللغوى لأن تعيين اليوم الذى فيه ذلك الوقت تعيين له ...

وأما البيان المشهور فلا يصح لأن الحمل لا يجوز هنا وهو شرط البيانية"[3].

والمراد بـــ (الحمل) هنا أن القاعدة النحوية فى (من) البيانية تنص على جواز حمـــل مـــا بعـــدها على ما قبلها. فمثلا فى قولنا: (عندى ثلاثة من الأفدنة) يكون

---

(١) روح المعانى ٤/ ٥٦٩.

(٢) الكشاف ٣/ ٧٦.

(٣) انظر الكشاف ٤/ ٤٢٥ وحاشية الشهاب على البيضاوى ٨/ ١٩٦.

تقديـــر: ثلاثة الأفدنة أى: هى الأفدنة. وقد بينا أن ذلك يساوى دعوى زيادة (من) فلسنا فى حاجة إليه.

وعلى هذا المعنى فسر الدنوشنرى (من) فى الآية حيث قال: "إن المراد بيان الجنس لا بيان: إذا"[١].

ولست أدرى ما المراد بالجنس هنا؟! وهناك من جعل (من) بمعنى (فى)[٢].

فالظرفية متحققة على هذا القول لما سبق عن الفراء أن (فى) تكون للتبعيض كمـــا فى قولنا (فينا الصالحون) بل إن الرضى أثبت أن ذلك مذهب الكوفيين بعامة حـــيث قـــال: "إنهم يجيزون (الصوم فى يوم) بل يوجبون: (الصوم يوما) وذلك أن (فى) عندهم يوجب التبعيض"[٣].

وإذا كان الأمر كذلك فلا داعى لجعل (من) بمعنى (فى) لأنها تدل على معنى (بعـــض) الـــذى يترتب عليه جعل (من) بمعنى (فى) ثم جعل (فى) بمعنى (بعض) الذى هو معنى (من)؟!

ولعـــل هذا هو السر وراء تقديم الشهاب معنى (بعض) ثم قوله: "ويحتمل أن تكون بمعنى (فى) كما ذهب إليه أبو البقاء"[٤].

وفى آية الإنسان يقول الزمخشرى: "وأدخل (مِنْ) على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول فى قوله: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ ٤ نوح[٥].

---

(١) حاشية يس على التصريح ٢/ ١٠.

(٢) انظـــر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٣٨ ودرة الغواص ص ٦٧ وحم ٦٥. والمغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٦.

(٣) شرح الكافية ١/ ٩٤: ٩٥.

(٤) حاشية الشهاب ٨/ ١٩٦.

(٥) الكشاف ٤/ ٥٣٩.

وقـــال الشيخ المغربى: "ومن: فى قوله (من الليل) لإفادة التبعيض إذ لابد من راحة له صلى الله عليه وسلم فى بعض الليل وصلاةٍ فى بعضٍ. كما يكون ذلك فى الـــنهار. ولمـــا كـــان الليل مظنة غفلة النفس وغلبة النوم عاد فأكد عليه ﷺ الأمر بصلاة الليل لكيلا يفهم من البعضية المدة القليلة بل وقتا طويلا. فقال (وسبحه) أى صَــلِّ لــه (ليلا) أى وقتا من الليل (طويلا) ممتد لا يقل عن الثلث. ولا يزيد على الثلثــين ... فاللـــيل الأول مـــن قوله (من الليل) مراد به مجموع ساعات الليل من الغـــروب إلـــى الشروق. والليل الثانى فى قوله (ليلا طويلا) مراد به وقت وحصة منه. ولذلك وصفه بقوله (طويلا) ولو كان المراد به مجموع ساعات الليل ما ناسب وصفه بالطويل كما يظهر للمتأمل"[1].

تلكم هى الآيات التى أضيفت فيها (من) البعضية إلى ظرف الزمان.

وأما الآيتان اللتان أضيفت فيهما إلى ظرف مكان فهما :

١- قـــوله تعـــالى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ ﴾ ٦ الطلاق.

يرى الزمخشرى أن (مِنْ) بعضية حيث يقول: "هى (من) التبعيضية مبعضها محـــذوف. معـــناه: أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أى بعض مكان سكنا كم كقول تعالى: ﴿ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ ٣٠ النور. أى بعض أبصارهم. قال قتادة: إن لـــم يكن إلا بيت واحد فأسكنها فى بعض جوانبه .. (من وجدكم) عطف بيان لقول (من حيث سكنتم) وتفسير له كأنه قال: أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه"[2]

(١) تفسير جزء تبارك ص ١٢٣.

(٢) الكشاف ٤/ ٤٤٧ وانظر البحر ٨/ ٢٨٤.

وعلى هذا فـ (من) اكتسبت الظرفية المكانية مما أضيفت إليه. ولا عجب فى ذلك فكم للمضاف إليه من معنى فى المضاف.

ويرى أبو البقاء أنها ابتدائية. وأن المعنى: تسببوا فى إسكانهن من الوجه الذى تسكنون ودل عليه بقوله: من وجدكم. والوجد الغنى[1].

وهناك من يرى أنها زائدة والمعنى: أسكنوهن حيث سكنتم[2].

ولا شك في بطلان القول بالزيادة. كما لا شك فى ضعف معنى كونها ابتدائية ولــذا يكون الراجح إن لم يكن الصواب هو أنها ظرف مكان إذ بعض المكان مكان كما عرفنا من سيبويه.

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾ ٩ الجن.

لا يخفى أن الضمير فى (منها) لــ (السماء) فى الآية من قبل هذه الآية وهى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ ٨ الجن.

ومــن البدهى أنهم لم يكونوا ليلمسوا السماء كلها بل بعضها وكذلك لم يكونوا ليــستوعبوا الــسماء بقعودهم بل لا يشغلون إلا بعضها. فمعنى الآية: وأنا كنا نقعد بعض السماء. و(مقاعد) بيان لــ (من) وهى جمع (مقعد) كما فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ. فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ ٥٤: ٥٥ القمــر. وقــد نــص سيبويه على أن الفعل اللازم ومنه (قعد) يتعدى إلى ما كان وقتا – أى

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٣٩.

(٢) حاشية الجمل ٤/ ٣٥٩.

مقدرا – فى الأمكنة كما يتعدى إلى ما كان وقتا – أى مقدرا فى الأزمنة لأن وقت يقع فى المكان ولا يختص به مكان واحد. كما أن ذلك وقت فى الأزمان لا يختص به زمن بعينه. فلما صار بمنزلة الوقت فى الزمن كان مثله لأنك قد تفعل بالأماكن ما تفعل بالأزمنة وإن كان الأزمنة أقوى فى ذلك"(١).

وبذلك تكون (من) البعضية قد وقعت ظرف زمان سبع مرات فى القرآن. ووقعت ظرف مكان مرة واحدة. وفى ذلك أبلغ دليل على أن سيبويه كان من عمق الفكر ودقة الملاحظة بمكان لا يسمو إليه أحد غالبا. وبمكانة لا يتمتع بها سواه كثيرا.

وقد أشار إلى ذلك فى آخر النص السابق حيث صرح بأن الأزمنة أقوى فى ذلك من الأمكنة. ولم يكتف بذلك بل ذهب يسوق الحجة البالغة على ما قرر فقال: "وإنما جعل فى الزمان أقوى لأن الفعل بنى لما مضى منه ولم يمض. ففيه بيان: متى وقع. كما أن فيه بيانَ أنه قد وقع المصدر – وهو الحدث.

والأماكن: لم يُبْن لها فعل وليست بمصدر أخذ منها الأمثلة. والأماكن إلى الأناسى ونحوهم أقرب. ألا ترى أنهم يخصونها بأسماء كزيد وعمرو وفى قولهم: مكة وعمان ونحوهما. ويكون منها خلق لا تكون لكل مكان ولا فيه. كالجبل والوادى والبحر. والدهر ليس كذلك.

والأماكن لها جثة. وإنما الدهر مضى الليل والنهار فهو إلى الفعل أقرب"(٢).

ففى هذا النص يثبت سيبويه أوجه الفرق بين الزمان والمكان وهى:

---

(١) الكتاب ١/ ٣٦.

(٢) الكتاب ١/ ٣٦: ٣٧.

أ) أن الـــزمان يدل عليه الفعل بنصه فقولنا: قام الغلام. يدل على أن زمان القيام قـــد مضى. وقولنا: يقوم يدل على أنه الآن أو غدا وقولنا: قم يدل على أنه: غدا. فأمس واليوم وغدا. يدل عليها الفعل مع دلالته على الحدث الذى وقع فيها.

وأمـــا المكان فلا يعينه الفعل صراحة وإنما يدرك ضمنا تطبيقا لقاعدة: لابد لكل حدث من زمان ومكان.

ب) قـــرر سيبويه أن المكان لم يبن له فعل ولذلك لزم التصريح به بعد الفعل كما فى قوله تعالى: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴾ ١٦: ١٧ الأعـــراف. وكما فى قـــوله تعالـــــى: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ ٥ التوبة.

جـــــ) ثم كشف سيبويه النقاب عن أن وجه الشبه قوى بين الإنسان والمكان إذ لكل مـــنهما أســـماء تخص أفراده ففى الإنسان: محمد. على. إبراهيم. إسماعيل. وفيه: خديجة. فاطمة. ساره. هاجر. بل إن هناك بعض أسماء يضعها بعض أفراد الإنسان على بعض أفراد الحيوان الأعجم.

وكـــذلك يكـــون فـــى المكان أشياء خاصة كالجبل والسهل والوادى والبحر والنهر.. إلى غير ذلك.

د) وأخيــرا ذكــر ســيبويه فرقا دقيقا عميقا وهو: أن الأماكن لها جثة أى جرم وجــسم. وذلك بخلاف الدهر أى الزمن فهو مضى الليل والنهار ولا شك أن (المضى) حدث أى فعل ولذا قال سيبويه: "فهو إلى الفعل أقرب".

أبــعــد ذلك يشك أحد فى عمق فكر سيبويه وقوة ملاحظته حيث تتغلغل فى ثنايا الأشياء لتستبطن جواهرها وتستخرج خصائصها ثم تفصل بين جوهر وجوهر. وبــذلك يكون نتيجة هذا العمق صدق الحكم على استعمال الكلمات فيما تستعمل فيه ودلالــتها علــى ذلــك أقوى دلالة. وبيانه أوضح بيان مع تحديد كمية كل شئ فى استعماله. وسبحان الله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان.

خاتمـــــة:

بإحصاء عدد مرات (من) فى الفصل الخامس ثبت أنها وردت ٩ تسع مرات.

والله أعلم

الفصل السادس

آيـــات (مِــنْ) الواقعة حــالاً

رتبت آيات هذا الفصل بحسب أبواب النحو فى الألفية التى ورد منها صاحب الحال. وأكثر ما كان ذلك من باب (النكرة والمعرفة) وورد قليـــل منه بل لا يعدو نـــوعا واحـــدا من باب (المعرب والمبنى) وكذا من باب (الشرط) و (من) فى هذه الآيـــات بمعنى (بعض) اللهم إلا فى ثلاث آيات كانت (من) فيها بمعنى (مع). وقد علمنا أنها صالحة لهذا المعنى للعلاقة الصوتية بينها وبين (مع) كما صلحت لمعنى التشبيه للعلاقة الصوتية بينها وبين (مثل). وتفصيل ذلك على النحو الآتى:

أولاً: من باب المعرب والمبنى

ورد صاحب الحال من هذا الباب ممثلا فى كلمة (أولو) وذلك فى ست آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ ﴾ ٥٩، ٨٣ النساء. وقوله: ﴿ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾ ٨٦ التوبة وقوله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾ ﴿ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ ٢٢، ٣١ الـــنور. وقوله: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ ٣٥ الأحقاف.

ومعنـــى هـــذه الكلمة (أصحاب) فهى أقرب إلى (ذوى) غير أن مفرد (ذوى) (ذو) بمعنى صاحب. ولا مفرد لـــ (أولى) من لفظها ومن ثم قال الأشمونى: (أولو)

اسم جمع لا جمع. وقال الصبان: "اسم جمع لـ (ذى) ويكتب بالواو - يعنى (أولى) بعد الهمزة للفرق بينه وبين (إلى) الخافضة فى الرسم نصبا وخفضا. وحمل عليهما الرفع"[(١)].

وقد حكم النحاة على هذه الكلمة وغيرها مما يشبهها من حيث عدم وجود مفرد لها من لفظها بأنها ملحق فى الإعراب بما جمع بالواو والنون رفعا والياء والنون نصبا وخفضا.

وفى دعوى الإلحاق هذه نظر حققنا القول فيه عند دراسة إعراب هذا النوع[(٢)].

والذى يعنينا هنا أن هذه الكلمة وردت مرفوعة ثلاثة مرات فى (أولو الطول) و (أولو الفضل) و (أولو العزم) ومنصوبة مرة واحدة فى (وأطيعوا الرسول وأولى الأمر) ومخفوضة مرتين فى (وإلى أولى الأمر) و (غير أولى الإربة).

ولم يستعمل مفردا ولا مثنى لهذه الكلمة على عكس (ذو) بمعنى صاحب فقد استعمل منها المفرد نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ ١٠٥، ٢٤٣ البقرة. وقوله: ﴿ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ ١٠٦ المائدة، ٥٢ الأنعام. وقوله: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ ٨٣ البقرة. ﴿ وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ ٣٦ النساء.

كما استعمل المثنى نحو قوله تعالى: ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ ٩٥ المائدة وقوله: ﴿ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ ٢ الطلاق.

---

(١) منهج السالك وحاشية الصبان ١/ ٩٣.

(٢) انظر أسرار النحو جـ ١ ص ١٥٩ فما بعدها ط ثانية.

واستعمل الجمع نحو قوله: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ ١٧٧ البقرة.

بل استعمل المفرد المؤنث نحو قوله ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾ ٢ الحج. وتثنيته نحو قوله تعالى: ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ ٤٨ الرحمن.

ولكل كلمة من كلمات القرآن في موضعها سرها وقيمتها ودلالتها.

و (من) بمعنى (بعض) وفي محل نصب حالا. أي حالة كون أولي الأمر بعضكم أو بعضهم وحالة كون أولي الطول بعضهم. وأولي الفضل بعضهم. وأولي الإربة بعض الرجال. وأولي العزم بعض الرسل.

فالمقام إذاً مقام (بعض) وأوثرت (من) على (بعض) بالذكر هنا لما علمناه حتى صار من البدهي بمكان وهو خفة (من) وسلامة نطقها وعذوبة صوتها.

ولعل القارئ يشغل ذهنه هنا فكر معين وخلاصته: أن المعهود كون الحال نكرة وهنا نجد (من) مضافة إلى الضمير أربع مرات وإلى ما فيه (أل) مرتين وهما (من الرجال) و (من الرسل) فكيف تكون حالا؟

والجواب عن ذلك أن (مِنْ) مِنَ الأسماء الموغلة في الإبهام كما أن (مثل) كذلك وما هذه صفته من الكلمات لا يتأثر بأداة التعريف. فهي تشبه قولنا: مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود. وهذا معروف مشهور.

هذا وقد قال الزمخشري في آية الأحقاف: "أولوا العزم: أولو الجد والثبات والصبر. (مِنْ) يجوز أن تكون للتبعيض ويراد بأولوا العزم بعض الأنبياء قيل: هم نوح صبر على أذى قومه.. وإبراهيم على النار وذبح ولده. وإسحاق على الذبح. ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره. ويوسف على الجب والسجن. وأيوب على الضر. وموسى قال له قومه: إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين. وداود

بكى على خطيته أربعين سنة. وعيسى لم يضع لبنة على لبنة. وقال: إنها معبرة – أي الدنيا – فاعبروها ولا تعمروها.

وقال الله فى آدم: ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ ١١٥ طه وفى يونس ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾ ٤٨ ن.

ويجوز أن تكون للبيان فيكون (أولوا العزم) صفة للرسل كلهم"(١).

ولا يخفى ما فى الثانى من ضعف وتخاذل وخروج بالنص عن نسقه لأنه يقضى على (مِنْ) بالإعدام دون ما ذنب اقترفته ولا جرم ارتكبته. فكيف يقول الله (من الرسل) ونقول نحن (كل الرسل)؟؟ ألم يقل الله عز وجل: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ ٢٥٣ البقرة.

وبهذا يتحقق معنى (بعض) فى هذه الآية وأخواتها وتعرب حالا.

ثانياً: من باب النكرة والمعرفة.

ورد صاحب الحال فى آيات (من) البعضية من هذا الباب على النحو الآتى:

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٤٨: ٢٤٩.

١- نكــرة فى تسع كلمات وهى: آخر. أخ. أمم. بشر. دابة روح. شهيد. غالب. ماء. وذلك فى اثنتى عشرة آية.

الآيــة الأولى قوله تعالى:﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾ ١٠٧ المائدة.

فالظاهر فى هذه الآية أن جملة (يقومان مقامهما) خبر لــ (آخران) وأن (من الذين) حال من (آخران) أى حالة كونهما بعض الذين استحق عليهم...

ويرى أبو البقاء أن (من الذين) صفة أخرى لــ (آخران). ثم قال: "ويجوز أن يكون حالا من الفاعل فى (يقومان) [١].

وهناك من يرى أن (آخران) مبتدأ خبره (من الذين) والجملة الفعلية صفته[٢].

ومن هذين النصين يتبين لنا حرص علمائنا على القاعدة المشهورة وهى: أن النكرة لا يبتدأ بها إلا بمسوغ كالنعت مثلا. ولكننا لو تأملنا نص أبى البقاء لأدركنا أن المبــتدأ لا خبر له حيث إنه جعل (يقومان مقامهما) نعتاً و (من الذين) إما نعت ثان وإما حال فأين الخبر إذاً؟؟!

كما أننا إذا تأملنا النص الثانى أدركنا أن جملة (فآخران يقومان مقومهما من الذين استحق عليهم) ليست تامة الدلالة مع استيفائها أركان الجملة.

ولــذلك كلــه أرى أنــه لا مــناص من جَعْل (آخران) مبتدأ وخبره (يقومان مقامهمــا) و (مــن الــذين) حال. ولا غبار على ذلك إذ أن المحققين من النحاة قد قرروا جواز الابتداء بالنكرة فقد نقل عن ابن الحاجب قوله: "كل ما دل على معنى العمــوم صالح للابتداء. ورب نكرة بلا صفة أخص من نكرة لها صفة. وإذا صح:

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٢٩.

(٢) روح المعانى ٢/ ٤٠١.

جسم حيّ فى الدار لوجود التخصص فى الصفة ينبغى أن يجوز: رجل فى الدار لأنه أخص منه بدرجات"(١).

بل إن عبد القاهر قد تناول هذه المسألة بالدقة البالغة حيث قرر أن المقام هو الذى يعين المراد بالجملة ويستوى فى ذلك الابتداء بالنكرة وغيرهما. استمع إليه وهو يقول: "فإذا قلت: رجل جاءنى لم يصلح حتى تريد أن تعلمه - أى مخاطبك - أن الذى جاءك رجل لا امرأة. ويكون كلامك مع من قد عرف أن قد أتاك آت. فإن لم ترد ذلك كان الواجب أن تقول: جاءنى رجل فتقدم الفعل. وكذلك إن قلت: رجل طويل جاءنى لم يستقم حتى يكون السامع قد ظن أن قد أتاك قصير أو نزلته منزلة من ظن ذلك.

وقولهم: شر أهرَّ ذا ناب إنما قدم فيه (شر) لأن المراد أن يعلم أن الذى أهر ذا الناب هو من جنس الشر لا من جنس الخير. فجرى مجرى أن تقول: رجل جاءنى تريد: أنه رجل لا امرأة ...." إلى أن يقول: "فإذا بدأت بالنكرة فقلت: رجل وأنت لا تقصد بها الجنس وأن تعلم السامع أن الذى أردت بالحديث رجل لا امرأة كان محالا..." (٢).

وبهذا كله يثبت بما لا مجال للشك فيه أن المقام إذا اقتضى الابتداء بالنكرة كان ذلك لازما لأنه هو الذى يؤدى المراد باللفظ. فالابتداء بـ (آخران) لا غبار عليه وجملة (يقومان مقامهما) خبر و (من الذين استحق عليهم) حال. قال الزمخشرى: "أى من الذين استحق عليهم الاثم. ومعناه: من الذى جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته. و (الأوليان) الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما. وارتفاعهما على (هما الأوليان) كأنه قيل: ومن هما؟ فقيل: الأوليان. وقيل هما بدل

---

(١) حاشية يسن على التصريح ١٦٩/١.

(٢) دلائل الإعجاز ص ٩٤: ٩٥.

من الضمير فى (يقومان) أو من (آخران). ويجوز أن ترتفعا بـ (استحق) أى من الذين استحق عليهم انتداب الأوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال"[١].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡ ﴾٥٩ يوسف.

وكلمة (أخ) نكرة ومعربة بالكسرة لأنها على لغة نقص اللام. قال الراغب: "أخ الأصل: أخو. وهو المشارك آخر فى الولادة من الطرفين – أى الأب والأم – أو من أحدهما أو من الرضاع. ويستعار فى مشارك لغيره فى القبيلة أو فى الدين أو فى صنعة أو فى معاملة أو فى مودة. وفى غير ذلك من المناسبات"[٢].

وبهذا النص للراغب ندرك السر فى تعبير الآية (بأخ لكم من أبيكم) حيث خصص يوسف الأخ بهم ثم ارتقى فى التخصيص إلى قوله (من أبيكم) أى بأنه جزء أبيهم إذ الولد بضعة أبيه وجزؤه. وقد عرفنا أن الحيوان المنوى من الذكر هو الذى يقوم بدور تعيين المولود من حيث الذكورة والأنوثة.

فـ (لكم) صفة لـ (أخ) و (من أبيكم) حال أى حالة كونه بعض أبيكم لأنه ليس أخا شقيقا لهم.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾ ٢٨ الأعراف.

الآية الرابعة: قوله تعالى:﴿ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾ ٢٥ فصلت.

---

(١) الكشاف ١/ ٥٣٦: ٥٣٧. وانظر حاشية الصبان ٣/ ٦٢.

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص ١٣.

الآية الخامسة قوله تعالى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾ ١٨ الأحقاف.

فالظاهر الواضح فى هذه الآيات الثلاث أن (من الجن والإنس) حال من (امم) وجملة (قد خلت من قبلكم) أو (قبلهم) نعت لـ (أمم) و (من) بمعنى (بعض) أى حالة كونهم بعض الجن والإنس.

ويرى أبو البقاء أن (من الجن) حال من الضمير فى (خلت) أو صفة أخرى لـ: أمم"[1].

والراجح فى نظرى أنها (حال) وصاحبها (أمم) لأن جعلها حالا من الضمير فى (خلت) يجعلها حالا متداخلة إذ صاحبها من جملة النعت لـ (أمم).

أما جعلها صفة أخرى فلا يرتفع فى الذوق البلاغى إلى درجة جعلها حالا.

الآية السادسة هى قوله تعالى:﴿ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾٣٣ الحجر.

قال القرطبى: "من صلصال: (من) لابتداء الغاية أو للتبعيض. وهذا الطور آخر أطوار آدم الطينية. وأول ابتدائه أنه كان ترابا متفرقا ثم بل فصار طينا ثم ترك حتى أنتن واسود فصار حمأ مسنونا أى متغيرا ثم يبس فصار صلصالا"[2].

فصاحب الحال (بشر) وجملة (خلقته) فى محل خفض صفة له. والظاهر أن (من) بعضية أى أن خلق هذا البشر وهو آدم كان فى حالة كونه بعض الصلصال. كما أن هذا الصلصال كانت حالته أنه بعض الحمأ المتغير وهو الطين. والمعنى أن

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٥٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ص ٣٦٣٧ وانظر حاشية الجمل ٢/ ٦٤٧: ٦٤٨.

الله بل التراب حتى صار بعض الحمأ المتغير. ثم تركه حتى صار بعض صلصال وفى هذه الحال نفخ فيه ما به حياته.

وأما كون (من) ابتدائية ففيه بعض الغموض فضلا عما يترتب عليه من كونها حرف إذ لا شك أن الكلمة ما دامت تصلح أن تكون اسما فهذا أعلى مقاما وأكبر شأنا لأن فى ذلك صونا للغة من دعوى التقدير الذى هو تكدير ودعوى الحذف الذى هو حيف.

هذا: وربما يقال: إن صاحب الحال هو الضمير فى (خلقته) أى الهاء. ولكنى قد حرصت على جعل الجملة (خلقته) نعتا لـ (بشر) وجعل (من صلصال من حمأ مسنون) حالا منه لأنه – أى (بشر) – عماد الجملة ومحور معناها.

الآية السابعة قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴾ ٤٥ النور..

ومما يجدر التنبيه إليه هنا أن العامل فى الحال هو الفعل (خلق) فالحال هنا لازمة كما قرر النحاة لأن عاملها يشعر بتجدد صاحبها أى كلما حصل خلق كان فى حالة كون المخلوق بعض ماء. والمراد بالماء هنا ما يفرزه الذكر من كل نوع مع أنثاه.

وقال الزمخشرى: "إنما قال (من ماء) بتنكير (ماء) لأن المعنى أنه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة. أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة. فمنها توأم. ومنها بهائم. ومنها ناس. ونحوه قوله تعالى: "يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل"[1].

فـ (ماء) فى (خلق كل دابة من ماء) هو ما يصب فى الأرحام. وأما (ماء) فى (يسقى بماء واحد) فهو ما يصب من السحاب صبا. ومن الدقة بمكان ومكانة ذكر (واحد) مع هذا الماء دون الأول لأن الأول متعدد تعدد الأجناس والأنواع.

---

(١) الكشاف ٣/ ١٩٤.

فلكــل جــنس نطفــته والسائل الذى تتلقفه أنثاه من ذكره. وسبحان من يعلم أسرار كلماته.

وقد عرفنا أن الجنين إنما يتكون من أدنى جزء فى النطفة ومن ثم كانت كلمة (مــن) فــى آية الخلق وكانت كلمة الباء فى آية السقى. وذلك سر آخر من أسرار كلمات الله.

فالخلــق إنما يكون فى حالة اختلاط ماء الذكر بماء أنثاه. ولذلك: "لم يقل الله من ماءين لامتزاجهما فى الرحم"[1].

وقد قال الله: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ ٢ الدهر.

الآية الثامنة قوله تعالى: ﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ ٥٢ الشورى.

قال الزمخشرى: "يريد ما أوحى إليه لأن الخلق يحيون به فى دينهم كما يحيا الجسد بالروح"[2].

وقــال الجمل"من أمرنا: حال و (من) تبعيض أى حال كون هذا الروح وهو القرآن بعض ما نوحيه إليك لأن الموحى إليه لا ينحصر فى القرآن"[3].

الآيــة التاسعة: قوله تعالى:﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ ٨٩ النحل.

أى حالة كون كل شهيد على أمة بعض تلك الأمة. وإنما كان الأمر كذلك لأن الــشهيد الأجنبى لا تكون شهادته مبنية على إدراك سليم ولا قائمة على أسس متينة من المعرفة الدقيقة فالغريب يجهل الغريب والقريب يعلم القريب.

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٨٧.

(٢) الكشاف ٤/ ١٨٤.

(٣) حاشية الجمل ٤/ ٧٥.

والمـــراد بالـــشهيد هـــنا نبى كل أمة قال الزمخشرى: "شهيدا: نبيا يشهد لهم وعليهم بالإيمان والتصديق. والكفر والتكذيب. لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم (وجئنا بك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) أى أمتك"(١).

فـــذلك درس فـــى الـــشهادة ينبغى أن يعيه المؤمنون حتى لا يشهدوا بما لا يعلمون على ما لا يشهدون أو لا يعرفون.

الآية العاشرة: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾ ٤٨ الأنفال.

والـــذى يدركـــه العقل بداهة أن (من الناس) حال تبين جنس الغالب أى حالة كـــون هـــذا الغالب بعض الناس. وكأنى بهذه العبارة تثبت أن هناك غالباً من غير جـــنس الناس كالملائكة مثلا. إذ هذه السورة غالبا تشرح وقائع غزوة بدر الكبرى وفيها يقول الله عز وجل:﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ . وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ . إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ ٩، ١٢ الأنفال.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٨٨: ٤٨٩.

هـــذا مـــا يظهر لى من نسق هذه الآية وقد أشار إليه السمين حيث قال: "من الـــناس: بيان لجنس الغالب "وقيـــل هو حـــال من الضمير فى (لكم) لتضمنه معنى الاستقرار "(١).

فـــربما يفهم من قوله (بيان لجنس الغالب) أن (من) بيانية. وقد عرفنا ما فى ذلـــك من دعوى باطله لأنه يترتب عليه زيادتها. كما ربما يفهم منه أن (من) حال مبيـــنة للجـــنس. وأمـــا قوله (حال من الضمير فى : لكم) فأرى أنه غامض بعض الغموض ومن أخص صفات أسلوب القرآن صفته بالبيان والمبين.

ونكـــر أبو البقاء أن (من الناس) حال من الضمير فى (لكم). ومنع أن يكون حالاً من الضمير فى (غالب) لأن اسم (لا) إذا عمل فيما بعده لا يجوز بناؤه"(٢).

وقـــد عـــرفنا ما فى الأول من غموض. ويساويه فى الغموض دعوى تحمل (غالبا) ضميرا لأن المراد هنا لا واحد غالب لكم حالة كونه بعض الناس.

فالمـــراد بــــــ (غالـــب) واحـــد من الغالبين ومن ثم كانت (لا) لنفى الجنس استغراقا من أدناه إلى ما لا نهاية له.

الآية الحادية عشرة والثانية عشرة: ﴿ كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ٢٤ يونس، ٤٥ الكهف.

والسماء هنا السحاب وجملة (أنزلناه) نعت لـــ (ماء) و (من السماء) حال أى حالة كونه بعض السحاب.

وبهـــذا تكـــون (مـــن) قـــد وقعت حالا وصاحبها نكرة موصوفة غالبا اثنتي عشرة مرة.

---

(١) انظر حاشية الجمل ٢/ ٢٩٥.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/٥.

٢-معـــــرفة

ورد صـــاحب الحـــال معرفة من أنواع ثلاثة هى: الضمير أو المضاف إلى الضمير. أو المضاف إلى (ما) أو المضاف إلى أل أو الموصول أو المعرف بال.

النوع الأول (أ) آيات الضمير وهى بين السور الآتية:

آل عمـــران قـــوله تعالـــى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ ٥٩.

ســبق أن معنى (خلق): قدر وصور ولذا قال الزمخشرى: "خلقه: قدره جسدا من طين"(١).

وقـــال الرازى: "إن (خلق) إذا لم يكن هنا بمعنى (قدر) كان فى الآية إشكال وهو: أن الله قال: خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون. فهذا يقتضى أن يكون خلق آدم متقدما على قول الله (كن فيكون) وذلك غير جائز"(٢).

ويـــرى أبو البقاء أن (من) لابتداء الغاية ويضعف أن تكون حالا لأنه يصير تقديره: خلقه كائنا من تراب وليس المعنى عليه"(٣).

والـــذى حمله على ذلك تقديره (كائنا) بمعنى (موجودا) وليس الأمر كذلك إذ الآيـــة فى أشد الاستغناء عن هذا المقدَّر إذ قوله (من تراب) معمول لـــ (خلق) أى صـــوَّره حالة كونه بعض هذا الجنس وهو التراب. فـــ (من تراب) يساوى (طينا) مـــن قوله تعالى: ﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ ٦١ الإسراء. أى قدرت خلقه حالة كونه طينا.

---

(١) الكشاف ١/ ٢٨٢.

(٢) من مفاتيح الغيب ٢/ ٤٨٥.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٧٧ وانظر روح المعانى ١/ ٦١.

فتقديــر الجسد حالة كونه بعض التراب الذى هو أصل الطين. فهو فى حال خلقه وتصويره بعض التراب لا كله.

النساء: قوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ١.

والمراد بالنفس الواحدة: آدم فمنه خلق الله حواء ثم منهما معا خلق الله البشر جمــيعا. والمعنى: صوركم فى حالة معينة وهى حينما كنتم بعض تلك النفس التى هى أصلكم جميعا فعنها تفرعتم ومن ثم كنتم بعضها إذ الفرع بعض الأصل.

الأنعـــــام: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً ﴾ ٢ وقــوله: ﴿ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ٩٨ وقوله: ﴿ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ ١٣٣.

سبق أن أصل آدم هو الطين. وهنا نرى أن الطين أصل لذريته أيضا وما ذلك بغريب أو عجيب لأن النطفة تتكون من الغذاء وأصل الغذاء الطين والطين من ماء وتــراب. ففــى آدم كان خلقه من الطين مباشرة أى من غير تحويله إلى عناصر غذائــية وفى أولاده يكون خلقهم من الطين بعد تحويله إلى تلك العناصر. فالمعنى: صوركم حالة كونكم بعض الطين.

الأعراف: قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ ١٢ وقوله: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ١٨٩.

وفــى الآية الأولى أن خلق إبليس كان حالة كونه بعض نار كما أن خلق آدم كــان فــى حالة كونه بعض طين وجوز أبو البقاء أن يكون (من) ابتدائية[١]. وفى الآية الثانية أن خلق البشر ومعهم حواء من آدم أى حالة كونهم بعضه.

فالمراد بالنفس الواحدة آدم عليه السلام فحواء خلقت من ضلعه وسائر البشر مخلوقون منهما معاً فهم ومعهم حواء من نفس واحدة[٢].

وللطبرى فى الآية الثالثة تعبير عجيب ونصه: "ومعنى (من) فى هذا الموضع التعقيب كما يقال فى الكلام: أعطيتك من دينارك ثوبا بمعنى: مكان دينارك ثوبا لأن الثوب من الدينار بعض"[٣].

فكلمة (التعقيب) هنا غامضة حيث لا يتضح المراد بها اللهم إلا إذا كان يريد أن المخاطبين قد كانوا عقيب الذرية التى أنشأهم الله منها.

وكذا فى قوله (مكان دينارك ثوبا) ليس واضحا فى هذا المقام لأن الثوب كان بدل الدينار وليس بعضه فقوله (لأن الثوب من الدينار بعض) ليس من الدقة فى شئ فــضلا عن أنه غير لائق بالمقام هنا إذ المخاطبون بعض ذرية القوم الآخرين على الحقيقة لا على التأويل.

وهذا ما ذكره ابن عطية[٤] ونقله عنه أبو حيان"[٥].

ومع ذلك نرى أبا البقاء يجوز أن تكون (من) ابتدائية وأن تكون بمعنى البدل أى كما أنشأكم بدلا من ذرية قوم آخرين"[٦].

---

(١) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٥٠.

(٢) انظر من مفاتيح الغيب ٤/ ١٠٦.

(٣) جامع البيان ٨/ ٢٧.

(٤) انظر المحرر الوجيز ٢/ ٣٤٨.

(٥) انظر البحر ٤/ ٢٢٥.

(٦) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٤٦.

هــود: قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ ٦١.

قال الزمخشرى: "خلق آدم من تراب"(١).

وكأنـــى به يرى أن المقصود بالضمير فى (أنشأكم) آدم باعتباره أصل البشر فهو جامعهم وهم من نبعه. وقال أبو حيان: "إن ذلك باعتبار الأصل المتولد النبات منه. المتولد منه الغذاء. المتولد منه المنى. ودم الطمث المتولد منهما الإنسان"(٢).

فــرحلــة خلق الإنسان تتألف من عدة حالات تتمثل فى أرض خصبة تنبت نـــباتا صـــالحا للغـــذاء يتناوله الذكر والأنثى فيتحول بعضه إلى نطفة للرجل ودم الطمـــث للمرأة وهما آخر حالات تمثيل الغذاء ومن بعد ذلك يحصل لقاح ويتحول إلى علقة... إلى آخر تلك المراحل.

تلكم هى حالات تَطَوُّر نشأة الإنسان من الأرض. فـ (من) فى (من الأرض) بمعنى (بعض) أى أنشأكم حالة كونكم بعض الأرض.

وهـــذا المعنى هو الظاهر الواضح ومع ذلك نرى أبا حيان يعقب على نصه سالف الذكر قائلا: "وقيل: (من) بمعنى (فى) (٣).

ومما يثبت غموض هذا المعنى أنه يقتضى أن الإنسان ينشأ فى بطن الأرض ومـــا هـــذا بمقبول إذ العقل يأباه وينفر منه وغير المعقول جدير بعدم القبول. ومما يـــؤيد ما نقول قوله تعالى عقيب نص الآية "واستعمركم فيها" فهم بعضها كما أنهم هو الذين يسيرون فيها ويبذرون فى باطنها البذرة وتكون شجرة فثمرة...

إلى غير ذلك من وسائل العمران والحضارة.

---

(١) الكشاف ٢/ ٣١٨.

(٢) البحر المحيط ٥/ ٢٣٨.

(٣) البحر المحيط ٥/ ٢٣٨.

الحجر: قوله تعالى: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ ٢٧،

قوله: ﴿ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ ٣٣.

ففـي آيـة (الجان) ترى (من نار السموم) و (من) بمعنى (بعض) فى محل نـصب حـال أى حالة كونه بعض نار السموم. وفى آية آدم يقول القرطبى: "من: لابـتداء الغاية أو التبعيض. وهذا الطور آخر أطوار آدم الطينية. وأول ابتدائه أنه كان ترابا متفرقا ثم بل فصار طينا ثم ترك حتى أنتن واسود فصار حمأ مسنونا أى متغيرا ثم يبس فصار صلصالا"(١).

ولا شـك أن آدم خلق وصور حالة كونه بعض الصلصال. وحالة كون هذا البعض بعض الحمأ المسنون. فالأولى جعل (من) بعضية فى محل نصب حال.

الكهف: قوله تعالى: ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ ٣٧ ففـي هذه الآية بيان لأطوار خلق الإنسان وتقديره وتصويره فهـو فـي أول طـور بعـض تراب إذ النبات الذى يتغذى ببعضه الإنسان بعض الأرض. وبعـد حال الغذاء يتحول هذا الغذاء إلى نطفة ودم طمث كما سلف ذكره وبعد ذلك تأتى حال التسوية. التى ذكرها الله فى قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ . ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ . فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ ٦: ٨ الانفطار.

طـه: قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ ٥٥.

---

(١) ص ٣٦٣٧ وانظر حاشية الجمل ٢/ ٦٤٧: ٦٤٨.

وعلامـــة الإضمار فى (منها) للأرض فى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ الآية ٥٣ من السورة ذاتها.

و (مــن) اســم بمعنى (بعض) فى محل نصب لأنها حال أى: خلقناكم حالة كونكم بعض الأرض. وقد سبق ذكر تفصيل هذه الرحلة فى آيات مماثلة.

والجديد فى هذه الآية هو: أن الحال ذكرت قبل عاملها وصاحبها معاً فعاملها: خلق. وصاحبها علامة إضمار المخاطبين (كم). وربما يعترض على ذلك بأنه غير جائز كما فى قولهم: مررت راكبا بزيد. إذا كان (راكبا) حال من (زيد) وإنما منعوا ذلك لأن صاحب الحال مخفوض بالباء فقد قال الزمخشرى "وقد منعوا فى: مررت راكبا بزيد أن يجعل الراكب حالا من المخفوض" ثم شرحه قائلا: "إنما امتنع تقديم الحـــال على ذى الحال المخفوض من قبل أن الحال صفة فى الأصل. والصفة من الــتوابع. وأحسن أحوال التابع أن يقع موقع المتبوع. والمجرور لا يصح أن يتقدم على الجار. فكيف يصح أن يتقدم عليه ما هو تابع للمجرور"(١).

وربما يضاف إلى هذا وقوع اللبس فى هذا الأسلوب إذ الحال يمكن أن يكون صاحبها علامة الإضمار فى (مررت). وحينئذ يفهم منه خلاف المقصود به.

ومع هذا هناك من يرى عدم المنع فقد قال ابن مالك:

وسَبْقَ حال ما بحرف جُرَّ قد   أَبَــوْا ولا أمنعــه فقــد وَرَدْ

فهى مسألة خلافية. وبالتأمل ندرك أن الآية التى تصحبها فى هذه الدراسة هنا لا تمــت بــصلة إلى ما سبق ذكره لأن الحال تشبه المفعول به وقد ذكر قبل فعله

---

(١) حواشى المفصل للزمخشرى ص ١٤٥.

وفاعله فى القرآن الكريم نحو قوله تعالى: ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾
٨٧ البقرة وقوله: ﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ ٢٦ الأحزاب.

ولذلك لم أر حرجا ولا ضيقا فى جعل (منها خلقناكم) من أساليب ذكر الحال قبل عاملها وصاحبها. ما دام قد حصل ذلك فى نظيره وهو المفعول به. وعلى هذا يجوز: مكتوفا ضربت اللص. وكريما أتيتكم.

ومما يزكى ذلك ويقويه أن الآية يتحقق فيها التناسق فى النص بين (منها خلقناكم) من جانب و (فيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) من جانب آخر.

هذا: وينبغى أن يدرك القارئ أن (منها نخرجكم) من أساليب (من) الحرفية كما سيأتى.

الحج: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ ٥.

فى هذه الآية عدة أطوار تمثل حالات التدرج فى تصوير الإنسان وهى حالة: يكون فيها بعض التراب. ثم حالة يكون فيها بعض نطفة ثم حالة يكون فيها بعض علقة ثم حالة يكون فيها بعض مضغة: "والمضغة: اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ.

والمخلقة: المسواة الملساء بين النقصان والعيب.. والعلقة: ما يتعلق بالشئ.. كأن الله يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب. ومنها

مـــا هو عكس ذلك. فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس فى خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم"(١).

ومما ينبغى التنبه إليه وإمكان الفكر فيه – بعد معنى البعضية التى أفادته من مع تلك الأطوار – هو العطف بـــ (ثم) لأن لهذه الكلمة هنا وقعا لا يمكن لغيرها أن تقوم به أو تؤديه. فهى من جانب تفيد الترتيب بين تلك الأطوار والأحوال فالتراب الذى ينبت فيه الزرع والثمار هو أسبقها وأولها إذ بدون ما ينبته لا تتكون نطفة ثم يليه النطفة ثم العلقة ثم المضغة..

وهـــى مـــن جانب آخر تدل على النقلة الهائلة بين عناصر تلك الأحوال مما يحـــتاج مـــن الإنسان إلى فكر عميق وتأمل دقيق يستغرق من الزمان طولا لا يقع تحت حساب الساعات المصنوعة من عقارب وغيرها.

وقد سبق الكلام على مثل هذه الآية بما يجعلنا نمسك عن الاسترسال الذى قد يبعث فى نفس القارئ الملل والضيق.

الـــروم: قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾٢٠ وقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾٥٤.

وفى الآية الأولى تطوى تلك المراحل السالفة الذكر فإذا بنا ونحن تراب نكون بـــشرا ننتـــشر فى الأرض كما تنتشر الهوام فى الهواء. فالقرآن يجتمع فيه الشرح والتفـــصيل دون الملل والتطويل مع الإيجاز والطى دون الخلل والعىّ. ففى حاليته معجب مطرب عميق دقيق يشبع عقل المتأمل وفكره ولا ينال منه بما يجعله متبرما أو ضيق الصدر.

---

(١) الكشاف ٣/ ١١٣.

وفى الآية الثانية يعبر عن الأطوار التى ذكرت فى الحج مقبولة (من ضعف) وقد ذهب العلماء فى فهمهم لهذه الكلمة مذهبين وهما:

(أ) قال السيوطى: "المراد بالضعف الأول: النطفة. وبالثانى: الطفولية. وبالثالث: الشيخوخة"[١].

(ب) وقال الزمخشرى: "من ضعف: كقوله (من عجل) يعنى: أن أساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف.

وقيل: من النطف كقوله (من ماء مهين).

وهذا الترديد فى الأصول المختلفة والتغيير من هيئة إلى هيئة وصفة إلى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العالم القادر"[٢].

وسنعرف أن أرجح الأقوال فى معنى (عجل) أنه الطين أى بعض طين. ولذا أرى أن يكون الضعف هنا هو النطفة قال أبو بكر الرازى: "أطلق المصدر وهو الضعف وأراد به اسم الفاعل وهو الضعيف كقولهم: رجل عدل أى عادل. فمعناه خلقناه من ضعيف وهو النطفة"[٣].

والذى يتأمل (الضعف) ثم (الضعيف) يدرك أن المقال للأول لا للثانى.

إذ قد علمنا أن الإنسان إنما يتخلق من نقطة وهى جزء حيوان منوى من ملايين الحيوانات التى تحملها النطفة. فتلك النقطة لا تنهض أن تكون ذا جسم يوصف بأنه ضعيف لأنها الضعف ذاته.

وبذلك كله يتضح أن (من) بمعنى (بعض) أى أن الله صوركم حالة كونكم بعض تلك النطفة التى أخص صفاتها: الضعف.

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن ١/ ١٩١.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٨٣.

(٣) أنموذج الرازى ٢/ ١٠٠.

ولا يمنعنا هـذا من ذكـر ما قاله أبو بكر الرازى بعد نصه السـابق وهو: "وقيل خلقناه على ضعف فـ (من) بمعنى (على) كما فى قوله تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ﴾ ٧٧ الأنبياء. والمراد به ضعف جثة الطفل حال طفولته"[1].

وأرى أنـه لا داعى إليه إذ المنهج القوى بقاء كل كلمة على معناها ففى هذا الحجة البالغة على دقة اختيار كلمات القرآن من حيث هى. ثم عمق اختيار أمكنتها فى الأسلوب.

وممـا يضعفه أننا قد عرفنا أن (من) فى (ونصرناه من القوم) ليست بمعنى (علـى) لأن النصر هنا ليس المراد به الغلبة وقهر العدو بالمعارك بل النجاة وترك العدو حائراً خائراً.

فاطـر: قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ ١١.

أى حالة كونكم بعض التراب ثم حالة كونكم بعض النطف. وهنا تمسك الآية عـن ذكـر سائر المراحل بل تنقلنا نقلة سريعة إلى جعل ذلك البعض نوعين ذكراً وأنثى. وقد يشتمل على ما يزيد على ذلك كما هو منتشر الآن.

يـسن: قـوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ ٧٧ أى حالة كونه بعض تلك النطفة وبدون هذه النطفة لا يتخلق ولا يتصور فقد قال الأستاذ رشيد رضا: "وإننا نشاهد أن كل خلية من الخلايا التى ينحـى بهـا الجسم الحى تنطوى على نويتين ذكر وأنثى يقترنان فيولد بينهما خلية

---

(١) أنموذج الرازى ٢/ ١٠٠.

أخــرى وهلم جرا. ونعلم أيضا كيف يتكون فى الأرحام كل من الزوجين كما قال الله: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴾ ٤٥: ٤٦ النجم"[١].

وفــى هذه الآية نجد عنصرين من عناصر المفاجأة وهما الفاء وإذا والتعبير بهمـــا هــنا ضرورة حتى تتضح تلك الصورة التى يكون عليها هذا المخلوق الذى أنبــته الله مــن شــئ تكــاد نقول عنه إنه (لاشئ) ولم يلبث هذا اللاشيئ أن يعلن خــصومته لمالك كل شئ وخالق كل شئ وأول كل شئ وآخر كل شئ والذى كان ولم يكن شئ وسيكون ولم يكن شئ.

ألــيس ذلــك كله دليلا دامغا على مكابرة ذلك الكائن الذى سماه الله الإنسان ليأنس بعضه ببعض فانقلب أنسه توحشا وطغيانا؟!

الــصافات: قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴾ ١١.

يــرى بعــضهم أن الكلام على حذف مضاف أى خلقنا أصلهم و (من طين) متعلق بـــ (خلق) و (من) لابتداء الغاية. ويجوز أن يكون حالا أى خلق أصليهم كائننا من طين[٢].

وبالتأمل فى هذا النص ندرك أن جعله (من) حرف ابتداء لا يناسب المقام.

إذ ما معنى بدأ خلقه من طين؟ بل إننا حينئذ نكون مضطرين إلى جعل (من) بمعنـــى (بعض) فى محل نصب أى بدأ خلقه حالة كونه بعض الطين. ومن ثم كان

---

(١) تفسير القرآن الحكيم ٩/ ٥١٧.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٣١.

لـــزاما علينـــا إعراب (من) حالا بدون تقدير (كائنا) التى ذكرت فى النص السالف لأنها اسم ليست فى حاجة إلى (كينونة) تتعلق بها.

ولا أدل علـــى صـــدق هذا المعنى وذلك الإعراب من قوله تعالى على لسان الشيطان:﴿ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴾ ٦١ الإسراء. فقد قال الزمخشرى: "طينا: حال إما من الموصول – يعنى: من – والعامل فيه (أسجد) على: أ أسجد له وهـــو طـــين أى أصله طين. أو من الراجع إليه من الصلة – يعنى الضمير الذى يدركه العقل من: خلقت أى خلقته – على : أأسجد لمن كان فى وقت خلقه طينا"[١].

ويـــرى الـــصبان أنه حال من الضمير لا من (من) ثم قال: والأولى كما قال اللقانـــى كـــونه منصوبا على نزع الخافض أى: من طين. لأن طينيته غير مقارنة لخلقه بشرا"[٢].

وهذا بعيد لأنه (خلق) هنا بمعنى: قدر وصور.

وممـــا يلفـــت الذهن هنا قوله تعالى: (طين لازب) أى متماسك ملتزق بعضه ببعض التزاقاً شديداً.

وربمـــا يرجح هذا الوصف أن المراد بهذه الآية هو خلق آدم لأن التراب لا يكون طينا إلا إذا أضيف إليه بعض الماء الذى يجعله متماسكا.

ذكـــر الرازى: "أن المراد أنه خلقهم من آدم وآدم كان مخلوقا من طين. فلهذا الـــسبب قـــال: هو الذى خلقكم من طين" ثم قال: "وعندى فيه وجه آخر وهو: أن الإنـــسان مخلوق من المنى ومن دم الطمث وهما يتوالدان من الدم. والدم إنما يتولد من الأغذية والأغذية إما حيوانية وإما نباتية. فإن كانت حيوانية كان الحال فى كيفية تـــولد ذلـــك الحيوان كالحال فى كيفية تولد الإنسان فبقى أن تكون نباتية فثبت أن

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٢٨.

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشمونى للألفية ٢/ ١٧٧.

الإنســان مخلــوق من الأغذية النباتية ولا شك أنها متولدة من الطين. فثبت أن كل إنسان متولد من الطين. وهذا الوجه عندى أقرب إلى الصواب"(١).

وعلى كل فــ (من) بمعنى (بعض) أى خلقهم حالة كونهم بعض طين لازب.

ص قـــوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ ٧٦.

وهــذه الآيــة علــى لسان إبليس يريد بها أن يفضل نفسه على آدم حيث إنه مخلــوق حالة كونه بعض نار. وأما آدم فهو مخلوق حالة كونه بعض طين. والنار خير من الطين فكيف يذل الفاضل للمفضول؟!!

وهذا الإعراب أولى وأعلى من قول أبى البقاء: "من نار: حال أى حالة كونه كائنا من نار. ويجوز أن تتعلق (من) بالفعل فتكون للابتداء"(٢).

وإنمــا كان أولى وأعلى لأن تقدير (كائن) تكدير لصفو النص إذ لا حاجة به إلــيه. ولأن معنى البعضية واضح كل الوضوح فلا داعى لجعل (من) حرف ابتداء ولا سيما أن النحاة قد قرروا أن الاسم أعلى مقــاما وأعظــم شأنا من الحرف بل من الفعل.

وفــضلا عــن ذلك فإن معنى الابتداء ليس مجردا عن معنى البعضية فابتداء الشئ بعضه.

الزُّمَر قوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ٦.

ولا يخفى أن المراد بالنفس الواحدة آدم عليه السلام فبنو الإنسان صورهم الله حالة كونهم بعض تلك النفس. ومن المقرر أن بنى الإنسان نوعان ذكر وأنثى فهما

---

(١) من مفاتيح الغيب ٤/٨.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٥٠.

زوجـــان. وقـــد قال الله فى سورة يس: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ ٣٦. فأزواج صورت حالة كونها بعض الأرض. وأزواج صورت حالة كونها بعض بنى البشر. وأزواج صورة حالة كونها بعض ما لا نعلم من موجودات الله ومخلوقاته.

غافر: فى قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلًا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ ﴾ ٦٧

سـبق فى آية الحج من بعد قوله (من علقة) قوله: ﴿ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ ﴾ ٥.

وتلـــك الفقرة غير موجودة. كما أن قوله (ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم) موجـــود هنا وهناك. وأما قوله: "لتكونوا شيوخا" فهو فى سورة غافر لا فى سورة الحج.

ولو أردنا الموازنة بين هاتين الآيتين لاحتاج ذلك إلى فكر عميق وجهد كبير ومـــن قـــبل ذلك ومن بعده إلى توفيق من الله وهداية نهتدى بها إلى بعض أسرار هاتين الآيتين. ولذا رأيت أن أقصر جهدى وأخصص قوله (من مضغة مخلقة وغير مخلقة) بشئ لعله يكون نافعا لائقا بجلال كلام الله.

لأنـــنا فى سورة الحج نرى خلق الطفل حالة كونه بعض مضغة أى مقدار ما يمضغه الإنسان. وفى سورة غافر نجد خلقه بعض علقة فما السر فى ذلك؟

لعلـــى أكون قريبا من الصواب: لو قلت: إن سورة غافر مكية وسورة الحج مدنية. والقرآن يكمل بعضه بعضا فلما وردت الآية فى هذه السورة بدون (المضغة

مخلقــة وغيــر مخلقة) ذكرت فى سورة الحج وبذلك تتم الحلقات أو مراحل تطور خلق الجنين.

ومن هنا تتبلج لنا حقيقة صادقة صريحة ألا وهى: أن دارسى القرآن لابد أن ينتــبه إلى آياته التى تتكلم عن عنصر معين من عناصر الكون فيجمعها أمامه مع ملاحظة المكى منها والمدنى فإنه بذلك يعلم أشياء لا يمكن الوصول إليها بدون ذلك الجمع وتلك الملاحظة.

وإنمــا قــررنا ذلــك هنا لأن الذى ينظر إلى الآيتين بغير هذا الجمع وتلك الملاحظــة ربمــا يقــع فى شك أو ظن غير لائق بجلال القرآن إذ قد يعجل فكره ولسانه أو قلمه إلى دعوى وقوع تناقض بين آيتى غافر والحج. وتلك دعوى باطلة.

ومما يزكى ذلك ويقويه ما جاء فى سورة القيامة وهى مكية أيضا وهو قوله تعالــى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ ٣٧ بل إننا نقرأ فى سورة النجم وهى مكية قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ . مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ ٤٥: ٤٦ فاقتصر على النطفة وحدها.

الأحقاف قوله تعالى: ﴿ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ﴾ ٩ أى مــا كــنت حالــة كونى بعض الرسل بدعا. و "البدع كما يقول الزمخشرى: بمعنى البديع كالخف بمعنى: الخفيف. وقــرئ بدعا بفتــح الــدال أى ذا بدع. ويجوز أن يكون صفة على (فعل) كقولهم: دين قيم ولحم زيم"[١].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٣٦.

ولو تأملنا فى المعنى الثانى لكان تقدير الآية: ما كنت ذا بدع أبتدعها ولعل ذلك هو المراد بقول الراغب: "وبدعا فيما أقوله"(١).

وقد صرح الزمخشرى بذلك قائلا: "إنهم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألون عما لم يوح به إليه من الغيوب فقيل له: (قُلْ ما كنت بدعا من الرسل) فآتيكم بكل ما تقترحونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات. فإن الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون إلا بما أوحى إليهم"(٢).

وذكر النسفى ما يفهم منه أن (بدعا) بمعنى (أول) حيث قال: "لست بأول مرسل فتنكروا نبوتى"(٣).

ومعنى البعضية واضح صريح فى (من الرسل) على القراءتين معا أى حالة كونى بعضهم.

الحجرات: قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ ١٣.

أى قدرنا خلقكم حالة كونكم بعض آدم وحواء. ففى هذه الآية بعض تفصيل لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ ١٨٩ الأعراف. وقوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ ١ النساء.

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص ٣٧.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٣٦.

(٣) مدارك التنزيل ٤/ ١٣٦.

فالنفس الواحدة هى آدم وزوجها هى حواء. ومن تزاوجهما بث الله بنى البشر وقد عنيت بـ (بعض التفصيل) أن آية الحجرات قد وضحت كيفية خلق الذرية وأنها لا تكون بغير ذكر وأنثى حتى يكون مبدأ الزوجية سائدا الكون كله وصدق الله إذ يقول: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٣٦ يس. وإذ يقول: ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ اثنين لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ٤٩ الذاريات.

والمراد بالزوجين الذكر والأنثى كما قال الله: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى . أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ . ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ .فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ ٣٦: ٣٩ القيامة.

الطور: قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾ ٣٥.

ومعنى هذا أن الآية تنكر على الجاحدين المعاندين جحودهم وعنادهم لأنهم ينكرون على الله وحدانيته واختصاصه بالعبادة لأنه الخالق الرازق المحيي المميت.

ومن العجيب الغريب أنهم يقرون بذلك ويعترفون به وقد سجله القرآن عليهم فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ٣١ يونس.

وفي قـوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ ٨٧ الزخرف.

إذاً فهم مقرون بأنهم مخلوقون مرزوقون ومذعنون لمن خلقهم ورزقهم وفي آية الطور التي نحن بصددها يقول عن هؤلاء هل خلقوا من غير خالق وهل هم الذين خلقوا أنفسهم؟!

والجواب يدركه العقل السليم الفطرة الذي لا تدنسه الأرجاس ولا تتناوشه الوساوس والهواجس ألا وهو: أن الله هو الخالق وأنهم لا يستطيعون خلق أنفسهم. فقوله (من غير شئ) معناه: من غير أصل. ويعني بالأصل هنا: النطفة وما بعدها من أطوار ماء الرجل في رحم المرأة كما نبهت على ذلك وأرشدت إليه أول آيات هبطت بالوحي على خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام ألا وهي: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ ١، ٢ العلق.

فالآية تنكر عليهم خلقهم حالة كونهم بعض غير شئ من عناصر تكوين الإنسان.

ويقابل هذا أنهم مخلوقون حالة كونهم بعض شئ ألا وهو المني وأطواره.

وإنما نقول ذلك لأن الذي يتأمل نصوص العلماء يدرك لأول وهلة أن الآية تنكر عليهم عدم معرفتهم بأن الله هو خالقهم. ولو كان الأمر كذلك لكان هناك شبه معارضة بين هذه الآية وتلك الآيات التي تضمنت إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق كما وضحنا ذلك آنفا.

ودونك بعض نصوص لبعض العلماء:

يقول الزمخشري: "أي أم أحدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير مقدر"[1].

فهذا صريح بأنهم ينكرون أن الله خالقهم وهذا غير مراد.

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٢٩.

وهناك من يرى صرف (مِنْ) عن معناها وهو البعضية. يقول ابن كيسان: "أم خلقوا عبثا وتركوا سدى من غير شئ أى لغير شئ فـ (من) بمعنى اللام"[1].

فإذا كان الزمخشرى قد أمسك عن ذكر معنى (من) فى الآية فإن ابن كيسان قـد صـرفها عـن معناها إلى جعلها نائبة عن غيرها فى معناها. وهذا غير لائق بجلال كلمات الله ودقة وضعها فى كلامه.

وربمـا يفهم من نص الزمخشرى أن (من) بمعنى الباء أى بغير خالق. وهذا كذلك فى البعد عن جلال كلمات الله.

ولا يـسبق إلـى ذهن القارئ الظن بأنى أحمل على بعض العلماء بغير داع لأنـى – يعلم الله – أُجِلّ علماءنا وأعظمهم بل أقر أننى لا أبلغ مدى تفكيرهم مهما بلـغ لـى الإطـلاع فهم أساتذتى ومعلموى وذوو الفضل علىّ وإنى لأرجو الله أن يلهمنى دائما تعظيمهم وتوقيرهم ورد جميلهم علىّ جزاهم الله عنى خير الجزاء ومع هـذا أرى أنـه من حق كل باحث دارس لنصوص القرآن أن يدلى بدلوه فى الذى يتناوله بالدرس ما دام ذلك فى حدود اللغة التى نزل بها القرآن وهى اللغة العربية. وقد علمنا هؤلاء العلماء أن الكلمة فى القرآن لا تنزع من نصها ويفهم معناها على انفـراد بل لابد من النظر إلى سياقهـا حتى يتضـح مقامهـا ومكانتها ومعناها. وهنا أقول:

إن تلك الآية تقع بعد ثلاث آيات اشتملت على (أم) أربع مرات. وقد اشتملت هـى علـى (أم) مرتين. ثم وقع بعدها ثمانى آيات اشتملت على (أم) تسع مرات. وبذلك تكون (أم) واردة فى اثنتى عشرة آية خمس عشرة مرة.

وأولى هذه الآيات هى قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ . قُلْ تَرَبَّصُوا ﴾ ٣٠: ٣١ وآخرها قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ٤٣ .

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ٤/ ٢١٩.

وكـل هـذه الآيات تتضمن الإنكار على الكفرة الجحدة أمرا من الأمور التى تقوم عليها الحياة فهى أركان ركينة وقوائم متينة.

وسياق الآية التى نحن بصددها يثبت الإنكار عليهم فى أن الوحى لا أساس له وأن الرسول يتقول على الله ثم التحدى بالإتيان بمثله. وبعد ذلك أراد أن يلفتهم إلى حقيقة هم يؤمنون بها ألا وهى: أن الإنسان لا يوجد إلا من نطفة فلابد من أصل له وأنهـم لا يخلقون هـذا الأصـل كمـا فـى قـوله تعالـى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ . ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾٥٨، ٥٩ الواقعة.

فكـذلك الوحى لابد له من أصل ومحمد لا يمكنه أن يتقوله بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ ٤٤: ٤٦ الحاقة.

وبهذا تكون الآية إنكارا لأن يخلقوا من غير نطفة. وأن يخلقوها. وعليه تكون (مـن) بمعنى (بعض) أى: أتستقيم أن يخلقوا حالة كونهم بعض غير شئ أم يستقيم أنهم الخالقون؟! لا يستقيم هذا ولا ذاك.

الـواقعة: قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ . ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ ٦٨: ٦٩ الواقعة.

أى أأنـتم أنـزلتموه حالـة كونه بعض المـزن؟ كـلاً وبذلك نكون الذين أنزلناه بقدرتنا.

المعارج: قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ ٣٩.

أى صورناهم حالة كونهم بعض ما يعلمون وهو المنى بمراحله وأطواره.

وجعل صاحب (إعراب القرآن): (من) تعليلية أى من أجل ما يعلمون وهو الطاعة"[1].

ولا شك أن القارئ يدرك ما فى هذا من غموض وأن هذا الغموض ناشئ من جعل الكلمة وهى (من) بمعنى غيرها وهو اللام. وهذا لا داعى إليه كما هو واضح.

المرسلات: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ . فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ ٢٠، ٢١.

وهذا تقرير لهم بأن الله هو الذى خلقهم وصورهم حالة كونهم بعض ماء مهين وهو ماء الرجل الذى يصب فى رحم المرأة وأن ذلك بعد عدة أطوار عرفناها مما سبق.

عبس: قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ . مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾ ١٨: ١٩.

أى أنه خلقه فقدره وصوره حالة كون بعض نطفة. وهنا ينبغى أن ندرك معنى قوله (من أى شئ خلقه) مع قوله تعالى فى سورة الطور (أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون) فالشئ فى سورة عبس قد فسر بالنطفة فكذا ينبغى أن يفسر فى سورة الطور. حتى يضح مدى التناسق الجميل والتوافق الرائع بين آيات قرآن الله الحكيم فى شأن مخلوق كريم.

الطارق: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ ٥: ٧.

---

(١) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ص ٥٧.

أى صـــور حالة كونه بعض الماء الدافق. قال الزمخشرى: "ولم يقل (ماءين) لامتزاجهما فى الرحم واتحداهما حين ابتدأ فى خلقه"[١].

وربمـــا يفهم من هذا أن (من) حرف ابتداء. ولكنى أرى ذلك غير دقيق لأن الإنـــسان – سواء أكان آدم أم غيره – بدأ الله خلقه من طين حيث قال: "وبدأ خلق الإنـــسان مـــن طين" والمراد هنا آدم ثم قال الله: "ثم جعله نسله من سلالة من ماء مهين" وقد عرفنا أن هذا الماء وتلك السلالة أصلهما الطين.

وبذلك نكون قد انتهينا من الكلام على صاحب الحال الضمير. والحال (من).

(ب) آيـــات صـــاحب الحال المضـــاف إلى الضمير والحال (من) وهى من السور الآتية:

النـــساء: قوله تعالى: ﴿ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ ٢٣.

والـــربائب هن النوع الحادى عشر من المحرمات على الرجال. والمراد بهن بـــنات الزوجات سواء كن فى كنف الأزواج أم لا. ومن ثم كان التعبير بـــ (اللاتى فـــى حجوركم) بناء على الغالب. فهؤلاء يحـــرم على أزواج أمهاتهن الذين دخلوا بهن نكاحهن.

قـــال الزمخـــشرى: "من نسائكم: متعلق بـــ (ربائبكم) ومعناه: أن الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له إذا لم يدخل بها"[٢].

وقال أبو البقاء: "من نسائكم: فى موضع الحال من (ربائبكم). وإن شئت من الضمير فى الجار الذى هو صلة: تقديره اللاتى استقررن فى حجوركم كائنات من نسائكم"[٣].

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٨٧.

(٢) الكشاف ١/ ٣٨٢.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٩٨ وانظر البحر المحيط ٣/ ٢١٢.

ومقتـــضى هـــذا أن تكون (من) لابتداء الغاية وهذا ما صرح به الزمخشرى حـــيث قـــال: "وإذا قلت: وربائبكم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإنك جاعل (من) لابتداء الغاية كما تقول: بنات الرسول عليه السلام من خديجة"[(١)].

والصواب أن (من) بمعنى (بعض) فى الآية – أى آية النساء – والحديث لأن الربائب بعض أمهاتهن كما أن بنات خديجة بعضها.

وأما آية التوبة فـــ (من) فيها بمعنى (مثل) كما حققنا ذلك فيما سبق.

هـــذا: وســـواء أكـــان حـــالا من (ربائب) أم من الضمير المستكن فى (فى حجـــوركم) فليس فى حاجة إلى (كائنات) التى قدرها أبو البقاء إذ (من) اسم بمعنى (بعض) لا حرف جر. وكونها اسما يمنع التقدير الذى هو تكدير. وهذه ميزة جعلها اسما فإن لم تكن هناك ميزة غير أنها تحفظ للقرآن صفوه وتدرأ عنه شبهة اللغو لكفى.

ومن أعجب العجب أن نرى الزمخشرى وهو صاحب الفضل فى تثبيت القول باسمية (من) البعضية يجوز أن تكون (من) فى هذه الآية للاتصال كما هى فى قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ ﴾ ٦٧ التوبة وفى قول الـــشاعر (فإنى لست منك ولست منى) وقول الرسول عليه السلام: "وما أنا من دد ولا الددمنى" والمعنى: الربائب متصلات بأمهاتهن لأنهن بناتهن" والدد: اللهو واللعب.

ووافقه ابن المنير على ذلك"[(٢)].

وقد رد هذا المعنى كل من أبى حيان وأبى السعود فقال الأول: "إنه غير جائز لاختلاف مدلول حرف الجر إذ ذاك .. ولا نعلم أحدا ذهب إلى أن (من) من معانيها الاتصال. وأما ما شبه به من الآية والشعر والحديث فمتأول"[(٣)].

---

(١) الكشاف ١/ ٣٨٢.

(٢) الكشاف ١/ ٣٨٢ وهامشها.

(٣) البحر المحيط ٣/ ٢١٢.

وقال الثانى: "هذا ما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله"(١).

وبهذا يخلص وجه (من) لمعنى (بعض) وبه ننأى بالآية عن مزالق الضعف والتشويه.

الأنعام: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ ١٢٨.

والمعنى: وقال أولياؤهم حالة كونهم بعض الإنس ربنا... إلخ. ولكن علماءنا – علـى الرغم من اتضاح هذا المعنى وإيجازه – يأبون إلا ترديد الكلام فى أوجه محـتملة وإن اقتضى ذلك حمل النص القرآنى على الحذف والتقدير مع ما فيها من حيف وتكدير.

وحـسبنا فى مقامنا هذا قول أبى السعود: "من: إما لبيان الجنس أى أولياؤهم الـذين هـم الإنـس. أو متعلقة بمحذوف وهو حال من (أولياؤهم) أى كائنين من الإنس"(٢).

فبالـتأمل فى هذا النص ندرك الحكم على (من) بالإعدام الذى يسميه العلماء (الزيادة) ولعلك تعلم هذا من قوله (أى من أولياءهم الذين هم الإنس) أليس فى هذا أن الإنـس كلهـم أولياء الجن؟؟ وهل بعد ذلك إجحاف بالنص القرآنى إذ يقول الله (من الإنس) أى بعضهم ونقول نحن: كل الإنس أولياء للجن.

وبهذا يثبت ويتقرر معنى البعضية فتكون (من) فى محل نصب حالا.

الأعراف: قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ٣٧.

أى حالة كونه (بعض الكتاب).

---

(١) إرشاد العقل السليم ٣/ ٢٤١.

(٢) إرشاد العقل السليم ٤/ ٤٢٨.

وقـد ذكر أبو السعود: "أن المراد بـ (الكتاب) إما المكتوب لهم من الأرزاق والأعمار.

وأمـا (اللـوح المحفوظ) أى ما أثبت لهم فيه" ثم قال: "وأيا ما كان فـ (من) الابتدائـية مـتعلقة بمحـذوف وقع حالا من (نصيبهم) أى ينالهم نصيبهم كائنا من الكتاب"[١].

وقال الألوسى: "وجوز فيها التبيين والتبعيض"[٢].

وبالتأمل ندرك أن معنى (بعض) هو اللائق بجلال النص كما عرفنا غير مرة إذ به يستغنى هذا النص عن دعوى الزيادة ودعوى التقدير وكلاهما باطل.

الحِجْـر: قـوله تعالـى: ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ ٣٩: ٤٠.

فـى هذا النص يتوعد إبليس بنى البشر جميعا بالإغواء والإضلال ثم يستثنى الذين يخلصون لله عبادتهم فينفردون بوصف (عباد الله) أو (عباد الرحمن).

حالة كونهم بعض بنى البشر الذين توعدهم إبليس.

وممـا ينبغى ملاحظته أن الحال (منهم) أردف بالوصف (المخلصين) وربما يقال: كيف يذكر الحال قبل النعت؟

وإجابـة علـى ذلـك أقول: إن الحال والنعت يفيدان وصف صاحب الحال والمـنعوت فهما بمنزلة سواء: ومن ثم لا يلزم الترتيب بينهما إذ لا يفضل أحدهما الآخر حتى نوجب ذكره أولا. غير أن هناك ما يرجح ذلك. ففى هذه الآية نرى أن

---

(١) إرشاد العقل السليم ٤/ ٥٢٢.

(٢) روح المعانى ٣/ ٣٣.

الحـــال (مـــنهم) مـــرتبط بذوات (عبادك) وأما الوصف (المخلصين) فيفيد وصفهم بـــالإخلاص لله ومـــا بالذات مقدم على الصفات. فلا غبار إذاً على نسق الآية فهو نسق جميل دقيق عميق.

الـــنمل قـــوله تعالـــى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ١٧. أى حالـــة كون هؤلاء الجنود بعض الجن والإنس والطيـــر. وبهذا يتضح أن سليمان عليه السلام كان مستقبلا لبعضهم لا لكلهم. وقد ذكـــر الألوسى ما يثبت أن البعضية فيها معنى البيان حيث قال: "من الجن والإنس والطيـــر: بـــيان للجـــنود كما فى البحر وغيره. ولا يلزم من ذلك أن يكون الجنود المحشورون له عليه السلام جميع الجن وجميع الإنس وجميع الطير. إذ يأبى ذلك – مع قطع النظر عن العقل – قصة بلقيس الآتية بعد. وكذا قصة الهدهد.

ونقـــل عن بعضهم أنه عليه السلام كان يأتيه من كل صنف من الطير واحد. وهو نص فى أن المحشور ليس جميع الطير"[(١)].

فالألوســـى يحفظ للنص قدسيته ويحافظ على كل كلمة فيه إذ لكل كلمة دروها فى المعنى المراد ولا يتم إلا بها جميعا.

القصص قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ ٧٧.

أى حالـــة كونه بعض الدنيا أى أغراضها ولوازم العيش فيها. ولا تنس أيها القارئ أن هذه الآية خطاب لقارون الذى حوت حزائنه ما لم تحوه خزائن غيره من قـــبله أو مـــن بعده فيما نظن. فلو كان هذا النص بدون (من) فكيف يكون معناه؟! أليـــست هـــذه الكلمـــة هى روحه ومبعث كماله ومصدر جماله. ولا شك أن معنى البعضية هو صاحب اليد الطولى هنا.

---

(١) روح المعانى ٦/ ٢٦٥.

ص قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ٨٢ ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ ٨٣ قد سبق نظير هذه الآية فى الأعراف. فما قلناه هناك يغنى عن ذكره هنا.

النجم قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ ٣٠.

أى مقدار ما بلغوه أو بلغهم حالة كونه بعض العلم. وربما يحضرك هنا أيها القــارئ مــا سلف ذكره غير مرة من أن علم البشر قليل مما زاد فى نظرهم فقد تكلمـــنا عن ذلك عند قوله تعالى: "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" ووضحنا أن الآية تثبت أننـــا لم نــــؤت بعض العلم اللهم إلا قليـــلا منه. فعلمنـــا بعض البعض لا بعض الكل.

(جـــ) ويكون صاحب الحال مضاف إلى (ما) الموصولة وذلك فى نصين من آية واحدة. وهى الآية الخامسة والعشرون من سورة النساء.

النص الأول: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ ٢٥ النساء.

والمقــصود هــنا (فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) أى فلتنكحوا بعــض مــا ملكــت أيمانكم حالة كونهن بعض فتياتكم المؤمنات. فـ (من) الأولى مفعــول منــصوب بجــواب الشرط الذى يدركه العقل. و (ما) مضاف إليه وهى صــاحب الحال. وبهذه الآية يثبت أن (من) البعضية كما تكون حالا تكون صاحب حال. وذلك على أن صاحب الحال هو المضاف لا المضاف إليه.

ولا ريــب فــى ظهور المعنى على هذا الإعراب. ولكن أبا البقاء يقول: "فى (مــن) وجهان أحدهما: أنها زائدة والتقدير فلينكح ما ملكت. والثانى: ليست بزائدة

ومفعــول الفعــل المقدر محذوف تقديره فلينكح امرأة مما ملكت. و (من) على هذا صــفة للمحــذوف. وقــيل مفعــول الفعل المحذوف (فتياتكم) و (من) الثانية زائدة و(المؤمــنات) علــى هــذه الأوجــه صفة (الفتيات). وقيل مفعول الفعل المحذوف (المؤمنات) والتقدير: من فتياتكم الفتيات المؤمنات.

وموضــع (من فتياتكم) إذا لم تكن (من) زائدة حال من الهاء المحذوفة في: ملكت"[١].

هل بعد ذلك قلق واضطراب ودعاوى زائفة تثقل كاهل اللفظ وتند معناه دون ما ذنب اقترفه أو جناه؟! وإني لأترك للقارئ الحرية في قراءته ليقف على حقيقة ما أقول. فكم كررت مثله في غير هذا النص.

وقــد اكتفى الزمخشري بقوله: "من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين"[٢].

الــــــنص الثانـــــــي: ﴿ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ ٢٥ النــساء. أي حالــة كــونه بعض العذاب.

فصاحب الحال هو المضاف لا المضاف إليه كما سبق وذلك نظير قولنا: جاء غلام محمــد مــسرعا فــ (مسرعا) حال من (غلام) لا من (محمد). ويأبى أبو البقاء إلا الغمــوض حيث يقول: وصاحب الحال المضمر في (على المحصنات) الواقع صلة لـــ (ما). والعامل فيها العامل في صاحبها. ثم قال: ولا يجوز أن يكون حال من (ما) لأنها مجرورة بالإضافة فلا يكون لها عامل"[٣].

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٩٩.

(٢) الكشاف ١/٣٨٦.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٩٩.

والذى نراه أن صاحب الحال هو (نصف) وهو مرفوع بـ (فعليهن) والحال منصوب به.

وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام على آيات (من) الواقعة حالا وصاحبها ضمير أو مضاف إلى ضمير. و (من) بمعنى (بعض).

النوع الثانى: آيات (من) الواقعة حالا وقبلها اسم موصول وهو إما (من) أو (ما) أو (الذى) أو (اللذان) أو (الذين) أو (اللاتى).

أولاً: آيات (من) وهى ثمان وثلاثون آية من السور الآتية:

البقرة: ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ٨٥ ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ ٩٠ ﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ ١٢٦ ﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ ٢٣٢. ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ ٢٨٢.

النساء: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ﴾ ٢٥.

الأنعام: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ ٨٨.

الأعراف: ﴿ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ١٨ ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ

أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ ﴾ ٧٥

﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ ١٢٨.

الأنفـــال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

٦٤ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى

قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا ﴾ ٧٠.

التوبــة: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ﴾ ١٠١.

هــــود: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ

ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ ١١٦.

والمراد هنا (منهم) أى من الذين أنجيناهم حالة كونهم بعضهم.

أما (مِنْ) فى (مِمَّن) فلها مقام آخر فى فصل (بين الحال والنعت).

الرعـد: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ

وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾ ٢٣.

إبــراهيـم: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ

يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ ١١.

الحجــــر: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ

ٱلْغَاوِينَ ﴾ ٤٢.

النحل: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ ﴾ ٢.

الإســــراء: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ٦٤. ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾ ٧٧.

المؤمـــنون: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡ ﴾ ٢٧.

الـــنـــور: ﴿ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ﴾ ٦٢.

الـــشعراء: ﴿ وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ١١٨﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ٢١٥.

القصص: ﴿ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾ ٨٢.

العنكبوت: ﴿ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾ ٦٢.

الروم: ﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ ٤٨.

الأحزاب: ﴿ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُ ﴾ ٥١.

سبـــأ: ﴿ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ ﴾ ٣٩.

ص: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ ٨٥.

غافـــر: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾ ٨ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ١٥.

الـــشورى: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ ٥٢.

الزخـــرف: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ ٤٥.

الذاريات: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٣٥.

الجن: ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا .إلا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ ٢٧.

المدثر: ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾ ٣٦ ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ ٣٧

التكـــويـــــــر: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ ٢٧ ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ ٢٨.

فهـــذه ثمانٍ وثلاثون آية وقعت فيها (من) البعضية حالا. وصاحب هذه الحال إما (مَن) الموصولة وإما الضمير العائد عليها من صلتها[1]. ولكنى أرجح أن (مَن)

(١) انظر: محاضرات فى علم النحو ص ١٨.

الموصـــولة هـــى صـــاحب الحـــال لأن جملة الصلة بما فيها من ضمير رابط لها بالموصـــول جـــزء مـــتمم لـــذلك الموصول. وفضلا عن ذلك نرى أن (من) هى المتـــضمنة للعموم الذى تكون (من) بعضه. وأما الضمير فهو على صورة المفرد الذى لا عموم فيه.

فمـــثلا الآية الأولى من سورة البقرة "فما جزاء من يفعل ذلك منكم ..." نرى أن الـــضمير الـــذى يدركه العقل فاعلا لـــ (يفعل) مفرد إذ لو كان ملفوظا به لكان لفظه (هو) لا (هم) مثلا.

وفـــى الآيـــة الأخيـــرة منها ".. ممن ترضون من الشهداء" نجد فيها ضميراً محذوفا إذ التقدير ترضونه. وهو مفرد أيضا غير أنه فى محل نصب. وكذا فى آية النور: "فأذن لمن شئت منهم" أى شئته...

وقـــد تكـــون الصلة ظرفا فيحتمل ضميراً عائدا على الموصبول كما فى قوله تعالـــى: "وممـــن حـــولكم مـــن الأعراب منافقون" وقوله: "ونجنى ومن معى من المؤمنـــين" فالصلة (حولكم) و (معى) ظرف يرفع فاعلا مضمرا يدركه العقل ولو كـــان بـــصورة اللفـــظ لكان (هو) لذلك كله رأيت أن يكون صاحب الحال فى هذه الآيـــات هو (من) لما فيها من العموم الذى يلائم ويوائم معنى (من) البعضية التى يكـــون المضاف إليها عائدا إلى (من) فتكون مبعضة له. ومع الدلالة على البعض يفهم منها البيان فلا شك إننا إذا قلنا فى الآية الأولى: فما جزاء من يفعل ذلك حالة كونه بعضكم كان فيه من البيان ما لا يخفى.

ومن ثم جعل علماء النحو (من) الموصولة من قبيل الأسماء المبهمة وما ذلك إلا لأنهـــا تحـــتاج إلى ما يبين المراد بها. ولكننا نربأ بهذا المعنى عن معنى (بيان الجـــنس) الذى قرره بعض العلماء معنًى لـــ (مِنْ) فقد علمنا أن هذا المعنى مساو لمعنـــى الزيادة. والقول بالزيادة غريب على لغتنا فينبغى أن يكون طريداً منها فهى لغة تَجِلّ عن الزائد وتنتزه عن الزيادة.

ومما يثبت هذا أن العلماء قد وضعوا لها ضابطاً وهو: أن يصح حمل ما بعدها على ما قبلها وضربوا لذلك مثلا وهو قوله تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ ٣٠ الحج فقالوا: إن تقديرها: الرجس الأوثان.

يقول الصبان: "إن وضع (مِنْ) البيانية أن يفسر بها وبما بعدها اسم جنس قبلها صالح لحمل ما بعدها عليه نحو: أساور من ذهب"(١).

ومقتضى هذا أن تكون الأساور هى الذهب.

أليس فى ذلك تصريح واضح الدلالة على أن (من) زائدة. وهذا فاسد كل الفساد. لأننا لو طبقنا هذا على قوله تعالى: "فما جزاء من يفعل ذلك منكم" لكان التقدير: من يفعل ذلك أنتم. وفى هذا قلب للنص وإبعاده عن الدلالة على المعنى المراد ألا وهو (من يفعل ذلك حالة كونه بعضكم. ولا خلاف فى أن هذا المعنى هو المطابق للفظ النص.

وكذا قوله تعالى: "أن ينزل الله من فضله عن من يشاء من عباده" فتأويله على قاعدة النحاة هو: من يشاء وهم عباده. وفيه تعميم فى غير موضعه إذ كل العباد ليسوا بأنبياء ينزل عليهم الوحى. وإنما اختص الله منهم نوعا معينا كان أصلا للاصطفاء المذكور فى قوله تعالى: "الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس" فقد سبق أن الاصطفا لبعض الملائكة وبعض الناس. وهذا المعنى هو ما نقوم به (من) البعضية لا البيانية كما يزعم بعضهم إذ جعلها بيانية يحسب قاعدتهم قتل للنص وإزهاق لنفسه. لأنه يتضمن الحكم على (من) بالزيادة وقد تأكدنا – أن هذا غير لائق بالقرآن بل باللغة العربية على وجه العموم. ومما يزيده تأكيدا أن جمهورا غفيرا من علماء العربية لا يرضى بهذا المعنى ولا عنه وعلى رأس هؤلاء إمام النحاة سيبويه. ولعل سر ذلك أنهم قد علموا أن معنى البعضية يستلزم معنى البيانية كما مرت الإشارة إليه. وفى ذلك يقول صاحب الكليات: "وكلمة (من) مفتوحا نص

---

(١) حاشية الصبان على منهج السالك للأشمونى ٢/ ٢٠٦.

فـى العموم، ومكسورا - وإن كانت للتبعيض - إلا أنها تحمل على التمييز والبيان فـى موضـع الإبهام كما فى (من شئت من نسائى طلاقها فطلقها) حتى يجوز أن يطلقهن عند أبى يوسف ومحمد. وأما عند أبى حنيفة يعم الكل إلا واحدة منهن لأن كلمـة (مـن) مفتوحا للتعميم والإحاطة فيما يراد به وينكر فى صلته بشهادة النقل والاستعمال. ومكسوراً للتبعيض حقيقة إذا قرنت بما فيه تعدد وشمول على ما يشهد به الاستعمال. وإنما يستعمل فى البيان والتمييز لما فيه من معنى التمييز فى الجملة. وقـد جمـع المتكلم بينهما فوجب العمل بحقيقتها فيقع الطلاق على أكثر من واحد عمـلا بالعموم ولا يقع على الكل عملا بالخصوص. وإنما يتعين الواحد لأنه الأقل المتيقن"(١).

وبهـذا يثـبت أن البعضية فيها معنى البيان مع المحافظة على قدسية النص وهذا على مذهب الإمام أبى حنيفة.

أما على مذهب أبى يوسف ومحمد فتكون زائدة وهذا غير لائق.

وممـا يؤكد تضمن معنى البعضية لمعنى البيان قول المجد: "البضع كالمنع: القطـع كالتبضيع والشق وتقطيع اللحم ... والتبيين كالإبضاع والتبين بضعة الكلام وأبضعه الكلام بيَّنه له فبَضَع هو بُضُوعا فهم"(٢).

وقول الزمخشرى: "بَضَع من الشاة بِضْعَة إذا قطع قطعة.. وبَضَعْتُ من الماء رويت لأنك تقطع الشرب عند الرى يقال: حتى متى تكرع ولا تبضع"(٣).

وبهذا يتبين العلاقة الوثيقة بين (بعض) و (بضع) إذ كل منهما يفيد الجزء من الـشئ. وانفـصال شئ من شئ. ومن ذلك البعوضة فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾٢٦ البقرة.

---

(١) الكلـيات ص ٣٣٧ ويلاحـظ أن قـوله (إلا أنها) بعد الجملة الإعتراضية خطأ فالصواب الاستغناء عنه.

(٢) القاموس ٣/ ٥.

(٣) الأساس ص ٥٠.

قال الزمخشرى: "واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وأنشد:

لنعم البيت بيت أبى دثـــار　　　إذا ما خاف بعضَ القوم بعضًا

ومـــنه: بعض الشئ لأنه قطعة منه. والبعوض فى الأصل صفة على (فعول) كالقطوع فغلبت. وكذلك الخموس" وهو البعوض أيضا"[1].

بـــل إن اللغـــة العربية لا تكتفى بهذا لأننا نرى صيغة ثالثة من تلك الحروف الـثلاثة وهـــى: عضب وفيها معنى القطع والإبانة والبعضية قال المجد: "العضب: القطع"[2].

فهـــذه الصيغ الثلاث (بعض) و (عضب) و (بضع) مشترك فى معنى القطع والجـــزء وقـــد حققنا ذلك بالتفصيل فى الباب الأول كما بينا العلاقة بين هذه المادة ومادة (من) و (من) . فلا عجب أن تكون (من) اسما بمعنى (بعض) ونعرب حالا. ولا يعتـــرض علـــى ذلك بأنها مضافة إلى علامة الإضمار وهذا يقتضى أن تكون معـــرفة لأن هـــذه الإضافة لفظية كما يقال فى قوله تعالى: ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ ١٢٤ البقرة.

علـــى أن سيبويه والمبرد قد اتفقا على إعراب (وحده) حالا فى قولنا: رأيت زيـــدا وحده وإن أضيفت إلى الضمير. وإن اختلفا فى صاحب الحال فذهب سيبويه إلى أنه الفاعل وذهب المبرد إلى أنه المفعول[3].

وفـــى تلك الآيات التى هى موضع دراستنا هنا يكون صاحب الحال إما (من) وإما الضمير المستكن فى الصلة[4].

---

(١) الكشاف ١/ ٨٧ وهامشها.

(٢) القاموس جـــ ١ ص ١٠٥.

(٣) انظر منهج السالك للأشمونى ٢/ ١٧٨.

(٤) انظر: محاضرات فى علم النحو ص ١٨.

ومشى أبو البقاء على الثانى حيث قال فى الآية الأولى: "منكم: فى موضع نصب على الحال من الضمير فى: يفعل".

ثم قال فى الثانية: "من: نكرة موصوفة أى على رجل (يشاء). ويجوز أن تكون بمعنى (الذى) ومفعول (يشاء) محذوف أى يشاء نزوله عليه و (من عباده) حال من الهاء المحذوفة. ويجوز أن يكون فى موضع جر صفة أخرى لـ "من"(١).

ويأبى أبو حيان إلا أن يجعل (من عباده) من قبيل الجار والمجرور فيتعلق بـ (كائنا) التى تكون حالا. والتقدير: كائنا من عباده"(٢).

وبالتأمل فى هذا التقدير ندرك أنه لا يخرج (من) عن معنى (بعض) ولذا نرى أنه تكدير لصفو المعنى واللفظ معاً. والذى يدفع ذلك التكدير ويرفعه إنما هو جعل (من) اسما بمعنى (بعض) فتكون هى الواقعة حالا. والراجح أن صاحب الحال هو (من) لا المضمر فى الصلة لأن (من) تتضمن عموما تبينه (من) كما وضحنا ذلك غير مرة.

ولكن بعض علمائنا لا يلتزم بذلك ففى قوله تعالى: "ذلك لمن خشى العنت منكم" يقول السمين: "منكم: حال من الضمير فى (خشى) أى فى حال كونه منكم. ويجوز أن تكون (من) للبيان"(٣).

وربما يفهم من العبارة الأخير أن كون (من) للبيان يمنع جعلها حالا ولكن ذلك غير صوات فقد ذكر ابن هشام أنها - مع ذلك - هى ومدخولها فى موضع نصب على الحال(٤).

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٣٧، ٣٩.

(٢) انظر البحر المحيط ١/ ٣٠٦.

(٣) حاشية الجمل ١/ ٤٤٩.

(٤) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٤.

ولكننا – مع ذلك – لا نرى أنها بيانية لما عرفنا من أن هذا يترتب عليه أنها زائدة.

وفـــى قوله تعالى: "حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين" و "واخفض جناحك لمن ابتعك من المؤمنين".

يـــرى الشيخ الصوالحى فى الأولى: "أن (من المؤمنين) متعلق بمحذوف حال مـــن (من) أو من ضميره فى (اتبعك) و (من) الجارة بيانية. ومن شأنها أن تتعلق بمحذوف حال من المبين"(١).

وقد عرفنا أن جعلها. بيانية يترتب عليه كونها زائدة فيكون المعنى: من اتبعك هم المؤمنون.

وهذا المعنى صواب إذ لا يعقل أن بعض المؤمنين يتبعونه وبعضهم لا يتبعونه.

وعلـــيه فمعنى البعضية هنا غير سديد. ولكننا مع ذلك نقرر أن (من) بعضية إذ جعلها زائدة غير لائق بجلال القرآن وبدقة اختيار ألفاظه لعميق معانيه.

وممـــا يـــؤيد قولنا ما قرر أبو السعود فى آية الشعراء وهى (لمن اتبعك مِنَ المؤمنـــين) مساوية لآية الأنفال. يقول أبو السعود: "و (من) للتبيين لأن (مَنِ اتبع) أعـــم مـــن اتـــبع لدين أو غيره. أو للتبعيض على أن المراد بالمؤمنين المشارفون للإيمان أو المصدقون باللسان فحسب"(٢).

فقول أبى السعود: (من) للتبين لأن (من اتبع أعم...) يشير إلى أن (مِنْ) فيها معنى (بعض) لأن العموم يقتضى التبعيض والتبعيض يقتضى التبيين لا العكس كما حققنا ذلك آنفا. وبذلك يخلو وجه المعنى للبعضية.

---

(١) محاضرات فى علم النحو ص ١٨.

(٢) إرشاد العقل السليم ٤/ ١١٩.

ولنا أن نظن بادئ ذى بدئ أن أبا السعود هو صاحب هذا الرأى ولكننا لما رجعنا إلى الكشاف علمنا أنه ينزع عن قوس الزمخشرى ويرمى بسهمه حيث يقول: "فإن قلت: المتبعون للرسول هم المؤمنون. والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما قوله (لمن ابتعك من المؤمنين)؟

قلت: فيه وجهان: أن يسميهم قبل الدخول فى الإيمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك. وأن يريد المؤمنين المصدقين بألسنتهم. وهم صنفان: صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاء به. وصنف ما وجد منه إلا التصديق فحسب.

ثم إما أن يكونوا منافقين أو فاسقين. والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح. والمعنى: مِنْ المؤمنين مِنْ عشيرتك وغيرهم. يعنى: أنذر قومك: فإن اتبعوك وأطاعوك فاخفض لهم جناحك. وإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره"[1].

وبهذا يثبت بلا شك ويتضح بلا خفاء أن (من) بمعنى (بعض) لأن هذا المعنى هو صاحب المقام الذى لا ينوب سواه عنه. ويزيده ثبوتا ووضوحا أن الاتباع أخص من الإيمان فكل متبع مؤمن وليس كل مؤمن بمتبع. ومن ثم أمر الله رسوله بقوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ ٣١ آل عمران. فكلمة (المؤمنون) عامة تشمل صادق الإيمان وكاذبه والمراد هنا الصادق وهو المتبع. وقد أشار الألوسى إلى ذلك المعنى – ولعله منتفع بما سبق عن الزمخشرى – حيث قال: "وجوز بعضهم – لعله يعنى: الزمخشرى – على تقدير كونها بتعيضية أن يراد بالمؤمنين: الذين قالوا: آمنا وهم صنفان صنف صدق واتبع. وصنف ما وجد منهم إلا التصديق فقيل: من المؤمنين. وأريد بعض

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٦٨.

الذين صدقوا واتبعوا أى: تواضع لبعض المؤمنين وهم الذين اتبعوك محبة ومودة"(١).

وهذا الذى قررناه هنا يمكن تطبيقه على قوله تعالى فى حق إبليس: "لمن اتبعك منهم" فى الأعراف. "فمن تبعك منهم" فى الإسراء و: "وممن تبعك منهم" فى صٓ. وكذا قوله: "إلا من اتبعك من الغاوين" فى الحجر. ويكون هناك طرق للضلال غير طريق إبليس وهى طرق شياطين الإنس وهواجس النفس. ألم يقل الله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ ١١٢ الأنعام. ثم ألم يقل: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ ٣٠ المائدة. ثم ألم يقل: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ ٥٣ يوسف.

إذاً فليس إبليس وحده هو عدو الإنسان بل هناك غيره وهو نفسه والشياطين من نوعه. وكذا رأينا القرآن فى سورة الحجر بعد قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ ٤٢ يقول ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ . لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ ٤٣، ٤٤. إذ المراد: الغاوون كلهم من أتباع إبليس وأتباع أنفسهم الأمارة بالسوء وأتباع شياطين الإنس.

---

(١) روح المعانى ٦/ ٢٣٧.

تعقـــيب:

هــناك ثــلاث آيــات ذات نــسق معين خاص وهى قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ٣١ يــونس. وقــوله تعالى: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ الآيــة رقم ٦٤ النمل وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ٢٤ سبأ.

ففـــى هذه الآيات الثلاث سؤال عن الرازق هل هو غير الله من أهل السماء والأرض أو هو الله. والإجابة تضمنتها الآيات الثلاث بقوله تعالى: "فسيقولون الله" فـــى آية يونس. وبقوله: "أءله مع الله" فى سورة النمل. وبقوله: "قل الله" فى سورة سبأ. ثم نقرأ فى سورة فاطر الآية رقم ٣ وهو قوله: "هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون".

فــصريح هذه الآيات وظاهرها الذى لا يعتريه خفاء أن السؤال توبيخى عن الرازق ألا وهو الله وقد ذكر مع هذا السؤال جهة الرزق الذى خصصها الله وجعلها مــصدره وهـــى السماء والأرض ولذا قال الزمخشرى فى آية يونس: "أى يرزقكم

منها جميعا لم يقتصر يرزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته"[١].

وقال ابن عطية: "هذا توقيف وتوبيخ واحتجاج لا محيد عن التزامه و (من السماء) بالمطر[٢] ومن (الأرض) يريد بالإنبات ونحو ذلك"[٣].

وقال أبو حيان: "الرزق من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات فـ (من) لابتداء الغاية"[٤].

والذى نراه أن (من) بمعنى (بعض) والمراد بالسماء هنا السحاب لأنها حاملة الماء ومسكنه ولصدره كما حققنا ذلك. وهى فى محل نصب على الحال وصاحب الحال الرزق المفهوم من (يرزقكم) أى حالة كون الرزق بعض السحاب وهو المطر وبعضه الأرض وهو النبات والشجر. و (السموات) فى سورة سبأ بمعنى السحب كما حققنا ذلك سابقاً.

فصاحب الحال يدركه العقل من الفعل كما فى قوله تعالى: ﴿ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾ ٨ المائدة أى العدل. ولذلك نظائر كثيرة فى اللغة قرآنا وغير قرآن.

فعلى هذا الوجه وهو أن يكون صاحب الحال معقولا لا ملفوظا تخلو الآيات من ملاحظة مضاف من قبل (السماء) و (الأرض). إذ السؤال عن الرازق ومحل الرزق.

وقد يكون السؤال عن الرازق ومكانه وعلى هذا يكون هناك مقدّر يدركه العقل أى من أهل السماء أو من أهل الأرض. وبهذا تكون (من) بعضية لا محالة

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٧٠: ٢٧١.

(٢) فى المطبوعة بالمطهر. والصواب ما ذكرناه.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ١١٧.

(٤) البحر المحيط ٥/ ١٥٣ وانظر إرشاد العقل السليم ٥/ ٤٣٨.

وهى فى محل نصب حال إما من (من) وإما من الضمير فى (يرزقكم) وقد عرفنا أن الراجح إن لم يكن الصواب هو الأول. أى من يرزقكم حالة كونه بعض أهل السماء أو بعض أهل الأرض. ثم يأتى الجواب بقوله (قل الله) أى ليس بعض أهل هذه ولا تلك بل هو الله الذى قال عن نفسه: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ ٣ الأنعام.

و إلى هذا الوجه أشار أبو حيان بقوله: "ومن ذهب إلى أن التقدير: من أهل السماء والأرض فتكون (من) للتبعيض أو البيان"[1].

والذى نعرفه عن أبى حيان أنه ينكر معنى (البيان) لما علمناه من رده إياه وإنكاره على من قال به. ولعل القارئ قد لحظه معنا. وهذا ما يؤيد رأينا لأن جعل (من) بيانية يقتضى أن تكون زائدة. وعليه لم يبق لها إلا معنى (بعض). وهى حال كما وضحناه آنفا.

ثانيا: آيـــات (مـــا)

وهى فى السور الآتية:

البقرة اثنتا عشرة مرة فى الآيات الآتية: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ١٤٥، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَـٰبِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴾ ١٥٩، ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

(١) البحر المحيط ٥/ ١٥٣.

وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ١٦٤. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ١٧٤. ﴿ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ﴾ ١٩٦. ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ﴾ ٢١٣. ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ ٢٣١. ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ ٢٣٥. ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ﴾ ٢٤٠ ﴿ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ ﴾ ٢٧٨.

ففي هذه الآيات وردت (مِنْ) بمعنى (بعض) وهي حال إما من (ما) وإما ضمير عائد عليها سواء أكان مضمراً كما في الآية الأولى. والخامسة ثم الأخيرة أم كان مذكوراً كما في الآية السادسة والثامنة. أم كان محذوفا كما في سائر الآيات.

ففي الآية الأولى (من بعد ما جاءك مِنَ العلم) يكون (من العلم) حالا إما من (ما) ذاتها وهذا هو الراجح كما وضحنا في آيات (من) وإما من الضمير في (جاء) العائد على (ما). وهذا ضعيف لأننا قد علمنا أنه يقدر (هو) ولا عموم فيه على

عكس (ما) ففيها عموم يليق به قولنا: حالة كونه بعض العلم. وقد وضح الرازى هذا البعض قائلاً: "لم يرد بذلك أن نفس العلم جاءه بل المراد الدلائل والآيات والمعجزات لأن ذلك من طرق العلم. فيكون ذلك من إطلاق اسم الأثر على المؤثر"(١).

وكذا الحال فى قوله: (فما استيسر من الهَدْى) وقوله: (وذروا ما بقى من الربا) أى حالة كونه بعض الهَدْى. وحالة كونه بعض الربا.

ولما قوله (ما أنزلنا من البينات) وقوله (وما أنزل الله من السماء من ماء) وقوله (ما أنزل الله من الكتاب) وقوله (وما أنزل عليكم من الكتاب) وقوله (فيما فعلن فى أنفسهن). فـ (من) حال من (ما) ويجوز أن يكون حالا من الضمير المحذوف إذ التقدير: ما أنزلناه. وما أنزل الله. وما أنزله عليكم. فيما فعلن فى أنفسهن.

يقول الطبرى: "وفيما أنزل الله من السماء من ماء"(٢) فالمراد بالسماء هنا السحاب كما حققنا ذلك أى حالة كونه بعض السحاب. ولسنا فى حاجة إلى تقدير متعلق كما قال السمين ونصه: "ويجوز أن تتعلق (من) الأولى بمحذوف على أنها حال إما من الموصول نفسه وهو (ما) وإما من ضميره المنصوب بـ (أنزل) أى وما أنزله الله حال كونه كائنا من السماء"(٣).

ولست أدرى أى فائدة فى (كائنا) التى ذكرها السمين؟ إن المعنى فى أشد الاستغناء عنها. ولعل الذى حمله على هذا أنه يرى أن (من) حرف لا اسم. وقد علمنا ما فيه.

---

(١) من مفاتيح الغيب ٢/ ٢٦.

(٢) جامع البيان ٢/ ٢٧.

(٣) حاشية الجمل ١/ ١٥٦.

وأما (من ماء) فهو بيان لـــ (من السماء) وبذلك يثبت أن الذى أنزل الله حالة كونه بعض السحاب إنما هو بعض ماء ذلك السحاب لا شئ آخر.

لأننا قد علمنا أن الذى ينزل من السماء يصحبه أحيانا ما يؤذى ويضر لا ما يفـــيد وينفع وذلك من قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ ١٩ البقرة.

ومـــع كـــونه بـــيانا يعرب حالا أيضا إذ الحال فيها البيان فى أعلى صُوَرِهِ وأوضح أساليبه.

وهـــذا مـــا أرجحه فى هذه الآية وما يناظرها لأنه يصون النص القرآنى من دعوى التقدير بدون داع إليه.

ومـــن علمائنا من يجنح إلى ذلك التقدير وحسبنا قول أبى حيان: "من السماء: أى مـــن جهة السماء. (من) الأولى لابتداء الغاية تتعلق بأنزل. وفى (أنزل) ضمير نـــصب عائد على (ما) أى والذى أنزل الله من السماء. و (من) الثانية مع ما بعدها بدل من قوله (من السماء) بدل اشتمال فهو على نية تكرار العامل.

أو لبيان الجنس عند من ثبت لها هذا المعنى أو للتبعيض. وتتعلق بـــ (أنزل) ولا يقال: كيف تتعلق بـــ (أنزل) (من) الأولى والثانية لأن معنييهما مختلفان"[1].

فالذى يتأمل هذا النص يدرك منه ما يأتى:

أ) أن أبـــا حيان قد أبى إلا جعل (مِنْ) فى الموضعين بمعنيين ففى الأول تكون حـــرف ابـــتداء (من جهـــة السماء). ولست أدرى ما معنى ذلك؟ أن معنى مـــادة (س م و) هـــو الارتفاع. فهل يخفى هذا المعنى على الذى ينظر إلى المطـــر منهمرا؟ كلا إنما الآية تدل على أن ذلك السحاب الذى لا ينزل مطر

---

(١) البحر المحيط ١/ ٤٦٥. وانظر حاشية الجمل ١/ ١٥٦.

بدون وجوده هو الذى يحمل ذلك الماء بل هو هو. فالذى يصبه الله صبا إنما هـو بعضه. ومن ثم لزم كون (من) بمعنى (بعض). وكذا الثانية لما بينا من أن السحاب الذى عبر الله عنه بالسماء لما علمنا قد يحمل مع الماء شيئا آخر لا يوجد إلا معه. كما فى آية البقرة التى ذكرناها قريبا.

ب) وبهذا يكون المعنى المراد بالآية متفقا مع نصها ونسقها وفضلا عن ذلك يكون مستغنيا عن تقدير ما يكدر صفوه لفظا ومعنى.

ج) على الرغم من جعل أبى حيان (من) الثانية للتبعيض يحتم أنها متعلقة بـ (أنزل) وما ذلك إلا لأنه يصر على أنها حرف لا اسم. وقد عرفنا ما فى ذلك.

د) يجعل أبو حيان البدل على نية تكرار العامل. ومقتضى هذا أن يكون أصل النص (أنزل من السماء أنزل من ماء) فهل يليق هذا؟

هـ) إن جعل (من ماء) بدلا من (من السماء) يوقعنا فى خلاف نحوى لا طائل تحته ألا وهو: أن يكون البدل مشتملا على ضمير يعود على المبدل منه أو لا يكون. إذ (من الماء) ليس فيه ضمير يعود على (من السماء) لأنهما معا على رأى أبى حيان من قبيل الظرف اللغو أى الذى لا يحتاج إلى تقدير متعلَّق كما فى قولنا: صليت فى المسجد. وهذا النوع لا يتحمل ضميرا. فكيف نفعل بالآية عند من يرى وجوب تحمل البدل ضميرا لمبدل منه؟؟

لعل مثل هذه الآية هى السبب وراء ما نقله الصبان عن ابن مالك فى شرح الكافية وهو: "اشتراط أكثر النحويين مصاحبة بدل البعض والاشتمال لضمير عائد على المبدل منه. والصحيح عدم اشتراطه لكن وجوده أكثر"(١).

ومثل هذه الآية فى حذف العائد قوله تعالى: "فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن من معروف" أى فيما فعلنه حالة كونه بعض معروف(٢).

---

(١) حاشية الصبان ٣/ ١٢٧.

(٢) انظر البحر ٢/ ٢٤٦.

مقارنـــــة:

هــذه الآية رقم ٢٤٠ من البقرة وهى فى حق المتوفى عنها زوجها ونصها:

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

وهناك آية أخرى قبل هذه الآية وهى رقم ٢٣٤ ونصها: "والذين يتوفون منكم ويــذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير".

ولنا مع هاتين الآيتين وقفة لطيفة خفيفة تتضمن ما يلى:

أ) أن المــشهور لدى علماء الدين أن هذه الآية وهى رقم ٢٣٤ ناسخه لتلك الآية وهى رقم ٢٤٠ أى أن السابقة ناسخة للاحقة[١]. ولكننى قد ارتضيت لنفسى – والله يعفو عنى إن كنت مخطئاً فى ذلك – أن القول بالنسخ فى القرآن يحتاج إلى تأمل عميق إن لم أقل يحتاج إلى وحى من الله إذ لا يرقى فكر إلى إدراك المقصود الكامل بكل آية من آياته. وكان إمامى فى هذا المنهج أستاذنا فضيلة الدكــتور محمــد عبد الله دراز حيث قال: "للمفسرين فى هذه الآية يعنى رقم ٢٤٠ قــولان مشهوران أحدهما: أن وصية المتوفىَّ للزوجة وهو يجاهد فى ســبيل الله بأن يكون متاعها إلى الحول غير إخراج مندوبة لا واجبة. وعلى هذا فلهذه الزوجة أن تمتع مثل المتوفى عنها زوجها فى غير قتال أى أربعة أشهر وعشرا. وأن يتمتع حولا كاملا. فلا نسخ على هذا القول.

---

(١) انظر البحر المحيط ٢/ ٢٤٦.

القول الثاني: أن الوصية كانت واجبة في صدر الإسلام ثم نسخت بالآية رقم ٢٣٤ التي توجب تربص المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا لا أكثر.

قـال: "وواضح أن كلا القولين مبنى على أن آية الحول يسرى حكمها على الأزواج عامـة.. ولكن البيان الحكيم أوحى إلينا هذا المعنى الجديد وهو أن تربص الحول الكامل كان خصوصية فضلت بها زوجات المجاهدين على زوجات القاعدين والله أعلم"(١).

ب) لاحظنا أن الآية رقم ٢٤٠ نصها: (فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف) أما الآية رقم ٢٣٤ فنصها: "فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف".

فمـا سر التعبير بقوله (بالمعروف) والتعبير بقوله (من معروف)؟ يجيب عن ذلك أبو عبد الله الخطيب الإسكافي قائلا: "إن (المعروف) في قوله (بالمعروف) أمر الله. أي فلا جناح عليكم في أن يفعلن في أنفسهن بأمر الله. وهو: ما أباحه لهن من التـزويج بعد انقضاء العدة. فالمعرف ههنا أمر الله المشهور. وأما (من معروف) فالمـراد بـه فعل من أفعالهن أي فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من جملة الأفعال التي لهن أن يفعلن أو تزويج أو قعود ما دام يعرف الدين جوازه وهو بعض مـا لهن أن يفعلنه. ولهذا المعنى خص بلفظة (من) ونكر. أما الأول فمعرَّف اللفظ وخص بالباء وهي للإلصاق"(٢).

وهـذا هو المنهج القويم المتين في فهم نصوص القرآن الحكيم المبين. فتغيير اللفظ يتبعه - لا محالة - تغيير المعنى.

وهناك آية يرى السمين أن (من) فيها تحتمل أن تكون بمعنى (في) وهي قوله تعالـى: " يكتمون ما أنزل الله من الكتاب" فقد جوز أن تكون (من) حالا من العائد على الموصول. أو من الموصول نفسه. وأن تكون بمعنى (في) (٣).

---

(١) النبأ العظيم ص ٢٣٩ وهامشها.

(٢) درة التنزيل ص ٤٦، ٤٧. وانظر أسرار التكرار في القرآن ص ٤٣: ٤٥.

(٣) انظر حاشية الجمل ١/ ١٦٦.

فعلـــى الأول يكون المراد بـــ (الكتاب) اللوح المحفوظ والمنزل وهو القرآن بعضه. وأما على الثانى فيكون المراد بالكتاب القرآن أى أن الذى أنزله الله مذكور فى الكتاب الذى هو القرآن.

ومع أننا لا نمانع من ذلك نرى أن هذا المقام ليس مقام (فى) إذ لو كان كذلك لذكـــرت هـــنا كمـــا ذكرت فى قـــوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ . فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ ٢١: ٢٢ البروج.

فلكل مقال مقام. ولكل كلمة فى الأسلوب مكان تكون فيه ذات مكانة.

ويبقـــى بعد ذلك آيتان ذكر فيهما الضمير العائد على (ما) وهما قوله تعالى: "فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه" ثم قوله: "ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء".

فالضمير من (فيه) و (به) عائد على (ما) الموصولة. و (من) بمعنى (بعض) فـــى محل نصب حال أى لما اختلفوا فيه حالة كونه بعض الحق. وفيما عرضتم به حالة كونه بعض خطبة النساء.

وبـــذلك يكون نسق الآيتين على ما ورد عليه فى القرآن دون تعديل لمواضع كلماتـــه. ولكن علماءنا – على عادتهم -- أبوا إلا أن يعملوا عقولهم فى نسق الآية الأولـــى فقد أجاز الفراء أن يكون فى هذه الآية قلب فأصل اللام فى موضع (من) و(من) فى موضعها أى: فهدى الله الذين آمنوا للحق مما اختلفوا فيه. قال: وجاز أن تكـــون اللام فى الاختلاف و (من) فى الحق – يعنى فى النسق القرآنى – كما قال تعالـــى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ ﴾ ١٧١ البقرة. والمعنى – والله أعلم – كمثل المنعوق به لأنه وصفهم فقال:

صم بكم عمى. كمثل البهائم. وقال الشاعر النابغة الجعدى:

كانت فريضة ما تقول كما ∴ كان الزناء فريضة الرجم

وإنما الرجم فريضة الزناء.

وأنشدني بعضهم:

إن سراجا لكريم مفخره ∴ تحلى به العين إذا ما تجهره

والعين لا تحلى إنما يحلى بها سراج لأنك تقول: حليت بعيني ولا تقول: حليت عيني بك إلا في الشعر"(١).

ففي الآية على هذا قلب مكاني في موضع الكلمات وهذا نظير ما يحدث من قلب مكاني في أحرف الكلمة نحو: حادي وعشرون إذ أصله: واحد وعشرون نقلت الواو إلى ما بعد الدال فصارت: حادو تطرفت الواو إثر كسر فأبدلت ياء فصارت حادي.

وقال ابن عطية: "وقال الفراء في الكلام قلب واختاره الطبري قال: وتقديره فهدى الله الذين آمنوا للحق مما اختلفوا فيه ودعاه إلى هذا التقدير أن يحتمل اللفظ أنهم اختلفوا في الحق فهدى الله المؤمنين لبعض ما اختلفوا فيه وعساه غير الحق في نفسه. نحا إلى هذا الطبري في حكايته عن الفراء"(٢).

ولا يسعنا في هذا المقام إلا مخالفة الفراء ومن نهج نهجه وسار على دربه على الرغم من أن بعض الباحثين المعاصرين في دراسته عن الفراء زعم أن اعتبار القلب في الآية مرونة ووصف من منع القلب بالتزمت(٣).

والحق أن الفراء هنا قد وقع فيما كان لا ينبغي له الوقوع فيه إذ قياس وقوع القلب في كلمات القرآن على وقوعه في كلمات الشعر فاسد فمن البدهي أن الشعر

---

(١) معاني القرآن ١/ ١٣١: ١٣٢ وانظر ص ٩٩.

(٢) المحرر الوجيز ١/ ٢٨٧. وانظر الجامع لأحكام القرآن ص ٨٤١.

(٣) انظر الفراء ومذهبه في اللغة والنحو ص ٤٦٤.

موطن الضرورة فكيف يستبيح عاقل لنفسه قياس القرآن عليه. والقرآن ليس موطنا للضرورة.

ولــذا وجــدنا ابن عطية يعقب على ما نقله عن الفراء والطبرى قائلا: "قال القاضـــى أبو محمد : وادعاء القلب على لفظ كتاب الله دون ضرورة تدفع إلى ذلك عجز وسوء نظر. وذلك أن الكلام يتخرج على وجه ورصفه.

لأن قوله (فهدى) يقتضى أنهم أصابوا الحق وتم المعنى فى قوله (فيه) وتبين بقوله (من الحق) جنس ما وقع الخلاف فيه"[1].

وقال الآمدى: "إن القلب إنما جاء فى كلام العرب على السهو. والمتأخر وإنما يحتذى على أمثلتهم ويقتدى بهم. وليس ينبغى له أن يتبعهم فيما سهوا فيه.

فإن قيل: فقد جاء القلب فى القرآن ولا يجوز أن يكون ذلك على سبيل السهو والضرورة لأن كلام الله عز وجل يتعالى عن ذلك ثم أتى بأمثلة له قيل فيها بالقلب. مــنها ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ ﴾ ٧٦ القــصص. وإنمـــا العصبة تنوء بالمفاتيح أى تنهض بثقلها.. ولهذا أشباه كثيرة فى القرآن....

قيل: هذا ليس بقلب وإنما هو صحيح مستقيم. إنما أراد الله تعالى اسمه: ما إن مفاتحــه لتــنوء بالعصبة أى تميلها من ثقلها. ذكر ذلك الفراء وغيره وقالوا: إنما المعنى لتنئ العصبة"[2].

وهــنا تلوح لنا بارقة تجعلنا نمسك على الفراء تناقضا فى منهجه – إزاء هذه المــسألة – وهى القلب فى القرآن. وذلك أنه منع دعوى القلب فى آية القصص مع أنه قد ادعاه فى آية البقرة كما سبق آنفا. ونصه فى آية القصص: "نوؤها بالعصبة

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ٢٨٧.

(٢) الموازنة ص ١٧٧، ص ١٧٨. وانظر المغنى بحاشية الأمير ٢/ ٢٠٠، ٢٠١.

أن تثقلهم والعصبة ها هنا أربعون رجلا. ومفاتحه: خزائنه والمعنى: ما إن مفاتحه لتنبئ العصبة أى تميلهم من ثقلها فإذا أدخلت الباء قلت: تنوء بهم وتنئ بهم ... كما فى ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ ﴾ ٢٣ مريم. معناه: فجاء بها المخاض.

وقد قال رجل من أهل العربية: إن المعنى: ما إن العصبة لتنوء بمفاتحه فحول الفعل إلى المفاتح كما قال الشاعر:

إن سراجا لكريم مفخرة ∴ تحلى به العين إذا ما تجهره

وهو الذى يحلى بالعين.

فإن كان سمع بهذا أثر فهو وجه وإلا فإن الرجل جهل المعنى"[1].

وهنا نجد الحق يأبى إلا أن يسطع برهانه فى نفس الفراء فيجرى على لسانه وقلمه. والحق أحق أن يتبع.

وتأكيدا لرفض دعوى القلب فى القرآن نذكر قول ابن قتيبة "وهذا مالا يجوز لأحد أن يحكم به على كتاب الله عز وجل لو لم يجد له مذهبا لأن الشعراء تقلب اللفظ وترسل الكلام على الغلط أو على طريق الضرورة للقافية أو لاستقامة وزن البيت والله تعالى لا يغلط ولا يضطر"[2].

وبهذا يتضح تنزيه الآية عن تلك الدعوى الزائفة ويكون الاختلاف واقعا فى الحق بمعنى: فى بعض وجوهه. وهذا ما صرح به الزمخشرى حيث قال: "من الحق: بيان لما اختلفوا فيه أى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه من اختلف"[3].

---

(١) معانى القرآن ٢/ ٣١٠.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ١٥٤.

(٣) الكشاف ١/ ١٩٤.

فـــ (من) بمعنى (بعض) كما قررنا ذلك فى صدر دراسة هذه الآية. بل إن هــذا المعنـــى ثابت لها حتى على زعم أن فى الآية قلبا. وهى حال من (ما) وهو الراجح. ويجوز أن يكون حـــالا من الضمير فى (فيه)[1] ومن العجيب أن يـــرجح أبـــو حـــيان الأول مـــع تقديـــره متعلقا لـــ (من) ونص عبارته: "من الحق: تبيين المخـــتلف فـــيه و (مـــن) تتعلق بمحذوف لأنها فى موضع الحال من (ما) فتكون للتبعيض"[2].

ولـــست أدرى ما وجه الحاجة إلى ذلك التكدير الذى زعمه أبو حيان مادامت (من) اسما بمعنى بعض.

ويبقـــى مـــن آيات سورة البقرة قوله تعالى: "وذروا ما بقى من الربا" ويرى بعـــض علمائنا أن (مِنْ) متعلق بـــ (بقى) كقولهم: بقيت منه بقية. والذى يظهر أنه متعلق بمحذوف على أنه حال من فاعل (بقى) أى الذى بقى حال كونه بعض الربا فهى تبعيضية"[3].

ولا يخفـــى مـــا فى هذا من تناقض إذ كيف تكون (من) بمعنى (بعض) ولا تكون اسما؟ فإذا كانت اسما فلا تحتاج إلى متعلق مذكورا أو محذوفا. ومن العجيب أن تقدير المعنى فى هذا الكلام تقدير واضح جميل لا يبدو عليه نقص ولا خلل فهو غاية جميلة لوسيلة دميمة.

آل عمران ثمانى مـــرات فى الآيات الآتية: ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ ٧

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ

---

(١) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٥١.

(٢) البحر المحيط ٢/ ٣٨.

(٣) انظر حاشية الجمل ١/ ٢٧٣ وروح المعانى ١/ ٤٩٩.

لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ ٣٠ ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ ٥٠ ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ ٦١ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ ﴾ ٨١ ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ ١٧٠ ﴿ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ ١٨٠.

ففي الآية الأولى (منه) فى محل نصب لأنه حال أى ما تشابه حالة كونه بعض الكتاب. وصاحب الحال هو (ما) على الراجح. ويجوز أن يكون المضمر فى (تشابه). وهو مرفوع.

وتقدير الآية الثانية: يوم تجد كل نفس ما عملته حالة كونه بعض خير محضرا.

وصاحب الحال (ما) وقيل الضمير المحذوف بعد (عملت) وهو فى محل نصب و (محضرا) مفعول ثان للفعل (تجد) و (ما) هو المفعول الأول.

وكذا تقدير قوله (وما عملته من سوء ...) أى حالة كونه بعض سوء.

ولعلك تدرك فى هاتين الفقرتين قيمة (من) التى بمعنى (بعض) لأنها تفيد معنى استغراق الحضور لكل الخير. وكذا كل السوء.

وفى الثالثة نجد صلة (ما) الظرف (بين يدى) وهى على لسان المسيح عيسى بن مريم. وفى الظرف ضمير مستكن. و (من التوراة) حال أى حالة كونه بعض التوراة. وصاحب الحال (ما) وربما يقال هو ذاك الضمير المستكن.

أما الآية الرابعة وهى آية الميثاق ففيها عدة قراءات تتفرع عنها عدة معان وعدة توجيهات.

أ) القــراءة الأولــى: بفــتح لام (لمــا) وتخفيف الميم وهى قراءة عامة الحجاز والعراق.. و (آتيتكم) على الإفراد وقرئت (آتيناكم) على الجمع[١].

و (مــا) علــى هــذه القراءة إما شرطية فتكون فى محل نصب بفعل الشرط مفعولا أول. والمفعول الثانى علامة الإضمار فى (آتيتكم) أو (أتيناكم). و (من آية) حال أى حالة كونه بعض آية كما فى قوله تعالى: "ما ننسخ من آية"[٢].

وقوله: لتؤمنن به سد مسد جوابى القسم والشرط[٣].

وإما موصولة أى للذى آتيتكموه لتؤمنن به[٤].

فهى مبتدأ وفى الخبر وجهان أحدهما (من كتاب وحكمه) والثانى (لتؤمنن به) والهاء عائدة على المبتدأ[٥].

فـــ (من) إذا كانت خبرا فهى اسم بمعنى (بعض) وقد عرفنا أنها تقع خبراً كثيرا فى القرآن الكريم وأن المبتدأ قبلها يكون غير منسوخ أو منسوخا.

وقد ذكر الطبرى أن (من) زائدة على هذا الوجه عند بعض نحويى البصرة. وخطأه بعض نحويى الكوفة لأن (مِنْ) التى تدخل وتخرج – يعنى: الزائدة – لا تقع موقع الأسماء ولا تقع فى الخبر أيضا. إنما تقع فى الجحد والاستفهام والجزاء[٦].

وهذا هو الصواب فقد عرفنا أن الزيادة لا تليق بالقرآن ولا غيره من أساليب اللغة العربية.

---

(١) انظر جامع البيان ٣/ ٣١٥.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٨٠.

(٣) الكشاف ١/ ٢٩٠.

(٤) الكشاف ١/ ٢٩٠.

(٥) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٨٠.

(٦) جامع البيان ٣/ ٢١٦.

وإذا جعلنا الخبر (لتؤمنن به) كانت (من كتاب) فى محل نصب حالا أى حالة كونه بعض كتاب وحكمة.

وأرى أن الراجح من وجهى (ما) على هذه القراءة هو أن تكون موصولة لا شرطية وهى مبتدأ وجملة (لتؤمنن) هى الخبر و (من) حال.

ب) القراءة الثانية: بكسر اللام من (لما) وهى قراءة حمزة. ومعناها: لأجل إيتائى إيـــاكم بعــض الكــتاب والحكمة. على أن (ما) مصدرية. ويجوز أن تكون موصولة[١].

وقـــيل: نكرة موصوفة بمعنى (شئ) وعلى هذين الوجهين يكون العائد على (مـــا) محـــذوفا و (من كتاب) حال إما من (ما) وإما من العائد المحذوف أى حالة كونه بعض كتاب وحكمه[٢]. والراجح الأول.

ج) القـــراءة الثالـــثة: لمَّا آتيتكم بتشديد (ما) وهى قراءة سعيد بن جبير أى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الإيمان به ونصرته.

وقـــيل: أصله (لمن ما) ماستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهى الميمان والنون المنقلبة ميما بإدغامها فى الميم. فحذفوا إحداها فصارت (لما) ومعناها: لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة فى المعنى[٣].

وعلـــى الوجه الأول وهو تشديد (لما) تكون (من) مفعولا ثانيا كما هو ظاهر عبارة الزمخشرى. ويرى أبو البقاء أنها صفة للمفعول المحذوف[٤].

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٢٩٠.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٨٠.

(٣) الكشاف ١/ ٢٩٠.

(٤) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٨٠.

وأرى أنـــه لا داعـــى إلـــى ذلك ما دامت (من) تعليلية كما هو ظاهر عبارة الزمخـــشرى وقيل إنها زائدة قال الألوسى: "من: على الوجه الثانى فى قراءة سعيد بن جبير إما مزيدة فى الإيجاب على رأى الأخفش. وإما تعليلية على ما اختاره ابن جنى. قيل: وهو الأصح لاتضاح المعنى عليه وموافقته لقراءة التخفيف"[١].

ولم يرق هذا نظر أبى حيان فقد قال: "وهذا التوجيه الذى ذكره ابن جنى فى غايـــة الـــبعد وينزه كلام العرب أن يأتى فيه مثله فكيف كلام الله. وكان ابن جنى كثيرا لتمحل فى كلام العرب".

فـــإذا صح ذلك كان القول بزيادتها والقول بأنها تعليلية مردودين فلم يبق إلا كونها أى (لما) بمعنى (حين) ولا داعى لهذا التمحل المبنى على الظن والتخمين.

وأمـــا (مِـــنْ) فى (من كتاب وحكمة) فهى بمعنى (بعض) كمـــا هى علـــى قراءة حمزة.

والراجح أنها مفعول ثان لا صفة لمفعول محذوف.

وخلاصة ذلك كله أن (من كتاب) إما خبر وإما حال وإما مفعول ثان.

وعلى كل فهى اسم بمعنى (بعض). وقيل إنها زائدة وقد علمنا أنه مردود.

ويبقـــى مـــن سورة آل عمران قوله تعالى: "فرحين بما آتاهم الله من فضله" وقوله: "ينحلون بما آتاهم الله من فضله"[٢].

والظاهـــر أن المفعـــول الثانـــى يدركه العقل وهو العائد على (ما) أى بالذى آتاهمـــوه الله. و (مـــن فضله) حال من (ما) على الراجح الذى وضحناه وقيل من العائـــد المحذوف الذى يدركه العقل. وقد عبر أبو البقاء عن هذا قائلا: "من فضله: حال من العائد المحذوف فى الظرف تقديره: بما آتاهموه كائنا من فضله"[٣].

---

(١) روح المعانى ١/ ٦٢٠.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٨٨.

(٣) انظر البحر المحيط ٣/ ١١٤ وحاشية الجمل ١/ ٤٠٣.

ولست أدرى ما المراد بالظرف هنا؟ ولكن الذى أدريه أن المحذوف إنما هو المفعول الثانى لـ (آتى) وهو العائد على (ما).

كما أننى لست أدرى معنى لـ (كائنا) الذى ذكره أبو البقاء وكذا غيره كما سيأتى ولعل ذلك نابع من اعتقادهم أن (من) تكون حرفا وهى بمعنى (بعض) وقد عرفنا ما فيه من سوء تقدير واعتلال فهم.

وهناك من جوز مع هذا الوجه وجهين آخرين حيث ذكر فى (من) ثلاثة أوجه

أحدها: أن معناها السببية أى بسبب فضله أى الذى آتاهم الله متسبب عن فضله.

الثانى: أنها لابتداء الغاية. وعلى هذين الوجهين تتعلق بـ (آتاهم).

الثالث: أنها للتبعيض أى بعض فضله فهى فى موضع الحال من الضمير العائد على الموصول أى بما آتاهموه الله كائنا من فضله.

وواضح أن الوجهين الأول والثانى ليسا من الدقة فى شئ لما حققناه وقررناه من أن الكلمة فى القرآن ما دام يمكن جعلها لمعنى من المعانى التى استعملت فيها فلا داعى لحملها على معنى غيرها من الكلمات. فلا داعى لجعل (من) هنا سببية إذ هو بعيد عن محيط هاتين الآيتين. إذ الواضح أن البشر يصيبهم بعض فضل الله لا كله أما جعلها سببية فليس فيه غناء إذ كل ما فى الوجود مخلوق لله بغير شريك ولا منازع.

كما أنه لا داعى لجعلها حرف ابتداء لأن مدخولها صالحا للتبعيض وهو واضح كل الوضوح فضلا عما يترتب على ذلك من افتقارها إلى متعلق والأصل فى الكلمات أن تكون متضامنة فى أداء المعنى بغير احتياج إلى شئ.

فلم يبق إلا كونها اسما بمعنى (بعض) وهى حال مع ملاحظة استغنائها عن (كائنا) الذى قرره بعض العلماء إذ لا احتياج إليه لأنه لا معنى له.

النساء في ست آيات هي قوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ ٣ ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ ٢٢ ﴿ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ ٣٤ ﴿ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ ٣٧ ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ ٥٤ ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ ٧٩ ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ ١٠٨.

ففي الآية الأولى يقول الزمخشري: "ما طاب: ما حل (لكم من النساء) لأن منهن ما حرم كالآتي في آية التحريم – يعني: حرمت عليكم أمهاتكم .. – وقيل (ما) – يريد لم يقل: من – ذهابا إلى الصفة ولأن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء. ومنه قوله تعالى: "أو ما ملكت أيمانكم"(١).

والزمخشري هنا يجري على المشهور من أن (ما) تستعمل لغير العقلاء وأما (من) فخاصة بالعقلاء حتى رأينا – فيما سبق من هذا البحث – أن بعضهم يجعل استعمال أحدهما في غير ما ذكروه يكون مجازا. والحق أن الكلمتين لا حرج في استعمالهما في المعنيين بمعنى أن (ما) تكون لما يراه هؤلاء العلماء عاقلا ولما يراه غير عاقل وكذا (من) غاية الأمر أن (ما) لكثرة الإبهام فيها عن (من) يكثر استعمالها في غير العاقل و (من) بالعكس.

و (من النساء) حال من (ما) على الراجح ويجوز أن يكون من فاعل (طاب) وهو مضمر. أي حالة كونه بعض النساء. ولعل السر في تقييد المنكوح هنا ببعض النساء إفادة أن غيرهن لا يجوز نكاحه كما كان ذلك في قوم لوط حيث قال لهم:

---

(١) الكشاف ١/ ٣٦٠.

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۔ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ ١٦٥: ١٦٦ الشعراء.

ومثل هذا يقال فى قوله تعالى: "ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء.

فـ (ما) فى الآيتين موصول يعنى بمعنى (الذى) ولكن أبا حيان لا يقف عند هـذا المعنى بل يرى أنها تكون مصدرية أو ظرفية. ثم يقول: "فإذا كانت موصولة فـ (من) لبيان الجنس للإيهام الذى فى (ما) على مذهب من يثبت لها هذا المعنى أو للتبعيض. وتتعلق بمحذوف أى كائنا من النساء ويكون فى موضع الحال.

وإذا كانـت (ما) مصدرية أو ظرفية فمفعول (فانكحوا) هو (من النساء) كما تقول: أكلت من الرغيف والتقدير: شيئا من الرغيف"[1]

وبالـتأمل فى هذا النص نجد أبا حيان يخرج عن منهجه حيث إنه ينكر معنى البـيان لـ (من) وقد علمنا أن هذا المعنى يقتضى أن تكون (من) زائدة فلا حاجة بالـنص إليه. ثم نجده يقدر لـ (من) متعلقا مع أنها للتبعيض وما هذا منه إلا تأكيد لأنها حرف ابتداء لا اسم وقد علمنا ما فى هذا من قصور. إذ ما معنى قوله (كائنا من النساء) أليس فى (حالة كونه بعض النساء) غنية عنه مع حفظ ماء وجه النص عن الاستجداء والافتقار إلى غيره؟!.

ثم أنه – على جعلها مفعولا – قياسا على: أكلت من الرغيف يقدر هذا حيث يقـول: أكلت شيئا من الرغيف. ولست أدرى ما الفرق بين (بعض الرغيف) وقوله (شـيئا من الرغيف) فى المعنى؟ إنه لا فرق مع فضل الأول وجماله حيث لا حشو فيه ولا لغو.

ومما يحضرنى هنا أن أبا حيان يجرى فى هذا المثال فى غبار ابن جنى لأنه يجعل (من) فى (أكلت من الرغيف) حرف ابتداء لا اسما بمعنى (بعض) كما علمنا

---

(١) البحر المحيط ٣/ ١٦٢.

ذلك. والذى يعنينى أن أبا حيان قد أخذ عليه أنه كان كثير التمحل فى كلام العرب. وذلك عند تأويله لقراءة سعيد بن جبير ﴿ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ﴾ ٨١ آل عمران.

فهو رأى أبو حيان يقع فيما وقع فيه ابن جنى.

ثم إنه جوز أن تكون (ما) مصدرية. وعليه يكون تأويلها: فانكحوا الطيب من النساء أى. الحلال.

وأرى أنه لا فرق بين هذا وجعلها موصولة إذ (الطيب) فيه معنى التى يطيب. أى يحل. فضلا عما فيه من غموض غير لائق.

وكذا يجوز أن تكون ظرفية وهذا المعنى أشد غموضا مما قبله.

وبهذا يخلو وجه المعنى لـ (ما) الموصولة أى اللاتى يكن حلالا حالة كونهن بعض النساء. فلا تقدير لأنه تكدير ولا حذف لأنه حيف.

وقد اقتصر أبو البقاء على هذا الوجه غير أنه جعل صاحب الحال هو الضمير فى طاب[1].

وفى قوله (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) يقول البيضاوى: أى التى نكح أباؤكم .. وقيل (ما) مصدرية على إرادة المفعول من المصدر (من النساء) بيان ما نكح على الوجهين" قال الشهاب: "المراد بالوجهين: الموصولية والمصدرية وظاهرة: أن (من) بيانية قيل أو تبعيضية والبيان معنوى. ونكته البيان مع عدم الاحتياج إليه إذ المنكوحات لا يكن إلا نساء. قيل: التعميم"[2].

وقد عرفنا ما فى معنى المصدرية من غموض ولكن البيضاوى قد رفع هذا الغموض بقوله (على إرادة المفعول) أى المنكوحات. وجعل (من) بيانية بالمعنى

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٩٣.

(٢) البيضاوى بحاشية الشهاب الخفاجى ٣/ ١١٩.

الـنحوى يترتب عليه زيادتها ومن ثم كان قول الشهاب (والبيان معنوى) توضيحا لمعنى: التبعيض. فقد عرفنا أن التبعيض فيه معنى البيان.

وعليه فـ (من النساء) حال أى حالة كون المنكوحة بعض النساء.

ويرى الطبرى: أن (ما نكح آباؤكم) بمعنى المصدر و (من النساء) من صلة (ولا تنكحوا) أى ولا تنكحوا من النساء نكاح آبائكم إلا ما قد سلف منكم فمضى فى الجاهلية. وهذا أولى الأقوال بالصواب.[١]

وعلى هذا تكـون (من النساء) مفعول (ولا تنكحوا) وهى بمعنى (بعض) أى لا تنكحوا بعض النساء نكاح آبائكم.

والـذى نـراه أن فى هذا التقدير تهيئة العامل للعمل فى معمول من بعده ثم قطعه عنه كما يقول علماء النحـو. لأن (مانكح) يصلح مفعولا لـ (تنكحوا) فكيف لا نجعله كذلك؟

وهـذا فضلا عما فى هذا التقدير: (ولا تنكحوا بعض النساء نكاح آبائكم) من غمـوض معنوى إذ ربما يشـير هـذا التعبير على أن (نكاح آبائهم) نـوع معين فما هو؟؟

فالجدير بالقبول الذى يحفظ للنص قدسيته أن (ما) هو المفعول. و (من النساء) حال من (ما). وجوز أبو البقاء أن يكون حالا من العائد عليها[٢].وقد عرفنا ما فيه.

وأمـا قـوله تعالى: "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم" أى بالذى أنفقوه حالة كونه بعض أموالهم.

وقوله: "ويكتمون ما آتاهم الله من فضله" أى ما آتاهموه الله حالة كونه بعض فضله".

---

(١) جامع البيان جـ ٤ ص ٢٠٥: ٢٠٦.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٩٣.

وقـــوله: "أم يحـــسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله" أى ما آتاهموه الله حالة كونه بعض فضله.

وأمـــا قوله (ما أصابك من حسنة ... وما أصابك من سيئة" فـــ (من حسنة) و(مـــن سيئة) حال فى محل نصب أى حالة كونه بعض حسنة أو بعض سيئة. وأما فـــ (من الله) و (من نفسك) فقد سبق ذكرها فى فصل (من) الواقعة خبر عن (هو) مقدَّرا لا ظاهرا لأن العقل يدركه أى فهو من حسنات الله. أو فهو من سيئات نفسك فالنفس أمَّارة بالسوء. أى بعضها.

وقوله: "إذ يبيتون ما لا يرضى من القول" أى ما لا يرضاه من القول. فالعائد على الموصول يدركه العقل ومن ثم استغنى عن ذكره لفظا. ولا يخفى على القارئ أن صـــاحب الحال هو (ما) على الراجح الواضح الصحيح الصريح. أما جعله ذاك المحذوف فلا يليق بجلال وكمال القرآن المجيد. وإن جوزه بعضهم كأبى البقاء.

سورة المائدة فى سبع آيات هى قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ۙ ﴾ ٤ وقوله: ﴿ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ ١٥.

وقـــــــوله: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ ٤٤.

وقـــــــوله: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ ٤٨ ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ

ٱلْحَقِّ﴾ ٤٨ وقـــوله: ﴿ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ ٨٣ وقوله: ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ٨٤.

ففى الآية الأولى: وما علمتموه حالة كونه بعض الجوارح. قال الزمخشرى: "وما علمـتم من الجوارح: عطف على (الطيبات) أى أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم من الجوارح فحذف المضاف".

وهذا هو الوجه الظاهر الواضح فى هذا النص. ولكن الزمخشرى ذكر وجها آخر حيث قال: "أو تجعل (ما) شرطية وجوابها (فكلوا) .."[1].

وعلـى هذا يكون الوقف على (الطيبات) ثم نستأنف قوله تعالى: "وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه".

وقد سبق أن (من) فى قوله (مما علمكم الله) بمعنى (مثل) أى مثل ما علمكم الله.

و أن (مـن) فـى (ممـا أمـسكن عليكم) بمعنى (بعض) مفعول بـ (كلوا) والجـوارح: الكواسـب مـن سباغ البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والصقر والبازى والشاهين. و (المكلِّب) مؤدِّب الجارح ومغريها بالصيد لصاحبها ورائضها لـذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لأن التأديب أكثر ما يكون فى الكلاب[2].

والأولى أن يكون الوقف على (مما علمكم الله). ثم يستأنف: "فكلوا مما أمسكن علـيكم .. إلـخ. فتكون (ما) فى (ما علمتم من الجوارح) موصولة والعائدة عليها

---

(١) الكشاف ١/ ٤٧١.

(٢) الكشاف ١/ ٤٧١.

محـــذوف. و (مـــن الجوارح) حال منها على الراجح. لا من ذاك العائد كما ذكرنا غير مرة.

وفـــى **الآيـــة الثانية** (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) تكون (مما كنـــتم) صـــفة لـــ (كثيرا) كما سيأتى. و (ما) موصولة والعائد عليها محذوف من (تخفون) أى تخفونه حالة كونه بعض الكتاب.

وفى الثالثة: "يحكم بها النبيون .... بما استحفظوا من كتاب الله".

قـــال الزمخـــشرى: "بمـــا سألهم أنبياؤهم حفظه من التوراة أى بسبب سؤال أنبيائهم إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل و (من) فى (من كتاب الله) للتبيين"[١].

ويعنـــى بالتبيين: التبيين المعنوى لا الذى ذكره بعض العلماء معنى لـــ (من) لمـــا عرفنا من أنه يستلزم كونها زائدة. فهى حال أى حالة كونه بعض كتاب الله. والبعضية تقتضى البيان كما وضحنا ذلك.

قال الألوسى: "المشهور أن (من كتاب الله) حال. ولكن توهم بعضهم أن (ما) بمعنـــى (أمر) و (من) لتبيين مفعول محذوف لـــ (استحفظوا) والتقدير: بسبب أمر استحفظوا به شيئا من كتاب الله. وهو ما لا ينبغى أن يخرج عليه كتاب الله.

وقـــيل الأولى: أن تجعل (ما) مصدرية ليستغنى عن تقدير العائد. وحينئذ لا يتأتى القول بأن (من) بيان لها"[٢].

وبالتأمل فى هذا النص يتبين لنا أن (من) على جعل (ما) بمعنى (أمر) مفعول به بدون تقدير شئ. أى بأمر استحفظوا به بعض كتاب الله.

وكذا على جعل (ما) مصدرية. أى باستحفاظهم بعض كتاب الله.

---

(١) الكشاف ١/ ٤٩٥.

(٢) روح المعانى ٢/ ٣١٢.

وأمــا على الوجه المشهور وهو أن (ما) موصولة وهو الراجح بل الصواب فــ (من) حال كما بيناه.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ مرتين فى الآية رقم ٤٦ وقوله: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ فى الآية رقم ٤٨ فــ (ما) موصولة وصلتها الظرف (بين يديه) و (من التوراة) و (من الكتاب) حال مــن (ما) أى حالة كونه بعض التوراة وبعض الكتاب. ومعلوم أن صدر هذه الآية: "وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب" والمراد بالكتاب الأول القــرآن. وبالكــتاب الثانــى ما أنزل قبله على النبيين من قبل محمد عليهم جميعا الــصلاة والــسلام. يقول الزمخشرى: "فإن قلت: أى فرق بين التعريفين فى قوله (وأنــزلنا إليك الكتاب) وقوله (لما بين يديه من الكتاب؟ قلت: الأول تعريف العهد لأنه عنى به القرآن.

والثانى تعريف الجنس لأنه عنى به جنس الكتب المنزلة.

ويجــوز أن يقــال: هــو للعهد لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق وإنما أريد نوع معلوم منه وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن"(١).

ومما ينبغى أن يكون حاضرا فى الذهن أن معنى: حالة كونه بعض التوراة أو حالــة كونه بعض ما أنزل على الرسل من قبل محمد صلى الله عليهم جميعا وسلم أنــه لــيس مصدقا لكل ما فيها كلاً. بل المراد أنه مصدق للجميع بطريق استغراق أبعاضــه. لأنــه إذا صدق بعضه لزم تصديقه بعضه الآخر وهكذا. وكأنه يصدقه جزءا جزءا وفى هذا من الدقة مالا يوجد بدون ذكر (مِنْ).

---

(١) الكشاف ١/ ٤٩٧.

وكذا فى قوله تعالى: "ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق" أى حالة كونه بعض الحق إذ كله حق فالمعنى أن كل بعض منه حق ونتيجة ذلك أن كلّه حق. فالحق صفة دقيقة عميقة حيث تشمله جزءا جزءا وكلمة كلمة وآية آية..

وهنا نرى العلامة الزمخشرى يسلك مسلكا لغويا غير مسلم ألا وهو مسلك التضمين حيث قال: "ضمن (ولا تتبع) معنى: ولا تتحرف فلذلك عدى بـ (عن) كأنه قيل: ولا تتحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم"(١).

أقول ما كان أغناه عن هذا المسلك الذى افترضه علماء اللغة جريا وراء ابن جنى ثم فرضوه على آيات من القرآن الحكيم. وقد تناولت تلك الآيات بالدراسة محققا أنها فى أشد الاستغناء عن زعم هذا التضمين لأنه تخمين وظن لا يبلغان مبلغ الحقيقة ولا يسطعان سطوع الحق.

فمن منا لا يفهم أن الذى يتبع أهواء الضالين المضلين مجاوز الحق؟

أليس هذا هو معنى مفردات النص فكلمة (عن) اسم معناه المجاوزة. كما حققنا ذلك فى الباب الأول غاية التحقيق. فمعنى الآية لا تتبع أهواءهم حالة كونك مجاوزا الذى جاءك حالة كونه بعض الحق. ولابد من استحضار ما ذكرناه آنفا من أن الذى جاءه كله حق. ولكن هذا التعبير فيه تفصيل لأجزائه ووصف كل جزء منه بأنه حق.

وأما قوله تعالى: ﴿ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ ٨٣ وقوله: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ٨٤.

---

(١) الكشاف ١/ ٤٩٧.

فإننا نرى (من) فى الأولى ثلاث مرات وإنما يعنينا هنا المرة الأخيرة فى (ما عـرفوا من الحق) أى الذى عرفوه حالة كونه بعض الحق. فالعائد على الموصول يدركـه العقل و (من الحق) حال من (ما). و (من) بمعنى (بعض) وقد عرفنا أنه يـستلزم التبيين ولعل ذلك ما قصده الزمخشرى بقوله: "من الحق: لتبيين الموصول الذى هو (ما عرفوا) وتحتمل معنى التبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم وبلغ منهم فكيف إذا عرفوه كله وقرأوا القرآن وأحاطوا بالسنة"[1].

فظاهـر هـذا أن الزمخشرى يفرق بين التبيين والتبعيض. فإذا كان يعنى ما قرره بعض النحاة قلنا له إن هذا يستلزم زيادة (من) ويترتب عليه تغيير المعنى إلى أن ما عرفوه هو الحق كله. ولو كان الأمر كذلك لما بلغ النص الدقة والإحكام حيث عبر بـ (من) المراد بها (بعض) مع اشتمال هذا المعنى على البيان لا بمعنى التبيين.

هذا: وربما يقال: إن (ما) مصدرية أى من معرفتهم بعض الحق. وعليه تكون (من) مفعولا به لا حالا.

وأما قوله (وما جاءنا من الحق) فمعناه: والذى جاءنا حالة كون بعض الحق.

وهذا واضح كل الوضوح ولكن علماءنا يأبون إلا ذكر أقوال بعضها لا يليق فلـست أدرى لم ذكروها؟ وحسبنا قول أبى البقاء: يجوز أن تكون (من الحق) حالا مـن ضمير الفاعل. وأن يكون (مِنْ) لابتداء الغاية أى وما جاءنا من عند الله. وأن تكون (ما) مبتدأ و (من الحق) الخبر والجملة حال"[2].

وعـزاء نفسى عن كل هذا أن علماءنا قد تنبه بعضهم لبعض وحرصوا على أن يـردوا علـى غيـر اللائـق. ومن ثَمّ وجدنا الألوسى يقول: "ولا يخفى ما فى الوجهين الأخيرين من البعد"[3].

---

(١) الكشاف ١/ ٥٢٢ وانظر البيضاوى بحاشية الشهاب ٣/ ٢٧٤.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٢٥ وانظر حاشية الجمل ١/ ٦٢٥.

(٣) روح المعانى ٢/ ٣٦٧.

الأنعـام فى آيتين هما قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ ١٣٦ وقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ ١٥١.

فـ (من) الأولى فى (مما ذرأ) مفعول أول لـ (جعل) و (نصيبا) مفعول ثان وأما (من الحرث) فحال من (ما) أى حالة كونه بعض الحرث والأنعام.

قـال الزمخـشرى: "كانـوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله. وأشياء منها لآلهتهم.

فإذا رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد فى نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة. وإذا زكـا مـا جعلوه للأصنام تركوه لها. واعتلوا بأن الله غنى. وإنما ذلك لحبهم آلهتهم وإيثارهم لها. وقوله (مما ذرأ) فيه أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكى لأنه هو الذى ذرأه وزكاه. ولا يرد إلى ما لا يقدر على ذرء وتزكية"(١).

وقـوله: (ولا تقـربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) أى الذى ظهر حالة كـونه بعضها وما بطن. ولعلك تدرك أن هنا شيئا لم يذكر لإدراك العقل إياه وهو (ومـا بطن منها) أى حالة كونه بعضها الآخر. وهذا نظير قوله تعالى فى السورة نفسها: ﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾ ١٣٠. قال الزمخشرى: "وما أعلنتم منه ومـا أسررتم. وقيل: ما علمتم وما نويتم. وقيل: ظاهره الزنا فى الحوانيت وباطنه الصديقة فى السر"(٢).

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٣.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٨.

الأعـــراف فى أربع آيات هى قوله: ﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ﴾ ٢٠ أى حالـــة كـــونه بعـــضهما وقـــوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ ٣٣. أى حالة كونه بعضها وما بطن كذلك.

وقـــوله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ ٤٣ أى حالة كونه بعض غـــل. وقـــوله بعد ذلك: "تجرى من تحتهم الأنهار ... إلى آخر الآية" يثبت أن هذا النـــزع فـــى الآخرة حتى لا تكون فى الجنة غل ولا خلافه من ذميم الصفات. قال الزمخـــشرى: "مـــن كان فى قلبه غل على أخيه فى الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهـــرت. ولـــم يكـــن بينهم إلا التواد والتعاطف. وعن علىٍّ رضى الله عنه: إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم"(١).

ونظيـــر هـــذه الآيـــة قـــوله تعالـــى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ . ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ . وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ . لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ ٤٥: ٤٨ الحجر.

وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ ١٨٥ أى ومـــا خلقـــه الله حالـــة كونه بعض شئ. وهذا كناية عن أصغر الأشياء يقول الالوسى: "من شئ: بيان لـــ (ما) وفى ذلك تنبيه على أن الدلالة على التوحـــيد غير مقصورة على السموات والأرض. بل كل ذرة من ذرات العالم دليل على توحيده وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد"(٢).

---

(١) الكشاف ٢/ ٨٢. وانظر ٢/ ٤٥٠.

(٢) روح المعانى ٢/ ١٧٤.

الأنفال ثلاث مرات في آيتين هما قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾ ٤١.

قال الزمخشري: ما: موصولة و (من شئ) بيانه"[١].

ولعلـك عرفت أن (من) بمعنى (بعض) تفيد البيان أي بيان الإبهام في (ما) فهـي حال أي حالة كونه بعض شئ حتى الخيط والمخيط. وجعلها أبو البقاء حالا من العائد المحذوف أي ما غنمتموه قليلا وكثيرا"[٢].

وقـــوله تعالـــى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾ ٦٠ قـــال الـسمين "من قوة" في محل نصب حال وفي صاحبها وجهان أحـدهما: أنه موصول. والثاني أنه العائد عليه إذ التقدير ما استطعتموه حال كونه بعض القوة"[٣].

ومـثله يقـال فـي (مـن رباط الخيل). أي حالة كونه بعض رباطها. قال الزمخشري: "والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله. ويجوز أن يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة.."[٤].

فالمراد: مربوط الخيل استعدادا للجهاد في سبيل الله.

يـونس فـي قـوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا ﴾ ٥٩ أي الـذي أنـزله الله لكم حالة كونه بعض رزقه. فجعلتم بعضه حرلما وبعضه حلالا.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٧٢.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٤.

(٣) انظر حاشية الجمل ٢/ ٣٠٠.

(٤) الكشاف ٢/ ١٨١.

قال الزمخشري: أي أنزل الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال هذا حرام"[١].

الرعد في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ ٣٧ أي حالة كونه بعض العلم.

الحجر في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ ٤٧ أي حالة كونه بعض غل.

النحل في ثلاث آيات هي قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ ٤٨ أي ما خلقه الله حالة كونه بعض شئ. وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ٤٩.

قال الزمخشري: "من دابة يجوز أن يكون بيانا لما في السموات وما في الأرض جميعا على أن في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الأناس في الأرض.

وأن يكون بيانا لما في الأرض وحده. ويراد بما في السموات الملائكة. وكرر ذكرهم على معنى: والملائكة خصوصا من بين الساجدين لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم.

ويجوز أن يراد بـ (ما في السموات) ملائكتهن. وبقوله: والملائكة: ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم .. والسجود: الانقياد"[٢].

والذي يلوح لنا من ظاهر هذه الآية أن المعنى هو: يسجد لله ما في السموات.

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٧٧.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٧٤.

وهــذا الــذى فى السموات لا نعلم حقيقته. كما يسجد له ما فى الأرض حالة كونه بعض ما يدب على الأرض. كما يسجد له الملائكة وهم لا يستكبرون. فيكون (مــن دابة) بيان لــ (ما فى الأرض) وحده. وقد عرفنا أنه يعرب حالا وإنما عبر بــ (ما) لأنها أكثر عموما من (من).

وهــذا المعنــى الجمع لإفادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الأخفش: هو كقولك ما أتانى من رجل مثله. وما أتانى من الرجال مثله"[١].

ومقتــضى هذا كله أن (من) استغراقية تشمل جميع أفراد مدخولها. وسيأتى أنهــا بمعنــى (بعض) غير أنها فى الآية تعرب حالا. وأما فى مثال الأخفش فهى فاعل أى ما أتانى أحد هذا الجنس مثل فلان.

وقوله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ ٥٣.

قال أبو البقاء: "ما: بمعنى الذى. والجار يعنى (بكم) صلته و (من نعمة) حال من الضمير فى الجار (فمن الله) الخبر.

وقيل (ما) شرطية وفعل الشرط محذوف أى ما يكن والفاء جواب الشرط"[٢].

وقــال ابــن هشام: "والأرجح أنها موصولة وأن الفاء داخلة على الخبر. لا شرطية والفاء داخلة على الجواب"[٣].

ومــن نــص أبى البقاء يتبين أنه يجعل صاحب الحال الضمير المستكن فى (بكم) وهو صلة (ما). وقد عرفنا أن الراجح أنه (ما) ذاتها لما فيها من عموم يحتاج إلى مجئ الحال منه لبيانه.

وإنما رجح ابن هشام هذا لأنه يجعل النص فى غنى عن تقدير شئ فيه. وإنما دخلت الفاء خبر الموصول لما بينه وبين الشرط فى عموم وإيهام كما هو مقرر فى

---

(١) إرشاد العقل السليم ٣/ ١٧٨. وانظر معانى القرآن للأخفش ص ٦٠٦.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٤٣: ٤٤.

(٣) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ٦.

علـم الـنحو. أى والذى يلابسكم أو يصاحبكم حالة كونه بعض نعمة فمن عند الله أتتكم وعمتكم.

وقـد سبق فيها قول الإمام الزمخشرى: "وأى شئ حل بكم أو اتصل بكم من نعمة فهو من الله"(١).

أى حالـة كـونه بعض نعمه. وقوله (فهو من الله) مبتدأ وخبره (من الله) أى بعض نعم الله.

الإسراء فى قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ ٣٩

فـ (من) فى (مما أوحى إليك) خبر أى ذلك بعض الذى أوحاه إلي ربك حالة كـونه بعـض الحكمة. فـ (من) الثانية حال من (ما). هذا ما هو المعنى الظاهر الواضـح ولكن علماءنا يفرعون الأوجه ويشققون الحديث فمثلا يقول السمين: "من الحكمة: يجوز فيه ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون حالا من عائد الموصول المحذوف تقديره: من الذى أوحاه الله إليك حالة كونه من الحكمة. أو حال من نفس الموصول. – وقد عرفنا أن هذا هو الراجح الواضح.

(الثانـى) أنه متعلق بـ (أوحى) و (من) إما تبعيضية لأن ذلك بعض الحكمة وإما للابتداء وإما للبيان. وحينئذ تتعلق بمحذوف.

وفـى هذا إثبات أن (من) على اختلاف معانيها حرف إضافة ما دام قد حتم تعلقها إما بالفعل (أوحى) وإما بمحذوف تقديره: كائن. وفى هذا نقص لقيمة الكلمة وبخـس لحقها لأنها ما دام يمكن جعلها اسما فلابد من ذلك لأنه يغنينا عن دعاوى متعددة لا حاجة بالنص إليها.

(الثالث) أنها مع مجرورها بدل من (مما أوحى)(٢).

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٧٥.

(٢) انظـر حاشـية الجمل ٢/ ٧٤٨ وإملاء ما من به الرحمن ١/ ٤٤ والبحر المحيط ٦/ ٣٨ وحاشية الشهاب على البيضاوى ٦/ ٣٤.

- ويتـــرتب على هذا أن يكون بدلا من الفاعل. ولو طبقنا عليه قاعدة النحاة وهى أن المبدل منه على نية الطرح والرمى لكان تقدير الآية: ذلك من الحكمة. وهل فى هذا معنى الآية بما وردت عليه؟ كلاً.

لهـــذا كله أرى أن المعنى الذى قررناه أولا وهو مأخوذ من النص على نسقه الذى أوحى به على رسولنا محمد ﷺ هو الذى نحرص عليه أشد الحرص.

فالإشـــارة (ذلك) إلى ما ســبق ذكـــره فى السورة وهو بعض ما أوحاه الله إلى ﷺ وبحالة معينة وهى أنه بعض الحكمة.

الكهف فى قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ ٢٧ أى حالة كونه بعض كتاب ربك. وقد علمنا أن تكرار البعض يستوعب الكل.

طـــــه: فـــى آيتـــين هما قوله تعالى: ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ ٧٢ أى حالة كونه بعض البينات.

وقـــــوله: ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ﴾ ٧٣ أى حالـــة كـــونه بعض السحر. ويقول أبو البقاء: "فى (ما) وجهان (أحـــدهما) أنهـــا بمعنى الذى معطوفة على الخطايا. أو مرفوعة بالابتداء. وخبرها محـــذوف أى وما أكرهتنا عليه مسقط أو محطـــوط. و (من السحر) حال من (ما) أو من الهاء.

و (الثانـــى) هى نافية وفى الكلام تقديم تقديره: ليغفر لنا خطايانا من السحر ولم تكرهنا عليه"[1].

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٦٥: ٦٦ وانظر إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ٢/ ٦٧٦.

وبالتأمل فى هذا النص يتبين أن (من) بمعنى (بعض) على كلا الوجهين فهى اسـم. غيـر أننا لا نستسيغ تخريج القرآن على التقديم والتأخير فتلك دعوى باطلة لأنها لا تليق بجلال القرآن.

الأنبياء فى قوله تعالى: ﴿ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾ ٨٤ أى حالة كونه بعض ضر.

الحج فى آيتين هما قوله تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ ٢٨.

وقـوله:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ ٣٤.

أى حالة كونه بعض بهيمة الأنعام: "والبهيمة مبهمة فى كل ذات أربع فى البر والبحر فبينت بالأنعام وهى: الإبل والبقر والضأن والمعز. وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا أو ذبحوا. وفيه تنبـيه علـى أن الغرض الأصلى فيما يتقرب به إلى الله أن يذكر اسمه. وقد حسن الكلام تحسينا بينا أن جمع بين قوله (ليذكروا اسم الله) وقوله (على ما رزقهم) ولو قيل: لينحروا فى أيام معلومات بهيمة الأنعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة"[1].

المؤمـنون فى آيتين هما قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ ٥٥ أى أن الـذى نمـدهم بـه حالة كونه بعض مال وبعض بنين: ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ ٥٦.

---

(١) الكشاف ٣/ ١٢٠ ببعض تصرف.

وقـــوله: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ٧٥ أى كـشفنا الذى أصابهم حالة كونه بعض ضر... . فـ (من) فى الآيتين اسم بمعنى (بعض) وفى محل نصب لأنها حال من (ما).

الـنور: ثـلاث مـرات فى آيتين هما قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ﴾ ١١ أى الذى اكتسبه حالة كونه بعض الإثم.

وقـوله: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ ٣١. أى لا الـذى ظهـر حالة كونه بعض تلك الزينة وليعلم الذى يخفينه حالة كونه بعض زينتهن.

الفرقان فى قوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ ٢٣ أى الذى عملوه حالة كونه بعض عمل. وذكر الزمخشرى أن المراد مـا عملـوه فـى كفرهم من صلة رحم. وإغاثة ملهوف. وقرى ضيف. ومن على أسير... وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم.

فقـــد مـــثل هذه الأعمال بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم إلى أشيائهم وقصد إلى ما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق .."(١).

الـــشعــــراء فـــى قـــــوله تعالـــى: ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ﴾ ١٦٦.

قـــال الزمخـــشرى: "من أزواجكم: يصلح أن يكون تبيينا لـــ (ما خلق) وأن يكون للتبعيض ويراد بـــ (ما خلق) العضو المباح منهن. وفى قراءة ابن مسعود (ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم) وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم"(٢).

وقـــد عرفنا أن جعل (من) للتبيين يستلزم كونها زائدة إذ التقدير: ما خلق لكم وهـــو أزواجكم. ولو كان ذلك هو المراد لما ذكرت (من) أما وقد ذكرت فلابد أن تكـــون بمعنى (بعض) ولذا قال ابن المنير تعقيبا على نص الزمخشرى: "إنه يتعين التبعـــيض لأنهـــا لو كانت بيانا لكان المعنى حينئذ على ذمهم بترك الأزواج وإتيان الذكران لا أن ترك الأزواج وحده منكر"(٣).

فالذى يؤخذ عليهم أنهم لا يقضون شهوتهم مع نسائهم على الوجه المباح وهو إتـــيانهم فى فروجهم التى هى حرث لهم. بل ربما يقضونها فى أدبارهن أو يذهبون بها إلى أدبار الرجال.

ولـــذا أرى أن (من) هنا عينت المراد وهو الفرج موضع الحرث والنسل فهو بعـــض الـــزوجة الذى خصه الله بذلك. فلا داعى لقول أبى السعود: إن أريد جنس

---

(١) الكشاف ٣/ ٢١٦: ٢١٧.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٦٠.

(٣) الانتصاف هامش الكشاف ٣/ ٢٦٠.

الإنـــاث كانـــت (من) للتبيين. وإن أريد العضو المباح كانت للتبعيض[1] إذ إرادة جنس الإناث هنا غير واردة. فالمتعين بعض الأزواج وهو الفرج.

فـــ (من) بمعنى (بعض) وفيها بيان وتوضيح للمراد

القصص فى آيتين هما قوله تعالى: ﴿ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ ٢٤ أى للـــذى أنزلته إلى حالة كونه بعض خير فقير. ولا يخفى أن هذه الآية على لسان موسى عليه السلام.

وقوله: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ﴾ ٦٠ أى الذى أوتيتمه حالة كونه بعض شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها. أى أنه سريع الزوال كالمتاع والزينة.

وقـــد دخلت الفاء الخبر (فمتاع) لأن الاسم الموصول يشبه الشرط فى الإبهام والعموم.

العنكـــبوت فـــى آيتين هما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ﴾ ٤٢.

وقـــد أطـــال علماؤنا الكلام حول هذه الآية وحسبنا ما ذكره الألوسى إذ فيه تلخـــيص لذلك كله. حيث قال: "ما: إما استفهامية و (من شئ) للتبيين أو للتبعيض. وإمـــا نافية و (من) زائدة و (شئ) مفعول (تدعون) أى لستم تدعون من دونه شيئا كـــأن ما يدعونه لا يصلح أن يسمى شيئا لحقارته. وإما مصدرية والمصدر مفعول (يعلـــم) بمعنى (يعرف) أى يعرف دعاءكم وعبادتكم بعض شئ من دونه فـــ (من)

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم جـــ٢ ص ١١٩.

للتبعيض مفعول. وقيل: (من) للتبيين و (شئ) بمعنى ذلك المصدر. وتنوينه للتحقير أي يعرف دعوتكم من دونه هي دعوة حقيرة.

وجوز كونها موصولة مفعول (يعلم) بمعنى: يعرف. ومفعول (تدعون) عائدها المحذوف و (من) إما بيان للموصول أو تبعيضية"[1].

وفى هذا النص عدة مآخذ هى:

أ) جعل (ما) استفهامية بدون داع. إذ النص واضح بدون هذا فشتان بينه وبين قوله تعالى: ﴿ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾ ١٢ الكهف.

فجعل (ما) موصولة لا يترتب عليه تعليق عامل من معموله. وهذا التعليق خلاف الأصل.

ب) وكذا جعلها نافية لما يترتب عليه من دعوى باطلة وهى زيادة (من).

ج) وكذا جعلها مصدرية إذ ما معنى إن الله يعلم دعوتكم أى يعرف دعاءكم وعبادتكم بعض شئ.. .

د) ثم جعل (من) للتبيين يترتب عليه زيادة (من) أيضا كما علمنا ذلك.

وبذلك لم يبق إلا جعل (ما) موصولة وهى مفعول (يعلم) وهو هنا ينصب مفعولا واحدا. وفى (تدعون) ضمير محذوف هو العائد على (ما) أى تدعونه. وتكون (من) بمعنى (بعض) حالا أى يعلم الذى تدعونه حالة كونه بعض شئ. وهذا ما ذكرناه قبل نص الألوسى لوضوحه وبيان المعنى عليه.

ونزيد هنا أن كلمة (شئ) مفرد فهى تفيد العموم فالقاعدة: "كل مفرد وقع موقع الجمع لا يكون إلا نكرة. فإن جئت بـ (أل) رجعت إلى الجمع. وإن جمعت أدخلت: أل"[2].

---

(١) روح المعانى ٦/ ٤١٣ وانظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٩٥ وحاشية الشهاب ٧/ ١٠٣.

(٢) حاشية الصبان ٣/ ٤٨.

هذا ما يؤكد جعل (من) بمعنى: بعض إذ مدخولها جمع فى المعنى. ففيه معنى الاستغراق.

وقوله تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ٤٥ أى حالة كونه بعض الكتاب".

الـروم مـرتين فـى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ ٣٩.

أى والذى آتيتموه حالة كونه بعض ربـا ... والذى آتيتموه حالة كونه بعض زكاة ...

فـ (مـا) اسم موصول والعائد عليه يدركه العقل. وصاحب الحال هو (ما) وقيل هو ذلك الضمير المقدر.

وقد فسر الزمخشرى (الربا) بالزيادة كما فسر الزكاة بالصدقة ثم قال: "وقيل: المراد أن يهب الرجل للرجل أو يهدى له ليعوضه أكثر مما وهب أو أهدى فليست تلـك الزيادة بحرام. ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة. وقالوا: الربا ربوان: فالحـرام كـل قـرض يؤخذ فيه أكثر منه أو يجر منفعة. والذى ليس بحرام: أن يستدعى بهبته أو بهديته أكثر منها. وفى الحديث: "المستغرر يثاب من هبته"[1].

و (ما) على ذلك الإعراب مبتدأ فى موضعيها. والخبر (فلا يربوا) و (فأولئك هم المضعفون). ودخلت الفاء لأن الموصول يشبه الشرط فى عمومه وإيهامه.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٩.

ولكن أبا البقاء يجعل (ما) مفعولا ذكر قبل فعله (آتيتم) ثم قال: والمد بمعنى: أعطيتم والقصر بمعنى: جئتم وقصدتم"[١].

ولست أدرى سرا أو سببا لدعوى التقديم والتأخير فى مثل هذا الأسلوب الذى لا يحتاج إلى ذلك لأنه مستقيم التركيب واضح الدلالة على المعنى. وما فيه من ضمير مقدر إنما هو ضرب من ضروب الإيجاز الذى هو باب من البلاغة.

لقمان: فى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٢٧.

وفيه يقول الزمخشرى: "فإن قلت: لم قيل (من شجرة) على التوحيد دون اسم الجنس الذى هو شجر؟ قلت: أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجرة ولا واحدة إلا بريت أقلاما"[٢].

وبهذا نزداد يقينا على يقين بأن (من) بمعنى (بعض) وهى التى أفادت معنى استغراق المفرد للجنس كما سبق أن نقلناه عن الصبان. بل إننى أقول: هذا أيضا يثبت أن معنى البعضية لا يكون قاصرا على واحد دونْ غيره من مدخول (من) بل هو يشمل جميع أفراده بطريق الإحصاء فردا فردا. وهذا ما أشار إليه الزمخشرى بقوله فى الآية (شجرة شجرة).

ولذا قيل: الواحد أكثر من الجمع. فعند قوله تعالى: ﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ ٢٨٥ البقرة قال الزمخشرى: "وقرأ ابن عباس (وكتابه) يريد: القرآن أو الجنس. وعنه: الكتاب أكثر من الكتب. فإن قلت: كيف

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٩٦.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٩٦.

يكون الواحد أكثر من الجمع؟ قلت: لأنه إذا أريد بالواحد: الجنس – والجنسية قائمة فـــى وحدان الجنس كلها – لم يخرج منه شئ. فأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية من الجموع".

وعلـــق ابن المنير على ذلك قائلا: "وقد قال مالك: إن التمر أحرى باستغراق الجـــنس من التمور فإن التمر استرسل على الجنس لا بصيغة لفظية. والتمور يرده إلـــى تخـــيل الـــوحـــدان. ثـــم الاســـتغراق بعده بصيغة الجمع وفى صيغة الجمع مضطرب"(١).

السجدة فى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ ١٧. أى الذى أخفى لهم حالة كونه بعض قرة أعين.

الأحـــزاب فـــى آيتـــين همـــا قـــوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ ٣٤.

وقوله: ﴿ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ﴾ ٥٠.

أى حالـــة كون المتلو بعض آيات الله .. وحالة كون التى ملكت يمينك بعض ما أفاء الله عليك.

ســـبأ فـــى آيتـــين فى قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ٩ أى جالة كونه بعض السماء وبعض الأرض.

وقـــــولـــه: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ ﴾ ١٣.

---

(١) الكشاف ١/ ٢٥٣: ٢٥٤ وهامشها.

أى حالــة كونه بعض محاريب وتماثيل وجفان كالجواب. ولا يخفى أن عائد الموصــول يدركه العقل أى ما يشاءه .. و (المحاريب) المساكن والمجالس الشريفة المــصونة عن الابتذال. سميت محاريب لأنه يحامى عليها ويزود عنها. وقيل: هى المساجد. و (التماثيل) صور الملائكة والنبيين والصالحين. كانت تعمل فى المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم.

ذكره الزمخشرى ثم قال إن ذلك كان جائزا فى عهد سليمان ..." [1].

غافــر: فــى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ ٨٣ أى فرحوا بالذى عندهم حالة كونه بعض العلم.

الشورى: فى آيتين هما قوله تعالى: ﴿ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ﴾ ١٥. وقــوله: ﴿ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ ٢٩. أى بالــذى أنزله الله حالة كونه بعض كتاب. والذى بثه الله فيهما حالة كونه بعض دابة. وقد سبق فى سورة النحل أن الدابة فى الأرض وحدها. ولكننا هنا نرى الضمير عائدا عليها وعلى السموات. ولــذا قــال الزمخــشرى: "فإن قلت لم جاز (فيهما من دابة) والدواب فى الأرض وحدها؟ قلت: يجوز أن ينسب الشئ إلى جميع المذكور وإن كان ملتبسا ببعضه كما يقــال: بنو تميم فيهم شاعر مجيد أو شجاع بطل. وإنما هو فى فخذ من أفخاذهم أو فصيلة من فصائلهم. وبنو فلان فعلوا كذا وإنما فعله نويس منهم. ومنه قوله تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴾ ٢٢ الرحمن. وإنما يخرج من الملح.

ويجــوز أن يكون للملائكة عليهم السلام مشى مع الطيران. فيوصفوا بالدبيب كمــا يوصــف به الأناس. ولا يبعد أن يخلق فى السموات حيوانا يمشى فيها مشى الأناس على الأرض. سبحان الذى خلق ما نعلم وما لا نعلم من أصناف الخلق" [2].

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٥٢.

(٢) الكشاف ٤/ ١٧٦.

الجاثـية: فـى آيتـين هما قوله تعالى: ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ٤.أى والذى يبثه حالة كونه بعض دابة.

وقوله: ﴿ وَمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ ﴾ ٥ أى والذى أنزله الله حالة كونه بعض السحاب وقوله (من رزق) بيان لكون المطر رزقا.

الأحقـاف: فـى قوله: ﴿ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ ﴾ ٢٧. أى الذى حولكم حالة كونه بعض القرى.

الفتح: فى قوله تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ٢ أى حالة كونه بعض ذنبك. وما تأخر أى من ذنبك أيضا.

ق: فـى قـوله تعـالى: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾ ٤. أى ما تنقصه الأرض حالة كونه بعضهم. وهذا دليل على أن الأجساد لا تفنى كلها بل يبقى منها. وقد روى عن النبى ﷺ: "كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب" قيل ما هو يا رسول الله قال: هو مثل حبة الخردل منه ينبتون"[1].

الحديـد: فـى قـوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ ١٦. أى والذى نزل حالة كونه بعض الحق.

الممتحـنة: فى قوله تعالى: ﴿ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ ١ أى حالة كونه بعضه.

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٠٢ وهامشها.

الصف في قوله تعالى: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ ٦ أي حالة كونه بعض التوراة.

المزمل مرتين في آية واحدة هي: ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ ٢٠ أي بعض القرآن ... وبعضه.

ثالثاً: آيات (الذي).

وردت (من) بعدها في سبع آيات من السور الآتية:

البقرة قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ١٢٠.

يوسف قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ ﴾ ٢١. وقوله: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ ٤٢ وقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ ﴾ ٤٥.

النور قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ١١.

فاطر قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ ٣١.

فهذه ست آيات جاء فيها التعبير بـ (الذي).

وقـد عـرفنا فـى (من) و (ما) أن صاحب الحال إما الاسم الموصول وهو الـراجح الواضح وإما الضمير العائد عليه من جملة الصلة وهذا ما سار عليه أبو البقاء غالبا.

ففى الآية الأولى يوضح الزمخشرى المراد بـ (العلم) فيقول: "من العلم: أى من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة"(١).

وتقديـر المعنـى: حالـة كونه بعض العلم. قال أبو البقاء: "وهو فى موضع نصب على الحال من ضمير الفاعل فى: جاءك"(٢).

ونقـل الجمـل عن السمين قـوله: "و (من) للتبعيض أى جاءك حال كونه بعض العلم"(٣).

وبهذا لا يبقى شك فى نفس القارئ حول كون (مِنْ) اسما بمعنى (بعض) وهى فـى محـل نصب لأنها حال. ولا ينبغى أن يتسرب ظن إلى ذهنه أنها حرف لذكر كلمة (كونه) قبلها. لأن ذكر هذه الكلمة لازم فى تبيين معنى الحال ففى قولنا: جاء الأميـر راكبا. نقول: حالة كونه راكبا. فليست (كونه) من (كائن) التى درج علماء النحو أن يجعلوه متعلقا لحرف الإضافة وما ذلك بسديد ولا رشيد.

مقارنة بين (ما) و (الذى):

إنمـا دعانا إلى عقد هذه المقارنة أننا وجدنا (ما) وردت قبل (مِنْ) فى القرآن مـا يربو على المائة مرة. على حين وجدنا (الذى) ترد ست مرات. وهذا ما يدفع العقل البشرى إلى دقة التفكير حتى يصل إلى ما يرتاح إليه العقل وتزكو به النفس وينعقد عليه القلب. من سر لهذا. لأن كثرة ورود (من) بعد (ما) توحى بأن غموض (ما) أعمق وأوسع ومن ثم كثر ذكر (مِنْ) بعدها لكشف هذا الغموض وتحديده حتى يمكن بيانه.

---

(١) الكشاف ١/ ١٣٦.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٣٤.

(٣) حاشية الجمل ١/ ١٢٠.

وعلى هذا يكون النص القرآنى هو مصدر تلك التفرقة بين (ما) و (الذى) بل إنــنا نؤيد ذلك ونؤكده بأن (مِنْ) لم ترد بعد (مَنْ) مثل ما وردت بعد (ما) وفى هذا أكبر دليل وأقواه على أن غموض (ما) أعمق من (مَنْ) فضلا عن (الذى).

ولم يكن الاهتمام بهذا ليغيب عن أذهان علمائنا أو يفوت أقلامهم لأننا وجدنا مــنهم من يدقق النظر ويعمق الفكر وراء الكلمتين حتى يهديه الله إلى ما اطمأن به قلــبه وسكن إليه عقله ومن هؤلاء أبو عبد الله الخطيب الإسكافى حيث يقول: "اعلم أن (ما) إذا كانت بمعنى (الذى) فإنها توافقها بأنها تبين بصلتها.

وتخالفها بأشياء كثيرة فتصير (الذى) متضمنة من البيان ما لا تتضمنه (ما).

فمن ذلك:

الأول: أنــك تدخل على (الذى) أسماء الإشارة فتكون (الذى) صفة لها كقوله تعالـــى: ﴿ أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ ﴾ وقـــوله: ﴿ أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ ﴾ ٢٠، ٢١ الملــك. فيكتــنف (الذى) بيانان أحدهما: الإشارة قبلها والآخر الصلة بعدها. ولا يكون ذلك فى (ما) لأنها لا يوصف بها كما يوصف بــ (الذى) لا تقول: أمن هذا ما هو جند لكم.

الثانـــى: أن (مـــا) تنكر فيجرى ما كان صلة لها صفة تبينها وليس ذلك فى (الذى) وهو كقول الشاعر:

ربما تكسره النفوس من الأمشر ... لــه فرجــة كحــل العــقــال

الــثالث: أن (الــذى) تثنـــى وتجمع وتؤنث فتلحقها هذه العلامات بيانا لهذه المعانى. و (ما) لا يلحقها ذلك بل هى على لفظة واحدة فى التثنية والجمع والتأنيث.

الرابع: أن (الذى) قد لزمتها أمارة التعريف وهى الألف واللام. ولا شئ مما نكرناه فى (ما). ولشدة إيهامها خص التعجب بها. لأن سبب التعجب إذا استبهم كان أبلغ فى معناه"[1].

ولهـذه الأمور وجب أن نقف مع (الذى) فى الآية رقم ١٢٠ من البقرة وهى التى نحن بصدد الحديث عنها مع (ما) فى آيتين تسـاويانها فى الصيـاغة إلا أن الـوارد فيهمـا (ما) وهمـا قـوله تعالـى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ١٤٥ البقـرة وقـوله: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ ٣٧ الرعد.

فلـم نكـرت (الـذى) فى الآيـة الأولـى على حين نكرت (ما) فى الآيتين الثانية والثالثة؟

ولقد أجاب الإسكافى عن هذا السؤال قائلا: "أولا: عن آية (الذى) وهى: "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى. ولئن اتـبعت أهواءهم بعد الذى جاءك ..." أى لن ترضى عنك اليهود حتى تتبع ملتها. ولـن ترضى عنك النصارى حتى تتبع ملتها. واتباع الملتين فى عصر النبى عليه الـسلام كفر. ولذلك قال تعالى: "قل إن هدى الله هو الهدى" أى الإيمان الذى بعثتك بـه هو الطريق المؤدى إلى رضا الله وإلى ثوابه ثم قال (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ...

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ص ٢٠.

فمنعه من اتباع الفرقتين بالعلم الذى حصل له بصحة الإيمان وبطلان الكفر..

و (الذى) فى هذا المكان واقعة على العلم الذى يثبت به الإسلام وصح الإيمان وكما أن هذا العلم مانع من الكفر الذى هو أكبر الذنوب فالعلم الذى يمنع منه أفضل العلــوم فإذا عبر عنه بأحد هذين الاسمين المبهمين وجب أن يخص منهما بالأشهر إذا كان للعلم المحيط بالأكثر وهو جملة الدين.

ثانياً: عن آية (ما) فى البقرة وهى: و (ولئن اتبعت أهواءهم مِنْ بعد ما جاءك مِنَ العلم ..." فمنع عز وجل عن اتباع أهوائهم فى أمر القبلة وهو بعض الشرع بما حــصل له من العلم بأن القبلة هى التى أُمِرَ النبى ﷺ بالتوجه إليها. فإذا كان ذلك بعــض الشرع كان العلم بصمته بعض علم الشرع ولم يكن كالعلم فى الآية الأولى الذى هو محيط بالشرع وكل الإيمان. فلما كان واقعا على بعض ما وقع عليه الأول لم يشهر شهرته.

فعبر عنه باللفظ الأقصر لمَّا خص الأول باللفظ الأشهر.

ثالثاً: عن آية (ما) فى الرعد. وهى: "والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إلــيك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعــو إليه مآب. وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ..".

فنهــى الله تعالى عن اتباع اهوائهم فى البعض بما أنزل الله إليه. وهو الذى ينكــره الأحزاب بما ثبت له من العلم بصحة هذا البعض الذى ينكرونه كما ثبت له بباقيه. فلما كان هذا العلم بعض العلم الذى عبر عنه بلفظة (الذى) صار كالشائع فى أبعاض هى مجموعة فى الأول الذى عبر عنه باللفظ الأشهر فكان العلم المانع من إتباع أهوائهم فيه مثل العلم المانع من اتباع أهوائهم فى أمر القبلة فعبر عنه بمثل ما عبر به عن ذلك"(١).

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ص ٢٠: ٢٢.

وبهــذا النص الذى لزم ذكره دون سأم من طوله لما فيه من توضيح وكشف أسرار استعمال الكلمة فى القرآن. نستطيع أن نقول: إنه لابد من وضع منهج جديد لدراسة كلمات القرآن كلمة كلمة بحيث تستقصى جميع آياتها فى القرآن حتى ندرك سر استعمالها فى كل آية كما نقف على سر عدم استعمالها فيما يناظر ما استعملت فــيه. وفى الوقوف على ذلك إدراك لقيمة نوع الكلمة ومكانها ومقامها فى أسلوبها وعلى هذا نقف على أننا لا يمكننا استبدال غيرها بها أو استبدال مكان آخر بمكانها. وهــذا مـــا يجعل قول أبى حيان: "والذى نقوله فى هذا أنه من اتساع العبارة وذكر المترادف لأن (ما) و (الذى) موصولان فأيا منهما ذكرت كان فصيحا حسنا"[١].

أقـــول: هــذا مـــا يجعل ذلك القول هزيلا ضئيلا رذلا لا يليق بجلال كلمات القرآن الذى هو تنزيل من لدن حكيم خبير.

ذلكم عن الآية الأولى من آيات (الذى). أما الآية الثانية "وقال الذى اشتراه من مصر ..." ففيها يقول أبو البقاء: "من مصر: يجوز أن يكون متعلقا بالفعل كقولك: اشتريت من بغداد أى فيها أو بها. ويجوز أن يكون حالا من (الذى) أو من الضمير فى (اشترى) فيتعلق بمحذوف"[٢].

وظاهـــر هذا النص أن (من) حرف إضافة ما دام العكبرى يحتم تعلقها بشئ ملفوظ أو ملحوظ. كما أنه يثبت أن الذى اشترى يوسف اشتراه من مصر وهذا بعيد كــل الـــبعد. فالشراء لم يكن من مصر وإنما الذى كان من مصر هو المشترى. وعلى هذا تكون (من مصر) حالا من (الذى) أو من ضميره فى (اشتراه) أى حالة كونه بعض أهل مصر. فكلمة (أهل) مضاف يدركه العقل مثلها فى قوله تعالى فى نفـــس السورة: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ ٨٢.

---

(١) البحر المحيط ١/ ٤٣٣.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢٧.

فقد قال الزمخشرى: "القرية: هى مصر أى أرسل إلى أهلها فسلهم عن كنه القصة"(١).

وقول أبى البقاء (فيتعلق بمحذوف) لسنا فى حاجة إليه إذ (من) اسم بمعنى (بعض) فهو مستقل بذاته لا تكون بينه وبين سواه علاقة إلا علاقة بناء النص وقيام الأسلوب على عناصر تكوينه.

والدليل على أن الذى اشتراه من أهل مصر قول الزمخشرى: "الذى اشتراه هو قطفير أو أطفير وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر. والملك يومئذ الريان ابن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف وعاش فى حياة يوسف. فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى. واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وقام فى منزل ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة. وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة.

وقيل: كان الملك فى أيامه فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ ٣٤ غافر. وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف.." (٢).

وأما قوله تعالى: "وقال للذى ظن أنه ناج منهما" فيقول فيه أبو البقاء: "منهما: يجوز أن يكون صفة لـ (ناج) وأن يكون حالا من (الذى). ولا يكون متعلقا بـ (ناج) لأنه ليس المعنى عليه"(٣).

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٨٦.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٥٣: ٣٥٤.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ٢م ٢٧.

ومعنى كونه صفة لـ (ناج) يقتضى تقدير متعلق على ما هو مألوف معروف لـدى الـنحاة لأن (من) عندهم حرف إضافة. أى: ناج كائن منهما. وهذا لغو غير لائق بجلال النص القرآنى. إذ أن الواضح الصحيح أن (منهما) بمعنى: حالة كونه بعـضهما أى أحد الفتيين اللذين دخلا السجن مع يوسف. أى قال له: "اذكرنى عند ربك. فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين" وهذا المعنى هو المراد فـى قوله تعالى: "وقال الذى نجا منهما" أى حالة كونه بعضهما أى أحدهما. وأجاز أبو البقاء أن يكون حالا من ضمير الفاعل فى (نجا) [1].

وفـى آية النور (والذى تولى كبره منهم ..) أى حالة كونه بعضهم. وفى آية فاطر: (والذى أوحينا إليك من الكتاب ...) أى حالة كونه بعض الكتاب.

تلكـم هـى الآيات الست التى وردت فيها (من) بيانا لـ (الذى). لأنها حال والحال يبين ما عليه صاحبه.

الآيـة السابعة من سورة الناس وهى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ . مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ ٥، ٦.

قـال الزمخـشرى: "مـن الجـنة والناس" بيان لـ (الذى يوسوس) على أن الشيطان ضربان جِنّى وإِنسِىّ كما قال: ﴿ شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ ١١٢ الأنعام وعن أبى ذر رضى الله عنه قال لرجل: هل تعوذت بالله من شيطان الإنس؟

ويجوز أن يكون (من) متعلقا بـ (يوسوس) ومعناه: ابتداء الغاية أى يوسوس فى صدروهم من جهة الجن ومن جهة الناس.

وقـيل: (من الجنة والناس) بيان لـ (الناس) – يعنى من قوله (الذى يوسوس فى صدور الناس) – وأن اسم الناس ينطلق على (الجنة) واستدلوا بـ (نفر).

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢٩.

ورجـــال فى سورة الجن – يعنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ وقـــوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ ١، ٦ الجن.

قال الزمخشرى: "ولو كان يقع (للناس) على القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع. وأجود منه أن يراد بـ (الناس): الناس. كقـــوله: ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ ﴾ ٦ القمر. كما قرئ ﴿ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ ١٩٩ البقرة. ثم بين بالجنة والناس لأن الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عز وجل"[١].

وخلاصـــة ذلك أن (من) عند الزمخشرى لا تخرج من هذه الآية عن كونها. بيانية أو ابتدائية وقد عرفنا أن معنى البيان لـــ (من) يقتضى زيادتها فيكون المعنى (الذى يوسوس فى صدور الناس) وهم الجنة والناس.

وأمـــا معنى الابتدائية ففيه بعد لأن كون (مِنْ) بعض الذى يوسوس أدق من معنى ابتداء الوسوسة من جهة الجنة والناس. سواء قلنا إن المراد بالناس: البشر أو الـــناس مـــن الجـــنة والناس. وقد استدل الزمخشرى لهذا الوجه بقراءة (من حيث أفـــاض الـــناس) بكـــسر السين. وقد قال فى سورة البقرة: وقرئ (من حيث أفاض الناس) بكسر السين أى الناسى وهو آدم من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ ﴾ ١١٥ طـــــه. يعنى أن الإفاضــــة من عرفات شـــــرع قديم فلا تخالفوا عنه"[٢].

---

(١) الكشاف ٤/ ٦٥٨.

(٢) الكشاف ٣/ ١٨٧.

فالزمخشرى يرجح أن (من الجنة والناس) إما مرتبط فى المعنى بـ (الذى يوسوس) أو بـ (الناس) على قراءة كسر السين. وبالتأمل ندرك أن (من) اسم بمعنى بعض أى حالة كون الذى يوسوس فى صدور الناس بعض الجنة والناس. أو حالة كونه بعض الناس من الجنة والناس.

والذى أراه وأرجحه هو أنه حال من (الذى يوسوس) فهذا – من وجهة نظرى – أدق وأعلى بيانا.

هذا: وهناك ثلاث آيات وهى قوله تعالى: ﴿ مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ ٥٠ يونس. وقوله: ﴿ مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ ٤٠ فاطر، ١٤ الأحقاف.

وفى هذه الآيات الثلاث نرى (ما) استفهامية و (ذا) اسما موصولا أى (ما الذى يستعمله المجرمون حالة كونه بعض العذاب) و (ما الذى خلقوه حالة كونه بعض الأرض).

وعلى الرغم من وضوح هذا المعنى نجد بعض العلماء يرى أن (من) بمعنى (فى) أى ماذا خلقوا فى الأرض. أو لبيان الجنس واستظهره ابن هشام[1].

وبعضهم يرى أنها لابتداء الغاية. وأرى أن ذلك لا داعى إليه ما دام يمكن جعل الكلمة بمعناها دون ادعاء أن تكون بمعنى سواها. وأيضا فى جعلها اسما بمعنى (بعض) تنزيه القرآن عن دعوى التقدير الذى هو تكدير لصفو اللغة وإنما جعلنا (ذا) فى هذه الآيات بمعنى (الذى) لأنه أعدل الآراء وأجمل المعانى التى أطال فى ذكرها علماؤنا كما فعل ابن هشام[2].

---

(١) انظر المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٦.

(٢) انظر المغنى بحاشية الأمير ٢/ ٤: ٥.

وبهـذا تكـون (من) وقعت حالا بعد اسم موصول فى عشر آيات منها سبع آيات فيها (الذى). وثلاث آيات فيها (ذا) بمعنى (الذى). فهو اسم موصول مفرد.

رابعاً: آيات (اللذان).

وردت (مـن) بعد (اللذان) أى اسم الموصول المثنى مرتين فى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ ١٦النـساء. وقـوله: ﴿أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ ٢٩ فصلت.

فـ (منكم) حال من (اللذان) أى حالة كونهما بعضكم. و (من الجن والإنس) حال من (الذين) أى حالة كونهما بعضهما.

خامساً: آيات (الذين) أى الاسم الموصول الدال على جمع المذكر. وهى من السورة الآتية:

البقـرة: خمس آيات هى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ ٦٥.

قال أبو حيان: "من: للتبعيض و (علم) هنا بمعنى (عرف) فيتعدى إلى مفعول واحد و (منكم) فى موضع نصب على الحال من الضمير فى: اعتدوا"(١).

وقد ذكرنا أنه حال من (الذين) وكلاهما صحيح.

وقوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ١٠٥.

---

(١) البحـر ١/ ٢٤٥ وانظـر إمـلاء ما من به الرحمن ١/ ٢٣ وحاشية الجمل ١/ ٧٥ وروح المعانى ١/ ٢٣٤.

قال الزمخشرى: "من أهل الكتاب: للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان أهـــل الكـــتاب والمـــشركون. كقـــوله تعالى:"لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين" البينة"(١).

وذكر البيضاوى مثل هذا وعلق عليه الشهاب قائلا: "قوله (للبيان) فيه إشارة إلى تضعيف ما قيل إنها للتبعيض"(٢).

والحـــق أنها للتبعيض إذ لو جعلناها بيانية على قاعدة النحاة لكانت فى حكم الزائدة فيصير المعنى: ما يود الذين كفروا وهم أهل الكتاب والمشركون. وعلى هذا يـــشمل الحكـــم أهل الكتاب والمشركين جميعا. وهذا باطل إذ كان منهم من يؤمن بمحمـــد ويحبه ومن ثم قـــال أبو حيان: "من: تبعيضية ... وأصحـــابنا لا يثبتون كونها للبيان"(٣).

وقوله: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ ١٥٠.

يـــرى الطبـــرى أن المـــراد بـــ (الناس) اليهود و (الذين ظلموا) هم مشركو العرب من قريش"(٤).

وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا. كأنه قيل: لكن الذين ظلموا يحاجونكم ... يعنى: كفار قريش فى قولهم: رجع محمد إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا كله. ويدخل فى ذلك كله كل من تكلم فى النازلة من غير اليهود.

---

(١) الكشاف ١/ ١٣٠.

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوى ٢/ ٢١٨.

(٣) البحر ١/ ٣٤٠.

(٤) جامع البيان ١/ ١٨: ١٩.

ثم قال: وقوله (منهم) يرد هذا التأويل"[١].

ولعل السر فى ذلك أن الضمير فى (منهم) لا يكون له مرجع لأن المـــراد بـ (الناس) اليهود جميعا ولو عاد الضمير عليهم لجعل المراد بعضهم لا كلهم. فلا يجوز رجوع الضمير عليهم. ومن البـــدهى أنه لا يـرجع إلى (الذين ظلموا) إذ لا معنى لقولنا: لكن الذين ظلموا بعضهم..

ومـــن ثم كان الـــزمخشرى على بينة من الأمـــر حينما قال: "إن المـــراد بـــ (الناس) اليهود ... والذين ظلموا المعاندون منهم فهو استثناء متصل ومعناه: لئلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا المعاندين منهم القائلين: ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه وحبا لبلده. ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء"[٢].

وبذلك يستقيم فهم المعنى تبعا لاستقامة فهم المراد من كل كلمة فى النص.

وهـــناك رأى ثالـــث وهو للكرخى حيث يقول: إن المراد بـــ (الناس) ما يعم الـــيهود والمـــشركين. وقـــولهم (منهم) أى من كل من اليهود والمشركين والجار والمجـــرور فى محل نصب على الحـــــال فيتعلق بمحـــذوف. ويحتمل أن تكون للتبعيض وللبيان"[٣].

ولا اعتـــراض لـــنا على ما قرره من أن بعض اليهود وبعض المشركين هم الذين كانوا يعترضون على النبى محمد فى تحوله من قبلة إلى قبلة إذ لا غرابة فى ذلك لأن من عدا المسلمين كلهم فى حكم واحد.

غيـــر أن قول الكرخى (الجار والمجار متعلق بمحذوف) لا يروقنا لأن (مِنْ) اســـم بمعنـــى (بعض) أى حالة كونهم بعضهم. والضمير فى (بعضهم) يعود على (الناس) أى حالة كون هذا البعض من اليهود والمشركين.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ص ٥٥١.

(٢) الكشاف ١/ ١٥٤ وانظر الجلالين ١/ ١٤٥.

(٣) انظر حاشية الجمل ١/ ١٤٥.

وأما قوله (للبيان) فقد عرفنا ما يترتب عليه من جعل (مِن) زائدة وعليه يكون المعنى: كل الناس قد اعترضوا وهذا ما لا يحصلِ بل لا يمكن حصوله.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ ﴾ ٢٣٤، ٢٤٠. أى حالة كونهم بعضكم أى أيها المسلمون المؤمنون.

آل عمران: فى أربع آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ٢١.

قال الجمل: "من الناس: إما للبيان وإما للتبعيض فهو جار مجرى التوكيد لأن المعلوم أنهم من الناس"(١).

وقد علمنا ما يترتب على كونها بيانية. لأنه يقتضى أن الناس جميعا يأمرون بالقسط ويقتلون. ولا يتصور هذا. وإنما الذى يستقر فى الوجدان ويطمئن به القلب أن البعض هم الذين يرتكبون تلك الجريمة الشنعاء. ولذلك يكون (من الناس) حالا من (الذين يأمرون بالقسط) أى حالة كونهم بعض الناس. ولعل فى هذا ما يثير فى نفس القارئ معنى الاستنكار على بعض الناس جريمة القتل لأهل العدل. حتى إن ذلك لو حدث يكون محدثه خارجا عن دائرة (الناس) وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ ﴾ ١٤٢. أى حالة كونهم بعضكم.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ﴾ ١٥٥.

---

(١) حاشية الجمل ١/ ٣٠٤.

أى حالة كونهم بعضكم.

وقوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ ١٧٢.

وفـــى هـــذه الآيـــة يرى الزمخشرى وابن هشام أن (من) للتبيين لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا واتقوا كلهم لا بعضهم[١].

وفـــى هذا ما يؤيد ويؤكد ما قررناه ثم كررناه – ولن نزال نكرره – من أن معنى التبيين يقتضى زيادة (من) إذ لا يتصور أن المتحدث عنهم هنا هم كل الذين آمـــنوا وإلا فـــأين المنافقون وغيرهم من النماذج البشرية التى تملأ أرجاء المجتمع الذى يسوده معنى الإيمان على حسب الظاهر؟!!

ولهذا أرى أن (منهم) حال أى حالة كونهم بعض المؤمنين. وجعلها أبو البقاء حـــالا مـــن الـــضمير فـــى (أحسنوا)[٢] وعقب عليه أبو حيان بأن (من) على هذا للتبعيض[٣].

والذى نرجحه أنه حال من (الذين).

وفى روح المعانى: "قال الطبرى – وهو الأشبه – و (منهم) حال من الضمير فى (أحسنوا) و (من) للتبعيض"[٤].

ولـــو لم تكن (من) دالة على (البعض) لكان التعبير: لهم أجر عظيم كما جاء ذلـــك فـــى آيـــات كثيـــرة منها قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ ٩ المائدة وقوله: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٣٣٩ والمغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٥.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٨٩.

(٣) انظر البحر ٣/ ١١٧.

(٤) روح المعانى ١/ ٧٢٠.

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ ١١ هـود وقـوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ﴾ ٧ فاطـر. ... إلـى غير ذلك. مما يثبت أن لكل مقام مقالا.

ولكـل معنى يراد لفظ يقوم به فإذا ذكر فلابد من ملاحظة دلالته ومعناه ولا يجوز إغفالُ أو إهمالُ هذا المعنى.

فالقـرآن يأبـى إلا الطـريقة المثلى فى التعبير فإن النفوس متغيرة والقلوب متقلـبة. وقد قرأنا أن من دعاء الرسول ﷺ: "اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبى على دينك" وسبحان من لا يتغير.

ولهـذا وجدت فى تفسير المنار ما يؤيد الذى نذهب إليه تبعا لدلالة (من) فى النص إذ لو لم أفعل ذلك لكنت مغفلا لفظها مهملا معناها وما كان لى أن افعل ذلك بل الذى أحرص عليه أشد الحرص وأحاول أن أفهمه دقيق الفهم هو أن آخذ المعنى من كلمات النص على نسقها وعددها فلا أغير النسق ولا أنقص العدد.

قد جاء فى تفسير المنار: "وقد يقال: إن اولئك الذين استجابوا لله ولرسوله فى تلك الحالة هم خيار المؤمنين وكلهم من المحسنين المتقين فما معنى قوله (منهم)؟

وأجابـوا عن ذلك بأن (من) هنا للتبيين لا للتبعيض و أن الوصف بالإحسان والتقوى للمدح والتعليل لا للتقييد.

واخـتار الأستاذ الإمام قول من قال: إن (من) للتبعيض وقال: هى فى محلها لأن: مـن المؤمنـين الصادقين من لم يخرج معه ﷺ إلى (حمراء الأسد) أى وهم الذين لا يضيع الله أجرهم.

ولكـنهم لا يـستحقون الأجـر العظيم الذى استحقه الذين خرجوا معه. وهم مثقلون بالجراح ومرهقون من الإعياء إلى استئناف قتال أضعافهم من الأقوياء.

أقـول: فالـضمير فـى قوله (منهم) راجع على هذا القول للمؤمنين لا للذين اسـتجابوا وهـو لا يظهر إلا إذ جعلنا قوله (الذين استجابوا) منصوبا على المدح والجمل المدحية معترضة.

قال الأستاذ الإمام: ومن ثَمّ وجه آخر وهو: أنه جد فى نفوس بعض المؤمنين بعد أحد شئ من الضعف. فهذه الآيات كلها تأديب لهم.

ولمـا دعـاهم ﷺ للخـروج لبوا واستجابوا له ظاهرا وباطنا ولكن عرض لبعـضهم عـند الخروج بالفعل موانع فى أنفسهم أو أهليهم فلم يخرجوا. فأراد من الذين أحسنوا واتقوا: الذين خرجوا بالفعل وهم بعض الذين استجابوا .... .

أقول وهذا الوجه أظهر الوجوه وأحسنها"(١).

وهكـذا يكون فهم كلمات القرآن فى نصوصه. فلا ينبغى إهمال شئ منها أو إهمال جانبه فى معنى النص لأن كل كلمة فى القرآن وضعت بميزان لا يمكن لأحد مهما بلغ عمق فهمه ودقة تفكيره أن يصل إليه فهو المعجز ونحن العجزة.

وممـا يجدر التنبيه إليه هنا لأنه ذو أثر بالغ فى تزكية هذا المبدأ و تقويته ما سـلف ذكـره عند الكلام على قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ ٤٣ الأعـراف ثم قوله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ ٤٧ الحجر. فقد ذكر الزمخشرى. "من كان

---

(١) تفسير القرآن الحكيم ٤/ ١٩٤: ١٩٥.

فـــى قلبه غل على أخيه فى الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم ... وعن علىّ رضى الله عنه: إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم ... إلى آخره.

فإن فيه أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يربأوا بأنفسهم عن أن يصيبهم مثل ذلك وهم من هم!!

وســيأتى مــزيد لذلك عند قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ ٢٩ الفتح.

النساء: فى آيتين هما:

قــوله تعالـــى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ٦٩.

أى حالة كونهم بعض النبيين .. إلخ. وذلك ما يقبله العقل إذ هناك من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين من لهم درجة لا يشاركه فيها أحد.

أو أن المـــراد أن من أطاع الله والرسول يكون فى صحبة هؤلاء فى الآخرة أى فـــى دار النعـــيم لا فـــى دار الجحـــيم ومن المعلوم أن تلك الدار درجات وأن أصـــحاب هـــذه الدرجات متفاوتة منازلهم ولكنهم مع ذلك يتزاورون فيرى بعضهم بعضا بل يتجالسون. وهل هذه يستهان بها بل هى منتهى أمل الطائع الذى أطاع الله ورسوله.

وقــوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ ٨٣.

وصدر هذه الآية: "وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ......".

وفيها يقول الزمخشري: "هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيه خبرة بالأحوال ولا استبطان للأمور.

ثم نكر عدة أوجه في أحوال هؤلاء (الوجه الأول): أنهم كانوا إذا بلغهم خبر عن سرا يا رسول الله ﷺ من أمن وسلامة أو خوف وخلل. (أذاعوا به) وكانت إذا إذاعتهم مفسدة. ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى أولى الأمر منهم وهم كبراء الصحابة والبصراء بالأمور أو الذين كانوا يؤمرون منهم (لعلمه) لعلم تدبير ما أخبروا به (الذين يستنبطونه) الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدهم.

(الوجه الثاني): أنهم كانوا يقفون من رسول الله ﷺ وأولى الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء. أو على خوف واستشعار. فيذيعونه فينتشر فيبلغ الأعداء فتعود إذا عنهم مفسدة. ولو ردوه إلى الرسول ﷺ وإلى أولى الأمر وفوضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه.

(الوجه الثالث): أنهم كانوا يسمعون من أفواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين.

ولو ردوه إلى الرسول ﷺ وإلى أولى الأمر وقالوا: نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع. لعلم صحته وهل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون. وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولى الأمر أي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم.

ثم قال: يقال أذاع السر وأذاع به ... ويجوز أن يكون المعنى: فعلوا به الإذاعة وهو أبلغ من (أذاعوه) ... والنبط: الماء يخرج من البئر أول ما تحفر.

وإنــباطه واستنباطه إخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعانى والتدابير فيما يعضل ويهم"[١].

وعلــق ابــن المنير على قول الزمخشرى (أذاعوه وأذاعوا به) قائلا: "وفى اجــتماع الهمــزة والباء على التعدية نظر لأنهما متعاقبتان وهو الذى اقتضى عند الزمخــشرى قــوله فــى الوجه الثانى: فعلوا الإذاعة ليخــرجها عن الباء المعاقبة للهمزة"[٢].

ولعل الذى حمل الزمخشرى على هذا ما ذكره من قول أبى الأسود الدؤلى:

أمنت على السر امرأ غير حازم ... ولكــنه فــى النــصح غيــر مــريب
أذاع به فى الناس حتــى كأنــه ... بعليــاء نـــار أوقــدت بثقـــوب

فمــا دام قد ورد فى لغة العرب فلا بأس باستعماله. وعلى العموم قد وضحه الزمخشرى بـــ (فعلوا به الإذاعة).

هذا: وقد لخص الشهاب الخفاجى المراد بما ذكره الزمخشرى فى قوله: مبنى (الأول) علــى أن مجــى الأمر ٠ فى (وإذا جاءهم أمر .. – وصول خبر السرايا إليهم ... وبنى (الثانى) على أن مجئ الأمر اطلاعهم على ما بالرسول وأولى الأمر مــن الأمن أو الخوف. قيل الأعداء ... ومبنى (الثالث) على أن مجئ الأمر سماع خبــر الــسرايا من أفواه المنافقين .. والذين يستنبطونه هم المذيعون.. ثم قال: فـــ (من) على هذا ابتدائية والظرف لغو متعلق بـــ (يستنبطونه) وعلى الأولين تبعيضيه أو بيانية تجريدية والظرف حال"[٣].

---

(١) الكشاف ١/ ٤١٩: ٤٢٠.

(٢) هامش الكشاف ١/ ٤١٩.

(٣) انظر حاشية الشهاب على البيضاوى ٣/ ١٦١.

والــذى يعنينــى هــنا هو معنى (من) فقد جعلها الشهاب ابتدائية فهى حرف إضــافة علــى أن المعنى: واستنباط المذيعين ذلك من قبيل الرسول وأولى الأمر. وهذا هو الوجه الثالث.

وأمــا علــى الوجهين الأول والثانى فهى إما بعضية أى حالة كونهم بعضهم وهــذا لا غــبار عليه. وإما بيانية تجريدية. وقد عرفنا أن هذين المعنيين يقتضيان دعوى زيادة (من). فلا داعى إليهما.

علــى أنــه مما يلفت الذهن أن قول الشهاب (والظرف حال) يثبت أنه يجعل (من) حرفا ولو كانت بعضية. وهذا ما حققنا بطلانه فلا التفات إليه.

المائدة: فى خمس آيات هى:

قــوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ﴾ ٤١.

فالــذين يــسارعون فى الكفر بعض المنافقين. فالمعنى: حالة كونهم بعضهم فالكافرون بعض المنافقين. وهناك فريق ثالث وهو: من فى قلوبهم مرض. كما فى ســورة المدثر وهو قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ ﴾ ٣١.

فالمنافقون لهم صفتان (إحداهما) ذكرت فى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ. يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ ٨، ٩ البقرة. فهذه يقابلها فى آية المائدة قوله: "قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم".

و (الثانية) ذكرت فى قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ ١٠ البقرة.

وقــوله تعالـــى: ﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ﴾ ٥٧.

ذكــر الجمل أن (من الذين أوتوا الكتاب) فى محل نصب على الحال إما من الموصول الأول – الذين اتخذوا دينكم .. – وإما من فاعل: اتخذوا"[١].

وقال الزمخشرى: "وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار – وإن كان أهل الكـتاب مـن الكفار – إطلاقا على المشركين خاصة. والدليل عليه قراءة عبد الله: ومـن الـذين أشركوا. وقرئ و (الكفار) بالنصب والجر وتعضده قراءة أبى: ومن الكفار"[٢].

وبهذا تبين لنا أن بعض أهل الكتاب وبعض الكفار هم الذين كان يحصل منهم هذا الفعل. وهذا ما يشهد به الواقع فى كل زمان ومكان.

فمعنى الآية لا تتخذوهم أولياء حالة كونهم بعض أهل الكتاب والكفار.

وقوله: ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ٧٣.

يقــول الزمخشرى: "و (من) فى قوله (ليمسن الذين كفروا منهم) للبيان كالتى فى قوله تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ ٣٠ الحج.

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ١/ ٦٠٦.

(٢) الكشاف ١/ ٥٠٦.

فـإن قلـت: فهـلا قيل: (ليمسنهم عذاب أليم)؟ قلت: فى إقامة الظاهر مقام المـضمر فائدة وهى: تكرير الشهادة عليهم بالكفر فى قوله (لقد كفر الذين قالوا). وفى البيان فائدة أخرى وهى الإعلام فى تفسير (الذين كفروا منهم) أنهم بمكان من الكفـر. والمعنـى: ليمـسن الذين كفروا من النصارى خاصة كما تقول: أعطنى عـشرين مـن الثياب تريد: من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس من التى يجوز أن يتناولها (عشرون).

ويجوز أن تكون للتبعيض على معنى: ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لأن كثيرا تابوا من النصرانية"[1].

فالزمخـشرى فى هذا النص يحرص على جعل (من) بيانية بالمعنى النحوى على الرغم من أنه محل خلاف واختلاف بين النحاة حتى بلغ الأمر حد إنكاره كما عـرفنا ومـن ثـم أرى أنه غير لائق هنا لأنه يتساوى مع القول بزيادة (من) فهم يفـسرون (الـرجس من الأوثان) بقولهم: الرجس الأوثان. وعليه يكون المعنى فى آيتنا: وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسنهم عذاب أليم. وما دام النص ليس كذلك فلابد مـن اعتـبار معنى (من) بحيث يكون مغاير المعنى البيان. وهو أن تكون بمعنى (بعض) أى حالة كونهم بعضهم.

ومن العجيب أن الزمخشرى قد أشار إلى هذا المعنى عند ذكر معنى (البيان) حيـنما قال فى (أعطنى عشرين من الثياب): تريد من الثياب خاصة لا من غيرها .... إلخ.

فمـا معنـى هذا إلا أعطنى بعض الثياب. ففيه النص الواضح الصريح على المعنـى المراد. إذ البعضية تقتضى البيانية والعكس غير سديد. فـ (من) فى هذا المثال بمعنى (بعض) أى حالة كون المعطى بعض الثياب. وكذا فى الآية: وليمسن الذين كفروا عذاب أليم حالة كونهم بعض الذى لم ينتهوا عما يقولون.

---

(١) الكشاف ١/ ٥١٧.

وقـــوله: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾٧٨ أى حالة كونهم بعضهم.

وقوله:﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ ١١٠ أى حالة كونهم بعضهم.

الأعراف فى خمس آيات هى:

قوله تعالى:﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ ﴾ ٦٦، ٩٠. وقوله: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ ﴾ ٧٥،٨٨. وقـــوله:﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ ﴾ ١٦٢.

فهـذه خمـس آيات والمعنى فيها: قال الملأ الذين كفروا حالة كونهم بعض قومه. وقال الملأ الذين استكبروا حالة كونهم بعض قومه. وفبدل الذين ظلموا حالة كونهم بعضهم غير الذى قيل لهم.

تعقيـــب:

ممـــا يثبت أن كلمة (من) لا تذكر إلا إذا أريد معناها فإذا لم يطلب النص هذا المعنـــى أبت أن تذكر لننا وجدنا ما مذكورة هنا فى الآية الأخيرة. ولكنها لم تذكر فـــى مثلها من سورة البقرة حيث يقول الله: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ ﴾ ٥٩ فما السر فى ذلك؟

يقـــول أبـــو عـــبد الله الخطيب الإسكافى: "وهذا السر هو أن أول القصة فى الأعـــراف مبنى على التخصيص والتمييز بدليل لفظة (مِنْ) لأنه تعالى قال:﴿ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٥٩ فتذكـــر أن منهم من يفعل

ذلك فلما وصل إلى قوله (فبدل الذين ظلموا) أتى بـ (من) ليكون آخر الكلام لأوله مساوقا. وعجزه لصدره مطابقا. فيكون الظالمون من قوم موسى بإزاء الهادين منهم. فهناك ذكر أمة هادية عادلة. وهنا ذكر أمة جائرة عادية. وكلتاهما من قوم موسى فأقتضت التسوية فى المقابل ذكر (منهم).

وأما فى سورة البقرة فلن تبن القصة على التمييز والتخصيص والتبعيض فتحمل الأخيرة على مثل حالها. ألا ترى أنه قال: ﴿ يَـٰبَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ ٤٠ البقرة. ثم كرر الخطاب إلى أن انتهى إلى قوله: ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ ﴾ ٥٧ وقوله: ﴿ ٱدۡخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ ٥٨ وتعقبه بقوله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ ٥٩ فلم يحتج إلى (منهم) لأنه لم يتقدمه ما تقدم فى سورة الأعراف مما يقتضيها"[١].

وهكذا ينبغى أن يطيل الباحث التأمل فى القرآن كلمة كلمة حتى يدرك السر فى وضعها حينا ورفعها حينا. فإنه بذلك يستحق هداية الله له حتى يصل إلى شئ تستريح إليه نفسه ويطمئن به قلبه. وهذا ما حدث للإسكافى فقد تأمل سياق الآيتين فى السورتين فاستطاع أن يذكر ما ذكره. ويمكننا أن نضيف إليه شيئا لعله يكون ذا فائدة ألا وهو: أن الأعراف سورة مكية على خلاف البقرة فهى مدنية. فإذا ورد التفصيل والتبيين فى الأولى أغنى عن وروده فى الأخيرة. ولهذا نظير فى قصة إبراهيم فقد ورد فى سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا ﴾ ١٢٦. فنكر (بلدا). على حين قال فى سورة إبراهيم: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَـٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا ﴾ ٣٥.

---

(١) درة التنزيل ص ١١، ١٢ بتصرف.

فعلـــى تـــرتيب ذكر السور فى المصحف تكون النكرة ذكرت أولا ثم جاءت المعـــرفة بعد ذلك على النسق المعهود كما فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولاً شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولاً . فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ ﴾ ١٦ المزمل.

وعلـــى تـــرتيب نزول السور تكون المعرفة هى التى ذكرت أولا إذ فيها من البيان ما ليس فى الأخيرة. ولله فى كلماته وآياته أسرار يمن ببعضها على من يشاء من عباده.

هـــذا مـــبلغ علمنا فى ذاك المقام. ولا يمنعنا ذلك من أن ننبه إلى أن الأستاذ رشـــيد رضا قد أدلى بدلوه فى آيتى البقرة والأعراف حيث قال: "إن زيادة (منهم) فـــى الأعـــراف للحاجة إلى ذكر ضمير المحكى عنهم لربط الكلام. وهذه الحاجة منتفية فى سورة البقرة. وليس لزيادة البيان كما قيل"[(١)].

وبالـــتأمل فـــى هذا النص يدرك القارئ أن ذكر (منهم) فى سورة الأعراف يـــرجع إلـــى أمر لفظى حتى قال الأستاذ رضا (إن زيادة (منهم) .. ثم قال (وليس لزيادة البيان) ولست أدرى كيف يستسيغ ذلك وهو تلميذ الإمام محمد عبده الذى نقل عنه كثيرا: أن القرآن لا زيادة فيه. ؟! ولعله يعنى ذكرها وعدم ذكرها.

وتبقى فى آيات الأعراف كلمة. وهى: أن (الذين) فى أربع آيات قد سبقت بـــ (المـــلأ): (قال الملأ الذين كفروا) أو (الذين استكبروا). فـــ (الذين) تابع لـــ (الملأ) فهل الحال من المتبوع وهو (الملأ) أو من (التابع) وهو (الذين)؟

---

(١) تفسير القرآن الحكيم ٩/ ٣٧١.

أقــول: لــو قلــنا: جاءنـــى هؤلاء الرجال مسرورين. لجاز جعل الحال من (الرجال) المتمم لــ (هؤلاء): وجاز جعله من (هؤلاء الرّجال) معاً.

والذى يجعلنى استسيغ ذلك إنما هو الإبهام فى (الملأ) الذى يحتاج إلى كشف وبــيان بــ (الذين) والسر فى أن (الذين) كاشفة ومبينة إنمــا هو صلتهــا (كفروا) أو (اســتكبروا). فكــأن (المـــلأ الذين كفروا) كلمة واحدة إذ لا تستغنى إحدى هذه الكلمات عن سواها. ولذا صح جعلها صاحب الحال فى (من قومه).

وفـــى معنى الملأ يقول أبو حيان: "الملأ: الأشراف من الناس وهو اسم جمع ويجمع على (أملاء) قال الشاعر:

وقال لها الأملاء من كل معشر ... وخير أقاويل الرجال سد يدهــا

وسموا بذلك لأنهم يملون العيون هيبة أو المكان إذا حضروه. أو لأنهم مليئون بما يحتاج إليه.

وقـــال الفـــراء: الملأ الرجال فى كل القرآن لا نكون فيهم لمرأة وكذلك القوم والنفر والرهط. وقال الزجاج: الملأ هم الوجوه وذوو الرأى"(١).

وقـــد جاء فى القرآن الحال من (الملأ) دون إتباعه بـــ (الذين) وذلك فى قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٢٤٨.

بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الآيــة ٢٤٦ البقــرة. فــ (من بنى إسرائيل) حال من (الملأ) أى حالــة كونهم بعض بنى إسرائيل. إذ (من) بمعنى (بعض) فهى اسم. ولكن أبا حيان يأبى إلا جعلها حرفا لأنه قال: "من بنى إسرائيل: فى موضع الحال فيتعلق بمحذوف أى: كائنين من بنى إسرائيل.

وعلى مذهب الكوفيين هو: صلة للملأ لأن الاسم المعرف بالألف واللام يجوز عندهم أن يكون موصولا.. فالعامل فيه لا موضع له من الإعراب"(١).

وما الآية فى حاجة إلى شئ من هذا التقدير سواء قلنا إن (من بنى إسرائيل) حال أو صلة. على أننى أستبعد كون (الملأ) اسما موصولا. لأنه لو كان كذلك لما وقع بعده (الذين) فى آيات الأعراف. إذ كيف يتبع موصول موصولا؟!

والذى يستوقف النظر هنا فى آيات الأعراف تلك هو: هل كان يجوز فيها أن يقــال: "قــال المــلأ من قومه. كما قيل فى سورة البقرة (ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل)؟

أغلب ظنى – إن لم يكن عميق يقينى – أن ذلك غير جائز. وعلى هذا يكون (الذين) من تتمة (الملأ) فيجوز أن يكون صاحب الحال.

ويؤكد ذلك بأن (الذين) قد يغنى عن (الملأ) على حين لم يغن (الملأ) عنه. إذ يمكــن أن يقال: "قال الذين استكبروا أو كفروا من قومه" وهذا فى غير القرآن أما فيه فلا يمكننا أن نتوهم الاستغناء عن كلمة منه.

وهذا نظيــر قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ . ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾ ١٠، ١١ الذاريات فــ (الذين) صفة كاشفة للمراد بــ (الخراصون) فهل كان يمكن القول: قتل الخراصون هم فى غمرة ساهون؟.

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٢٥٣.

أجاب ابن جنى بفساد ذلك حيث قال: "باب فى إصلاح اللفظ": "اعلم أنه لما كانت الألفاظ للمعانى أزمة. وعليها أدلة. وإليها موصلة. وعلى المراد بها محصلة. عنيت العرب بها فأولتها صدرا صالحا من تثقيفها وإصلاحها .. ثم قال: "ومن ذلك أنهم لما أرادوا أن يصفوا المعرفة بالجملة كما وصفوا بها النكرة. ولم يجز أن يجروها عليها لكونها نكرة أصلحوا اللفظ بإدخال (الذى) ليباشر بلفظ حرف التعريف المعرفة فقالوا: مررت بزيد الذى قام أخوه ونحوه"[1].

فالاسم الموصول هنا لا يمكن الاستغناء عنه فصار كأنه جزء كلمة مع (الملأ) فيجوز مجئ الحال منه.

الأنفال فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾ ٢٥

وقـــولـــه: ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ ﴾ ٥٦.

أما الآية الأولى ففى (لاتصيبن) ثلاثة أوجه:

(أولها): أنه جواب الأمر. والمعنى: إن إصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم.. ذكره الزمخشرى ثم قال: "إن الفعل أكد فى جواب الأمر لأن فيه معنى النهى. إذا قلت: انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز: لا تطـرحنك. ولا تصيبن. ولا يحطمنكم. فإن قلت: ما معنى (من) فى قوله (الذين ظلموا منكم) قلت: التبعيض"[2].

---

(١) الخصائص ١/ ٣١٢: ٣٢١.

(٢) الكشاف ٢/ ١٦٥: ١٦٦ وانظر إرشاد العقل السليم ٥/ ١٥١ ومدارك التنزيل ٢/ ١٠٠.

وعليه يكون فى محل نصب حال أى حالة كونهم بعضكم.

ولم يرق هذا الوجه نظر ابن هشام فقد قال: "ومن ذكر هذا الوجه الزمخشرى وهو فاسد. لأن المعنى حينئذ: فإنكم إن تتقوها لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة. وقــوله (إن التقدير: إن أصابتكم لا تصيب الظالم خاصة) مردود. لأن الشرط إنما يقــدر من جنس الأمر لا من جنس الجواب ألا ترى أنك تقدر فى : "ائتنى أكرمك: إن تأتينى أكرمك"[(١)].

وعلى هذا ينبغى أن يكون تقدير الآية: إن اتقيتم فتنة لا تصيب الظالمين منكم خاصة. أى حالة كونهم بعضكم.

(ثانيها) أن يكون (لاتصيبن) صفة لــ (فتنة) و (لا) إما نافية وأكد الفعل لشبه (لا) الناهــية. والإصابة على هذا الوجه عامة للظالمين وغيرهم فقد وصفت الفتنة بأنها لا تصيب الظالمين خاصة.

وذكر الزمخشرى أن (من) على هذا الوجه للتبيين. لأن المعنى: لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لأن الظلم أقبح منكم من سائر الناس[(٢)].

ومعنى التبيين هنا غير واضح لأنه يقتضى أن المخاطبين كلهم ظالمون.

إذ تقدير المعنى: واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا وهم أنتم. أى عذاب الفتنة. ولــو كــان هذا هو المراد للزم أن يكون النص: واتقوا فتنة لا تصيبنكم ولذا كان الألوسى أدق حينما قال: "ومعنى (من) على هذا الوجه التبعيض"[(٣)].

ويجــوز أن تكون (لا) ناهية. ووصف بالجمل الإنشائية على تقدير: قول أى واتقوا فتنة مقولا فيها: لا تصيبن الذين ظلموا. ونظيره قول الشاعر:

---

(١) المغنى بحاشية الأمير ١/ ١٩٩.

(٢) الكشاف ٢/ ١٦٦ وانظر المغنى بحاشية الأمير ١/ ٢٠٠.

(٣) روح المعانى ٤/ ٢٦٧.

حتى إذا جن الظـــلام واختلـــط   جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

أى بمذق مقول فيه هذا القول[١].

فلا فرق على هذا الوجه بين كون (لا) نافية أو ناهية. من حيث معنى (من) وقـد سـبق أن الزمخـشرى جعلها للتبيين. ولكن الحق يأبى ذلك فهى بعضية كما ذكرنا آنفا.

كما أنه لا فـــرق على هذا الـوجه من حيث إن جملـــة (لا تصيبن) صفة لـ (فتنة).

ولـم يقف العلماء عند هذا بل جوزوا على جعل (لا) ناهية أن تكون الجملة مـستقلة وليـست صفة لـ (فتنة) ويكون الكلام قد تم عند قوله (واتقوا فتنة) وهو خطاب عام ثم ابتـدأ نهى الظلمـــة خاصـــة عن التعـرض للظلم فتصيبهم الفتنـــة خاصة[٢].

ومنع الألوسى أن تكون (من) تبعيضية على هذا لأنها لو اعتبرت كذلك لكان النهى عن التعرض للظلم مخصوصا بالظالمين منهم دون غيرهم.

فغيـر الظالم لا يكـون منهيا عن التعـرض له بمنطوق الآيـــة وذلك شئ لا يراد"[٣].

وأرى أن المعنـــى ليس على ما ذكره الألوسى لأن الآية تنهى عن التعرض للظلم وإصابة عقابه لمن ظلم. فالنهى عام والإصابة خاصة. وهذا ما يؤخذ من قول الزمخشرى: "وإذا كانت نهيا بعد أمر فكأنه قيل: واحـــذروا ذنبا وعقـــابا ثم قيل: لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة"[٤].

---

(١) انظر الكشاف ٢/ ١٦٥: ١٦٦.

(٢) انظر الكشاف ٢/ ١٦٥ وحاشية الشمنى على المغنى ١/ ٤٩: ٥٠.

(٣) روح المعانى ٣/ ٢٢٤.

(٤) الكشاف ٢/ ١٦٥.

وعلـــى هذا تكـــون (من) بعضية. أى من ظلم حـــالة كونه بعض المنهيين عن ظلم.

و (الوجه الثالث) أن قوله (لاتصيبين) جواب قسم محذوف. وبذلك تكون هذه القراءة مساوية لقراءة ابن مسعود: لتصيبين الذين ظلموا"[١].

وذكر الألوسى أن (من) على هذا الوجه تبعيضية[٢].

وبهـــذا يثـــبت أن (من) بمعنى (بعض) على جميع الأوجه المحتملة فى الآية فهى اسم فى محل نصب أى حالة كونهم بعضكم.

وأما الآية الثانية (الذين عاهدت منهم) فيقول فيها أبو حيان: "و (من) للتبعيض لأن المعاهـــدين بعض الكفار. وقيل: بمعنى (مع) وقيل الكلام محمول على المعنى أى أخـــذت مـــنهم العهد فتكون (من) لابتداء الغاية. وقيل (من) زائدة أى عاهدتم. وهذه الأقوال الثلاثة ضعيفة"[٣].

ولا شـــك أن الضعف ظاهر واضح على تلك الأقوال. إذ كونها بمعنى (مع) يفـــسد المعنى إذ لا معنى لقولنا: الذين عاهدت معهم. وكونها لابتداء الغاية يقتضى التضمين أى تضمين (عاهدت) معنى: أخذت. وقد علمنا أن التضمين ظن وتخمين لأنه افتراض شئ غير مراد على لفظ القرآن الحكيم.

ومـــع هـــذا أرى الشهاب الخفاجى يصرح به حيث يقول: "و (من) لتضمين المعاهدة معنى الأخذ. أى عاهدت آخذا منهم"[٤].

---

(١) الكشاف ٢/ ١٦٦.

(٢) روح المعانى ٣/ ٢٦٧.

(٣) البحر المحيط ٤/ ٥٠٨.

(٤) حاشية الشهاب على البيضاوى ٤/ ٢٨٦.

ولا معنـــى لهذا. وأما جعل (من) زائدة فمرفوض رفضا باتا لأنه غير لائق بجلال القرآن. فلم يبق إلا معنى (بعض) كما قررنا. أى حالة كونهم بعضهم.

التوبة: فى سبع آيات هى:

قوله تعالى:﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ١ وقـــوله:﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ .إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ٣، ٤ وقـــوله:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ ﴾ ١٦ وقوله:﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ ٢٩. وقـــوله: ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ﴾ ٦١ وقـوله: ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ٩٠ وقـــوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ ١٢٣.

فهذه الآيات السبع يتضح فيها معنى (بعض) الذى اختيرت (من) للدلالة عليه لخفتها وعذوبتها وهى حال أى حالة كون الذين عاهدتم بعض المشركين.

وحالـــة كون المجاهدين بعضكم. وحالة كون الذين لا يؤمنون بالله ... بعض الذين أوتوا الكتاب. ورحمة للذين آمنوا حالة كونهم بعضكم. وسيصيب العذاب الذين كفروا حالة كونهم بعضهم وقاتلوا الذين يلونكم حالة كونهم بعض الكفار.

هــود: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ ٢٧.

سـبق فــى سـورة الأعراف أربع آيات نظير هذه الآية. وقد وضحنا معنى (المــلأ) وبينا معنى وصفه بــ (الذين). ولولا هذا الوصف لما استقام نسق الآية إذ لا معنــى لقولنا: قال الملأ كفروا. فذكرت (الذين) ليستقيم النسق ويحمل نظم الآية. أى قال الملأ الذين كفروا حالة كونهم بعض قومه. أى قوم نوح.

مريم: فى آية واحدة هى:

قــوله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ﴾ ٥٨.

وفــى هذه الآية يقول الزمخشرى: من: الأولى للبيان لأن جميع الأنبياء منعم علــيهم. و (مــن) الثانــية للتبعيض وكان إدريس من ذرية آدم لأنه جد أبى نوح، وإبــراهيم علــيه السلام من ذرية من حمل مع نوح. لأنه من ذرية سام بن نوح. وإســماعيل من ذرية إبراهيم. وموسى وهارون وذكريا ويحيى من ذرية إسرائيل وكــذلك عيــسى لأن مريم من ذريته.... و (ممن هدينا) يحتمل العطف على (من) الأولى والثانية"[1].

ويقــول ابن عطية: "الإشارة بــ (أولئك) إلى من تقدم ذكره وقوله (من ذرية آدم) يــريد: إدريس ونوحا. (وممن حملنا مع نوح) إبراهيم عليه السلام (ومن ذرية إبراهيم) إسماعيل وإسحاق ويعقوب. و (من ذرية إسرائيل) موسى وهارون وذكريا

---

(١) الكشاف ٣/ ١٩.

ويحيى ومريم (وقوله (وممن هدينا) معناه: وأولئك ممن هدينا لأن هدى الله قد ناله غيــر هؤلاء. (واجتبينا) معناه: اصطفينا واخترنا وكأنه من جبيت المال إذا جمعته ومنه: جباية المال. وكأن جابيه يصطفيه"(١).

ومــن البدهــى أننا هنا نعنى (من النبيين) وقد ذكر الزمخشرى أن (من) فيه للبيان وبذلك حكم عليها بالزيادة بدليل قوله (لان جميع الأنبياء منعم عليهم).

ولا نرضــى بــذلك ولا عنه لأن المشار إليهم كما ذكره ابن عطية ليسوا كل الأنبــياء بل هم بعضهم وعليه يستقيم معنى (بعض) أى أنعم الله عليهم حالة كونهم بعــض النبيين ومن هنا كان ابن عطية أدق من الزمخشرى حينما قال: (لأن هدى الله قد ناله غير هؤلاء).

أما (من ذرية آدم) هو حال من (النبيين) أى حالة كونهم بعض ذرية آدم.

وقد ذكر ابن عطية المراد بهم وهم: إدريس لأنه من أجداد نوح عليه السلام وهو أول نبى بعث إلى أهل الأرض فيما روى من بعد آدم وهو أول من خط بالقلم وكــان خــياطا ... فــ (نوح) من ذرية إدريس. والمراد بــ (ممن حملنا مع نوح) إبــراهيم عليه السلام. والمراد بــ (من ذرية إبراهيم) إسماعيل وإسحاق ويعقوب. وبــ (من ذرية اسرائيل) موسى وهارون ويحيى ومريم.

وأمــا (وممن حملنا مع نوح) فمعطوف على (من ذرية آدم) أى وحالة كونهم بعــض من حملنا مع نوح. وكذا قوله (ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل). وأما (وممن هدينا واجتبينا) فذكر الزمخشرى أنه معطوف على (من) الأولى يعنى (من النبيين) أى حالة كونهم بعض النبيين وبعض من هدينا واجتبينا. أو على (من) الثانية يعنى (من ذرية آدم) أى حالة كون النبيين بعض ذرية آدم وبعض من هدينا واجتبينا.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢١: ٢٢.

وممـــن نكـــر أن (من) بعضية أبو السعود لأن المنعم عليهم أعم من الأنبياء وأخص من الذرية[١].

وهـــناك من يرى أنها حرف جر أو إضافة فى جميع مواضعها وأن بعضها للابـــتداء وبعضها للتبين وبعضها للتبعيض. وأن بعضها بدل مما سبقه منها. قـــال أبو حيان:

"واخـــتلاف الحـــرفين فى المعنى لا يمنع البدل كما أن العطف كذلك فيجوز تعلـــق الحـــرفين حينئذ بمتعلق واحد. أما بدون البدل والعطف فلا يجوز لا تقول: أخذت من الدراهم من الدنانير"[٢].

والحـــق أن هـــذا المعنـــى غير مطلوب هنا لأن معنى البعضية هو الواضح الصريح وهو اللائق بجلال القرآن وكماله إذ يترتب عليه اسمية (من).

وإنمـــا قررنا ذلك لما عرفناه من أن (أولئك) مشار به إلى بعض التبيين وهم المذكورون فى السورة. وقد وضح ابن عطية أسماءهم. وقال الزمخشرى: "أولئك: إشارة إلى المذكورين فى السورة من لدن ذكريا إلى إدريس"[٣].

وعـــدتهم ثمانية أنبياء وهم: ذكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس.

فهـــل هـــؤلاء هـــم النبيون جميعا؟ كلاَّ فـــلا مناص إذًا من جعل (مِنْ) اسماً بمعنى (بعض).

المؤمنون: فى آية واحدة.

قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ ٢٤. وهذه الآية فى حق قوم نوح كما سبق ذكره. وهى الآية السادسة بهذه الصيغة كما عرفنا آنفا.

---

(١) إرشاد العقل السليم ٣/ ٢٨٦ وانظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٦٠.

(٢) البحر المحيط ١/ ٤٦٥.

(٣) الكشاف ٣/ ١٩.

النور: فى أربع آيات هى:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرًا﴾ ٣٣.

أى حالة كونهم بعض ما ملكت أيمانكم.

وقـــــوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ٥٥ أى حالة كونهم بعضهم.

وقـوله:﴿ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ﴾ ٥٨ أى حالـة كونهم بعضكم

وقوله: ﴿ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذًا ﴾ ٦٣ أى حالة كونهم بعضكم.

العنكبوت: فى آية واحدة هى:

قـوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ ٤٦ أى حالة كونهم ضهم.

الأحزاب فى آية واحدة هى:

قـوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ ٢٦ أى حالة كونه بعض أهل الكتاب.

فاطر فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا ﴾ ٣٢ أى حالة كونهم بعض عبادنا.

الزمر فى آية واحدة هى:

قـــــوله تعالـــــــى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ ﴾ ٥١.

أى حالة كونهم بعض هؤلاء أى الذين سبق ذكرهم فى الآيات.

الفتح فى آيتين هما:

قــوله تعالى: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ٢٥. أى حالة كونهم بعضهم.

وقوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ٢٩ وهذه الآية من الآية رقم ٥٥ من سورة النور ونصها ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ نجد أن المذكور فى هـــذه السورة (منكم) وقد ذكر بعد (الذين آمنوا) وأما المذكور فى سورة الفتح فهو (منهم) وقد ذكر بعد (وعملوا الصالحات).

ولم يقف العلماء إزاء هذا الترتيب مكتوفى اليد أو معقودى اللسان أو مسلولى العقل والفكر بل وجدناهم يحاولون الوقوف على سر ذلك النسق فى الآيتين. فيقول أبـــو السعود فى آية النور: "والمراد بـــ (الذين آمنوا) كل من اتصف بالإيمان بعد الكفر على الإطلاق من أى طائفة كان.

وفى أى وقت كان. لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فحسب فالخطاب فى (منكم) لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة و (من) تبعيـــضية ... وتوســيط الظـــرف (منكم) بين المعطوفين لإظهار أصالة الإيمان

وعـراقته فى استتباع الآثار والأحكام وللإيذان بكونه أول ما يطلب منهم وأهم ما يجب عليهم.

وأما تأخيره – أى: منكم – عنهما فى سورة الفتح فلأن (من) بيانية والضمير للذين آمنوا معه ﷺ من خلص المؤمنين.

ولا ريـب فى أنهم جامعون بين الإيمان والأعمال الصالحة مثابرون عليهما فلابد من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بكمالها"[١].

ففـى هـذا بـيان سـر ذكر (منكم) بين (آمنـوا) و (عملوا الصالحات) فى سورة النور.

وذكرها بعد (آمنوا وعملوا الصالحات) فى سورة الفتح. كما أن فيه فرقا بين معنى (من) فيهما إذ معناها فى آية النور البعضية. وفى آية الفتح البيان.

ولكن الزمخشرى يقول فى آية النور: "الخطاب لرسول الله ﷺ ولمـن معه. و(منكم) للبيان كالتى فى آخر سورة الفتح"[٢].

ثـم يقول فى آية الفتح: "وعد الله الذين آمنوا: لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد لهـم فى الآخرة مع ما يعزهم به فى الدنيا غاظهم ذلك. ومعنى (من) البيان كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ ٣٠ الحج[٣].

ولا يخفى ما فى معنى البيان من دعوى الزيادة إذ المراد على هذا الجمع فى الآيـات الثلاث. ولو كان هذا مرادا لكان التعبير: (وعد الله الذين آمنوا ليستخلفنهم) و (وعـد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة وأجر عظيما. ولكان معنى آية الحج: فاجتنبوا الرجس وهى الأوثان.

---

(١) إرشاد العقل السليم ٤/ ٧٠.

(٢) الكشاف ٣/ ١٩٨.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٧٦.

ولمـــا لم يرد النص فى هذه الآيات هكذا لزمنا أن نقف عند كل كلمة من كل نص حتى تدرك أثرها فى معنى هذا النص فالقرآن منزه عن اللغو أو الحشو.

وكنت أتمنى أن يقف علماء التفسير مما ذكره الزمخشرى موقعا فيه دقة عمق ولكنـــى رأيـــت بعضهم يسير فى ركابه حتى قال ابن عطية فى آية الفتح: "وقوله تعالـــى: (منهم) هى لبيان الجنس وليست للتبعيض لأنه وعد مـــرج للجميـــع"[١]. ولقد سكت عن معناها فى آية النور.

ويرى الجمل أن الخطاب فى آية النور خطاب للنبى وأمه الدعوى وأن (من) تبعيضية وهى مع مجرورها فى محل الحال من الموصول"[٢].

وهو يحطب فى حبل من يظن أن (من) البعضية حرف وهذا نأى بالكلمة عن قيمـــتها وأثـــرها فى معنى النص. فالحق أنها اسم بمعنى (بعض) أى حالة كونهم بعضهم.

وقـــد بين أبو السعود ذلك فى نصه السابق على أن الخطاب للكافرين ثم قال: "ومن جعل الخطاب للنبى وللأمة عموما على أن (من) تبعيضية. أو له عليه السلام ولمن معه من المؤمنين خصوصا على أنها بيانية فقد نأى عما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه بمنازل وأبعد عما يليق بشأنه عليه السلام بمراحل"[٣].

فهـــو يحتم أن يكون الخطاب للكافرين. ولم يرتض الألوسى ذلك حيث قال: "وأنت تعلم أن كون الخطاب لعامة الكفرة خلاف الظاهر وحمل الفعل الماضى على ما يعم الماضى والمستقبل كذلك.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٣.

(٢) حاشية الجمل ٢/ ٢٣٥.

(٣) إرشاد العقل السليم ٤/ ٧٠.

وفـيما نذكـره أيـضا بعد عن سبب النزول وهو: أنه لما قدم رسول الله ﷺ المديـنة وآوتهـم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة فكانوا لا يبيتون إلا فى السلاح ولا يصبحون إلا فيه ... فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله .. وإذا كانت (من) بيانية فالمعنى: وعد الله الذين هم أنتم"(١).

وهـذا صريح فى دعوى زيادة (مِنْ). ولو كان المراد أصحاب النبى وحدهم لقـال لهم: وعدكم الله ليستخلفنكم. وفى ذلك مصادرة للنص وحصر لمعناه والقرآن كتاب كل زمان ومكان.

وهكـذا نـرى خلاف العلماء محتدما فى آية النور فمنهم من يقرر أن (مِنْ) بعضية وينكر كونها بيانية. ومنهم من يعكس ذلك. وأما فى آية الفتح فالغالب منهم علـى أن (مِـنْ) بيانية ومن هؤلاء الزمخشرى وابن عطية وأبو البقاء وابن هشام والـشهاب والنـسفى والجـلال المحلى وأبو السعود. وقد نقل ابن هشام عن كتاب (الـصاحب) لابن الأنبارى أن بعض الزنادقة قد تمسك بهذه الآية فى الطعن على بعـض الصحابة. ثم قال: "والحق أن (مِنْ) فيها للتبيين لا للتبعيض أى الذين آمنوا هم هؤلاء"(٢).

وهكذا نجد جمهرة العلماء يخشون أن تكون (من) بمعنى (بعض) حتى لا نقع فى محذور ومحظور فى حق بعض الصحابة. ولو تذكرنا ما سلف عند قوله تعالى: "ونزعنا ما فى صدورهم من غل" لعلمنا ما قاله الإمام على كرم الله.

وهـو: أرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ... منهم ... ففى هذا النص إقرار من كبار الصحابة بما وقعوا فيه من محظور بعضهم إزاء بعض. ولم يترتب على ذلك نقص أقدارهم وغض لإيمانهم بل الله سيغفر لهم ما وقعوا فيه من زلات خفيفة.

---

(١) روح المعانى ٦/ ٩٨ ببعض اختصار وانظر لباب النقول ص ١٦٣.

(٢) انظر المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٥ والكشاف ٤/ ٢٧٦ وإملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٢٦ وحاشية الجمل ٤/ ١٧٣ ومدارك التنزيل ٤/ ١٢.

ومما يثبت ذلك ما قاله ابن القيم ونصه: "فائدة: في الحديث: (أصحابي كالنجوم) فهذا عام وفي الصحيح (لا تسبوا أصحابي) وهو عموم أيضا.

وفي المأثور (إن الله اختارني واختار لي أصحابي) وهو عام أيضا.

وفي مسند الترمذي وصححه (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي) فهذا خصوص من خصوص. وفي الصحيح (أنه قال للمرأة: فإن لم تجديني فأتي أبا بكر) وهذا خاص من خاص من خاص في الدرجة الثالثة"[1].

أليس في هذا بيان لدرجات الصحابة رضوان الله عليهم جميعا. فإذا جعلنا (من) بمعنى (بعض) في آية كان المراد من هم في الدرجة الأولى ولا يترتب على ذلك طعن في سائرهم كما توهم بعض الزنادقة.

ومما يزيدنا يقينا بذلك قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ ٩ المائدة.

فلم تذكر (من) في هذه الآية. وقد عقد أبو عبد الله الخطيب الإسكافي مقارنة بين هذه وآية الفتح حيث ذكر فيها (لهم) وفي آية الفتح (منهم) وبين فائدة ذلك قائلا: "لقوله (لهم)و (منهم) فائدة وهي أنه لما قال في المائدة (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) عُلِمَ أنهم وُعِدُوا بما هو حق لهم فعدل عن ذكر المفعول إلى جملة تضمنت معناه وهي في موضع مفرد منصوب كأنه قال: (وعد الله الذين آمنوا مغفرة) وأما آية الفتح فإن (منهم) فيها متعلق بـ (الذين آمنوا) وهي من تمامها ولم يكن هناك ما يرتفع به مغفرة فتعدى إليها الفعل على الأصل.

---

(١) بدائع الفوائد ٤/ ٢١٧: ٢١٨.

فــإن قــيل: كيف يحتمل أن يبعض والقوم الذين أخبر الله عنهم بقوله (محمد رســول الله والذين معه .. الآيــة) كلهم وعــدوا مغفرة وأجــرا؟ أجيب عن ذلك من وجهين:

(أحــدهما) أن (مِــنْ) ليست للتبعيض بل للتبيين. و (الثانى) أن يكون التقييد للتحذيــر لأنهــم وإن علــم منهم الثبات على ما هم عليه من العمل الصالح فإنه لا يخليهم من الأمر والنهى والوعد والوعيد على معنى: دوموا على ما أنتم عليه فإن من دام منكم عليه فقد وعده الله مغفرة وأجراً"[1].

ولا شك أن هذا الوجه هو الملائم للواقع والحقيقة أى من دام منكم على ما هو علــيه نــال مغفــرة وأجرا عظيما. ولعل كلمة (مغفرة) توحى بأن هؤلاء القوم لم يكونوا منزهين عن بعض ما يغفره الله لهم. اللهم إلا من عصم الله. ومن ثم تكون (منهم) هى المرشد الأمين إلى ذلك المعنى القوى المتين. مع ملاحظة عدم النيل من الــصحابة لا بقليل ولا بكثير. فلا نيل منهم ولكن إيثار للحق وبيان للحقيقة فكم من نفوس تغيرت. وأما أمر ثعلبه بن حاطب عنا ببعيد فقد نزل فيــه قولــه تعالــى:

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ الآيات ٧٥ وما بعدها من سورة التوبة.

الحديد: فى آيتين هما:

قــوله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ ٧ وقوله تعالى:﴿ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ﴾ ٢٧.

---

(١) درة التنزيل ص ٧٤: ٧٥ بتصرف.

و (مــن) بمعنى (بعض) أى فالذين آمنوا حالة كونهم بعضكم ... فآيتنا الذين آمنوا حالة كونهم بعضهم أجرهم. وفى البعض بيان كما قررنا.

المجادلة فى آيتين هما:

قــوله تعالــى:﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم ﴾ ٢ أى حالة كونهم بعضكم. و (من نسائهم) متعلق بــ (يظاهرون) فــ (من) حــرف ابتــداء وقــوله:

﴿ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ ﴾ ١١. أى حالة كونهم بعضكم.

الحشر فى آيتين هما:

قــوله تعالــى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ ﴾ ٢ أى حالــة كــونهم بعض أهل الكتاب. و (من ديارهم) متعلق بــ (أخرج) فــ (من) حرف ابتداء.

وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ﴾ ١١ أى حالــة كــونهم بعض أهل الكتاب.

الممتحنة فى آية واحدة هى:

قــوله تعالــى: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةًۚ ﴾ ٧ أى حالة كونهم بعضهم.

البينة فى آيتين هما:

قــوله تعالـــى: ﴿ لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ ﴾ ١ وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ ﴾ ٦.

أى حالة كونهم بعض أهل الكتاب.

وعلـــى الرغم من وضوح هذا المعنى لأن الذين كفروا ليسوا كل أهل الكتاب فقـد ذهــب البيــضاوى والجلال المحلى إلى أن (من) للتبيين قال الشهاب:" وهذا يقتضى كفر جميع أهل الكتاب قبل النبى والظاهر خلافه.

ولهــذا قال الماتريدى فى التأويلات: إن (من) تبعيضية لأن أهل الكتاب منهم من آمن ومنهم من كفر. والملكانية من النصارى قيل إنهم على الاعتقاد الحق. وقد روى عــن ابــن عباس رضى الله عنهما أن المراد بأهل الكتاب اليهود الذين كانوا بأطراف المدينة وهم: قريظة. والنضير. وبنو قينقاع. فالظاهر أن (من) للتبعيض لا للتبيــين. ولا يلــزم ألا يكــون بعض المشركين كافرين كما قيل لأنهم بعض من المجموع فتأمل"[1].

ولعل القارئ يستيقن قلبه بأن جعل (من) للتبيين يستلزم زيادتها لقول الشهاب: (وهذا يقتضى كفر جميع أهل الكتاب... إلخ) فلو كان هذا هو المقصود لكان النص: لــم يكن الذين كفروا والمشركون منفكين حتى تأتيهم البينة. وحيث إنه لم يرد هكذا فلابد أن تكون (من) بمعنى (بعض).

سادسا: اللاتى:

وردت فـــى آيـــة واحدة هى قوله تعالى:﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡ ﴾ ١٥ النساء.

---

(١) حاشية الشهاب ٨/ ٣٨٥.

أى حالة كونهن بعض نسائكم. ويأبى أبو حيان إلا جعله متعلقا بمحذوف لأنه فى موضع الحال من الفاعل[1].

وما هذا إلا لأنه يجعل (من) البعضية حرفا. وقد صرح النسفى بأن (من) للتبعيض"[2].

فهى اسم فى محل نصب لأنها حال كما ذكرنا.

النوع الثالث: آيات (من) الواقعة حالا وقبلها ما فيه (أل).

وهو فى السور الآتية:

البقرة: فى أربع آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ ﴾ ١٢٧ وقوله: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ ﴾ ١٤٢ وقوله:﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ ١٨٧ وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ٢٤٦.

يقول الزمخشرى فى الآية الأولى: "القواعد جمع قاعدة وهى الأساس والأصل لما فوقه .. ورفع الأساس: البناء عليها .. ويجوز أن يراد بها سافات البناء لأن كل ساف قاعدة للذى يبنى عليه .. يجوز أن يكون المعنى: وإذ يرفع إبراهيم ما قعد من البيت أى استوطأ"[3].

---

(١) البحر المحيط ٣/ ١٩٥.

(٢) مدارك التنزيل ١/ ٢١٤.

(٣) الكشاف ١/ ١٣٩.

"والساف فى البناء: كل صف من اللبن يقال: ساف من البناء وسافا "وثلاثة آسف وهى السوف. وقال الليث: الساف ما بين سافات البناء ألفه واو فى الأصل. وقال غيره: كل سطر من اللبن والطين فى الجدار ساف ومد ماك.." (١).

ثم قال الزمخشرى: "فإن قلت: هلا قيل: قواعد البيت وأى فرق بين العبارتين؟ قلت: فى إيهام القواعد وتبيينها بعد الإبهام ما ليس فى إضافتها لما فى الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم لشأن المبين"(٢).

وبهذا يتضح قيمة (من) فى النص فلا يمكن الاستغناء عنها. كما يثبت بما لاشك فيه أن جعلها للتبيين الذى ذكره النحاة يستلزم زيادتها فلا يكون هو المراد يقول الزمخشرى (الإيضاح بعد الإبهام..) بل يتحتم أن يكون المراد معنى (بعض) لأن فى هذا إيضاحا بعد إبهام. وعليه فـ (من) اسم بمعنى (بعض) وتعرب حالا أى حالة كون هذه القواعد أو تلك الصفوف من اللبن والطين بعض البيت.

وذكر أبو البقاء أن (من البيت) فى موضع نصب على الحال من (القواعد) أى كائنة من البيت. ويجوز أن يكون مفعولا به بمعنى رفعها عن أرض البيت"(٣).

ووضح ذلك زاده فقال: "إن (من) على الأول ابتدائية لا بيانية لعدم صحة أن يقال: التى هى البيت"(٤).

والذى أرى أن معنى (بعض) هو اللائق بالمقام إذ لا معنى لابتداء رفع القواعد بل إن فى معنى (بعض) معنى الابتداء فضلا عن معنى البيان والإيضاح بعد الإبهام.

---

(١) اللسان ص ٢١٥٣.

(٢) الكشاف ١/ ١٤٠ وانظر البحر المحيط ٢/ ٣٨٨.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٣٥.

(٤) حاشية زاده على البيضاوى ١/ ٤٢٠.

كما أنه لا معنى لابتداء كينونتها من البيت. فجعل (من) بمعنى (بعض) يغنى عن كل هذا وأما قول أبى البقاء إن (من) مفعول به وأن المعنى: يرفع بعض البيت عن القواعد فلا حاجة إليه لأنه ليس نابعا من نسق النص ولا صادرا عن نسجه بل فيه فرض لشئ عليه وما عهدنا ذلك فى نصوص العربية وفهمها.

هــذا: وقد عبر الجمل بقوله: "من البيت: نعت لــ (القواعد) أى القواعد التى هى من البيت أى بعضه المستتر فى الأرض ثم قال: "وهذا أوضح من قول الجلال: متعلق بــ: يرفع"[1].

ولعلــه لا يعنى معنى (النعت) الخاص الذى هو من التوابع بل يقصد النعت بالمعنى العام إذ هو يشمل الخبر والحال أيضا إذ كل منهما وصف للمبتدأ وصاحب الحال.

علــى أننــى لا أمنع ذلك لأن *(من البيت) تصلح أن تكون نعتا لــ (القواعد)* بالمعنى الاصطلاحى الخاص. وهى حينئذ فى محل نصب أيضا كما تعرب حالا.

وأمــا قــوله تعالى: "سيقول السفهاء من الناس .." فــ (السفهاء) جمع سفيه وهو: الخفيف العقل من قولهم: ثوب سفيه إذا كان شفيف النسج"[2].

ومــن ثم قال السمين: "من الناس: حال مبينة فإن السفه كما يوصف به الناس يوصف به غيرهم من الحيوان والجماد. وكما يثب القول إليهم حقيقة ينسب لغيرهم مجازا فرفع المجاز بقوله (من الناس) ذكره ابن عطية وغيره"[3].

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ١/ ١٢٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ص ٥٣١.

(٣) حاشية الجمل على الجلالين ١/ ١٣٦ وانظر المحرر الوجيز ١/ ٢١٨.

وأما قوله (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) فيقول فيه الزمخشرى: "من الفجر: بيان للخيط الأبيض. واكتفى به عن بيان الخيط الأسود لأن بيان أحدهما بيان للثانى.

ويجــوز أن تكون (من) للتبعيض لأنه بعض الفجر وأوله. وقوله (من الفجر) أخــرجه مــن باب الاستعارة كما أن قولك: رأيت أسدا مجاز فإذا زدت (من فلان) رجع تشبيها"(١).

وفى هذا النص أمران (**الأول**) أن أول الشئ بعضه. وهذا يؤكد أن الأصل فى معنى (من) البعضية.

(**الثانــى**) أن قولنا: رأيت أسد من فلان تشبيه لا تجريد إذ معناه: فلان يشبه أسدا. وليس معناه: تجريد أسد منه بمعنى أنه أصل تفرع عنه أسد.

وما دامت (مِنْ) فى (مِنَ الفجر) بمعنى (بعض) فهى تعرب حالا. قال الجمل: والمعنى على التبعيض حال كون الخيط الأبيض بعضا من الفجر"(٢).

والتعبيــر الدقيق لــ (بعض الفجر) فلا داعى لقوله (من الفجر) اللهم إلا إذا أراد أن كلمة (بعض) فيها إبهام و (من) بيان لها.

وجــوز أبو البقاء أن يكون (من الفجر) حالا من الضمير فى (الأبيض) وأن يكون تمييزا"(٣).

وبهــذا يتضح أن قوله تعالى (من الفجر) حال إما من (الخيط الأبيض) وإما من الضمير فى (الأبيض) على ما ذكره أبو البقاء.

وأرى أن الأول أوضح وأبين.

---

(١) الكشاف ١/ ١٧٤.

(٢) حاشية الجمل ١/ ١٨٠.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٤٧ وانظر البحر ٢/ ٥٢.

أمـــا (مـــن الخيط الأسود) فـــ (من) فيه للابتداء أى حتى يبتدئ تبيين الخيط الأبيض من الأسود.

وقـــول أبى البقاء (ويجوز أن يكون (من الفجر) تمييزا) لعله يعنى أنه تمييز محول عن الفاعل إذ الأصل: حتى يتبين لكم بعض الفجر بالخيط الأبيض أى النهار مختلطا بالخيط الأسود أى الليل.

وأرى أنه بعيد لأنه غير متفق مع نسق الآية.

وتبقـــى الآيـــة الرابعة من البقرة وهى قوله تعالى: "ألم تر إلى الملأ من بنى إســـرائيل) وقـــد ســـبق بيان معنى الملأ. وهو: الرجال خاصة وقد نقل الجمل عن الفـــراء قوله "الملأ: الرجال فى كل القرآن .. وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه ويجمع على أملاء مثل: سبب وأسباب"[١].

وقـــال الـــرازى: "وأصله: من الملء وهم الذين يملأون العيون هيبة ورواء وقـــيل: هم الذين يملأون المكان إذا حضروا. وقال الزجاج: الملأ: الرؤساء سموا بذلك لأنهم يملأون القلوب بما يحتاج إليه"[٢].

ونـــص عبارة الزجاج: "فالملأ: الرؤساء إنما سمو بذلك لأنهم ملء بما يحتاج إليه منهم. والملأ الذى فى الخلق إنما هو الخلق الملئ بما يحتاج إليه"[٣].

وذكـــر أبو حيان أن (من بنى إسرائيل) صلة لـــ (الملأ) لأن الاسم المعرف بالألف واللام عندهم يجوز أن يكون موصولا كما زعموا ذلك فى قوله:

لعمرى لأنت البيت أنت أكرم أهله

---

(١) حاشية الجمل.

(٢) من مفاتيح الغيب ٢/ ٣٠١.

(٣) معانى القرآن وإعرابه ١/ ٣٢٥: ٣٢٦.

فـ (أكرم) عندهم صلة لـ (البيت) لا موضع له من الإعراب كذلك (من بنى إسرائيل) العامل فيه لا موضع له من الإعراب.. ثم ذكر أن (من) تبعيضية"[١].

ومقتضى هذا أن (من بنى إسرائيل) متعلق بـ (كائن) كما هو معروف مألوف عند النحاة. وهذا المتعلق لا محل له من الإعراب لأنه صلة (الملأ) إذ هو بمعنى (الذى يملأ) عند الكوفيين. ومع أنه أى (كائن) لا محل له من الإعراب فهو عامل فى (من بنى إسرائيل) إذ (من) بمعنى (بعض). وهذا لا يخرجها عن أنها حال أى حالة كونهم بعض بنى إسرائيل.

والحق أن الآية ليست فى حاجة إلى كل هذا الإسهاب واللف والدوران حول المعنى إذا المسافة بين النص على ما هو عليه وبين العقل أقرب ما تكون فالملأ بعض بنى إسرائيل لا محالة. و (أل) فيه ليست موصولة لأن (أل) الموصولة لابد أن توصل بما فيه معنى الفعل نحو: ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ ١٨ الحديد. بدليل عطف قوله (وأقرضوا الله قرضا حسنا) على (المصدقين) وإعراب (من بنى إسرائيل) حالا ليس فى حاجة إلى تقدير (كائنا من بنى إسرائيل) كما ذكره أبو البقاء[٢].

آل عمران: فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾ ١٤. وقوله: ﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٢٥٣: ٢٥٤.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٥٨.

يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ . وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ٤٥، ٤٦.

أصل الشهوة من (حب الشهوات) فى الآية الأولى نزوع النفس إلى ما تريده. وذلـك فى الدنيا ضربان صادقة وكاذبة. فالصادقة: ما يختل البدن من دونه كشهوة الطعام عند الجوع. والكاذبة: ما لا يختل من دونه. وقد يسمى المشتهى: شهوة. وقد يقـال للقـوة التـى تشتهى الشئ شهوة. وقوله: "زين للناس حب الشهوات" يحتمل الـشهوتين وقـوله (اتـبعوا الشهوات) فهذا من الشهوات الكاذبة ومن المشتهيات المستغنى عنها"[١].

وقوله (من النساء) حال أى حالة كونها بعض النساء .. إلخ وقوله (من الذهب والفضة) حال من (القناطير المقنطرة) أى حالة كونها بعض الذهب والفضة[٢].

وذكـر الجمـل أنـه يحتمل أن يكون (من الذهب) متعلقة بالقنطرة من حيث تضمنها معنى الاجتماع ولذا قال الشارح: المقنطرة المجمعة[٣].

ومقتضى هـذا أن (من) ليست حـالا لأنها ليست اسمـا بمعنى (بعض) والنحاة يجعلون للحروف متعلقا كما هو معروف. ولكنى أرى أنها اسم بمعنى (بعض) فهى حال.

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص ٢٧١.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٧٢.

(٣) حاشية الجمل ١/ ٢٩٨.

وأمــا قــوله تعالــى: "ومن المقربين" و "من الصالحين" فـ (من) فيهما اسم بمعنى (بعض) والأول معطوف على (وجيها) أى حالة كونه (وجيها) وكونه (بعض المقــربين). وقــوله (ومن الصالحين) معطوف على (وكهلا) أى حالة كونه بعض الـصالحين. وصــاحب هذه الأحوال كلها هو (المسيح عيسى بن مريم) وهذا هو الواضح. ولكن الزمخشرى لا يراه حيث يقول: وجيها: حال من (كلمة) وكذلك قوله (ومــن المقربين) و (يكلم) و (من الصالحين) أى يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة- يعنى (كلمة) - لكونها موصوفة"[1].

وهــذا لا يمنع ما قلناه لأن (كلمة) مفســرة بقــوله (اســمــه المسيــح عيسى ابن مريم).

النساء وذلك أربع عشرة مرة فى الآيات الآتية قوله تعالى: ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾ ١١.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ﴾ ١٢ وقوله: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ ٢٤ وقــــوله: ﴿ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾ ٧٥ وقــــوله: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ ﴾ ٩٥ وقــــوله: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾ ٩٨ وقــوله: ﴿ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ ﴾ ١٢٧

---

(١) الكشاف ١/ ٢٧٩.

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ ١٤٥ وقوله: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ ١٤٨ وقوله: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ١٦١ وقوله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ١٦٢ وقوله: ﴿ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ﴾ ١٧٦.

ومعنى البعضية واضح جلى فـ (من) اسم واقع حالا أى حالة كون السدس بعض ما ترك. وكذا الربع والثمن أى حالة كون كل منهما بعض ما ترك. وحالة كون المحصنات بعض النساء. وكون المستضعفين بعض الرجال والنساء ... وحالة كون القاعدين بعض المؤمنين. وكون المستضعفين بعض الرجال. أو بعض الولدان. وكون الدرك الأسفل بعض النار. وكون الجهر بالسوء بعض القول. وكون الكافرين بعضهم. وكون الراسخين بعضهم. وكون الثلثين بعض ما ترك.

ودونك بعض نصوص لبعض العلماء فى بعض هذه الآيات. يقول أبو البقاء فى قوله تعالى: "لا يستوى القاعدون من المؤمنين..." : (من المؤمنين) حال وصاحب الحال (القاعدون) والعامل (يستوى) ويجوز أن يكون حالا من الضمير فى (القاعدون) فيكون العامل فيه (القاعدون) لأن الألف واللام بمعنى: الذى"(١).

ويقول فى قوله تعالى: "الدرك الأسفل من النار": (من النار) فى موضع الحال من (الدرك) والعامل فيه معنى الاستقرار ويجوز أن يكون حالا من الضمير فى: الأسفل"(٢).

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٠٨.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١١٢.

ومما يثبت أن (من) بمعنى (بعض) قول الزمخشرى: "الدرك الأسفل: الطبق الـذى فى قعر جهنم. والنار سبع دركات سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض"[١].

ويقول أبو البقاء فى قوله (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول): لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء كائنا من القول[٢].

ولسنا فى حاجة إلى تقدير: كائنا. لأن (من) اسم بمعنى (بعض) لا حرف.

المائدة مرتين فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ٥.

فالواو عاطفة (المحصنات من المؤمنات) على الطعام المحلل فى صدر الآية وهو: "اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم. والمحصنات حالة كونهن بعض المؤمنات.

أى أحـل لكـم نكـاحهن. وهؤلاء لَسْنَ من أهل الكتاب ولذلك عطف عليهن (والمحـصنات من الذين أوتوا الكتاب) أى اللاتى بعض أهل الكتاب ومن ثم فرق العلمـاء بـين (الإحـصان) هـنا و (الإحصان) فى المؤمنات. ففى هؤلاء يكون الإحصان بالإسلام وبالتزويج. ويمتنع هذان فى المحصنات من أهل الكتاب. فالمراد بالإحصان فيهن الحرية وعليه فلا يجوز نكاح الأمة الكتابية. وهناك آراء أخرى[٣].

---

(١) الكشاف ١/ ٤٥٠.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١١٢.

(٣) انظر المحرر الوجيز ٢/ ١٥٩ والبحر المحيط ٣/ ٤٣٢.

والـــذى يعنيـــنا هـــنا أن (من المؤمنات) و (من الذين أوتوا الكتاب) بمعنى (بعـــض) وهـــى حال. ومما ينبغى الالتفات إليه أن (أل) هنا يحتمل أن تكون اسما موصولا أى: واللاتى أحصن من المؤمنات. واللاتى أحصن من أهل الكتاب.

الأعراف وذلك فى خمس آيات هى:

قـــوله تعالى: ﴿ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ ٣٢ وقـــوله:﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ ﴾ ٦٠ وقوله: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ ١٠٩، ١٢٧ وقـــوله: ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ ١٥٥ وقوله: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾ ٢٠٥.

ففى قوله (والطيبات من الرزق) يكون المعنى: أى حالة كونها بعض الرزق. وهـــذا قريب فى المعنى من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ ١٧٢ البقرة. وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ ٢٦٧. فـــ (من) فى كل هذه الآيات اسم بمعنى (بعض).

وأمـــا آيـــات (قـــال الملأ من قومه) و (من قوم فرعون). فالمراد بالقوم فى الأولى قوم نوح. وفى الباقى قوم فرعون كما هو واضح أى حالة كون الملأ بعض قوم نوح أو بعض قوم فرعون. وقد سبق آيات آخر فيها (الملأ).

وأما قوله تعالى: "ودون الجهر من القول" فمعناه: حالة كون هذا الجهر بعض القــول. ومقتضى ظاهر هذه الآية أن ذكر الله يكون فى النفس أى بالحس الباطنى والشعور الداخلى بدون لفظ وهذا يتناسق مع قوله (تضرعا وخيفة) وأقوى ما يكون التضرع وكذ (الخيفة) إذا ما كان بالشعور الباطنى إذ اللفظ قد يشغل العقل ويصرف القلب عن هذه الخيفة وذلك التضرع فتلك مرتبة عليا فى التنزيل لله والخوف منه.

وأمــا المرتبة الثانية ففى قوله: "ودون الجهر من القول" أى أن ذكر الله كما يكــون بالإحــساس الباطنـــى والشعور الداخلى وهو الذى يستولى على المشاعر والأحاسيس. يكون أيضا باللفظ والنطق اللسانى بشرط أن يكون دون الجهر أى أقل مــنه فــنداء الله ليس فى حاجة إلى جهارة الصوت وقد سبق فى هذه السورة قوله تعالــى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ ﴾ ٥٥ وقــد فــسره العلماء بالاستكانة واعتقاد ذلك فى القلوب.. وقرئت (خفية) بضم الخاء و (خفيه) بكسرها والمراد بها الخوف والرهبة..

وهــناك من يرى أن ذكر الرب فى النفس لا يراعى إلا بحركة اللسان قالوا: ويــدل علــى ذلــك من هذه الآية قوله (ودون الجهر من القول) فهذه مرتبة السر والمخافتة باللفظ[1].

والذى أرجحه أن هناك حالتين لذكر الله حالة ذكره بالباطن استكانة وخضوعا وذلك بالقلب. وحالة باللسان. والمؤمن لابد أن يكون خاشعا متذللا لله ظاهرا بلسانه وباطنه بقلبه ووجدانه.

التوبة: فى أربع آيات هى:

قــوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا

---

(١) انظر المحرر الوجيز ٢/ ٤٩٤، ٤١٠.

مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ٣٨ وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ ٧٩ وقـــوله: ﴿ وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ ٩٠ وقـــوله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ ١٠٠.

لعلـك أيها القارئ تذكر أو تتذكر أن الآية الأولى قد ساد فيها قول علمائنا إن (من) بمعنى (بدل) أى أرضيتم بالحياة الدنيا بدل الآخرة. وقد نظـرها الزمخشرى بقـولـه تعالـى: ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴾ ٦٠ الزخرف. أى بدلكم[١].

وذكـر ابن هشام أن معنى البدلين هو متعلقها المحذوف وأما هى فللابتداء[٢] والتقديـر على هذا أرضيتم بالحياة الدنيا بدلا مبتدأ بالآخرة[٣]. ولست أدرى معنى ذلـك. بـل ربما أقول: إن الذين قالوه لا يستطيعون إدراكه لأنه يجعل الآخرة بدء البدل. وهل يمكن لهؤلاء الذين اثّاقلت أجسامهم إلى الأرض أن يدركوا ذلك.

ولهذا كله أستيقن أن (من) بمعنى (بعض) أى أرضيتم بالحياة الدنيا ومتاعها حالـة كونها بعض الآخرة. وما هى إلا بعض قليل. بدليل قوله تعالى تكميلا للآية: "فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل" فهذا قياس بديع عجيب يأخذ بالعقل حتى يستيقنه وبالنفس حتى تستشعره وبالقلب حتى يستنبطه.

وأمـا آيـة الزخرف فقد عرفنا أن (من) فيها بعضية أى لجعلنا بعضكم أى صـيرناه ملائكة. وهذا محال كما يفهم من قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ

---

(١) الكشاف ٢/ ٣١٣ وانظر القرطبى ص ٢٩٨٠.

(٢) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٦.

(٣) انظر إملاء ما من به الرحمن ٢/٨.

مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۔ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ ٨، ٩ الأنعام.

يقول الزمخشرى: "ولو نشاء: لقدرتنا على عجائب الأمور وبدائع الفطر (لجعلنا منكم) لولدنا منكم يا رجال (ملائكة) يخلفونكم فى الأرض كما يخلفكم أولادكم، كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد إلا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذلك"(١).

فـ (من) بمعنى بعض إذ الولد بعض والده. والابن بعض أبيه.

وأما قوله (المطوعين من المؤمنين) وقوله (المعذرون من الأعراب) وقوله (والسابقون الأولون من المهاجرين..) فـ (من) فى ذلك كله بمعنى (بعض) وتعرب حالا أى حالة كون الذين تطوعوا بعض المؤمنين. وحالة كون الذين اعتذروا بعض الأعراب. وحالة كون السابقين بعض المهاجرين والأنصار.

الحجر: ثلاث مرات فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ ﴾ ٢٤ وقوله:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ ٢٦.

أى حالة كون المتقدين بعضكم. وحالة كون الإنسان بعض صلصال وهذا الصلصال بعض حمأ مسنون قال الزمخشرى والصلصال: الطين اليابس الذى يصلصل وهو غير مطبوخ. وإذا طبخ فهو فخار. قالوا: إذا توهمت فى صوته مدا فهو: صليل. وإن توهمت فيه ترجيعا فهو: صلصلة. وقيل هو تضعيف صل إذا أنتن.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٠٦.

والحمأ: الطين الأسود المتغير والمسنون: المصور.. وقيل: المصبوب المفرغ أى أفرغ صورة إنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة فى أمثلتها.

وقـيل: المنتن من سننت الحجر على الحجر إذا حككته به فالذى يسيل بينهما سنين. ولا يكون إلا منتنا.

(مـن حمأ) صفة لـ (صلصال) أى خلقه من صلصال كائن من حمأ. وحق (مـسنون) بمعنى (مصور) أن يكون صفة لـ (صلصال) كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل.

ثم غيره بعد ذلك إلى جوهر آخر"[١].

وتقديـر الزمخشرى متعلقا بـ (من) يشى بأنها حرف لا اسم. ولعله يجعلها حـرف ابتداء. وقد نهج نهجه القرطبى حيث قال: "من صلصال: من لابتداء الغاية أو للتبعـيض. وهـذا الطـور آخر أطوار آدم الطينية. وأول ابتدائه أنه كان ترابا متفرقا ثم بل فصار طينا ثم ترك حتى أنتن وأسود فصر حمأ مسنونا أى متغيرا ثم يبس فصار صلصالا"[٢].

وإذا تأملـنا الآيـة حـق التأمل أدركنا أن ما خلق منه آدم بعض الصلصال وبعـض الحمـأ. ولذا أرى أن المعنى: خلقنا آدم حالة كونه بعض صلصال وحالة كون هذا الصلصال بعض حمأ مسنون. وبهذا يستغنى النص عن تقدير شئ.

النحل: فى آيتين هما:

قـوله تعالـى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ ﴾ ٢ وقـوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾ ٤.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٤٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ص ٣٦٣٧. وانظر حاشية الجمل ٢/ ٦٤٧: ٦٤٨.

قال أبو البقاء فى الأولى: "الروح: الوحى و (من أمره) حال من: الروح"[١].

وقال أبو حيان: "ومعنى (من) التبعيض"[٢].

وعلى هذا يكون معنى الآية: ينزل الملائكة بالوحى حالة كونه بعض أمره.

ولكــن هذا لا يروق نظر البيضاوى حيث يقول: "من أمره: أى بأمره أو من أجله" قال الشهاب الخفاجى: "يعنى (من) إما سببية أو تعليلية"[٣].

وقــال أبــو الــسعود: "من أمره: بيان للروح الذى أريد به الوحى فإنه أمر بالخير. أو حال منه أى حال كونه ناشئا ومبتدأ منه. أو صفة له على رأى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أى بالروح الكائن من أمره الناشئ منه. أو متعلق بــ (ينزل) و (من) للسببية كالباء .. أى ينزلهم بأمره"[٤].

وأرى أن هــذا كلــه ترداد لأقوال لا غناء فيها ولا ثمرة لها إذ الروح وهو الوحــى بعــض أمره. فأمر الله يقابل خلقه للأشياء وذلك فى قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ٥٤ الأعراف.

قــال الزمخشرى: "بأمره: بمشيئته وتصريفه وهو متعلق بــ (مسخرات) أى خلقهــن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره. وكما يريد أن يُصَرِّفها. سمى ذلك أمرا

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٤١.

(٢) البحر ٥/ ٤٣٧.

(٣) البيضاوى بحاشية الشهاب ٥/ ٣١١.

(٤) إرشاد العقل السليم ٣/ ١٦١.

على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك .. ولما ذكر أنه خلقهن مسخرات بأمره قال (ألا لـــه الخلـــق والأمر) أ هو الذى خلق الأشياء كلها. وهو الذى صرفها على حسب إرادته"(١).

فالأمـــر يقابـــل الخَلْـــق ومـــن ثـــم كان كل مخلوق مأمورا. وظاهر عبارة الزمخـــشرى وهـــى (الذى صرفها على حسب إرادته) أن الأمر بمعنى الإرادة وقد فـــرق بينهما القرطبى تفرقة جميلة فى سياق كلامه عن هذه الآية فقال: "قله الخلق وله الأمر خلقهم وأمرهم بما أحب وهذا الأمر يقتضى النهى. قال ابن عينية: فرق بـــين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر. فالخلق المخلوق. والأمر كلامه الذى هـــو غير مخلوق وهو قوله (كن)﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ ٨٢ يـــس ..... إلى أن يقول: "وإذا تقرر هذا فاعلم أن الأمر ليس من الإرادة فى شئ. والمعتزلة يقولون: الأمر نفس الإرادة وليس بصحيح بل يأمر بما لا يريد وينهى عما يريد. ألا ترى أنه أمر إبراهيم بذبح ولده ولم يرده منه.

وأمـــره نبـــيه ﷺ أن يـــصلى مع أمته خمسين صلاة ولم يرد منه إلا خمس صـــلوات. وقـــد أراد شهادة حمزة حيث يقول:﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَ ﴾ ١٤٠ سورة آل عمران. وقد نهى الكفار عن قتله ولم يأمرهم به. وهذا صحيح نفيس فى بابه فتأمله"(٢).

فالصواب أن (الخلق) و (الأمر) و (الإرادة) أمور ثلاثة ينفرد كل منها بمعناه.

ولما كان (الأمر) عام بحيث يقابل (الخلق) صح أن يكون ذا أبعاض.

ومـــن ثـــم جـــاز أن يكون (من أمره) أى بعض أمره. فلا احتياج إلى تقدير متعلق على ما يراه بعض العلماء. وسيأتى مثل ذلك فى آيات أخر.

---

(١) الكشاف ٢/ ٨٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٦٥٧: ٣٦٥٩.

وأما قوله تعالى: "خلق الإنسان من نطفة" فقد سبق له نظائر فيها (من) بمعنى (بعض) وهى حال أى حالة كونه بعض نطفة.

مريم: فى آية واحدة هى:

قــوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي ﴾ ٤ مريم أى حالة كونه بعضى.

وإذا وهن العظم سقط الجسم لأن العظم أعمدة الجسم وركائزه.

الأنبياء: فى آيتين هما:

قـــــوله تعالـــــى: ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴾ ٣٧ وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ ١١٠.

فالإنـــسان فى الآية الأولى: إما آدم عليه السلام فقد قيل: إنه حين بلغ الروح صـــدره ولم يتبالغ فيه أراد أن يقوم .. وقيل: إنه النضر بن الحارث وهما عن ابن عباس رضى الله عنه. قال الزمخشرى: "والظاهر ان المراد الجنس"(١).

وأما (عَجَل) ففيه ما يلي:

أ) قيل إن المراد به الاستعجال وهو مبالغة فى وصف الإنسان بكثرة العجلة .. ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴾ ١١ الإسراء(٢).

وربمـــا يفهـــم أن هناك تناقضا بين (خُلِقَ الإنسانُ من عَجَل) وبين بقية الآية (ســأوريكم آياتـــى فـــلا تستعجلون) وقوله (وكان الإنسان عجولا). إذ كيف يكون العجلة والاستعجال من طبيعة الإنسان ثم ينهى عنه؟

---

(١) الكشاف ٣/ ٩٣.

(٢) أمالى المرتضى ١/ ٤٦٥٠.

وقــد أجاب الزمخشرى عن هذا بأنه: "ليس النهى من تكليف ما لا يطاق لأنه كمــا ركــب فــيه الشهوة وأمره أن يغلبها لأنه أعطاه القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة"(١).

ب) ذهب أبو عبيدة ومحمد بن المستنير الملقب بـــ (قطرب) وغيرهما إلى أن فى الكـــلام قلـــبا. والمعنى: خلق العجل من الإنسان. وشاهدهم لذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ﴾ ٤٠ آل عمران. أى قد بلغت الكبر".

وذكر الجمل أن هذا مذهب أبى عمرو وقد يتأيد بقراءة عبد الله: خلق العجل من الإنسان"(٢).

وقد عرفنا أن القول بالقلب فى القرآن غير لائق فلا يجوز حمل القرآن عليه لأن ذلـــك لا يكون إلا فى موطن الضرورة وهو الشعر. فدعوى وجوده فى القرآن زائفة باطلة. وهذا دليل لعموم القلب فى القرآن. ولكن علماءنا لم يتركوا دعواه فى آيتنا هذه بدون إدحاض وإبطال وفى ذلك عدة أمور (أحدها) أنه لا فائدة فى دعوى القلب هنا إذ ما المراد بذلك؟

أيراد أن الله خلق فى الإنسان العجلة؟ لا يجوز هذا لأن العجلة فعل من أفعال الإنـــسان. فكـــيف تكـــون مخلوقة فيه لغيره ولو كان كذلك ما جاز أن ينهاهم عن الاستعجال فى الآية فيقول (فلا تستعجلون) لأنه لا ينهاهم عما خلقه فيهم.

(الأمـــر الثانـــى) لـــو أن الله خلق العَجَلَ فى الإنسان لما جاز أن ينهاهم عن الاســـتعجال كمـــا سبق وما دام الأمر كذلك فإن معناه حينئذ يكون مساويا للمعنى الأول وهو بدون دعوى القلب فى الآية. فلا حاجة إذاً إلى هذه الدعوى.

---

(١) الكشاف ٣/ ٩٣.

(٢) أمالى المرتضى ١/ ٤٦٦.

(الأمـــر الـــثالث) أن الآية على هذا القلب المزعوم لابد فيها من جعل (من) بمعنـــى (فـــى) أى خلق العجل فى الإنسان. وهذا تجوز على تجوز وتوسع على توســع لأن القلـــب مجاز بل هو من بعيد المجاز. ونكر العَجَل وإرادة غيره مجاز آخر. وإقامة (من) مقام (فى) كذلك أى مجاز ثالث(١).

جـ) يرى بعضهم أن معنى (عجل): ضعف والمراد: النطفة المهينة الضعيفة قالوا:

وهذا قريب إن كان فى اللغة شاهد على أن (العجل) يكون عبارة عن الضعف أو معناه.

د) يرى الأخفش أن الإنسان خلق من تعجيل الأمر لأنه تعالى قال: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ ٨٢ يس(٢).

هـــــ) قـــيل إن المـــراد بـــ (العجل): الطين. قال الزمخشرى: وهو لغة حمير قال شاعرهم: (والنخل ينبت بين الماء والعجل).

والله أعلم بصحته(٣).

وقال المجد: "والعَجَل محركة: الطين أو الحمأة"(٤).

ولكـــن الشريف الرضى أنكر وجود هذا المعنى وقال عن الشعر السابق إنه شعر مولد وقول فاسد"(٥) وعلق على هذا الأستاذ عبد الغنى حسن قائلا: "والشريف الرضى هنا يبدو ناقدا أديبا لغويا دقيقا فهو لا يَحْتَجّ بشِعْرِ مَنْ لا يُحْتَجّ بشعرهم من المولدين"(٦).

---

(١) حاشية الجمل ٢/ ١٢٨. انظر أمالى المرتضى ١/ ٤٦٨.

(٢) أمالى المرتضى ١/ ٤٦٩.

(٣) الكشاف ٣/ ٩٣.

(٤) القاموس: ٤/ ١٢.

(٥) تلخيص البيان ص ٢٣٠.

(٦) مقدمة تلخيص البيان ص ١٠٤.

وقـد ارتـضى هـذا المعنى الشريف المرتضى حيث قال: "فكأنه قال:خلق الإنـسان من طين. كما قال تعالى:﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴾ ٧ السجدة.

واستشهد بقول الشاعر:

والنبع ينبت بين الصخر ضاحية

والنخل ينبت بين الماء والعَجَل

ثـم ذكر أن بعضهم يطعن فى هذا المعنى ثم قال: "إلا أن البيت الذى حكيناه يمكـن أن يكـون شاهدا له. وقد رواه ثعلب عن ابن الأعرابي وخالف فى شئ من ألفاظه فرواه:

والنبع ينبت بين الصخر ضاحية

والنخل ينبت بين الماء والعجل

وإذا صـح هـذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله (فلا تستعجلون) هو: أن من خلق الإنسان – مع الحكم الظاهرة فيه – من الطين لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات.

أو يكـون المعنـى: أنه لا يحب لمن خلق من الطين المهين وكان أصله هذا الأصل الحقير الضعيف أن يهزأ برسل الله وآياته وشرائعه لأنه تعالى قال قبل هذه الآية: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ ٣٦ الأنبياء[1].

ومن العجيب أن ابن جنى يعترف بهذا المعنى لكلمة (عجل) ومع هذا ينكر أن يكـون مرادا فى الآية يقول ابن منظور: "قال ابن جنى: الأحسن أن يكون تقديره: خلـق الإنسان من عجل لكثرة فعله إياه واعتياده له وهذا أقوى معنى من أن يكون تقديره: خلق العجل من الإنسان.

---

(١) آمالى المرتضى ١/ ٤٦٩: ٤٧٠.

فلــست أدرى بعد ذلك كله ما المانع من أن تكون (عجل) بمعنى (طين) وقد عبر ابن جنى عنه بقوله (ولعمرى إنه فى اللغة كما ذكر) ومع هذا يأبى أن يقره فى الآية مع ما له ميزة وفضل على التعبير بـــ (طين) فى هذا المقام.

لهــذا كلـــه أرى أن المعنى: خُلِقَ الإنسان من طين ولكن اختير لفظ (عجل) لميزة فيه وهى: التناسق والتطـــابق بينه وبين قـــوله تعالـــى: ســـأوريكم آيـــاتى فلا تستعجلون.

وأما قوله (وكان الإنسان عجولا) فلا غضاضة فى صفة الإنسان بالاستعجال كما لا غضاضة فى قوله: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴾ ١٠٠ الإسراء ولا فى قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ ٥٤ الكهـف. ولا فى قوله: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ ٧٣ الأحزاب.

وإذا صـــح هذا كانت (من) اسما بمعنى (بعض) أى خلق الإنسان حالة كونه بعض عَجَلٍ أى طين. والله أعلى وأعز وأعلم.

وتبقـــى الآية الثانية من سورة الأنبياء وهى قوله: "إنه يعلم الجهر من القول. أى حالة كونه بعض القول. وقد سبق نظيره فى سورة الأعراف.

الحج: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ ٢٤ وقوله: ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ ﴾ ٣٠.

فـــ (من القول) حال من (الطيب) أى حالة كونه بعض القول. وهناك قول غيـــر طـــيب وقد سبق ذكره فى قوله تعالى: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ ١٤٨ النساء وهناك القول المعروف وهناك القول السديد ... إلى غير ذلك.

وقد نقل الجمل عن السمين فى آية الحج: "من القول: يجوز أن يكون حالا من (الطيب) وأن يكون حالا من الضمير المستكن فيه و (من) للتبعيض أو للبيان"[(١)].

وقــد رجحنا فيما سلف كون الحال من (الطيب) لا من الضمير. كما بينا أن جعـــل (مِنْ) للبيان يساوى جعلها زائدة إذ تقدير الآية عليه: إلى الطيب وهو القول. وهــذا غير النص إذ القول لا يكون كله طيبا كما عرفنا آنفا وأما آية الأوثان. فلعل القارئ قد لاحظ أنها كثر ذكرها فى مناسبات متعددة لأن شهرتها فى (من) التبيينة ملأت الآفات فهى دائما فى مقام المقيس عليه لهذا المعنى فيقال فى غير هذه الآية: (مـــن) للتبييـــين كما فى (من الأوثان) فليس غريبا علينا أن يقول الزمخشرى: "من الأوثـــان بيان للرجس وتمييز له كقولك: عندى عشرون من الدراهم. لأن الرجس مبهم يتناول غير شئ كأنه قيل: فاجتنبوا الرجس الذى هو الأوثان"[(٢)].

وإذا أمعنا النظر فى قول الزمخشرى (وتمييز له كقولك: عندى عشرون من الدراهم) لأدركنا إدراكا كاملا واضحا أن (من) بمعنى (بعض) لأننا – لا محالة – نـــدرك هذا المعنى فى ذاك المثال إذ العشرون بعض الدراهم لا كلها ولا أدل على ذلك من أن التمييز على معنى (من) فها هو ذا العلامة ابن مالك يقول فى خلاصته

اســم بمعنى (مِنْ) مبين نكــرة ... يُنْصَبُ تمييـــزا بما قـــد فسَّـــره

ولـــيس المراد بـــ (مبين) المعنى المذكور فى معنى (مِنْ) بل المراد أن (مِنْ) البعـــضية فيها معنى بيان وتوضيح لما قبلها وقد عرفنا ذلك غير مرة. وأما معنى

---

(١) حاشية الجمل ٣/ ١٦١.

(٢) الكشاف ٣/ ١٢٢ وانظر المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٥.

(التبيـــين) فترتب عليه زيادتها. ولذا كان أبو حيان دقيقا عميقا فى قوله: "وقد يمكن التبعيض فيها بأن يعنى بالرجس عبادة الأوثان. وقد روى ذلك عن ابن عباس وابن جريج فكأنه قال: فاجتنبوا من الأوثان الرجس وهو العبادة لأن المحرم من الأوثان إنمـــا هـــو العـــبادة. ألا نرى أنه قد يتصور استعمال الوثن فى بناء وغيره مما لم يحـــرمه الشرع. فكأن للوثن جهات: منها: عبادتها وهو المأمور باجتنابه وعبادتها بعض جهاتها"(١).

وهذا ما نراه لأنه لا يجرد الوثن من النفع بل يلفت الأذهان إلى أنه إنما خلق وسيلة للانتفاع به لا ليكون مجلبة للشرك بالله. ومما يؤيد هذا أن (الوثن) فى اللغة هـــو الحجر وقد ذكر ابن فارس أن اصل كلمة (وثن) قولهم: استوثن الشئ: قوى. وأوثن فلان الحمل: كثره. وأوثنت له: أعطيته جزيلا"(٢).

فالوثن حجر كثير المنافع جزيل العطاء ولكن عقيدة المشركين أضفت عليه ما يجعله مشنوءا تمجه العين ويحتويه البصر وينفر منه الطبع السليم. فكم هو مظلوم من بنى البشر الذين لم يفهموا قيمة الحجر.

هـــذا: ومما يثبت حرص علمائنا على ذكر الأقوال فى الآيـــة الواحدة سواء كان لها نفع أم لم تكن لها فائدة أن أبا حيان يجوز فى (من) أن تكون ابتدائية حيث قـــال: "فكأنـــه نهاهم عن الرجس عاما ثم عين لهم مبدأه الذى منه يلحقهم. إذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس"(٣).

وهـــذا واضح الضعف بين التخاذل ومن ثم قال ابن هشام: "إن معنى الابتداء فى هذه الآية تكلف"(٤).

---

(١) البحر ٦/ ٣٦٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٦/ ٨٥.

(٣) البحر المحيط ٦/ ٣٦٦.

(٤) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٥.

وبهــذا يتــضح أن معنى (بعض) فى هذه الآية صاحب القدح المعلى وغيره صاحب القدح المنيح.

المؤمنون فى آيتين هما:

قــوله تعالــى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ ١٢ وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ ٣٣.

ذكــر الزمخشرى فى الآية الأولى: أن (السّلالة) الخلاصة لأنها تُسَل من بين الكــدر و (فعالــة) بــناء للقلة كالقلامــة والقمامة. وعن الحسن: ماء بين ظهرانى العين. و (من) الأولى – يعنى: من سلالة – للابتداء. والثانية – يعنى: من طين – للبيان كقوله "من الأوثان"(١).

وجوز أبو السعود أن تتعلق (من) الثانية بــ (سلالة) على أنها بمعنى مسلولة فتكون ابتدائية كالأولى"(٢).

والواقع الذى لابد منه أن (من) فى حالتيها اسم بمعنى (بعض) فهى بيان لحالة الإنسان عند تكوينه فى طوره الأول. فهذا التكوين يكون فى حالة كونه بعض شئ يسل من غيره. وهذا الشئ المسلول يكون بعض طين. أى خلقناه حالة كونه بعض بعــض شــئ فالسلالة بعض الطين. وبعضها هو الذى كُوِّن منه الإنسان. ألا وهو الحيوان المنوى الذى يقوم بعملية تلقيح بويضة الأنثى وقد أفضنا القول فى ذلك سابقا.

فمعنــى الابــتداء هنا غيــر مــراد ولا أدل على ذلك من الآية الآتيــة فى سورة السجدة.

وأمــا قــوله (قال الملأ من قومه الذين كفروا) فــ (من قومه) حال أى حالة كونهم بعض قومه الذين كفروا.

---

(١) الكشاف ٣/ ١٤٠.

(٢) إرشاد العقل السليم ٤/ ٢٦.

وقبل هذه الآية آية أخرى فى حق قوم نوح ونصها: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ ٢٤ المؤمنون.

والذى يبده العقل أن الملأ من قوم نوح كانوا كلهم كفارا. ولما (من قوم) غيره فكانوا بعض قومه الكفار. وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على أن الكفر ساد أعيان ووجـوه قـوم نوح فلم يؤمن به إلا قليل. وهذا مصداق ما جاء فى سورة هود من قـوله تعالى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾ ٣٦ ثم قوله: ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ٤٠.

وفى سورة الشعراء قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ ١١١ أليس هؤلاء الأرذلون هم القليل الذين آمنوا به ونجوا معه فى الفلك؟!!

وأمـا الآيـة الأخرى التى هى فى حق غير قوم نوح ففيها أن الملأن بعض قـومه الـذين كفروا برسولهم الذى فى قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً ﴾ الآية رقم ٣٢ من السورة نفسها.

هذا ما بدا لنا وقد أَدْلَى أبو عبد الله الخطيب الإسكافى بِدَلْوِهِ فى الموازنة بين هاتـين الآيتـين فقال: "فى الآية الأولى – يعنى: آية قوم نوح – لما انقطعت صفة المـلأ إلى المحكى من قولهم قرن الوصف بـ (الذين) إلى الموصوف – يريد: قال المـلأ الـذين كفروا – ثم جئ بالجار والمجرور – يعنى: من قومه – فكان منتهى بيان فاعل: قال.

ولم يكن كذلك القصد في الآية الأخيرة لأنها عَدَّدَتْ أفعالا عُطِفَتْ على الفعل الـــذى هو صلة (الذين) فقدم الجار والمجرور - يعنى: من قومه - لئلا يحال بين الــصفة ومــا عطــف عليها فقال: "وقال الملأ من قومه الذين كفورا وكذبوا بلقاء الآخـــرة وأتــرفناهم فى الحياة الدنيا" فكان كل ذلك مما أتبع قوله (كفروا) ولو قال (وقال الملأ الذين كفروا من قومه وكذبوا بلقاء الآخرة) لم يكن على النظم المرتضى فيما يستفصح من الكلام وإن كان جائزا.

فلذلك قدم الجار والمجرور فى الأخيرة وأخر فى الأولى"[1].

ففــى هــذا النص نرى الخطيب الإسكافى ينظر إلى الآيتين نظرة تنسيق بين عناصر كل آية وهذه نظرة لا يستهان به فى الوقف على سر نظم كلمات القرآن فى عقــود تــتلألأ فــيها ويــزيد فى هذا التلؤلؤ وضع كل حبة فى مكانها الجديرة به والحريص عليها.

ولكــن لا ينبغــى أن تصرفنا هذه النظرة إلى النسق اللفظى عن المعنى الذى يتــرتب عليه. وذلك المعنى قد أشرنا إليه. من أن الكفر كاد يعم قوم نوح فما آمن معه إلا قليل. وأما فى الآية الأخيرة فالكفر ساد بعض القوم.

وممــا ينبغى التنبيه إليه تعبير أبى عبد الله الخطيب بقوله (الجار والمجرور) وهذا لا يستغرب منه لأن عنايته واهتمامه كانا منصبين على نسق الآيتين فلا ينبغى أن يــصــرفنا هذا التعبير عن أن (من قومه) حــال و (من) اســم بمعنى (بعض) فــلا تحتاج إلى متعلق ولكن على أنه (جار ومجرور) فهو محتاج إلى ذلك وهــذا غير مراد هنا لما يترتب عليه من دعوى حرفية (من). وقد عرفنا أنها اسم.

النور: فى ثلاث آيات هى:

قــوله تعالــى: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ ﴾ ٣٢ وقــوله: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ﴾ ٥٩ وقوله: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ ٦٠.

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ص ٢٥٦: ٢٥٧.

أى حالـــة كـــون الأيامـــى بعضكم. والأيامى جمع (أيم) وهو وصف للرجل والمرأة غير المتزوجين.

وإذا بلـــغ الأطفـــال حالة كونهم بعضكم أى من ذريتكم. والقواعد جمع قاعد وهى المرأة التى قعدت عن الحيض والولد أى حالة كونهن بعض النساء.

الشعراء فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ١٦٥.

قال الزمخشرى: "أراد بـــ (العالمين) الناس أى أتأتون من بين أولاد آدم عليه السلام – على فرط كثرتهم. وتفاوت أجناسهم. وغلبة إناثهم على ذكورهم فى الكثرة – ذكر أنهم كأن الإناث قد أعوزتهم.

أو أتأتـــون أنتم – من بين من عداكم من العالمين – الذكران. يعنى: أنكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة. و (العالمون) على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان"(١).

فعلى الوجه الأول وهو: أن المراد بـــ (العالمين) الناس يكون (من العالمين) حـــال من (الذكران) أى حالة كونهم بعض الناس إذ (الناس) يشمل الرجال والنساء فهو حال من المفعول به.

وعلى الوجه الثانى وهو: " أن المراد بـــ (العالمين) كل ما ينكح من الحيوان" يكون حالا من الفاعل وهو الواو وفى (تأتون) أى: أتأتون الذكران دون الإناث مع أن الذكـــران مـــن سائر الحيوان لا يفعلها بل كل ذكر يأتى أنثاه وما علمنا أن ذكر الأتـــان قد أتى حمارا أو ذكر الضأن قد أتى خروفا أو كباشا. أو ذكر المعز قد أتى جديا. بل كل ذكر لا يأتى إلا أنثاه.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٥٩: ٢٦٠.

وهــذا الوجه يدل على بشاعة تلك الفاحشة لأنها تنزل بمن يأتيها إلى مستوى وضــيع هــابط جدا ليس له دون ولا أقل من ذلك. لأن من ميزه الله بالعقل يتدنى ويتدلــى بارتكاب ما يتنزه عنه سائر الكائنات الحية التى ليس لها من العقل ما لبنى الإنسان الذى كلفه الله بناء على ما وهبه من عقل وتفكير.

ولكــن لله فى خلقه شئون ويبدو أن هبة العقل هى التى تجعل الإنسان إما فى أعلى المراتب وأسمى الدرجات وذلك حينما يستعمل عقله ويستمسك بما كلفه الله به وإمــا فى أحط المراتب وأدنى الدركات حينما يتجرد عن عقله وينأى عما كلفه الله به. وقــد جـــاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ ١٦ النساء.

بل إنى أقول: ليست هذه الفاحشة مقصورة على ذكور بنى آدم بل هناك من إناثــه من يباشر الأنثى دون أن يستجيب للذكر وبذلك يكون بعض الذكران وبعض النــسوان منحــرفا متفحشا على حين لا نرى ذلك فى غير بنى آدم. وهذا فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّـٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ ﴾ ١٥ من النساء.

السجدة: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٖ ﴾ ٧٠.

أى وبدأ خلقه حالة كونه بعض طين. ولا يحتمل أن تكــون (من) ابتدائية إذ لا معنــى لقولنا وبدأ ابتداءه .. وهذا ما يؤكد ويؤيد منهجنا فى تحقيــق هذا المعنى لـــــ (من). وقد علمنا فى آيات سابقات أن من العلماء من يجعل (من) ابتدائية فى مثل هذه الآية ولكن هذه الآية تدحض ذلك كله.

الأحزاب: فى ثلاثة آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ ﴾ ١٨ وقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ٢٩ وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ ٣٦.

أى يعلم الله المعوقين حالة كونهم بعضكم. وأعد الله للمحسنات حالة كونهن بعضكن أى يا أزواج النبى عليه السلام. ولابد أن يكون لـ (من) هنا أثر فى المعنى بحيث تجعل أزواج النبى عليه السلام لسن على درجة سواء فى الإحسان. وإلا لكان النص: فإن الله أعد لكن أجرا عظيما. ولكن علماءنا يأبون إلا حمل الآية على ما يجعل (من) زائدة فها هو ذا الزمخشرى على جلال شأنه - حسب علمنا - وقدرة فهمه يقول: "منكن: للبيان لا للتبعيض"(١).

ولقد عهدنا وعلمنا وعرفنا أن معنى التبيين يجعلها زائدة. ولذا نأينا عن هذا المعنى وارتضينا معنى (بعض) أى لمن تدوم وتبقى منكن أى حالة كونها بعضكن. ولو أمن على ذلك كلهن فإن الله لا يخلف وعده. والآية لا تمنع فضله. فهل لذلك من مستبصر؟!

أما الآية الثالثة فهى تنص على أن الله إذا قضى أمرا فليس لمؤمن ولا لمؤمنة الخيرة حالة كون هذه الخيرة بعض أمرهما.

قال الزمخشرى: "إذا قضى الله ورسوله: أى رسول الله أو لأن قضاء رسول الله هو قضاء الله. (أمرا) من الأمور أن يختاروا من أمرهم ما شاءوا بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره.

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٢٣.

فإن قلت: كان من حق الضمير – يعنى فى أمرهم – أن يوحد كما تقول: ما جاءنى من رجل ولا امرأة إلا كان من شأنه كذا.

قلت: نعم ولكنهما وقعا تحت النفى فعَمَّا كلَّ مؤمن ومؤمنة. فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ.. و (الخيرة) ما يتخير"[١].

ويرى أبو حيان أنه: "لما كان قوله (لمؤمن ولا مؤمنة) يعم فى سياق النفى جاء الضمير مجموعا على المعنى فى قوله (لهم) فغلبا فيه المذكر على المؤنث.

ومن ثم لم يرض – كعادته كثيرا – عن رأى الزمخشرى بل رد عليه قائلا: "ليس كما ذكر لأن هذا عطف بالواو فلا يجوز إفراد الضمير إلا على تأويل الحذف أى ما جاءنى من رجل إلا كان من شأنه كذا. وتقول: ما جاء زيد ولا عمرو إلا ضربا خالدا. ولا يجوز إلا ضرب إلا على الحذف كما قلنا"[٢].

هكذا ورد نص أبى حيان وفيه نظر لأنه لا فرق بينه وبين نص الزمخشرى إلا بما زاده عليه وهو قوله (وتقول ما جاء زيد ولا عمرو .... إلخ) فهذا من أساليب المعرفة فى سياق النفى. وما نحن فيه من أساليب النكرة. ومن المقرر المكرر الذى بألفة دارسو اللغة أن النكرة فى سياق النفى تعم وهذا ما قرره الزمخشرى. وهو من الوجاهة بمكان ومكانة غير أنه محتاج إلى ما ذكره أبو حيان من تغليب المذكر على المؤنث. وبهذا يستقيم الكلام فى معنى الآية أى أن جمع الضمير فى (لهم) للعموم فى (مؤمن و مؤمنة) إذ وقعا فى سياق النفى ثم للتغليب فى جانب المذكر على المؤنث.

أما ما ذكره الزمخشرى من قوله (ما جاءنى من رجل .. إلخ) وأعاده أبو حيان. فليس ما نحن فيه هنا لأن فى هذا استغراقا بـ (من) الاستغراقية الداخلة

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٢٧.

(٢) البحر المحيط ٧/ ٢٣٤.

على النكرة وهى (رجل) و (امرأة) أى ما جاء بعض جنس الرجل ولا بعض جنس المـرأة ومـن ثـم صح إفراد للضمير فى (إلا كان من شأنه كذا) لأن المراد بـ (بعض) أحد. بدليل أنه لا يجوز ما جاءنى من رجل بل رجلان.

وإنمـا يجوز ذلك فى (ما جاءنى رجل بل رجلان) بدون (من). وهكذا يكون لكل أسلوب معناه على حسب كلماته التى ترد فيه.

يسن: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ ٣٦.

قال الزمخشرى: "الأزواج: الأجناس والأصناف. (ومما لا يعلمون) أى ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها بطريق من طرق العلم.

ولا يـبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا إلى العلم به لأنه لا حاجة بهم فى دينهم ودنياهم إلى ذلك العلم. ولو كانت بهم إليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون ..."[(١)].

ويفهـم مـن هذا النص أن هناك أزواجا لا يعلمها البشر ومن ثم لا يعلمون أصـلها. وسـبحان الـذى يعلم من وما خلق ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ ١٤ الملك.

ومعنـى الآيـة أن الله خلق تلكم الأزواج حالة كونها بعض ما تنبت الأرض وحالة كونها بعض أنفسهم وحالة كونها بعض ما لا يعلمون.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٢.

ص: في آية واحدة هي:

قوله تعالى: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴾ ٦ أى حالة كونه بعضهم. وقد سبق مثل هذه الآية.

غافر: في آية واحدة هي:

قوله تعالى: ﴿ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾ ١٥.

وقد سبق نظيرها في سورة النحل. قال أبو البقاء فيها: "الروح: الوحى و (من أمره) حال من: الروح".

وقال أبو حيان: "ومعنى (من) التبعيض".

فالتأويل: حالة كونه بعض أمـره. ولكن البيضاوى يـرى أن المعنى بأمره أومن أجله. وقد سبق الرد على ذلك.

محمد: في آية واحدة هي:

قوله تعالى: وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ ٣١.

أى حالـة كونهم بعضكم. وكذا الصابرون منهم أى بعضهم ففى الآية إيجاز بالحذف للعلم بالمحذوف.

الفتح: في آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا﴾ ١١ وقـوله: ﴿ قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ ﴾ ١٦ أى حالة كونهم بعضهم.

النجم: فى آية واحدة.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ . مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴾ ٤٥: ٤٦.

أى حالة كونهما بعض نطفة وقد سبق تحقيق القول فى ذلك.

الرحمن: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ . وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴾ ١٤: ١٥.

وقد سبق الحديث عن مثل الأولى. أما الثانية فيقول فيها الزمخشرى: "من نار: بيان لـ (مارج) كأنه قيل: من صاف من نار. أو مختلط من نار. أو أراد: من نار مخصوصة"(١).

وقد عرفنا أن (من) البعضية فيها معنى البيان. فالمعنى فى الآيتين: خلق الإنسان حالة كونه بعض صلصال. وخلق الجان حالة كونه بعض مارج. و (من نار) وَصْفٌ لـ (مارج) لأنه نكرة. وهى بمعنى (بعض) أيضا.

الحشر: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡ ﴾ ٧.

أى حالة كونهم بعضكم. وكأن الآية تمنع أن يكون المال وقفا على طائفة دون أخرى من المؤمنين . بحيث لا يناله منه الفقراء ويكون كله فى حوزة الأغنياء.

الممتحنة: فى آية واحدة.

قوله تعالى: ﴿ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴾ ١٣.

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٥٤.

و (من) الأولى ابتدائية مرتبطة بـ (يئسوا) فيأسهم من الآخرة. أما (من) الثانية فهي مناط بحثنا هنا وهي بعضية أى كما يئس الكفار حالة كونهم بعض أصحاب القبور. فكأن اليأس صفة ملازمة للكفار وهما أحياء ثم بعد موتهم وإقبارهم.

ولكن الزمخشرى يجعل (من) الثانية للبيان أى الكفار الذين قُبِرُوا(١).

وواضح أن هذا يستلزم زيادة (من) وما هذا بسديد ولا برشيد.

ولذا كان ما ذكره الجمل أجدر وأحق بالقبول حيث يقول: "من: تبعيضية ومدخولها فى محل نصب على الحال أى كما يئس الكفار حال كونهم بعض المقبورين إذ المقبورون منهم المؤمن والكافر"(٢).

وكان عليه أن يقول: منهم المؤمن ومنهم الكافر حتى لا يقع أحد فى لبس وليس معنى هذا أن عبارته خطأ بل قد ورد لها نظائر فى القرآن كما عرفنا فى آيات سابقة نحو قوله: ﴿ مِنْهَا قَآيِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ ١٠٠ وقوله: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ١٠٥ هود.

وقوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ ١٣ الصافات.

هذا: وجوز أبو البقاء أن تتعلق (من) الثانية بـ (يئس) أى يئسوا من بعث أصحاب القبور"(٣).

وعلى هذا تكون (من) حرف ابتداء. وقد نقله الجمل عن السمين ثم ذكر أن المعنى أنهم لا يوقنون ببعث الموتى البتة(٤).

---

(١) الكشاف ٤/ ٤١٧.

(٢) حاشية الجمل ٤/ ٣٣٤: ٣٣٥.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٣٧.

(٤) حاشية الجمل ٤/ ٣٣٤.

وبأدنى إلتفاتة ذهنية يثبت أن المقام لمعنى البعضية لا الحرفية.

الطارق: فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ ٥، ٦.

فــ (مــن) فى (مم) داخلة على (ما) الاستفهامية. وإذا دخل عليها شئ مما خففها حـذفت ألفهـا سواء أكان هذا الخافض حرفا نحو قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ٦٥ آل عمران ونحو قوله: ﴿ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ ٣٥ الـنمل. ونحو قوله: ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾ ٤٣ النازعات.

أم كان اسما نحو قـوله تعالـى: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ . عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ١، ٢ النبأ.

فقد عرفنا أن (عن) اسم دائما ودعوى حرفيتها أحيانا باطلة. ومثل هذه الآية آيـة الطارق وهى: "مِمَّ خلق. خلق من ماء دافق" فــ (من) هنا اسم بمعنى (بعض) أى فلينظر الإنسان بعض أى شئ خلق. خلق حالة كونه بعض ماء دافق. يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة. قال الزمخشرى: "ولم يقل ماءين لامتزاجهما فى الرحم واتحادهما حين ابتدئ فى خلقه".

وذكر ابن عطية أنه يجوز أن يكون الضمير فى (يخرج) للإنسان أى يخرج الإنسان من بين الصلب والترائب.

وهـذا – وإن كـان غير مشهور – غير مردود لأن ذلك الماء هو الإنسان بجملـته وبالتأمل بين أوله وما انتهى إليه تكوينه وصورته تذهل العقول وترتجف

القلـــوب لما فى هذا من نقلة هائلة لا يقدر عليها إلا قدير لطيف خبير بصير يخلق من الحبة قبة كما يقال.

ولعلـــك تلمـــح من قـــول الـــزمخشرى (حين ابتـــدئ فى خلقـــه) أن (من) حرف ابتداء.

وقـــد عرفنا ما فى ذلك من ضعف وتخاذل. لأن تلك الحال هى التى يصور فيها المخلوق فهى حالة أولى من حالات تصويره.

العلق: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾ ٢ أى خلقه حالة كونه بعض علقة وقد وضحنا ذلك توضيحا فيما سلف.

تعقيـــــب:

هناك آية وقعت فيها (من) حالا وصاحب هذه الحال مضاف إلى ما فيه (أل): وهى قوله تعالى: ﴿ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ ﴾ ٢٤ يـــونس أى حالـــة كونه عض ما يأكله الناس والأنعام. فالحال صاحبها (نبات) وهو مضاف و (الأرض) مضاف إليه. فليست (أل) فيه بل فيما أضيف إليه.

النوع الرابع: آيات (من) الواقعة حالا وقبلها اسم شرط وهو: إما من أو ما أو لهما.

أولا: آيـــات: من.

وهى فى السور الآتية:

البقرة فى أربع آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ ﴾ ١٨٢ .

فـــ (مَـــنْ) شرطية وجوابها: فلا إثم عليه. و (مِنْ موص) يحتمل أن تكون (مِـنْ) حـــرف ابتداء مرتبط بـــ (خاف) ومعنى (خاف) ظن أو علم والخائف غير الموصى. أى من علم من موص جنفا أو إثما فأصلح بين الموصى لهم فلا إثم عليه.

ويحـــتمل – وهـــو الأقـــوى – أن يكون (مِنْ موص) حالا من فاعل (خاف) فالخائف أى العالم بالجنف أو الإثم ليس غير الموصى بل هو من أفراده.

وذلـــك بأن يوصى أحد بوصية ثم يعلم أنه ارتكب جنفا أو إثما فى حق بعض الموصى لهم فأصلح بينهم فلا إثم عليه.

و (مِنْ موصى) على هذا الوجه حال فهى اسم بمعنى (بعض) والمعني: فمن خـــاف حالةَ كونه بعض الموصين جنفا أو إثما فأصلح فلا إثم عليه. وفاء (أصلح) عاطفـــة لـــه على (خاف) بمعنى (علم أو ظن) وأما فاء (فلا إثم عليه) فواقعة فى جواب (من خاف) إذ (من) شرطية.

ذكـــر أبـــو حيان هذين الوجهين قائلا: و (من موص) متعلق بـــ (خاف) أو بمحـــذوف تقديره كائنا (من موص) وتكون حالا إذ لو تأخرنا لكان صفة .. ويكون الخائف على هذين التقديرين ليس الموصى.

ويجـــوز أن يكون (من) لتبيين جنس الخائف فيكون الخائف بعض الموصين علـــى حـــد: من جاءك من رجل فأكرمه. أى من جاءك من الرجال. فالجائى رجل والخائف هنا موص .. وهذا المعنى لم يذكره المفسرون"[١].

ولا يخفى على ذى إدراك سليم وفهم مستقيم أن المراد بالبيان هنا: البيان الذى تقوم به (من) البعضية لأن أبا حيان ينكر (التبيين) معنى لها.

وإنما معنى البعضية. يتضمن معنى البيان.

وفى أدوات الشرط إيهام كما فى الاسم الموصول واسم الإشارة. وما من إيهام إلا له بيان.

---

(١) البحـــر المحـــيط ٢/ ٢٤. وانظـــر إمـــلاء ما من بـــه الرحمـــن ١/ ٤٤ ومن مفاتيـــح العلـــوم ٢/ ١١٦: ١١٧.

أمــا تعلــق (من) بــ (خاف) فيترتب عليه غموض فى معنى (خاف) إذ أنه يجوز أن يكون للمستقبل. والوصية – على هذا الوجه – قد وقعت فكيف يمكن تعلق (من) به.

والذى أثار هذا الاعتراض أو الإشكال هو الفخر الرازى ثم ذكر الإجابة عليه بــثلاثة أمور (أولها) وهو أرجحها: "أن المراد أن هذا المصلح إذا شاهد الموصِى يُوصِى فظهرت منه أمارات الْجَنَف الذى هو الميل عن طريقة الحق مع ضَرْبٍ من الجهالة أو مع التأويل أو شاهد منه تعمدا فى العدول عن الحق .. أخذ فى الإصلاح لأن إصلاح الأمر يكون عند أمارات فساده ... ومعنى الخوف على هذا: الظن"[(١)].

ولكــن هذا لا يمنع أن يكون حاضروا المحتضر يودون منه انتقاص نصيب مــستحق وزيــادة نصيب آخر. وقد يأبى المحتضر ذلك فهو الخائف لا هم وعليه يتــرجح – أن لم يصح – جعل (من) اسما بمعنى (بعض) وإعرابها حالا أى فمن خاف حالة كونه بعض الموصين جنفا أو إثما ... إلخ.

وقوله: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ ١٨٤.

وقوله: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ ١٨٥ يقول أبو البقاء: "منكم": حال من ضمير الفاعل ومفعول (شهد) محذوف أى شهد المعد"[(٢)].

ويــرى أبو حيان أن فى هذا تناقضا لأن (منكم) حال من الفاعل وهى متعلقة بــ (شهد) فيتناقض لأن جعلها حالا يوجب أن يكون العامل محذوفا. وجعلها متعلقة بــ (شهد) يوجب ألا يكون حالا.

ومــن ثــم قرر أن (منكم) فى موضع حال من الضمير المستكن فى (شهد) فيتعلق بمحذوف تقديره: كائنا منكم"[(٣)].

---

(١) مفاتيح الغيب ٢/ ١١٦: ١١٧ بتصرف.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٤٦.

(٣) البحر المحيط ٢/ ٤١ ببعض تصرف.

والحق أن الآية ليست فى حاجة إلى تقدير لأن (من) اسم بمعنى (بعض) أى فمن شهد حالة كونه بعضكم الشهر فليصمه.

وقــوله: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ ١٩٦.

وقــوله: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ ٢١٧.

فــ (من) شرطية فى هذه الآيات و (منكم) بعدها حال أى حالة كونه بعضكم. وقد علمنا فى الاسم الموصول أنه صاحب الحال وهناك من يرى أن الضمير العائد عليه هو صاحب الحال[1]. والأول فى نظرنا هو الأقرب والأقوى.

ويــرى زاده والجمــل فى قوله (فمن كان منكم مريضا أو به أذى ...) أن (منكم) حال من (مريضا) مقدم عليه و (من) للتبعيض"[2].

ولا يخفــى ما فيه من قبح إذ لا داعى لدعوى التقديم والتأخير فــ (من) حال إما من (من) وإما من ضمير (كان) العائد عليها أى حالة كونه بعضكم و (مريضا) خبر (كان).

ولا يعتــرض علــى هذا بأن الحال مقدمة على خبر (كان) لأن ذلك جائز إذ الحــال يجوز تقديمها على عاملها وصاحبها ما دام عاملها منصرفا لا جامدا فقــد قال ابن مالك:

والحــال ينــصب بفعــل صُرِّفا ... أو صــفة أشــبهت المـصَرَّفا
فجـــائز تقديمه كمســـرعـــا ... ذا راحل ومخلصـــا زيــد دعـــا

---

(١) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٤٦.

(٢) انظر حاشية زاده على البيضاوى ١/ ٥٠٤ وحاشية الجمل على الجلالين ١/ ١٧٦.

ومن ذلك فى القــرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ ﴾ ٧ القمــر ... وقــال الرضى: "وأما نحو: جاء راكبا زيد فلشدة طلب الفعل للفاعل فكأن الفاعل وَلِىَ الفعل والحال وَلِىَ الفاعل"[1].

النساء: فى آيتين هما:

قــوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ ٢٥ وقــــوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ ١٢٤.

ففــى الآية الأولى يعرب (منكم) حالا أى حالة كونه بعضكم. وأما قوله (فمن مــا ملكــت) فــ (من) مفعول لمحذوف أى فانكحوا بعض ما ملكت أيمانكم و (من فتياتكم) حال من (ما) كما علمنا.

ولمــا الآيــة الثانية فــ (من الصالحات) مفعول لــ (يعمل) وهى اسم بمعنى (بعض) أى من يعمل بعض الصالحات حالة كون بعض الذكور أو بعض الإناث .. فأولئك يدخلون الجنة.

وتأمــل هداك الله لو جاء التعبير هنا لــ (بعض) دون (من) هل كنت واجدا تلك السهولة وذلك التيسير فى النطق والتعبير؟!

المائدة: فى خمس آيات هى:

قــــوله تعالـــــى: ﴿ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ١٢ وقوله: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ ٥١ وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) شرح الكافية ١/ ٢٠٦.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ﴾ ٥٤.

وقــوله: ﴿ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾ ٩٥.

وقــوله: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ١١٥.

ففــي الآية الأولى: فمن كفر بعد ذلك حالة كونه بعضهم. وفى الثانية: ومن يـتولهم حالـــة كونه بعضكم فإنه مثلهم كما سبق بيانه. وفى الثالثة: من يرتد حالة كونه بعضكم .. وفى الرابعة: ومن قتله حالة كونه بعضكم .. والخامسة: فمن يكفر بعد حالة كونه بعضكم.

الأنعام: فى آية واحدة هى:

قــوله تعالى: ﴿ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ٥٤.

التوبة: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ٢٣.

هود: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ ١٧ أى حالة كونه بعض الأحزاب.

النحل: فى آية واحدة هى:

قـــوله تعالــــى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ ٩٧.

الإسراء: فى آية واحدة هى:

قــوله تعالــى: ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ ٦٣.

الأنبياء: فى آية واحدة هى:

قــوله تعالــــى: ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ ٢٩.

الفرقان: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ ١٩.

الأحزاب: فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ ٣٠. وقــوله: ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ ٣١ وقوله: ﴿ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ ٥١.

سبأ: فى آية واحدة هى:

قــوله تعالــى: ﴿ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ ١٢ يلاحــظ أن (مــن عذاب) مفعول به أى بعضه. أما الحال فهو (منهم) أى حالة كونه بعضهم.

غافر: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ ٤٠.

الممتحنة: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ١.

ولا يخفى على ذى بصيرة أن (منكم) أو (منهم) أو (من الأحزاب) أو (من ذكر أو أنثى) .. أو غير ذلك حال وقد ذكرت بين أداة الشرط وفعله وبين جوابه وقد عرفنا أن ذلك غير ممنوع.

ثانيا: آيات (ما) الشرطية وهى من السور الآتية:

البقرة: عشر مرات فى سبع آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ ١٠٦ وقوله: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ١١٠ وقوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ ١٩٧ وقوله: ﴿ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ ٢١٥ وقوله: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ ٢٧٠ وقوله: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا

تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ ﴾ ٢٧٢

وقوله: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ ٢٧٣.

ولنا وقفه مع بعض هذه الآيات:

١- قوله (ما ننسخ من آية ...).

يقـول أبو حيان: "من: هنا للتبعيض و (آية) مفرد وقع موقع الجمع ونظيره (فارس) فى قولك: هذا أول فارس. التقدير: أول الفوارس.

والمعنـى: أى شئ من الآيات. وكذلك ما جاء من هذا النحو فى القرآن وفى كلام العرب تخريجه هكذا نحـو قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ ﴾ ٢ فاطر وقوله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ ﴾ ٥٣ النحل وقولهم: من يضرب من رجل أضربه.

ويتـضح بهذا المجرور ما كان معمولا لفعل الشرط لأنه مخصص له. إذ فى اسـم الـشرط عمـوم. فلو لو لم يأت بالمخفوض لحمل على العموم لو قلت: من يـضرب أضـرب. كان عاما فى مدلول (من) فإذا قلت (من رجل) اختص جنس الـرجال بـذلك ولم يدخل فيه النساء. وإن كان مدلول (من) عاما للنوعين. ولهذا المعنى جعل بعضهم (من آية) وما أشبهه على التمييز قال: والمميز (ما) والتقدير: أى شئ ننسخ من آية"(١).

ومن هذا النص نستنبط النقاط الآتية:

أ) أن المفـرد الواقع بعـد (من) يفيـد معنى الجمـع فـ (من) مبعضة له كمـا هو واضح.

---

(١) البحر المحيط ١/ ٣٤٢.

ب) أن فى (مِنْ) تخصيصَ عمومِ (ما) وهذا يزيد معنى (البعضية) قوة على قوة.

ج) أن أبـــا حيان يجعل (من) البعضية مبينة وهذا ما نراه كما قررناه غير مرة. ولذا لا نقر ابن هشام على قوله: "من: فى هذه الآية للتبيين"[١].

لأنها بعضية تفيد البيان. وذلك عكس ما ذكره ابن يعيش حيث يقول: "وكونها لتبيـين الجنس كقولك: ثوب من صوف. وخاتم من حديد. وربما أوهم هذا الضرب التبعيض"[٢].

فـــابن يعيش على غير المشهور المقرر لدى جمهور العلماء إذ الغالبية منهم على أن (من) تفيد التبعيض بل لا خلاف فى ذلك. وأما إفادتها (التبيين) ففيه خلاف بل إن كثيرا من العلماء قد أنكره كما علمناه غير مرة.

فمقتضى هذا أن (من) التبعيضية هى التى تفيد البيان.

د) لم يشر أبو حيان إلى القول بزيادة (من) فى هذه الآية بل قد رده حيثما رأى أبا الـبقاء يقول: "ويجوز أن تكون زائدة و (آية) حال. وقد جاء (آية) حالا فى قوله تعالى: ﴿ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ ٧٣ الأعراف[٣].

قال أبو حيان: "وهذا فاسد لأن الحال لا يجر بـــ (من)"[٤].

وأبـــو حيان مُحِقٌّ فى رَدِّ دعوى الزيادة مبطل فى جعل (من) حرف جر. إذ الصواب أنها اسم بمعنى (بعض) أى حالة كون المنسوخ بعض آيات الله. إذ المفرد بعــدها يــدل علــى الجمــع كما قرره أبو حيان نفسه مما يؤيد جعل (من) بمعنى (بعض).

---

(١) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٤.

(٢) شرح المفصل ٨/ ١٠: ١١.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٣٢.

(٤) البحر المحيط ١/ ٣٤٣.

وحذا ابن هشام حذو أبى حيان فى رده دعوى زيادة (من) فى الآية حيث قال تعقيبا على رأى أبى البقاء: "فيه تخريج التنزيل على شئ إن ثبت فهو شاذ أعنى زيادة (من) فى الحال. وتقدير ما ليس بمشتق ولا منتقل ولا يظهر فيه معنى الحال حالا. والتنظير بما لا يناسب. فإن (آية) فى (هذه ناقة الله لكم آية) بمعنى: علامة لا واحدة الآي. وقوله: أى شئ ننسخ قليلا أو كثيرا تفسير للفظ بما لا يحتمله. وإنما ذلك مستفاد من اسم الشرط لعمومه لا من: آية"(١).

ويرى الشمنى: "أن (آية) تفيد العموم لوقوعها فى سياق الشرط وهى حال من العامل – لعله: من العام – فيلزم عمومها"(٢).

أقول: إن هذا عراك فى غير ما معترك فيه إذ أن (من) اسم بمعنى (بعض) وهى المنصوب على الحال وما بعدها مضاف إليه. وصاحب الحال إما (ما) من (ما ننسخ) وإما المفعول المحذوف أى ما ننسخه حال كونه بعض آيات الله. فهذا واضح كل الوضوح وميسر كل التيسير مع ما فيه من المحافظة على جلال النص وجماله وكماله حيث يكون مستغنيا عن افتراض بعض العلماء لشئ فيه.

ولهذا لا نقر ما نقله الجمل عن السمين من أن (من) للتبعيض وهى متعلقة بمحذوف صفة لاسم الشرط. وأن جعلها حالا ضعيف"(٣).

إنما لا نقر ذلك لما فيه من تناقض حيث يجعل (من) بعضية ثم يزعم تعلقها بمحذوف وهى فى أعلى درجات الاستغناء عن هذا. ثم تضعيفه كونها حالا.

هذا: والكلام على هذه الآية صالح للتطبيق على ما يناظرها من الآيات نحو: "وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه ...".

---

(١) المغنى بحاشية الأمير ٢/١٧.

(٢) حاشية الشمنى على المغنى ٢/٩.

(٣) انظر حاشية الجمل على الجلالين ١/ ١٠٩.

وقوله تعالى: "وما تفعلوا من خير يعلمه الله" ذكر أبو البقاء أن (من خير) نعت لمصدر محذوف أى: فعلا من خير"[١].

قال أبو حيان: "إن هذا تخبط ووجه التخبط فيه أن يزعم أن (من خير) يتعلق بـــ (تفعلــوا) ثــم قال: وهو فى موضع نصب نعتــا لمصدر فيكون العامل فيه محذوفا"[٢].

والحق أننا لسنا فى حاجة إلى كل هذا التعسف إذ الآية نفسها تستغنى عنه بل تــرده وتمقته. فمعناه: وما تفعلوا حالة كونه بعض خير يعلمه الله" لأن الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء. ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

آل عمران فى آيتين هما:

قــوله تعالـــى: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ ٩٣ وقوله: ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ ١١٥.

أى حالة كونه بعض شئ. وحالة كونه بعض خير ...

النساء: أربع مرات فى ثلاث آيات هى:

قــوله: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ ٢٤ وقــوله: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ ٧٩ وقوله: ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾ ١٢٧.

قـــال أبـــو الـــسعود فى الأولى: "ما: عبارة عن النساء أو ما يتعلق بهن من الأفعال وعلى التقديرين فهى إما شرطية وإما موصولة فإذا كانت عبارة عن النساء

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٤٨.

(٢) البحر المحيط ٢/ ٩٢.

فـــ (مــن) بيانـــية أو تبعيضية محلها النصب على الحالية من الضمير فى (به) والمعنـــى: فأى فرد استمتعتم به أو فالذى استمتعتم به حـــال كونه من جنس النساء أو بعضهن فآتوهن أجورهن.

وإذا كانت عبارة عما يتعلق بهن فـــ (من) ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعائد إلى المبتدأ محذوف. والمعنـــى: أى فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح أو خلوة أو نحـــوها. أو فالفعـــل الـــذى استمتعم به من قبلهن من الأفعال المذكورة فآتوهن أجورهن لأجله أو بمقابلته"[1].

فأبو السعود يجعل التقدير على أن (من) تبيينية (حالة كونه من جنس النساء) وهـــذا التقدير ليس مألوفا ولا معروفا فى هذا المعنى بل الذى يكاد يجمع عليه من قالـــوا بـــه هـــو: فـــأى فرد استمتعتم به وهو النســـاء. إذ (من) البيانية فى مقـــام المزعوم زيادتها.

على أن قوله (من جنس النســـاء) واضح وصـــريح فى معنى: البعضيـــة إذ لا غبار على قولنا: حال كونه بعض النساء.

وعلـــى هذا يخلو وجه المعنى لجعل (من) بعضية. هذا على كون (ما) عبارة عن النساء. سواء كانت شرطية أم موصولة.

وأما على جعلها عبارة عن شئ يتعلق بهن فيرى أبو السعود أن (من) حرف ابـــتداء. ولو تأملنا التقدير الذى ذكره على هذا المعنى لوجدنا فيه قصورا وغموضا أما القصور فلأنه لا يفى بمعنى قوله (فما استمتعتم به منهن) لأن (ما) يراد بها ذات لا عـــرض لذات. ولا شك أن ذات المرأة مطلوبة للاستمتاع بها على وجه العموم من نكاح أو غيره.

وأما الغموض ففى جعل (من) ابتدائية إذ ما معنى ابتداء المتعة فى النساء؟

---

(١) إرشاد العقل السليم ٣/ ٤٩: ٥٠.

الـذى يدركه العقل أن الرجل يستمتع بالمرأة نكاحا أو خلوة أو قبلة أو غير ذلك مما يتعلق ببعض المرأة. فالمقام إذاً لجعل (من) بمعنى: بعض.

ومما ينبغى التنبيه إليه قوله (محلها النصب على الحالية من الضمير فى (به) لأن ذلـك غيـر قابل للتبعيض ولكن الذى يقبله هو (ما) لأنها تشمل جميع النساء والرجل إنما يستمتع ببعضهن لا بكلهن.

كمـا ينبغـى التنبـيه على قوله (فهى إما شرطية وإما موصولة) لأن جعلها (موصولة) يترتب عليه كون الخبر جملة إنشائية وهى (فأتوهن أجورهن) والمعهود فى جملة خبر المبتدأ أن تكون خبرية لا إنشائية. أما الموصول الذى تدخل الفاء فى خبـره فعهـدنا بهذا الخبر أن يكون جملة خبرية كما فى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ ٢٧٤البقرة. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ ٩١ آل عمـران. وقـوله:﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾ ٨ الجمعة.

فالاسم الموصوف فى هذه الآيات الثلاث مبتدأ فى الأولى. وأصله المبتدأ فى الثانية. ووصف المبتدأ فى الثالثة. والخبر فيهن جملة خبرية.

أما الجملة الإنشائية فلا تكون إلا جوابا للشرط ويلزم اقترانها بالفاء.

وربمـا يرد هنا سؤال فى قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ ١٦ آل عمران.

فقد يتوهم متوهم أن (الذين) مبتدأ وخبره (فاغفر لنا ذنوبنا) وهو جملة إنشائية والجـواب على هذا التوهم أن (الذين) ليس مبتدأ. وإنما يحتمل أن يكون مخفوضا صـفـة لـ (الذين) فى الآيـة السابقـة عليهـا وهى قوله: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ١٥. أو صـفة للعـباد فى آخرها وهو (والله بصير بالعباد) هكذا قال الزمخشرى. ويرى أبو البقاء أن هذا ضعيف لأنه فيه تخصيصا لعلم الله وهو جائز على ضعفه. ويكـون الوجه فيه إعلامهم بأنه عالم بمقدار مشقتهم فى العبادة فهو يجازيهم عليها كما قال: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ﴾ ٢٥ النساء.

ثم ذكر الزمخشرى وأبو البقاء أنه يجوز رفع (الذين) على تقدير مبتدأ أى هم الذين. ونصبه على تقدير فعل (أمدح) أو (أعنى) أى أخص[1].

وعلـى هذا يتبين أن (الذين) ليس مبتدا خبره (فاغفر) لأنه إما مرفوع خبراً لمبتدأ وإما منصوب على المدح وإما مجرور صفة.

فقول أبى السعود إن (ما) فى (فما استمتعم ..) موصولة مجرد عن الدقة. فلا مناص إذاً من جعلها شرطية. حتى لا نقع فى جعل الجملة الإنشائية خبرا عن الاسم الموصول.

ويـبدو أن أبا السعود قد تأثر بالزمخشرى ولكنه خالفه فى التعبير مما أورد على كلامه هذه الاعتراضات.

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٢٦٣ والتبيان فى إعراب القرآن ٢٤٦.

ويتـضح لنا ذلك من قول الزمخشري: "فما استمتعم به منهن" من المنكوحات من جماع أو خلوة صحيحة أو عَقْدٍ عليهن (فآتوهن أجورهن) عليه. فأسقط الراجع إلـى (ما) – يعني: عليه – لأنه لا يلبس كقـوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ ١٧ لقمان. بإسقاط (منه).

ويجـوز أن تكون (ما) في معنى النساء و (من) للتبعيض أو البيان. ويرجع الضمير إليه على لفظ في (به) وعلى المعنى في: فآتوهن"[١].

فهـذا الـنص بمـثابة أصـل نص أبي السعود ولكنه خالٍ مما أوردنا عليه الاعتـراض الـسابق. وإن كان يؤخذ على الزمخشري قوله (أو للبيان) لأن (من) البيانـية بمثابة الزائدة. كما يؤخذ عليه التنظير في حذف العائد بآية لقمان (إن ذلك مـن عزم الأمور) لأن هذه الآية لا حذف فيها إذ (من عزم الأمور) خبر (إنّ) أي بعـض عزم الأمور. فليس في حاجة إلى تقدير (منه). لأن تقديره لا معنى له ولا فائدة فيه.

أما في قوله (فآتوهن أجورهن) فلا لبس فيه إذ العقل يدرك المراد به.

وأمـا آيـة (ما أصابك من حسنة .....) فيقول فيها أبو البقاء: "ما: شرطية و(أصابك) بمعنى (يصيبك) والجواب فـ (من الله). ولا يحسن أن تكون (ما) بمعنى الـذي لأن ذلـك يقتـضي أن يكون النصيب لهم ماضيا مخصصا. والمعنى على العموم. والشرط أشبه والتقدير: فهو من الله. والمراد بالآية الخصب والجدب ولذلك لم يقل: أصبت"[٢].

ويـرى الأنـباري أن (ما) بمعنى (الذي) في موضع رفع مبتدأ و (أصابك) صلته و (فمن الله) خبر المبتدأ ودخلت الفاء في خبر المبتدأ لما في (ما) من الإبهام مع أن صلتها فعل فأشبهت الشرطية التي تقتضي الفاء.

---

(١) الكشاف ١/ ٣٨٤: ٣٨٥.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٠٦.

وليست هنا شرطية لأنها نزلت فى شئ بعينه وهو الخِصْب والجَدْب وهما المراد بالحسنة والسيئة ولهذا قال: ما أصابك. ولم يقل: ما أصبت. والشرط لا يكون إلا مبهما.

ويجوز أن يوجد ويجوز ألا يوجد إلا أنها دخلت لوجود الشبه بينهما لا لأنها شرطية لما بينا"(١).

فالأنبارى يصر على أنها موصولة على حين يجعل ذلك غير حسن. ومقتضى هذا أنه قبيح والقبيح غير لائق فى كلام الله.

وعلى الوجهين تكون (من حسنة) و (من سيئة) حالا أى حال كونه بعض الحسنات وبعض السيئات.

والذى نرجحه فى (ما) هو معنى الشرط لأنه يتفق مع الموصول فى الإبهام والعموم. ودخول الفاء فى جوابه أصل لا ملحق بالأصل.

فلا داعى لجعل الفاء فرعا ما دام يمكنها أن تكون أصلا.

وأما قوله: "وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما" فـ (ما) شرطية وهى فى محل نصب بالفعل (تفعلوا) و (من خير) حال أى حالة كونه بعض الخير والفاء فى جواب الشرط.

الأنفال: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ ٦٠.

أى حالة كونه بعض شئ.....

---

(١) البيان فى غريب إعراب القرآن ١/ ٢١٦.

سبأ : فى آيتين هما:

قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ ٣٩ وقوله:﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ﴾ ٤٧.

أى ما أنفقتم حالة كونه بعض شئ. وما سألتكم حالة كونه بعض آجر..

قال الزمخشرى: "فهو لكم: جزاء الشرط الذى هو قوله (ما سألتكم من أجر) تقديره: أى شئ سألتكم من أجر فهو لكم كقوله: "ما يفتح الله للناس من رحمة"(١).

فاطر: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ ٢.

قال الزمخشرى: "أى شئ يطلق الله من رحمة أى من نعمة رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التى لا يحاط بعددها. و تنكيره الرحمة للإشاعة والإبهام"(٢).

وذكر أبو حيان أن (من) فيه بمعنى (بعض) كقوله: ما ننسخ من آية(٣).

فالمعنى: ما يفتح الله للناس حالة كونه بعض رحمته ...

الشورى: فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى:﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ وقوله: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ ٣٠ وقوله: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ٣٦.

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٦٦.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٧١.

(٣) انظر البحر المحيط ١/ ٣٤٢.

فـ (من) فى هذه الآيات اسم بمعنى (بعض) حال أى حالة كونه بعض شئ. وحالة كونه بعض مصيبته..

الحشر: فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ ٥ وقوله: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ ٦ وقوله: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ ٧.

أى ما قطعتم حالة كونه بعض لينة. ويبدو أن أصلها: لُونَه. ثم كسرت الضمة فصارت (لِوْنه) ثم قلبت الواو ياء فصارت (لِينة).

قال ابن منظور: "واللون: الرقل وهو ضرب من النحل قال الأخفش هو جماعةٌ واحدته (لِينة) ولكن لما انكسر ما قبلها انقلبت الواو ياء ومنه قوله تعالى: "ما قطعتم من لينة" قال: وثمرها سمين العجوة "[1].

وقال المجد: "اللون: ... والرقل من النخل أو هو جماعة واحدتها لُوْنه بالضم ولِينة بالكسر وتجمع لينة على لِين ولين على لِيَان"[2].

وقال الزمخشرى: "من لينة: بيان لـ (ما قطعتم) ومحل (ما) نصب بـ (قطعتم) كأنه قال: أى شئ قطعتم. وأنث الضمير الراجع إلى (ما) فى (تركتموها) لأنه فى معنى اللينة. واللينة النخلة من الألوان ... وياؤه واو قلبت ياء لكسرة ما قبلها كالديمة. وقيل: اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين"[3].

والظاهر أنها على الأخير من: لان يلين. فالياء أصل لا منقلبة عن الواو.

---

(١) اللسان ص ٤١٠٦.

(٢) القاموس ٤/ ٢٦٨.

(٣) الكشاف ٤/ ٣٩٩.

وقــول الزمخشرى (من لينة) بيان لــ (ما) إن كان يريــد معنى التبيين فهو غير دقيق لأنه يقتضى كونها زائــدة فيكون المعنى ما قطعتم وهو لينة. وهذا بعيد عن المراد.

وإن كــان يريد أنها بمعنى (بعض) وفى هذا المعنى توضيح وبيان كان من الدقة بمكانة ومكان.

وأمــا قــوله (وما أفاء ...... الآية) أى وما أفاء الله على رسوله حالة كونه بعض ما يملكون. وكذا قوله قوله (ما أفاء ... الآية) أى حالة كونه بعض ما يملك أهل القرى.

المزمل: فى آية واحدة هى:

قوله تعالى:﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ ٢٠ أى حالة كونه بعض الخير.

ثالثا: (مهما).

وردت (مهمــا) مــرة واحدة فى قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ١٣٢ الأعراف.

والعلاقة وثيقة بين (مهما) و (ما) فقد قال سيبويه: "وسألت الخليل عن (مهما) فقــال هــى (ما) أدخلت معها (ما) لغوا بمنزلتها مع (متى) إذا قلت: متى ما تأتنى آتــك. وبمنــزلتها مــع (إن) إذا قلت: إما تأتنى آتك. وبمنزلتها مع (أين) كما قال سبحانه ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ ٧٨ النساء. وبمنزلتها مع (أى) إذا قلت:﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ ١١٠ الإسراء.

ولكنهم استقبحوا أن يكرروا لفظا واحدا فيقولوا: ماما فأبدلوا الهاء فى الألف التى فى الأولى.

وقد يجوز أن يكون (مه) كـ (إذ) ضم إليها: ما"[١].

وظاهر هذا النص أن (ما) الأولى مستقلة عن (ما) الثانية على ما ذكره سيبويه نقلا عن أستاذه الخليل. ولو كان هذا هو الأصل لحكم العقل بأن (ما) الثانية لا داعى إليها فقد عرفنا أن (ما) جازمة لفعلين فما وجه الحاجة إلى زيادة (ما) عليها ثم إبدال ألفها هاء؟ أليس هذا تدخلا فى اللغة لا أساس له إلا الظن والتخمين أو الافتراض لشئ لا يفهمه العقل السليم؟؟ ومما يزيدنا يقينا بهذا أننا وجدنا المبرد يذكر: أين وأينما وغيرهما ثم يقول: وكذلك حروف المجازاة إلا ما كان من (حيثما) و (إذ ما) فإن (ما) فيهما لازمة لا يكونان للمجازاة إلا بها"[٢].

وهذا – إن ظهر فى أين وحيث وإذ وما شابهها – لا يظهر فى (ما) لأن هذه تجزم وحدها كما عرفنا ذلك بل هو معلوم مقرر فى علم النحو بلا أدنى شبهة أما تلك الكلمات: أين وحيث .. إلخ فلم تجزم بدون (ما) فصارت (ما) لها لازمة على حد تعبير المبرد.

ومن ثم أرى أننا لو استسغنا تركيب الكلمة على ما ذكره الخليل لأجزناه على جعل (ما): مه. لا بالألف. وهى غير صالحة للجزم كأين وإذ... فلما لحقت بها (ما) صارت جازمة كتلك الكلمات.

ومن العجيب أن الزمخشرى يقول عن الوجه الأول وهو (ماما) ثم (مهما) وهو المذهب السديد البصرى. وهذا وأمثاله مما يوجب الجثوبين يدى الناظر فى كتاب سيبويه"[٣].

---

(١) الكتاب ١/ ٤٣٣.

(٢) المقتضب ٢/ ٤٨.

(٣) الكشاف ٢/ ١١٥.

وحذا حذوه – تقريبا – ابن المنير حيث قال: "وأظهر ما قوى به مذهب الخليل – والله أعلم. أن هذه الكلمة استعملت فى الاستفهام حسب استعمالها فى الجزاء وأنشدوا:

مهما لى الليلة مهما ليه   أو دى بنعلى وسر باليه

أراد: مالى الليلة. ولا إشكال ههنا أنها (ما) الاستفهامية كررت تأكيدا كما يقولان: لالا. و نعم نعم ثم استكره تكرار اللفظ بعينه فقلبت الألف الأولى هاء ...

وإذا وضح أن (مهما) الواقعة فى الاستفهام أصلها (ما) مكررة كان ذلك أوضح دليل على أن الواقعة فى الجزاء كذلك. والاستشهاد بالنظائر أمير حجج العربية والله أعلم"[١].

وربما يفهم من هذا النص أن (ما) استفهامية مثل (أين) فلما زيدت عليهما (ما) صارتا شرطيتين. ولكن هذا لا يفيد ما قرره الخليل بل قصارى أمره أنه قد ورد فى اللغة كلمات لكل منها صيغتان إحداهما استفهامية أو ظرفية والثانية: شرطية. وذلك مثل (أين) كما فى قوله تعالى: ﴿ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ٢٢ الأنعام.

وغيره. ثم قوله: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ ٧٨ النساء.

ومثل (حيث) كما فى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ ١٢٤ الأنعام.

ثم فى قول الشاعر:

حيثما تستقم يقدر لك اللـــــــ . ٠ . ــــــه نجاحـا فى غابـر الأزمـان

---

(١) الانتصاف هـ الكشاف ٢/ ١١٤: ١١٥.

ومثل (أى) كما فى قـوله تعـالـى: ﴿ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ﴾ ١٢٤ التوبة.

ثم قوله: ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ ١١٠ الإسراء.

وكذا (ما) فى قوله تعالى: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ ٥٢ الأنبياء.

ثم قوله: ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ ١٦٧ البقرة.

ولكننا – مع هذا – لا نقر بذلك المنهج فى دراسة نصوص القرآن. إذ الفرق واضح كل الوضوح بين (أين) و (حيث) و (أى) من جانب وبين (ما) من جانب آخر. فتلك الكلمات واضح فيها المغايرة لفظا ومعنى وهذا هو شأن كلمات اللغة يتغيرّ معنى مفرداتها بتَغَيُّر ألفاظها. أما (ما) فيبدو فيها الظن إذ من الذى أخبرنا أن العربى نطق (ما) ثم ألحق بها (ما) ثانية ثم جعل ألف الأولى هاء؟ ذلك ظن لا أساس له.

أما كون الأصل (مه) فهو الواضح المقبول لأن (مه) اسم فعل، بمعنى (اكفف أو (انكفف). فلما زيدت عليها (ما) صارت اسم شرط كما فى الآية التى نحن بصددها.

ومن ثم يرى بعضهم أن (مه) هى الصوت الذى يصوت به الكاف. و (ما) للجزاء. كأنه قيل. كف ما تأتنا به من آية لتسخرنا بها فما نحن لك بمؤمنين"[1].

ومع احتمال هذا كله أرى أن (مهما) كلمة وضعت هكذا لاستعمالها فى معنى الشرط ولسنا مكلفين بالبحث عن أصلها إذ اللغة وردت إلينا بهذه الكلمة ولم يسمع الرواة لها شيئا مما يظنه النحاة من العرب. فأنى لنا بما يظنه هؤلاء؟!!

---

(١) الكشاف ٢/ ١١٥.

ومما يزيد يقيننا بذلك أنه لابد من فرق بين قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ ١٩٧ البقرة. وقوله: "مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين".

فـــ (ما) تفيد العموم وحده دون التكرار. وأما (مهما) فتفيد العموم والتكرار ومــن ثم كان اختيار (مهما) فى الآية فهى تنبئ عن العناد والإصرار عليه. ومثل (مهما) فى العموم والتكرار (كلما) كما فى قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ ٢٥ البقرة.

وهــذا القول هو ما نراه لائقا بجلال القرآن وكماله وقد ذكره أبو البقاء حيث قال: "والرأى الآخر أن (مهما) بأسرها كلمة واحدة غير مركبة"(١).

وتتمــيما للقــول فى آراء العلماء حول (مهما) نقول: هناك رأى رابع ذكره الزمخــشرى ورده حيث قال: "وهذه الكلمة فى عداد الكلمات التى يحرفها من لا يد له فى العربية فيضعها غير موضعها ويحسب (مهما) بمعنى (متى ما) ويقول: مهما جئتنــى أعطيــتك.. ثم يذهب يفسر (مهما تأتنا به من آية) بمعنى الوقت. فيلحد فى آيات الله وهو لا يشعر"(٢)

هذا: وفى إعراب هذه الآية ما يلى:

قـــال الزمخشرى: "و (مهما) إما فى محل رفع بالابتداء بمعنى: أيَّما شئ تأتنا بـــه. أو النــصب بمعنــى: أيَّمَا شئ تحضر تأتنا به. و(من آية) تبيين لـــ (مهما)

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٥٨.

(٢) الكشاف ٢/ ١١٥.

والضمير في (به) و (بها) راجعان إلى (مهما) إلا أن أحدهما ذُكِّرَ على اللفظ والثاني أُنِّثَ على المعنى"[١].

وقال ابن هشام: "من آية: حال"[٢].

وقد علمنا أن (من) اسم بمعنى (بعض) وهي بيان لما في (مهما) من إبهام.

وقول الزمخشري (تبيين) غير دقيق لأنه يترتب عليه زيادة (من) ومن ثم قال السفاقسي: "من: للتبعيض. و (آية) مفرد وقع موقع الجمع. والمقصود بهذا المجرور تخصيص عموم الشرط"[٣].

وربما يفهم من قوله (بهذا المجرور) أن (من) البعضية حرف جر والحق أنها اسم بمعنى (بعض) و المعنى: أيما شئ تأتنا به حالة كونه بعض آيات الله فما نحن لك بمؤمنين. برفع (أيما) لأنه هو الراجح إذ لا يترتب عليه تقدير شئ بخلاف النصب فإنه يقتضي تقدير ما لا يحتاج إليه النص. وهذا واضح من قول الزمخشري: أيما شئ تحضر تأتنا به). فليس لتقدير (تحضر) أية فائدة وما لا يحتاج إلى تقدير أجدر بالقبول مما يحتاج إلى تقدير. إذ التقدير تكدير كما علمنا غير مرة من الإنسان. لأنه أمر قد اطرد واتسع. وحمله على القلب يبعد في الصنعة ويصغر المعنى. وكأن هذا الموضع لما خفى على بعضهم قال: إن العجل ههنا: الطين. قال: ولعمري إنه في اللغة لكما ذكر. غير أنه في هذا الموضع لا يراد به إلا نفس العجلة والسرعة. ألا تراه عز اسمه كيف قال عقيبه (سأريكم آياتي فلا تستعجلون)

---

(١) الكشاف ٢/ ١١٥.

(٢) المغني بحاشية الأمير ٢/ ١٤.

(٣) حاشية الشمني على المغني ٢/ ٨٨.

أصلا. والأولى أن نقول: همزته فى كل موضع بدل من الواو. ومعنى: ما جاءنى أحد. ما جاءنى واحد فكيف ما فوقه"[١].

وقال الشهاب: "يشكل بأن صورتهما واحدة. ولفظ الواحد يتناولهما والواو فيها - أى الوحدة - أصلية. فيلزم قطعا انقلاب الألف عنها. وأن يكونا مشتقين من الوحدة. أما جعل أحدهما مشتقا منها دون الآخر فترجيح من غير مرجح"[٢].

٢- وأما من حيث الاستعمال فقد ذكر الرضى: "أن (أحدا) المستعمل فى النفى مطردا لعموم العلماء بعد نفى أو نهى أو استفهام أو شرط نحو: ما جاءنى أحد. ويلزمه الإفراد والتنكير قال الله (لستن كأحد من النساء). وتعريفه حينئذ نادر. وقد يستغنى عن نفى ما قبله بنفى ما بعده إن تضمن ضميره نحو: إن أحداً لا يقول ذلك. ولا يقع (أحد) فى إيجاب يراد به العموم فلا يقال: لقيت أحدا إلا زيدا خلافا للمبرد"[٣].

وقد ترتب على ذلك جواز قولنا: ما من أحد فاضلين كقوله تعالى: "فما منكم من أحد عنه حاجزين"[٤].

"وأما (أحد) فى سياق الإيجاب فعلى ثلاثة أوجه:

الأول: فى الواحد المضموم إلى العشرات نحو: أحدَ عشر. وأحد وعشرين.

والثانى: أن يستعمل مضافا أو مضافا إليه نحو قوله تعالى: ﴿ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾ ٤١ يوسف. وقولهم: الأحد - لعل الصواب - كل أحد.

---

(١) شرح الكافية ٢/ ١٤٦.

(٢) حاشية الشهاب ٢/ ٢٤٦.

(٣) شرح الكافية ٢/ ١٤٦.

(٤) المفردات فى غريب القرآن ص ١٠.

والثالث: **أن يستعمل مطلقا وصفا وليس ذلك إلا فى وصف الله تعالى نحو: قل هو الله أحد"[١].**

والذى نستخلصه من هذه النصوص:

أ) أن (أحـــد) فـــى سياق النفى تدل على الاستغراق لأن نفى الأدنى يستلزم نفى الأعلى. ونفى الأقل يقتضى نفى ما فوقه. ولذا قال الرضى: "ومعنى ما جاءنى أحد: ما جاءنى واحد فكيف ما فوقه" ويقول الزمخشرى فى قوله تعالى: "لستن كأحد من النساء": "أحد: فى الأصل بمعنى: وحد وهو الواحد ثم وضع فى النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه.

ومعنـــى قـــوله: (لـــستن كأحـــد مـــن النساء): لستن كجماعة واحـــدة من جمـــاعـــات النساء".

ولـــم يـــرض عن هذا التقدير أحمد بن المنير فقد عقب عليه قائلا: "وقد كان مـــستغنياً عن ذلك بحمل الكلام على (واحدة) ويكون المعنى أبلغ. والتقدير: ليست واحـــدة منكن كأحد من النساء أى كواحدة من النساء. ويلزم من تفضيل كل واحدة مـــنهن على كل واحدة من آحاد النساء تفضيل جماعتهن على كل جماعة. ولا يلزم ذلك على العكس"[٢].

وعلى هذا يتضح أن نفى الأدنى يقتضى نفى الجنس كله. كما فى قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ٢ البقرة.

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص ١٠.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٢٤ وهامشها.

الفصل السابع

مِنْ: بيـــن الحـــــال والنعـــت

عقدنا هذا الفصل لآيات القرآن التى سُبِقتْ (من) فيها بنكرة والقاعدة المشهورة أن صاحب الحال لا يكون إلا معرفة أو نكرة خصصت بما يقربها من المعرفة. فإذا لم تخصص كان ما بعدها نعتا لا حالا. ولعلك تذكر هنا أن أكثر النحاة يرون أن (من) التى بمعنى (بعض) حرف وعلى هذا دأبوا على تقدير متعلّق لها لو وقعت حالا أو نعتا. ولكننا قد حققنا القول باسميتها ومن ثَم ثبت استغناؤها عن ذلكم المتعلّق المزعوم الموهوم.

والذى يعنينا هنا أن نحقق القول بصحة مجئ الحال من النكرة مطلقا مختصة وغير مختصة وبذلك يستقيم لنا إعراب (مِنْ) فى آيات هذا الفصل حالا إذا ثبت أن المقام مقام الحال لا مقام النعت. فالمقام هو الذى يحدد نوع الكلمة ومعناها ويرسم طريق إعرابها.

ومن هنا صح عقد هذا الفصل لآيات القرآن التى يحتمل فيها إعراب (مِنْ) البعضية حالا ونعتاً. على حسب ما يقتضيه المقام.

والذى يثبت تنكير صاحب الحال ما يلى:

يقول سيبويه: "هذا باب ما لا يكون الاسم فيه إلا نكرة ... ثم يقول: "ومن قال: هذا أول فارس مقبلا من قِبَل أنه لا يستطيع أن يقول: هذا أول الفارس فيدخل عليه الألف واللام. فصار عنده بمنزلة المعرفة فلا ينبغى له أن يصفه بالنكرة"[1].

---

(١) الكتاب ٢/ ١٠١٢.

وإنمـــا لـــم يجز ذلك لأن أصل: هذا أول فارس: هذا أول من كل فارس فهو نظير: زيد أفضل رجل وفيه يقول الصبان: "أصله: زيد أفضل من كل رجل فحذف (مــن كــل) اختصارا وأضيف أفضل إلى: رجل. وجاز كونه مفردا مع كون أفعل بعــض مــا يضاف إليه فالأصل أن يكون جمعا لفهم المعنى وعدم التباس المراد. ووجــب تنكيــره لأن القاعدة أن كل مفرد وقع موقع الجمع لا يكون إلا نكرة. فإن جئت بـــ (أل) رجعت إلى الجمع. وإن جمعت أدخلت: أل"[1].

ثــم قــال سيبويه: "وقد يجوز نصبه على نصب: هذا رجل منطلقا وهو قول عيسى. وزعم الخليل أن هذا جائز ونصبه كنصبه فى المعرفة جعله حالا ولم يجعله وصــفا. ومــثل ذلك: مررت برجل قائماً إذا جعلت المرور به فى حال قيام. وقد يجوز على هذا: فيها رجل قائماً وهو قول الخليل رحمه الله. ومثل ذلك: عليه مائة بيــضا. والرفع الوجه. وعليه مائة عينا - العين: الذهب والدينار - والرفع الوجه. وزعم يونس أن ناسا من العرب يقولون: مررت بماء قعدة رجل. والجر الوجه"[2].

ففــى هذا النص عدة أساليب فيها صاحب الحال نكرة وهى (رجل) وجاء فى ثلاثــة أســاليب: هذا رجل منطلقاً. ومررت برجل منطلقا. وفيها رجل قائماً. وهو مــرفوع فى الأول لأنه خبر. ومخفوض فى الثانى بالباء. ومرفوع فى الثالث وفيه وجهان أحدهما مشهور غير محقق وخلاصته أن (فيها) متعلق بمحذوف خبر مقدم و (رجل) مبتدأ مؤخر. أى فيها رجل كائن وفى هذا ما فيه من حذف وتقدير وتقديم وتأخير بلا داع ولا ضرورة.

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشمونى ٣/ ٤٨.

(٢) الكتاب ٢/ ١١٢. وانظر ٢/ ٣٣٨. وهامشها.

والثانى محقق وهو أن (فيها) ظرف يتضمن معنى الفعل و (رجل) فاعل به. وفيه محافظة على نسق النص وجماله وكماله.

ومثل هذا الأسلوب قول سيبويه: عليه مائة بيضا. وعليه مائة عينا. فالراجح بل الصواب أن (عليه) ظرف و (مائة) فاعل و (بيضا) و (عينا) حالان من (مائة). فلا حذف لأنه حيف؛ ولا تقدير لأنه تكدير. ولا تقديم وتأخير لأنه خلاف الأصل فهو مستغنى عنه كما عرفنا.

ويبقى قول سيبويه نقلا عن يونس: إن ناسا من العرب يقولون: مررت بماء قعدة رجل. وقال فيه سيبويه: والجر الوجه. كما قال فى الأسلوبين السابقين عليه: والرفع الوجه. ويعنى بهذا وذاك أن جعله نعتا أوجه من جعله حالا.

والذى يتأمل يدرك الفرق بين (عليه مائة بيضا وعليه مائة عينا ومررت بماء قعدة رجل) وبين (مررت برجل قائما).

وخلاصة هذا الفرق: أن كلا من الحال والنعت وصف لما هو له. غير أن الحال – غالبا – غير دائمه – إذ دوام الحال من المحال – وأما النعت فثابت غالبا لا يزول. ونعت المائة بالبياض أليق لأن هذه الصفة ثابتة سواء أكانت عليه أم لا وأما (رجل) فقد اقتصر وصفه بالقيام حال مرور المتكلم به وهذا ما عبر عنه سيبويه بقوله (إذا جعلت المرور به فى حال قيامه). وكذا وصف (ماء) بأنه (قعدة رجل) فربما يكون فى حال كونه قعدة رجل.

ومع ذلك ينبغى أن نقرر أننا لو قلنا: (مررت برجل قائم) و (بماء قعدة) على النعت فليس بلازم أن تكون صفة القيام دائمة لرجل ولا أن تكون صفة (ماء) بأنه (قعدة رجل) كذلك لأن الحقيقة أن هذه الصفة محققة فى حال المرور بالرجل وبالماء أما بعد ذلك فمن يدرى أتظل ثابتة لم تزول.

ومثل هذه الأساليب قول يونس: (إن ناسا من العرب) فـ (من العرب) في محل نصب أي حالة كونهم بعض العرب. غير أننا قد لاحظنا أن سيبويه لم يعقب على الأساليب التي ورد فيها (رجل) بشئ لأن قوله: والرفع الوجه والخفض الوجه. راجع إلى أساليب (مائة) و (ماء). ومما يقوى ذلك قوله (إذا جعلت المرور به - أي الرجل - في حال قيامه) فذلك تعبير جميل موح بأن المقام هو الذي يعين المعنى المراد وما يتطلبه هذا المعنى فهو لازم حتم. فإن كان المقام مقام عروض الوصف لا لزومه فالحكم النصب على الحال وإلا كان تابعاً لما قبله في إعرابه لأنه نعت. وبهذا نريح ونستريح لأن اللغة تفكير وتعبير ولكل منهما سبب يصدر عنه ومقام يرد فيه فما طلبه المقام كان هو المراد.

تلكم هي القاعدة التي ينبغي أن نثبت أركانها ونرفع بنيانها لأنها قاعدة متينة وسيعة تحمل وتشمل أي: تحمل كل ما ينطبق عليها وتشمله فلا تهن ولا تضيق ولكن علماءنا لم يعنوا بها لأنهم لم يشيروا إليها في غالب أمرهم. وحسبنا ما نحن فيه من قضية تنكير صاحب الحال. وبيان ذلك:

يقول ابن مالك:

ولم يُنكَّر غالبا ذو الحال إن ... لم يتأخر أو يخصص أو يَبِنْ

من بعد نفي أو مضاهيه كلا ... يَبْغِ امرؤ على امرئٍ مستسهلا

وفي هذين البيتين يضع ابن مالك قاعدة وقوع صاحب الحال نكرة وخلاصتها أنه لا يكون نكرة إلا إذا تأخر عن الحال. أو خصص بوصف ونحوه أو وقع بعد نفي وشبيهه.

هذه هو القيود التي وضعها علماء النحو. وبأدنى لمحة ذهنية يدرك المرء أنها لم تشتمل على (المقام) الذي أشار إليه سيبويه.

يقــول الأشموني شارحا ما سبق: "احْتَرَزَ بقوله (غالبا) من أمثلة وردت هكذا - يعنــى فــيها صــاحب الحال نكرة دون مسوغ مما ذكره - ثم راح يورد أمثلة سيبويه التي أوردناها آنفاً. وعلق الصبان على هذا قائلا: "إن ذلك قياس عند سيبويه وسماع عند الخليل ويونس قاله المصرِّح"(١).

ويعنــى الــصبان بــ (المصرِّح) الشيخ خالد الأزهرى فى كتابه (التصريح بمــضمون التوضــيح) وهــو قوله: "وما ذكره من أنه حال النكرة هو ظاهر كلام ســيبويه) ثم قوله: "وإذا ثبت مجئ الحال من النكرة بلا مسوغ هل يقاس عليه أولا ذهب سيبويه إلى الجواز والخليل ويونس إلى المنع"(٢).

هذا ما ذكره الشيخ خالد. وظاهره أن سيبويه يجعله قياسا. وأن الخليل ويونس يجعلانه مقصورا على السماع.

ولــو رجعنا إلى نص سيبويه لما استطعنا فَهْمَ هذا المعنى منه لأنه يقول بعد قوله (هذا رجل منطلقا): وهو قول عيسى. وزعم الخليل أنه جائز..... ثم قال وقد يجــوز علــى هذا: فيها رجل قائما وهو قول الخليل. "إلى هنا لم نجد قولا لسيبويه فليس بقائل ولكنه ناقل عن عيسى والخليل. ثم ذكر بعد ذلك: عليه مائة بيضا وعليه مائــة عيــنا.. وعقــب قائلا: والرفع الوجه. ثم نقل عن يونس أن ناسا من العرب يقولون: مررت بماء قعدةً رجل يعنى بالنصب - ثم قال: والجر الوجه. وبهذا يتبين أن مــا ذكــره الشيخ خالد ونقله عن الصبان غير دقيق لأن سيبويه لم يجعل مجئ الحال من النكرة قياسا بل هو قد عقب على ما نقله عن عيسى والخليل ويونس بما

---

(١) منهج السالك للأشمونى وحاشية الصبان عليه ٢/ ١٨٢.

(٢) التصريح بمضمون التوضيح ١/ ٣٧٥: ٣٧٨.



يشبه رده أو تضعيفه. فمن أين للشيخ خالد قوله: إن سيبويه يجعله قياسا والخليل ويونس يجعلانه سماعا"؟ لست أدرى.

وإنما الذى أدريه أن أساليب اللغة قد ورد فيها صاحب الحال نكرة دون الشروط التى وضعها ابن مالك وغيره. ولذا رأيت من الباحثين المحدثين من يعيد النظر فى تلك الشروط. يقول الأستاذ على السباعى تحت عنـــوان "مسائل تســترعى النظر".

قالوا: إن صاحب الحال معرفة أو نكرة مختصة بوصف أو إضافة. وندر مجيئها من نكرة غير مختصة.

وأرى أن التعبير بالندرة أو الشذوذ مع أوجه الأعاريب فى قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ ٢١٦ البقرة وفى الحديث: "وصلى وراء رجال قياما" وفيما حكاه سيبويه عن العرب: مررت بماءٍ قعدة رجل. وفيما روى فى قول النابغة بنصب (أَجَبَّ).

ونأخذ بعـــده بـــذناب عـــيش أجب الظهر لـــيس لـــه ســـنان

لا وجه له ولا دليل يعضده"[1].

ومما يثبت ذلك قول سيبويه فى قول الكلحبة الثعلبى:

أمرتكم أمرى بمنهرج اللوى ولا أمـــر للمعصى إلا مضيعـــا

كأنه قال: للمَعْصِىّ أمر مضيعا كما جـــاز فيها رجل قائمـــاً. وهذا قول الخليل"[2].

---

(١) محاضرات فى النحو والصرف والعروض ص ٢٦.

(٢) الكتاب ٢/ ٣٣٨ هارون.

ولا ينبغى حمل هذا على غير نسقه لأن (أمر) و (رجل) مرفوعان بالظرف من قبلهما.

ويقول البغدادى فى البيت: "وجاز تنكير ذى الحال لكونه عاما كأنه قال: للمعصى أمره مضيَّعا".

وهو بهذا يحتال لجعل صاحب الحال معرفة ولذا عقب عليه قائلا: "وبهذا يسقط قول الأعلم: الشاهد فيه نصب (مضيَّع) على الحال من (الأمر) وهو حال من نكرة. وفيه ضعف لأن أصل الحال أن تكون للمعرفة أ هـ. وقال النحاس: يجوز أن يكون حالا للمضمر والتقدير: إلا أمرا فى حال تضييعه فهو حال من نكرة"(١).

ويأبى الأستاذ عبد السلام هارون إلا أن يضعف مجئ الحال من النكرة ثم يجعل نصب (مضيَّعا) على الاستثناء وتقديره: إلا أمرا مضيعا(٢).

لأننا سنجده فى آيـات كثيرة من القـرآن فهو الذى يقتضيه المقام إذ لكل مقام مقال.

هذا: ومما ينبغى الالتفات إليه – هنا – والاهتمام به أن ابن يعيش قد حدَّ الحال بقوله: "إنه وصف هيئة الفاعل أو المفعول وذلك نحو: جاء زيد ضاحكا. وضربت عبد الله باكيا"(٣).

وفى هذا من الضيق ما لا يخفى أمره. وقد سبق عن سيبويه ما يزيد على هذين فقد مثل بـ (عليه مائة بيضا) و (عليه مائة عينا) أى ذهبا.

---

(١) خزانة الأدب ١/ ٣٩١ هارون.

(٢) هامش الكتاب ٢/ ٣٣٧: ٣٣٨.

(٣) شرح المفصل ٢/ ٥٥.

مما جعل الأشمونى يقول: "أو دالة على طور واقع فيه تفضيل نحو (هذا بُسْرًا أطيب منه رُطَبًا) أو تكون نوعا لصاحبها نحو (هذا مالك ذهبا) أو فرعا له نحو: (هذا حديدك خاتما) وقوله تعالى: ﴿ وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ ٧٤ الأعراف أو أصلاً له نحو (هذا خاتمك حديداً) وقوله تعالى: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ ٦١ الإسراء[1].

فليست أساليب الحال مقصورة على مجيئها وصفا للفاعل أو المفعول فقط. وإنما نبهنا إلى ذلك لما سيأتى فى آيات القرآن التى هى موضوع دراستنا فى هذا الفصل وهى ما وردت فيها (مِنْ) ويحتمل أن تكون نعتا وأن تكون حالا. وقد رتبت هذه الآيات حسب المواد اللغوية التى يحتمل أن تكون صاحب الحال وأن تكون منعوتا.

ولما كانت كلمة (وصف) تشمل (النعت والحال والخبر) لأن كلا منها يتضمن بيان صفة من صفات المنعوت وصاحب الحال والمبتدأ... لما كان الأمر كذلك آثرت أن أعبر عما يحتمل الحال والنعت بقولى: وصف.

وأترك التفضيل لذوق القارئ فهو الذى يتأمل المقام ويحكم على الوصف بأنه نعت أو حال.

على أننا قد نبهنا إلى أن النعت والحال يتساويان – تقريباً – فى أنهما يكونان من الصفات الثوابت تارة ويكونان من الصفات الزوائل تارة أخرى. كما أشرنا من قبل.

---

(١) منهج السالك ٢/ ١٧٧.

١- أَثَارَة: فى آية واحدة هى:

قــوله تعالـــى: ﴿ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ ﴾ ٤ الأحقاف أى أثارة بعض علم. يقول الزمخشرى: "أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين من قولهم: سمنت الناقة على أثارة من شحم أى على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ (أثرة) أى من شئ أوثرتم به وخصصتم به من علم لا إحاطة به لغيركم"(١).

وهناك معنى ثالث نقله الجمل عن الرازى وهو: "أنه علم الخط أى ائتونى بعلم من قبل هذا الخط الذى تخطونه فى الرمل يدل على صحة مذهبكم فى عبادة الأصنام.

قال الجمل: فإن صح تفسير الآية بهذا الوجه كان ذلك من باب التهكم بهم وأقوالهم ودلائلهم"(٢).

والواضح هو معنى (بعض) على هذا المعنى أيضا إذ (علم الخط) قابل للتبعيض. فإن قلنا إنه نعت كانت (من) فى محل خفض وإن قلنا إنه حال كانت فى محل نصب.

٢- أحــــد: وذلك فى أربع عشرة آية وهى متنوعة على النحو الآتى:

أ) آيات وقعت (أحد) فى سياق نفى وهى إحدى عشرة آية من السور الآتية:

البقــرة: ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ ١٣٦ ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾ ٢٨٥.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٣٣.

(٢) انظر حاشية الجمل ٢/ ١٢٤.

آل عمران: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ ٨٤.

النســاء: ﴿ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ ١٥٢.

المائـــــدة: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ٢٠ ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ١١٥.

الأعـراف: ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ٨٠.

التـوبة: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ ٨٤.

العنكبوت: ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ٢٨.

الأحزاب: ﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ ٣٢ ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ ٤٠.

فـــ (من) بعد (أحد) بمعنى (بعض) والواضح فى إعرابها أن تكون حالا لا نعتا. والذى يشهد بذلك هو الذوق الرفيع.

ومما يجدر التنبيه إليه آيتا الأعراف والعنكبوت وهما (ما سبقكم بها من أحد) فـــ (من) هذه يقال إنها زائدة قال الزمخشرى فى آية الأعراف: "من: الأولى زائدة

لتوكـيد النفـي وإفادة معنى الاستغراق. والثانية للتبعيض"[١] وسيأتي دراستها في الفصل الآتي:

ب) آيات وقعت (مِنْ) في سياق شرط وهي ثلاث آيات من السور الآتية:

النســـــاء: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾ ٤٣ ومثلها الآية رقم ٦ من المائدة. والآية الثالثة من سورة التوبة وهي: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾ ٦.

فـ (منكم) و (من المشركين) حال أي حالة كونه بعضكم وبعض المشركين. أما (من الغائط) فـ (من) حرف ابتداء كما سيأتي.

وهذا: ومما يثبت أن (أحد) فيه معنى التعدد قول الزمخشري: "وأحد في معنى الجماعـة ولـذلك صـح دخول (من) عليه. وكذا (بين) في (لا نفرق بين أحد من رسله) لأن (بـين) تقتضي الاشتراك فلا تدخل إلا على مثنى أو مجموع كقولك: المـال بينهما. والدار بين الإخوة. وإنما جاز ذلك في مثل قوله: (لا نفرق بين أحد مـن رسـله) لأن لفظة (أحد) تستغرق الجنس الواقع على المثنى والجمع. وليست بمعنى: واحد بدليل قوله: "لستن كأحد من النساء"[٢].

ولا يخفـى علـى ذي معرفة نحوية أن قوله تعالى: "وإن أحد من المشركين إسـتجارك" مـن أسلوب الشرط. كالآيتين من قبلها وأن أسلوب الشرط من أساليب الإيجـاز لا النفي. وبهذا يتضح أن (أحد) إما في سياق نفي وإما في سياق إثبات.

---

(١) الكشاف ٢/ ٩٩.

(٢) انظر الكشاف ١/ ١٤٦، ٤٥٢ ودرة الغواص ص ٥٣: ٥٤ وهم ٥١.

والـــذى يدركـــه العقـــل لأول وهلة أنه لا فرق بينهما بنية واستعمالا. ولكن بعض العلماء يرى أن بينهما فرقا.

١- أمـــا من حيث البنية فقد ذكر ابن جنى: أن همزة الموجب بدل من الواو فأصله (وحد) ألا ترى إلى قول النابغة:

كأنَ رَحْلِي وقد زال النهار بنا　　　بذى الجليل على مستأنس وَحِدِ

أى منفرد. وكذلك: الواحد إنما هو منفرد. وقلب هذه الواو المفتوحة المنفردة شـــاذ. وقال لى أبو على رحمه الله بحلب سنة ست وأربعين: إن الهمزة فى (ما بها مـــن أحـــد) ونحـــوه ممـــا (أحد) فيه للعموم ليست بدلا من واو بل هى أصل فى موضـــعها. قـــال: وذلـــك أنـــه لـــيس من معنى (أحد) فى قولنا: أحد عشر. وأحد وعشرون.

قـــال: وأمـــا (أحـــد) فـــى نحو قولنا: ما بها أحد و ديار فإنما هى للإحاطة والعموم"[١].

وقـــد ترتب على هذا ما ذكره الشهاب من: "أن (أحداً) المنفى معناه: إنسان. بإجمـــاع أهل اللغة. و (أحدا) المثبت معناه: الفرد من العدد. ولأجل ذلك تغايرا فى الاشتقاق"[٢].

ولـــم يـــرتض العلامة الرضى ما ذكره الفارسى فقد رده قائلا: "كأنه – أى الفارســـى – لمَّـــا لَمْ يَرَ فى نحو (ما جاءنى أحد) معنى الوحدة ارتكب كون الهمزة

---

(١) الخصائص ٣/ ٢٦٢.

(٢) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى ٢/ ٢٤٦.

فنظيـره قـوله تعالـى: "وكان الإنسان عجولا" "وخلق الإنسان ضعيفا" لأن العجل ضرب من الضعيف لما يؤذن به من الضرورة والحاجة فهذا وجه القول فيه"[1].

تلكـم هى الآراء فى معنى (عَجَل) وفى نسق النص (خُلِقَ الإنسانُ من عَجَل) ولا يـسعنى بعد ذكرها إلا أن أقف وقفةَ تأمُّلٍ وتَمَعُّنٍ لعل الله يهدينى إلى معنى من تلـك المعانى يليق بالنص ولا يخرج به عن مساره. فأقول وعلى الله قصد السبيل وأقوم دليل.

أولا: دعوى القلب فى النص مردودة بلا نقاش ولا جدال لأنها دعوى لا تليق بجلال القرآن وقدسيته فضلا عما عرفنا فيها من هزال وضعف.

ثانـيا: لـو جعلـنا (عجل) بمعنى (الاستعجال) لترتب على ذلك خلق الجوهر من العرض إذ العجلة عرض والإنسان جوهر. ولابد للجوهر من أصل يساويه حتى يصلح تفرعه عنه.

ثالثاً: من المقرر أن الإنسان يشمل جميع أفراده. والعقل يستسيغ أن يوصف بعض هـؤلاء الأفراد بالاستعجال أما أن يخلق جميع الأفراد منه فدون ذلك خرط القتاد. لأن الأنبياء من بنى الإنسان فيجوز أن يوصف بعضهم بالاستعجال كمـا فى قول موسى عليه السلام: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ ٨٤ طـه أما أن يخلق أحدهم من عجل. فهذا غير معقول ولا مقبول. إذ يكون أصله العجلة وهى صفة مذمومة غير محمودة.

رابعـاً: إن التعبيـر هـنا بـ (عجل) والمراد: الطين فيه من المشاكلة اللفظية مع المفارقـة المعـنوية مـا لا يخفى جماله على ذى ذوق رفيع فى فهم اللغة العربية.

---

(١) اللسان جـ ١١ص ٤٢٨ وهامشها.

وتأمل قوله: "خُلِقَ الإنسان من عجل سأوريكم آياتى فلا تستعجلون" ثم انظر إلى النص لو كان: "خُلِقَ الإنسانُ من طين سأوريكم آياتى فلا تستعجلون".

أكنت تشعر بالإحساس والتذوق والتأمل كما تشعر بذلك كله فى نص الآية.

أليس فى اختيار الكلمة القرآنية لمقامها ومكانها ما يكسبها مكانة ورفعة وذوقا رفيعا؟!!

وهـنا ينتهـى الفـصل السادس وعدد مرات (من) الواردة فيه ٤٧٥ خمس وسبعون وأربعمائة مرة.

والله ولى التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل

ب) أن (أحــد) فى قوله تعالى: "لا نفرق بين أحد من رسله" فيها معنى التعدد فقد سـبق عن الزمخشرى أنه فى معنى الجماعة ولذلك صح دخول (بين) عليه لأنهـا تقتــضى الاشتراك فلا تدخل على مفرد بل على مثنى أو جمع نحو: المال بينهما. والداء بين الإخوة.

وإنمـا الــذى حتم ذلك هو وقوع (أحد) فى سياق النفى. فلو كانت فى سياق إثبات لا يصح هذا المعنى.

وإن دل ذلــك على شئ فإنما يدل على أن الكلمة فى الجملة تؤثر فى غيرها كما تتأثر به. فمثلها مثل الإنسان فى أمته.

٣- آخر: وذلك فى ثلاث آيات من السور الآتية:

المائــدة: قوله تعالى: ﴿ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٍ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ﴾ ١٠٦.

ص: قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴾ ٥٨.

الجمعة: قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡ ﴾ ٣.

ففــى الآية الأولى (آخران) مثنى. وعلامة الإضمار فى (منكم) قيل للأقارب وفى (من غيركم) للأجانب. وقيل الأولى للمسلمين والثانية لأهل الذمة[١].

و (مــن) بمعنــى (بعض) كما هو واضح وتعرب حالا أو نعتا وفى آية صٓ قــراءتان إحــداهما: و (أُخَر) أى ومذوقات أُخر من شكل هذا المذوق من مثله فى الــشدة والفظاعة (أزواج) أجناس. والثانية (آخر) مفرد أى: وعذاب آخر أو مذوق

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٥٣٥.

آخر. و (أزواج) أجناس. و (آخر) أى وعذاب آخر أى مذوق آخر و (أزواج) صفة لــــ (آخــر) لأنه يجوز أن يكون ضرورياً - أى أنواعا - أو صفة للثلاثة وهى: حمــيم وغــساق وآخر من شكله. وقرئ (من شكله) بالكسر وهى لغــة بمعنــى: المثل"[١]. صفة لــ (آخر) لأنه يجوز أن يكون ضروريا. أجناس وقرئ: وآخر أى وعذاب آخر أى مذوق آخر و (أزواج) - أى أنوعا - أو صفة للثلاثة وهى: حميم وغساق وآخر من شكله. وقرى من شكله بالكسر وهى لغة بمعنى المثل.

والظاهــر مما سبق أن (أزواج) صلة لــ (أخر) على المطابقة أو لــ (آخر) لأنه بمعنى ضروب أى أنواع. ومقتضى هذا أن يكون (من شكله) هو الخبر. وكأن تقدير الآية: وآخر أزواج من شكله.

والحق أن الآية ليست فى حاجة إلى دعوى التقديم والتأخير. لأن (من شكله) وصــف لآخــر و (أزواج) الخبر. وهذا ما حرص عليه أبو البقاء[٢]. غير أنه قدر (كائن) وهذا ما نبهنا كثيرا على عدم فائدته.

ومعنـــى (مِـنْ) (بعض) و (شكله) قابل للتبعيض إذ المراد به تعدد الأشكال. فهـى إما حال وإما وصف. وعلى الأول تكون فى محل نصب وعلى الثانى تكون فى محل رفع.

وفى آية الجمعة (وآخرين) جمعا. وفيها يقول الزمخشرى: "وآخرين: مجرور عطـف على (الأميين) يعنى أنه بعثه فى الأميين الذين على عهده وفى آخرين من

---

(١) الكشاف ٤/ ٧٨ وهامشها. وانظر غيث النفع ص ٢٨٠ وإتحاف البشر ص ٤٥٧.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١١١.

الأميين لم يلحقوا بهم بَعْدُ وسيلحقون بهم. وهم الذين بعد الصحابة رضى الله عنهم.

ويجوز أن ينتصب عطفا على المنصوب فى (ويعلمهم) أى ويعلم آخرين. لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كله كان مستندا إلى أوله فكأنه هو الذى تولى كل ما وجد منه(١).

و (مِنْ) على الأول بمعنى (بعض) وهى حال أى وآخرين حالة كونهم بعض الأميين. وعلى الثانى بمعنى (مثل) أى ويعلم آخرين حالة كونهم مثلهم فى الأمية وقد سبق هذا الوجه.

٤- ألف: فى ست آيات من السور الآتية:

آل عمران: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ . بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾. ١٢٤، ١٢٥.

الأنفال: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ ٩، ٦٥.

الحج: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ٤٧.

---

(١) الكشاف ٤/ ٤٢٤.

الـسجـدة: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ٥.

ممـا ينبغـى التنبيه إليه أن آيتى آل عمران (ثلاثة آلاف) و (خمسة آلاف) وآيتـى الأنفال: (ألف من الملائكة) و (ألفا من الذين كفروا) وآيتى الحج والسجدة (كألف سنة مما تعدون).

ففـى السورة الأولى: (آلاف) جمع مضاف إلى العددين (ثلاثة) و (خمسة). وفـى الآيتين الأخيرتين (ألف) مفرد و (سنة) مضاف إليه. يقول أبو البقاء: "(مما تعدون) يجوز أن يكون صلة لـ (ألف) أو لـ:سنة".

وما ذلك إلا لأن المضاف والمضاف إليه كالكلمة الواحدة.

ومثله يقال فى آيتى آل عمران (ثلاثة آلف من الملائكة) و (خمسة آلاف من الملائكة).

أمـا آيتا الأنفال (ألف من الملائكة) و (ألفا من الذين كفروا) فالصفة فيها لـ (ألف) لأنه ليس له مضاف إليه.

ولا مانع من جعل (من) حالا فى هذه الآيات إذ من المعلوم أن الحال تأتى من المضاف كما تأتى من المضاف إليه. وأن صاحبها يكون نكرة كما يكون معرفة.

ولا مانع من إعرابها حالا أو نعتا لأن الحال تكون لازمة كما أن النعت يكون كذلك ولا نزال – ولن نزال – نقرأ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا ﴾ ٣٧ الإسـراء كما نقرأ قوله تعالى: ﴿ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴾ ٨١ الأعراف فكل من الحال والوصف لازمان.

وفى ذلك يقول سيبويه: "قرب اسم لا يحسن عليه عندهم السكوت حتى يصفوه وحتى يصير وصفه عندهم كأنه به يتم الاسم"(١).

٥- آلهــــة: فى آية واحدة من سورة: الأنبياء وهى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴾ ٢١.

يقــول الزمخــشرى: "ونحــو قوله (من الأرض) قولك: فلان من مكة ومن المدينة. تريد: مكي أو مدني. ومعنى نسبتها – أى الآلهة- إلى الأرض الإيذان بأنها الأصنام التى تعبد فى الأرض .. ويجوز أن يراد: آلهة من جنس الأرض لأنها إما أن تنحت من بعض الحجارة. أو تعمل من بعض جواهر الأرض"(٢).

ويقول أبو البقاء: "يجوز تعلق (من) بــ (اتخذوا) فتكون ابتدائية"(٣).

ويقول الشهاب: "ويجوز كونها تبعيضية"(٤).

بالتأمل فى هذه النصوص ندرك:

أ) أن الزمخــشرى جعــل (مــن الأرض) بمعنيين أحدهما: أنه فى مقام النسب فتقديره: أَرْضِيّ كما أن (من مكة) فى تقدير مَكِّي. والثانى أن الآلهة من جنس الأرض. أى جزء منها.

وأرى أن هــذين المعنيــين لا يوجد بينهما فرق دقيق لأن (مِنْ) عليهما معاً بمعنــى (بعــض). أى (آلهــة بعض الأرض) وكذا قوله (فلان مِنْ مكة) أى بعض أهلها. أو بعض أرضها.

---

(١) الكتاب ٢/ ١٠٦ هارون.

(٢) الكشاف ٣/ ٨٥: ٨٦.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ٢/٦٩.

(٤) إملاء ما منّ به الرحمن ٢/٦٩.

ب) أجاز أبو البقاء أن تكون (من) حرف ابتداء متعلقا بالفعل (اتخذوا) ولو كان كذلك لكانت (من) اسما بمعنى (بعض) وتعرب مفعولا به أى اتخذوا بعض الأرض آلهة.

وفيه من التقديم والتأخير مالا حاجة إليه فالحق عدم حمل الآية عليه.

ج) مما تقدم يتبين أن قول الشهاب: إن (من) بعضية هو الجدير بالقبول.

٦- أمر: فى آية واحدة من سورة:

النساء وهى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾ ٨٣.

أى بعض الأمن أو بعض الخوف. سواء نصب على الحال أم رفع على النعت.

٧- أمة: فى ثلاث آيات من السور الآتية:

الأعـراف: ﴿ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ ﴾ ١٦٤.

هـــود: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ ٤٨.

القصص: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ ٢٣.

فـ (من) بعد (أمة) فى آيتى الأعراف والقصص وبعد (أمم) فى آية هود. بمعنى (بعض) إذ (أُمَّة) و (أُمَم) قابل لمعنى التبعيض وإعرابها حالا أو نعتاً فتكون منصوبة على الأول فى الآيات الثلاث. وأما على الثانى فتكون مرفوعة فى الآية الأولى ومخفوضة فى الثانية ومنصوبة فى الثالثة.

ويقـول الزمخـشرى فى آية هود: "يحتمل أن تكون (من) للبيان فيراد الأمم الذين كانوا معه فى السفينة لأنهم كانوا جماعات. وأن تكون لابتداء الغاية أى على أمم ناشئة ممن معك وهو الوجه"(١).

وكم رددنا كونها بيانية لما يترتب عليه من دعوى زيادتها ولذا رأينا أبا حيان يرده قائلاً: "وهذا فيه بُعْد وتكلف إذ يصير التقدير وعلى أمم هم مَنْ معك. ولو أريد هـذا المعنـى لأغنـى عنه: وعلى أمم معك أو على مَنْ معك. فكان يكون أخصر وأقرب إلى الفهم وأبعد عن اللبس"(٢).

وأما معنى الابتداء فليس بذى فائدة فى هذا المقام لأنه يمكن أن تكون بمعنى (بعـض) على حذف مضاف وفيه يقول الجلال: "فقال (ممن معك) أى من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون" وعلق عليه الجمل قائلاً: "صنيع الشارح أنها تبعيضية وأن فـى الكلام مضافا محذوفا أى وعلى أمم مِنْ ذرية مَنْ معك حيث قال: من أولادهم وذريتهم"(٣).

وحـذف المـضاف مـن باب البلاغة والبيان الذى يدركه العقل ويشعر به الوجدان. هذا عن آية هود.

أمـا آيـتا الأعراف والقصص فليس فيهما غموض فالأولى: قالت أمة حالة كـونها بعـضهم والثانية: وجـد عليه أمة حالة كونهـا بعض الناس. وإن جعلناه وصفـا فلا مانع.

---

(١) الكشاف ٢/ ٣١٣.

(٢) البحره/ ٢١٣.

(٣) حاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٤٧٩.

ولعـل قـيدها فى الأخير بـ (بعض الناس) احتراز عن أمّة من غيرهم فالله يقول: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ ٣٨ الأنعام.

٨- آنـية فـى آية واحدة من سورة: الإنسان: قوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ ﴾ ١٥.

فالآنية بعض الفضة.

فـ (من) وصف لـ (آنية) فى محل خفض إن كانت نعتاً وفى محل نصب إن كانت حالا.

٩- آيـة: فى ثلاث آيات من السور الآتية:

المائـدة: قـوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ﴾ ١١٤. أى حالـة كونها بعض آياتك. على حذف مضاف. ويرى أبو البقاء أنها صفة[١].

ويعنـى أبو البقاء أنها نعت. ولا مانع – من وجهة نظرى – أن يحتمل أنها حال أو نعت لما عرفنا من أن (صفة) تشملهما.

وقدر الألوسى لها متعلقا أى كائنة منك دالة على كمال قدرتك[٢]..

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٣٠.

(٢) روح المعانى ٢/ ٤٠٩.

وبأدنـــى التفاتة ذهنية يدرك العقل أن الآية فى أشد الاستغناء عن ذاك التقدير لأنه تكدير.

الأنعـــام: قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ ٤. ومثلها فى

يس: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ ٤٦

والــذى أعنيه (من آيات ربهم) أى بعض آياته[1]. حالا أو نعتا أما (من) فى (من آية) فسيأتى بحثها فى الباب الآتى إن شاء الله.

١٠- بشـــر: فى أربع آيات من السور الآتية:

المائدة: ﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ ١٨.

الحجر: ﴿ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ ﴾ ٢٨.

ص: ﴿ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ ٧١.

القمر: ﴿ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾ ٢٤.

قـــال الألوســـى فى الأولى: "ممن خلق: متعلق بمحذوف صفة لـــ (بشر) أى بشر كائن مِنْ جنس مَنْ خلقه الله تعالى من غير مزية له عليكم"[2].

---

(١) انظر الكشاف ٢/٤.

(٢) روح المعانى ٢/ ٢٨٠.

وقـــال فى الثانيـــة: "من صلصال: متعلق بـــ (خـــالق) أو بمحـــذوف صفة لـــ "بشر"[١].

وقـــال أبـــو البقاء فى الثالثة: "من طين: يجوز أن يكون نعتا لـــ (بشرا) وأن يتعلق بـــ : خالق"[٢].

ونكـــر الجَمَـــل الرابعة: أن (منا) يجوز أن يكون نعتاً لـــ (واحداً) قدم عليه فصار حالا. وأن تكون لـــ "بشرا"[٣].

فهـــذه النـــصوص لا تخلو من ضعف لا يليق حمل القرآن عليه لأنك إما أن تقدر شيئا لا معنى له. وإما أن تقدم وتؤخر. وهذا لا يليق إلا بالضرورة.

فالـــصواب أن (مـــن) بمعنى (بعض) فإن كانت نعتا كانت فى محل رفع فى الأولـــى وفى محل نصب فى الآيات الثلاث الباقية. وإن كانت حالا كانت فى محل نـــصب فـــى جميع الآيات. غير أننى أرى فى الرابعة جعل (من) نعتاً لأن (أحدا) تعتبر حالا.

١١- بقية: فى آية واحدةمن سورة:

البقرة وهى: ﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴾ ٢٤٨.

يرى أبو البقاء وأبو حيان أن: "مما ترك: فى محـــل رفـــع على أنه صفـــه لـــ (بقية) و (من) للتبعيض"[٤].

---

(١) روح المعانى ٤/ ٢٩٣.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١١١.

(٣) حاشية الجَمَل ٤/ ٢٤٦: ٢٤٧.

(٤) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٥٩ والبحر المحيط ٢/ ٢٦٢.

أى بعض ما ترك. ولو قيل إنه حال لكان جديراً بالقبول.

١٢- باب فى آية واحدة من سورة:

الحجر: وهى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ ١٤.

أى من أبواب السماء على تقدير مضاف. أى بعض أبوابها. وقد يقال: بعض السماء لأن الباب بعضها على الحقيقة فلا داعى لملاحظة مضاف. و (من) فى محل نصب سواء قلنا: إنها حال أو نعت.

١٣- بيت: فى آيتين من سورتين هما:

الإسراء: قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ ٩٣.

والمشهور فى مثل هذه الآية أن (لك) فى محل نصب خبر (يكون) و (بيت) مرفوع اسمها على التقديم والتأخير. وهذا على أن (يكون) فعل ناقص أى يرفع المبتدأ وينصب الخبر.

والحق أن (يكون) تام وقد ارتبط به (لك) على أنه ظرف لغو أى لا يحتاج إلى تقدير متعلّق. و (بيت) فاعل (يكون) أى أو يوجد لك بيت: و (من زخرف) أى بعضه إما فى محل رفع نعتا لـــ (بيت) أو فى محل نصب حالا.

الذاريات: قوله تعالى: ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ٣٦.

أى غير أهل بيت حالة كونهم بعض المسلمين. ويجوز أن يكون نعتا.

١٤- بينة: فى ثلاث آيات من السور الآتية:

البقـــــــرة: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ ١٨٥.

من البدهى أن (هدى ... وبينات) حالان معطوفان ثانيهما على الأول ونصب الأول بفـتحة مقـدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين إذ وزنه فعى. ونصب الثانى بالكسرة لأنه جمع بالألف والتاء.

وذكر الزمخشرى ما يثبت أن (من) بمعنى (بعض) أى أنه ببنات من جملة ما هدى الله به"[1].

ووضــح أبــو حــيان ذلك فقال: "من الهدى: فى موضع الصفة لقوله (هدى وبيــنات) أى أن يكون القرآن هدى وبينات هو من جملة هدى الله وبيناته. والهدى والفرقان يشمل الكتب الإلهية فهذا القرآن بعضها"[2].

وبهــذا يتــضح أن (من) اسم إذ هى بمعنى (بعض) وأنها صفة أى فى محل نصب لأن موصوفها منصوب حالا. وعليه فالراجح هنا أن تكون نعتا لا حالا كما

(١) الكشاف ١/ ١٧٢.

(٢) البحر ٢/٤٠.

يظهر لأول وهلة. ولكنى لا أرى مانعاً من أن تكون حالا من الحال. أى حالة كونهما بعض الهدى والفرقان. وهى حالة لازمة.

فاطر: قوله تعالى: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ﴾ ٤٠.

وفيه يقول الزمخشرى: "أم معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب.

أو يكون الضمير فى (آتيناهم) للمشركين: ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنًا ﴾ ٣٥ الروم"[١].

والمعنى على الوجه الأول أنهم ليس معهم كتاب حتى يكون لهم فيه حجة. والمراد بهؤلاء: الشركاء. وعلى الثانى يكون المعنى: ليس المشركون أصحاب كتاب توجد فيه حجة لهم.

وعلى كِلاَ الوجهين تكون (مِنْ) بمعنى بعض أى حالة كون البينة بعضه ويجوز أن تكون نعتاً فهى إما فى محل نصب أو فى محل خفض.

الجاثية: قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُم بَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ ١٧ أى بنى إسرائيل يقول الجمل: "بينات من الأمر: أى أدلة واضحة فى أمر الدين.

فـ (من) بمعنى (فى) أ .هـ بيضاوى. أو أن البينات بعض الأمر أى أمر النبى عليه السلام وهى علامات مذكورة فى كتبهم – أى بنى إسرائيل – أ. هـ شهاب[٢].

وما دام يمكن جعل (مِنْ) اسما بمعنى (بعض) فلا داعى لجعلها بمعنى (فى).

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٨٨.

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ٤/ ١١٦.

وهى فى محل نصب إما حالا وإما نعتا.

١٥- ثلة: ثلاث مرات فى سورة:

الواقعــة: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ١٣ ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ٣٩ ﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ ٤٠.

يقول الزمخشرى "الثلة الأمة الكثيرة من الناس قال الشاعر:

وجاءت إليهم ثلة خندقية ... بجيش كتيار من السيل مزبد

وهــى مــن الثلّ وهو الكسر كما أن الأمة من الأم وهو الشج. كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم. والتقدير: هم ثلة من الأولين"(١).

فمعنى البعضية واضح و (من) فى محل نصب حالا أو فى محل رفع نعتا.

١٦- ثــــوب. فى آيتين من سورتى:

الكهف: قوله تعالى: ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ ٢٩.

والحج: قوله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ ١٩.

قــال أبــو حيان فى الأولى: "ووصف الثياب بالخضرة لأنها أحسن الألوان. والــنفس تتبــسط لها أكثر من غيرها. وقد روى فى ذلك أثر: أنها تزيد فى ضوء البصر. وقال بعض الأدباء:

أربعة مذهبة لكل همٍّ وحزَن الماء والخضرة والبستان والوجه الحسن(٢).

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٦٥.

(٢) البحر المحيط ٦/ ١٢٢.

وقال الزمخشرى: "وجمع بين السندس وهو مارَقّ من الديباج وبين الإستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين"(١).

فالثياب الخضر بعض الديباج مارق منه وما غلظ. فـ (من) بمعنى (بعض) وتعرب حالا أو نعتا.

وأما الآيـة الثانية فيقول فيها الزمخشرى: "وقرئ قُطِعَتْ بالتخفيف كأنّ الله تعالى: يُقَدِّرُ لهم نيراناً على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تُقَطَّعُ الثياب الملبوسة.

ويجـوز أن تظاهـر تلك النيران على كل واحد منهم كالثياب الظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض. ونحوه: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ ٥٠ إبراهيم(٢).

قال ابن منظور: "فأما ظهارة الثوب وبطانته فالبطانة ما ولى منه الجسد وكان داخلا. والظهارة ما علا و ظهر ولم يل الجسد"(٣).

فـ (من نار) حال فى محل نصب أو نعت فى محل رفع.

١٧- **جذوة:** فى آية من سورة:

القصص: وهى قـوله تعالى: ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ ٢٩.

أى بعضها فى محل خفض نعتا أو فى محل نصب حالا.

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٦٢.

(٢) الكشاف ٣/ ١١٨.

(٣) لسان العرب ص ٢٧٦٥.

١٨- جزاء: فى آية من سورة:

المائدة: ﴿ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾ ٩٥.

فى هذه الآية (منكم) وهى حال إما مِنْ (مَنْ) أى حالة كـونه بعضكم وهـذا ما نرجحه. وإما حال من المضمر العائد عليه. وقد تقدم بيانه.

أمـا (فجزاء مثل ما قتل من النعم) ففى (جزاء) قراءة بالتنوين. وهى ما فى المـصحف. وقـراءة بالإضـافة إلى (مثل). وفى (مثل) قراءة بالرفع على تنوين (جزاء) وبالنصب أى فجزاء مثلا.

فعلـى قراءة تنوين (جزاء) ورفع (مثل) يجوز أن يكون (من النعم) حالا من الفاعـل المضمر فى (قَتَل) لأن المقتول من النعم ذكره أبو البقاء [١] ورده أبو حيان لأن المعنـى لـيس علـيه إذ الـذى هو من النعم هو ما يكون جزاء لا الذى يقتله المحرم. ولأن النعم لا تدخل فى اسم الصيد[٢].

ويجوز أن يكون (من النعم) صفة لـ (جزاء) والمعنى: فعليه جزاء من النعم يماثل ما قتله[٣].

هكـذا قدَّره مَنْ ذكره. ولعلك تلحظ أن فيه تقديما وتأخيراً ولست أدرى علة لذلك إذ ما المانع أن يكون التقدير فجزاء مثل ما قتل أى ما قتله حالة كونه من النعم أى بعضها. ولو جعل نعتا لما منع مانع.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٢٧.

(٢) البحر المحيط ٤/ ١٩.

(٣) انظر إعراب القرآن المنسوب للزجاج ص ٧١٥ وإملاء ما من به الرحمن ١/ ١٢٧.

وأمـــا على قراءة الإضافة (فجزاء مثل ما قتل من النعم) فيرى أبو حيان أن (مـــن النعم) متعلق بـــ (جزاء) وكذا على قراءة (فجزاء مثلا) بالنصب[١]. و (من) علـــى هذا – كما يبدو – حرف ابتداء. فهو الذى يرشد إليه قوله (متعلق بـــ:جزاء ولعلك تدرك أن تقدير ذلك: كائن من النعم.

والحـــق أن (مـــن الـــنعم) وصـــف أى حالا أو نعتا و (من) فيه اسم بمعنى (بعض).

إذ لا معنى لكونها حرف ابتداء لأنه لا يوجد فى النص حدث ممتد.

١٩- **جند**: فى آية من سورة:

ص: قوله تعالى:﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٌ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾ ١١.

قـــال الزمخشرى: "يريد: ماهم إلا جيش من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور"[٢].

وجوز أبو البقاء أن يكون (من الأحزاب) نعتا لـــ (جند) أو لـــ (مهزوم) وأن يكون متعلقا بـــ : مهزوم[٣].

ومقتـــضى الأخيـــر أن تكـــون (مـــن) حرف ابتداء وكأن الهزيمة بدئت من الأحـــزاب. ولا شـــك فى غموض ذلك. فالراجح أن تكون اسما بمعنى (بعض) أى جندٌ ما هنالك مهزوم.حالة كونهم بعض الأحزاب. والحال هنا أقوى.

---

(١) انظر البحر ٤/ ١٩.

(٢) الكشاف ٤/ ٥٧.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٠٩.

٢٠- **جنة**: فى سبع آيات من السور الآتية:-

البقـــــــرة: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾٢٦٦.

الأنعام: ﴿ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ﴾ ٩٩.

الرعد: ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ﴾ ٤.

الإسراء: ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ ﴾٩١.

الكهـــف: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ ﴾ ٣٢.

المؤمنون: ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ ﴾ ١٩.

يس: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ ﴾ ٣٤.

و (مِنْ) فى هذه الآيات بمعنى (بعض) وقد أضيفت إلى (نخيل) فى أربع آيات وعطف عليه (أعناب) فى ثلاث و (عنب) فى واحدة.

وأضـــيفت إلى (أعناب) فى ثلاثة آيات. فالجنات أو (جنة) صاحب المنعوت فهى فى محل نصب على الأول وتابع للمنعوت على الثانى.

٢١- حبة: فى آيتين من سورتين هما:

الأنبياء: قـوله تعالـى: ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ ٤٧.

لقمان: قوله: ﴿ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ﴾ ١٦.

والخـردل: حـب شجر معروف[1]. أى بعض حب الخردل. وهى فى محل نصب حالا أو فى محل خفض نعتاً.

٢٢- حبل: فى آية واحدة من سورة:

المسد: وهى قوله تعالى:﴿ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ ٥.

والمسد: الذى فتل من الحبل فتلا شديداً من ليف كان أو جلد أو غيرها[2].

فالحبل موصوف بأنه (بعض الليف أو الجلد. سواء أكان فى محل رفع أم كان فى محل نصب. فهو نعت أو حال. وكل منهما وصف لما هو له. و (حبل) مرفوع إذ هو فاعل بالظرف (فى جيدها).

---

(١) القاموس ٣/ ٣٦٧.

(٢) الكشاف ٤/ ٦٥١.

٢٣- **حجر**: فى خمس آيات من السور الآتية:

الأنفال: قوله تعالى: ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ٣٢.

هود: قوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ ٨٢.

الحجر: قوله: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ ٧٤.

الذاريات: قوله: ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ ٣٣.

الفيل: ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ ٤.

و (مِنْ) فى هذه الآيات إما مضافة إلى (السماء) قال الزمخشرى: "فائدة قوله (مِنَ السماء) مع أن الأمطار لا تكون إلا منها كأنه يريد أن يقال: فأمطر علينا السجيل. وهى الحجارة المسومة للعذاب فوضع (حجارة من السماء) موضع (السجيل) كما تقول: صب عليه مسرودة من حديد. تريد درعا"(١).

ولقد عرفنا أن (السماء) التى ينزل منها المطر هى (السحاب) وهى سماء على الحقيقة فالذين كفروا يقولون: "إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة حالة كونها بعض السحاب. أى أنه يطلبون من الله أن يبدلهم بالخير شرا وبوسيلة النعيم أداةً للعذاب. وعلى هذا فقوله: (من السماء) مرتبط فى المعنى بـ (حجارة) ويرى أبو البقاء أنه متعلق بـ (أمطر)(٢). ورده الجَمل قائلا: "من السماء: صفة لـ (حجارة) فيتعلق بمحذوف. ولو جعل متعلقا بـ (أمطر) لم يبن لقوله (من السماء) فائدة. لأن المطر لا يكون إلا من السماء"(٣).

---

(١) الكشاف ٢/ ١٧٠.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٤.

(٣) حاشية الجمل ٢/ ٢٨٧.

والواقــع أن (من) اسم بمعنى (بعض) فليست فى حاجة إلى تقدير متعلق لها. فهى ذاتها نعت أو حال.

وإمــا مضافة إلى (سجيل) وذلك فى ثلاث آيات. وقد عرفنا أن السجيل هى الحجارة المعلَّمة بأنها للعذاب. أى أمطر علينا حجارة حالة كونها مسوَّمَة للعذاب.

يقول الزمخشرى: "من سجيل: قيل: هى كلمة معربة من (سنككل) بدليل قوله: (حجارة من طين). وقيل هى: من أسجله إذا أرسله لأنها ترسل على الظالمين ويدل علـيه قــوله: (لنرسل عليهم حجارة) وقيل: مما كتب الله أن يعذب به. من السجل. ومسجل لفلان"(١).

وإمــا مضافة إلى (طين) وهو فى آية واحدة: لنرسل عليهم حجارة من طين. أى بعضه. ولكن فى حالة طبخه حتى يصير حجرا.

فالإمطار والإرسال والرمى. يكون للحجارة فى حالة معينة.

٢٤- **حظ:** فى آيتين من سورة:

المائدة هما: قوله تعالــى: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ ١٣وقــوله: ﴿فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ ١٤.

أى بعض ما ذكروا به فــ (من) فى محل نصب سواء أعربت حالا أم نعتا. يقــول الزمخشرى: "أى تركوا نصيبا جزيلا وقِسْطاً وافيا من التوراة وقيل: تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد عليه السلام وبيان نعته"(٢).

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٢٥.

(٢) الكشاف ١/ ٤٧٨.

٢٥- **حفرة**: في آية واحدة من سورة:

آل عمران: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ ١٠٣.

قال أبو البقاء "من النار: صفة لـــ (حفرة) و (من) للتبعيض"[١].

أي هــذه الحفرة بعض النار. ولعل تعريفها مقصود به أنها النار التي أعدت للكافرين.

٢٦- **حَكَم**: مرتين في آية من سورة:

النـــساء: قوله تعالى: ﴿ فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ ٣٥ أي أن الحكــم الأول موصــوف بأنه بعض أهل الزوج والآخر موصوف بأنه بعض أهل الزوجة. وسواء في ذلك أعربت (مِنْ) حالا أم نعتاً.

ولكــن أبــا البقاء يقول: "إن (مِنْ) حرف ابتداء يتعلق بالفعل أي (ابعثوا) أو صفة فتتعلق بمحذوف"[٢].

قال الجمل: "وعلى الثاني (مِنْ) للتبعيض"[٣].

ومــا دامت بمعنى (بعض) فهي اسم لا يحتاج إلى متعلق سواء كانت حالا أم نعتا. أما جعلها حرف ابتداء فلا معنى له هنا كما نبهنا غير مرة.

٢٧- **حين**: في آية واحدة من سورة:

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٨٢.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٠١.

(٣) حاشية الجمل ١/ ٤٥٦.

الإنـسان: وهى قوله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾ ١.

أى بعض الدهر. وهى إما فى محل رفع نعتا أو فى محل نصب حالا.

٢٨- **خلق**: فى آية واحدة من سورة:

الإسراء: وهى: ﴿ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا . أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡ ﴾ ٥٠: ٥١.

قال الزمخشرى: "يعنى: أو خلقا مما يَكْبُرُ عندكم عن قبول الحياة وَيَعْظُم فى زعمكـم على الخالق إحياؤه فإنه يحييه. وقيل: ما يكبر فى صدورهم الموت وقيل: السموات والأرض"(١).

فـــ (خلــق) بمعنى: مخلوق. و (من) بمعنى (بعض) أى بعض ما يكبر فى صدوركم.وهى فى محل نصب حالا كانت أو نعتا.

٢٩- **خــائنة**: فى آية واحدة من سورة:

المائدة: وهى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ ١٣.

قيل: خائنة إما مصدر كالعافية والعاقبة أى على خيانة منهم.

أو علـــى فعلـــة ذات خيانة. وإما أن التاء للتأنيث وأنث على معنى طائفة أو نفــس خائــنة. وإما اسم فاعل والتاء للمبالغة يقال رجل خائنة كقولهم: رجل راوية للشعر للمبالغة. قال الشاعر:

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٢٤.

حدثتَ نَفْسَك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مضلَّ الإصبُع.

وقــرأ الأعمــش: علــى حياته. وهذا ممــا يؤيــد جعلها مصدرا و (منهم) صفة لــ : خائنة"(١).

وقــال أبو السعود: وعلى تقدير (خائنة) بمصدر تكون (من) ابتدائية. وعلى غيره تكون للتبعيض"(٢).

والذى أراه أن (من) بمعنى: بعض فالخيــانة بعض صفاتهــم. وهى حــال أو نعت.

٣٠- ذرية: فى آية واحدة من سورة:

يــونس: وهــى قوله: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ ٨٣.

والمــراد بـــ (قــومه) إما قوم موسى فالمعنى: إلا طائفة من ذرارى بنى إسرائيل كأنه قيل: إلا أولاد من أولاد قومه.

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٤٧٨ وحاشية الجمل ١/ ٥٦٨.

وقيل هذا البيت قوله:

أقرين إنك لو رأيت فــوارساً بعمايتين إلى جوانب صلقع

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مضلَّ الإصبــع

وهما للكلابى يخاطب ضيفا نزل عنده فطمع فى جاريته. والهمزة للنداء و (عمايتين) اسم رجلــين و (صــالع) اسم موضع أى ياقرين لو رأيت فوارس بهذين الجبلين ممتدين إلى جوانب صلقع لحدثت نفسك بوفاء العهد خوفا منى كما هو الواجب عليك .. ولعله كان قد أشار للجارية بأصبعه فسمى الإشارة به للخيانة إضلالا له. هامش الكشاف ١/ ٤٧٩.

(٢) إرشاد العقل السليم ٤/٣٠: ٣١.

وإمـا قـوم فرعون. والذرية: مؤمن آل فرعون الذى ذكر فى قوله تعالى:

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ ٢٨ غافر. وآسية امرأتـه وهى مذكورة فى قـوله تعـالى:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ١١ التحريم. وخازنه وامرأة خازنه وماشطته[١].

وسـواء أكان هذا أم ذاك فـ (مِنْ) بمعنى (بعض) أى بعض قومه والضمير امـا لموسى وإما لفرعون. وهى فى محل نصب إن كانت حالا وفى محل رفع إن جعلت نعتا. ومما يرجح الأول هنا نعت (رجل) بـ (مؤمن).

٣١- ذكـر: فى آية من سورة:

الـصافات: ﴿ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ١٦٨﴿ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ ١٦٩. قال الزمخشرى: أى كتاباً من كتب الأولين"[٢].

---

(١) انظر الكشاف ٢/ ٢٨٤: ٢٨٥.

(٢) الكشاف ٤/ ٥١.

ولعل المراد: كتابا موحى به إلى نبى من أنبياء الله. فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ ٩ الحجـر. ولكنهم كفروا به فقد قال الله عقب الآيتين السابقتين: ﴿ فَكَفَرُواْ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ ١٧٠.

فالذكــر بعض الكتب الموحى بها وليس آتياً من الأولين. بل هو بعض الكتب التى نزلت من عند الله. و (مِنْ) بمعنى (بعض) مع ملاحظة المضاف الداخلة عليه أى بعض كتب الأولين. فهى فى محل نصب سواء أعربت حالا أم نعتا.

٣٢- ذو: فى ثلاث آيات من سورتين هما:

المائدة: قوله تعالى: ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ ٩٥ وقوله: ﴿ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ ١٠٦.

الطلاق: قوله تعالى: ﴿ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ ٢.

فهــى مثنى فى مواضعها الثلاثة ومرفوعة فى آيتى المائدة ومنصوبة فى آية الطلاق. و (عدل) مضاف إليه. و (من) بمعنى (بعض) فى محل نصب حالا أو فى محل رفع فى آيتى المائدة نعتا. وفى محل نصب فى آية الطلاق.

ولا يجوز أن تكون وصفا لــ (عدل) لأن (عدل) هنا مصدر غير وصف[١].

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٢٧.

٣٣- أربعة: فى آيتين من سورتين هما:

البقرة: قوله تعالى: ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ ﴾ ٢٦٠.

النساء: قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ﴾ ١٥.

يـرى أبو البقاء: أن (مِنْ) فى الأولى صفـة لـ (أربعة). ويجـوز تعلقهـا بـ (خذ) [١].

فهـو فـى محل نصب سواء أكانت نعتا او حالاً. وأما لو جعلناها متعلقة بـ (خذ) فإنها تكون حرف ابتداء. وهذا من الغموض بمكان لأننا لو استسغنا ذلك لكان نسق الآية: فخذ من الطير أربعة. وحينئذ تعرب (من) مفعولا به فاسميتها باقية أى خذ بعض الطير. و (أربعة) بيان لها. وعليه فلا داعى لارتكاب دعوى باطلة وهى: دعوى التقديم والتأخير.

ويقـول أبـو حيان: "إنها جاءت على الأفصح فى اسم الجمع فى العدد حيث فـصل بـ (مِنْ) فقيل: أربعة من الطير. ويجوز الإضافة كما قال الله: ﴿ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ ٤٨ النمل"[٢].

وأرى أن أبـا حـيان هنا غير دقيق الفكر ومن ثم كانت عبارته قلقة لأنه لو أمعـن الفكر لأدرك الفرق الكبير بن (تسعة رهط) و (أربعة طير) ففى الأولى خفة وسلاسـة ودقة تعبير لا توجد فى الثانية. ولذا لا ينبغى لأحد أن يتدخل فى صياغة كلمـات القرآن ووضعها فى جملها إذ هى منزلة محكمة دقيقة. فليس هناك فاصل

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٦٢.

(٢) البحر المحيط ٢/ ٢٩٩.

وهــو (مِنْ) بل إنها اسم بمعنى (بعض) أى أن هذه الأربعة بعض الطير لا بعض الوحش ولا بعض الإنسان فــ (مِنْ) فى محل نصب سواء قلنا إنها حال أو نعت.

أمـــا آيـــة النساء. فالكلام عليها واضح لما سلف عن آية البقرة. أى الأربعة بعض الرجال. الذين يستشهدون على النساء اللاتى يأتين الفاحشة بعضهن مع بعض فــــ (مـــنكم) بمعنى (بعضكم) فى محل نصب نعتاً أو حالا. وقد ذكر أبو حيان ما يفهم منه جواز تعلق (من) بـــ (استشهدوا) (١).

ولو جاز هذا لكان نسق النص: فاستشهدوا منكم أربعة.

وعليه فــ (من) تظل اسما أى استشهدوا بعضكم و (أربعة) بيان لها. فتكون مفعولا به لا حرف ابتداء. إذ معنى البعضية واضح.

٣٤ - رجز. فى ثلاث آيات من ثلاث سور هى:

البقرة: ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ٥٩.

الأعراف: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ١٦٢.

العنكــــــبــوت: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ٣٤.

قـــال أبـــو حيان: "إن فسر الرجز بالثلج فكونه من السماء ظاهر. وإن فسر بغيره فهو إشارة إلى الجهة التى يكون منها القضاء عليهم.

---

(١) انظر البحر المحيط ٣/ ١٩٥.

أو مبالغة فى علوه بالقهر والاستيلاء"[١].

والأول أوضح وأدق إذ السماء بمعنى السحاب كما حققنا ذلك. ومن السحاب ينزل المطر. وكذا البرَد حيث يقول الله: ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ﴾ ٤٣ النور.

فالثلج والبرَد متقاربان معنى ومتفقان فى أنهما من وسائل التعذيب.

قال المجد: "والبرد: حب الغمام"[٢].

ومعنى هذا أنه ينزل جامدا ثم يذوب من بعد ذلك. وأما الثلج فينزل سائلاً شديد البرودة فيتجمد على الأرض فترة ليذوب من بعدها وإنما يذوبان بحرارة الأرض.

وقد مضى أن الإرسال والإنزل بمعنى الإهلاك والتدمير.

ولا يخفى أن آيتى البقرة والأعراف فى حق قوم موسى. وآية العنكبوت فى حق قوم لوط.

أما قول أبى حيان (وإن فسر بغيره فهو إشارة .. إلخ النص. فالآية فى غنى عند إذ ما الداعى إلى صرف كلمة (رجز) إلى غير معناها؟!

٣٥- **رجس**: فى آية واحدة من سورة:

المائدة وهى:﴿ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ ٩٠.

---

(١) البحر المحيط ١/ ٢٢٥.

(٢) القاموس ١/ ٢٧٦.

أى بعض عمل الشيطان. فهى فى محل نصب حالا أو فى محل رفع نعتا.

ويبدو وأن معنى (رجس) قريب جداً من معنى (رجز) لأنهما متفقان فى صوتى الراء والجيم. ويجمع السين والزاى وصف معين من صفات الحروف وهو الصغير. ومن ثم وجدت المجد يقول: "الرجز بالكسر والضم القذر وعبادة الأوثان والعذاب والشرك" ثم يقول: "والرجس بالكسر القذر. والمأثم وكل ما استعذر من العمل. والعمل المؤدى إلى العذاب والشك والعقاب والغضب"(١).

وبذلك يتبين أنه – بالرغم من تقارب معنييهما – لابد من فرق بينهما ويتضح هذا الفرق من ملاحظة معانى كل منهما.

ويقول ابن فارس: "فأما الرجز الذى هو العذاب والذى هو الضم فى قوله جل ثناؤه ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ ٥ المدثر فذاك من باب الإبدال لأن أصله السين وقد ذكر"(٢).

٣٦- رجـل: عشر مرات فى تسع آيات من السور الآتية:

البقرة: ﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ ﴾ ٢٨٢.

المائدة: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ٢٣.

---

(١) القاموس ٢/١٧٦، ٢١٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٤٨٩: ٤٩٠.

الأعراف: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴾ ٦٣، ٦٩

يونس: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ ٢.

يوسف: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ ١٠٩.

غافر: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ ٢٨.

الزخرف: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ ٣١.

الجن: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ ٦.

يقول أبو البقاء فى الآية الأولى: "ممن ترضون: فى موضع رفع صفة لـ (رجل وامرأتين) تقديره: مرضيين. وقيل: هو صفة لـ (شهيدين) وهو ضعيف للفصل الواقع بينهما. وقيل: بدل من: من رجالكم"(١).

وقوله: (مرضيين) ليس من الدقة فى شئ إذ الصواب: بعض من ترضون وبالمقارنة بين هذا وجعله حالا أى حالة كونهم بعض من ترضون. يظهر الفرق الجميل من كون نعتا وكونه حالا.

ولو جعلناه نعتا لـ (شهيدين) لكان فى موضع نصب والراجح كونه حالا لا نعتا. وقد ذكر أبو البقاء أنه ضعيف لوجود فاصل بين الموصوف وصفته. أو بين الحال وصاحبها. وبهذا يخلو وجه المعنى لكونه وصفا لـ (رجل وامرأتان).

ويبقى وجه البدل؛ ولو كان جائزاً لكانت (من) فى (من الشهداء) حالا من (مِنْ) فى (ممن ترضون) أو من ضميره الملحوظ أى ترضونه حالة كونه بعض الشهداء أى حين أداء الشهادة. فرب إنسان يكون مرضى الشهادة فى حين ثم تتغير حاله فيصير مردود الشهادة.

وقد ضعف أبو حيان وجه البدل. لأنه يؤذن بالاختصاص بالشهيدين الرجلين فعرى عنه (رجل وامرأتان) ولأن الوصف يشعر باختصاصه بالموصوف فيكون قد انتفى هذا الوصف من (شهيدين). ثم قال: "والذى يظهر أنه يتعلق بـ: استشهدوا"(٢).

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٦٧.

(٢) البحر المحيط ٢/ ٣٤٧.

وعلى هذا تكون (من) حرف ابتداء. ولو جعلنا نسق الآية عليه لكان: واستشهدوا من رجالكم شهيدين. وبذلك لا يصح معنى الحرفية لـــ (مِنْ) إذ هى اسم بمعنى (بعض) منصوب على المفعولية أى: واستشهدوا بعض رجالكم حالة كونه شهيدين. ومع ذلك نربأ بأنفسنا أو بغيرنا أن يكون وصيا على كلام الله يعدل فى نسعة أو يبدل من معناه.

ولعل ذلك ما حمل أبا حيان على الرجوع عن هذا المعنى حيث قال فى (النهر): "والظاهر معلقة – أى: ممن ترضون – بـــ: رجل وامرأتان"[١].

ومعنى (تعلقه) هنا أنه مرتبط به فى المعنى ومن ثم يكون إعرابه حالا منه أى حالة كونهم بعض من ترضون شهادته. وبهذا يكون أبو حيان قد عاد إلى المعنى الواضح النابع من النص.

أما آيات: المائـــدة (رجـــلان من الذين يخافون) والأعراف (على رجل منكم) مرتين.

ويونس: (إلى رجل منهم) والزخرف (على رجل من القريتين) والجن (رجال من الإنس) و (برجال من الجن).

ففيها (من) حال مما قبلها. فهى فى محل نصب. ولو أعربت نعتا لكانت فى محل رفع فى آية المائدة والمرة الأولى من آية الجن. وفى محل خفض فى سائرها. ومما ينبغى لحظه أن فى آية الزخرف مضافا أى أهل القريتين.

ويرى الشيخ المغربى فى (برجال من الجن) أن (من الجن) متعلق بمحذوف صفة لـــ (رجال) أى رجال الإنس يستجيرون برجال صفتهم أنهم من الجن ...

---

(١) النهر الماد هامش ٢/ ٣٤٧.

وقــيل: إنـــه متعلق بـــ (يعوذون) فالمعنى: أن (رجال الإنس) يستجيرون من أذى الجـــن بـــرجال. وهـــؤلاء الرجال المستجار بهم هم من الإنس كالكهان والمنجمين والعرافين وسائر مستطلعي الغيب"[١].

وممـــا يجدر التنبيه إليه أن الشيخ المغربي أهمل معنى (من) في (رجال من الإنـــس) حيث قال (رجال الإنس) وشتان بين هذا وقوله تعالى: (رجال من الإنس) أي بعـــضهم. فالتعبيـــر القرآني له دقته وعمق فلا يستغني عن أي شئ فيه. ثم إنه جوز تعلق (من الجن) بمحذوف. وهذا لا فائدة فيه إذ لا احتياج إليه. وأشد من هذا أنـــنا رأيـــناه في آخر نصه يحمل الآية على التقديم والتأخير مما سلب منها نفسها وأفقدها معناها. وهذا ما لا أرضاه منه ولا لها.

ويبقى بعد ذلك آيتا (يوسف) و (غافر) فآية يوسف (إلا رجالا نوحي إليهم من أهـــل القـــرى) وآيـــة غافر (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) ففي هاتين الآيتين وصـــف لـــــ (رجالا) وهو جملة (نوحي إليهم) ولـــ (رجل) وهو مفرد (مؤمن). فمحل الجملة في الأولى النصب. وعلى هذا يخلو إعراب (من) فيهما لوجه النصب على الحال. أي حالة كونهم بعض أهل القرى. وحالة كونه بعض آل فرعون.

ونقل القُشَيْـــرِي عن القرطبي: "ومن جعله اسرائيلياً ففيه بعد لأنه يقال: كتمه أمـــر كـــذا. ولا يقال: كتم منه. قال الله تعالى:﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ ٤٢ النساء. وأيضاً: ما كان فرعون يحتمل من بني إسرائيل مثله أهـــ قرطبي"[٢].

وأرى أنـــه لا داعي إلى جعله (اسرائيليا) لأن نص الآية: "وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه" فهو من آل فرعون كما أنه يكتم إيمانه. فهل من اللائق أن نجعـــل نـــص الآية (وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون) ثم نزعم أنه

---

(١) تفسير جزء تبارك ص ٦٨.

(٢) انظر تفسير القرطبي ص ٥٧٥١.

يخــاف مــن آل فرعون. أليس في هذا دعوى باطله يترتب عليها فساد المعنى من جانب والتقديم والتأخير من جانب آخر!!

٣٧- رزق: في آية واحدة من سورة:

الكهف: ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾ ١٩.

أي حالة كون بعض أزكى الطعام. فــ (من) في محل نصب. ولو جعل نعتا كــان في محل خفض. ولعلك تدرك وضوح المعنى مع المحافظة على نسقه ودلالة الكلمة على معناها. ومع هذا نرى الجمل يقول: "ومنه: أي من الرزق أي بدله فــ (من) بمعنى (بدل) أو: من الطعام"[1].

وقد عرفنا غير مرة أن معنى (بدل) غريب عن (من) لا ترضى به ولا عنه. ومما يزكي هذا هنا أنه: لا داعي إلى كون المعنى: بدل الرزق.

إذ قبل هذا النص قوله تعالى: "فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر.. إلخ" فلو ساغ إعراب (البدل) لكان المعنى: يرزق بدل الورق. إذ في البيع والشراء استبدال شئ بشئ. فالبائع يستبدل بالمبيع النقد. والمشترى يستبدل بالنقد المشترَى.

وهذا المعنى لا ضرورة إليه هنا.

٣٨- رسل: في إحدى عشرة آية من السور الآتية:

البقــــرة: ﴿ وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ ١٢٩ ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ ﴾ ١٥١.

---

(١) حاشية الجمل ٣/ ١٤.

آل عمـــــران: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ ١٦٤.

الأنعام: ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ ١٣٠.

الأعراف: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ٣٥.

التوبة: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ١٢٨ .

الـــنحل: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾ ١١٣.

المؤمنون: ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ٣٢.

الزمر: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ ﴾ ٧١.

الجمعة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ ٢.

البينة: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ . رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ ١، ٢.

ومما ينبغي ملاحظته أن (من) مضافة إلى علامة إضمارٍ لجماعة المخاطبين (منكم) فى أربع آيات وسبقت بـ (رسولا) في واحدة وبـ (رسل) فى ثلاث آيات.

وأضيفت إلى علامة إضمار لجماعة الغائبين (منهم) فى أربع آيات وسبقت فيها بـ (رسول) مرفوعة فى آية ومنصوبة فى ثلاث آيات.

وأضيفت إلى (أنفسكم) (من أنفسكم) مرة واحدة وسبقت بـ (رسول) مرفوع. وأضيفت إلى (أنفسهم) مرة واحدة وسبقت بـ (رسولا) منصوب.

وأضيفت إلى (الله) فى آية واحدة وهى: (رسول من الله).

وقرئ فى (من أَنْفَسِهم) بفتح الفاء فعلى القراءة الأولى يكون الرسول نفسا من أَنْفُسهم ووجه المنة عليهم بذلك أنه إذا كان منهم كان اللسان واحدا كما قال الله تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ٤ إبراهيم.

ليسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه. وكانوا واقفين على أحوالهم فى الصدق والأمانة. فكان ذلك أقرب إلى تصديقه والوثوق به.

وفى كونه (من أنفسهم) شرف لهم[١]

فـ (من) بمعنى بعض على القراءتين. أى حالة كونه بعضهم أو بعض أشرافهم. فهى فى محل نصب. فى جميع الآيات. وإن كانت نعتا تبعت ما قبلها من إعرابه.

ويقول أبو حيان فى (رسول منهم): إن (منهم) فى موضع الصفة لـ (رسولا) أى كائنا منهم لا من غيرهم فهم يعرفون وجهه ونسبه ونشأته كما قال: "لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم"[٢].

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٣٣٥.

(٢) البحر المحيط ١/ ٣٩٢.

ومـا دامـت (مـن) بمعنى (بعض) تكون اسمـا فـلا تحتـاج إلى متعلق مزعوم موهوم.

وفـى آيـة الأنعام خطاب من الله للجن والإنس بقوله (ألم يأتكم رسل منكم) وفـيها يقـول الفـراء: "إنما الرسل من الإنس خالصة فكيف قال الله للجن والإنس (منكم)؟

قـيل: هـذا كقوله: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ثم قال . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ . فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ ١٩: ٢٢ الرحمن. وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح دون العذاب. فكأنك قلت: يخرج من بعضهما ومن أحدهما"[١].

قـال الجمـل: "زعم الفراء أن فى الآية حذف مضاف أى ألم يأتكم رسل من أحدكم يعنى: من جنس الإنس كقوله: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ ٢٢ الرحمن. وقوله: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ ١٦ نوح.

وإنمـا هـو بعـضها. فالتقدير: يخرج من أحدهما. وجعل القمر فى إحداهن فحـذف للعلم به. وإنما احتاج الفراء إلى ذلك لأن الرسل عنده مختصة بالإنس كما يروى فى التفسير. وعليه قام الإجماع"[٢].

---

(١) معانى القرآن للفراء ١/ ٣٥٤ وانظر الكشاف ٢/ ٥٣.

(٢) حاشية الجمل ٢/ ١٠٨.

وقـال أبـو الـسعود: "وإنما جعلوا منهما إما لتأكيد وجوب اتباعهم والإيذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا وخطابا كأنهما جنس واحد.

ولذلك تمكن أحدهما من احتلال الآخر.

وإما لأن المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل"(١).

ومـن الثابت أن خاتم الرسل محمد ﷺ بلّغ القـرآن إلى الجـن. يقـول الله عـز وجل: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ . قَالُواْ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ . يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ٢٩: ٣٢ الأحقاف.

ففى هذه الآيات يتضح أن الجن لهم صلة وعلاقة برسل الإنس إذ تنص على أنهم يعلمون نبى الله موسى. وأنهم سمعوا من خاتم رسله محمد عليهم السلام. كما تنص على أن هناك رسلا منهم إليهم وهم الذين استمعوا القرآن ثم بلغوه لإخوانهم. فلهـم رسل منهم وهذا ما صرح به أبو السعود. وعليه يكون معنى (ألم يأتكم رسل

---

(١) إرشاد العقل السليم ٤/ ٣٠: هامش الرازى.

منكم) أن هؤلاء الرسل بعض الإنس وهناك رسل الأنبياء إلى الجن فهم بعض الجن.

فـ (منكم) في الآية أي بعضكم والخطاب للجن والإنس معا. أي حالة كونهم بعضكم. وبذلك يتحقق أن رسول كل نوع منه. كما ذكرت آية سورة إبراهيم التي ذكرناها.

ويبقى بعد ذلك قوله تعالى: "رسول من الله" ومن البدهي أن (رسول) بدل أو عطف بيان من (البينة) في قوله تعالى: "حتى تأتيهم البينة" قال ابن عطية: "والمراد محمد عليه السلام. وقرأ الجمهور (رسول) بالرفع وقرأ أُبَيّ (رسولا) بالنصب على الحال. والصحف المطهرة: القرآن في صحفه"(١).

فعلى قراءة الرفع يكون (من الله) حالا من (رسول) مع ملاحظة مضاف يدركه العقل أي من رسل الله أي بعضهم وهو خاتمهم محمد عليه السلام وعلى قراءة النصب يكون (من الله) نعتا و (رسولا) الحال من (البينة) أي حتى تأتيهم البينة حالة كونها رسولا بعضَ رُسُلِ الله.

وليس نعت الحال بدعا في اللغة العربية فهو وارد في أصدق نصوصها ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ٢ يوسف. وقوله: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ ١٧ مريم.

فـ (قرآنا) و (بشرا) حالان وُصِف كل منهما بما بعده (عربيا) و (سويا).

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٧.

٣٩- زلــف: فى آية واحدة من سورة:

هود: قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ ﴾ ١١٤.

وهى جمع: زلفة ومعناها: القُرْبَة والطائفة من الليل. أو الزلف ساعات الليل الآخذه من النهار وساعات النهار الآخذة من الليل[١].

قال الزمخشرى: "حقها إذا كانت بمعنى قربة - أن تعطف على (الصلاة) أى أقم الصلاة طرفى النهار وأقم زلفا من الليل على معنى: وأقم صلاة تتقرب بها إلى الله فى بعض الليل"[٢].

ومــن هذه النصوص يتضح أن (من الليل) يحتمل أن تكون ظرف زمان أى بعــض اللــيل كمــا فى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ ٧٩ الإسراء. وهذا ما ذكره الزمخشرى بقوله (فى بعض الليل). وأن تكون حالا أو نعتا إذ معنى (زلف) طائفة من الليل. فهى اسم بمعنى: بعض.

٤٠- زوج: فى ثلاث آيات من السورتين الاتيتين:

الحجر: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّنۡهُمۡ ﴾ ٨٨.

طــه: قوله تعالى: ﴿ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ ٥٣ وقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّنۡهُمۡ ﴾ ١٣١.

---

(١) القاموس المحيط ٣/ ١٤٩.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٣٩: ٣٤٠ وانظر البحر المحيط ٥/ ٢٧٠.

يــرى الزمخشرى وأبو السعود فى آيتى (ولا تمدّن ...) أن (أزواجا) مفعول (متعنا) و (منهم) صفه له. ويجوزان أن يكون (أزواجا) حالا من الضمير فى (به) والمفعول (من) كأنه قال: إلى الذى متعنا به وهم أصناف بعضهم وناسا منهم[1].

وواضــح أن فى الوجه الثانى تقديما وتأخيرا لا يحتاج إليه النص إذ لا داعى لجعل (به أزواجا) على تقدير: أزواجا به. وبهذا يخلو وجه المعنى لكون (أزواجا) مفعول (متعنا) و (منهم) فى محل نصب أى بعضهم سواء كانت حالا أم نعتا.

وأمــا قــوله (أزواجا من نبات شتى) فــ (من) فيه بمعنى (بعض) وهى فى محــل نصب حالا أو نعتا. قال الزمخشرى: "شتى جمع: شتيت كمريض ومرضى. ويجوز أن يكون صفة لــ (النبات) والنبات مصدر سمى به النابت كما سمى بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع"[2].

وعلى هذا يكون (شتى) نعتا للمضاف إليه لا للمضاف وهو (من) ولو أعرب حالا لما منع مانع. لأن المضاف بعض المضــاف إليــه فهو مثل قــوله تعالــى: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ ١٢ الحجرات.

٤١- سبــع: فى آية واحدة من سورة:

الحجــــر: قــوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ ٨٧.

والمراد بالسبع إما سبع آيات وهى سورة الفاتحة. وإما سبع سور طوال. وإما ســبع صــحائف وهى الأسباع. والمثانى من التثنية وهى التكرير أو من الثناء لأن

---

(١) انظر الكشاف ٣/ ٧٧ وإرشاد العقل السليم ٣/ ٣٣٠.

(٢) الكشاف ٣/ ٥٣.

الفاتحة تكرر فى الصلاة. و (من) إما للبيان أو للتبعيض إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطوال. وللبيان إذا أردت الإشباع.

ويجوز أن يكون كُتُبُ الله كلّها مثانى لأنها تثنى عليه ولما فيها من المواعظ المكررة والقرآن بعضها"[١].

وقال السيوطى: "إن كان المراد بالمثانى: القرآن فـ (من) للتبعيض أو الفاتحة فلبيان الجنس"[٢].

وقد علمنا أن جعل (من) بيانية يقتضى أنها زائدة فيكون التقدير: آتيناك سبعا هى المثانى. ولو كان هذا المعنى هو المراد لكان النص: ولقد آتيناك المثانى والقرآن العظيم. فلما لم يرد كذلك تحتم أن تكون (من) بعضية. وأن يكون المراد بالمثانى القرآن كما ورد فى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ﴾ ٢٣ الزمر. فـ (مثانى) مراد به القرآن الذى عبر عنه بـ (كتابا). كما ذكره الزمخشرى[٣].

ورب قائل يقول: إذا كان المراد فى سورة الحجر القرآن فكيف عطف على (من المثانى) قوله (والقرآن العظيم)؟ أليس تقدير ذلك: آتيناك سبعا بعض القرآن والقرآن العظيم؟ وهل يجوز ذلك بأن يقال: أكلت من الرغيف والرغيف النظيف؟

---

(١) انظر الكشاف ٢/ ٤٥٧ والبحر المحيط ٥/ ٤٦٥.

(٢) الإتقان ٢/ ١٨٠.

(٣) انظر الكشاف ٤/ ٩٥.

والجواب عن ذلك: أن هذا الأسلوب فيه من تحريك العقل وتنبيه الفكر إلى أن يدرك أن المراد بـــ (القرآن العظيم) بعض وهو ما عدا السبع المثانى. وعليه يكون المراد بالرغيف النظيف بعضه بعد ما أكل منه. وهذا ما تنبه إليه الإمام الزمخشرى ثم نبه عليه حيث ذكر: أن عطف (والقرآن العظيم) على (سبعا) لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل. ألا ترى إلى قوله: ﴿ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ ٣ يوسف. يعني: سورة يوسف[1].

وخلاصة القول أن المراد بآية الحجر بيان فضل الله على حبيبه ومصطفاه محمد عليه الصلاة والسلام بما آتاه الله من سورة الفاتحة وهى سبع آيات تكرر من الفرد الواحد فى الصلاة المكتوبة سبع عشرة مرة فى اليوم والليلة فكيف بالمسلمين جميعا فى كل زمان ومكان بل يزاد على ذلك النوافل وهى ليست محصورة بعدد. فهذه السبع جديرة بأن توصف بأنها بعض المثانى وهو القرآن الكريم. ومما يزيدها كمالا وجلالا عطف القرآن عليها مع أنها بعضه. إذ فى ذلك إشارة عميقة إلى مدى استقلالها وكمالها وجلالها.

وسواء فى ذلك أكان الوصف بطريق الحال أم كان بطريق النعت.

فـ (من) فى محل نصب على كليهما.

٤٢- سقف: فى آية واحدة من سورة:

الزخرف: قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴾ ٣٣.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٥٧.

فـ (من) بمعنى (بعض) فى محل نصب حالا كانت أو نعتا أى بعض فضة.

احد (سُقُف): سَقْف كما فى قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾

٣ الأنبياء. وتأمل المطابقة فى الجمع بين (بيوت) و (سقف).

٤- ســـور: فى ست آيات من السور الآتية:

البقرة: قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ

ُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ ٢٣.

والكهف والحج وفاطر قوله تعالى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾

٣، ٢٣، ٣٣.

الزخرف: قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ ﴾ ٥٣.

الإنسان: ﴿ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ ٢١.

أمــا آيــة البقرة فالظاهر الواضح فيها أن (من مثله) وصف لـــ (سورة) أى ـورة حالة كونها بعضَ مثلِ ما نزلناه وهو القرآن الكريم. ويجوز أن يكون نعتا ـتكون فــى محــل خفــض. فليس النص فى حاجة إلى تقدير (كائن) كما ذكره زمخشرى[1].

وإنما جعلت الضمير لـــ (ما نزلناه) لتكـــون هـــذه الآيـــة وهى مدنية متفقة ع مثلها من القرآن المكى وقد ورد ذلك فى قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ

(١) الكشاف ١/ ٧٤.

قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ١٣ هود. وقوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ ٨٨ ثم قوله ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ . فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ ٣٣: ٣٤ الطور.

فالضمير فى هذه الآيات يفهم منه مثل القرآن. ولعلك لاحظت أن هذه الآيات قد بدأت التحدى بالإتيان بسورة مثله. ثم بعشر سور مثله ثم بمثل هذا القرآن. ثم بحديث مثله. وانفردت آية البقرة بذكر (من) أى (من مثله) أى بعض مثله. والبعضية تحتمل القلة والكثرة ولكن الغالب عليها القلة وبهذا يكون التحدى فى السورة المدنية – البقرة – قد بلغ ذروته حيث كان بشئ قليل يماثله.

وفى هذا إثبات لعجزهم بلا شك ولا ريب.

ولم يكتف علماؤنا بهذا المعنى – على عادتهم – فيرى بعضهم فى آية البقرة جواز عود الضمير فى (مثله) على (عبدنا) وتعلّق (من) بقوله: (فأتوا) أى فأتوا بسورة من مثل عبدنا أى محمد عليه السلام وذكره الزمخشرى ثم قال: "فإن قلت: وما مثله – أى محمد – حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل؟ قلت: معناه: فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا أميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء. ولم يقصد إلى مثل ونظير هنالك. ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج – وقد قال له: لأحملنك على الأدهم – مثل الأمير حمل على الأدهم والأشهب.

أراد: من كان على صفة الأمير من السلطان والقدرة وبسطة اليد. ولم يقصد أحدا يجعله مثل الحجاج"[1].

---

(١) الكشاف ٧٤/١.

هكذا يرى الزمخشرى. ولست أدرى سرا لذلك إذ التحدى لا يكون بإثبات شئ ممن ليس متحقق الوجود. وهو مثل الرسول محمد عليه السلام وهو مبنى على أنه لا يجوز عود الضمير على (ما نزلنا) إذا تعلق (من مثله) بـ (فأتوا). وهذا ما يراه القاضى عضد الدين عبد الرحمن الشيرازى.

ويرى الشيخ فخر الدين أحمد بن الحسن الجاربردى جواز عود الضمير على (ما نزلنا). فيكون الوجهان متساويين. وانتصر له ولده إبراهيم فى رسالة سماها (السيف الصارم فى قطع العضد الظالم) ورد التفتازانى على هذه الرسالة بما ملخصه: أن (مِنْ) إذا تعلقت بـ (فأتوا) كانت ابتدائية ويلزم على هذه الحالة عود الضمير على النبى عليه السلام. لأن هذا أمر تعجيز باعتبار المأتى به. والذوق شاهد بأن تعلق (من مثله) بالإتيان يقتضى وجود المثل ورجوع العجز إلى أن يُؤْتى منه بشئ. ومثل النبى فى البشرية والعربية موجود بخلاف مثل القرآن فى البلاغة والفصاحة.

وأما إذا كان (من مثله) صفة لـ (سورة) فالمعجوز عنه هو الإتيان بالسورة الموصوفة ولا يقتضى وجود المثل. بل ربما يقتضى انتفاءه حيث تعلق به أمر التعجيز.

وحاصله: أن قولنا أئت من مثل الحماسة ببيت يقتضى وجود المثل. بخلاف قولنا: ائت ببيت من مثل الحماسة"(١).

ومن هذا نفهم أن وجود مثل محمد حقيقة ما دام المراد المثلية فى البشرية والعربية. وهذا غير ما ذكره الزمخشرى لأنه يرى أن مثل محمد لا يوجد على الحقيقة وهذا يدل على ملاحظة أنه رسول الله عز وجل وليس المراد كونه بشرا عربيا فقط. فتبيَّن ما ذكره التفتازانى وما ذكره الزمخشرى فرق كبير.

---

(١) حاشية الشمنى على المغنى ٢/ ١٥١: ١٥٢.

والذى يعنينا أن (من) إذا تعلقت بـــ (فأتوا) كانت حرف ابتداء وقد ذكره الشهاب قائلا: "إذا رجع الضمير للعبد لم يحتمل التبعيض.

والتبيين والزيادة. ويتعين الابتداء. والمراد بالابتداء أن مجرورها مبدأ لفعل حقيقة أو حكما سواء كان مكانا نحو: سرت من البصرة. أو زمانا نحو: من أول الليل. أو غيرهما نحو: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَـٰنَ ﴾ ٣٠ النمل[١].

وعلى هذا يكون (مثله) مبدأ الإتيان. ولست أدرى معنى لذلك. إن البصرة مبدأ للسير وكذا أول الليل له معنى واضح. وأما آية النمل فقد سبق ان بينا المراد بها وهو: إنه من كتب سليمان أى بعضها. وحذف المضاف معهود بكثرة فى اللغة وهو فى القرآن كثير.

ولذا يتضح لنا أن تعلق (من مثله) بـــ (فأتوا) ليس له معنى لائق بجـــلال كلام الله.

وهناك من يرى أن مرجع الضمير فى (مثله) هو الأنداد فى قوله تعالـــى: ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا ﴾ ٢٢ البقرة. وكان هذا الضمير مفـــردا مع عوده على جمع مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾ ٦٦ النحل[٢].

ورده السمين بأنه لا حاجة تدعو إليه والمعنى يأباه[٣].

بل هناك من يرى أنه عائد على: التوراة والإنجيل أى فأتوا بسورة من كتاب مثله فإنها تصدق ما فيه و (من) للتبعيض"[٤].

---

(١) انظر حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى ٢/ ٣٥: ٣٦.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٤.

(٣) انظر حاشية الجمل ٢/ ٣٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ص ٢٠٠.

وهـذا بعـيد كـل البعد إذ لا وجود لذكر التوراه والإنجيل هنا ولو بطريق الإلمـاح. فهـو مـن الغمـوض والإبهام اللذين لا يليقـان بالقـرآن الـذي أدق صفاتـه: البيان.

وخلاصـة ذلك كله أن جعل (من) متعلقة بـ (فأتوا) غير لائق وعليه يبطل معنى الابتداء لأن الضمير عائد على (عبدنا) وفيه بعد.

وعوده على (الأنداد) لا معنى له. وعوده على التوراه والإنجيل) لا حقيقة له. فلم يبق إلا عوده على (ما نزلنا).

يقول الزمخشرى: "فإن قلت: وما قبله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل؟

قلت: معناه فأتوا مما هو على صفته فى البيان الغريب وعلو الطبقة فى حسن الـنظم ..." ثم يقول: "رَدُّ الضمير إلى المنزّل أَوْجَه لقوله تعالى: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ ٣٨ يونس وقوله: ﴿ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ ١٣ هود وقوله: ﴿ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ ٨٨ الإسـراء ولأن القرآن جديـر بـسلامة الترتيب والوقوع على أصح الأساليب والكلام مع رد الضمير إلى المُنَـزَّل أحسن ترتيبا. وذلك: أن الحديث فى المُنَزَّل لا فى المُنزَّل عليه ... ولأنهم إذا خوطبوا جميعا – وهم الجم الغفير – بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به واحـد منهم كان أبلغ فى التحدى من أن يقال لهم: ليأت واحد آخر بنحو ما أتى به هذا الواحد ولأن هذا التفسير هو الملائم لقوله: "وادعوا شهداءكم"(١).

وبهـذا يكـون الإمـام الزمخشرى قد رفع العلامات المضيئة الكاشفة لحقيقة الأسـلوب والمثبتة لوضوحه وبيانه. ومع ذلك أرى الإمام محمد عبده يرجح عود

---

(١) الكشاف ١/ ٧٤: ٧٥.

الضمير على (عبدنا) بدليل (من) الداخلة على (مثله) الدالة على النشوء أى فإن كان أحد ممن يماثل الرسول عليه السلام بالأمية يقدر على الإتيان بسورة فليفعل .. ثم قال: "ولمّا كان كفار المدينة الذين يوجه إليهم الاحتجاج أولا وبالذات هم اليهود وهم يعــدون أخبار الرسل فى القرآن غير دالة على علم الغيب تحداهم بسورة من مثل النبى عليه السلام فى أميته"(١).

وهذا ما رجحه صاحب إعراب القرآن لأن قرب اللفظ يقتضى ذلك(٢).

ورده النيــسابوى قــائلا: "ولــو عاد – أى الضمير – إلى النبى عليه السلام اقتــضى أن يكون الشخص الواحد الأمى الذى هو مثله عاجزا .. ويلزم منه تقرير نقص النبى عليه السلام وإيهام أن الإتيان بالقرآن ممن يكون قارئا ممكن"(٣).

وهــذا ما نرجحــه بل نصححه. فالضمير من (مثله) عائــد على المنــزل أى القرآن.

وقد ذكر العلماء لـــ (من) فى (من مثله) على هذا الوجه الذى ارتضيناه عدة معان محتملة وهى:

١- أن تكــون للتأكيد- زائدة – وهذا مذهب أبى الحسن الأخفش ودليله عدم ذكر (من) فى قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ ٣٨ يونس(٤).

---

(١) تفسير القرآن الحكيم ١/ ١٩٢، ١٩٤.

(٢) انظر إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ص ٥٥٢.

(٣) غرائب القرآن ١/ ١٨٥هـــ الطبرى.

(٤) انظر إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ص ٥٥٢ وإملاء ما من به الرحمن ١/ ١٤.

وقــد عرفنا أن دعوى الزيادة باطلة بطلانا كبيرا.ومن ثم نرى أن هذه الحجة واهــية واهنة لا أساس لها ولا سند. وكان الأولى بالأخفش أن يمعن الفكر فى سر ذكر (من) فى آية البقرة وعدم ذكرها فى آية يونس.

فقد قيل وما أجمل ما قيل: "كلمات القرآن وضعت بحيث لو ترك أحدها كان الكلام دونه أمرًا خاليا من الرونق البليغى لا شبهة فى ذلك"(١).

فوجود (من) فى سورة البقرة وعدم وجودها فى غيرها من آيات التحدى دليل بلــيغ وحجة دامغة على دقة صياغة القرآن. فآية البقرة آخر آية من آيات التحدى نــزولا فهــى مدنــية. وأما غيرها فمكى لأنه من سورة: يونس وهود والإسراء والطور. وهن مكيات.

فكــان لابــد مــن وقفة تأمل عند (من مثله) فى سورة البقرة وهذا ما قام به أستاذنا الدكتور محمد عبد الله دراز حيث قال: "إن القرآن تحداهم وكرر عليهم ذلك الــتحدى فى صور شتى متهكما بهم متنزلا معهم إلى الأخف فالأخف فدعاهم أول مرة أن يجيئوا بمثله. ثم دعاهم أن يأتوا بعشر سور مثله. ثم أن يأتو بسورة واحدة مثله. ثم بسورة واحدة من مثله...

انظــر كيف تنزل معهم فى هذه المرتبة من طلب المماثل إلى طلب شئ مما يماثــل فكأنــه يقــول: لا أكلفكم بالمماثلة التامة بل حسبكم أن تأتوا بشئ فيه جنس المماثلة ومطلقها ومما يكون مثلا على التقريب لا التحديد. وهو أقصى ما يمكن من التنزل. ولذا كان هو آخر صيغ التحدى نزولا. فلم يجئ التحدى بلفظ (من مثله) إلا فى سورة البقرة المدنية. وسائر المراتب بلفظ (مثله) فى السور التى نزلت قبل ذلك بمكة. فتأمل ذلك الفرق فإنه طريف"(٢).

---

(١) الإتقان ١/ ١٨٢.

(٢) النبأ العظيم ص ٨٧.

وهكذا يجب أن يفهم النص القرآني. أمَّا أن يُسْتَدَلَّ بعدم ذكر الكلمة في مكان على زيادتها فيما ذكرت فيه. فذلك غاية التعسف في الحكم. ومنتهى القصور في الفهم. ورمي النص القرآني بما يتنزه عنه.

٢- المعنى الثاني الذي تحتمله (من) في هذه الآية: (التبيين) وقد نقله أبو حيان عن المهدوي وابن عطية مبينا ما فيه من اختلاف ثم قال: "والذي عليه أصحابنا أن (من) لا تكون لبيان الجنس"(١).

ولعل القارئ يدرك السر في ذلك ألاَّ: وهو أنه يساوي القول بأنها زائدة. إذ يكون تقدير الآية (بسورة هي مثله) فلا فرق بينهما.

وعليه يتساوى نص سورة البقرة المدنية مع غيره من النصوص المكية التي ذكرناها. وقد عرفنا ما في ذلك من مجانفة للحقّ ومجانبة عن الصواب.

٣- إذا بطل دعوى زيادة (من) من الوجهين السابقين بقي ما هو حق وصدق وهو: أنها بمعنى (بعض) وهي وصف لـ (سورة) في محل نصب إن كانت حالا. وفي محل خفض إن كانت نعتا.

وقد ذكرنا آنفا من النصوص ما يزكيه ويقويه ويؤيده ويعضده.

وعلى الرغم من ذلك وجدنا مَنْ تُطَوِّع له نفسُه رَدَّه. ومما يثير عجبنا هنا أن نرى من هؤلاء أبا السعود في تفسيره مع أننا من تعهدنا لهذا التفسير وجدناه كثيرا يقرر معنى البعضية ويرد ما سواه. ولكنه هنا يقول: "وجعلها تبعيضية يوهم أن له مثلا محققا قد أريد تعجيزهم عن الإتيان ببعضه كأنه قيل: فأتوا ببعض ما هو مثله فلا يفهم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدارا للعجز مع أنه المراد"(٢).

---

(١) البحر المحيط ١/ ١٠٥ وانظر المحرر الوجيز ١/ ١٠٦.

(٢) إرشاد العقل السليم ١/ ٢٠٣.

والــذى ذكره أبو السعود لا يخرج عن كونه افتراضا لشئ لا يراد إذ المعنى المقصود بالآية نفى المماثل للقرآن على وجه الحقيقة والتحقيق وإذا ثبت هذا النفى ثـبت بالتأكيد عجزهم عن الإتيان بشئ يماثله أو يماثل جزءا – ولو يسيرا – منه. فالقرآن واحد لا مثل له لأنه كلام الله الذى ليس كمثله شئ.

ولعــل بعض أسلافنا يقصد هذا المعنى فقد رأينا الزمخشرى فى نص سابق يجعــل هــذا المعنى يناظر معنى قول بعض العرب: مثل الأمير َحمَل على الأدهم والأشهب. وهو يعنى بذلك أنه لا يوجد مثل الأمير.

وهــذا ما ذكره الألوسى ردًّا على أبى السعود حيث قال: "وأما على التبعيض فلأنه لم يرد بالمثل مثلا محققا معينا للقــرآن بل ما يماثله فــرضا كما قيل: مثلك لا يجهل. ولا شك أن بعضيتها للمماثل الغرض لازمة لمماثلتها للقرآن. فذكر اللازم وأراد الملزوم سلوكا لطريق الكناية مع ما فى لفظ (من) التبعيضية الدالة على القلة من المبالغة المناسبة لمقام التحدى. وبهذا رجح بعضهم التبعيض على التبيين"(١).

وكــان علــى الألوسى أن يقول: صحح التبعيض فقد علمنا أنه التبيين غير صالح لأن يكون معنى لـــ (من).

وخلاصة ذلك كله: أن المقام فى سورة البقرة لمعنى (بعض) لا لغيره.

أمــا الآيــات الخمــس الباقية لهذه المادة فقد ورد فى ثلاث منها (أساور من ذهب) وفى واحدة (أساور من فضة. وفى الخامسة (أسورة من ذهب). ولا شك أن مادة هذه الصيغ هى (س و ر) وهو نفسها مادة (سورة) فى البقرة.

ويــرى بعــض العلمـــــاء أن (أســاورة) جمع (أسورة). و (أسورة) جمع (سوار) (٢).

---

(١) روح المعانى ١/ ١٦٣.

(٢) انظر كتاب التنبيه والإيضاح عما وقع فى الصحاح لابن برى المصرى ٢/ ١٣٥.

ومن المقرر فى علم التصريف أن (أفعلة) من جموع القلة. وأن (أفاعل) من جموع الكثرة. وبأدنى التفاتة ذهنية ندرك أن مقام الأولى للقلة فهى فى حق فرعون ولا شك أن ما يلقى عليه – لو ألقى – قليل بل أقل أما مقـام (أسـاور من ذهب) و (أساور من فضه) فهو للكثرة لأنه فى أصحاب الجنة وما أكثرهم !!!

ولا شـك أن معنى البعضية هو الأسرع ورودا إلى الذهن والأقوى ثبوتا من غيـره. فالأساور والأسورة بعض الذهب أو بعض الفضة فـ (من) بمعنى (بعض) ففى آيات (يحلون فيها من أساور من ذهب) تكون (من) الأولى اسما بمعنى (بعض) فى محل نصب مفعولا ثانيا لـ (يحلـون) و (من) الثانية فى محـل خفض نعتـا لـ (أساور) لأنها مضاف إليه مخفوض بالفتحة لمنعها من الصرف. أو فى محل نصب حالا.

وفى آية (وحُلُّوا أساور من فضه) يعرب (أساور) مفعـولا ثانيـا لـ (حُلُّوا) و (من) فى محل نصب سواء كانت (نعتا) أو (حالا).

وممـا ينبغى الالتفات إليه ذكر (من) فى (من أساور من ذهب) دون (أساور مـن فـضة) ولعل فى هذا إشارة إلى أن الذهب حرام على الرجال فى الدنيا دون الآخرة. ومع كونه حلالا فيها كانت زينتهم به قليلة على عكس زينتهم بالفضة فهى حلال فى الدنيا إلى حد معين. وأما فى الآخرة فحلال على الإطلاق.

وأمـا (أسورة من ذهب) فى شأن فرعون فقد جمع فيها بين القلتين القلة فى الأسـورة ثـم القلـة فـى كونها (من ذهب). وفى هذا إشارة إلى أن ما أوتيه هذا الفـرعون مهمـا بلغ كثرة وعددا. فهو أقل من القليل بالنسبة لمتاع الحياة الآخرة. يقول الله تعالى: ﴿ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ٣٨ التوبة.

فمعنـــى (بعض) لــ (من) فى هذه الآيات واضح لائق بالمقام. ولكنَّ علماءَنا يأبــون إلا تــرديد الأقاويل بــدون داع. ففى (أساور من ذهب) يقول الزمخشرى: (من) مبينة[1].

ويترتب عليه أن يكون التقدير: أساور هى ذهب لا بعضه.

وجوز أبو البقاء أن تكون مبينة ومبعضة وأن تتعلق بــ (يُحَلَّوْنَ) [2].

وتقديـــر الثالث: يحلون من أساور من فضة. ولا يترتب على ذلك منع معنى (بعــض) لأن (مــن أساور) مفعول ثان لــ (يحلون) فتكون الثانية بدلا منها وكأن أصــل الــنص: يحلون فيها بعض فضة. وفى هذا من البعد عن المراد ما لا يخفى على ذى عقل وبصيرة.

وقد عرفت أن معنى التبيين ممنوع ويزيده منعا هنا أن العهد فى (من) البيانية عند من يقولون بوجودها أن تكون داخلة على معرف بلام الجنس[3].

والذى رفض أى معنى هنا إلا معنى التبعيض هو أبو حيان[4].

وهــذا ما نراه. وعليه فهى حال أو نعت. وليست فى حاجة إلى متعلق ولكن البغدادى يأبى إلا ذلك حيث يقول فى قول الشاعر:

فى ليلة من جُمَادى ذات أندية لا يبصر الكلب فى ظلمائها طُنُباَ

"إن (من جُمَادى) متعلق بمحذوف صفة لــ (ليلة) و (من) للتبعيض.

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٦٢.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٥٤.

(٣) انظر حاشية الجمل ١/ ٤١٧.

(٤) انظر البحر المحيط ٢/ ١٢٢.

وإن كانــت للبــيان كانت متعلقة بمحذوف حال من (ليلة) كقوله تعالى: "من أساور من ذهب" والشاهد فى (من) الثانية فإن الأولى ابتدائية وأخطأ العينى فى قوله (من جمادى) صفة لـــ (ليلة) و (من) للبيان"[1].

فلــسنا فى حاجة إلى (المتعلق) الذى تعلق البغدادى به لأنه غير صالح لذلك فما أضعفه وما أهونه؟ إذ (من) البعضية هى التى تكون حالا أو نعتا. ثم نراه يزعم أن (مـــن(فى (من أساور) ابتدائية وما ذلك بسديد بل هى بمعنى (بعض) فى محل نصب مفعول ثانيا لـــ (يحلون).

وأمـــا جعله (من) حالا من (ليلة) ففيه تأييد لمن يرى أن صاحب الحال يكون نكرة ما دام المقام لها لا للنعت. وهذا منهج رشيد سديد.

٤٤- ساعة فى آيتين من سورتين هما سورة:

يونس: قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ ٤٥.

والأحقاف: قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ﴾ ٣٥.

و (مــن) بمعنى (بعض) فى محل نصب سواء أكانت حالا أم نعتا. وقد يقال: إنها ظرف زمان لأنها أضيفت إلى (النهار) أو (نهار).

---

(١) شـــرح شـــواهد الشافية ص ٢٧٩ والأندية: الأمطار واحدها: ندى. والطنب: الحبل الطويل يشد به السرادق. كما فى القاموس.

ولكن ذلك لا يخرج بها عن كونها حالا أو نعتا. فهى ظرف من حيث نوعها وحال أو نعت من حيث إعرابها.

وكلمة (ساعة) من مادة (س و ع) وفيها يقول ابن فارس: "السين والواو والعين يدل على استمرار الشئ ومضيه. من ذلك: الساعة سميت بذلك يقال: جاءنا بعد سوع من الليل وسواع أى بعد هدء منه وذلك: أنه شئ يمضى ويستمر. ومن ذلك قولهم: عاملته مساوعة كما يقال: مُيَاوَمه. وذلك من الساعة"(١).

وقال الأزهرى: "قال اللحيانى: أتيته بعد سواع من الليل وبعد سوع من الليل أى بعد ساعة .... والساعة: الوقت الذى تقوم فيه القيامة. سميت ساعة لأنه تفجأ الناس فى ساعة فيموت الخلق كلهم عند الصيحة الأولى التى ذكرها الله فقال: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ ٢٢ يس. والساعة جزء من آخر الليل والنهار معاً أربع وعشرون ساعة. وإذا اعتدلا فكل واحد منهما اثنتا عشرة ساعة"(٢).

٤٥- شجر فى آيتين من سورتين هما سورة:

الصافات: قوله تعالى:﴿ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾ ١٤٦.

الواقعة: قوله تعالى:﴿ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴾ ٥٢.

و (اليقطين) كل ما لا يقوم على ساق من عود كالبقول والقرع... وقيل: القرع خاصة. ومن ثم قالوا: إن قوله (شجرة) من باب التجوز لأنها لابد لها من ساق. أو أن الله أنبت اليقطين على يونس قائما على ساق خرقا للعادة"(٣).

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣/ ١١٦.

(٢) تهذيب اللغة ٣/ ٨٩.

(٣) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٧.

فـــ (من) اسم بمعنى (بعض) فى محل نصب حالا أو نعتا.

وأمـــا الـــزقوم فمعناه فى الأصل من الزقم وهو البلع. وقيل: الطعام من تمر وزبد. وشجر الزقوم يخرج فى أصل الجحيم ليكون طعام الأثيم(١).

و(من) فى (من شجر) مفعول به أى لآكلون بعض ثمر هذا الشجر. و (من) الثانـــية حـــال فـــى محل نصب أو نعت فى محل خفض. فلا حذف ولا تقدير لأن الحـــذف: حـــيف والتقدير: تكدير. ومع هذا نجد أبا البقاء يقول: "لآكلون شيئا من شـــجر: وقيل (من) زائدة و (من زقوم) نعت لـــ (شجر) أو لـــ (شيئا) المحذوف. وقيل (من) الثانية زائدة أى لآكلون زقوما من شجر"(٢).

وبالتأمل فى هذا النص نرى مدى التمزيق والتمزيع فيه بدون ما جريرة نفع منه. وإلا فأخبرنى":

مـــا فائدة قوله (شيئا) قبل (من شجر) أليست (من) تؤدى هذا المعنى بسلاسة وسهولة ودقة؟! وما معنى قوله (من : زائدة)؟ أيليق هذا بجلال وكمال وحى الله؟! وما معنى دعوى حذف الموصوف وهو (شيئا)؟ ألم نحقق أن هذا أقبح من القبيح؟! وما معنى قوله (لآكلون زقوما من شجر)؟ أليس نص الآية لآكلون من ثمر الشجر الذى هو بعض الزقوم؟!

ألا يـــا أيها النحاة: كفوا أفكاركم عن كلام الله. وامنعوا أيديكم أن تخط فيه ما لا يلـــيق بـــه. واحفظوا ألسنتكم عن اللغو والوقوع فى عِرْض هذا القرآن المصون وَحَرَمِه المأمون!!

---

(١) انظر اللسان ص ١٨٤٥ فما بعدها.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٣٤.

٤٦- شراب في آيتين من سورتين هما سورة:

الأنعام: ﴿ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ ٧٠.

يونس: ﴿ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ ٤.

والحميم: الماء المغلى قال تعالى:﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ ٤٤ الرحمن. وقال: ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ ٥ الغاشية.

وقد سبق شرح (آن) و (آنية) وبيان الفرق بينهما وبين (آنية) من قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾١٥ الإنسان.

فـ (من) بمعنى (بعض) وهى حال فى محل نصب أو نعت فى محل خفض.

٤٧- شريعة: فى آية واحدة من سورة:

الجاثية: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾ ١٨.

قال الزمخشرى: "على طريقة ومنهاج من أمر الدين"(١).

فالشريعة بعض أمر الدين إذ الدين عقيدة وشريعة. فـ (من) فى محل نصب حالا أو فى محل خفض نعتا.

٤٨- شهيد: فى أربع آيات من السور الآتية:

البقرة: ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾ ٢٨٢.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٢٨.

هـــود: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ ١٧.

يوسف: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ ٢٦.

الأحقاف: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ ١٠.

والواضــح فــى هذه الآيات أن (من) بعد (شهيدين) و (شاهد) بمعنى: بعض فهــى اسم فى محل نصب حالا أى بعض رجالكم فى الآية الأولى. وبعض القرآن فــى الثانية. وبعض أهل امرأة العزيز. وبعض بنى إسرائيل. ويجوز أن تكون نعتا فتتبع ما قبلها فى الإعراب.

وهــناك مــن يــرى فى الآية الأولى: تقديرا: أى شهيدين كائنين من رجال المسلمين ... و (من) تبعيضية. وتكون ابتدائية متعلقة بالفعل (استشهدوا) (١).

والتقديــر تكديــر فلا حاجة إليه. وكونها ابتدائية غامض غموضا بينا وقال الزمخــشرى فى آية هود: "ويتلوه شاهد منه: أى ممن كان على بينة كقوله تعالى: "وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله"(٢).

٤٩- شوب فى آية واحدة من سورة:

الصافات: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ ٦٧.

قــال ابن عطية: "الشوب: المزاج والخلط قاله ابن عباس وقتادة وقرأ شيبان الــنحوى (لشُوبا) بضم الشين. قال الزجاج: فتح الشين: المصدر وضمــه: الاســم و(الحميم: السخين جدا من الماء ونحوه"(٣).

---

(١) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٦٧ وإرشاد العقل السليم ٢/ ٢٧٢.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٠١.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٦.

فالخلـيط لـشجرة الزقوم التى يأكلون ويملأون به بطونهم بعض الماء الحار جدا. فـ (من) بمعنى (بعض) أى حالة كونه بعض ماء ساخن جدا. فهى فى محل نصب. وكذا لو جعلت نعتا.

٥٠- شواظ فى آية واحدة من سورة:

الرحمن: قوله تعالى: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ ﴾ ٣٥.

والشواظ اللهب من النار لا دخان معه(١).

يقول أبو البقاء: "من نار: صفة أو متعلق بالفعل"(٢).

وواضح أن (مِنْ) على الأول اسم بمعنى: بعض وهى فى محل رفع إن كانت نعتا وفى محل نصب إن كانت حالا وأما تعلقها بالفعل (يرسل) وكونها ابتدائية فليس من الوضوح فى شئ.

٥١- شئ: فى ثمانى آيات من السور الآتية:

البقرة: قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ١٥٥ وقوله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾ ٢٥٥ وقوله: ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ﴾ ٢٦٤.

النساء: قوله تعالى: ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ ﴾ ٤.

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة ٣/ ٢٢٨.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٣٣.

المائـــدة: قوله تعالى: ﴿ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾ ٩٤.

ســبـــأ: قوله تعالى: ﴿ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ ١٦.

الحديـــد: قوله تعالى: ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ٢٩.

الممتحــنة: قــوله تعالى: ﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ﴾ ١١.

عودتـــنا اللغـــة أن تـــستعمل كلمة (شئ) فى أقل مقدار وأكثره وأصغر قوة وأكبرها. ومن ثم رأينا الزمخشرى يقول فى الآية الأولى: "بقليل من كل واحد من هـــذه الـــبلايا وطرف منه .. وإنما قلل فى قوله (بشئ) ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جل ففوقه ما يقل إليه. وليخفف عليهم ويريهم أن رحمته معهم فى كل حال لا تزايلهم"(١).

---

(١) الكشاف ٢/ ١٥٥.

ولمـــا كـــان المـــضاف إلـــيه (الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات) قابلاً للتبعيض كانت (من) بمعنى (بعض) فهى اسم فى محل نصب حالا أو خفض نعتا.

وكـــذلك فى قوله تعالى: "بشئ من علمـــه" و "علـــى شـــئ ممـــا كسبوا" أى من معلوماته[1].

قـــال الـــرازى: "وذلك كما يقال: اللهم اغفر لنا علمك فينا أى معلومك. وهذه قـــدرة الله – إذا ظهـــرت آيـــة عظـــيمة – أى مقدوره والمعنى: أن أحدا لا يحيط بمعلـــومات الله ... واحـــتج بعـــضهم بهذه الآية على إثبات صفـــة العلم لله. وهو ضعيف لوجوه:

أحـــدهـــا: أن كلمـــة (من) للتبعيض وهى داخلة هنا على العلم فلو كان المراد من (العلـــم) نفس الصفة لـــزمه دخـــول التبعيض فى صفـــة الله تعالـــى وهو محال.

والثانـــى: أن قوله (بما شاء) لا يتأتى فى العلم إنما يتأتى فى المعلوم.

الـــثالث: أن الكـــلام إنمـــا وقـــع هنا فى المعلومات. والمراد أنه تعالى عالم بكل المعلـــومات. والخلق لا يعلمون كل المعلومات بل لا يعلمون منها إلا القليل"[2].

فـــ (من) بمعنى (بعض) تعرب حالا أو نعتا. وكذا فى قوله (مما كسبوا) أى بعض مكسوبهم من مال وغيره.

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٢٢٩.

(٢) من مفاتيح الغيب ٢/ ٣٢٨.

وفى آية النساء يقول الزمخشرى: "وقيل: (إن طبن لكم عن شئ منه) ولم يقل فـــإن طبن لكم عنها. بعثا لهن على تقليل الموهوب. وعن الليث بن سعد: لا يجوز تبرعها إلا باليسير"[١].

وذكــر أبــو حيان أن (من) للتبعيض ثم نقل عن ابن عطية أنها لبيان الجنس وعلى ذلك يجوز أن تهب المهر كله. ولو وقعت على التبعيض لما جاز ذلك[٢].

ومشى الرازى على هذا معللا له بأن المرأة لو طابت نفسها عن جميع المهر حل للزوج أن يأخذه بالكلية[٣].

وواضح أن هذا المعنى مفروض على النص لا نابع منه ولا متفرع عنه. إذ كــيف يقــول الله (عــن شئ منه) ويقول هؤلاء: عنه؟! أليس فى ذلك حكم بإعدام كلمتين من كلمات الله ثم يترتب عليه حكم لم يحكمه الله؟!

قــد قلنا إن العقل خلق الله يحتاج إليه القرآن وفى الله. ولم نقصد بذلك العقل المتحكم المتأول وإنما قصدنا العقل الذى يعقل المعنى الذى يوائم لفظه ويلائم مقامه فلا يخرج باللفظ عن مكانه ولا ينحرف بالمعنى عن مقامه. ولذلك لا نرى ما يراه الرازى ومِنْ ثَم نَرُدّ أن تكون (مِنْ) بيانية لأن هذا المعنى هو الذى جر على اللفظ ما لا يليق به وهو الحكم بزيادة (مِنْ) وقد ترتب عليه أن تتنازل المرأة عن مهرها كله لزوجها.

إن صـــدر الآيـــة (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) فما يكون معنى هذا لو أبحنا للنساء أن يهبن هذه الصدقات للرجال؟!

---

(١) الكشاف ١/ ٣٦٣.

(٢) البحر المحيط ٣/ ١٦٧ وانظر المحرر الوجيز ٢/٩.

(٣) من مفاتيح الغيب ٣/ ١٤٥.

ويقول في السورة نفسها: ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ ١٩ ثم يقول: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ﴾ ٢٤ ﴿ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ ٢٥.

ثم يقول: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ ٣٤.

أبعد ذلك كله يرضى عاقل لنفسه أن يستغنى عن (شئ منه) فى قوله تعالى: (فإن طبن لكم عن شئ منه فكلوه) ليكون المعنى (فإن طبن لكم عنه فكلوه) وفى آية المائدة (بشئ من الصيد) يقول الزمخشرى: "وقلّل وصغّر ليعلم أنه ليس بفتنة – من الفتن العظام التى تدحض عندها أقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الأرواح والأموال"[1].

وصرح أبو حيان والرازى بأن (من) للتبعيض[2].

وقال ابن عطية: "من: لبيان الجنس قال الزجاج: وهذا كما تقول: لأمتحننك بشئ من الرزق"[3].

---

(١) الكشاف ١/ ٥٢٨.

(٢) البحر المحيط ٤/ ١٧ ومن مفاتيح الغيب ٣/ ٨٦٠.

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٢٣٦.

وبدأ بهذا المعنى أبو البقاء ثم قال: "وقيل: للتبعيض إذ لا يحرم إلا الصيد في حال الإحرام وفي الحرم وفي البر"(١).

وقد علمنا ما في معنى التبيين من قَتْلٍ لمعنى (من) وهذا جرم جسيم.

فــي حــق كلام الله الحكيم. وعليه فالمعنى النابع من النص هو بشئ بعض الصيد. فــ (من) اسم في محل نصب حالا أو خفض نعتا.

وفي آية سبأ (وشئ من سدر قليل) نرى معنى القلة سائدا على كلمات النص. فــــ (شئ) و (من) للقلة نصا و (سدر) وصف بالقلة ليدل ذلك كله على أن المراد أقل ما يمكن أن يراد.

وفي آية الحديد: (لا يقدرون على شئ من فضل الله) يتضح معنى القلة.

وأخيرا آية الممتحنة (فاتكم شئ من أزواجكم) وفيها يقول الزمخشري: "شئ: أحد منهن إلى الكفار وهي في قراءة ابن مسعود: أحد.

وفائــدة إيقــاع (شــئ) في هذا الموقع ألا يغادر شئ من هذا الجنس وإن قَلّ وحقر غير معوّض منه تغليظا في هذا الحكم"(٢).

فعلى هذا يكون المراد بـــ (شئ): بعض الأزواج فــ (من) بمعنى (بعض) في محل نصب حالا أو في محل خفض نعتا.

ونقــل الجمـــل عن السمين الحلبــي: أن المــراد بـــ (شئ) المهــر وذلك على وجهين:

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٢٦.
(٢) الكشاف ٤/ ٤١٤.

أحـدهما: أن (مِـنْ) متعلق بالفعل (فاتكم) أى: فاتكم شئ من جهة أزواجكم. ويراد بالـشئ المهر الذى عزمه الزوج لأن التفسير ورد أنَّ الرجل المسلم إذا فـرت زوجـته إلى الكفار أمر الله المؤمنين أن يعطوه ما غَرِمَه. وفعله النبى ﷺ مع جمع من الصحابة.

والآخـر: أن يـتعلق (من) بمحذوف صفة لشئ لكن مع حذف مضاف أى من قهر أزواجكم"(١).

وبالتأمل فى هذا النص ندرك ما يلى:

أ) أنـنا لو جعلنا (مِنْ) متعلقة بـ (فات) لكان تقدير الآية: إن فاتكم من أزواجكم شـئ.." وعلى هذا تكون (من) اسما بمعنى (بعض) وتعرب فاعلا لـ (فات) و(شـئ) بيان لها. فلا يجوز أن يكون المراد المهر بل الزوج نفسها. وبيان (من) بـ (شئ) نص على أن هذا لا يكون منه إلا القليل أو الأقل.

ب) ومما يثبت هذا المعنى قوله تعالى: "فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا" فالفائت هو الذاهب والمراد بهما معاً الزوجات.

والـذى يقـوم به المسلمون هو إعطاء أزواج هؤلاء الزوجات مثل ما أنفقوه علـيهن. وهو المهر. فالآية فيها بيان لمن ذهب ثم تكليف المسلمين بتعويض أزواجهن عما أنفقوا عليهن.

جـ) ولو جعلنا (من) متعلقة بمحذوف ثم قدرنا مضافا بعدها. لكان تقدير الآية: وإن فاتكم شئ كائن من مهور أزواجكم.

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ١/ ٣٣١: ٣٣٢.

وهــذا غير لائق بجلال كلام الله إذ ما معنى (كائن)؟ لا معنى له. وأما تقدير (مهور) فمثل هذا جائز جميل فى اللغة قرآنا وغيره ولكن ليس على إطلاقه بل لابد أن يكــون مــتفقا مع مقام الآية. وقد علمنا أن المراد بالآية الزوجات لا مهورهن. بنص الآية.

وبهــذا يتضح أن كل كلمة فى الآية فى مكانها تقوم بدورها فى أداء المعنى المطلــوب و (مِنْ) اسم بمعنى (بعض) فى محل نصب حالا وصاحب الحال (شئ) ولا غرابة أن يكون هذا هو صاحب الحال. فقــد جــاء فى قوله تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡ ﴾ ٢١٦ البقرة.

فالجملة الاسمية فى الموضعين منصوبة محلا لأنها حال. وصاحبها (شئ).

٥٢- صحاف فى آية واحدة من سورة:

الزخرف: ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖ ﴾ ٧١.

تــدل مادة (ص ح ف) على انبساط فى شئ وسعة. يقال: إن الصحيف وجه الأرض. والصحيفة بشرة وجه الرمل. قال البعيث:

وكل كليبى صحيفة وجهه   أذل لأقدام الرجال من النعل

ومــن الــباب: الصحيفة وهى التى نكتب فيها. والجمع صحائف. والصحف أيضا كأنه جمع صحيف.

والصفحة: القصعة المُسْلَنْطِحَة. وقال الشيباني: الصحاف مناقع صغار تتخذ للماء الجمع: صحف[1].

ولعل هذا الأخير هو المراد بالآية فالذين يطوفون على أهل الجنة معهم صحاف للماء ويصبون هذا الماء في أكواب. ووصفت الصحافة بأنها بعض ذهب سواء أكان ذلك بطريق الحال أي حالة كونها بعضه أو بطريق النعت فيكون في محل خفض.

والعقل يدرك هنا أن الأكواب من ذهب أيضا. وحَذْفُ ما يدركه العقل منهج ثابت في اللغة العربية.

وهناك آية فيها الآنية والأكواب من فضة وهي قوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ . قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ ١٥، ١٦ الإنسان.

ولعل في ذلك دليل على أن أهل الجنة يتمتعون بأواني الذهب وبأواني الفضه لأنها كانت محرمة عليهم في الدنيا وقد يحتمل أن تكون طائفة مخصوصة بأواني الذهب وأخرى مخصوصة بأواني الفضة. لأن أصحاب الجنة درجات بعضها فوق بعض.

٥٣- صرح في آية من سورة:

النمل: ﴿ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ ٤٤.

---

(١) انظر معجم المقاييس اللغة ٣/ ٣٣٤.

"ومعنى الصرح: بيت واحد يبنى منفردا ضخما طويلا فى السماء. وكل بناء عال فهو صرح".

و (ممرد) وصف لـــ (صرح) فـــ (من) تكون حالا بلا خلاف أى حالة كونه بعض قوارير. ومعنى (مجرد) مُسَوَّى ومُطَوَّل(١).

٥٤- صيب: فى آية من سورة:

البقرة:﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ ١٩.

يقــول الزمخــشرى: "الــصيب: المطــر الذى يصوب أى ينزل ويقع ويقال للسحاب: صيب أيضا... وجاء (السماء) معرفة فنص أن يتصوب من سماء أى من أفق واحد من بين سائر الآفاق لأن كل أفق من آفاتها سماء ... والمعنى: أنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء ... وفيه: أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر"(٢).

وهذه الفقرة الأخيرة من كلام الزمخشرى مبنية على غير المشاهدة وهى أقوم طريق للحصول على حقيقة الأشياء. وقــد وضحهــا القــرآن الكـــريم بقــوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾ ١٢ الــرعد. وقد عرفنا أن ما ينزل المطر منه هو السحاب. وقد عبَّر القرآن عنه كثيرا بـــ (السماء) على الحقيقة لا المجاز وهذا ما أشار إليه الزمخشرى هنا بقوله: لأن كل أفق من آفاقها سماء. فكل سماء نزل منها المطر سحاب. بل إن القرآن ذكر

---

(١) انظر القاموس ٣٣٧/١.

(٢) الكشاف ١/ ٦٢: ٦٣.

أن هـذه السماء تذوب فتصير ماء مرسلا. تأمل قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا ﴾ ٦ الأنعام. ثم قوله: ﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ ١٠: ١١ نـوح. فهل يكون (السماء) هنا غير الـسحاب؟ والصيب: المطر الذى يصب بشدة. وبهذا تكون (من) بعضية أى بعض السماء. فهى فى محل نصب حالا.

وإن قيل: فى محل خفض نعتا جاز. فلا حذف ولا تقدير. ولكن أبا البقاء يأبى إلا أن يقـول: "يجوز أن يتعلق (من السماء) بـ (صيب) لأن التقدير: كمطر صيب من السماء. وهذا الوصف يعمل عمل الفعل و (من) لابتداء الغاية.

وأن يتعلق بمحذوف صفة لـ (صيب) أى: كائن من السماء"[1].

فأنـت تـرى أن الحذف سيد الموقف والمقام بدون داع. فما المانع أن يتعلق (مِنْ) بـ (صيب) دون تقدير (مطر)؟ أليس العقل يدرك أن (الصيب) المطر المميز بشدة الإندفاع من أعلى إلى أسفل. ولست أمنع أن تكون (مِنْ) ابتدائية غير أن هذا يحتاج إلى ذكر الغاية أى: إلى الأرض ولكنه ليس بلازم ولأجل هذا أرجح أن (مِنْ) بعـضية وهى وصف لـ (صيب) على طريقة الحال أو النعت. وليس هذا المعنى محتاجا إلى (كائن) الذى قدره أبو البقاء كما عرفنا وألفنا.

ومـع هذا نرى أبا حيان يقول: إن (مِنْ) على الثانى – من نص أبى البقاء – للتبعيض على حذف مضاف أى مطر صيب من أمطار السماء"[2].

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٢.

(٢) البحر المحيط ١/ ٨٥.

وقد أراحنا الألوسى عن الرد عليه حيث قال: "وليس بشئ"[١].

والآية فى أشد الاستغناء عن كل هذا فالحذف: حيف. والتقدير: تكدير.

٥٥- ضعف: فى آيتين من سورتين هما:

الأعــراف: قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ ٣٨.

الأحزاب: قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ ٦٨.

وضــعف الشئ: مثله نوعا ومقدارا. والضعفان: مثلان. فــ (من) فى الآيتين بمعنــى (بعــض) أى حالة كون الضعف بعض النار. وحالة كون الضعف بعض العذاب.

قال المجد: "وضِعْف الشئ: - بالكسر - مثله وضِعْفَاه: مثلاه.

أو الضِّعف: المثل إلى ما زاد. ويقال: لك ضعفه يريدون: مثليه.

وثلاثــة أمــثاله لأنــه زيادة غيــر محصورة. وقول الله: ﴿ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ ٣٠ الأحزاب. أى ثلاثة أعذبة. ومجاز (يضاعف) أى يجعل إلى الشئ شيئان حتى يصير ثلاثة"[٢].

---

(١) روح المعانى ١/ ١٤٥.

(٢) القاموس المحيط ٣/ ١٦٥.

٥٦- طرف: فى آية واحدة من سورة:

آل عمران: قوله تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ ﴾ ١٢٧.

قال الزمخشرى: "ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان يوم بدر"(١).

وقال الألوسى: "ولم يعبر عن تلك الطائفة بالوسط – بل بالطرف – لأن أطراف الشئ يتوصل بها إلى توهينه وإزالته. وقيل: لأن الطرف أقرب من المؤمنين فهو كقوله: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾ ١٢٣ التوبة. وقيل: للإشارة إلى أنهم كانوا أشرافا. ففى الأساس: هو من أطراف العرب أى أشرافها"(٢).

ومعنى البعضية واضح لا يشوبه غموض فـ (من) فى محل نصب نعتا كانت أو حالا.

٥٧- طعام: فى آيتين من سورتين هما:

الحاقة: قوله تعالى: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ. وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ ٣٥: ٣٦.

الغاشية: وقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾ ٦.

---

(١) الكشاف ١/ ٣١٧.

(٢) روح المعانى ١/ ٦٦٣.

قال الزمخشرى فى الأولى: "الغسلين: غسالة أهل النار. وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم. غسلين من الغسل".

وقـال فى الثانية: "الضريع: يبيس الشرق وهو جنس من الشوك ترعاه الإبل ما دام رطبا. فإذا يبس تحامته الإبل. وهو: سم قاتل. قال أبو ذؤيب:

رعى الشبرق الريان حتى إذا ذوى   وعاد ضريعا بان عنه النحائص(١)

فالمقام هنا للبعضية التى هى معنى (من) فهى فى محل نصب حالا أى حالة كون الطعام بعض غسلين. أو بعض ضريع. وإن كانت نعتا فهى فى محل رفع.

٥٨- طائفة: فى ست عشرة آية من السور الآتية:

آل عمـران: ﴿ وَدَّت طَّآيِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ ٦٩ ﴿ وَقَالَت طَّآيِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ ﴾ ٧٢ ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآيِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾ ١٢٢، ﴿يَغْشَىٰ طَآيِفَةً مِّنكُمْ ﴾ ١٥٤.

النـساء: ﴿ بَيَّتَ طَآيِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ﴾ ٨١، ﴿ فَلْتَقُمْ طَآيِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ ﴾ ١٠٢، ﴿ لَهَمَّت طَّآيِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ ١١٣.

الأعـراف: ﴿ وَإِن كَانَ طَآيِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآيِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ ﴾ ٨٧.

---

(١) الكـشاف ٤/ ٤٨٥، ٥٩٣. ومعنى البيت رعى البعير الشوك الرطب حتى إذا جف وصار ضريعا يابسا يتفتت بعد عنه النحائص جمع نحوص وهى الناقة الحائل لعلمها أنه لا يسمن ولا يغنى من جوع والناقة الحائل غير الحامل انظر هامش الكشاف ٤/ ٥٩٣.

التوبة: ﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ ﴾ ٦٦، ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا ﴾ ٨٣.

النور: ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٢.

القـــــصص: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ ﴾ ٤.

الأحـــــزاب: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ ١٣.

الحجرات: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ ٩.

الصف: ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ١٤.

المزمل: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ ٢٠.

وممـــا ينبغي ملاحظته أن (مِنْ) أضيفت إلى اسم غير موصول خمس مرات هى (من أهل الكتاب) مرتين (من المؤمنين) مرتين (من بنى إسرائيل) وأضيفت إلى اسم موصول مرة واحدة (من الذين معك).

وأضيفت إلى علامة إضمار جمع المخاطبين (منكم) أربع مرات.

وأضيفت إلى علامة إضمار. جمع الغائبين (منهم) ست مرات.

ومعنى (طائفة): جماعة وسميت بها لأنه يسوى بها حلقة يطاف حولها[١].

قال الرازى فى الآية الأولى من آل عمران: "واعلم أن (من) ههنا للتبعيض. وإنمـا ذكر بعضهم ولم يعمهم لأن منهم من آمن وأثنى عليهم بقوله: ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ﴾ ٦٦ المائدة[٢].

وقال الألوسي: "و (من) للتبعيض. والطائفة رؤساؤهم وأحبارهم.

وقيل: لبيان الجنس والطائفة جميع أهل الكتاب. وفيه بعد"[٣].

ولعلك تدرك معنى كونه بعيدا مما سلف أن كررناه من أن معنى البيان يترتب علـيه كـونها زائدة فيكون الحكم على الجميع لا على بعضهم وهذا يخالف صريح الـنص. ومن ثم أرى أنه مردود لا بعيد. وعليه يخلص المعنى للبعضية فـ (من) اسـم إما فى محل نصب حالا. ويجوز أن يكون نعتا فيتبع (طائفة) فى إعرابه وقد وردت منصوبة فى آيتين ومخفوضه فى آيتين ومرفوعة فى اثنتى عشرة آية.

٥٩- ظلل: فى ثلاث آيات من السور الآتية:

البقرة: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ ٢١٠.

الزمر: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ ١٦.

الواقعة: ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ ٤٣.

---

(١) روح المعانى ١/ ٦١١.

(٢) من مفاتيح الغيب ٢/ ٤٩٣. وانظر حاشية الجمل ١/ ٣٤٢.

(٣) روح المعانى ١/ ٦١٠.

قال الزمخشرى فى الأولى: إتيان الله: إتيان أمره وبأسه (أو يأتى أمر ربك) (فجاءهم بأسنا). ويجوز أن يكون المأتى به محذوفا بمعنى: أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله (فإن الله عزيز).

(فى ظلل) جمع ظلة وهى ما أظلك. وقرئ (ظلال) وهى جمع ظلة كـ (قلة) وقلال. أو جمع ظل .... وإنما يأتيهم العذاب فى الغمام لأن الغمام مظنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم. كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر. فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير. ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث. ومن ثمة اشتد على المتفكرين فى كتاب الله قوله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ ٤٧ الزمر[1].

فالمراد. بإتيان الله ليس ذاته وإنما أمره أو بأسه".

أما آية الزمر فوجه الشبه قوى بينها وبين آية البقرة. إذ المعروف المألوف أن الظلل تكون من الشجر وحينئذ يرتاح فيها المستظل بها ولكنها هنا (من النار) ففيها من المفاجأة ما فى آية البقرة. وبقية الآية: (ومن تحتهم ظلل) وعبر عنها بالظلل ههنا لأنها ظلل لمن تحتهم.

و (اليحموم) فى سورة الواقعة هو الدخان الأسود البهيم[2].

---

(١) الكشاف ١/ ١٩٢.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٦٩.

و (مِنْ) فى هذه الآيات بمعنى (بعض) أى بعض الغمام وبعض النار وبعض الدخان. فهى وصف لما قبلها سواء أكانت حالا أم نعتا.

ولكن أبا البقاء لا يكتفى بذلك حيث يقول: "من الغمام: يجوز أن يكون وصفا لـــ (ظلل). ويجوز أن يكون متعلقا بـــ (يأتيهم) أى يأتيهم من ناحية الغمام. والغمام: جمع غمامة"(١).

فعلـــى الأول تكـــون بعضية. وعلى الثانى تكون ابتدائية. ولا شك أن الأول أوضح وأجمل لأن ما بعد (من) يقبل التبعيض ويترتب عليه اسميتها وهذا أدق فى المعنى من كونها حرف ابتداء.

٦٠- ظهـــــر: فى آيتين من سورتين هما:

الرعد: ﴿ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ ٣٣.

الروم: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ٧.

والمراد بالآية الأولى نفى أن يكون لله شركاء لأنهم لو وجدوا لعلمهم الذى لا تخفـــى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء. فإذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشئ يتعلق به العلم ونحوه: "﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ١٨ يونس (أم بظاهر مِنَ القول) بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٥٠ وانظر حاشية الجمل ١/ ١٩٨.

من غير أن يكون لــذلك حقيقة كقوله ﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ ٣٠ التــوبة ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾ ٤٠ يوسف[١].

فـ (من القول) وصف لـ (ظاهر) نعتا فهو فى محل خفض أو حالا فهو فى محل نصب.

وأمـا آيـة الروم فيقول فيها الزمخشرى: "هذا يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا. فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها. والتنعيم بملاذها.

وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة بتزود منها إليها بالطاعة"[٢].

وذكــر أبو حيان عن ابن عباس والحسن والجمهور أن معناه: ما فيه الظهور والعلو فى الدنيا من إتقان الصناعات والمبانى..

كما ذكر أن فرقة ترى معناه: ذاهبا زائلا مستدلين بقول الهذلى:

وَعَيَّرَها الواشون أنى أحبها وتلك شكاة ظاهِرٌ عنك عارُها[٣]

وبذلك يتأتى فى (ظاهرا) ثلاثة معان: أحدها: زخارفها والتنعم بملاذها.

والثانى: الصناعة التى يتقنها بعض الناس: والثالث: الزائل منها.

وبالــتأمل فى الثلاثة يدرك المتأمل أن هذا الثالث يشمل ما قبله إذ كل ما فيها من صناعة وملاذ زائل فان.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤١٤.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٦٨.

(٣) البحر المحيط ٧/ ١٦٣.

وعلى كل فـ (من) بمعنى (بعض) فى محل نصب حالا ويقال: إنها نعت.

٦١- عبد: فى آيتين من سورتين هما:

الكهف: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ ٦٥.

التحريم: ﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ ﴾ ١٠.

لقد ألفنا أن القرآن يضع كلمة (عبد) على من تميز بصفات لا توجد فى القليل مـن بنى آدم بل فى أقل القليل. والمراد به فى آية الكهف من أوتى من الصفات ما جعله أهلا لأن يطلب منه نبى الله موسى عليه السلام أن يعلمه مما علمه الله رشدا. ولا يغنينا أن يكون الخضر عليه السلام أو غيره. فـ (من) بمعنى (بعض) فى محل نصب حالا أو نعتا.

والمـراد بـ (عبدين) فى آية التحريم نبيان من أنبياء الله عليهم السلام وهما نوح ولوط.

وقد كرم الله خاتم الرسل بهذا النعت الفريد فى قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ ١ الإسراء. ثم قوله: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ ١٠ النجم.

ووصف (عبدا) و (عبدين) بأنهم بعض عباد الله عز وجل.

فـ (من) بمعنى (بعض) فى محل خفض نعتا أو فى محل نصب حالا.

وتأمـل – هـداك الله – لو عبر القرآن "عبد (بعض عبادنا) أو بـ (عبدين بعض عبادنا) هل كنت تجد صفاء الأسلوب وسلاسته ورقته ثم دقته كما تجدها فى (من عبادنا)؟

٦٢- عدد: فى آيتين من سورة:

البقـرة: قوله تعالى: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ ١٨٤، ١٨٥. ونص الأولى: "فمـن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر" ونص الثانية: "ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر".

فالفـاء واقعـة فى جواب الشرط (من كان ...) وفيهما من الإيجاز ما يجعل العقل يتنعم بالفكر فيه والتأمل ليدرك خوافيه. إذ من البدهى أن الحديث فى فريضة الصيام" والمرض والسفر رخصتان من رخص الله التى خفف الله بهما عبئ العبادة عن المسلمين.

يقول الزمخشرى: "أو راكب سفر (فعدة) فعليه عدة. وقرئ بالنصب بمعنى: فليـصم عدة. وهذا على سبيل الرخصة. وقيل: مكتوب عليهما أن يفطرا ويصوما (عدة من آيام أخر)..." [١].

فهمـا لم يكتب عليهما الصيام كما كتب على غيرهما ما دام المرض والسفر فـى شـهر رمضان. بل كتب عليهما الصيام فى غيـره بعد أن يـزول المرض وينتهى السفر.

---

(١) الكشاف ١/ ١٧٠.

ولا أدل على ذلك من قوله تعالى فى الآية الثانية: "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر" ولكنا وجدنا أبا البقاء يقول: "أى فأفطر فعليه عدة. و (من أيام) نعت لـــ (عدة)" [١].

وربما يفيد هذا أن للمريض والمسافر أن يصوما فى رمضان. وهذا يتعارض مع قول الزمخشرى فى نصه السابق. (وقيل: مكتوب عليهما أن يفطرا ويصوما (عدة من أيام أخر).

وبهذا نستغنى عن تقدير (فأفطر) الذى قدره أبو البقاء. وهذا ما ذهب إليه أستاذنا الشيخ محمد متولى الشعراوى قائلا: "ما لا يحتاج إلى تأويل فى النص أولى فى الفهم مما يحتاج إلى تأويل. وليكن أدبنا فى التعبير ليس أدب ذوق بل أدب طاعة لأن الطاعة فوق الأدب.

إذن فالذين يقولون لعلَّه – يتأوَّلون – لا يلحظون أن الله يريد أن يخفف عنا. ثم ما الذى يمنعنا أن نفهم أن الحق سبحانه وتعالى أراد للمريض وللمسافر رخصة واضحة فجعل صيام أى منهما فى عدة من الأيام الأخر فإن صام فى رمضان وهو مريض أو على سفر فليس له صيام أى أن صيامه لا يعتد به ولا يقبل منه. وهذا ما أرتاح إليه ولكن علينا أن ندخل فى اعتبارنا أن المراد من المرض والسفر هنا هو ما يخرج مجموع ملكات الإنسان عن سَوِيَّتِها [٢]

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٤٥.

(٢) الأهـــرام يوم الجمعة الخامس من رمضان سنة ١٤٢١هـــ الأول من ديسمبر سنة ٢٠٠٠م ص ١٨.

ولا يخفى أن (من) بمعنى (بعض) فذلك ما يدركه العقل السليم والذوق الرفيع. فهى فى محل رفع نعتا أو نصب حالا.

وعهدنا بأبى البقاء أن يعبر فى مثل هذه الآيات بـ (نعت) لا بـ (حال) لأن ما قبلها (نكرة) ولكن ذلك لا يمنع أن الحال أوقع وأمتع.

٦٣- عدو: فى آية واحدة من سورة:

الفرقان: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ ٣١.

فـ (من) فى محل نصب سواء أكانت حالا أم نعتا. أى: بعضهم.

٦٤- عذاب: فى آيتين من سورتين هما:

سبأ: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ ٥.

الجاثية: ﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ ١١.

ومن معانى (رجز): القذر وعبادة الأوثان والعذاب والشرك والسحاب تحرك بطيئا لكثرة مائه"(١).

---

(١) انظر القاموس ٢/ ١٧٦.

ولما كانت الزاى والسين من أحرف الصفير وجدنا بين (الزجر) و (الرجس) تقاربا فى المعنى. ومن ثم جاء فى القاموس: "رجست السماء: رعدت شديداً وتمخضت .. وسحاب راجس ورجاس .. والرجاس البحر ... وكل ما استُقذِرَ من العمل. والعمل المؤدى إلى العذاب والشك والعقاب ..." [١].

ولهذا قدر صاحب (إعراب القرآن) فى الآيتين مضاف أى لهم عذاب من شرب رجز كقوله: ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ ١٦ إبراهيم[٢].

وقال قتادة: الرجز سوء العذاب"[٣].

وقال الزمخشرى: "الرجز أشد العذاب"[٤].

وعلى كلٍّ فـ (من) بمعنى (بعض) فى محل نصب حالا. أو فى محل رفع نعتا.

٦٥- عصبة: فى آية واحدة من سورة:

النور: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ ١١. أى حالة كونها بعضكم. وإن رفعتها نعت جاز.

ومادة (ع ص ب) قال عنها ابن فارس: "هى أصل واحد يدل على ربط شئ بشئ مستطيلا أو مستديرا ... من ذلك: العصب. قال الخليل: هى أطناب المفاصل

---

(١) القاموس ٢/ ٢١٩.

(٢) القسم الأول ص ٥٨.

(٣) انظر إرشاد العقل السليم ٤/ ٢٢٣.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٢٧.

التـى تلائم بينها.. يقال: لحم عصب أى صلب مكتنز كثير العصب ... والعصب: الطى الشديد ..."[1].

فهذه المادة تدور معانى صيغها حول القوة والمنعة. أما ما يشاع ويذاع من أن (التعصب) صفة ذم فليس من الحقيقة فى شئ. أو قد يكون من باب (إذا جاوز الشئ حده جانس ضده) وإن كنا لا نرى ذلك.

٦٦- عفريت: فى آيه واحدة من سورة:

الـنمل: قـوله تعالى: ﴿ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ ٣٩.

أى بعـض الجـن. والعفريت: القوى من الإنس والجن ومن معانيها.. الشدة والقوة قال الخليل: رجل عفر بين العفارة. يوصف بالشيطنة. ويقال: شيطان عفرية وعفـريت وهم: العفارية والعفاريت .... وهو راجع إلى العفر وهو التراب ومنه: عفـره أى صـرعه ومـرغه فى التراب ... ومن ذلك قولهم: وابن الخمسين ليثٌ عفرين"[2].

و (من) فى محل رفع نعتا أو فى محل نصب حالا.

٦٧- عقدة: فى آية واحدة من سورة:

طه: قوله تعالى: ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴾ ٢٧.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤/ ٣٣٦.

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة ٤/ ٦٢ فما بعدها.

قال الزمخشرى: "من لسانى: صفة لـ (عقدة) كأنه قيل: عقدة من عقد لسانى"[١].

وربما يفهم من تقدير (عقد) أن لسان موسى عليه السلام كانت العقد تسوده بمعنى أن كلامه غيرواضح لمن يسمعه فلا يستطيع فهمه ولذا قال موسى من بعد هذه الآية: ﴿ يَفْقَهُواْ قَوْلِى ﴾ ٢٨. وهذا ما قاله فرعون: ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ ٥٢ الزخرف. إذ المقصود هنا هو موسى عليه السلام.

وهذا كله مبنى على أن معنى (اللسان) الجارحة أى أداة القول وهو العضو المعروف. لأنه بهذا المعنى لا يقبل التعقيد ومن ثم قدر الزمخشرى (عقد). والمراد: حبسه يحصل بها تعسر الكلام عند إرادته.

أما إذا كان بمعنى (اللغة) فلا حاجة بنا إلى مثل هذا التقدير لأن من اللغة ما هو سهل يسير ومنها ما هو صعب عسير ثقيل.

وأرى أن هذا هو الراجح الواضح فقد ورد فى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ٤ إبراهيم. أى بلغة قومه ليفقهوا عنه ما يدعوهم إليه فلا يكون لهم حجة على الله[٢].

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٨.

(٢) انظر الكشاف ٢/ ٤١٩.

وبهـذا ينطبق معنى (عقدة من لسانى) على المراد بالآية إذ ليس معنى وجود عقـدة فـى لـسان أحد مانعا من نطقه كاملا. ومما يؤيد ذلك قول موسى فى آية الـشعراء: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ . وَيَضِيقُ صَدۡرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾ ١٢: ١٣.

ثـم قـوله فى سورة القصص: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءًا يُصَدِّقُنِيٓ ﴾ ٣٤.

فهـذه النصوص تثبت أن لسان موسى أى لغته لم تكن جلية يفهم معناها كل الناس أعلاهم إدراكا وأدناهم. بل كان يشوبها شئ من الغموض لحبسه فى لسانه.

وبهذا يتضح لنا صدق التعبير وصوابه حيث أفرد (عقدة) وجعلها بعض لسانه أى لغته. فـ (من) بمعنى (بعض) فى محل نصب سواء أعربتها حالا أو نعتا.

ويرى أبو البقاء أن (من) متعلقة بـ "احلل"[١].

وبذلك تكون حرف ابتداء أى أن لسانه مبدأ حل العقدة. وفى هذا من الخفاء ما لا يخفى على ذى عقل وبصيرة.

٦٨- علم: فى آية من سورة:

النمل: قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ ﴾ ٤٠.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٦٤.

سـبق أن تكلمنا على آية العفريت الذى قال لسليمان عليه السلام أنا آتيك به قـيل أن تقوم من مقامك. وهنا يقول له الذى عنده علم من الكتاب: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك.

والعلـم أى العلـوم من الوحى والشرائع فالمراد بـ (الكتاب) الكتاب المنزل و(آتيك) فى الموضعين يجوز أن يكون فعلا واسم فاعل. والطَّرْف: تحريكك أجفانك إذا نظـرت فوضـع موضع النظر ... ومعنى قوله (قبل أن يرتد إليك طرفك) أنك ترسل طرفك – أى نظرك – إلى شئ فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك(١).

ولا شك أن هذا كناية عن السرعة الفائقة. ولعلك تلحظ فى تنكير (عِلْم) معنى الـشيوع والتنوع فلما جاء (من الكتاب) حصره وأفرده فالمعنى: عنده معلوم بعض الكتاب أى المكتوب.

هـذا: وإذا كـان (آتيك) فعلا فوزنه (أفعل) وأصله (أأتى) فلما سكنت الهمزة الثانية بعد فتح أبدلت ألفا فصار (آتى).

وإذا كان اسم فاعل فوزنه: (فاعل) مثل: ضارب من: ضرب وزمن الإتيان عليهما معا مستقبل.

فـ (من كتاب) أى بعضه فى محل رفع نعتا أو فى محل نصب حالا.

٦٩- عَمَل فى آية واحدة من سورة:

آل عمـران: قـوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ ﴾ ١٩٥.

(١) انظر الكشاف ٢/ ٢٨٩: ٢٩٠.

فـــ (مــنكم) وصف لــ (عامل) فإن جعلناه حالا كان فى محل نصب وإن جعلناه نعتا كان فى محل خفض.

وأما (من ذكر أو أنثى) فيرى الزمخشرى أنه بيان لــ (العامل) [١].

ولست أدرى ما وظيفة (منكم) على هذا الرأى؟! إن الزمخشرى لم يذكر شيئا عــنها فهل معنى ذلك أنه يهمل معناها؟ الجواب بالنفى فلعله ضرب من النسيان أو السهو.وهما لا يتجرد عنهما إنسان.

علــى أن جعل (من ذكر ...) بياناً لــ (عامل) غير سيدي لأننا قد عرفنا أن (من) البيانية – عند من يقول بها – لابد من دخولها على ما فيه (أل) الجنسية كما فى قوله تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ ٣٠ الحج[٢].

ومن ثم قال أبو البقاء: "منكم: صفة لــ (عامل) و (من ذكر أو أنثى) بدل من (منكم) وهو بدل الشئ من الشئ وهما لعين واحدة.

ويجــوز أن يكــون (مــن ذكر أو أنثى) صفة أخرى لــ (عامل) يقصد بها الإيضاح.

ويجوز أن يكون (من ذكر) حالا من الضمير فى (منكم) تقديره: استقر منكم كائنا من ذكر أو أنثى"[٣].

وهــذا الأخير مبنى على أن (منكم) خافض ومخفوض و (من) حرف ابتداء. وهذا بعيد لأنها داخلة على مبعض وهو علامة إضمار جماعة المخاطبين (كم).

قال السيرافى: "والذى يتصل بـــ (من) هو المبعض لا البعض.

---

(١) الكشاف ١/ ٣٥١.

(٢) انظر حاشية الجمل ١/ ٤١٧.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٩٢.

وهو الكثير الذى يذكر منه القليل ...." (١).

فـــ (مــنكم) مضاف ومضاف إليه. ومثلها (من ذكر) لأنها بمعنى (بعض) ومدخولها (مبعض) ولذا يجوز أن تكون صفة ثانية لـــ (عامل).

وقـــال أبو حيان: إنه بدل من (منكم) وهو بدل تفصيلى من مخاطب. ثم قال: "ويعكـــر علـــى كونه تفصيليا عطفه بـــ (أو) إذ البدل التفصيلى لا يكون إلا بالواو كقوله:

وكنت كذى رِجْلَيْن رِجْلٍ صحيحة
ورِجْـلٍ رمـــى فيها الزمانُ فشَــلَّتِ

ويعكر على كونه من مخاطب أن مذهب الجمهور لا يجوز عليه أن يبدل من ضـــمير المتكلم وضمير المخاطب بدل شئ من شئ وهما لعين واحدة. وأجاز ذلك الأخفش..

وقد تجئ (أو) فى معنى الواو إذا عطفت ما لابد منه كقوله:

قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهـــم
من بين ملجـــمِ مهـــره أو ســـــافع

يـــريد: وسافع. فكذلك يجوز هنا فى (أو) أن تكون بمعنى الواو لأنه لما ذكر (عمل عامل) دل على المعموم. ثم أبدل منه على سبيل التوكيد.

وعطف على أحد الجزءين ما لا بد منه لأنه لا يؤكد العموم إلا بعمومه مثله. فلم يكن بد من العطف حتى يفيد مجموع العاطفين تأكيد العموم" (٢).

والـــذى أريد توضيحه فى هذا المقام أن المعنى يؤخذ من النص ولا يفرض علـــيه. فقـــوله تعالـــى: (من ذكر أو أنثى) يدرك العقل أنه لا يمكن الإستغناء عن

---

(١) شرح كتاب سيبويه ١/ ٥٠.

(٢) البحر المحيط ٣/ ١٤٣: ١٤٤.

المعطـوف وهو (أنثى) لأنه لو استغنى عنه نقص اللفظ فيترتب عليه نقص المعنى فجاء العطف ليرفع ذلك الحرج والضيق عن النص. وأما التعبير بـ (أو) فمقصود لأن الذكـورة والأنوثة لا يجتمعان فى مولود واحد. ومما يوضح ذلك ويؤيده قوله تعالـى (عمـل عامل) دون (عاملين) وذلك غير قول الشاعر: (كذى رِجْلَيْن رِجْلٍ صحيحة ... ورِجْلٍ رمى فيها الزمان فشلت) فالتفصيل لمثنى موجود فجاءت الواو إذ هى المطلوبة للمقام.

ومـثل الآية قول الشاعر: ... رأيتهم من بين ملجم مهره أو سافع فالمقام لـ (أو) لا للـواو إذ مـا قبلها فيه إبهام فالمعنى على التفصيل والصفتان المذكورتان (ملجـم مهـره وسـافع) لا يجتمعان فى شخص واحد لأن الملجم غير السافع ففى القاموس: سفع بناصيته قبض عليهـا فاجتـذ بهـا ومنه: ﴿ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ ٥ العلق أى لنجرنه بها إلى النار"[1].

فالذين سمعوا الصريخ إما ملجم مهره. أو قابض على ناصيته حتى يتمكن من توجيهه نحو المعركة. فالمقام لـ (أو) لا للواو.

وهكـذا ينبغـى أن يؤخذ المعنى من النص لا يفرض عليه تطبيقا لقاعدة قد تكون واهنة مخلخلة.

ففـى الآيـة تفصيل جميل حيث ذكر (عامل) ثم بين أنه (بعضكم) ثم فصل (بعـضكم) إلـى بعض الذكـور وبعض الإنـاث. فقـد استغـرقت العاملين من نوعى الإنسان.

---

(١) القاموس ٣/ ٣٨.

٧٠- أفئدة: فى آية واحدة من سورة:

إبراهيم: قوله تعالى:﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ ٣٧.

أى حالة كون هذه الأفئدة بعض الناس. فــ (من) فى محل نصب ولو جعلتها نعتا جاز. وهذا واضح لا غموض فيه. ولكن الزمخشرى ذكر أن التقدير: أفئدة من أفئدة الناس. ولست أدرى سرا لذكر (أفئدة) الثانية. أليس الفؤاد بعض أفراد الإنسان. فتكون الأفئدة بعض الناس؟

ثــم ذكر بعد ذلك القِـيِّــمة القَــيِّــمة لــ (من) وكونها بمعنى (بعض) حيث قــال: "ويــدل عليه ما روى عن مجاهد: لو قال أفئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والــروم. وقــيل: لــو لــم يقــل (مــن) لازدحمــوا علــيه حتى: الروم والترك والهند"..............".

ومع هذا لم يقف الزمخشرى عند هذا المعنى على الرغم مما فيه من دقة وعمق. بل استجاب لنزعة قد استولت على عقول علماء اللغة وملكت أقلامهم وهى: نزعة التردد بين الأقوال المتعددة ولو لم يكن لبعضها فائدة مما أثقل كاهل من بعدهم وضاعف جهدهم ليصفوا وينفقوا ما ذكروه مما علق به من أخلاط وأوشاب.

يقول الزمخشرى: "ويجوز أن يكون (من) للابتداء كقولك: القلب منى سليم. نريد قلبى. فكأنه قيل: أفئدة ناس. وإنما نكرت المضاف إليه فى هذا التمثيل لتنكير (افئدة) لأنها فى الآية نكرة ليتناول بعض الأفئدة"[١].

أرأيت ثقلا فى القول بعد هذا الثقل دون ما رجع مفيد أو معنى جديد؟! إنه حكم على (من) بالزيادة أى الإعدام بغير ما ذنب جنته ولا جرم اقترفته. ثم راح يتصيد معناها من تقديرات – (أى تكديرات – اصطنعها ألا وهو معنى البعضية.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٣٥.

وكأنى به يعلن على مسامع وأعين قارئيه أن (من) المذكورة غير ذات معنى وحسبه بذلك جرما وجناية على كلمة قرآنية لا يمكن لسواها أن يؤدى مؤداها.

ولذا كان أبو حيان على حق حينما قال: "ولا يظهر كونها لابتداء الغاية لأنه ليس لنا فعل يبتدأ فيه لغاية ينتهى إليها. إذ لا يصح ابتداء جعل الأفئدة من الناس. – لعل الصواب: جعل ابتداء الأفئدة من الناس – وإنما الظاهر فى (من) التبعيض"(١).

وكنت أتمنى لو جف مداد أقلام العلماء هنا حتى يريحوا ويستريحـــوا. ولكن مـــا كـــل ما يتمنى المرء يدركه. وكيف أدركه وقد رأيت قلم الشهاب الخفاجى يرد معنى البغضية حيث يقول: "إن فعـــل الهـــوى للأفئدة مبتدأ به لغاية ينتهى إليهـــا. ألا ترى إلى قوله (إليهم).

واعلـــم أنه قال فى الإيضاح: إنه قد يكون القصد فى الابتداء دون أن يقصد انـــتهاء مخـــصوص إذا كان المعنى لا يقتضى إلا المبتدأ منه نحو: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وزيد أفضل من عمرو.

وقد قيل: إن جميع معانى (مِنْ) دائرة على الابتداء.

والتبعيض هنا لا يظهر فيه فائدة كما فى قوله تعالى: ﴿ وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى ﴾

٤ مـــريم. فإن كون قلب الشخص وعظمه بعض منه معنى مكشوف غير مقصود بالإفـــادة. فلذا جعلت للابتـــداء. والظرف يستقـــر للتفخيم كأنه قيـــل: القلب نشـــأ فى جملته"(٢).

---

(١) البحر المحيط ٥/ ٤٣٢.

(٢) حاشية الشهاب الخفاجى ٥/ ٢٧٢: ٢٧٣.

وهكــذا يأبى الشهاب إلا أن يدور فى فلك صاحب الإيضاح من جانب ويدور فــى فلــك معنى الابتداء الذى لا يرى سواه معنى لــ (من) فى آية آل عمران من جانب آخر.

وبذلك يقع فى مخطور وهو: أن المعنى الواضح الذى ينبع من النص لا يليق بالقــرآن إذ لا تظهــر له فائدة على حد قوه. وإنما الذى يليق هو أن تكون (منكم) ظــرفا مــتعلقا بــ (كائن) أو (مستقر) فهو يحرص أشد الحرص على قاعدة (لولا الحذف والتقدير لفهم النحو الحمير). وقد عرفنا ما فى هذا من شطط وخلط المعجز بغير المعجز. وهذا ما قرره الشهاب نفسه فى (مقدّرات القرآن) كما سبق ذكره.

وحــسبك أن تتأمل قوله (القلب نشأ فى جملته) أى من جملة الإنسان. ولست أدرى معنى لذلك.

وإنمــا الــذى أدريــه وأستقيه أن الفؤاد بعض الإنسان وحسبك أن تقرأ قول الرسول ﷺ: "ألا إن فى الجسد مضغة إذا فسدت فسد الجسد كله وإذا صلحت صلح الجسد كله ألا وهى القلب".

وأخيرا أقول: لو تأمل الشهاب معنى الابتداء لأدرك بما لا يدفعه شك أنه يدل علــى البعــضية ولكــن هذه الدلالة ليست واضحة وضوح دلالة (من) على معنى (بعــض) ففى آية مريم يكون المعنى: ومن العظيم حالة كونه بعضى. وفى قولهم: القلب منى سليم يكون المعنى: القلب حالة كونه بعضى سليم.

ولا غضاضة فى مجئ الحال من المبتدأ وإتيان الخبر بعده فقد ذكر السيرافى عند شرح سيبويه: "هذا باب علم ما الكلم من العربية" أنه يجوز: هذا باباً علم الكلم. فيكون (هذا) مبتدأ و (بابا) منصوبا على الحال والخبر (علم)" [1].

---

(١) شرح كتاب سيبويه ١/ ٤٩.

٧١- فجوة: فى آية واحدة من سورة:

الكهف: قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ ١٧.

وعلامـــة الإضـــمار للكهـــف فى قوله: "وترى الشمس إذا طلعت تَّزَاوَرُ عن كهفهـم" فالفجوة – أى المتسع – بعضه قال الزمخشرى: "والمعنى أنهم فى ظِـلٍّ نهـارهم كلـه لا تصيبهم الشمس فى طلوعها ولا غروبها مع أنهم فى مكان واسع منفتح معرض لإصابة الشمس. لولا أن الله يحجبها عنهم"(١).

فالفجوة بعض الكهف. والكهف: منقور فى الجبل يشبه البيت أو الغار إلا أنه واسع فإذا صغر فغار(٢).

فالفجـوة مكـان واسع من الكهف أى بعضه. و (منه) فى محل نصب حالا. وقيل فى محل خفض نعتا.

٧٢- فدية: فى آية واحدة من سورة:

البقـرة: قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ ١٩٦.

وهنا ينبغى أن نستحضر ما سلف عند قوله تعالى: "فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر" أى فأفطر. وهذا يدركه العقل فهنا التقدير: فحلق فعليه فديه وتلك الفدية بعض صيام أو صدقة أو نسك أى ذبح شاة(٣).

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٥٣.

(٢) انظر القاموس ٣/ ١٩٣.

(٣) انظر الكشاف ١/ ١٨٢ وإملاء ما من به الرحمن ١/ ٤٨.

فالنسيكة: الذبيحة التى يتقرب بها إلى الله[1].

٧٣- فريق: فى تسع عشر آية من السور الآتية:

البقرة: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ ٧٥ ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم ﴾ ٨٥ ﴿ نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ ١٠٠ ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ ١٠١ ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ ١٤٦ ﴿ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ ١٨٨.

آل عمران: ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ ٢٣ ﴿ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ ١٠٠.

النساء: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ ﴾ ٧٧.

الأنفال: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ ٥.

التوبة: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ ١١٧ ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ ١٢٢.

النحل: ﴿ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ ٥٤.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٤٢٠.

المؤمنون: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ ﴾ ١٠٩.

النور: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ ٤٧ ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ ٤٨.

الروم: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ ٣٣.

الأحزاب: ﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ ﴾ ١٣.

سبأ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٢٠.

ومما ينبغي الإلتفات إليه أن كلمة (فريق) وردت ثماني عشرة مرة وكلمة (فرقة) وردت مرة واحدة. والفرق بينهما: أن الفرقة: الطائفة من الناس .. وأن الفريق أكثر منها[1].

ويظهر من قوله تعالى: "نفر من كل فرقة منهم طائفة" أن (طائفة) أقل من فرقة لأن (من كل فرقة) فاعل (نفر) أى بعضها و (طائفة) بيان لذلك البعض. وهذا ما ورد في القاموس حيث قال المجد: "والطائفة من الشئ القطعة منه أو الواحد فصاعدا. أو إلى الألف. أو أقلها رجلان أو رجل فيكون بمعنى النفس"[2].

---

(١) انظر القاموس ٣/ ٢٧٥.

(٢) القاموس ٣/ ١٧٠.

ومـــن هنا يمكننا أن نرتب كمية (فريق وفرقة وطائفة) على هذا النحو: فريق أكبرها. ويليه فرقة ويليها طائفة فالفرقة بعض الفريق. والطائفة بعض الفرقة. ولعل ذلك ما يفسر لنا قوله تعالى: ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ ٧ الشورى. إذ من البدهى أن أصحاب كل منها كثير لا يعلمهم إلا الله.

هـــذا: و (مـــنهم) بعد (فريق) أو (فرقة) وَصْف سواء أكان حالا أم نعتا. فإذا كان حالا كان فى محل نصب وهذا ما سرنا عليه غالبا. وإذا كان نعتا كان تابعا لما قبله فى إعرابه رفعا ونصبا أو خفضا. وقد عهدنا أبا البقاء يحرص على جعل (من) نعـــتا. فقـــد قال فى الآية الأولى: "منهم: فى موضع صفة لـــ (فريق) أى مرفوع. و(يسمعون) خبر (كان).

وأجـــاز قـــوم أن يكون (يسمعون) صفة لـــ (فريق) و (منهم) الخبر. وهو ضعيف"(١).

وأرى أنـــه غير صواب لأنه يترتب عليه دعوى باطلة وهى التقديم والتأخير حـــيث يكـــون تـــرتيب الآية (وقد كان فريق يسمعون كلام الله منهم ثم يحرفونه). وشتان بين هذا النسق وما وردت عليه الآية. فالسديد أن نترك كل كلمة آمنة ساكنة فى مكانها حتى يتهيأ لها الدور فتقوم بوظيفتها على الوجه الأكمل.

وقـــال الألوســـى فى آية التوبة الثانية (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة): "فرقة: أى جماعة كثيرة (منهم) كأهل بلدة أو قبيلة عظيمة (طائفة) أى جماعة قليلة.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٢٥ وانظر الجامع لأحكام القرآن ص ٣٩٧.

وحمل الفرقة و (الطائفة على ذلك مأخوذ من السياق و (من) البعضية. لأن البعض في الغالب أقل من الباقى. وإلا فالجوهرى لم يفرق بينهما"[١].

والحق أن بينهما فرقا كما سبق عن صاحب القاموس. بل أقول: كما ورد في القرآن الكريم فهو أبلغ بيان وأدمغ حجة على هذا الفرق ومن ثم استدل بعضهم بهذه الآية على أن الفرقة أعم من الطائفة[٢].

فـــ (من) بمعنى (بعض) في تلك الآيات. وإعرابها حالا أرجح من إعرابها نعتا في نظرنا.

وقــد عوّدنا علماء النحو أنهم لم يجمعوا على شئ ولذا لم نستغرب اختلافهم هنا إذ وجدنا بعضهم يخالفون في بعض الآيات السابقة فيجعلون (من) بيانية.

ففــى آية النحل يقول الزمخشرى: "يجوز أن يكون الخطاب في قوله تعالى: "وما بكم من نعمة فمن الله" عاما . ويريد بالفريق فريق الكفرة.

وأن يكــون الخطاب للمشركين. و (منكم) للبيان لا للتبعيض. كأنه قال: فإذا فريق كافر وهم أنتم. ويجوز أن يكون منهم من اعتبر كقوله: ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ ٣٢ لقمان[٣].

فعلى الوجه الأول نرى أن الزمخشرى قد حكم على (من) بالإعدام حيث جعل المعنـــى بـــدونها وهــذا أمر عجيب إذ كيف يقول الله (منهم) أى بعضهم ويتجرأ الزمخشرى أو غيره على أن يقول: أنتم جميعا؟!

---

(١) روح المعانى ٣/ ٣٩٠.

(٢) شرح الألفاظ المترادفة ص ٢٣.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٧٦ وانظر إرشاد العقل السليم ٧/ ١٧٩.

وهذا هو المعنى السائد عند أكثر علماء النحو لمعنى (من) البيانية كما علمنا وربمـــا يفهم هذا المعنى من كلام السيرافى لأنه فى شرحه لقول سيبويه (هذا باب علم ما الكلم من العربية) ذكر أن سيبويه قال (من العربيه) لأنه ذكر (الكلم).. وأراد بعضها لأنه جائز سائغ ذكر اللفظ العام وإرادة البعض .. فكأنه لما قال: (ما الكلم) وهو مريد لبعضها خشى ألا يفهم المعنى الذى هو مراده. فقال (من العربية) تبيينا لمـــا أراد وتلخيـــصا لما قصد ... ومثله قوله تعالى:﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ ٣٠ الحـــج. لمـــا كان الرجس يقع على الأوثان وغيرها بيَّن الذى أراد بالنهى من ضروب الرجس"[١].

فقـــد يفهـــم بعـــض الباحثين أن السيرافى يريد بقوله (بيَّن الذى أراد) التبيين المـــشهور معنـــى من معانى (من) بدليل ذكره الآية التى ذكرها العلماء مثالا لهذا المعنى.

والحق أن تعبير السيرافى لا يفيد ذلك فقد قال: "فكأنه رأى سيبويه لما قال (ما الكلـــم) وهو مريد لبعضها خشى ألا يفهم المعنى الذى هو مراده فقال (من العربية) تبيينا لما أراد".

فالمقـــصود بـــيان المعنى المراد وهو البعض إذ لو ترك (من العربية) لفهم المعنى على عمومه وكليته.

وبـــذلك يكون نص السيرافى هنا حجة على أن (من الأوثان) بمعنى: بعضها كمـــا قـــررنا ذلك غير مرة. وقد عرفنا أن البعضية فيها من البيان لما يراد ما لا يخفى.

وعلـــيه يكـــون (من) فى آية النحل بمعنى (بعض) إذ لو كان المعنى على ما ذكره الزمخشرى لكان النص: "إذا كشف الضر عنكم إذا أنتم تشركون".

---

(١) شرح الكتاب للسيرافى ١/ ٥٠.

ومما يثب أن معنى (من) مقصود أننا وجدنا بعض الآيات تأتى خالية منها على حين تكون مذكورة فى بعضها الآخر. وحسبنا قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ ٣٣ الروم. ثم قوله بعدها ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ ٣٦ الروم.

فلم يقل فى الثانية (إذا فريق منهم يقنطون) وما هذا إلا دليل على حكمة القرآن الكريم ودقته فى ذكر الكلمة فى موضع دون موضع آخر.

وأما الآية الثانية فهى آية سبأ (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) ويقول فيها أبو حيان: "من: لبيان الجنس ولا يمكن أن تكون للتبعيض لاقتضاء ذلك أن فريقا من المؤمنين اتبعوا إبليس"[1].

وكم رأينا أبا حيان يردّ هذا المعنى ولا يرضاه لأنه يقتضى زيادة (من) كما عرفنا. وكان الأحرى به هنا أن يثبت على رأيه إذ لا يتعين هذا المعنى كما زعم فقد قال القرطبى: "إلا فريقا من المؤمنين: نصب على الاستثناء وفيه قولان:

أحدهما: أن يراد بعض المؤمنين لأن كثيرا من المؤمنين من يذنب وينقاد لإبليس فى بعض المعاصى. أى ما سلم من المؤمنين أيضا إلا فريق منهم وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ ٤٢ الحجر.

ثم أشار إلى القول الثانى قائلا: "فأما ابن عباس فعنه أنه قال: هم المؤمنون كلهم. فـ (من) على هذا للتبيين لا للتبعيض أ. هـ"[2].

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٢٧٣.

(٢) انظر حاشية الجمل ٣/ ٤٧٠.

ومع هذا أرى أن معنى التبيين غير لائق هنا – لو صح أنه يليق أحيانا – لأن خيــر ما يفسر القرآن القرآن واالله يقول: "قال – أى إبليس – ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ .إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ ٣٩: ٤٠ الحجر.

فــــ (مِنْهم) حال أى حالة كونهم بعضهم أى بعض الناس. فالبعضية هنا حتم لأن الـــناس فـــريقان لا محالة: مؤمن يستمسك بحبل االله المتين ويعتصم بصراطه المستقيم. وكافر يجرى مجرى الشيطان فى الغواية والضلالة. فالتقسيم للبشر جميعا وليس للمؤمنين منهم.

ولذا قال أبو السعود: "إلا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون"[١].

وعقـــب عليه الألوسى قائلا: "فــ (من) تبعيضية والمراد مطلق الإتباع الذى هو أعم من الكفر"[٢].

وهــذا هــو الصواب لأنه يثبت مطابقة المعنى للواقع وإلا لقيل: (فاتبعوه إلا المؤمنين).

بــل إنـــى أقـــول: إن المؤمن هو الذى قد يغفو ضمير الإيمان فبه فيميل مع الـــشيطان وما إن يفيق هذا الضمير حتى يرجع إلى هدى الرحمن. يقول االله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ . وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ ٢٠٠: ٢٠٢ الأعراف.

---

(١) إرشاد العقل السليم ٢٣٠/٤.

(٢) روح المعانى ١٣٧/٧.

يقــول الزمخشرى "تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه. فأبصروا السداد ودفعوا ما وسوس به إليهم ولم يتبعوه أنفسهم.

وأما إخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فإن الشياطين يمدونهم فى الغى أى يكونــون مددا لهم فيه ويعضدونهم .. (ثم لا يقصرون) ثم لا يمسكون عن إغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا ..." [١].

وبــذلك يثبت أن المؤمن لا ينجو من حبائل الشيطان وإنما يقوى عليه عندما يــريد إغــواءه. فالناس بعضان أحدهما شيطانى أى يتبع الشيطان ولا يخرج عن طريقه الذى هو طريق جهنم﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا .إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ ١٦٨: ١٦٩ النساء.

والــبعض الآخــر هــم الذين يميلون – أحيانا – مع الشيطان ثم سرعان ما يرجعون عن غيه ويثوبون إلى رشدهم.

وهذا هو ما وضحته آية سبأ التى هى مناط دراستنا هنا.

هذا ومما ينبغى التنبيه إليه استعمال (فريق) فى غير بنى آدم كما جاء فى آية البقرة ١٨٨﴿ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٤٩.

وفيها يقول الزمخشرى: "فريقا: طائفة (من أموال الناس) بشهادة الزور أو باليمين الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن المقضى له ظالم"[١].

وبهذه الآية يثبت استعمال (فريق) فى غير بنى آدم. ويؤيد ذلك قول المجد: "والفِرق بالكسر القطيع من الغنم ومن البقر أو الظباء أو من الغنم فقط أو من الغنم الضالة كالفريق أو ما دون المائة والقِسْم من كل شئ والطائفة من الصبيان ...."[٢].

و (من أموال الناس) أى حالة كونه بعض أموالهم. ويجوز أن يكون نعتا فهو فى محل نصب.

هذا: وبالتأمل يدرك العقل أن (فريق) يستعمل فى الناس وما يملكونه كالمال على اختلاف أنواعه من نقد وعقار وحيوان.

٧٤- فاكهة: فى آيتين من سورتين:

- **الواقعة:** ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ ٢٠.

المرسلات: ﴿ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ ٤٢.

فالفاكهة بعض ما يتميزون. والفواكه بعض ما يشتهون. فـ (من) فى موضع نصب لأنها حال. ولعل فى إفراد الأولى وجمع الثانية إشارة إلى أن الذى يتخير شيئا لا يحصل إلا على القليل النادر. وذلك ذوق رفيع وأما الذى يشتهى شيئا فإنه لا يختار بل كل ما يصادف شهوته يطعمه.

---

(١) الكشاف ١/ ١٧٦.

(٢) القاموس ٣/ ٢٧٥.

فالذى يتخير شيئا ليس كالذى يشتهيه فتلك طبقة رفيعة وهذه دون ذلك.

٧٥- فـــوج: فى آية واحدة من سورة:

النمل:﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ ٨٣.

فـــ (من كل) مفعول به فى محل نصب أى بعض كل أمة. ثم ذكر (فوجا) تبيينا لهذا البعض. و (الفوج) الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى:﴿ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ ٢ النـــصر. ذكره الزمخشرى ثم قال: "فإن قلت: أى فرق بين (من) الأولى والثانية؟ قلت: الأولى للتبعيض. والثانية للتبيين كقوله: ﴿ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ ﴾ ٣٠ الحج"[1].

وعلـــى هـــذا تكون (ممن يكذب) زائدة كما نبهنا غير مرة. ولو كانت كذلك لقيل: ويوم نحشر من كل أمة مَنْ يكذب بآياتنا. فيُحْشَر المكذبون مرة واحدة. وذلك غير واضح لأن حشرهم لا يكون إلا على دفعات متعددة إذ المراد قادة الأمم ولكل أمة قادة يُحْشَرُون أمام أمتهم.

٧٦- قبضة: فى آية واحدة من سورة:

طـــه: قوله تعالى:﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ ٩٦.

قال الزمخشرى: "قرأ الحسن: قُبْضه بضم القاف. وهى اسم المقبوض كالغُرفة والمُـــضغة. وأمـــا القَبْضة فالمرة من القبض. وإطلاقها على المقبوض من تسمية

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٠٣.

المفعول بالمصدر كـضَرْبِ الأمير. وقرأ أيضا: "قَبَصْتُ قَبْصَةً" بالصاد المهملة. الضاد بجميع الكف. والصاد بأطراف الأصابع... وقرأ ابن مسعود: من أثر فرس الرسول. فإن قلت: لم سماه (الرسول) دون جبريل وروح القدس؟ قلت: حين حل ميعاد الذهاب إلى الطور أرسل الله إلى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فأبصره السامرى فقال: إن لهذا شأنا فقبض قبضة من تربة موطئة. فما سأله موسى عن قبضته قال: قبضت من أثر المرسل إليك يوم حلول الميعاد أو لعله لم يعرف أنه جبريل"(١).

وزاد بعضهم فى هذا النص قوله: "فأبصره السامرى لا يضع حافره على شئ إلا أخضر" وقوله: "من تربة موطئة فألقاها على الحلى المسبوكة فصارة عجلا جسداً له خوار فلما سأله موسى ...."(٢).

والحيزوم ما استدار بالظهر والبطن أو ضلع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر ..."(٣).

وربما يبدو لأول وهلة أن (من) حرف ابتداء أى أن السامرى بدأ قبضته بأثر الرسول. ولكن ذلك غير واضح. فقد عرفنا أن القبض الحصول على شئ بجميع الكف وهذا قدر يحتاج إلى المحافظة عليه حتى لا يتفلت من الأصابع. كما أنه لا يمكن للسامرى أن يجمع كل ما يقع من التراب تحت حافر الفرس. وعليه فـ (من) بمعنى (بعض) أى أن المقبوض من التراب بعض ما يقع تحت حافر الفرس. وهى فى محل نصب. حالا أو نعتا.

---

(١) الكشاف ٣/ ٦٦.

(٢) انظر هامش القاموس ٤/ ٩٦.

(٣) انظر القاموس ٤/ ٩٦ وانظر تفسير القرآن الحكيم ٩/ ٢٠٢.

٧٧- قارورة: فى آية واحدة من سورة الإنسان:

قوله تعالى:﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ . قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ ١٥: ١٦.

القوارير جمع قارورة وهى من الزجاج. والعرب تسمى المرأة القارورة وتكنى عنها بها ... وفى الحديث أن النبى ﷺ قال لأنجشة وهو يحدو بالنساء: رفقا بالقوارير. أراد ﷺ: النساء شبههن بالقوارير لضعف عزائمهن وقلة دوامهن على العهد.

ومعنى: (قوارير قوارير من فضه) أوانى زجاج فى بياض الفضة وصفاء القوارير. والقارورة حدقة العين على التشبيه بالقارورة من الزجاج لصفائها وأن المتأمل يرى شخصه فيها"[١].

فالآنية والقوارير من فضه أى بعضها فـ (آنية من فضة): من فيها إما فى محل نصب حالا أو فى محل خفض نعتا. وعلى كل هى بمعنى (بعض) أما (قوارير) خبر: كان.

٧٨- قاصف فى آية واحدة من سورة الإسراء:

قوله تعالى: ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ ٦٩.

قال الزمخشرى: "عليكم قاصفا: وهى الريح التى لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أى تتكسر. وقيل: التى لا تمر بشئ إلا قصفته.. والتبيع:

---

(١) لسان العرب ص ٣٥٨١.

المطالب من قوله: ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ ١٧٨ البقرة أى مطالبة ... يقال: فلان على فلان تبيع بحقه أى مصيطر عليه مطالب له بحقـــه. والمعنى: أنا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد أحد يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثأر من جهتنا وهذا نحو قوله: ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ ١٥ الشمس[1].

ومـــن المعهـــود أن الريح: منها القاصف ومنها العاصب ومنها: الصرصر العاتـــية. كما أن منها (ريح طيبة) .. فـــ (من الريح) فى محل نصب حالا أو نعتا. أى بعض الريح.

٧٩- قطـــــع: فى ثلاث آيات من السور الآتية:

يونس: قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ ٢٧.

هـــود: قوله تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ ٨١.

الحجر: قوله تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ ٦٥.

فـــ (قِطَع) فى آية يونس جمع (قطعة) وهى الطائفة من الشئ. وهو منصوب مفعـــولا ثانـــيا لـــ (أغشيت) والأول هو (وجوههم) والمراد بها الأجزاء. فـــ (من الليل) نعت لـــ (قطعا) و (مظلما) حال من (الليل). وجعلها الزمخشرى وأبو البقاء صفة لـــ (قطعا).

ويقـــول الشهاب: "قد يقال (من) للتبيين والتقدير: كائنة. و (كائنة) عامل فى اللـــيل. وهو مبنى على أن العامل فى عامل الشئ عامل فيه وهو فاسد .. وقيل إن

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٣٠.

(مـــن) تبعيضية أى بعض الليل وهو بدل من (قطعا) و (مظلما) حـــال من البعض لا من الليل. فيكون العامل فى ذى الحال – أى صاحبه – أغشيت"[١].

واستظهر الألوسى معنى التبعيض[٢].

والذى يتأمل قول الشهاب يجد فيه ما يلى:

أ) جعــل (مـــن) للتبيين. وقد علمنا أن هذا غير لائق لأن فيه دعوى زيادة (من) وهى باطلة إذ يكون معنى الآية (قطعا هى الليل) وهذا واضح الفساد.

ب) تقديـــره (كائـــنة) بـــدون داع لأن هذا مبنى على أن (من) حرف وقد صارت اسميتها فى مثل هذه الآيات غير مشكوك فيها فهى بمعنى (بعض) وعليه فلا تحتاج إلى ما تتعلق به.

ج) جعلـــه (من الليل) "لا من (قطعا) وكأنه يعنى بدل (بعض) من (كل) كما فى قولـــنا: أكلت الرغيف ثلثه أو ثلثيه ... ولكنه فى الآية غير واضح لأن (من الليل) ليس فيه ضمير عائد على (قطعا) كما يوجد ذلك فى المثال.

د) جعلـــه (مظلمـــا) حـــالا من (البعض) لا من (الليل) وكأنه يعنى أن يكون من المضاف لا المضاف إليه.

وأقول: إنه هنا جائز لأنه المضاف بعض المضاف إليه. وقد قال ابن مالك.

ولا تُجِـــزْ حالا من المضاف له   إلا إذ اقتـــضى المـــضافُ عملَه

أو كـــان جـــزء مَالَـــه أضيفـا   أو مـــثلَ جـــزئهِ فـــلا تَحِـــيفَا

أمـــا آيتا هود والحجر: (بقطع من الليل). فالقطع: ظلمة آخر الليل أو القطعة منه.. أو من أوَّله إلى ثلثه[٣].

---

(١) حاشية الشهاب ٥/ ٣٣.

(٢) روح المعانى ٣/ ٤٣٢.

(٣) انظر القاموس ٣/ ٧٠.

و (مــن) بمعنى (بعض) فى محل خفض إن كانت نعتا وفى محل نصب إن كانت حالا.

٨٠- قليل: فى إحدى عشرة آية من السور الآتية:

البقـــــرة: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ ﴾ ٨٣ ﴿ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ ٢٤٦ ﴿ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ ٢٤٩.

النســاء: ﴿ مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ ٦٦.

المائــدة: ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ ١٣.

هــــود: ﴿ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ ١١٦.

يوسف: ﴿ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ ٤٧ ﴿ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾ ٤٨.

سبــأ: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ ١٣.

الذاريات: ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ ١٧.

الواقعة: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ ١٤.

ومما يجدر التنبيه إليــه ورود (قليل) منصوبا فى ثانى آيات ومرفوعا فى ثلاث آيات.

فالآية الأولى فى حق بنى إسرائيل الذين أخذ الله ميثاقهم لا يعبدون إلا الله وأن يحسنوا بالوالدين وذى القربى واليتامى والمساكين وأن يقولوا للناس حسنا وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.

فلم يفعل ذلك إلا قليل منهم وهم المعنيون بقوله: "ثم توليتم إلا قليلا منكم" و(قليلا) منصوب على الإستثناء و (منكم) فى محل نصب حالا أو نعتا إذ (من) اسم بمعنى (بعض). أى حالة كون هذه القلة بعضكم.

وكذا الآية الثانية (تولوا إلا قليلا منهم) فهى فى الملأ من بنى إسرائيل الذين قالوا لنبيهم: ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله .... فلما كتب عليهم القتال تولوا أى أعرضوا عن القتال إلا قليلا منهم.

وكذا الآية الثالثة (فشربوا منه أى بعضه إلا قليلا منهم).

فـ (منهم) فى محل نصب حالا أو نعتا.

وقال الزمخشرى فى الثالثة: "وقرأ أبى والأعمش (إلا قليل) بالرفع. وهذا من ميلهم مع المعنى. والإعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية. فلما كان معنى (فشربوا منه) فى معنى: لم يطيعوه حمل عليه. كأنه قيل: فلم يطيعوه إلا قليل منهم"(١).

وهو يعنى بذلك أن الكلام المثبت التام فى معنى المنفى ومن ثم رفع (قليل) على أنه بدل من علامة إضمار جماعة الذكور فى (لم يطيعوه)..

---

(١) الكشاف ١/ ٢٢٤.

وعليه تكون (من) حالا أو نعتا. فهى فى محل نصب أو فى محل خفض وهذه الآيات الثلاث فى حق بنى إسرائيل.

وأما آية النساء (ما فعلوه إلا قليل منهم) فهى فى حق أتباع محمد عليه الصلاة والسلام فنصها: "ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم" فهى فى محل نصب حالا أو فى محل رفع نعتا.

وأما آية المائدة فيقول فيها أبو السعود: "إلا قليلا منهم: استثناء من الضمير المجرور فى (منهم) .. والمراد بهم الذين آمنوا منهم – أى اليهود – كعب الله بن سلام وأضرابه. وقيل استثناء من (خائنة) بمعنى (فعلة خائنة) فالمراد بالقليل الفعل القليل و (من) ابتدائية أى إلا فعلا قليلا كائنا منهم"[1].

والواضح أن (من) بمعنى (بعض) إذ الراجح أن (خائنة) مثل "راوية) فى أن التاء للمبالغة لا للتأنيث. ومما يرد معنى الابتداء أنه يترتب عليه حذف الموصوف وهو مصدر (فعلا) مع أن وصفه (قليلا) غير خاص به.

وذلك مردود عند سيبويه. فضلا عما فيه من قبح نبهنا عليه كثيرا.

وفى آية هود يقول الزمخشرى: "و (من) فى (ممن أنجينا) حقها أن تكون للبيان لا للتبعيض. لأن النحاة إنما هى للناهين وحدهم بدليل قوله، ﴿ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ ﴾ ١٦٥ الأعراف.

وهذا واضح الفساد لأنه حكم بزيادة (من) فى (ممن أنجينا). ولبيان ذلك أذكر الآية وهى: "فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم"[2].

---

(١) إرشاد العقل السليم ٤/ ٣٠: ٣١.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٤١: ٣٤٢.

فالقليل الذين ينهون عن الفساد بعض من أنجاهم الله فـ (من) اسم بمعنى (بعض) فى محل نصب حالا كانت أو نعتا. ومن أنجاهم الله بعض تلك القرون ولذا سبق أن جعلنا (منهم) حالا مِنْ (مَنْ أنجينا). فلا زائد ولا زيادة فى الآية.

أما آيتا يوسف (إلا قليلا مما تأكلون)، (مما تحصنون). فـ (من) فيها بمعنى (بعض) في محل نصب حالا كانت أو نعتاً.

وآية سبأ (وقليل من عبادي الشكور) فيها (قليل) مبتدأ و (من عبادي) فى محل نصب حالاً أو فى محل رفع نعتا. و (الشكور) خبر.

وربما يلتبس الحال علي بعض القارئين بين هذه الآية وآية الواقعة وهي (وقليل من الآخرين).

ولرفع هذا الالتباس آثرت ذكر هذه الآية هنا وأخرت الكلام علي آية الذاريات.

ويتلخص الفرق بين آيتي سبأ والواقعة فى أن (قليل) فى الأولي مبتدأ وخبره (الشكور) أما (من عبادي) فحال أو نعت ومجئ الحال من المبتدأ لا غبار عليه وحسبنا في هذا المقام ما جاء في شرح كتاب سيبويه للسيرافي عند الكلام علي قوله (هذا باب علم ما الكلم من العربية) ومنه: "ويجوز : هذا بابا علمُ ما الكلم. فيكون (هذا) مبتدأ أو (بابا) منصوب على الحال والخبر (علم) .. والعامل فى نصبه ما في هذا من التنبيه والإشارة كقول الشاعر:

أترضى بأنا لم تجف دماؤنا وهذا عروسا باليمامة خالد"[1]

---

(١) شرح كتاب سيبويه ٤٩/١.

وإذا كان معنى اسم الإشارة ناصبا للحال. فمن باب أولى يكون (قليل) ناصبا لها مما فيها معنى الحدث.

أما آية الواقعة فــ (قليل) فيها خبر مبتدأ يدركه العقل. لأن قبلها قوله تعالي: "ثُلَّة من الأولين" وفيها يقول الزمخشري : "وثلّة: خبر مبتدأ محذوف أي هم ثُلّة[1].

فــ (قليل) معطوف عليه. و (من الآخرين) إما في محل نصب حالا أو فى محل رفع نعتاً.

وتبقي آية الذاريات. وهي قوله "كانوا قليلا من الليل ما يهجعون" و (ما) فيها إما زائدة أو مصدرية أو موصولة أو نافية. فعلى أنها زائدة يكون خبر (كانوا) جملة (يهجعون). والمعنى : كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل، و (قليلا) إما ظرف وإما نعت لمصدر أي زمناً قليلا أو هجوعاً قليلا. والهجوع النوم ليلا.

وكأن نسق الآية: كانوا يهجعون قليلا من الليل. وعليه يكون فيها دعوى زيادة (ما) ودعوى تقديم يهجعون على (قليلا من الليل) وهما دعويان باطلتان لأنهما لا يليقان بجلال وكمال القرآن.

وعلى جعل (ما) موصولة أو مصدرية. أي الذي يهجعون فيه أو هجوعهم يكون الخبر (قليلا) والموصول أو المصدر مرفوع بــ (قليلا) أي قليلا الذ يهجعون فيه أو هجوعهم. و (من الليل) علي الأوجه الثلاثة إما حال من (قليلا وإما نعت فهو فى محل نصب وهذان الوجهان ليس فيهما ما يخالف الأصل م دعوى زيادة (ما) ودعوى (التقديم والتأخير).

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٦٥.

وأما جعل (ما) نافية فهو مردود لأن التقدير عليه: أنهم لا يهجعون من الليل قليلا بل يقومونه كله. وفي هذا إعنات وإرهاق لا يتفق مع قول الله: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ . قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً . نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴾ ١: ٣ المزمل.

فهو مردود من ناحية المعنى. فضلا عن كونه مردودا من ناحية الصناعة النحوية حيث قرر النحاة أن (ما) النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها عكس (لم) نقول: زيدا لم أضرب. ولا نقول: زيدا ما ضربت.

وكذا جَعْلها: مصدرية مردود فقد قال ابن المنير: "إنه غير مستقيم لأن (قليلا) حينئذ واقع علي الهجوع لأن فاعله. وقوله (من الليل) لا يستقيم أن يكون صفة لـ (قليلا) ولا بيانا له. ولا يستقيم أن يكون (من) صلة للمصدر لأنه تقدم عليه(١).

وبهذا يخلو المقام لوجه (ما) الموصولة. وإعراب الآية عليه أن (قليلا) خبر (كانوا) و (مِن الليل) وصف له حالاً أو نعتاً أي بعض الليل. و (ما) الموصولة فاعل (قليلا) وجملة (يهجعون) صلته لا محل لها من الإعراب. مع ملاحظة إضمار العائد أي: يهجعون فيه.

٨١- مقامع: في آية واحدة من سورة:

الحج: قوله تعالي: ﴿ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ ٢١.

والمقامع جمع مِقْمَعِة كمِكْنَسَة أو مِقْمَع وذكر ابنُ فارس له ثلاثة أصول:

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ٣١٦: ٣١٧ وهامش ص ٣١٦ وإملاء ما من به الرحمن ٢/١٢٨ وإعراب القرآن ق ٦ ص ٢٩٦: ٢٩٧.

أحدها: أداة تعمل لنزول شـيء مائع ولسـمها : القمَع يقـال: قِمَعَ وقِمْعُ ومن (أقماع القول) أي الذيـن يسـمعون ولا يعون فكأن آذانهم كالأقماع التي لا يبقي فيها شئ.

والثاني: ويجمع بينه وبين الأول بمعني لطيف وذلك قولهم: قمعته : أذللته إذا ضربته بالمِقْمَعَ. وقال الله تعالي: ﴿ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ .

والثالث: الذباب الأزرق العظيم[1].

وقال المجد: "المقمعة كمكنسة العمود من حديد أو كالمحجن – العود المعطوف أي الذي أعْوَجَّ أعلاه – يضرب به رأس الفيل. وخشبه يضرب بها الإنسان علي رأسه ... وقمعه كمنعه ضربه بها وقهره وذلله..... والقمع بالفتح والكسر وكعِنَب ما يوضع في فم الإناء فيصب فيه الدهن وغيره..."[2].

فهو لا يمسك شيئا بل ينفذ منه السائل إلي غيره ولذا قيل: أقماع القول أي الذين يسمعون ولا يعون. ولعل من ذلك قولنا في العامية (فلان أُمْع) بالهمزة بدل القاف ومعناه أنه فارغ العقل والقلب فلا يحمل فيهما معنى ولا تقوى.

والمراد بالآية (ولهم مقامع من حديد) أن أهل النار قُطِّعَتْ لهم ثياب من نار يصب من فوق رعوسهم الحميم. يصهر به ما في بطونهم والجلود. وفوق ذلك (لهم مقامع من حديد) أي يضربون بآلة حديدية لإذلالهم: فــ (من حديد) إما في محل نصب حالاً أو في محل رفع نعتا.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٥/٢٧: ٢٨ ببعض تصرف.

(٢) انظر القاموس ٣/ ٧٤: ٧٥.

٨٢- قائل في ثلاث آيات من ثلاث سور هي:

يوسف: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ ١٠.

الكهف: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴾ ١٩.

الصافات: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴾ ٥١.

ونصها في الثلاثة "قال قائل منهم" أي بعضهم ومرجع الضمير في الأولى: إخوة يوسف عليه السلام. وفي الثانية أهل الكهف. وفي الثالثة: عباد الله المخلصين.

٨٣- كأس: في آيتين من سورتين هما:

الصافات: ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴾ ٤٥.

الواقعة: ﴿ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ . بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴾ ١٧، ١٨.

قال المجد: "الكأس: "الإناء يشرب فيه أو ما دام الشراب فيه مؤنثة مهموزة. والشراب..." (١).

---

(١) القاموس: ٢/ ٢٤٤.

وقـــال الزمخــشري: "يقال للزجاجة فيها الخمر: كأس. وتسمى الخمر نفسها كأسا. قال الأعشي:

وكَــأْسٍ شــربتُ علــى لــذَّةٍ   وأخــرى تَــدَاوَيْتُ مِــنها بِها

وعــن الأخفش : كل كأس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس. (من معين) من شراب معين أو نهر معين وهو: الجاري على وجه الأرض الظاهر للعــيون. وصـــف بما يوصف به الماء لأنه يجري فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ ﴾ ١٥ محمد[1].

ثم قال: "الأكواب : أوانٍ بلا عُرَى وخراطيم، والأباريق: ذوات الخراطيم"[2].

فواضح أن (من) بمعنى (بعض) إذ (المعين) الماء الظاهر الجـــاري فهو فعيل مـــن مادة (م ع ن) والمراد هنا الخمر لما عرفنا آنفا فالكأس بعض الخمر. وفـــي سورة الإنسان: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ ٥، أي بعضه . وفيها ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴾ ١٧.

فلأمر ما تذكر (من) ولأمر آخر لا تذكر. ولكل مقام مقال. كما لكل كلمة مع أختها حال.

فالكـــأس فـــى آيتى الصافات والواقعة موصوف بأنه بعض الماء – الخمر – المعين – الظاهر – ومنه قوله تعالي: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ ٣٠ الملك. أي ظاهر.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٢: ٣٣.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٦٦.

وكذا قولهم (وماء مَعيُون ومعين ظاهر جارٍ علي وجه الأرض)[١].

فـ (معين) و (معيون) من مادة (عين) والثانية علي وزن (مفعول) وأما الأولي فآما علي وزن (مَفِعل) أو وزن (فعيل) علي خلاف في المحذوف هل هو واو (مفعول) أو عينه. وهذا معروف مشهور عند دارسى التصريف.

٨٤- كثير: في تسع وعشرين آية من السور الآتية:

البقرة: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ ١٠٩.

النساء: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ﴾ ١١٤.

المائدة: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ١٥. ﴿ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ ٣٢. ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ ٤٩. ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ ٦٢. ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ ٦٤. ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ ٦٦. ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ ٦٨. ﴿ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴾ ٧١. ﴿ تَرَىٰ

---

(١) القاموس المحيط ٤/ ٢٥٢.

كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ ٨٠. ﴿ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ ٨١.

الأنعام: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ ١٣٧.

الأعراف: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ ١٧٩.

التوبة: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ ٣٤.

يونس: قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ ٩٢.

هود: قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ ٩١.

إبراهيم: قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ٣٦.

الإسراء: قوله تعالى: ﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ ٧٠.

النمل: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ١٥.

الروم: قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾ ٨.

ص: قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ٢٤.

فـــصلت: قـــوله تعالــــــي: ﴿ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ٢٢.

الحجــرات: قوله تعالي: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ ٧. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ ١٢.

الحديد: قوله تعالي: ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ ١٦، ٢٦، ٢٧.

وإذا تأملنا في هذه الآيات علمنا أن منها أربع عشرة آية في حق أهل الكتاب وهـــي آية البقرة وآيات: المائدة العشر. وآية التوبة. وآيتان من سورة الحديد وهما رقمــا ١٦، ٢٧. وهذا العدد يناهز نصف تلك الآيات. وآن دل ذلك علي شئ فإنما يدل على أن أهل الكتاب يود كثير منهم لو يردون المؤمنين عن دينهم. ويخفون من كـتابهم ما بَيَّنه الرسول محمد ﷺ. وكثير منهم مسرفون وفاسقون ويسارعون في الإثم والعدوان. ويزيدهم ما أنزل إلى الرسول محمد ﷺ طغياناً وكفراً. وكثير منهم ساء ما يعملون. وعَمُوا وصَمُّوا. ويتولون الذين كفروا.

فـــــ (من) بعد كثير بمعنى (بعض) أي بعض أهل الكتاب. ولعلك تستحضر هنا أن البعضية فيه بيان لما قبلها ومما يثبت هذا قول الزمخشري في قوله تعالي: "اجتنبوا كثيرا من الظن" أن تنكير (كثيرا) يفيد معني البغيضة. وإن في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين ذلك ولا تعيين"[1].

فالبعضية فى (كثيرا) مبهمة والذي بَيَّنها وحَدَّد المراد بها هو (من الظن) أي بعـــض الظـــن فهو وصف لــ (كثير) نعتا كان أو حالا. ومعنى قول الزمخشري

(١) الكشاف ٤/ ٢٩٥.

(وإن فـــي الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين) يشير إلي النّأى عن مواضع الظـــن جمــيعا لقوله تعالي: "إن بعض الظن إثم" ولنستكمل الحديث عن سائر هذه الآيات. ففي آية النساء (لا خير في كثير من نجواهم) أي تناجيهم إلا تناجى من أمر بصدقة .... الخ. وفى آية الأنعام "أن الشركاء هم الذين يَزّيّنون لكثير من المشركين قتل أولادهم". وفى آية الأعراف إثبات أن الله خلق لجهنم كثيرا من الجن والإنس. وفـــي آية يونس: أن كثيرا من الناس عن آيات الله غافلون. وفى آية هود: أن قوم شـــعيب لا يفقهون كثيرا مما يقوله: وفى آية إبراهيم أن الأصنام أضللن كثيرا من الناس. وفى آية الإسراء أن الله كرّم بني آدم وفضّلهم علي كثير ممن خلق.

ويـــرى الطيبـــي فـــيها أن (مِنْ) بيانية كما في قولك: بذلت له العريض من جاهي: أي فضلناهم علي الكثير الذين خلقناهم من ذوى العقول كما هو الظاهر من (مَـــنْ) وهم منحصرون فى الملَكِ والجن والبشر فيكون المراد بيان تفضيل البشر عليهم جميعا وهو الذي يقتضيه مقام المدح فإن الآية مسوقة له.

ذكر الألوسي هذا وعقب عليه بما يرده حيث قال: "وإذا جُعِلَتْ للتبعيض كان (ممن خلقنا) بدلا أي فضلناهم علي بعض المخلوقين.

وتنكّير البعض في هذا المقام يدل علي تعظيم المفضل عليه كما قرر في قوله: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ﴾ ٢٥٣ البقـــرة، ومن ثَمّ كان عمل (من) على البيان غيـــر مقـــبول فإنــــه بعيد جداً لأن قيد الكثرة يضيع عليه حَمْل (من) علي التعميم التغليبـــي أو الوضـــعي. ولأن اســـتعماله فى التبغيض شائع أينما وقع في التنزيل واستعمالات الفصحاء"[١].

---

(١) روح المعانى ٤/ ٥٥٥.

وهنا وقفة مع قول الألوسي: "كان (ممن خلقنا) بدلا أى فضلناهم على بعض المخلوقين" حيث إنه جعل البدل – كما هو شائع مألوف – على تقدير الاستغناء عن المبدل منه. لأنه استغنى عن ذكر (كثير) واكتفى بذكر (بعض) التى هى معنى (من).

فإذا كان الطيبى قد حكم على (من) بالزيادة حيث جعلها بيانية فإن الألوسى قد حكم على (كثير) بالحكم ذاته. فكل منهما وقع في محظور.

وأرى أن النجاة من الوقوع فيه أن تكون (من) بمعنى (بعض) وهى وصف (كثير) إما بأنها حال وإما بأنها نعت. وفى هذا المحافظة على جلال النص القرآني. وصونه من دعاوى زائفة.

وفي آية الحج يقول الزمخشري : "سميت مطاوعتها – أي مَنْ فى السماوات ومن في الأرض..." الخ – فيما يحدث فيها من أفعاله ويجر بها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها بإدخال أفعال المكلف فى باب الطاعة والانقياد وهو: السجود الذي كلُّ خضوعٍ دونه.

فإن قلت : فما تصنع بقوله (وكثير من الناس) وبما فيه من الاعتراض – من وجهين – أحدهما: أن السجود على المعنى الذى فسرته به لا يسجده بعض الناس دون بعض.

والثاني: أن السجود قد أسند علي سبيل العموم إلى من فى الأرض من الإنس والجن أولا. فإسناده إلي كثير منهم آخراً مناقضة.

قلت: لا أنظم (كثير) فى المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل. وإنما أرفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله (يسجد) أي ويسجد له كثير من الناس سجود

طاعة وعبادة. ولم أفسر (يسجد) الذي هو الظاهر – يعني في صدر الآية – بمعني الطاعـــة والعبادة في حق هؤلاء لأن اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة علي معنيين مختلفين.

أو أرفعه علي الابتداء والخبر محذوف وهو (مثاب) لأن خبر مقابلة يدل عليه وهو قوله (حق عليه العذاب).

ويجـــوز أن يجعل (من الناس) خبرا له أى: من الناس الذين هم الناس علي الحقيقة وهم الصالحون والمتقون.

ويجـــوز أن يبالغ في تكثيـــر المحقوقين بالعذاب فيعطف (كثير) على (كثير) ثـــم يخبـــر عنهم بـــ (حقَّ عليه العـــذابُ) كأنه قيل: وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب"[1].

ويؤخذ من هذا النص ما يلي:

أ) أن (يسجد) له معنيان الأول: الطاعة ويفسر به مع (من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب).
والثانى: العبادة ويفسر بذلك مع (وكثير من الناس).

ب) لهذا لجأ الزمخشرى إلي تقدير (يسجد) مع (من الناس) لأنه لا يجوز أن يفسر بمعنى (الطاعة) وبمعنى (العبادة) معاً لأنهما معنيان مختلفان.

ج) لعـــل ســـر اختلافهما عند الزمخشرى أن الطاعة تعم العاقل وغيره وأما العبادة فـــتخص العاقـــل فقط. وهذا على الحقيقة فلو أطلقت العبادة علي غير العاقل لجُمِعَ فى اللفظ الواحد بين الحقيقة والمجاز وهذا محال.

---

(١) الكشاف ٣/ ١١٧ وانظر إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٧٤.

د) أجـــاز الزمخـــشرى فى (كثير من الناس) - غير كونه مرفوعا بـــ (يسجد) مقـــدرة. أن يكون مبتدأ أو خبره إما محذوف للعلم به مما يقابله وهو (وكثير حـــق عليه العذاب) فما دام هذا النوع مُعذباً فلا مناص من جعل الأول منعَّما. ولذا قدر الزمخشرى الخبر بقوله (مثاب) والآخر يشرك به فجزاؤه العذاب.

وإما أن يكون الخبر (من الناس). أى بعض الناس. وقد أحس الزمخشرى أن هذا كلام غير مفيد فائدة تامة ومن ثَمَّ لجأ إلى تفسير (الناس) بقوله: (الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون).

هــــ) ثـــم ذكـــر أنه يجوز أن يعطف (وكثير حق عليه العذاب) علي (وكثير من الناس) كأنه قيل: وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب.

وهــذان الوجهان غير سديدين من تقديرات تعكر صفو النص. ومن ثم قال عنهما أبو حيان: "إن التخريجين الأخيرين ضعيفان"(١).

وإنـــى أقول: إن كلام الزمخشري ينطوى على تطويل بدون داع. وتقدير لا حاجـــة إليه. ويمكننا أن نفهم الآية على معنى: أن الكائنات التى ذكرت فيها ما عدا الـــناس قد قامت كلها برسالتها وأطاعت ربها. وأما الناس فبعضهم أطاع فاستحق الثواب وبعضهم عصى وأبى فحقت عليه كلمة العذاب.

فقـــوله (و (كثير من الناس) معطوف على (من في السماوات ....) و (مِنْ) بمعنـــى بعـــض وهى فى محل يصب حالا أو فى محل رفع نعتا. ومعنى (يسجد): يطـــيع والطاعـــة تقـــع من الكائنـــات وحســـبنا قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٣٥٩.

ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ ١١ فصلت.

وأمـــا (وكثيـــر حق عليه العذاب) فجملة ابتدائية تثبت أن كثيرا منه الناس لم يطيعوا الله ورسوله ولذا حق عليهم العذاب.

هذا: وبين هذه الآية وآية الأحزاب وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولٗا ﴾ ٧٢. علاقة وثيقة. إذ معنى (عرض أمانة علـــى هذه الكائنات إظهارها وتوضيحها حتى يعلم كل كائن ما يريده منه خالقه في اتـــساق هـــذا الكون وتهيئته لانتفاع الإنسان به. ففي القاموس: "وعَرَضَ الشئَ له أظهره له. وعليه أراه إياه"(١).

والله إذا عـــرض شيئا على كائن كان معنى ذلك تكليفه به فالله لا يكلف كائنا بشئ يجهله وعلى هذا يكون معنى (عرضنا الأمانة على السماوات والأرض الجبال وضـــحناها لها ومكناها من القيام بها. ومن ثم فسر الزمخشري (الأمانة) بالطاعة حـــيث قـــال: "هو يريد بالأمانة الطاعة فعظَّم أمرها وفخَّر شأنها" ففسر الأمانة هنا بالطاعة كما سبق تفسير (يسجد) في سورة الحج بالطاعة أيضاً. ومقتضى هذا: أن الكائـــنات كلهـــا مكلفة بأمور ولابد من طاعة الله بالقيام بها وتنفيذها. ومن ثم ذكر

---

(١) القاموس ٢/ ٣٣٤.

الزمخشري أن يكون معنى الآية: "أن هذه الأجرام العظام من السماوات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله عزّ وعلا انقياد مثلها – وهو يتأتى من الجمادات وأطاعت له الطاعة التى تصح منها وتليق بها – حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته إيجاداً وتكويناً وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال: ﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآبِعِينَ ﴾ ١١ فصلت.

وأما الإنسان فلم تكن حاله – فيما يصح منه من الطاعات ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه. وهو حيوان عاقل صالح للتكليف – مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع.

والمراد بالأمانة الطاعة لأنها لازمة الوجود كما أن الأمانة لازمة الأداء. وعرضها على الجمادات وإباؤها وإشفاقها مجاز.

وأما حمل الأمانة فمن قولك: فلان حامل للأمانة ومحتمل لها. تريد : أن لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها. وهو حاملها ألا تراهم يقولون: ركبته الديون ولى عليه حق. فإذا أدّاها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ..... – ومن قولهم: أبْغِضْ حق أخيك لأنه إذا أبغضه أخرجه وأدّاه.

فمعنى (فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان) فأبين إلا أن يؤدينها وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملا لها لا يؤديها. ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لأداء الأمانة. وبالجهل لإخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها"(١).

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٤٥: ٤٤٦.

ثـم ذكـر بعد ذلك الوجه المشهور عند عامة الناس ..... وهو واضح ومع وضوحه وشهرته لا يطمئن إليه قلبي.

فخلاصـته أن الإنسان قَبِل الأمانة وأطاع الله بقبولها : فكيف يتفق ذلك مع التعقـيب بقـوله تعالي: (إنه كان ظلوما جهولا) أهذا جزاء مَنْ قَبِلَ الأمانة وعمل بها؟! إن هذا لا يليق.

وأما الوجه الذى ذكرته فيترتب عليه اتساق معانى الآيات التى نحن بصددها وهى آية الحج وآية الأحزاب وآية فصلت. فضلا عما يقتضيه من جعل الإنسان هو الـذى يكون نغما نشازا فى لحن الأكوان كلها وذلك هو الواقع الذى يشهده الإنسان نفـسه من لدن آدم إلى يوم الساعة. ولا عجب فى ذلك فقد قرر الله ذلك في سورة البقـرة حينما قال الملائكة: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾٣٠ أليس المراد هو آدم وذريته ؟! فالقرآن وحى الله والإنسان خلقه ولا يعرف المخلوق إلا خالقـه ومـن ثـم وصـفه – وَحْدَه – بالإفساد في الأرض وسفك الدماء وهما الصفتان اللتان لا ينفك عنهما.

غيـر أننا قد لفَتَ انتباهنا أن آية الحج قسمت الإنسان وجعلته نوعين أحدهما يطيع الله وذلك في قوله (وكثير من الناس) الذى هو مناط بحثنا هنا أن بعض الناس وهو كثير فى ذاته لأن الكون لا نجلو فيه مكانا وزمانا من بدء الكون إلي نهايته.

وأما الباقى فهم الخارجون علي الصف المطيع وقد عبر عنهم بقوله: "وكثير حق عليه العذاب" وواضح أن المراد بهذا الكثير الباقي من الإنسان.

هـذه واحـدة. وأخرى تليق بالذكر والتنبيه وهى أن عبَّر فى صدر آية الحج بقوله (من فى السماوات ومن فى الأرض .... الخ).

والمعنى السائد لدى دارسى اللغة العربية أن (من) للعالم أى الذى يعلم ومنهم مـن يقول للعاقل أى الذي يعقل. والذى أفهمه من هذا التعبير أن الذى يطيع ويسير فـي فلكه ولا يخرج عن مداره ولا يكسر حدَّه جدير بوصف (العقل). وسبحان من قـال: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ٤٤ الإسراء.

وفـي آية النمل آتى الله داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا علي كثير من عباده المؤمنين. أى بعض عباده الذين آمنوا بالله وشرائعه. فـ (من) إما فى محل نصب لأنها حال. وإما فى محل خفض لأنها نعت.

وفى آية الروم إخبار بأن كثيرا من الناس بلقاء ربهم كافرون.

فـ (مَنْ) فى محل نصب سواء أكانت حالا أم نعتا.

وكـذا في آية صٓ وإن كثيرا من الخلطاء أى الشركاء الذين خلطوا أموالهم. والـواحد: خلـيط مثل: عليم وعلماء وحكيم وحكماء ليبغى أى يظلم بعضهم بعضا وإنمـا قـال (بغى بعضهم على بعض) لأن (بغى) فيه معنى العُلُو. ففى القاموس: وبغي عليه يبغى بغيا: علا"[1].

وفـى العلو معنى الظلم لأن الذى يعلو فى الأرض يظلم غيره حيث يحصل علـى مـا لا يقـع فى ملكه. ومن ثم كان أصل معنى الظلم: وضع الشئ فى غير موضـعه. كذا قال المجد ثم ذكر أن المصدر الحقيقى: ظَلْمٌ بفتح الظاء: ظَلَم يظلِم ظَلْما بالفتح فهو ظالم وظلوم ..." [2].

---

(١) القاموس ٤/ ٣٠٤.

(٢) القاموس ٤/ ١٤٥.

وقال الزمخشري: "وقرئ: ليبغيَ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقول طرفة بن العبد:

اضْرِبَ عنك الهموم طارقها

ضَرْبك بالسوط قَوْنَسَ الفرس

وهو جواب قسم محذوف.

وقرئ: ليبْغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة"(١).

وأصل الأول: أضربَنْ بنون توكيد خفيفة فحذفت والفتحة دليل عليها. ومعنى: طارقها أي الفاشي والكثير منها وهو بدل من (الهموم) و (قونس الفرس) أعلى رأسها: وقيل شَعر عنقها(٢).

وهذا الثاني لا معنى له لأن ضرب الشعر فيه من التذليل ما لا يليق بضرب الهموم.

وأما قراءة (لِيَبْغِ) فليس الفعل عليها مجزوما بل هو مرفوع بضم مقدر على الياء المحذوف تخفيفاً.

وفي آية فصلت: ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون. فـ (من) في محل نصب أيضاً سواء أكانت حالاً أم نعتا.

وذكر الزمخشري ما يثبت أن المراد بالكثير هنا هو ما يعملونه في خفاءٍ ظنا أن الله لا يعلمه: وذلك قوله تعالى: "وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ....".

---

(١) الكشاف ٤/ ٦٧: ٦٨.

(٢) الكشاف ٤/ ٦٧.

ثــم قال: "وفى هذا تنبيه على أن من حق المؤمن ألا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون فى أوقات خلواته من ربه أَهْيبَ وأَحْسن احتشاما وأوفر تحفظاً وتصونا منه مع الملأ .." [١].

وفى آيتى الحجرات: "لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم" "اجتنبوا كثيرا من الظن" (من) فى الأولى إما فى محل نصب أو فى محل خفض و (من) فى الثانية فى محل نصب سواء كانت حالا أم نعتا.

وأمــا الآية رقم ٢٦ من سورة الحديد "ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا فى ذريــتهما النــبوة والكــتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون" فالمراد بها ذرية نوح وإبــراهيم. ومعــناها أن القليل منهم مهتد وأما الكثير الذى هو بعضهم الباقى فهم فاسقون. فــ (من) بمعنى (بعض) نعت أو حال.

٨٥- كشف. فى ثلاث آيات من السور الآتية:

الـــشــعراء: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ١٨٧.

ســـــبأ: ﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ٩.

الطـــور: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ ٤٤.

---

(١) الكشاف ٤: ١٥٣.

فالآيتان الأولى والثانية فيهما (كِسَفا) بفتح السين. وقبلها قوله تعالى: في سورة الإسراء: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلاً ﴾ ٩٢.

وفى آية الطور (كِسْفا) بسكون السين. قال الزمخشرى فى آية الشعراء: "قرئ (كسفا) بالسكون والحركة وكلاهما جمع كِسْفة. نحو قطع وسدر – فهما جمع قِطْعة وسِدْرة – وقيل : الكِسْف والكِسْفة كالرِّيع والرِّيعة. وهى القطعة. وكسفة : قطعة. والسماء: السحاب أو المظلة وما كان طلبهم – أى أصحاب الأيكة – ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ..." [١].

وقال المجد: "الكِسْفة بالكسر القطعة من الشئ جمعها كِسْف وكِسَف وجمع الجمع أكساف وكسوف. وكسفه قطعه[٢].

وبهذا يتبين أن المراد بـ (كِسْف) و (كِسَف) القطع التى يرسلها الله بتعذيبهم وهى بعض السحاب فـ (السماء) فى هذه الآية كالسماء فى قوله تعالى: "وأنزل من السماء ماء" كما وضحنا ذلك فى مقامه.

وفى هذا تنبيه العقول أن الله يجعل ما هو منبع للرحمة والغيث والرخاء أحياناً مصدرا للقسوة والشدة والعناء. وما ذلك على الله ببعيد. وتأمل قوله تعالى فى آية (الطور): "وإن يروا كِسْفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم" قال الزمخشري: "يريد : أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا: هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا. ولم يصدقوا أنه كِسْف ساقط للعذاب"[٣]. فـ (منَ السماء) فى محل نصب سواء أكان حالا أم نعتا.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٦٣. وانظر ٣/ ٤٥٠، ٤/ ٤٣٨.

(٢) القاموس ٣/ ١٩٠.

(٣) الكشاف ٤/ ٣٢٩: ٣٣٠.

٨٦- كلّ منونة وغير منونة فجاءت منونة فى آيتين من سورتين هما:

المائدة: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ ٤٨.

هـــود: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ ١٢

وجاءت مضافة إلى (امرئ) فى أربع آيات من السور الآتية:

النــــور: ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ﴾ ١١.

المعارج: ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ ٣٨.

المدثـــر: ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴾ ٥٢.

عبـــس: ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ ٣٧.

ففــى آيــة المائدة يقول الزمخشري: "لكلّ جعلنا منكم: أيها الناس (شرعة): شريعة .. (ومنهاجا) وطريقا واضحا فى الدين تجرُون عليه. وقيل: هذا دليل على أنا غيــر متعبدين بشرائع مَن قبلنا (لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على شريعة واحدة. أو ذوى أمة واحدة أى دين واحد لا اختلاف فيه ..."(١).

ومــن المعهــود أن التنوين فى (كلّ) دليل على المضاف إليه الذي يدل عليه المقــام. فهــو فــى هذه الآية لكل أمة أو لكل طائفة منكم أى حالة كونها بعضكم. فالحال من (كل أمة) إذ المضاف والمضاف إليه كالكلمة الواحدة.

---

(١) الكشاف ١/ ٤٩٧.

والذين يرون أن (منكم) نعت لا حال منعوا فى هذه الآية جعل (منكم) نعتا لـ (كـل) لأن ذلك يوجب الفصل بين الصفة والموصوف بالأجنبى الذى لا تأكيد فيه للكلام. وإنما هو متعلق بمحذوف تقديره: أعنى منكم"[1].

ويقـول أبو السعود: "ولا ضمير فى توسيط (جعلنا) بين الصفة والموصوف كمـا فى قوله تعالي: ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ١٤ الأنعام"[2].

وبـذلك يـصح وقوع النعت فى آية المائدة لـ (كل) مع المضاف إليه الذى يدركـه ويُعَيّنه العقل على حسب المقام. لأن المضاف إليه مع (كلّ) لا يمكن أن نستغنى عنه بدليل أنه إذا ما حذف وجد ما يدل عليه ويرشد إليه وهو التنوين. وإذا صـح لبعضهم أن يزعم بطلان جعل (منكم) فى الآية نعتا لما رآه من الفاصل فلا يصح أن يزعمه فى جعل (منكم) حالا.

ويقول الألوسى فى آية هود: "وكلاّ أى وكل نبأ فالتنوين عوض عن المضاف إلـيه المحذوف .... (من أنباء) صفة لذلك المحذوف لا لـ (كلاًّ) لأنها لا توصف فى الفصيح كما فى إيضاح المفصل[3].

وإذا صـح هذا فى جانب النعت فلا يصح فى جانب الحال كما سبق أن نبهنا فـ (من) بمعنى (بعض) حال أى: وكل نبأ حالة كونه بعض أنباء الرسل. فـ (كلاًّ)

(١) انظر: إملاء ما من به الرحمن ١/ ٢٢. وحاشية الجمل ١/ ٥٩٨.

(٢) إرشاد العقل السليم ٤/ ٩٩: ١٠٠.

(٣) روح المعانى ٣/ ٦٣٤.

مفعــول. مقدم لــ (نقص) أى نقص عليك كلاً حالة كونه بعض أنباء الرسل و (ما نثبّت به فؤادك) يدل من (كلاًّ)[١]. ويرى الشهاب أن (من) بيانية[٢].

وقــد عرفنا أنها في حكم الزائدة فلا داعي إليها. ومما يؤيد ذلك قول سيبويه: "هذا باب.ما ينتصب خبره لأنه معرفة وهى معرفة توصف ولا تكون وصفا" .... وذلــك قــولك: مــررت بكلّ قائما ومررت ببعض قائما وببعض جالسا .... وإنما خــروجهما - أى كل وبعض - من أن يكونا وصفين أو موصوفين لأنه لا يحسن لــك أن تقــول: مررت بكلّ الصالحين ولا ببعض الصالحين . فقبح الوصف حين حذفــوا مــا أضـــافوا إليه لأنه مخالف لما يضاف شاذ منه. فلم يجر فى الوصف مجراه"[٣].

وبهذا النص يتضح صحة جعل (منكم) فى آيتي المائدة وهود حالا من (كلّ) و (كلا) . ويمتنع كونه وصفا.

وأما فى آيات (كل امرئ) حيث أضيفت (كل) فيصح أن يكون (منهم) حالا أو نعتا لأن (كل) قد أضيفت.

٨٧- لحم: فى آية واحدة من سورة:

الواقعـــــة: ﴿ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴾ ٢١.

أى بعــض الذى يشتهونه. فــ (مِنْ) بمعنى (بعض) فى محل نصب حالا أو فى محل خفض نعتا.

---

(١) انظر الكشاف ٢/ ٣٤٣.

(٢) حاشية الشهاب ٥/ ١٥٠.

(٣) الكتاب ٢/ ١١٤ هارون.

٨٨- مـــارج: فى آية واحدة من سورة:

الرحمــن : ﴿ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴾ ١٥.

المارج: اللهب المختلط بسواد النار. وقيل: نار لا دخان لها خلق منها الجان(١).

فقوله (من مارج) حال من (الجان) فى محل نصب أي حالة كونه بعضه.

وقــوله (مــن نار) يحتمل أن يكون حالا من (مارج) وأن يكون نعتا. وعلى الأول تكون فى محل نصب وعلى الثانى تكون فى محل خفض.

٨٩- مـــلأ: فى آية واحدة من سورة:

هـــود : قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ ﴾ ٣٨.

عرفنا أن (الملأ) هم الذين يملأون عيون الناس وقلوبهم مهابة وجلالا. فــ (من) بمعنـــى (بعــض) أى بعض قومه. فإن نصبت كانت حالا وإن رفعت كانت نعتا. ولا تنس أن هذه الآية فى حق نوح عليه السلام.

٩٠- نبـــى : فى آيتين من سورتين هما سورة:

آل عمـــران : قــوله تعالـــى: ﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ٣٩.

قال الزمخشري: "والسيد الذى يسود قومه أى يفوقهم فى الشرف. وكان يحيي فائقــا لقــومه وفائقـــا للـــناس كلهم فى أنه لم يركب سيئة قط. ويا لها من سيادة.

---

(١) انظر اللسان ص ٤١٦٩.

والحصور الذى لا يقرب النساء حصرا لنفسه أى منعا لها من الشهوات .. ونبيا من الصالحين أى ناشئا من الصالحين لأنه كان من أصلاب الأنبياء. أو كائنا من جملة الصالحين. كقوله : ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ ١٣٠ البقرة"[1].

فالزمخشرى قدَّر (ناشئا) يريد: أن يجعل (من) ابتدائية أى ابتدأ الله خلق يحيى من أصلاب الأنبياء. وأغلب الظن أن هذا المعنى ليس فيه جديد من الفائدة.

ثم قدر (كائنا) يريد: أن يجعل (مِنْ) بعضية بدليل قوله (من جملة ..) والحق أنها ليست فى حاجة إلى هذا المقدر لأنها اسم بمعنى (بعض) فى محل نصب حالا أو نعتا.

سورة الصافات : قوله تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ ١١٢.

وما قيل فى تلك يقال فى هذه مع ملاحظة أن تلك فى حق يحيى بن زكريا وهذه فى حق إسحاق بن إبراهيم.

٩١- منذر: فى ثلاث آيات من ثلاث سور هي:

ص: قوله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ ٤.

ق: قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ ٢.

النجم: قوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴾ ٥٦.

---

(١) الكشاف ١/ ٢٧٦.

ففــي آيتــي صٓ وقٓ (منهم) بمعنى (بعضهم) نصبا على الحال أو رفعا على الــنعت. وأما آية النجم فيقول فيها الزمخشري : "نذير: إما مصدر بمعنى إنذار أي هذا القرآن إنذار من جنس الإنذارات الأولى.

وإما بمعنى (منذر) أي هذا الرسول منذر من المنذرين الأولين وقال (الأولى) على تأويل الجماعة"(١).

فالمنذر: بعض من أنذرهم. والنذير بعض النذر. وقد جاء هذا في قوله تعالى:

﴿ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ ٥ القمر.

وقول الزمخشري (إنذار من جنس الإنذارات) في غنى عن ذكر (جنس) فهو بعض الإنذارات. وفيه ما ذكرنا من الإعراب أي أنه حال أو نعت.

٩٢- نُزُل: في آية واحدة من سورة:

الواقعة: ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ . فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ ٩٢: ٩٣.

تدل مادة (ن ز ل) علي هبوط شئ ووقوعه. ومنه : نزل المطر من السماء. ..... والنزال في الحرب. والنُزُل ما يهيأ للنزيل(٢).

وقد عرفنا أن الحميم : الماء الشديد الحرارة. فجعل بعض هذا الماء نُزُلهم أي مكان نزولهم في جهنــم. وهنــاك آيات أخر يتنوع فيها هذا الحميم. كقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ ٦٧ الصافات. وقوله: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ

(١) الكشاف ٤/ ٣٤١.

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة ٥/ ٤١٧.

حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ ٥٧ ص وقـــولـــه: ﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾

١٥ محمد .... الخ.

والفرق بين هذه الآيات وآية الواقعة جليل عظيم لأن هذه الآية تجعل الحميم مـــسكنهم ومـــأواهم ونـــزلهم أى مكان نزولهم وليس شرابا لهم أو خلطا لشرابهم. وشتان بين هذا وأولئكم !!.

٩٣- نصيب: ثماني مرات في سبع آيات من السور الآتية:

آل عمـــران: قـــولـــه تعالـــى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ٢٣.

النســـــاء: قوله تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ ٧. ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ٤٤، ٥١ ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ ٥٣.

النحل: قوله تعالى ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ ٥٦

غافر: قوله تعالى ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ ٤٧.

فـ (من) بمعنى (بعض) وهي حال من (نصيب) أو نعت.

والمراد أهل الكتاب في آية آل عمران وثلاث آيات من النساء.

يقــول الزمخشرى فى آية آل عمران: "يريد أحبار اليهود وأنهم حملوا نصيبا وافــرا مــن التوراة و (مِنْ) إما للتبعيض وإما للبيان: أو حصلوا من جنس الكتب المنزلة. أو من اللوح: التوراة وهى نصيب عظيم"(١).

قال زادة: "فعلى الأول – التبعيض – يكون النصيب من ذلك المعهود هو ما فهمــوا من معانيه .. وهو بعض التوراة . وعلى الثانى – البيان – يكون ما أوتوه نفس التوراة. ومعنى إتيانها إياهم إنزالها عليهم. وإذا أريد الجنس – أى من الكتب – فــ (مــن) للتبعــيض. والنصيب هو التوراة الذي هو بعض من جنس الكتب. وإتياؤه إنزاله"(٢).

وذكر الشهاب مثل هذا ثم قال: "ويجوز أن تكون (من) للابتداء"(٣).

وقــال أبو حيان: "الكتاب: التوراة. وقال مكى وغيره اللوح المحفوظ. وقيل: مــن الكــتاب جــنس الكــتب المنزلة. قال ابن عطية وبدأ به الزمخشرى : ومِنْ للتبعيض"(٤).

وخلاصــة تلــك النــصوص أن المراد بــ (الكتاب) إما التوراة. وإما اللوح المحفوظ. وإما جنس الكتب المنزلة. وأن (من) إما بعضية وإما بيانية وإما ابتدائية.

والــذى نراه أن المراد: التوراة و (من) بعضية لأن التوراة هى الكتاب الذى أوحــاه الله إلــى موســى. بلَّغة إلى قومه. وهؤلاء لم يحفظوا التوراة كله بل أوتوا بعضه كما هو نص الآية.

---

(١) الكشاف ١/ ٢٦٧.

(٢) حاشية زاده على البيضاوي ١/ ٦١٣: ٦١٤ بتصرف.

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوى ٢/ ١٤

(٤) البحر المحيط ٢: ٤١٦.

وأمــا أن يــراد: اللوح المحفوظ أو جنس الكتب فليس بسديد لأن الذين أوتوا نــصيبا مــن الكتاب هم بعض اليهود فكيف يمكن أن يكونوا قد أوتوا بعض اللوح المحفوظ أو بعض الكتب المنزلة ؟؟

وأمــا أن يــراد معنى (البيان) بــ (من) فبعيد لأنه يترتب عليه نقيض معنى النص إذ النص يقول: أوتوا بعض الكتاب. فكيف نقول: أوتوا الكتاب ؟! إن النص هنا لا يحتمل ضربا من المجاز لأن مدلوله هو البعض فكيف نجعله (الكل)؟!

وكـــذا معنـــى الإبتـــداء يحوطـــه الغموض إذ ما معنى كون الكتاب مبدأ إتيانهم بعضه ؟

فحسبك النص (أوتوا نصيبا من الكتاب) فمعناه: أن نصيبهم الذي أوتوه بعض التوراة. وإلا لكان النص: (أوتوا الكتاب).

ذلك عن الآيات الأربع الخاصة بأهل الكتاب.

أما قوله تعال: "للرجال نصيب ..... الآية" فهو توزيع الأنصباء على الورثة فيــصيب كل من الرجال والنساء بعض ما ترك الوالدان والأقربون وقوله. "مما قل منه أو كثر) (من) الأولى فيه بدل من (مما ترك) وأما (منه) فهي حال إما من (ما) وإمــا من المضمر فى (قلَّ). وهى بمعنى (بعض): ويرى أبو البقاء: أن (مما قلَّ) يجوز أن يكون حالا من الضمير المحذوف فى (ترك) أى مما تركه كثيرا أو قليلا[1]. وهــذا على جواز حذف صاحب الحال. وأرى أنه لا داعى إليه لأن (ما) فى (مما ترك) هى الاسم الموصول الذى يأتى الحال منه.

---

(١) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٩٥.

ثم قال: "أو مستقرا مما قل"(١) وكأنه يشير بهذا إلى أن صاحب الحال ورافعه مقدران بـ (مستقرا). والمعنى ليس فى حاجة إلى ذلك.

ويقول أبو حيان: "مما ترك: فى موضع الصفة لـ (نصيب) وقيل: يتعلق بنفس: نصيب فهو من تمامه"(٢).

وهذا الأخير لا داعى إليه إذ (مِنْ) اسم بمعنى بعض فلا تحتاج إلى متعلَّق.

وآية النحل: "ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناكم" يقول فيها الزمخشرى: "لما لا يعلمون: أى لآلهتهم. ومعنى: لا يعلمونها. أنهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك. وحقيقتها أنها جماد لا يضر ولا ينفع فهم إذاً جاهلون بها.

وقيل الضمير فى (لا يعلمون) للآلهة أى الأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيبا فى أنعامهم وزروعهم أولا. وكانوا يجعلون ذلك مقربا إليهم"(٣).

والفرق بين الوجهين أن (لا يعلمون) على الأول صلة لـ (ما) أى الذين لا يعلمون. والواو علامة إضمار للكافرين. والعائد على الموصول محذوف أى لا يعلمونهم. فالجاعلون هم الذين لا يعلمون شيئاً عن آلهتهم بل يجهلونها.

وأما على الوجه الثانى: فيكون (لا يعلمون) صلة لـ (ما) أيضا غير أن لا حذف للرابط عليه. ولأن الرابط هو علامة الأضمار للجمع الغائب أى الواو فى

(١) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/٩٥.

(٢) البحر المحيط ٣: ١٧٤.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٧٦.

يعلمون. أى للذين هم جاهلون. فالآلهة هم الموصوفون بالجهالة. وليس هناك حاجة إلــى محــذوف ونصيباً على كلا الوجهين مفعول لــ (يجعلون) و (مما رزقناهم) بعـض ما رزقناهم فالرازق هو الله وبدل أن يجعل المشركون جزءا من الرزق لله يجعلونه لآلهة إما لا يعلمون هم عنها شيئا وإما لا تعلم هى شيئا. أليس هذا بغريب عجيب؟!

وأما قوله تعالي: (فهل أنتـم مغنون عنا نصيبا من النـار) ففيــه أن مـادة (غ ن ى) تفـيد معنــى الدفع. فالغنى يدفع الفقر ويرفعه والذى يستغنى عن الشيء يرفع عنه عكس الذى يستغنى بالشيء فإنه يحتاج إليه.

فمعنى الآية أنتم لا تدفعون عنا نصيبا أي شيئا حالة كونه بعض النار. ويجوز أن يكـون (مـن النار) نعتا. ويبدو أن العلماء لا يرضون بذلك فها هو ذا الألوسى يقـول: "أى يدفـع بعض عذابها أو يتحمله عنا و (مغنون) من الغناء بالفتح بمعنى الفائدة. و (نصيبا) بمعنى (حصة) معقول لما دل عليه من الدفع أو الحمل).

إلى هنا يكون الألوسى قد قرر المعنى المراد ولكنه يأبى إلا دعوى التضمين حيث يقول: "أو معقول بتضمين أحدها أى واقعين أو حاملين عنا نصيبا. ويجوز أن يكـون (نـصيبا) قائمـا مقام المصدر كـ (شيئا) فى قوله: ﴿ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ ١٠ آل عمران. و (من النار) على هذا متعلق بــ (مغنون). وعلى ما قبله ظرف مستقر بيان لــ (نصيبا) [١].

---

(١) روح المعانى ٧/ ٤٥٧.

ففـي هـذه الفقـرة يدعى الألوسى أن فى (مغنون) تضمين معنى واقعين أو حاملـين. ومـا فـى ذلك شيء يليق بالمقام لإفادة (مغنون) معنى واقعون بذاته لا يتحمله معنى غير معناه.

كما يدعى دعوى التقديم والتأخير. وفى ذلك مخالفة الأصل بلا داع إليه.

٩٤- نطفـــة: فى آية واحدة من سورة:

القيامــة: قولــه تعالــى: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ ٣٧.

أى بعض فـ (من) اسم فى محل نصب حالا أو نعتا.

٩٥- نفحــة: فى آية واحدة من سورة:

الأنبـياء: قــولــه تعالـــى: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ ٤٦.

ذكـر صـاحب معجم مقاييس اللغة أن: "النون والفاء والحاء أصل يدل على اندفاع الشيء أو رفعه. ونفحتْ رائحة الطيب نفحا: انتشرت واندفعت .... الخ"[١].

ويقـول ابن منظور "النفحة دفعة الريح طيبة كانت أو خبيثة. وله نفحة طيبة ونفحة خبيثة ..."[٢].

والآيــة التى نحن بصددها تثبت ذلك لأن المتبادر إلى الذهن أن النفحة للريح "الطيبة فقط. فـ (من عذاب ربك) أى بعض فى محـل نصـب حالا أو فى محل رفع نعتا.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٤٥٨.

(٢) اللسان ص ٤٤٩٣.

٩٦- نفـــر: فى آيتين من سورتين هما:

الأحقاف: قولــه تعالــى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ ٢٩.

الجــن: قولــه تعالــى: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ ١.

عــرفنا أن (رجال) و (نفر) للإنس والجن. فــ (من الجن) أى بعضهم وهو منصوب حالا أو نعتا فى الأولى. ومرفوع فى الثانية على أنه نعت.

٩٧- منكــر: فى آية واحدة من سورة:

المجادلة: قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ﴾ ٢.

من القول ما هو معروف كما فى قوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾ ٢٦٣ البقرة. وقوله: ﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ ٣٢ الأحــزاب. وهــنــا يقــول: " ليقولــون منكرا من القول" أى بعض فهو منصوب حــالا أو نعتا.

٩٨- نهـــر: أربع مرات فى آية من سورة:

محمد: قولــه تعالــى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ ١٥.

مـــادة (ن هــ ر) تــدل على تفتح شيء أو فتحه. وأنْهَرْتُه: فتحته وأرسلته وسمي النهر نهرا لأنه ينهر الأرض أى يشقها[١].

والــذى نعهده فى الدنيا هو نهر الماء ولكنه قد يعتريه تغير بما يُنَفِّر الشارب مــنه ويبعده عنه. ولكنه فى الجنة (من ماء) أى بعض ماء لا يتغير. ونعهد أن لبن الدنــيا تعتــريه خثوره فيفسد. وتعافه النفس ولكن لبن الآخرة لم يتغير طعمه. كما نعــرف أن خمر الدنيا تغتال العقول والأكباد وغير ذلك فبئس اللذة لذتها لأنها لذة تعقــب حــسرة الــنفس ولكن خمر الجنة لذة دائمة ومتعة مستمرة مع صحة البدن وعافية أعضائه.

والشأن فى عسل الدنيا أن تشوبه أخلاط ربما تسرع به إلى الفساد. وأما عسل الآخرة فهو مُصَفّى لا يعكر صفوه شيء.

فــــ (من) فى مواضعها الأربعة بمعنى (بعض) فى محل نصب حالا أو فى محل رفع نعتا.

٩٩- واحــــد: فى أربع آيات من السور الآتية:

النســـاء : قولـــه تعالـــى: ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾ ١١

﴿ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُۚ ﴾ ١٢.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٣٦٢.

والمراد بـ (منها) فى الأولى بعض الأبوين أى أحدهما. والمراد بـ (منهما) فى الثانية: الأخ والأخت فى قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ ..... ﴾

يوسـف : قولـه تعالـى: ﴿ وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾ ٣١.

أى من النسوة فى قوله تعالى: "وقال نسوة فى المدينة .... الخ" أي بعضهن. والفاعـل هو امرأة عزيز مصر. فهى التى أعطت لهن السكاكين. فـ (من) فى محل نصب حالا أو نعتا.

النـور : قولـه تعالـى: ﴿ فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ ٢.

أى الزانى والزانية. فـ (منهما) فى محل نصب حالا أو نعتا.

١٠٠- وزر: فى آيتين من سورة:

طـه : قولـه تعالـى: ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى . هَٰرُونَ أَخِى ﴾ ٢٩: ٣٠ وقـوله تعالـى: ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴾ ٨٧.

نـصت المعـاجم أن: "الوزير: حبَأ الملك أي جليسه وخاصته الذي يحمل ثِقله ويعينه برأيه" وأن "الأوزار جمع وِزر وهو الحمل الثقيل"(١).

---

(١) انظر القاموس ١/ ١١، ١٥٤.

فالوزير: بعض أهل موسى. والأوزار بعض زينة القوم. فـ (من) فى محل نصب حالا كانت أو نعتا.

ومما يلفت الذهن هنا قوله: (من زينة القوم) لأن القوم هم الرجال. والمعهود بالزينة أن تكون للنساء. وقبله قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ ١٤ النحل وقوله: ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ ١٢فاطـر فالخطاب للرجال.

وفيه يقول الزمخشرى: "حلية: هى اللؤلؤ والمرجان. والمراد بلبسهم: لبس نسائهم لأنهن من جملتهم. ولأنهن إنما يتزيَّنّ بها من أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم"(١).

١٠١- ســــعة: فى آية واحدة من سورة:

البقـــرة : قولـــه تعالـــى: ﴿ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾ ٢٤٧.

أى بعض المال. فهو فى محل نصب حالا أو نعتا. والمراد: طالوت الذى بعثه الله ملكا إلى الملأ من بنى إسرائيل الذين قالوا النبى لهم: ابعث لنا ملكا. قال الزمخشرى: "إنه كان رجلا سقاء أو دبَّاغا فقيراً"(٢).

عدد (مِنْ) فى هذا الفصل ٢٩٢ أثنتان وتسعون ومائتا مرة.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٦٥.

(٢) الكشاف ١/ ٢٢٣.

الفصل الثامن

آيـــات (من) التى بمعنى (مثل) أو بمعنى (مع)

أولاً: آيـــات المعنى الأول:

تمهيــــــد:

إنما جعلنا هذا الفصل بعد ما سلف ذكره من الفصول السبعة لأن (من) هنا اسم كما أنها اسم فى تلك الفصول ولها محل من الإعراب يقتضيه موقعها فى الجملة.

غير أن معناها يختلف عن معناها فيما تقدم فهى فيما تقدم بمعنى (بعض) وأما هنا فهى إما بمعنى (مثل) أى للتشبيه. وإما بمعنى (مع) أى المصاحبة وبذلك يكون هذا الفصل هو الخاتم لآيات (من) الاسمية فى القرآن التى لم يزعم زيادتها على وجــه ضعيــف أعقبناه بدراســة (من) الاسمية التى عرفت بالزائدة غالباً وليست كذلك.

وها نحن أولاء نشرع فى دراسة آيات (من) المثلية. وبالتأمل فيها وقفنا على أنها نوعان:

النوع الأول: تقع فيه (من) خبرا عن مبتدأ غير منسوخ والمبتدأ إما كلمة (بعض) وإما كلمة (أولئك).

١- وآيات الكلمة الأولى أربع فى:

قــولــه تعالـــى: ﴿ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ ٣٤، ١٩٥ آل عمــران. وقولــه: ﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ ٢٥ النســاء وقولــه: ﴿ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ ٦٧ التوبة.

ولابد من أن نوضح للقارئ هنا العلاقة بين المثلية والبعضية بأنها نابعة من العلاقة بين صوت الميم فى (من) و (مثل) فقد أشرنا فى الدراسة السالفة أن الكلمتين إذا اتحد فيها صوت حرفين كانت بينهما قربى فى الدلالة وصارتا ذواتى رحم واحدة. ومما يزيد ذلك قوة وعمقا ما يوجد بين صوت (النون) فى الأولى واللام فى الثانية من مقاربة فى النطق. وسيأتى تحقيق القول فى المقاربة بين (من) و (الكاف) أيضاً وهذا ما يزكى استعمال (من) للتشبيه. وفضلا عن ذلك كله فإن معنى البعضية يقتضى – لا محالة – المماثلة والمشابهة إذ جزء الشيء يشبه سائر أجزائه كما سيأتى.

هذا: ومما يلفت الذهن فى الآيات الأربع أنها اتفقت فى إضافة كل منها إلى علامة إضمار. فعلامة الأضمار فى الأولى للمفرد المؤنث والمراد بها ما ورد فى الآية من قبلها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ . ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ٣٤ آل عمران.

فالاصطفاء لآدم ونوح واضح الدلالة. وأما آل إبراهيم وآل عمران. فهما المرادان بقوله (ذرية بعضها من بعض) فـ (ذريةً) بدل من (آل إبراهيم وآل عمران) يعنى: أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض.

موسى وهارون: من عمران، وعمران: من يصهر، ويصهر: من فاعث؛ وفاعث: من لاوس، ولاوس: من يعقوب، ويعقوب: من إسحاق، وكذلك : عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن إيشا بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق. وقد دخل فى آل إبراهيم رسول الله ﷺ ... وقيل (بعضها من بعض) فى الدين..

هذا ما ذكره الزمخشري ويتضح منه خلاف في نسب (عمران) فهو إما: من يصهر ... وإما من ماثان. قال أحمد بن المنير: ومما يرجح هذا القول الثانى أن السورة تسمى (آل عمران). ولم تشرح قصة عيسى بن مريم فى سورة أبسط من شرحها فى هذه السورة.

وأما موسى وهارون فلم يذكر قصتها فى هذه السورة فدل ذلك على أن (عمران) المذكور ههنا هو أبو مريم والله أعلم"(١).

هذا عن إضافة (بعض) فى الآية الأولى إلى علامة إضمار مفرد مؤنث. وأما الآية الثانية وهى من سورة آل عمران أيضاً ففيها المضاف إليه علامة إضمار جمع مخاطب مذكر وكذا فى آية النساء.

وصدد آية آل عمران: "فاستجاب لهم – أى للذين وصفوا فى الآيات ١٩١: ١٩٤ أنى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض .... الخ.

قال الزمخشرى: "أى يجمع ذكوركم وإناثكم أصل واحد – أى آدم – فكل واحد منكم من الآخر أى من أصله. أو كأنه منه لفرض اتصالكم واتحادكم"(٢).

وهذا يعود بنا إلي الآية الأولى (إن الله اصطفى آدم) فآل إبراهيم وآل عمران من آدم. ومن قبلهم (نوح) فهو منه لا محالة. وبذلك تكون الآية التى نحن بصددها جامعة لبني البشر جميعاً فى نقطة بدء واحدة وهى آدم عليه السلام.

وأما آية النساء فمصدرها: "ومن لم يستطع منكم طولا – أى مالاً وسعة – أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت إيمانكم من فتياتكم – أى الإماء – المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن ... الخ.

---

(١) انظر الكشاف ١/ ٢٧٢ وهامشها.

(٢) الكشاف ١/ ٣٥١.

وفى هذا حث للرجال على أن ينكحوا الإماء المسلمات المؤمنات فرب أَمَة أفضل فى إسلامها وإيمانها من حرة. كما أنه رب عبد يكون أفضل فى إيمانه من سيده وهذا معنى (والله أعلم بإيمانكم) يقول الزمخشري: "وهذا تأنيس بنكاح الإماء وترك الاستنكاف منه (بعضكم من بعض) أى أنتم وأرقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم فى الإيمان لا يفضل حر عبدا إلا برجحان فيه – أى الإيمان"[(١)].

وتبقى آية التوبة (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) فـ (بعض) فيها مضافة إلى علامة إضمار الغائبين المذكرين. قال الزمخشرى: "أريد به نفى أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى قولهم: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ ٥٦ التوبة ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين (يأمرون بالمنكر) بالكفر والمعاصى (وينهون عن المعروف) عن الإيمان والطاعات ...."[(٢)].

وبهذا نكون قد وضحنا سياق كل آية من الآيات الأربع التى وقعت فيها (من) اسما بمعنى (مثل) خبرا عن (بعض). وهذا المعنى هو المَعْنِيّ هنا بالتحقيق فى آية آل عمران الأولى (بعضها من بعض) فقد سبق أن المراد إما الذرية أي النسب بالدم واللحم والعنصر. وإما الدين. وعقب الألوسى قائلا: "و (من) على الأول ابتدائية وعلى الثاني اتصالية. وقيل: اتصالية فيهما"[(٣)].

---

(١) الكشاف ١/ ٣٨٦.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٢٥.

(٣) روح المعانى ١/ ٥٦١.

وفى الآية الثانية ذكر الزمخشرى: أن الذكر والأنثى من أصل واحد. وفيهما يقول الشهاب: "المعنى أنهما من أصل واحد. فـ (من) ابتدائية، أو هى اتصالية بحسب اتحاد الأصل[(١)]".

ولعل قولهم: (اتصالية) يشيرون به إلى أن (من) تمثل حلقة الاتصال بين بعضهم وبعض. وبالتأمل فى هذا ندرك أن هذا المعنى لايخرج عن معنى البعضية فقد علمنا أن أبعاض الشيء ذات اتصال وثيق. ولكن يبدو أن علماءنا كانوا يتأثرون خالفا بسالف فى التعبير دون تفكير. بل إن بعضهم قد رأى أن (من) للتبعيض حقيقة أى متشعبة بعضها من بعض فى التناسل أو مجازا أى من بعض فى الإيمان والطاعة[(٢)].

بل من هؤلاء من أنكر معنى التبعيض الحقيقى فقال: "بعضهم من بعض فى الحكم والمنزلة والنفاق فهم على دين واحد؛ وليس المعنى على التبعيض حقيقة لأن ذلك معلوم. هذا ما ذكره أبو حيان فى آية التوبة[(٣)].

وبذلك يتحصل لنا أن (من) فى هذه الآيات إما بعضية مجازا وإما ابتدائية وإما اتصالية. وإما بعضية حقيقية وهذا ما أنكره أبو حيان.

فهذه أربع احتمالات. وهناك احتمال خامس ذكره أبو بكر الرازى وهو أن المعنى: بعضهم على دين بعض أو خُلُق بعض بإضافة لفظة الدين أو الخلق لأن (من) تأتى بمعنى (على) ومنه قوله تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى ٣/ ٩٢.

(٢) انظر البحر ٢/ ٤٣٦، ٣/ ١٤٤.

(٣) البحر ٥/ ٦٨.

كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾ ٧٧ الأنبياء وقوله : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ ٢٢٦ البقرة. أى يحلفون على وطء نسائهم"(١).

ولو كان هذا المعنى مراداً لما كان هناك داع إلى ذكر (من) بل لجاء النص من أول أمره بـ (على) إذ فى ذلك إثبات للمعنى بطريق الحقيقة التى لا تحتمل تأويلا ولا تحميلا. بل لَمَا كان هناك فرق بين قوله: (ونصرناه من القــوم) وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ﴾ ٣٠ العنكبوت. ومن المعلوم أن الأولى فى حق نوح عليه السلام والثانية فى حق لوط عليه السلام.

والحق الذى لا محيد عنه ولابد منه أن (نَصَرَ مِن) معناه ثبوت النصر وتحقيق النجاة بدون معركة بين جيش. ومن ثَمَّ كان نصر نوح بالطوفان الذى نجا بالسفينة منه هو ومن معه وغرق غيرهم فيه.

وأما (نصر: على) فإن فيه معركة بين طائفتين تَحَقَّقَ الغلبةُ فيها لإحداهما على الأخرى ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ١٤ ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ ١٥ التوبة.

فــ (على) تثبت معنى الغلبة والعلو والسطو وهذا ما حدث فى قصة قوم لوط وفيهم قال الله: ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ . فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ ٥٣: ٥٤ النجم.

---

(١) أنموذج الرازى ١١٧/١.

قال الزمخشري: "والقرى التى ائتفكت بأهلها أى : انقلبت وهم قوم لوط يقال: أفكهَ فائتفك. وقرئ: والمؤتفكات (أهوى) رفعها إلى السماء على جناح جبريل ثم أهواها إلى الأرض أى أسقطها. (ما غشى) تهويل وتعظيم لما صبَّ عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود"(١).

فالتعبير بـ (مِنْ) لابد له من سر ومقتض وكذا التعبير بـ (على) ومما ينبغى التنبه إليه أن (على) من قبيل الأسماء كما حققناه فى الباب الأول وأما (من) فى (نصرنا من) فهى من قبيل الحروف لأنها حرف ابتداء. ولكل من الاسم والحرف مقام لا بد من مراعاة مقتضاه. وبذلك يتحقق استخلاص المعانى من الكلمات التى وردت فى النص: أما أن نركن إلى الدعة والراحة بالأخذ عن أسلافنا دون مراجعة فهذا منهج غير لائق باللغة العربية ولاسيما فى النصوص القرآنية.

وهنا يجمل بنا أن ننبه القارئ إلى منهجنا فى (من) الواردة فى هذا الفصل وهو أنها بمعنى (مثل) فهى للتشبيه. ولسنا بدعا فى ذلك وإنما نحن متبعون لبعض أسلافنا الذين راقبنا أفكارهم الصافية الصادقة. ومن حقنا بل من واجبنا أن نوازن بين آراء أسلافنا ثم نرجح ما نراه لائقا بالمقام.

يقول الفخر الرازى: "أما قوله (بعضكم من بعض) ففيه وجوه أحسنها: أن يقال: من بمعنى الكاف أي بعضكم كبعض. ومثل بعض فى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية. قال القفال: هذا من قولهم: فلان بنى على خلقى وسيرتى قال تعالى: ﴿ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ ﴾ ٢٤٩

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٤١.

البقرة وقال عليه السلام: "من غشنا فليس منا" وقال: ليس منا من حمل السلاح علينا" فقوله (بعضكم من بعض). أى بعضكم شبيه بعض فى استحقاق الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية. فكيف يمكن التفاوت فيه"[١]!!.

ويشير إلى هذا المعنى أبو السعود فى الآية الرابعة قائلاً: "بعضهم من بعض: أى متشابهون فى النفاق والبعد عن الإيمان كأبعاض الشيء الواحد"[٢].

وكذا أبو بكر الرازى يقول: "وكلمة (من) أدل على المشابهة والمجانسة من حيث إنها تقتضى الجزئية والبعضية فكانت بالمؤمنين أولى وأحرى لأنهم أشد تشابها وتجانسا فى الأخلاق والصفات ... إلا أنه خص المنافقين بتلك العبارة تكذيبا لهم فى حلفهم الأسبق "ويحلفون بالله إنهم لمنكم" وتقريرا لقولـــه: ﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾ ٥٦ التوبة[٣] بهذه النصوص يتحقق أن لأسلافنا رأيين فى معنى (من) بعد (بعض) وقبلها (بعضكم من بعض).

الأول أنها ابتدائية أو بعضيه والثانى أنها للتشبيه وقد اخترت الثانى بما حققته من أن (مِنْ) تدل عليه كـــ (مثل) والكاف وربما يسأل قارئ: هل يصح تنظير (مِنْ) بالكاف مع أن المشهور أن الكاف حرف وأما (من) المثلية فهى اسم ؟

والجواب عن ذلك نستحضره هنا من الباب الأول حيث حققنا اسمية الكاف أيضا والدليل على ذلك وقوعها مسند إليه فى قوله تعالـــى: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾

---

(١) من مفاتيح الغيب ٣/ ١٢٩.

(٢) إرشاد العقل السليم ٥/ ٢٩٦.

(٣) أنموذج الرازى ١/١١٧.

٩ فاطر وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ ١١ ق. فقد قال الزمخشرى: " والكاف فى محل رفع أى مثـــل إحياء الموات نشر الأموات ثم قال: "والكاف فى محل رفع على الابتداء"(١).

وتكون مسندا كما فى قوله تعالـــى: ﴿ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ٧٤ البقـــــرة. قال الزمخشري: "فهى فى قسوتها مثل الحجارة" أو أشد قسوة. و(أشد) معطوف على الكاف..." (٢).

ومعنى هذا أن الكاف خبر أى مسند.

بل إننا قد حققنا أن الكاف تكون مفعولا به نحو قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ ٥ الفيل. أى مثل عصف مأكول. فهى مفعول ثانٍ .... مما يجعلنا نوقن ونستيقن أنها اسم لا محالة.

وبهذا يتهيأ لنا إعراب (من) فى الآيات الأربع (بعضها من بعض) و (بعضكم من بعض) و (بعضهم من بعض). خبر بمعنى (مثل) فهى فى محل رفع أى مثل (بعض) ... ولا ينبغى أن يفهم أن التعبير بـــ (من) مساويا للتعبير بــ (مثل) كلاً لأن فى التعبير بالأولى إثبات تماثل الأجزاء كلها فهى متضمنة مع التشبيه الدلالة على البعضية. بخلاف (مثل) فهى مجردة عن ذلك. كما أنها تمتاز فى معنى التشبيه على معنى البعضية أذ لو قيل: بعضكم بعض بعض. لتسرب الملل إلى النفس تبعا

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٧٥, ٤/ ٣٠٣.

(٢) الكشاف ١/ ١١٥.

للخلل فى النص وما ذلك إلا لما فى صوت الضاد من ثقل جعل التعبير بـ (من) البعضية يتفوق التعبير بـ (بعض) آلاف مرة.

ومما يزكى هذا ويزيده قوة على قوة ما قالــه الزمخشــرى فى قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾

١٧ الزخرف. ونصه : "بما ضرب للرحمن مثلا: بالجنس الذى جعله له مثلا – أى شبها – لأنه إذا جعل الملائكــة جــزءا لله وبعضا منه – يعنى فى قولــه تعالــى:

﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ ١٥ الزخرف.

فقد جعله من جنسه ومماثلا له لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد [1].

هذا: ومما ينبغى أن نتأمله الآيات الآتية:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ ٧٢ ويقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ ٧٣ الأنفــال. ثم يقــول: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ ٧١ التوبة. وقد سبق قوله: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ ٦٧ التوبة.

فجعل العلاقة بين المؤمن والمؤمن الولاية وكذا الكافر مع الكافر.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٩١.

أما المنافق فالعلاقة بينه وبين المنافق المشابهة فى الصفات فصفات كل منهما تشبه صفات الآخر. وكأن ذلك إشارة إلى أن العقيدة هى التى تعمر قلب المؤمن فيأنس إلى جانب الله ويركن. ويقابل ذلك فى الكافر عقيدة أخرى تباعد بينه وبين الله. والولاية موطنها القلب موطن العقيدة، ومن ثَمّ احتاج المنافق إلى الحلف بالله لإثبات ما يشبه عقيدة المؤمن وذلك فى قوله تعالى: "ويحلفون بالله إنهم لمنكم ...." الآية وسيأتى الحديث عنها.

أليس فى ذلك كله تقرير لأن الكلمة القرآنية لابد من العناية بها عند الحديث عنها من حيث مبناها ومعناها ومقامها ومكانها ثم مكانتها التى لا يشاركها غيرها فيها ؟! هذا عن الآيات التى أخبر فيها بـ (مِنْ) عن (بعض)، أما الإخبار بـ (مِنْ) عن (أولئك) ففى آية واحدة هى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡ ﴾ ٧٥ الأنفال.

قال القرطبى: "ومعنى (منكم): مثلكم فى النصر والموالاة"(١).

فالمثلية والمشابهة نابعة من الصفات التى اشتركوا فيها هم وأسلافهم وكأنى بهذه الآية تثبت أن المؤمنين المهاجرين المجاهدين بينهم رباط وثيق وشعور عميق منذ بدأت الدنيا وفيها إيمان وكفر وجهاد بينهما حتى يوم الدين. ولذا يلزمنا هنا الوقفة المستأنية المتأملة فى قوله (آمنوا من بَعدُ) ثم قوله (معكم) **فالأول:** يدل على أن هذه الآية ليست مقصورة على المجاهدين فى عصر النبوة بل هى ممتدة مع هذا الصنف إلى نهاية الدنيا. **والثانى:** يؤكد أن بين الأواخر والأوائل صحبة ومصاحبة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ص ٢٨٩٧ ط الشعب.

وفى هذا إشارة إلى أن الأوائل يمدون الأواخر بتاريخهم وصور استشهادهم بزاد وافر وقوة دافعة فلم يفصل الزمان ولا المكان بين الأواخر والأوائل إذ هم معهم على طريق الجهاد ودرب الاستشهاد.

ثم يأتى دور قوله (فأولئك منكم) أى مثلكم فى الحياة والسير فيها ثم مفارقتها إلى الآخرة مجمع الخالدين الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

النوع الثاني: الآيات التى أخبر فيها بـ (من) المثلية عن مبتدأ منسوخ: والناسخ إما (ليس) وإما (ما) وإما (إنّ) وعددها سبع عشرة آية.

تمهيد:

رأينا فى دراسة النوع الأول كيف تتداخل المعانى مع اختلاف الألفاظ فـ (من) و (مثل) بدلان على التشبيه لابتدائهما بصوت الميم. وكذلك (مع) فقد قال الزمخشرى فى قوله تعالي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ١١٩ التوبة. وقرئ (من الصادقين) وهم الذين صدقوا فى دين الله نية وقولا وعملا, أو الذين صدقوا فى إيمانهم ومعاهدتهم لله ورسوله على الطاعة من قوله: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ ٢٣ الأحزاب ... أى كونوا مثل هؤلاء فى صدقهم وثباتهم ..."[1].

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٥١.

ألا ترى أن الزمخشرى فى هذا قد كشف سترا عن سر لغوى سار فى ركبه المحدثون متأثرين به لا محالة وهذا السر هو أن معانى الكلمات تكون رهنا بصوت من أصوات أحرفها. وهذا الصوت هنا هو الميم فى (من) و (مثل) و (مع). فكلها تدل على التشبيه والمماثلة؛ وليس معنى ذلك أن هذه الكلمات موقوفة على هذا المعنى وإلا لما كان لسائر أصوات أحرفها فائدة وثمرة: بل المراد أنها تلتقى – أحيانا – فى معنى واحد ثم تفترق فكل منها يأخذ شِعْبه ويعرف دربه.

ولا أكون مجازفا فى القول إذا قلت: إن هناك من سبق الزمخشرى فى هذا المسلك الجميل الرائع وذلك ابن جنى فى رائعته (الخصائص) حيث يقول: "فإن كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التى عُبِّر بها عنها ألا تراهم قالوا: قضم: فى اليابس، وخضم: فى الرطب، وذلك لقوة القاف وضعف الخاء فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف ... وقالوا: قطَّ الشئ: إذا قطعه عرضا وقـدَّه: إذ قطعه طـولا. وذلك لأن منقطع الطاء أقصر مدة من منقطع الدال. وكذا قالوا: مدَّ الحبل، ومت إليه بقرابة؛ فجعلوا الدال – لأنها مجهورة – لما فيه علاج، وجعلوا التاء – لأنها مهموسة – لما لا عـلاج فيه"(١).

وحسبنا با بن جنى والزمخشرى تمثيلا لعلمائنا المتقدمين. ولنذهب إلى بعض المتأخرين الذين حَزَوْا حَزْوَ أولئك وساروا على نهجهم البحثى الدراسى العميق.

فها هو ذا الأستاذ رشيد سليم الخوري يقول: "قد تنبهت بطول المراجعة إلى أن حرف الفاء هو نقيض حرف العين بدلالته على الإبانة والوضوح: فتح. فضح. فرح. فلق. فجر. فسر ..... وأن حرف الضاد خص بالسَّوْم يسم جبين كل لفظة.

(١) الخصائص ١/ ٦٥: ٦٦.

بمكرهة لا يكاد يسلم منها اسم أو فعل: ضجر. ضرٌّ. ضير. ضجيج. ضوضاء. ضياع. ضلال. ضيق. ضنى. ضوى. ضراوة.ضئزى.

وبعكسه الحاء التى تكاد تحتكر أشرف المعانى وأقواها: حب. حق. حرية. حياة. حسن. حركة. حكمة. حلم. حزم.

وأرى أنها لهذه المزية ولامتناعها - أو على الأقل: مشقتها - دون سائر حروفها الحلقية على حناجر الأعاجم هى أولى بأن تنسب إليها لغتنا فنقول: لغة الحاء بدلا من قولنا: لغة الضاد"[1].

ويعزز ذلك كله ويؤيده ما قيل من: "أن الأصل فى الألفاظ الدالة على معنى فى نفسها يُرَدّ معظمها بالاستقراء إلى أصول ثنائية وأحادية المقطع، تحاكى أصواتا طبيعية"[2].

أليس معنى هذا: أن معنى الكلمة كامن فى صوت أحد أحرفها، فإذا ما قدحه الفكر البشرى انطلق من كلمته مضيئا منيرا كاشفا فارقا ؟!! ومن ثَمَّ سار على ضوئه الأستاذ العقاد حينما قال: "فالكلمات : حتم. وحسم. وجزم. وخطم. وختم. وكتم. وعزم. وقصم. وقظم. وقطم. وأمثالها كلمات لا تخلو من الدلالة على التوكيد والتشديد والقطع الذى يدل على المعانى الحسية كما يستعار أحياناً لمعانى: القطع بالرأى والإصرار على العزيمة"[3].

وواضح أن مكمن هذه المعانى وحاملها هو: صوت الميم. وهو نهاية تلكم الكلمات. ألا يدل ذلك على الاشتراك فى المعنى بين كلمات بدئت بهذا الصوت وهى (مثل. من. مع) فتدل على التشبيه. أى جعل شئ شبيها بآخر.

---

(١) انظر أشتات مجتمعات ص ٤٣.

(٢) الفلسفة اللغوية ص ٥٦.

(٣) أشتات مجتمعات ص ٤٦.

هذا: ومما ينبغي الالتفات إليه والحرص عليه أن هذه الكلمات ليست ممتدة المعاني بل لابد من تفاوت بينها. ويؤيد هذا قول الراغب: "الشبه. والشِّبيه حقيقتها في المماثلة من جهة الكيفية كاللون والطعم. وكالعدالة. والظلم. والشُّبهة هو: الا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه عينا كان أو معنى. قال تعالى: : ﴿ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ ٢٥ البقرة. أي يشبه بعضه بعضا لونا لا طعما وحقيقة. وقيل: متماثلا في الكمال والجودة"(١).

ثم يقول: "مَثَل: أصل المثول: الانتصاب. والممَثَّل: المصوَّر على مثال غيره يقال: مَثَل الشيء أي انتصب وتصور؛ ومنه قوله ﷺ: "من أحب أن يمثُل له الرجال فليتبوأ مقعده من النار". والتِّمثال: الشئ المصوَّر. وتمثل كذا: تصوَّر .... والمثَل: عبارة عن قول يشبه قولا آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره... والمثل يقال على وجهين:

أحدهما: بمعنى المثْل نحو يشبْه وشَبه. ونِقْض ونَقَض. قال بعضهم: وقد يعبر بهما عن وصف الشئ نحو قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ ١٥ محمد.

والثاني: عبارة عن: المشابهة لغيره في معنى من المعاني أيٍّ معنى كان. وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة؛ وذلك: أن النِّد يقال فيما يشارك في الجوهر فقط؛ والشِّبْه يقال: فيما يشارك في الكيفية فقط.

والمساوى يقال: فيما يشارك في الكمية فقط. والشكل يقال: فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط. والمثل عام في جميع ذلك. ولهذا لما أراد الله تعالى نفى التشبيه من كل وجه خصه بالذكر فقال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ١١ الشورى(٢).

(١) الخصائص ١/ ٦٥: ٦٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٤٧٨.

هذا ما ذكره الراغب عن: المشابهة والمماثلة اللذين تدل عليهما (شِبْه وشَبَه) و (مِثْل ومَثَل) ثم قال عن (مع) : "إنه يقتضي الاجتماع إما فى المكان نحو: هما معاً فى الدار. أو فى الزمان نحو: ولدا معا. أو فى المعنى: كالمتضايفين نحو: الأخ والأب فإن أحدهما صار أخا للآخر فى حال صارا الآخر أخاه. وإما فى الشرف والرتبة نحو: هما معاً فى العلو"(١).

ومعذرة عن هذه لاطالة فى توضيح العلاقة بين (مِثْل ومنْ ومع) التى ترتب عليها دلالتهن على التشبيه. لأن ذلك قد يخفى على كثير من متعلمى هذا العصر فسرعان ما ينكرونه ويتهمون الكاتب بالمجازفة فى الرأى أو الخلط بين أشياء لا علاقة بينها ولا صلة، والحق أن صوت الميم خير شاهد وأقوى دليل على ذلك.

ومن هذا التمهيد إلى دراسة آيات (من) المثلية الواقعة خبرا عن مبتدأ منسوخ وهى سبع عشرة آية متنوعة على النحو الآتى:

أولاً: آيات المبتدأ المنسوخ بـ (ليس) وهى أربعة:

١- قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ ٢٤٩ البقرة.

فى هذه الآية ذكرت (مِنْ) مرتين (منه) و (منى) وهى فى الأولى بعضية أى فمن شرب بعض النهر. وفى الثانيـة مثلية أى فليس مثلى فى عقيدتى القائمة على طاعة الله وتقواه ومحاربتـه من يعصـى أمـره. ثم جاء بعد هذه الفقرة قوله تعالى، ومن لم يطعمه فإنـه منى إلا من اغتـرف غرفة بيـده. فشربوا منه إلا قليلا منهم".

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص ٤٨٦.

وفى هذا يقول الزمخشرى: "فمن شرب منه: فمن ابتدأ شربه من النهر بأن كرع فيه (فليس منى) فليس بمتصل بى ومتحدٍ معى. من قولهم: فلان منى كأنه بعضه لاختلاطهما واتحادهما؛ ويجوز أن يراد : فليس من جملتى وأشياعى. (ومن لم يطعمه) ومن لم يذقه من طَعِمَ الشئَ إذا ذاقه. ومنه: طَعْم الشئ لمذاقه. .... (فشربوا منه) أى فكرعوا فيه (إلا قليلا منهم) .... وقرئ: غَرفة بالفتح بمعنى: المصدر. وبالضم بمعنى: المغروف"(١).

والذى نفهمه من هذا النص أن الزمخشرى قد أشار إلى أن (من) فى (شرب منه) ابتدائية. ولست أدرى وجها لذلك لأن الذى يتبادر إلى الذهن أن قلنا: شربت الماء معناه استغراق الماء كله بالشرب. فلو قيل: شربت من الماء كان المعنى أنه شرب بعضه. وفضلا عن ذلك فإن البعضية لا تنافى الابتدائية إذ لكل حدث بداية كما أن له نهاية.

هذه واحدة. وأخرى: ألا وهى قوله (فليس منى) فليس بمتصل بى ... من قولهم: فلان منى: كأنه بعضه .. ويجوز أن يراد: فليس من جملتى وأشياعى ...".

وعليه تكون (من) بمعنى (بعض) وأرى أن هذا غير متفق مع النص إذ المراد هنا نفى المشابهة بين طالوت ومن تبعه وبين الذين عصوه. ونفى المشابهة أعمق وأقوى لأنها إذا نفيت كانت دالة على نفـــى البعضية من باب أولى. كما حققنا ذلك فى قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ١١ الشورى.

---

(١) الكشاف ١/٢٢٣: ٢٢٤، وانظر البحر المحيط ٢/ ٢٦٤.

٢- قولـــه تعالـــى: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ ٢٨ آل عمران.

وفيه يقول الزمخشرى: "ومن يوالى الكفر فليس من ولاية الله فى شئ يقع عليه اسم الولاية؛ يعنى: أن ينسلخ من ولاية الله رأساً؛ وهذا أمر معقول، فإن موالاة الولى وموالاة عدوه متنافيتان. قال:

تودُّ عــدوى ثم تزعم أننـــى صديقك ليس النول عنك بعازب"(١)

ولا يغيب عن القارئ هنا: أن اسم الإشارة (ذلك) يشير إلى ما ذكر من قبله فى قوله: "لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين" أى من يتخذ من المؤمنين الكافرين أولياء الله فليست ولايته مشابهة لولاية المؤمنين لله. الــواردة فــى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ ٢٥٧ البقرة. فولاية الله للمؤمنين لا تشبه – من قريب ولا بعيد – ولاية الطاغوت للكافرين. فلابد إذاً من لحظ مضاف يدركه العقل أى فليست ولايته مثل ولاية الله فى شئ. وبذلك يتضح معنى الآية على وجه لائق بجلال نص القرآن. وبدون زعم تعديل لوضع بعض كلماته كما ذهب بعض العلماء إلى أن (من الله) حال من (شئ) مع ذكره قبله. لأنه فى الأصل صفة له فلما قدم أعرب حالا أى فليس فى شئ من دين الله أو من ولاية الله"(٢).

---

(١) الكشاف ٢٦٩/١ والنول: الحمق، والعازب: البعيد.

(٢) انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٧٤. وروح المعانى ١/ ٥٥٢ وحاشية الجمل ٣٠٩/١.

ولو صح ذلك لكان المعنى: فليـس فى شئ حالة كونه بعض ولاية الله. فتكون (من) بعضية فى محل نصب حـالا. والذي يملأ قلبى بالاطمئنان عدم زعم هذا فى القرآن.

ويرى الأمير أن (من) بمعنى (بدل) وأن المعنى: فليس فى شئ بدل الله تنزيلا للشئ الذى هو فيه منزلة العدم لعدم النفع به"[1].

وقد رد ابن هشام هذا المعنى قائلا: "وأما قوله تعالى: (فليس من الله فى شئ) فليس من هذا – أى معنى البدلية – خلافا لبعضهم. ثم ذكر أن (من) بيانية أو للابتداء والمعنى: فليس فى شئ من ولاية الله"[2].

فابن هشام يترك أمرا ليقع فيما يزيد عليه من مخالفة الأصل. لأن معنى البيان قد عرفنا أنه غير مستساغ لـ (مِنْ) إذ يقتضى زعم زيادتها وما هى بذلك. ثم يقـول (أو للابتداء) ولا يخفـى ما فيه من غمـوض إذ ما معنى ابتداء نفى الولاية ؟!!!

ولعلك تلحظ أن الآية لابد فيها من إدراك شئ لازم لما هو مذكور فيها وهو تقدير المضاف. وعلماؤنا معترفون بذلك غير أنهم زعموا أن فى النص تقديما وتأخيرا وهذا لا حاجة إليه هنا وخاصة على القول بأنها حال مقدَّم على (شئ) فقد قرر علماؤنا أن تقديم الحال على العامل المعنوى كالجار والمجرور ممنوع على الأصح. وأما قول الأمير: "محل ذلك ما لم يكن الحال جارا ومجرورا لتوسعهم فى ذلك. فهو مردود بأن (مِنْ) فى (مِنْ الله) ليس حرفا بل هى اسم سواء كانت بمعنى

---

(١) حاشية الأمير على المغنى ٢/ ١٥.

(٢) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٥.

(بعض) أو بمعنى (مثل) ويوضح ذلك قول الأمير نفسه: "لابد في الآية من تقدير مضاف أي: ليس من مرضاة الله أو من دينه مثلا"[١].

وعلى افتراض حرفيتها فلا يجوز زعم تقديمها لما قاله ابن يعيش ونصه: "ويري سيبويه وابن السراج وغيرهما أنه لا يجوز تقديم الحال على صاحبها الجار والمجرور بالحرف لأن العامل – وإن كان الفعل – لكنه لمَّا لم يصل إلى ذى الحال إلا بواسطة حرف الجر لم يجز أن يصل في حالة قبل ذكر ذلك الحرف وكما لا يجوز تقديم صاحب الحال على حرف الجر كذلك لا يجوز تقديم الحال عليه"[٢].

ومما يلزم التنبيه إليه أن ابن يعيش صدَّر جملة الخبر بـ (لكنه لمَّا لم يصل .... الخ) وهذا خطأ. والصواب لأن العامل – وإن كان الفعل – لم يصل إلى ذى الحال .... والخ.

وبهذا كله يثبت أن المقام مقام (من) المثلية أي فليست ولايته مثل ولاية الله في شئ. فمعنى المشابهة أبلغ وأعمق على ما فيه من صون النص عن الزعم والافتراض.

٣- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ﴾ ١٥٩ الأنعام.

أي لست مثلهم في شئ.

---

(١) حاشية الأمير على المغني ١/ ٨.

(٢) شرح المفصل ٢/ ٥٩.

٤- قولــه تعالــى: ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ -أى ابنه- لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ ۖ ﴾ ٤٥ هــود.

لأن أهل النبى هو المؤمنون به المصدقون له العاملون معه على نصرة الدين ورفع راية اليقين. فهؤلاء هم أهله وذووه إن لم يكونوا من صلبه ولحمه ودمه. فعلاقة الدين والإيمان أقوى وأوثق من علاقة اللحم والدم.

وقد ذكر الزمخشرى ما يثبت أن (من) بعضية؛ والمعنى: أن ابنى بعض أهلى لأنه كان ابنه من صلبه، أو كان ربيبا له فهو بعض أهله"[١].

فهذا معنى قول نوح "إن ابنى من أهلى" وهو معنى صحيح صواب ولكنه غير لائق بقوله (إنه ليس من أهلك) بل المعنى: مثل أهلك. فـــ (من) اسم لا بمعنى (بعض) هنا وإنما بمعنى (مثل). وهذا أبشع وأشنع لأن ابن الرجل إذا لم يكن على الحق مع أبيه استحق ألا يكون شبيها به فضلا عن أن يكون ابنه. وهذا ما نألفه ونعرفه فى اللغة العامية: فحينما يجد أحدُنا ابناً لصديق له على غير خُلُقه ثم يقول له: إنه ابنى لا يتردد حينئذ أن يقول له: (إمَّال مَشْ زَيَّك ليه)؟ أليس فى ذلك نفى المشابهة بين الولد ووالده الذى يقرب من نفى نسبه ؟!

ثانياً: آيات المبتدأ المنسوخ بـــ : ما. وهى ثمانى آيات.

وردت فيها (من) المثلية تسع مرات. ودخلت (ما) على علاقة إضمار المفرد المتكلم فى أربع آيات. وعلى علامة إضمار المفرد الغائب فى آية واحدة. وعلى علامة إضمار الجمع الغائب فى ثلاث آيات.

---

(١) الكشاف ٢/ ٣١٢.



آيـــات المفرد المتكلم:

١-قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ ٥٦ الأنعام وهى فى حق الرسول محمد ﷺ.

٢-قوله تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ ٧٩ الأنعام وهى فى حق سيدنا إبراهيم عليه السلام.

٣-قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ ١٠٨ يوسف.

٤-قولــه تعالــى: ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾ ٨٦ ص وهاتان فى حق المصطفى ﷺ.

آيـــة المفرد الغائب وهى:

١- قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ ٧٨ آل عمران.

وهذه فى شأن اليهود عليهـم اللعنة. فـ (من) فى (لتحسبوه من الكتاب) بعضية أى بعض الكتاب. وفى (وما هو من الكتاب) مثلية أى ما هو مثله فكيف يكون بعضه !!

آيـات جمع الغائبين:

١-قوله تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾ ٥٦ التوبة. وهى فى حق المنافقين. فـ (لَمِنكم) بعضية وفى (منكم) مثلية.

٢-قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ ٢٤ فصلت. وهى فى حق أعداء الله الذين ذكروا فى قوله تعالى: : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ الآية ١٩ إلى الآية ٢٣. ثم قال: : ﴿ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ ...... الآية ﴾.

٣-قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ﴾ ١٤ المجادلة. وهى فى حق الموالين لمن غضب الله عليهم. وقد حكم الله عليهم بالذبذبة بين الإيمان وولاية من غضب الله عليهم. فهم المنافقون الذين قال الله فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا

﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً . مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ ١٤٢: ١٤٣ النساء.

ففى هذه الآيات الثمانية دخلت (ما) على علامة إضمار (أنا) و (هو) و (هم) وربما يقال لِمَ لَمْ يكن التعبير (ما اهتديت) و (ما أشركت) و (ما تكلفت ....؟

أى لِمَ لَمْ تدخل (ما) على فعل الوصف الذى ذكر بعد (مِنَّ) ؟!

وإجابة عن ذلك أقول: إن الفرق دقيق جدا بين ما ورد فى القرآن وغيره وفى ذلك يقول الإمام عبد القاهر: "إنك إذا قلت: ما قلت هذا كنتَ نفيتَ أن تكون قد قلت ذاك وكنت نُوظرْت فى شئ لم يثبت أنه مقول، وإذا قلت: ما أنا قلتُ هذا كنتَ نفيتَ أن تكون القائل له وكانت المناظرة فى شئ ثبت أنه مقول"(١).

وفضلا عن هذا الفرق نرى أن تلك القاعدة ليست منطبقة على كل النصوص إذ يمكن تطبيقها على الآيات الأربع الأولى وأعنى: أنــه يمكن التعبيــر بما ذكره عبد القاهر. ولا يمكن أن أقصد إلى تغيير شئ فى كلام الله.

فكان يمكن أن يقال: (ما اهتديت) و (ما أشركت) و (ما تكلفت). أى فى غير القرآن. أما لو ذهبت تطبقها على مثل الآيات الأربع الأخــرى فلا يمكنك ذلك. إذ لا يقال فى مثل الأولى: وما يحسب من الكتاب. وفى مثل الثانية (وما يثبت أنهم منكم) ... الخ.

وعليه فالآيات الثمانية قد جمعتهن بلاغة النص وقوة حجته إذ النفى منصب علي أن مَنْ وردت الآية فى حقه لا يتأتى منه المنفى وإنما يجوز من غيره. فقوله

---

(١) دلائل الإعجاز ص ٨٤.

تعالى: (قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين) قد اشتمل على نفى الهداية عنه عليه السلام فى حالةِ ضَلاَلِه. وليس هذا بمستساغ إذ قد قال له ربه ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ ٧ الضحى.

ويضاف إلى هذا جعل معنى (من): مثل. ففى ذلك زيادة عمق ودقة للمعنى. وينطبق هذا على سائر الآيات.

ومما يفيدنا فى هذا المقام قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ١١ الشورى. فلو قيل: ليس مثله شئ. بدون أداة التشبيه وهى الكاف. لكان ذلك نفياً للمثل المكافئ وهو المثل التام المماثلة فحسب إذا أن هذا هو معنى: مثل عند إطلاقه. وحينئذ يدب إلى النفس دبيب الوساوس والأوهام. فى أنه: لعل هناك رتبة لا تضارع رتبة الآلوهية ولكنها تليها وأَنْ عسى أن تكون هذه المنزلة للملائكة والأنبياء ....

فجئ بالكاف (كمثله) إقصاء للعالم كله عن المماثلة وما يشبه المماثلة وما يدنو منها ... وهذا من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى على حد قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ ٢٣ الإسراء. نهيا عن يسير الأذى صريحا وعما فوق اليسير بطريق الأحرى[١].

أبعد ذلك تَسَوَّل لإنسانٍ ما نفسته أن يزعم زيادة الكاف ؟!

---

(١) النبأ العظيم ببعض تصرف ص ١٤٧ – ١٤٨.

وبهذا كله تثبت قيمة دلالة (من) على التشبيه فى هذه الآيات إذ أن معنى: (فليس مثلى) أرقى وأبدع من معنى (فليس بعضى) ومعنى (وما أنا مثل المهتدين) أعمق وأشمل من معنى: وما أنا بعض المهتدين. لأن معنى (مثل) هنا كمعنى الكاف فى (ليس كمثله شئ).

ومن الواضح أن (من) فى مثل (فليس منى) مبنى فى محل نصب خبر (ليس). وأما فى (وما أنا من المهتدين) فيحتمل أن تكون فى محل رفع خبر المبتدأ (أنا) وهذا على جعل (ما) نافية وليست ناسخة. وفى محل نصب إن كانت ناسخة. فإذا أخذنا بهذا الوجه ثبت أن (ما) عاملة عمل (ليس) فى أساليب أكثر من قوله تعالى:﴿ مَا هَـٰذَا بَشَرًا ﴾ ٣١ يوسف وفى قوله: ﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ﴾ ٢ المجادلة.

ومما يجدر ذكره هنا أننا وجدنا سيبويه – ومن سار على نهجه – يتدخل فى لغة العرب بالحكم على لهجة بأنها قياسية وعلى أخرى بأنها غير ذلك. إذ نراه يقول: "هذا باب ما أُجْرِى مُجْرَى (ليس) فى بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثم يصير إلى أصله. وذلك الحرف (ما) تقول: ما عبد الله أخاك، وما زيد منطلقا.

وأما بنو تميم فيجرونها مجرى (أما) و (هل) أى لا يُعْمِلُونها فى شئ. وهو القياس. لأنه ليس بفعل: وليس (ما) كـ (ليس) ولا يكون فيها إضمار، وأما أهل الحجاز فيشبهونها بـ (ليس) إذ كان معناها كمعناها"[(١)].

---

(١) الكتاب ١/ ٥٧ وانظر الخصائص ١/ ١٢٥، ٢/ ١٠.

قال الرضى: "وإنما كانت هى القياس لأن قياس العوامل أن تختص بالقبيل الذي يعمل فيه من الاسم أو الفعل لتكون متمكنة بثبوتها فى مركزها و (ما) مشتركة بين الاسم والفعل".

"فلما كان قياس إعمالها ضعيفا انعزلت لأدنى عارض. فمن ذلك مجئ (إن) بعدها، وانتقاض نفيها بـــ (إلا) ... وتقدم خبرها ظرفا كان أو غيره نحو: ما قائم زيد، وما فى الدار زيد. وذلك لضعفها في العمل فلا تتصرف فى العمل بأن تعمل النصب قبل الرفع كالفعل"[١].

أليس فى هذا تدخل فى لغة العرب بما يفرض عليها ما ليس منها ؟! وما هذا لهم بمباح. لما فيه من تشتيت الفكر وتمزيق النصوص. وما كان أجملهم وأعمقهم لو رَوَوْ اللغة على ما سمعوها ثم استنبطوا منها القواعد دون تدخل فى نصوصها. فما كان ضرهم لو قالوا: (فى: ما لغتان عربيتان من لغات العرب:

إحداهما: أن ترفـــع الاســـم وتنصـــب الخبر شأنها شـــأن (ليس) وتلك لغة أهل الحجاز.

والأخرى: ألا تعمل شيئا بل يكتفى بمعناها دون عملها. وذلك يحدث أيضا فى (ليس) كما فى مثل قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾ ٢٧٢ البقرة فهى للنفى فقط وقد اعتمد عليها الظرف (عليك) فارتفع به (هداهم) ولا عمل لـــ (ليس) وبهذا يحدث التساوي بين الأداتين (ما) و (ليس).

---

(١) شرح الكافية ١/ ٢٦٦: ٢٦٧ وانظر الهمع ١/ ١٢٣.

أقول: لم يحدث هذا من علمائنا ولذا ترتب على نصوص سيبويه وغيره أن يُحَوّل الإعمال والإهمال من كونه لغة أهل الحجاز وبنى تميم إلى كونه بصريا وكوفيا مما جعل بعضهم ينسب إعمال (ما) إلى البصريين. وبعضهم ينسب إهمالها إلى الكوفيين[١].

وما فعل سيبويه ذلك بل قد التزم بالحكم على لغة أهل الحجاز بأنها على غير القياس وعلى لغة بني تميم بأنها على القياس.

ولست أدرى مَنْ الذى وضع هذا القياس للعرب حتى يلتزموا به ؟! بل الذى لا ينقضى منه العجب أننا وجدنا سيبويه يقول: "ما أنت بشئ إلا بشئ لا يعبأ به. فـ (بشئ) رفع فـى لغـة تميم. فلما قبح أن تحمله على الباء صار كأنه بدل من اسم مرفوع.

و (بشئ) فى لغة أهل الحجاز فى موضع منصوب. ولكنك إذا قلت: ما أنت بشئ إلا شئ لا يعبأ به استوت اللغتان فصارت (ما) على أقيس الوجهين"[٢].

أليس هذا تدخلا فى لغة العرب بما يؤذيها ويجعل دراستها هَمّاً ثقيلا ؟!

وليس معنى ذلك أن النحاة قد التزموا هذا الدرب والسير فيه بل هناك من ردَّ هذا الفرق ورجعوا التعدد إلى لهجات العرب لا إلى قواعد النحاة فقد نقل السيوطى عن ابن خالويه من كتاب (ليس) قوله: "ليس فى كلام العرب لفظ جمع لغات (ما) النافية إلا حرف واحد فى القرآن. جمع اللغات الثلاث وهو قوله "ما هن أمهاتهم" قرأ الجمهور بالنصب وقرأ بعضهم بالرفع. وقرأ ابن مسعود (ما هن بأمهاتهم) بالباء"[٣].

---

(١) انظر الإنصاف ١/ ١٠٨ والهمع ١/١٢٣.

(٢) الكتاب ٢/ ٣١٦ وانظر منهج السالك ١/ ٢٦٢: ٢٦٣.

(٣) الإتقان ٢/ ١٦٣.

وقال الأشمونى: "إنه لا فرق فى دخول الباء فى الخبرين أن تكون (ما) حجازية أو تميمية. وزعم أبو على أن دخول الباء مخصوص بالحجازية وتبعه على ذلك الزمخشرى وهو مردود فقد نقل سيبويه ذلك عن تميم وهو موجود فى أشعارهم فلا التفات إلى من منع ذلك"(١).

قال الصبان: "ولم يجئ الخبر إلا بالباء فى القرآن ما عدا آيتى يوسف والمجادلة وقد قرئ فيهما بالرفع(٢).

وقال البغدادى: "إن الباء تدخل فى الخبر عند بنى تميم وعند أهل نجد ثم ذكر أنه يجوز للحجازى أن يتكلم بلغة تميم؛ وللتميمى أن يتكلم بلغة الحجازى"(٣).

وإذا كان لى أن أفاضل بين هذه اللهجات احترت لهجة الباء أى نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ٨٥ البقرة؛ لأن الباء فيها بمعنى (مثل) أى وما الله شبيه بغافل فكيف يكون غافلا ؟! أرأيت سحر كلمات اللغة وقيمة كل منها فى أسلوبها ؟!! وقد حققنا معنى التشبيه فى اللغة للباء للعلاقة الصوتيـــة بينها وبين الميم فى (مثل) و (مِنْ) .. وبذلك يحق لنا أن نضرب بدعوى زيادتها عرض الحائط لما فيها من سر خطير فى معنى النص.

وفى نهاية هذه الدراسة يجدر بى أن أذكر نصا لابن جنى يهوّن فيه شأن الخلاف حول هذا الأسلوب بين اللغتين الحجازية والتميمية فيقول: "هذا الضرر من الخلاف لقلته ونزارته محتقر غير محتفل به ولا يعيج عليه. وإنما هو شئ من

---

(١) منهج السالك ١/ ٢٦٢ : ٢٦٣.

(١) حاشية الصبان ١/ ٢٥٨.

(٣) خزانة الأدب ٤/ ١٤١: ١٤٣ ط هارون.

الفروع يسير. فأما الأصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف فيه ولا مذهب للطاعنين به.

وأيضاً : فإن أهل كل واحدة من اللغتين عدد كثير وخلق (من الله) عظيم.

وكل واحد منهم محافظ على لغته لا يخالف شيئا منها ولا يوجد عنده تعاد فيها"[١].

فاشـــتمال القرآن على لهجات كثيرة بلغت أكثر من خمسين لهجة كما حققنا ذلك .. يتضمن تيسيرا فى اللغة وهذا ما بحثه الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي بما يمثل من البحر عمقه لا سطحه[٢].

ثالثاً: آيات (من) المثلية الواقعة خبرا عن مبتدأ منســوخ بـــ (إنّ) وهى أربع آيات هى:

١- قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ ﴾ ٢٤٩ البقرة.

وهى فى حق الذين كانوا مع طالوت فى النَّهَر. وقد سلف القول فى (فمن شرب منه فليــس منى) أى فلــيس مثلى. وتحقيقا للتناسق نرى هنا أن المعنى (فإنه مثلى).

٢- قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ ٥١ المائدة.

وهى فى حق من يتولى اليهود والنصارى من المسلمين؛ فمن يفعل ذلك فإنه مثلهم وليس بعضهم؛ لأنه فى الظاهر الذى يعلمه الناس بعض المسلمين.

---

(١) الخصائص ١/ ٢٤٣: ٢٤٤.

(٢) انظر البيان القرآنى ١٢١: ١٢٤.

وتأمل نسق الآية لتجد فيه (ومَن يتولهم منكم فإنه منهم) ثلاث كلمات من مادة واحدة، ولكل منها معنى فـ (مَنْ) للعموم والسر فيه فتح ميمها. و (مِنْ) الأولى للخصوص وهو (بعض) والسر فيه كسر ميمها. وأما (مِنْ) الثانية فللتشبيه أى بمعنى (مثل) أى فإنه مثلهم لا بعضهم. أرأيت أعجب من هذا دقة وعمقا وعظمة فضلا عما فيه من الجناس الواضح بين الكلمات الثلاث. فلو كان النص: ومن يتولهم حالة كونه بعضهم فإنه مثلهم لما بلغ أدنى درجة من سُلَّم البيان الرفيع والبلاغة العالية.

ومما يوضح معنى التشبيه ويكشف سره فى (مِنْ) هنا قوله تعالى في سورة النساء التى تليها سورة المائدة: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ ١٤٠ النساء.

فقوله هنا (مثلهم) يشير إشارة صريحة إلى أن (من) فى المائدة مثلية وهى فى محل رفع خبر (إنه). وللتعبير بـــ (مثل) فى الأولى و (مِنْ) فى الثانية سر لغوى.

٣- قوله تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾ ٥٦ التوبة.

وهى فى حق المنافقين الذين يحلفون إنهم لمثل المؤمنين. ولا مقام للبعضية هنا لأنهم يريدون أن يتشبهوا بالمؤمنين وما هم بأهل لذلك. ولهذا وجدنا الرد قاطعا

بنفي المثلية عنهم فى قوله: "وما هم منكم" أى مثلكم. وفى نفى المثلية نفى البعضية دون العكس.

٤- قوله تعالى: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ﴾ ٣٦ إبراهيم.

وعلى الرغم من وضوح معنى التشبيه هنا نرى علماءنا يشيرون إليه من طرف خفى أو يهملونه.

فمِمَّنْ أشار إليه الألوسى فى قوله: "يحتمل أن (من) تبعيضية على التشبيه فإنه كبعضى فى عدم الانفكاك؛ ويحتمل أن تكون اتصالية أى فإنه متصل بى لا ينفك عنى فى أمر الدين"(١).

ولست أدرى داعيا إلى ذلك ما دامت (مِنْ) صالحة لمعنى التشبيه بذاتها ولاسيما أننا قد علمنا أن التشبيه يقتضي البعضية دون العكس.

وممن لم يشيروا إليه الزمخشرى حيث يقول: "أى هو بعضى لفرط اختصاصه بى وملابسته لى. وكذلك قوله: "من غشنا فليس منا" أى ليس بعض المؤمنين على أن الغش ليس من أفعالهم وأوصافهم"(٢).

ونسى الزمخشرى أن البعضية تقتضى أن يكون أتباع سيدنا إبراهيم عليه السلام من ذريته. وهذا محال. وأما معنى التشبيه فيقتضى أن أتباعه مثله وسواء منهم من كان من ذريته ومن كان من غيرها. ويؤيد ذلك أن والد سيدنا إبراهيم ليس مؤمنا فإبراهيم بعضه ولكنه ليس مثله. فإذا ما قلنا: إبراهيم من أبيه كان المعنى:

---

(١) روح المعانى ٤/ ٢٤٧.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٣٤.

بعضه. وإذا قلنا: إسماعيل من أبيه فهو مثله مع كونه بعضه ولذلك كله يتضح مدى القلق فى قول الألوسى: (من) تبعيضية على التشبيه فإنه كبعض فى عدم الانفكاك، ففيه من الاضطراب ما لا يخفى.

وأما قوله: (ويحتمل أن تكون اتصالية ...) فلا حاجة إليه مطلقا إذ البعضية تغنى عنه. لو صح القول بها فى الآية.

أرأيت منهج علمائنا فى عرضهم لمعانى كلمات النص القرآنى ؟!

إحصائية: مما سلف يثبت أن (من) وقعت خبرا عن مبتدأ منسوخ وهي بمعنى (مثل) سبع عشرة مرة.

النوع الثالث: آيـــات (من) المثلية الواقعة غير خبر:

وذلك فى ثلاث آيات. وقعت فى آيتين منها: مفعولا به وفى آية: حالا.

١-قوله تعالى: ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ٤ المائدة.

وفى هذه الآية تضاربت نصوص العلماء فى معنى (من) فى قوله (مما علمكم الله) يقول الطبرى : "وقد قال بعض أهل التأويل: معنى قوله (مما علمكم الله) كما علمكم الله. ذكر من قال ذلك عن السدّي.

ولسنا نعرف فى كلام العرب (مِنْ) بمعنى: الكاف لأن (مِنْ) تدخل فى كلامهم بمعنى: التبعيض؛ والكاف بمعنى التشبيه. وإنما يوضع الحرف مكان آخرغيره إذا تقارب معنياهما"[١].

والطبرى هنا يصادر رأى السدى جريا وراء المشهور وذلك منهج غير لائق بدراسة لغة القرآن الكريم إذ لا تصلح الشهرة منهجا لدراسة نصوص. وقد قيل قديما: لا يغرنْك شهرة القائل ولا شهرة المقول. فما كان يضير الطبرى لو أمعن النظر وأحسن التدبر فى النص ولو فعل لوجد المعنى ثمرة جنية تسيل على مداد قلمه بعد أن ملأت قلبه وأفعمت عقله. وحسبه: أن يتدبر العلاقة بين التبعيض والتشبيه لأن الشئ لا يكون بعض شئ آخر إلا إذا كان بينهما تجانس وتقارب وتشابه فلا يتفق غير المتجانسين لأنهما غير متشابهين. وبهذا يصح ما أنكره من عدم التقارب بين البعضية والتشبيه أى المثلية.

ومن العجب العجاب أن نجد من العلماء من لم يصرح بهذا المعنى ففى حاشية الجمل: "مِنْ: مفعول أى بعض ما علمكم الله"[٢].

وهناك من يقدر مفعولا محذوفا أى شيئا مما علمكم الله"[٣].

وقال الألوسى: "و (من) أجليَّه – بمعنى من أجل – وقيل تبعيضية أى بعض ما علمكم الله"[٤].

---

(١) جامع البيان ٦/ ٥١.

(٢) انظر جــ١ ص ٥٥٨.

(٣) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١١٧.

(٤) روح المعانى ٢/ ٢١٥.

وأرى أن النص فى أشد الاستغناء عن هذه التقديرات التى تشوب صفوه فيصير كدرا . وخاصة بعد أن حققنا القول بأن العلاقة وثيقة بين (مِنْ) و (مِثْل) لاتحاد صوتين فيهما وهما (الميم). فليس معنى التشبيه مفروضا عليها بل نابع منها وعليه تكون اسما كما أن كاف التشبيه اسم بل كما أن (مثل) و (شبْه) اسمان أيضاً. وقد سبق فى النوعين السابقين استعمال (من) للتشبيه اثنتين وعشرين مرة.

٢-قوله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ٢٥ النحل.

وفى هذه الآية يقول الزمخشرى: "وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال لأن المضل والضال شريكان؛ هذا يضله وهذا يطاوعه على إضلاله فيتحملان الوزر"(١).

وسار على دربه أبو حيان والبيضاوى وأبو السعود والسيوطى والألوسي. وعليه فـ (مِنْ) فى محل نصب مفعولا به ما دامت بمعنى (بعض) لأنها حينئذ: اسم. وعلى الرغم من ذلك وجدنا أبا البقاء يقدر موصوفا ويجعل (مِنْ) صفة له: أى ليحملوا شيئا من أوزارهم. أو زائدة أى ليحملوا أوزارهم وأوزار الذين يضلونهم(٢).

أرأيت بعد ذلك غفلة عن المعنى المراد وهو: أن المضل يحمل وزره على إضلال غيره ثم يحمل مثل وزر المُضَلّ. ودليل ذلك:

قال الواحدي: "ليست (من) للتبعيض لأنه يستلزم تخفيف الأوزار عن الأتباع وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة والسلام: "من غير أن ينقص من أوزارهم شئ".

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٦٨.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢٤.

وكنت أود أن يلتفت الواحدى إلى معنى آخر يليق بالآية ولكنه أردف قائلا: "لكنها للجنس أى ليحملوا من جنس أوزار الأتباع انتهي".

ذكره أبو حيان ثم ردَّه قائلا: "ولا تتقدر (من) التى لبيان الجنس هذا التقدير الذى قدره الواحدى؛ وإنما تقدر: الأوزار التى هى أوزار الذين يضلونهم؛ فيؤول المعنى إلى قول الأخفش وهو زيادة (من) وإن اختلفا فى التقدير"(١).

وخلاصة ذلك كله: أن جعل (من) للتشبيه أقرب الطرق إلى إدراك معنى الآية.

(ب) مما يَرُدُّ معنى البعضية والبيانية والزيادة قول الرسول ﷺ: "من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شئ".

فلابد فى هذا الحديث من تقدير (مثل) أى ومثل وزر من عمل بها. وعلى الرغم من ذلك نرى الألوسى يدافع عن المشهور قائلا: "وفيه أن المأثور يدل على التبعيض. إلا أن بينهما مخالفة لما لا يخفى"(٢).

وقطعا لهذا الجدل المميت أسوق قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ . وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ ١٢: ١٣ العنكبوت.

---

(١) البحر المحيط ٥/ ٤٨٤: ٤٨٥.

(٢) روح المعانى ٤/ ٣٦٠.

يقول أبو حيان : "والمعنى: ومثل أوزار الذين يضلونهم كقوله عليه الصلاة والسلام: "فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. والمراد: ومثل وزر. والمعنى: أن الرئيس إذا وضع سُنَّة قبيحة عظم عقابه حتى إن ذلك العقاب يكون مساويا لعقاب كل من اقتدي به في ذلك"(١).

وهذا ما نراه فقف عليه ولحمد الله والله أعلم بأسرار كلماته.

وبذلك ينتهي الحديث عن آيتى (مِنْ) المثلية الواقعة مفعولا به.

٣- أما آيتها التى تكون فيها حالا على احتمال فهى قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ﴾ ٣ الجمعة.

فمن قبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ٢ الجمعة.

فقد ذكر الزمخشرى أن (وآخرين) مجرور بالعطف على (الأميين) يعنى: أن بعثه فى الأميين الذين على عهده وفى آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد. وسيلحقون بهم وهم الذين بَعْدَ الصحابة رضى الله عنهم ... ويجوز أن ينتصب عطفا على المنصوب فى (ويعلمهم) أى يعلمهم ويعلم آخرين لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندا إلى أوله فكأنه هو الذى تولى كل ما وجد منه"(٢).

---

(١) البحر المحيط ٥/ ٤٨٤.

(٢) الكشاف ٤/ ٤٢٤.

وعلى الوجهين يكون (منهم) حالا فى محل نصب وصاحبها (أخرين) وهو إما مخفوض بالعطف على(الأميين) وإما منصوب بالعطف على علامة الإضمار فى (يعلمهم) أى حالة كونهم مثلهم. وربما يقال إنها نعت فى محل خفض على الوجه الأول وفى محل نصب على الوجه الثانى.

ثانياً: آيـــات (من) المعية:

وردت (من) فى ثلاث آيات وهى اسم بمعنى (مع) لا بمعنى (بعض) ولا بمعنى (مثل) فهى تفيد المصاحبة. وتلك الآيات فى شأن موسى عليه السلام وهى قوله تعالى: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ ٢٢ طه وقوله : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ ١٢ النمل، وقوله: ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ ٣٢ القصص.

وهناك آيتان فى شأن تلك العصا وهما قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ ١٠٨ الأعراف، ٣٣ الشعراء.

ففى هاتين الآيتيــن لم يقيد (بيضاء) بـــ (من غير سوء) بخلاف الآيات الثلاث السابقة.

ومن البدهي أن القرآن يكمل بعضُه بعضا فقد علَّمنا شيوخنا الأجلاء فقهاء اللغة: " أن العلاقة بين آياته التكامل لا التقابل" فلا يقابل بعضه بعضا حتى لا يتوهَّم ذو غرض سئ وقوع تعارض واختلاف بين آياته. وكيف يكون ذلك وقد قال الله عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ

ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ ٨٢ النساء. وليس معنى هذا أن يجدوا فيه لختلافا قليلا إذ لو صح ذلك لوجد من يريد الطعن فيه إلى ذلك سبيلا. فالمراد إذن نفى الاختلاف فى القرآن مطلقا لا يقيد قلة ولا كثرة.

ولعل السر فى ذلك سعة المعانى فى القرآن وعمقها. فلو صح العثور فيه على شئ من ذاك الاختلاف لتعدد وبلغ العدد الكثير.

وبهذا نثق تمام الثقة ونوقن أصدق اليقين وأعمقه بأن (من غير سوء) فى آيات: طه والنمل والقصص ينبغى لستحضاره عند تلاوة آيتى الأعراف والشعراء لتكون الآيات الخمس على نسق واحد فى الدلالة فيتصورها ذهن القارئ أكمل تصور. ويثق بها قلبه أقوى ثقة. ويطمئن إليها عقله أبلغ الاطمئنان.

أما كون (من) بمعنى (مع) فقد عرفنا ذلك بما لا يقبل شكا ولا جدلا. وحسبنا ما وضحنا من أن الميم صوت مشترك بينهما. وقد حققنا أن الاشتراك فى الأصوات دليل على المماثلة فى المعنى. وهو (تخرج بيضاء مع غير سوء) أى لا يشوب بياضها شائبة من علة كما يشوب الكَلَفُ بياضَ البدر. فــ (من) بمعنى (مع) فى محل نصب حالا أى حالة كونه مصاحبا غير سوء.

وتأمل – هداك الله – لو جاء التعبير (مع غير سوء) أكان يبلغ مبلغ الجمال والكمال فى (من غير سوء) ؟!

وقد قال الزمخشرى: "مِنْ: صلة لــ (بيضاء) كما تقول: ابيضت من غير سوء"[1].

ويعنى بكونها صلة أنها من تمام معناها بحيث لا تستغنى عنها كصلة الموصول وليس معناها أن (من) حرف ابتداء بل هى حال وصاحبها الضمير فى الفعل.

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٧.

ومما يثبت استعمال (من) بمعنى (مثل) قول القرطبى عند قوله تعالى: **﴿وإنه فى الآخرة لمن الصالحين﴾** ٢٢ النحل: "مِنْ: بمعنى (مع) أى مع الصالحين لأنه كان فى الدنيا أيضاً مع الصالحين"(١).

ولعل القارئ يلمح أن المقام فى هذه الآية مقام البعضية لا المصاحبة إذ النبى إبراهيم عليه السلام فرد فذ من أفراد الصالحين وليس يليق به أن يكون ممن يصحبهم، بل الأجدر به والأليق أن يكون مصاحَباً لا مصاحِباً.

وبهذا يثبت أن (من) المعية لها مقام و (من) البعضية لها مقام آخر فشتان بين آيات موسى عليه السلام وآيات إبراهيم عليه السلام.

وتبقى كلمة وهي: أن أبا البقاء: "يُجَوِّز أن يكون (من غير سـوء) متعلقـا بـــ (تخرج) وأن يكون صفة لـــ (بيضاء) أو حالا من الضمير فى : بيضاء"(٢).

وعلى الأول تكون (من) حرف ابتداء. ولا أراه إذ لا معنى لابتداء خروجها من غير سوء. والراجح – فى نظرى – بل الصحيح أنها حال وصاحبها الضمير فى (بيضاء) فهى من قبيل مايسمى بالحال المتداخلة إذ (بيضاء) حال من الضمير فى (تخرج) و (من غير سوء) حال من الضمير فى بيضاء.

وليس فى ذلك ما يدعو إلى الخلاف بين النحاة فى كـون الحال متعددة لمفرد أو متداخلة فهذا خلاف لا طائل تحته كما قال الأشمونى(٣).

وبهذا يكون عدد ذكر (مِنْ) فى هذا الفصل اثنتين وعشرين مرة.

والله أعلم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ص ٣٨١٤.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/٦٣.

(٣) انظر منهج السالك وحاشية الصبان عليه ٢/ ١٩٠.

الفصل التاسع

آيـــات (مِنْ) التى يقال أنها زائدة فى القرآن وليست كذلك

تمهيــــــد: - ١ -

مما ينبغى ألا يكون بحث زيادة بعض الكلمات مقصورا على القرآن وحده بل لابد أن يعم أساليب اللغة قرآنا وغير قرآن. لأن اللغة العربية هــى لغــة القــرآن ومادتها مادته. يقول الله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ ١٩٢: ١٩٥ الشعراء. ويقول: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ٢ يوسـف. ويقـول: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ٢٧: ٢٨ الزمر. ويقول: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ثم يقول فى السورة نفسها: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ . لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ ٢، ٣ ثم ٤١، ٤٢ فصلت. ويقول: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ ٣: ٤ الزخرف.

فهذه النصوص – وغيرها وفير كثير – تثبت بما لا شبهة حوله ولا ريبة فيه أن القرآن نزل بلغة العرب. وليس فى ذلك أدنى غرابة لأن النبى محمداً ﷺ عربى.

ومن سنة الله فى خلقة ألا يرسل رسولا إلا بلسان قومه، يقول الله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ ٤ إبراهيم.

فالعلاقة وثيقة دقيقة عميقة بين اللغة والقرآن وثيقة لا يشوبها اضطراب. دقيقة لا ينال منها شائبة من ضحالة. عميقة لا يصل إليها شبهة.

غير أن اللغة فى غير القرآن يجوز الأخذ منها والرد عليها والحكم على بعض أساليبها بالضعف والخلل. وأما لغة القرآن – أعنى ما نزل بها – فهى منزهة عن أى شئ يشوبها فينال منها. لأنه معجز. وغيره ليس بمعجز. ومع هذا أرى أن الواجب الحتم ألا نفرق بين القرآن وغيره من لغة العرب فى القول بزيادة بعض الكلمات وغير زيادتها. فإذا قيل بها فى اللغة غير القرآنية قيل بها فى لغة القرآن. وإلا فلا.

- ٢ -

وإنما قررنا ذلك لأننا علمنا – كما يعلم غيرنا – أنه : من مميزات اللغة العربية دلالة أدنى شئ من الخط على معنى فيها لا يستغنى عنه ألا وهو: النقطة. فالنقطة (.) هى أول جزء مما يخطه القلم الذى قال الله فيه: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ. ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ. عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ ٣: ٥ العلق.

فإذا ما مُدَّت صارت حركة أو حرفا هكذا (–)، (ا) ونشأ منها الخط. ولذا عرف ابن فارس: الخط بقوله: "وهو أثر يمتد امتدادا. فمن ذلك الخط الذى يخطه الكاتب"(١).

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٢/ ١٥٤.

ولعل ابن فارس لم يجد كلمة فى اللغة تدل على النقطة إلا كلمة (أثر) لأنها تدل على أدناه وأعلاه. فكما تشمل النقطة تشمل الكلمة والكلمات بل الكتاب والكتب إلى ما لا نهاية. وقد وردت كلمة (أثارة) فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ٤ الأحقاف.

قال الزمخشرى: "أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين. من قولهم: سمنت الناقة على أثارةٍ من شحم أى على بقية شحم كانت بها من شحم ذائب"(١).

فالنقطة أثر أدنى الشئ وهى فى الخط ذات دلالة عميقة فقد قال المجد: "نَقَط الحرف ونقّطه: أعجمه. والاسم: النقطة بالضم جمعها: نُقَطَ كصُرَد ونقاط ككتاب. ومنه: نقاط من الكلا ونُقَطَ للقِطَع المتفرقة منه"(٢).

ومعنى (أعجم الحرف) أزال إبهامه أى عجمته: فالهمزة كما يقال: للسلب وزوال إبهام الشئ وعُجمته يترتب عليه الوضوح ولذا رأينا الفرق واضحا بين: (فارغ) و (فارع) و (خالق) و (حالق) و (نغم) و (نعم) و (غسل) و (عَسَل): و(مغسول) و (معسول) . ....

إلى غير ذلك مما للنقطة فيه أثر بالغ الخطر فى الدلالة على المعنى.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٣٣.

(٢) القاموس ٢/ ٣٨٩.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ ٦٩ مريم، وقوله: ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴾ ١ النازعات.

ثم قوله: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ٢٠٠ الأعراف، وقوله: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ٣٦ فصلت.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ ٩٦ النحل، وقوله: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ ١٠٩ الكهف. وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ ﴾ ٢٧ لقمان، ثم قوله: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ ٣٣ الرحمن.

ولا عجب فى ذلك فقد أدرك العلماء حقيقة توسع الكون فى مطلع القرن العشرين وأدى إدراك تلك الحقيقة إلى الاستنتاج الصحيح بأن كوننا بدأ خلقه من نقطة متناهية الضآلة فى الحجم ومتناهية الضخامة فى كمّ المادة والطاقة. وأن هذه النقطة انفجرت فتحولت إلى سحابة من الدخان الذى خلقت منه الأرض والسماوات"

الأهرام ٢٤ فبراير سنة ٢٠٠٣ تحت عنوان (من أسرار القرآن) في قوله تعالـــى:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾

١ الأنعام للدكتور/ زغلول النجار.

- ٣ -

ويلي النقطة: الحركة التي تمثل أدنى امتداد لها هكذا (-) ولهذه الحركة شأن أي شأن في الدلالة على المعاني المتنوعة وما نحو: (أكرمتُ) بالضم و(أكرمتَ) بالفتح و (أكرمتِ) بالكسر عنا ببعيد. ومثله (حضر محمد) و (أكرمت محمداً) و (ذهبت إلى محمدٍ). ..... إلخ.

وإنما أقول ذلك لأنبه القارئ إلى أن أدنى مستوى من الخط وهو النقطة والحركة في لغة العرب ليستا فارغين من المعنى بل ربما تقلب النقطة معنى الكلمة إلى الضد كما في (مجرم) و (محرم) وكذا الحركة كما في قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ ٣٧ البقرة. على قراءة رفع (آدم) ونصب (كلمات) قال الزمخشري: "ومعنى تلقىَ (آدم) الكلمات استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها. وقرئ بنصب (آدم) ورفع (كلمات) على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به"[1].

بل ربما تكون التاء ساكنة للدلالة على تأنيث الفاعل فإذا ما حركت صارت فاعلا. وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ ٣٦ آل عمران.

---

(١) الكشاف ١/ ٩٦.

ففى هذه الآية (وضعتْها) و (وضعتُها) ثم (وضعتْ). فالتاء فى الأولى والثالثة لتأنيث الفاعل. وفى الثانية للفاعل. وقرئ فى الثالثة (بما وضعتُ) بضم التاء. فقد قرأها ابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب (بما وضعتُ) بضم التاء. وقرأ الباقون (بما وضعتْ) مثل (فعلت) [1]. وحينئذ نرى الضمة جعلت التاء علامة للفاعل. بعد أن كانت علامة على تأنيث الفاعل. أى على نوعه.

وقد ذكر بعض علماء اللغة أثر الحركة فى الكلمات حيث قال: "فهى تفرق بين اسم الفاعل والمفعول فى مثل (مكرِم) و (مكـرَم). وبين فَعـَل للمعلـوم وفُعِل للمجهول مثل: كتَب وكُتِب. وبيـن الفعـل والمصـدر فى مثـل (علِمَ وعِلْم). وبين الوصـف والمصدر فى مثل (فَرِحٌ وفَرَح) و (حَسَنٌ) و (حُسْنَ) وبين المفرد والجمع فى مثـل (أسَد وأُسْد). وبيـن الفُعل والفعل فى مثل (قَدِم وقدُم) وبين معان أخرى كثيرة"[2].

ولكى يتضح ذلك أكمل اتضاح وأوفاه نأتى بآيات قرآنية تطبيقا لهذه الأمثلة.

فمن باب اسـم الفاعـل قوله تعالى: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾

٢ الزمر.

ومن باب اسم المفعول قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ ٥١ مريم.

---

(١) انظر معانى القراءات للأزهرى ١/ ٢٥١.

(٢) النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة ص ١٢٤ عن مجلة الرسالة ع ٢٢٠.

يقول الزمخشرى: "المخلص بالكسر: الذى أخلص العبادة عن الشرك والرياء. أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله. وبالفتح: الذى أخلصه الله"(١).

ومنه فى الجمع قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ ٥ البينة. بكسر اللام. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ ٢٤ يوسف عليه السلام.

هذا: ومن المقرر فى علم النحو كما ذكره سيبويه أن اسم الفاعل فرع عن الفعل المبنى للفاعل فـ (مخلِص) بكسر اللام فرع عن: أخْلَص. بفتح الهمزة واللام. فيقال: أَخْلَصَ فهو مُخْلِص.

وأن اسم المفعول فرع عن الفعل المبنى للمفعول فيقال (أُخْلِصَ) بضم الهمزه وكسر اللام فهو (مُخلَص). والفرق واضح بين هذا وذاك فى الحركات.

ومما جاء فى النص السابق (كَتَب) و (كُتِب) فمن الأول فى القرآن قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ ١٢ الأنعام، وقوله: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ ٥٤ الأنعام.

ومن الثانى قوله تعالى: : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِى ٱلۡقَتۡلَى ﴾ ، ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ ﴾ ، ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ ١٧٨، ١٨٠، ١٨٣ البقرة.

---

(١) الكشاف ٣/ ١٧.

ومما الفرق فيه بالحركة بين (الفعل والمصدر قوله تعالى: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ ١٨٧ البقرة. وقوله تعالى: ﴿ وأن الله قد أحاط بكل شئ علما﴾ ١٢ التغابن.

ومما الفرق فيه بالحركة بين الوصف والمصدر قوله تعالى: ﴿ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ ٢ المزمل. وقوله: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ٨٣ البقرة. قال الزمخشرى: "أى قولا هو حسن فى نفسه لإفراط حسنه" وعلق ابن المنير قائلا: "إنه من وضع المصدر موضع الاسم مبالغة"(١).

ومما الفرق فيه بين المفرد والجمع بالحركة قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ٢٧ الملك.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ ١١٤ هود.

فالأولى مفرد والثانية بضم الزاى وفتح اللام جمع مثل حجرة وحُجَر وغُرفة وغُرَف.

ومما الفرق فيه بين الفعل والفعل قوله تعالى: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ ٩٨ هود. وهو بضم الدال وماضيه قَدَم قال المجد: "قَدَمَ القومَ

---

(١) الكشاف ١/ ١١٩ وهامشها.

كنصر قدْما وقدوما ... تقدمهم" .... ثم قال: وقَدِم من سفره كعَلِم قدوما وقِدْما بالكسر آب فهو قادم"(١).

فالماضى للمعنى الأول وهو مقَدُم القوم من باب (فَعَل يفْعَل) مثل: نصر ينصر. وللمعنى الثانى من باب فَعِل يفْعَل كفرح يفرح. والأول متعدّ أى ينصب المفعول والثانى لازم. والفرق بينهما بالحركة كما هو واضح.

وقد ورد الماضى من الوزن الثانى فى قوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ ٢٣ الفرقان. كما ورد المضارع من الأول فى الآية الأولى (يقْدُم قومَه يوم القيامة ....).

ونزيد على كل هذا أنها تفرق بين الاسم والحرف فكلمة (ثم) بالضمة حرف عطف ومن ذلك قوله تعالى:﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ٢٨ البقرة .... وغيره كثير وفير فى القرآن الكريم.

فإذا ما فتحت الثاء صارت (ثَمَّ) فتكون اسما من قبيل الظرف كما فى قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ ١١٥ البقرة. وفى قوله تعالى: ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ ٦٤ الشعراء. وقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ ٢٠ الإنسان. وقوله: ﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ ١٢ التكوير.

---

(١) القاموس ٤/ ١٦٢.

يقول الزمخشرى: "و(ثَمَّ) فى موضع النصب على الظرف يعنى فى الجنة"[١].

ففى غير آية البقرة تكون فى محل نصب بما قبلها. وأما فى آية البقرة فهى منصوبة بما يدركه العقل. وما بعدها مرفوع بها وهو (وجهُ الله) والجملة ظرفية فى موضع جواب الشرط (فأينما تُولُّوا) والمعنى: أن الله مع الإنسان فى أى زمان ومكان. وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ٤ الحديد.

- ٤ -

ومن المقرر المعروف أن الحركات بعض أحرف العلة الثلاثة. فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو. فإذا كانت هذه الحركات بهذه المنزلة الرفيعة من الدلالة على المعانى فكيف بالحرف كاملا فى بنية الكلمة نحو: كامل وكريم وكفور أليست الألف دالة على اسم الفاعل. والياء دالة على الصفة المشبهة والواو دالة على صيغة المبالغة ؟!

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا . إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ٢٣, ٢٤ الكهف. وقوله: ﴿ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ ٤٠ النمل. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴾ ٦٦ الحج.

ولقد تنبه علماؤنا من قديم إلى هذا. يقول الإمام الرضى: "اعلم أن المزيد فيه لغير الإلحاق لابد لزيادته من معنى لأنها إذا لم تكن لغرض لفظى كما كانت فى الإلحاق ولا لمعنى كانت عبثا فإذا قيل مثلا: إن : أقال بمعنى: قال فذلك منهم تسامح فى العبارة"[٢].

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٣٨.

(٢) شرح الشافية ١/ ٨٣.

ومقتضى هذا أن الحرف الدال على معنى لا يجوز أن يوصف بالزيادة. وأما قول الرضى (إن المزيد فيه ...) فيعنى به أن الحرف ليس أصلا من أصول الكلمة فـ(فاعل) أصله (فعل) و (كريم) أصل كرَم) و (كفور) أصله (كفر) فالحروف الثلاثة زائدة على أصول الكلمة من حيث الوزن إذ يقال فى وزنها (فاعل) و(فعيل) و (فعول).

وذلك أمر متعلق باللفظ ووزنه وهذا مرتبط بجرس الكلمات فى اللغة العربية ووزنها فهى لغة الوزن والإيقاع.

وأما قوله : (لغير الإلحاق) فربما يفهم منه أن الزيادة للإلحاق ليس لها فائدة فى المعنى بل تقتصر فائدتها على اللفظ حيث تجعل الملحق مساويا للملحق به وزنا. ولا يكون كذلك إلا إذ ساواه فى عدد أحرفه. فيقال مثلا: إن (كوثر) ملحق بـــ (جوهر) زيدت فيه الواو ليساوى (جوهر) فى الضبط والوزن. ومقتضى هذا أن (كثير) يدل على معناه أو (كُثْر) يقول المجد: "الكَثْره ويكسر نقيض القلة كالكُثْر بالضم وهو معظم الشئ"[١].

والحق أن لـــ (كوثر) معنى لا يوجد فى هاتين الصيغتين لوجود الواو فيه إذ ذكر المفسرون أن المراد به فى الآية نهر فى الجنة فعن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قرأها حين أنزلت عليه فقال أتدرون ما الكوثر؟ إنه نهر فى الجنة وَعَدَنيه ربى فيه خير كثير.

كما ذكروا أنه رأى الكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر بِمَ آب ابنك ؟ قالت بكوثر.

---

(١) القاموس ٢/ ١٢٤.

وقال الكميت:

وأنت كثير يا ابن مروان طيِّب وكان أبوك ابن العقائل كوثرا.

وفسروا (الكوثر) فى البيت بأنه: بليغ النهاية فى الخير[١].

فهل لو لم تنكر الواو كانت الكلمة حاملة كل هذا المعنى؟ كلاً وبذلك يطمئن القلب وترتاح النفس ويقتنع العقل بأن لكل نقطة وحركة وحرف فى الكلمة العربية معنى يقتضى صياغتها به وعليه.

وبهذا يفسد القول بأنه زائد بالمعنى المتبادر إلى الذهن وهو: أن لا فائدة فيه ولا معنى له. وهذا ما قرره الرضى عند قول ابن الحاجب فى مواضع زيادة النون (واطردت فى المضارع والمطاوع) يقول الرضى: "قوله واطردت فى المضارع يعني (تفعل). وعندى أن حروف المضارعة حروف معنى لا حروف مبنى كنوني التثنية والجمع والتنوين"[٢].

بل قرره ابن الحاجب نفسه فى قوله: "وأما الهاء فكان المبرد لا يعدها. ولا يلزمه: اخشه فإنها حرف معنى كالتنوين وياء الجر ولامه"[٣].

وبهذا وذاك يمكننا أن نضع قاعدة وهى: أن الحرف الدال على معنى لا يكون زائدا – بمعنى أنه لا فائدة فيه – بل باعتبار أنه ليس أصلا من بنية الكلمة فذلك جائز لأنه منهج دراسة صرفية خلاصتها (تبيين المجرد من المزيد) والذى يكشف ذلك هو الميزان الصرفى كما هو معروف. ولا علاقة له بالمعنى.

---

(١) انظر الكشاف ٤/ ٦٤٤ وهامشها.

(٢) شرح الشافية ٢/ ٣٧٦.

(٣) شرح الشافية ٢/٣٨٢.

وفى ذلك يقول الرضى: "ولا نحتم بعدم تغير المعنى بزيادة الإلحاق على ما يتوهم. كيف وإن معنى (حوقل) مخالف معنى (حقِل) – إذ معنى (حوقل) ضعف. ومعنى (حقَل) وهو باب (ضرب) زرع – و (شمّلَ) مخالف لـ (شمل) معنى. وكذا (كوثر) ليس بمعنى (كثر) – فالكوثر: الكثير من كل شئ قال الشاعر:

وأنت كثير يا ابن مروان طيِّب   وكان أبوك ابن العقائل كوثرا.

والكوثر أيضاً النهر. ونهر الجنة يتشعب منه جميع أنهارها. فالمخالفة إذن فى غير المعنى الأول.

ولهذا كله قرر الرضى: أننا لا نحيلها – أى زيادة الإلحاق – على الغرض اللفظى مع إمكان إحالتها على الغرض المعنوى"(١).

فإذا كانت النقطة والحركة وحرف بنية الكلمة سواء أكان للإلحاق أم لغيره أقول: إذا كانت هذه إنما وضعت فى اللغة لتدل على معنى ولم يجرؤ أحد أن يزعم زيادتها بمعنى: أن الكلمة إذا جردت عنها ظلت بمعناها الذى كان موجودا بها بل لابد من تغيير المعنى بعدها. فكيف ببعض علماء العربية يزعم أو يتوهم أن (كلمة) بجملتها يجوز أن تكون زائدة بمعنى أن الجملة لو جردت عنها ظل المعنى كما كان مع وجودها ؟! أليس فى هذا جناية عظيمة على لغة مقدسة لأنها لغة وحى الله إلى خاتم رسله ومصطفاه محمد ﷺ ؟!

بل إننا وجدنا بعض العلماء يزل قلمه فيزعم ما يوقعه فى تناقض وحسبنا فى هذا المقام الإمام الرضى. فقد سبق عنه الحرص على دلالة حرف الإلحاق على معنى ولكنه مزيد باعتبار وزن الكلمة الذى يميز أصولها من الحروف والمزيد منها.

---

(١) شرح الشافية ١/ ٥٢: ٥٣ وهامشها.

أقول: إننى وجدته فى موضع آخر يقول: "اعلم أن المزيد فيه لغير الإلحاق لابد لزيادته من معنى لأنها إذاً لم تكن لغرض لفظى كما كانت فى الإلحاق - كذا - ولا لمعنى كانت عبثـا. فإذا قيـل مثلا: إن (أقال) بمعنى (قال) فذلك منهم تسامح فى العبارة"[١].

فقد سبق عنه الحكم بأن الزائد للإلحاق لابد له من معنى. وهنا يجعله لغرض لفظى وذلك جريا وراء المشهور وعملا بقوله عند بيان معنى الإلحاق: "وفائدة الإلحاق أنه ربما يحتاج فى تلك الكلمة إلى مثل ذلك التركيب فى شعر أو سجع"[٢].

فلا يخفى ما فى نصوصه من تضارب وتناقض. والذى ينبغى أن يستمسك به هو الالتزام بقاعدة استعمال الحروف فى الكلمات والكلمات فى الجمل ألا وهى: أن المتكلم لا يذكر كلمة بصيغة ما إلا وهو يريد معناها لا مجرد ذكر لفظها: وكذا يقال فى ذكر الكلمة فى الجملة فلابد لها من معنى وإلا كان ذكرها لغوا وضربا من العبث.

ولهذا وجدنا من يحتم أن الحرف لا يزاد فى كلمة إلا إذا أريد به معنى مغاير لمعنى الكلمة بدونه. وهذا ما قرره محققو شرح الشافية فقد ذكروا أن من المُسَلَّم به عدُّ السين فى الاستفعال وهمزة أفعل وألف فاعل وتفاعل وما أشبه ذلك من حروف الزيادة – ولا شك فى دلالتها عل معانٍ – ولذا قالوا: ولا وجه لإنكار الرضى أن تكون حروف المضارعة من حروف الزيادة محتجا بدلالتها على معنى .. ثم قالوا: بقى أن يقال: كيف يوفق بين عَدَمِّ عدهم التنوين وباء الجر ولام الجر وهاء السكت

---

(١) شرح الشافية ١/ ٨٣.

(٢) شرح الشافية ١/ ٥٢.

من حروف الزيادة لأنها دالة على معنى وبين عدِّ حروف المضارعة وغيرها من الحروف الداخلة فى الأفعال والأسماء المتصلة بها مما ذكرنا مع أنها دالة على معان فى الكلمات الداخلة فيها ؟

والجواب: أن الحرف الدال على معنى إن كان مما يتغير به وزن الكلمة ومعناها فهو من حروف الزيادة. وإن لم يكن كذلك فليس من حروف الزيادة.

بل قد جعل أبو الحسن الأشمونى دلالة الحرف على معنى من جملة أدلة زيادته فقال فى باب التصريف عند قول ابن مالك.

والحرف إن يلزم فأصل والذى ... لا يلزم الزائد مثل تا اجتذى

وتاسعها دلالة الحرف على معنى كحروف المضارعة وألف اسم الفاعل[1].

وبالتأمل فى هذه النصوص كلها ندرك أمرين:

أحدهما: أن الحرف الزائد على بنية الكلمة الأصلية لابد له من معنى والحكم عليه بالزيادة إنما هو باعتبار صلاحيته للاستغناء عنه فى بعض تصاريف الكلمة إذ لم يكن معناه مقصودا.

الثانى: أن قول شُرَّاح الشافية (التنوين وباء الجر ولام الجر وهاء السكت).

لا موضع له هنا لأننا نتكلم على الحرف الذى هو جزء كلمة. وأما الذى ذكروه فهو كلمة كاملة لأنه من حروف المعانى لا من حروف المبانى فدلالتها على المعانى جزء منها لا يفارقها ولا تستغنى هى عنه.

---

(١) هامش شرح الشافية ٢/ ٣٧٦، ٣٧٧.

حروف المعانى والزيادة

١- لقد ثبت بما لا ريب فيه أن لغة العرب ليس فيها لغو ولا حشو ولا أدل على ذلك من أن النقطة والحركة وحرف المبنى ليس أى منها فارغاً من المعنى كما اتضح بالنصوص السالفة وعلى القارئ أن يقيس على ما ذكرناه نظائره لأنه يمثل قاعدة عميقة عريضة فلا تضيق بشئ من حيث عمقها ولا من حيث مساحتها وسعتها وها أنا ذا أردف ما سلف ذكره بتحقيق القول فى دعوى زيادة حروف المعانى أي الكلمات التامة لا جزء الكلمة كالنوع الأول.

ومما ينبغى اعتباره فى هذا المقام والتنبيه إليه أننا قد طالعتنا دعوى زيادة كلمات من لغة العرب فى أقدمَ كتاب دُوِّن فى علم العربية وهو كتاب سيبويه وقد مرّ بنا شئ من ذلك وقفنا عنده ونبهنا على أن دعوى الزيادة باطلة.

وهنا نذكر ما يؤيد حجتنا ويزيدها وضوحا على وضوح. يقول ابن جنى: "اعلم أن الحروف لا يليق بها الزيادة ولا الحذف. وأَنَّ أَعْدَلَ أحوالها أن تستعمل غير مزيدة ولا محذوفة.

فأما وجه القياس فى امتناع حذفها فمِنْ قِبلَ أن الغرض فى الحروف إنما هو الاختصار، ألا ترى أنك إذا قلت: ما قام زيد فقد نابت (ما) عن (أنفى)؛ وإذا قلت: هل قام زيد فقد نابت (هل) عن (أستفهم) فوقوع الحرف مقام الفعل وفاعله غاية الاختصار، فلو ذهبت تحذف الحرف تخفيفا لأفرطت فى الإيجاز لأن اختصار المختصر إجحاف به فهذا وجه.

وأما وجه ضعف زيادتها فمن قِبلَ أن الغرض فى الحروف الاختصار كما قدمناه. فلو ذهبت تزيدها لنقضت الغرض الذى قصدته لأنك كنت تصير من الزيادة إلى ضد ما قصدته من الاختصار فاعرف هذا فإن أبا على حكاه عن الشيخ أبى بكر محمد بن السرى السراج وهو نهاية فى معناه»(١).

وأشهد الله أننى ليملؤنى الإعجاب بابن السراج الذى حكى عنه القارئ ما سطره ابن جنى لأنه - أى ابن السراج - قد بلغ المدى فى إثبات عمق دلالة الحرف فى اللغة مع سعة وبسطة فهى دلالة عميقة وسيعة. وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على أن الله قد ألهم هؤلاء العلماء إلى ما دونوه لأنه فيه إثبات غزارة معنى الكلمة المفردة. وبه يغزر معانى كلمات القرآن الكريم. فلو ذهب أحد الدارسين إلى إحصاء أساليب (ما) النافية أو (هل) الاستفهامية فى هذا الكتاب المعجز لأدرك أنه أمام سيل من المعانى فى قليل من الكلمات ؟ وهل بعد ذلك إيجاز فى اللفظ وعمق وبسطة فى المعنى ؟!

٢- وعلى حين يملؤنى الإعجاب بهذا المنهج القوى المتين لا يفارقنى التعجب من العلماء حتى ابن السراج وأبى على وابن جنى وغيرهم لأنهم - مع وقوفهم على سر كلمات اللغة بذلك القدر العظيم - نرى من يَهوِّن شأنها ويضعف مكانتها ويمنع عنها قوتها وينال منها نيلا عظيما حتى يصل بعضهم بها إلى أنها ليست كلمات نحوية وبيان ذلك:

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٧١.

أولاً: لما قرر العلماء جواز زيادة بعض كلمات اللغة ولاسيما الحروف وجدنا الرضى يقول: "قيـل: فائدة الحــرف الزائـد فـي كـلام العرب إما معنوية وإما لفظية؛ فالمعنوية: تأكيد المعنى كما فى (من) الاستغراقية. والباء فى خبر ليس.

فإن قيل: فيجب ألا تكون زائدة إذا أفادت فائدة معنوية. قيل: سميت زائدة لأنها لا يتغير بها أصل المعنى. بل لا يزيد بسببها إلا تأكيد المعنى الثابت وتقويته. فكأنها لم تفد شيئا لمّا لَمْ تغاير فائدتها العارضة الفائدة الحاصلة قبلها.

ويلزمهم أن يعدوا على هذا (إنّ) ولام الابتداء وألفاظ التوكيد اسما كانت أو لا زوائد. ولم يقولوا به.

وأما الفائدة اللفظية فهى تزيين اللفظ وكونه بزيادتها أفصح. أو كون الكلمة والكلام بسببها مُهَيَّأً لاستقامة وزن الشعر. أو لحسن السجع. أو غير ذلك من الفوائد اللفظية. ولا يجوز خلوها من الفوائد اللفظية والمعنوية معا. وإلا عُدَّت عبثا ولا يجوز ذلك فى كلام الفصحاء ولاسيما فى كلام البارى سبحانه وأنبيائه[١].

ولنا مع هذا النص عدة وقفات:

الوقفة الأولى: أن الرضى فى مستهله يقرر موافقته على دعوى زيادة كلمة فى اللغة أى فى كلام العرب. وهذه دعوى غير مقبولة بادئ ذى بدء. لأنها تحمل فى طيَّاتها ما يهدمها إذ مَنْ الذى صرح لأصحاب هذه الدعوى من العرب بأنها صحيحة؟ وأن النحاة حينما أرادوا تدوين النحو قد سارع كل منهم إلى قبائل العرب ليروى عنهم ما يسمعه فهل ذكر أحدهم أنه سمع من العرب زيادة (مِنْ) أو (الباء) فى خبر (ليس) أو أن قصارى أمره أنه سمع منهم قولهم: ما جاءنى من رجل. وقولهم: ليس محمد بقائم.

---

(١) شرح الكافية ٢/ ٨٤.

أقول: لو حدث ذلك للزم النحاة الذين جمعوا نصوص اللغة أنهم كانوا يسألون العرب عن سر زيادة (من) على قولهم (ما جاءنى رجل) عند قولهم (ما جاءنى من رجل) وعن زيادة الباء على قولهم (ليس محمد قائما) عند قولهم (ليس محمد بقائم).

ولو حصل هذا لربما يكونون قد سمعوا الإجابة من العرب. ولو سمعوها لدونوها ولو دونوها لوصلت إلينا. وحينئذ لم نكن لننبس ببنت شفة اعتراضاً على ما رواه العلماء عن العرب.

ولكن ذلك كله لم يحدث. وما دعوى زيادة بعض الكلمات إلا بنت علماء اللغة لا صلة لها بأصحاب اللغة وهم العرب.

الوقفة الثانية: مع قول الرضى (فيجب ألا تكون زائدة إذا أفادت فائدة معنوية) لم يقف الرضى عند هذا الحكم الدقيق العميق. ولو وقف لرفض ما سبق من دعوى الزيادة لأن اللغة لفظ ومعناه أو أسلوب ومعناه. والمعنى هو نفس اللفظ التى بها حياته وقوته وأثره فى الأسلوب فلو فارقته نفسه لصار ميتا لا حراك فيه ولا نفع له.

وحينئذ كان على الرضى أن يبحث عن سر (مِنْ) والباء فى (ما جاءنى من رجل). و (ليس محمد بقائم). ولكنه لم يفعل بل استطرد قائلا: قيل سميت زائدة لأنها لا يتغير بها أصل المعنى .... إلخ.

وفى هذا النص عدة مآخذ:

المأخذ الاول: قوله (لا يتغير بها أصل المعنى) لأن الحقيقة تثبت الفرق الشاسع الواسع بين (ما جاءنى رجل) و (ما جاءنى من رجل) إذ الأول ينفى مجئ رجل واحد ولا ينفى مجئ غير رجل بدليل أننا نقول بعده: بل رجلان أو بل أكثر.

وأما الثانى ففيه نفى الجنس من أدناه إلى منتهاه إن كانت له نهاية فلا يجوز أن نعقب عليه بشئ فهل هذا التغيير ليس فى أصل المعنى؟! إن هذا لأمر عجيب.

المأخذ الثانى: قوله (بل لا يزيد بسببها إلا تأكيد المعنى الثابت وتقويته) وقد عرفنا فساد هذا لأن الأسلوبين مختلفان فى المقام إذ مقام الأول غير مقام الثانى ولكل مقام مقال. ومن ثَمَّ كان لزاما على المتحدث أن يراعى المقام الأول فيأتى بالأسلوب الأول. ثم يراعى المقام الثانى فيأتى بالأسلوب الثانى. وعليه يسقط قول الرضى – بل قول النحاة – من أساسه.

المأخذ الثالث: قوله (فكأنها لم تفد شيئا لمَّا لَمْ تغاير فائدتُها العارضة الفائدةَ الحاصلة قبلها).

أرأيت بعد ذلك جناية بدون ذنب وجرأة بغير سبب ؟ إن الكلمة فى اللغة مثل الفرد من البشر فى المجتمع لابد له من سعى وعمل حتى يصير لبنة صالحة فى بناء مجتمع قوي. فكما لا يجوز الحكم على فرد يقوم بما كلفه الله خير قيام فى حدود مُكنته وسعته. بأنه زائد لا نفع فيه ولا أُثر له. وإلا حكمنا عليه بالإعدام حياً.

بل إنى أقول: إن أفراد المجتمع ربما يكون واحد منهم مفسدا فاسدا فتحكم عليه بالإعدام عدلا وتَنْقِيَةً للمجتمع من آثاره السيئة. ولكن ذلك لا يجوز فى كلمات اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم.

الوقفة الثالثة: مع قول الرضى: "ويلزمهم أن يعّدوا على هذا (إن) ولام الابتداء وألفاظ التأكيد اسما كانت أو لا زوائد ولم يقولوا به".

وخلاصة وقفتنا مع هذا النص أن الرضى يومئ إيماءة موحية إلى أنه غير متفق مع من يدَّعى زيادة بعض الكلمات. وكأنه فيما سبق من نصه كان يحكى ما

يراه غيره ولا يقره هو. بدليل أنه فى هذه الفقرة يحتج عليهم ويُردّ كلامهم لأننا لم نعهدهم زاعمين زيادة (إن) فى قولهم: إنَّ محمدا عالم. ولا لام الابتداء فى قولنا: لمحمد عالم. ولا لفظ التوكيد فى قولنا: جاءنى محمد نفسه.

فإذا لم يزعموا ذلك لزمهم الخطأ ومجانبة الصواب فى زعمهم زيادة (من) والباء فى قولنا: ما جاءنى من رجل. وليس محمد بعالم.

الوقفة الرابعة: مع قول الرضى: وأما الفائدة اللفظية فهى تزيين اللفظ .. إلخ وإنى لأبادر قائلا: إن تزيين اللفظ وكونه بزيادته أفصح إنما يلجأ إليه المتكلم ليلفت ذهن السامع إلى اللفظ بل إنه يرمى إلى غاية جميلة يحرص عليها ألا وهى أن يكسو لفظه زينة وجمالا حتى يدرك السامع لأول وهلة جمال المعنى وكماله وذلك يستلزم فصاحة الكلمة والفصاحة إنما تراد للمعنى لا اللفظ.

ثم إن قوله بعد ذلك: "أو كون الكلمة والكلام بسببها مهيًأ لاستقامة وزن الشعر أو لحسن السجع ....".

وأقول: إننا لم نر أحداً من دَرَسَة الشعر فى أى عصر من العصور يقر شاعراً على زيادته كلمة في بيت ليس لها معنى ولكن رسالتها أن تكون درجة فى سُلم موسيقى الشعر.

إن الذى نعلمه فى نقد الشعر أن يأخذ الناقد على الشاعر استعمال كلمة رديئة المعنى فى بيت يرون به صاحِبه رُقِيَّ المعنى.

وما قول النابغة لحسان بن ثابت بشأن بيته:

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى وأسيافنا يقطرن من نجده دما

بغائب عن أحد فهذا البيت ليس فيه كلمة تُزْعَم زيادتها ومع ذلك كان النابغة عنيفا على حسان فى نقده لهذا البيت حتى جعله يحكم للخنساء بالتفوق على حسان.

ولست أدرى ماذا كان يفعل النابغة بحَسَّان لو ذكر كلمة مما يزعم النحاة زيادتها لهذا كله أقول: لو جاز زيادة كلمة فى الشعر لما اتخذنا ذلك دليلا على زيادة أخرى فى النص وإلا لسوَّينا بين ما ليس بذى ضرورة وما هو موطن الضرورة وذلك عبث يتنزه عنه العقل الحصيف والذهن اللطيف والناقد البصير والمتكلم الذى يختار معانيه ثم يكسوها ألفاظا تليق بها.

الوقفة الخاتمة مع قول الرضى فى نهاية نصه: "ولا يجوز خلوها – أى الكلمة – من الفوائد اللفظية والمعنوية معاً وإلا عُدَّت عبثا. ولا يجوز ذلك فى كلام الفصحاء ولاسيما فى كلام البارى سبحانه وأنبيائه".

هنا أقول للرضى: الكلمة: لفظ مفيد معنى. فما معنى أن يقصد بالكلمة فائدة لفظية ؟ لقد سلف أن الرضى شرح ذلك بأن تكون الكلمة بلفظها مستقيم وزن الشعر. فهل معنى ذلك أنها حينئذ فقــدت معناها وصارت فارغة الباطن ؟ وهل يمكن ذلك ؟

أرونى أيها النحاة قولا معقولا وحجة مقبولة أعتمد عليها حينما أزعم أن فى كلام العرب كلمة زائدة بعد أن علمت وحققت أن النقطة وهى أدنى مستوى فى الخط ذات أثر قوى قاهر فى المعنى. فما بالنا بالحركة ثم بحرف المبنى ثم بالكلمة تكون زائدة ؟!

إن هذا غير جائز يقيناً لأن لغة العرب خالية من اللغو والحشو وإلا لما ارتضاها الله لسانا لوحيه ورسالته الخاتمة التى أوحاها إلى رسوله الخاتم محمد ﷺ.

ثانياً: مما يجعلنا نربأ بأنفسنا عن دعوى الزيادة فى اللغة العربية ونزداد حرصا على ذلك أن هناك من يزعم أن الكلمات الزائدة على زعمهم ليست من الكلمات النحوية.

يقـول الشـهاب الخفاجي: "فإن قلت: هل هى - أى الزائـدة - كلمات نحوية أم لا؟

قلت: صرح بعض شراح الكشاف بأنها ليست بكلمات اصطلاحية حقيقية.

وقيل: إنها كلمات لأنها ألفاظ موضوعة لمعنى فى غيرها وهو القوة والوثاقة التى أفادتها لما ذكر معها. ولا يخفى أن الواضع لم يضعها لما ذكر. وإلا لم يكن بينها وبين (إنَّ) و (لام التوكيد) فرق فعدها منها تسامح"(١).

وفى هذا النص افتئات على حق كلمات اللغة ولاسيما ما يسمى منها بالحرف وخاصة ما زعموا أنه يكون زائدا فقد زعم بعضهم أنه غير كلمات نحوية. وإذا أدركنا أنه حينما يُزّعم زيادته يكون غير كلمات لغوية وبذلك تسقط عنه صفة أنه كلمة لأنه لا يصلح أن يكون كلمة فى اللغة ولا فى اصطلاح النحاة. ولست أدرى ماذا يكون نوعها ؟!!

ثم هناك من يزعم أنها كلمات لأنها ألفاظ موضوعة لمعنى فى غيرها ... وقد عرفنا فى الباب الأول فساد هذا لأن شأن الحرف شأن غيره فى أن له معنى إفراديا وهو فى المعجم ثم يصير له معنى تركيبى حينما يكون فى جملة وإنما قصدت من وراء ذكر هذا النص بيان التدخل النحوى فى مفردات اللغة العربية بما

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوى ٢/ ٨٩.

يشل حركتها بل يسئل منها معناها ومغزاها بل يجعلها لا حيَّة ولا ميّتة وبذلك يتضح للقارئ مدى تغلغل الفساد النحوى فى بنية اللغة ودلالتها ونسيجها.

ومما يترتب على ما سبق بيانه من نص الشهابى وجود تناقض فى المنهج النحوى حيث إنه يعترف بل يقرر أن (إنَّ) ولام التوكيد وما يناظرهما من أدوات التوكيد وأساليبه لا يجوز أن يتوهم أحد زيادته وفى الوقت نفسه يقرر أن الكلمات التى زعموا زيادتها تفيد التوكيد. فلماذا هذا التناقض ؟ لست أدرى ؟!

بل إننا نريد تأكيد فساد هذا المنهج بأن معنى التوكيد فى (إنّ) ولام التوكيد واضح ثابت على حين نرى ما ذكـــروه فى الباء من (ليس محمد بقائم) أو (من) فى (ما جاء من رجل) غير واضـــــح إذ ما معنى دلالة الباء أو (من) عليه مع أنها زائدتان.

ثالثاً: كل ما سبق يجعلنا نأبى كل الإباء وننأى كل النأى عن دعوى زيادة بعض كلمات اللغة وسواء فى ذلك القرآن وغيره؛ لأننا بذلك نحكم على ما لا يحصى من كلمات القرآن وغيره بالزيادة. وفى ذلك جناية على لغة مقدسة نزل بها آخر رسالات السماء على خاتم الرسل والأنبياء وهو المصطفى محمد ﷺ. فالمنهج الذى يليق بجلال القرآن وجماله وكماله هو محاولة إدراك معنى كل كلمة فى القرآن وإن لم ندركه قلنا: الله أعلم.

النحاة والزيادة فى القرآن

لعل القارئ قد اطمأن قلبه واقتنع عقله ورضى عن أن اللائق بجلال لغة العرب هو البعد بها عن مزالق الشبه ومواطن الزلل وأعظمها خطرا وأخطرها شررا هو زعم زيادة بعض كلماتها مع أن طبيعتها تنأى عن اللغو بل تتعالى عليه.

وإذا ثبت هذا فى اللغة على وجه العموم تحتم ثبوته فى أعلى درجات اللغة مكانة وأقواها حجة وأعظمها حكمة وأقواها تركيبا. ألا وهو كتاب الله العزيز الحميد. الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وهل زعم زيادة بعض كلماته إلا باطل ليس فيه رائحة الحق.

ومما ينبغى التنبيه إليه أننا قصرنا عنوان هذه الفقرة على النحاة لأن بحثنا نحوى يدور فى فلك القرآن. ومع هذا ينبغى أن نقرر أن غير النحاة قد سلك مسلكهم. فالذى يقرأ فى معاجم اللغة أو كتب البلاغة أو شروح دواوين الشعر يرى أن علماء المعاجم والبلاغة والأدب .... إلخ. يضربون بسهم وافر فى القول بزيادة بعض كلمات اللغة فى القرآن غير أنهم جميعا يرمون بسهم النحاة ويصدرون عن فكرهم لأن الإعراب إنما هو مصدر زعم زيادة بعض الكلمات وإنما النحو هو الإعراب والبناء فكل من له صلة بدراسة اللغة من أى جانب لابد له من الوقوع فى هذه الزلة ألا وهى زلة دعوى الزيادة.

وقد عقدنا هذه الفقرة لنظهر الحق ونبرز الحقيقة بالنسبة للقرآن الكريم لأنه موضوع دراستنا وموضع اهتمامنا والمقصود الأول والآخر ببحثنا وأما ما ذكرناه آنفا فهو دفع لما عساه يدور بخَلَد إنسانٍ ما من أن هناك فرقا بين القرآن وغيره فإذا جاز لنا أن نزعم زيادة كلمة فى غير القرآن امتنع ذلك فيه. وهذا ما حدث فعلا بل

إنه باق فى بعض الكتب إلى الآن تسطره الأقلام ثم تطبعه المطابع وتطالعه الأعين وتسمعه الآذان وتتحرك به الأفهام.

ولقد رأينا بعض النحاة يسلك هذا المسلك الغريب فبينما يعترفون بأن فى القرآن كلمات زوائد يتحاشون إطلاق كلمة (زائد) عليه بل تارة يقولون : صلة. وأخرى يقولون: سيف خطيب. وثالثة يقولون: دخولها كخروجها. ورابعة يقولون: لغو. وخامسة يقولون: فضل.

ولعلك تلحظ التأنق فى هذا التعبير الأخير. لأن مادة (فضل) تدل على زيادة فى الخير. ومن يطلق هذا على الحرف الزائد يعنى معنى الزيادة فقط فكأنه بذلك ينكر جزءا من معنى الكلمة.

وفى ذلك يقول ابن هشام: "وينبغى أن يجتنب المعرب أن يقول فى حرف من كتاب الله: زائد. لأنه يسبق إلى الأذهان أن الزائد هو الذى لا معنى له. وكلام الله تعالى منزه عن ذلك. وقد وقع هذا الوهم للعالم فخر الدين الرازى فقال: المحققون على أن المهمل لا يقع فى كتاب الله. فأما (ما) فى قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ ١٥٩ آل عمران. فيمكن أن تكون استفهامية للتعجب والتقدير: فبأى رحمة من الله. انتهى.

والزائد عند النحويين الذى لم يؤت به إلا لمجرد التقوية والتأكيد لا المهمل. وكثير من المتقدمين يسمون الزائد: صلة. وبعضهم يسميه مؤكدا وبعضهم يسميه لغوا. لكن اجتناب هذه العبارة فى التنزيل واجب"[1].

---

(١) الإعراب عن قواعد الإعراب مخطوط ورقة ٣٥.

قال الكافيجى: "فإن قلت : من أين علم أن هذا الوهم وقع للإمام فخر الدين الرازى ؟ قلت: من أمرين:

الأول: أنه نقل إجماع الأشاعرة على عدم وقوع المهمل فى كتاب الله وهو عين الإجماع على عدم وقوع الزائد فيه. إذ الزائد بهذا المعنى هو عين المهمل. فلو لم يقع له هذا الوهَم لما احتاج إلى التعرض لهذا الإجماع.

الثانى: أنه جعل (ما) فى قوله تعالى: "فبما رحمة من الله" استفهامية بمعنى التعجب كقوله تعالى: ﴿ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ﴾ ٢٠ النمل.

والظاهر أن هذا الوَهَم لا يقع لواحد من العلماء فضلا عن أن يقع لمثل الإمام فخر الدين . وإنما أنكر إطلاق القول بالزائد إجلالا لكتاب الله[١].

وهذا الدفاع من الكافيجي عن الرازى يدينه ويوقعه فى التهمة التى برأ نفسه منها لأنه ينطوى على أن الرازى يعترف بالزائد فى القرآن غير أنه يتحاشى إطلاق كلمة (زائد) عليه إجلالا له. ولو كان الأمر كذلك لما دعا الداعى إلى دعوى ابن هشام ضده.

وإذا كان هناك من يتحاشى إطلاق لفظ: زائد على القرآن فهناك من يجوز ذلك. قال ابن الخشاب: "اختلف فى جواز إطلاق الزائد فى القرآن. فالأكثرون على جوازه نظرا إلى أنه نزل بلسان القوم ومتعارفهم. ولأن الزيادة بإزاء الحذف : هذا للاختصار والتخفيف. وهذا للتوكيد والتوطئة.

ومنهم من أبى ذلك وقال: "هذه الألفاظ المحمولة على الزيادة جاءت لفوائد ومعان تخصها فلا أقضى عليها بالزيادة.

---

(١) شرح الإعراب عن قواعد الإعراب ورقة ٣٥.

والتحقيق أنه إذا أريد بالزيادة إثبات معنى لا حاجة إليه فباطل لأنه عبث. فتعين أن إلينا به حاجة. لكن الحاجة إلى الأشياء قد تختلف بحسب المقاصد. فليست الحاجة إلى اللفظ الذى عده هؤلاء زيادة كالحاجة إلى اللفظ المزيد عليه أ.هـ"(١).

ومقتضى هذا أن يكون استعمال الكلمة فى النص القرآنى – بل العربى على وجه العموم – ذا منازل متنوعة. فهو إما ذو منزلة رفيعة وإما ذو منزلة وضيعة. ولست أدرى مصدرا لذلك التنويع الذى يترتب عليه الحكم على بعض الكلمات بالزيادة. وإنما الذى أدريه وأثق به أن الكلمة إذا وضعت فى أسلوب لزم احتياجه إليها وعدم استغنائه عنها.

وهذا ما جعل السيوطى يعقب على النص السابق بقوله: "وأقول : بل الحاجة إليه كالحاجة إليه سواء – أى لا تفاوت بين ما يزعم أنه زائد وغيره – بالنظر إلى مقتضى الفصاحة والبلاغة. وأنه لو ترك كان الكلام دونه – مع إفادة أصل المعنى – أبتر خاليا عن الرونق البليغى. لا شبهة فى ذلك. ومثل هذا يستشهد عليه بالإسناد البيانىّ الذى خالط كلام الفصحاء وعرف مواقع استعمالهم وذاق حلاوة ألفاظهم.

وأما النحوى الجافى فعن ذلك بمنقطع الثرى"(٢).

ومَنْ مِنَّا يرضى أن يكون: نحويا جافيا؟ لا أحد. بل إننى لا أستطيع – ولن يستطيع أحد – أن أتهم أحدا بأنه جاف. لأن النحو هو البلاغة. أليس هو البحث فى نسيج اللغة والحكم على مفرداتها فى الأساليب. إما بالملائمة والموائمة وإما بالغربة والقلق والاضطراب والتنافر بينها؟: فالنحوى هو الذى ينقد النص ويحكم عليه

(١) الإتقان ١/ ١٨٢.

(٢) الإتقان ١/ ١٨٢.

بالجودة أو الرداءة. ثم يوضح العلاقة بين معناه والمقام الذى يرد فيه فإن استوفى شروط الجودة رضى عنه وأقره وإلا فلا.

ومن بهذه المنزلة يأبى بنفسه وينأى بها عن أن يكون غليظ الحس. جافى الطبع لا تتوفر فيه صفات الناقد البصير.

ومع أننا نقرر ذلك ولا نرضى به بديلا لا يمنعنا هذا من ذكر نماذج لآيات قرآنية زعموا فيها الزيادة. لنكشف هذا الزعم ونزيح ذلك الوهم.

نماذج قرآنية زعم فيها الزيادة:

وبين يدي هذه النماذج أقول : إننى لم أنكر ضمنها آيات (مِنْ) التى زعموا زيادتها لأننا خصصناها بهذا الفصل وستأتى أساليبها المتنوعة بحسب الأبواب النحوية.

١-قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ ٩٦ يوسف وقوله: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ ٣٣ العنكبوت.

مما نعجب له فى هذا أننا قرأنا للأستاذ الدكتور عبد الرحمن تاج بحوثا قيمة حول قضية الزيادة فى القرآن وقد سبق التنويه بها وذكر نماذج منها: وهنا نراه يقول: "إننا لا نمنع أن تقع فى القرآن كلمات زائدة يقصد بها معان خاصة كتوكيد حكم بنفى أو إثبات. فإن ذلك واقع وكثير وهو من الحقائق التى لا شبهة فيها (كذا) فمن ذلك كلمة (أن) بعد (لما) فى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ ٩٦ يوسف ... نحن لا نمنع شيئا من ذلك"[١].

---

(١) مجلة الأزهر ع شوال سنة ١٣٨٦هـ ص ٧٦٠.

وكنا نود من أستاذنا الفاضل أن يكشف لنا معنى (التوكيد) فى (أن) هنا. إننا نعلم أن (لمَّا) حينية أى بمعنى (حين) عند بعضهم فهل يوجد هذا المعنى فى (أن) ومما ندهش له ومنه هنا أن أستاذنا الدكتور تاج قد رجع فى بحوثه القيمة إلى (كشاف) الزمخشرى. ولست أدرى ما منعه أن يرجع إليه فى مثل هذه الآية.

وهى آية العنكبوت التى ذكرناها آنفا. ولو رجع لوجد نصه هكذا: "أنْ: صلة – أى زائدة – أكدت وجود الفعلين مترتبا أحدهما على الآخر – يعنى : مجئ الرسل ومساءة لوط بهم وضيق ذرعه – فى وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كأنهما وجدا فى جزء واحد من الزمان. كأنه قيل كما – الصواب: لمَّا – أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خِيفَةً عليهم من قومه"[1].

أقول: لو قرأ الأستاذ تاج هذا النص لوجد فيه من التناقض غير اللائق بالزمخشرى ما لا يخفى لأنه زعم فى مستهل كلامه زيادة (أن) غير أنه عبر عن ذلك بقوله (صلة) . ثم زعم أن (أن) أكدت وجود الفعلين مترتبا أحدهما على الآخر ... إلى آخر النص. وكان عليه أن يستبدل بقوله (أكدت): (أثبتت)؛ لأن التعقيب الذى أفادته (أن) ليس مدلولا عليه بـــ (لمَّا) وهى قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ﴾ ٣١ العنكبوت.

ولابد من فرق بينهما ومحور الفرق هو ذكر (أن) فى آية لوط وعدم ذكرهـــا فى آية إبراهيم.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٥٦.

ومما يثبت أن الزمخشرى قد ذكر وجهين لـــ (أن) هما: أنها صلة أى زائدة وأنها تثبت معنى الترتيب والتعقيب: قول ابن هشام: "قال أبو حيان: وزعم الزمخشرى أنه ينجر مع التوكيد معنى آخر فقال فى قوله: (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سئ بهم) دخلت (أن) فى هـــذه القصة. ولم تدخل فى قصة إبراهيـــم فى قوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾ ٣١ العنكبوت. تنبيها وتأكيدا على أن الإساءة كانت تعقب المجئ فهى مؤكدة فى قصة لوط للاتصال واللزوم. ولا كذلك فى قصة إبراهيم إذ ليس الجواب فيها كالأول"(١).

والتعبير هنا بـــ (زعم الزمخشرى) لعله ينْصَبُّ على دعوى الزيادة. أما إفادة (أن) الترتيب والتعقيب فلا يليق به (زعم) لأنه يثبت لـــ (أن) معنى لا يوجد إلا بها فمن ثم وجدت فى قصة يوسف وقصة لوط هنا فى العنكبوت. ولم تذكر فى قصة إبراهيم هنا ولا فى قصة لوط فى آية هود وهى قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ ٧٧. مما يثبت أن الكلمة توضع حيث يطلبها المقام وترفع حيث يستلزم المقام رفعها.

وقد ذكر أبو حيان ما يثبت أن (أن) للترتيب والتعقيب لا للتوكيد. حيث يقول عن نص الزمخشرى: "وهذا الذى ذكره فى الترتيب هو مذهب سيبويه إذ مذهبه أن (لمَّا) حرف لا ظرف خلافا للفارسى"(٢).

---

(١) المغنى بحاشية الأمير ١/ ٣٣.

(٢) البحر المحيط ٧/ ١٥٠.

وسواء قلنا بأنها ظرف أو بأنها حرف لا يجوز لنا – ولا لسوانا – أن يزعم زيادة (أن) إذ لا دلالة لـــ (أن) على الظرف ولا على معنى (لمَّا) إذا كانت حرفا لأنها بالشرط أشبه.

هـــذا: وقد تناول الأستاذ على النجدى ناصف الفرق بين ذكر (أن) وعدم ذكرها فى آيتى لوط من سورتى هود والعنكبوت بالتحليل والتفصيل بما لا يخرج عما ذكرناه فليرجع إليه القارئ إن شاء"(١).

والخلاصة: أننا نستنتج من استعمال القرآن لـــ (أن) فى مقام عدم ذكرها فى آخر أنه إذا قصد الدلالة على التعقيب مع الترتيب ذكرت (أن) بعد (لماً) وإلا فلا.

٢-قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ ١٥٩ آل عمران.

مما ذكره أستاذنا الدكتور عبد الرحمن تاج أن (ما) فى هذه الآية زائدة(٢).

وهو ليس بدعا فى ذلك بل سُبِق بغيره كما هو مشهور ومعروف وإن كان غير مُسَلَّم ولا مألوف. وممن ذكر أنها زائدة الإمام أبو حامد الغزَّالى. وأنكره عليه ابن الأثير قائلا: "ومن ذهب إلى أن فى القرآن لفظا زائدا لا معنى له فإما أن يكون جاهلا بهذا القول وإما أن يكون متسمحا فى دينه واعتقاده".

ولكنه مع ذلك أبى إلا السير فى ركاب المشهور عن النحاة فقد أردف قائلا: "وقول النحاة: إن (ما) زائدة فى هذه الآية فإنما يعنون بها إنها لا تمنع ما قبلها عن العمل. كما يسمونها فى موضع آخر كافة أى أنها تكف الحرف العامل عن عمله"(٣).

---

(١) انظر: كتاب (من قضايا اللغة والنحو ص ٧، ٨).

(٢) انظر مجلة الأزهر ع شوال سنة ١٣٨٦هـــ ص ٧٦٠.

(٣) المثل السائر ص ١٤٥.

والقياس الذى ذكره ابن الأثير غير جدير بالقبول إذ الفرق واضح بيِّن بين (ما) فى قولـــه تعالـــى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ ١١٠ الكهف. وفى قولـــه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ إذ الأولى لها أثر فى اللفظ والمعنى. وأما الثانية – على ما ذكره ابن الأثير – فليس لها أثر لا فى اللفظ ولا فى المعنى مما يثبت أنها لا فائدة فيها فيكف يتسنى لابن الأثير التسوية بينهما ؟!

هذا: وربما يقال: إن دعوى الزيادة هنا تساوى دعوى الحذف الذى جعله العلماء من المجاز كما فى قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ ٨٢ يوسف إذ أصله : وسئل أهل القرية. فحكم (القرية) الخفض ولما حذف المضاف أخذ المضاف إليه حكمه وهو النصب. فالنصب مجاز.

هكذا قرر عبد القاهر فى كتابه (أسرار البلاغة) تحت عنوان: فصل: فى الحذف والزيادة وهل هما من المجاز. ثم عاد فناقشه بما يثبت عدم جوازه. ثم عقب بقوله: "وإذا صح امتناع أن يكون مجرد الحذف مجازا .... علمت منه أن الزيادة فى هذه القضية كالحذف فلا يجوز أن يقال: إن زيادة (ما) فى نحو (فبما رحمة) مجاز أو أن جملة الكلام تصير مجازا من أجل زيادته. وذلك: أن حقيقة الزيادة فى الكلمة أن تعرى من معناها وتذكر ولا فائدة لها سوى الصلة ويكون سقوطها وثبوتها سواءً ومحال أن يكون ذلك مجازاً لأن المجاز: أن يراد بالكلمة غير ما وضعت له فى الاصل.."(١).

---

(١) أسرار البلاغة ص ٤٥٧: ٤٥٩.

فعبد القاهر يحطب فى حبل جمهور النحاة حيث لا يمنع من زيادة (ما) لمجرد أنها تفيد التوكيد. ولم يوضح معنى هذا التوكيد. وهذا ما قرره ثعلب حيث قال: "فبما رحمة من الله: يقول أهل البصرة: توكيد فــإذا ســئلوا كيف هى توكيد ؟ يقولون : لا ندرى"(١).

أرأيت أعجب من هذا ؟! ومما يزيدنا تعجبا منه بل إنكارا له أننا وجدنا النحاة يقررون فى قولهم: مررت بما معجبٍ لك: لأن (ما) نكرة بمعنى (شئ) أى شئ معجب لك: ولست أدرى ما المانع من جعل (ما) فى الآية بهذا المعنى أى بشئ رحمة من الله. وقد ذكره الصبان فى قوله تعالى: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ ﴾ ٢٥ نوح وقوله: ﴿ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾ ٤٠ المؤمنون. وقوله: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ ﴾ حيث قال: "ما : اسم بمعنى (شئ) وما بعدها بدل"(٢).

وهذا نظير ما سبق ذكره عن الرازى من أنها تعجبيه و (رحمة) بدل منها.

٣-قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ ٤٦ فصلت. ومثــله قولــه تعالى: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ ﴾ ٣٦ الزمر.

وقد سبق عن أستاذنا الدكتور تاج أن الباء زائدة فى مثل هاتين الآيتين. ومثلها قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ ١٧ يوسف. وغيره كثير فى القرآن وقد زعم النحاة فيه زيادة الباء. ولم يرض ذلك الراغب حيث قال:

(١) مجالس ثعلب ق ص ٢٤٩١.

(٢) حاشية الصبان على منهج السالك للأشمونى ٢/ ٢٣٧.

"وربما قالوا: الباء زائدة ثم راح يوضح الفرق بين نص الآية وقولنا: وما أنت مؤمنا لنا قائلا: "فالمقصود من الكلام إذا نصبت ذات واحدة. كقولك: زيد خارج. والمقصود منه إذا قيل: وما أنت بمؤمن لنا ذاتان كقولك: لقيت بزيد رجلا فاضلا. فإن قوله (رجلا فاضلا) – وإن أريد به زيد – فقد أخرج فى معرض يتصور منه إنسان آخر وعلى هـذا: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ١١٤ الشعراء(١).

فالراغب هنا يخرج هذه الآيات على أن الباء للتجريد المعروف فى علم البلاغة ومعناها السببية أو المصاحبة(٢).

ولعل الذين درسوا التجريد فى البلاغة لم يدر بَخلَد أحدهم أن نصوص علمائها ذات جذر عميق فى كتاب سيبويه وهذا مما يثبت ثبوتا قويا أن البلاغة ذات أصل أصيل فى النحو فإنها نابتة منه. اقرأ معى قول سيبويه: "وأما قول العرب: أنت منى مرأى ومسمع فإنما رفعوه لأنهم جعلوه هو الأول حتى صار بمنزلة قولهم: أنت منى قريب ... وقد زعموا – أى قالوا – أن بعض الناس ينصبه .. وهو قليل كأنهم لما قالوا: بمرأى ومسمع صار غير الاسم الأول فى المعنى واللفظ شبهوه بقوله: هو منى بمنزلة الولد"(٣).

وشرح السيرافى ذلك بقوله: "يريد أنهم لما رفعوه جعلوه الأول كما قالوا: زيد منى قريب. ومن العرب من ينصب فيقول: مرأىً ومسمعاً فجعله ظرفا لأنهم لما

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص ٧٠.

(٢) انظر بغية الإيضاح ٤/ ٤٤ ومفتاح البلاغة ص ١٤٦.

(٣) الكتاب ١/ ٤١٥: ٤١٦.

قالوا: بمرأى مسمع فدخلت عليه الباء صار غير الاسم الأول. فإذا صار غيره ولا يأتيه نصب نُصِبَ على الظرف كما تقول : أنت منى مكان زيد أو بمكان زيد"(١).

فأنت ترى أنه مما لا شك فيه أن نصى سيبويه والسيرافى هما أصل ما جاء فى كتب البلاغة وقد فسروه بالتجريد أى تجريد شئ من شئ فيصير الشئ كأنه شيئان. فإذا قلت: لى منك صديق حميم فأنت تعنى المخاطب غير أنك جردت منه مخاطبا آخر فكأنه صار رجلين متلازمين إذ يلزم من مخاطبة أحدهما مخاطبة الآخر.

والذى أراه فى تلكم النصوص أن وجود الباء يترتب عليه تعدد المتحدث عنه بمعنى أن يكون المراد بالأسلوب شيئين لا شئ واحد. وعليه تكون الباء للتشبيه ففى قوله تعالى: "وما أنت بمؤمن لنا" يكون المعنى: ما أنت تشبه مصدقا لنا فكيف تكون مصدقا لنا ؟! وفى هذا عمق فى المعنى لا يوجد على الرفع (وما أنت مؤمن لنا). وكذا قولهم: هو منى بمنزلة الولد. أى منزلته مثل منزلة الولد. وزيد منى بمرأي ومسمع أى هو مثل الذى أراه وأسمعه ... إلى غير هذا.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ ١٩٤ البقرة . أى مثل الشهر الحرام. يقول الزمخشرى: "أى هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه. يعنى: يهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم ... وأكد ذلك بقوله: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ "(٢).

ومما يؤيد ويؤكد دلالة الباء على التشبيه أنها حرف شفوى كالميم فى (مثل) و(مِنْ) و (مع) وقد عرفنا أن هذه الكلمات تستعمل للتشبيه بناء على أن معنى بعض

---

(١) هامش الكتاب ١/ ٤١٥.

(٢) الكشاف ١/ ١٧٩.

مفردات اللغة قد يكمن فى صوت أول حرف منها. وفضلا عن ذلك فإن الباء تتفق فى الصفة مع الكاف التى هى للتشبيه. يقول الباقلانى: "تنقسم الحروف إلى قسمين أحدهما حروف غير شديدة وحروف شديدة وهى التى تمنع الصوت أن تجرى فيه وهى الهمزة والقاف والكاف والجيم والظاء والذال والطاء والباء"(١).

ولعل ذلك هو أصل استعمال الباء للتشبيه فى اللغة العامية فكم سمعنا – وكم نسمع – قولهم اشتريت ثوبا بلون الزرع. ورأيت خدودا بلون الورد ... إلى غير ذلك وبهذا كله يثبت أن الباء الواقعة بعد (ما) و (ليس) لا دلالة لها على النفى بل هى للتشبيه وعليه فهى غير مؤكده لمعنى النفى فيهما بل مؤسسة لمعنى التشبيه. وهذا يتفق وينطبق على أن الأصل فى الكلمة أن تكون مؤسسة لمعنى جديد لا مؤكدة لمعنى غيرها. وخاصة إذا كان هذا التأسيس مما يزيد المعنى عمقا ودقة وثبوتا. ولكنى مع ذلك رأيت المَحَدثين الذين ينهجون فى دراسة اللغة العربية منهجا جديدا وافدا من الغرب وهو (مقارنة اللغات وقانون التطور) ومن هؤلاء الدكتور إبراهيم أنيس. فقد رأيته يأبى إلا أن تكون الباء فى سياق (ما) و (ليس) للنفى حيث يقول: "واعتبار الباء من أدوات النفى ليس بالغريب على اللغات السامية فقد رأيناها فى الأداة العبرية المركبة (بِلتى) وسنراها فى (بل و بلى) العربيتين. وسواء كانت هذه الباء تطورا للميم لما بينهما من علاقة صوتية ولما نعهده من قلب إحداهما إلى الأخرى فى كثير من الظواهر اللغوية وفى اللهجات العربية القديمة أو كانت أصلا مستقلا لتكرار الميم أو النون أو اللام"(٢).

---

(١) إعجاز القرآن هامش الإتقان ١/ ٦٧.

(٢) من أسرار اللغة ص ١٧٩: ١٨٠.

فهو بذلك لم يخرج عن دائرة المشهور عند نحاة العربية وقد علمت أن دلالة الباء على التشبيه أعمق فى المعنى وأدق فى الدلالة وأوجز فى اللفظ. وحسبك أن تطبقه على قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ ٧٤ البقرة فالله لا يشبه غافلا فكيف يكون هو غافلا ؟؟ وعلى هذا فقس ولا تكن عبداً للتقليد.

٤- قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ ٧٣ الزمر.

وممن ذكر زيادة الواو فى هذه الآية ابن جنى ونسبه إلى الكوفيين حيث قال: "ومن ذلك ما يدعيه الكوفيون من زيادة واو العطف نحو قول الله – عز وجل – (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) قالوا: الواو هنا زائدة مُخْرَجَة عن العطف. والتقدير عندهم فيها: حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها"[١].

وقد أخذ بهذا الرأى الدكتور عبد العال سالم فى رسالته: "القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية" ففيها فصل عنوانه (نماذج من النحو القرآنى) قال فيه: "ثالثا: فى الحذف والزيادة. ثم نقل قول ابن جنى: اعلم أن الحروف لا يليق بها الزيادة ... ثم قال: "والقرآن الكريم لا يحفل بأقيسية النحاة ولا بالأصول التى وضعوها فمن الحروف الزوائد فى القرآن:

١- زيادة الواو فى (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) قال ابن جنى: الواو هنا زائد ... إلى آخر النص الذى ذكرناه[٢].

---

(١) الخصائص ٢/ ٤٦٢.

(٢) القرآن وأثره فى الدراسات النحوية ص ٣١٢.

وبالتأمل فى هذا النص نجد فيه عدة مغالطات:

(أ) **المغالطة الأولى:** فى نص ابن جنى لأنه مبدوء بقول ابن جنى: "ومن ذلك ما يدعيه الكوفيون من زيادة واو العطف ...".

فالتعبير يوحى من أول وهلة أن ابن جنى يجعل من يرى زيادة الواو مدعيا أى زاعما شيئا باطلا لا يليق بجلال القرآن.

(ب) **المغالطة الثانية:** أنه جعل دعوى زيادة الواو من أثر القرآن فى الدراسات النحوية. ولست أدرى كيف استساغ ذلك لنفسه ثم كيف فات هذا على لجنة المناقشة ؟

هل القرآن هو الذى أوحى إلى الكوفيين بأن يزعموا زيادة الولو أو غيرها من الكلمات.

إن من تقول ذلك يكون مجرد من البدهيات التى ينبغى توفرها فى الباحث والدارس. وأول هذه البدهيات أن القرآن نزل بلسان عربى مبين وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وما هذا شأنه يلزم – بداهة – أن يكون منزها عن دعوى الزيادة لأنها فى قمة الدعاوى الباطلة فهو باطل لا محالة.

(جـ) **المغالطة الثالثة:** أنه ذكر فى نهاية نص ابن جنى قوله: "وزيادة الواو أمر لا يثبته البصريون" وبهذه الجملة يثبت أحد أمرين للباحث لأنه إما وَعَى معناها فكان يلزمه مناقشة مذهب الكوفيين لا لأنه كوفى بل لأنه خلاف الأصل إذ الأصل فى الأساليب – ولو غير قرآنية – أن تكون مجردة عن اللغو والحشو. وبهذا يلزمه تغيير منهجه وتبديل موقفه لأنه: لو جابهه أحد وواجهه بأن كلامه

يشتمل على زائد وزيادة لما فات ذلك بسلام. فهل كلامه يشتمل على الدقة والإحكام دون كلام الله ولابد من التفكير فى ذلك.

والأمر الثانى: أنه قد مر على تلك الجملة مرور الكرام باللغو. وهذا أمُّر الأمرين إذ الشأن فى الباحث أن يرقب الكلمة مع الكلمة والكلمة فى مكانها وبعد ذلك يتأمل المعنى تأملا عميقا مميزا فاحصا حتى يقف على سر كل كلمة فى الأسلوب. أقول لو فعل ذلك لعَّدل سلوكه البحثى ومنهجه الدراسى. ولم يكن فى ذلك محتاجا إلى مشقة وبذل مالا يقدر عليه لأن البصريين قد أراحوا واستراحوا وجعلوا للواو قيمتها وحافظوا على قْدرها ونأوا بالنص عن مزالق السالك وجعلوه فى القمة من الإيجاز الذى لا يليق به زيادة إذ من البدهى أن الإيجاز هو: الوصول إلى غاية المعنى ولمَّا يطل سفر الكلام.

وهذا ما ذكره ابن جنى حيث قال: "لكنه عندنا على حذف الجواب أى: حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها كذا أو كذا صُدِقوا وعدهم. وطابت نفوسهم[١].

وأظن – إن لم أستيقن – أن الدكتور عبد العال سالم يدرك تمام الإدراك أن الإيجاز سمة لازمة للقرآن ولم يستطع أحد أن يحوم بشبهة حولها حتى قرر أستاذنا الدكتور محمد عبد الله دراز : أن القرآن كله إيجاز[٢].

فكيف يكون كله إيجازاً ثم يتسنى لأحدٍ ما أن يزعم فيه زيادة. مع أن هذا الزعم مردود مقهور على حين لم نر شبهة من أحد حول (الإيجاز فى القرآن).

---

(١) الخصائص ٢/ ٤٦٢.

(٢) انظر النبأ العظيم ص ١٤٠: ١٤٤.

فأيهما أكرم للباحث الدارس أن يكون في صف المدققين المحققين وهم البقية الباقية إلى يوم الدين أم يكون في صفوف الزاعمين الواهمين المدعين.

والذى يملأ النفس يقينا والعقل إطمئنانا أننا وجدنا مَنْ قيَّضه الله لإعلان كلمة الحق فى الواو. ألا وهو أستاذنا الدكتور تاج فقد قرر وأثبت فى بحثه الواو فى القرآن أنها لا تكون زائدة مطلقا لا فى القرآن ولا فى غيره ونص كلامه: "إن الواو لا تكون فى حال من الأحوال زائدة لا فى الكتاب العزيز ولا فى شئ من الكلام العربى الفصيح"(١).

ثم ذكر أن الطبرى والرازى والنسفى والجلال المحلى والزمخشرى وأبا السعود والنيسابورى والألوسى كل هؤلاء اتفقوا على أن جواب الشرط فى الآية محذوف للعلم به ودلالة المقام عليه. أو لأنه شئ بلغ من العِظم والفخامة مبلغا لا يحيط به الوصف .. ثم قال: إن مذهب النحويين الذين يجيزون أن تقع الواو زائدة فى بعض آيات الكتاب الحكيم لا وجه له ولا سند يؤيده وليس له شاهد من كلام فصيح"(٢).

وخلاصة ذلك كله أن دعوى زيادة الواو باطلة إذ لا سند لها ولا دليل عليها ولا قائل به إلا من يُخْلِدِ إلى الراحة والرضا بما يقال ولو كان من قبيل المحال.

وبهذا يثبت أن فى الآية إيجازا والإيجاز بلاغة لأنه اعتراف بقيمة العقل فى الدراسة القرآنية.

وهناك من يرى أن الواو ليست عاطفة لجملة على جملة بل هى للحال فقد ذكر ابن هشام: "أنها للحال أى جاءوها مفتحة أبوابها كما صرح بـــ (مفتحة) حالا

---

(١) مجلة الأزهر ع المحرم سنة ١٣٨٨هـــ ص ٥.

(٢) مجلة الأزهر ع صفر سنة ١٣٨٨هـــ ص ٨٥: ٨٨.

فى قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴾ ٥٠ ص. وهذا قول المبرد والفارسى وجماعة. قيل: وإنما فُتِّحت لهم قبل مجيئهم إكراما لهم من أن يقفوا حتى تفتح لهم"(١).

وأضيف أن رائحة النعيم نعيم. كما أن فجأة الهول هول. ومن ثم وردت آية جهنم قبل آية الجنة بدون الواو ونصها: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ ٧١ الزمر. ففى هذا مفاجأة العذاب وهى عذاب. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ ٣٩ النور.

٥- قوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ ﴾ ١٧٣ البقرة.

ذكر الإمام رشيد رضا أن الجلال يرى أنها زائدة فى الآية ثم قال: "استنكر الإمام ذلك واستكبره كعادته. فإنه يُخطِّئ كل من يقول: إن فى القرآن كلمة زائدة أو حرفا زائدا. ولذا بين فائدة (مثل) وهى : أن أهل الكتاب يَّدعون حلول الله فى بعض البشر وكون رسولهم إلها أو ابن الله(٢) .... فالذى يؤمنون به فى الله ليس

---

(١) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ٣٥: ٣٦.

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾ ٣٠ التوبة.

مثل الذى نؤمن به. فنحن نؤمن بالتنزيه. وهم يؤمنون بالتشبيه وعلى ذلك القياس. فلو قال (فإن آمنوا بالله وبما أنزل على أولئك النبيين وأوتوه فقد اهتدوا لكان لهم أن يجادلـونا بقولهم: إننا نحن المؤمنون بذلك دونكم. ولفـظ (مثل) هو الذى يقطع عرق الجدل)(١).

وربما يحتج القائل بزيادة (مثل) بقراءة ابنى عباس ومسعود (بما آمنتم به) وبقراءة أبَىّ (بالذى آمنتم به) (٢).

وأقول له: يقول الإمام محمد عبده: "ولو كانت القراءة (فإن آمنوا بما آمنتم به) كما روى عن ابن عباس فى الشواذ لكان الأولى أن يقدر (المثل) فكيف نقول – وقد ورد لفظ (مثل) متواترا – إنه زائد"(٣).

٦- قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ١١ الشورى.

وإنما ذكرت هذه الآية لمناسبة بينها وبين سابقتها إذ قد زعم زيادة (مثل) هنا كما زعم هناك. حيث قال ابن عطية فى آية البقرة: "وقيل: (مثل) زائدة كما هى فى قوله تعالى: (ليس كمثله شئ) (٤).

ولست أدرى كيف يكون صياغة الآية لو حذفنا (مثل) ؟ أتكون : ليس كشئ؟ وما معنى هذا ؟ ربما يقال: إن معناه: ليس مثل شئ أى أنه لا يشبه شيئا وكيف

---

(١) تفسير القرآن الحكيم ١/ ٤٨٥.

(٢) انظر الكشاف ١/ ١٤٦.

(٣) تفسير القرآن الحكيم ١/ ٤٨٥.

(٤) انظر المحرر الوجيز ١/ ٢١٥.

يشبهه وقد خلقه ؟ أيشبه الخالق مخلوقه ؟ ومع هذا نرى أن المشهور فى الآية أن الكاف هى الزائدة وهذه الدعوى ملء السمع والبصر واللسان والقلم فحيثما وليت وجهك شطر كتاب من كتب النحو أو البلاغة وجدت تلك الدعوى تأخذ بناظريك وأذنيك وتملأ حسك وعقلك ولكن لا يطمئن بها قلبك إذ لا تلبث أن تغمض عينيك وأن تصم أذنيك وأن تفرغ عقلك وأن تنظف حسك من رجس هذه الدعوى ودنسها.

وإذا كنا نعلم أن الحق لا يعرف بالرجال بل تعرف الرجال بالحق فمن الواجب هنا أن نعيَ ما قرره أستاذنا الدكتور دراز فى تلك الدعوى الزائفة. فبعد أن ذكر المشهور وهو دعوى زيادة الكاف قال: "وقليل منهم من ذهب إلى أنه لا بأس ببقائها على أصلها إذ رأى أنها لا تؤدى إلى ذلك المحال – وهو أنها لو كانت غير زائدة كانت نافية الشبيه عن مثل الله فيكون ذلك تسليما بثبوت المثل لله سبحانه لا نصا ولا احتمالا لأن نفى مثل المثل يتبعه فى العقل نفى المثل أيضا.

وذلك: أنه لو كان هناك مثل لله لكان لهذا المثل مثل قطعا وهو الإله الحق نفسه فإن كل متماثلين يُعَدّ كلاهما مثلا لصاحبه. وإذاً لا يتم انتفاء مثل إلا بانتفاء المثل وهو المطلوب.

وقصارى هذا التوجيه – لو تأملته – أنه مصحح لا مرجح أى أنه ينفى الضرر عن هذا الحرف. ولكنه لا يثبت فائدته ولا يبين مسيس الحاجة إليه.

.... ولو رجعت إلى نفسك قليلا لرأيت هذا الحرف فى موقعه محتفظا بقوة دلالته. قائما بقسط جليل من المعنى المقصود فى جملته وأنه لو سقط منها لسقطت معه دعامة المعنى: أو لتهدَّم ركن من أركانه.

ونحن نبين لك هذا من طريقين أحدهما أدق مسلكا من الآخر.

(الطريق الأول): وهو أدنى الطريقين إلى فهم الجمهور: أنه لو قيل: ليس مثله شئ لكان ذلك نفيا للمثل المكافئ وهو المثل التام المماثلة فحسب إذ أن هذا المعنى ينساق إليه الفهم من لفظ المثل عند إطلاقه وإذاً لدب إلى النفس دبيب الوساوس والأوهام أن لعلَّ هناك رتبة لا تضارع رتبة الألوهية ولكنها تليها. وأن عسى أن تكون هذه المنزلة للملائكة والأنبياء ... إلى غير ذلك.

فيكون لهذه الأشياء شبه ما فى قدرته أو علمه وشِرْكٌ ما فى خلقه أو أمره. فكان وضع هذا الحرف فى الكلام إقصاءً للعالم كله عن المماثلة وعما يشبه المماثلة وما يدنو فيها. كأنه قيل: ليس هناك شئ يشبه أن يكون مثلا لله فضلا عن أن يكون مثلا له على الحقيقة.

وهذا باب من التنبيه بالأدنى على الأعلى على حد قوله: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ ٢٣ الإسراء. نهيا عن يسير الأذى صريحا وعما فوق اليسير بطريق الأحرى.

(الطريق الثانى): وهو أدقها مسلكا أن المقصود الأوَّلىّ من هذه الجملة وهو نفى الشبيه وإن كان يكفى لأدائه أن يقال: (ليس كالله شئ) أو (ليس مثله شئ) لكن هذا القدر ليس هو كل ما ترمى إليه الآيةَ الكريمة. بل إنها كما نريد أن تعطيك هذا الحكم نريد فى الوقت نفسه أن تلفتك إلى وجه حجته وطريق برهانه العقلى .... وهو أن حقيقة الكمال التام المطلق الذى هو قوام معنى الإلهية تأبى على العقل أن يقبل فيها المشابهة والأثنينية لأنك مهما حققت معنى الإلهية حققت مقدما على كل شئ وإنشاء لكل شئ ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ١١ الشورى, وحققت سلطانا على كل شئ وعلوًا فوق كل شئ ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ٦٣ الزمر.

فلو ذهبت تفترض اثنين يشتركان فى هذه الصفات لتناقضَتَ إذ تجعل كل واحد منهما سابقا مسبوقا ومنشِئاً منشأً ومستعليا مستعلىً عليه. أو لأحلت الكمال المطلق إلى كمال مقيد فيهما إذ تجعل كل واحد منهما بالإضافة إلى صاحبه ليس سابقا ولا مستعليا. فأنى يكون كل منهما إلها. وللإله المثل الأعلى.

أرأيت كم أفدنا من هذه لكاف وجوها من المعانى كلها شاف كافٍ ؟ فاحفظ هذا المثال وتعرَّف به دقة الميزان الذى وضع عليه النظم الحكيم حرفا حرفا"[1].

وهكذا نجد أن الكاف فى الآية هى سر قوتها ودقتها ودلالتها وحجتها وما هو كذلك لا يمكن الاستغناء عنه.

هذا· وتبقى كلمة فى إعراب هذه الآية. وأبادر فأقول: إن المشهور أن الكاف حرف وقد وجدت إعراب الآية عند علمائنا مبنيا على زيادة الكاف أو مثل[2].

والحق أن الكـاف اسـم لأنها بمعنى (مثل) والفرق بينهما فى معنى التشبيه أن الكـاف للتشبيه المقيد و (مثل) للتشبيه المطلق كما أشار إلى ذلك أسـتاذنا الدكتور دراز.

وعليه يكون إعراب الآية أن الكاف فى محل نصب خبر (ليس) وهى مضاف و (مثل) مضاف إليه. و (مثل) مضاف وعلامة الإضمار (الهاء) مضاف إليه و(شئ) اسم (ليس) أى ليس مثل مثله شئ. أى ليس هناك أدنى مشابهة بين الله و(شئ) من مخلوقاته. وبهذا تسلم الآية من دعوى كاذبة وهى زيادة الكاف أو مثل.

وأما ذكر خبر (ليس) من قبل اسـمها فذلـك للعنايـة والاهتمـام به كما يذكر المفعول قبل فعله نحو قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ٥ الفاتحة.

(١) النبأ العظيم ص ١٤٦ : ١٥١.

(٢) انظر التبيان ص ١١٣١ وغيره.

وبعد ففى هذه النماذج غنية عن الإستطراد بذكر سواها إذ منها نعلم علم اليقين الرد على من يزعم زيادة غيرها فلا مجال للشك فى أن بعض كلمات القرآن زائدة إذ لو ترك كان الكلام دونه أبتر كما سلف ذكره عن السيوطى. ومن ثم حمل أستاذنا الدكتور دراز حملة عنيفة – مثله فى ذلك مثل الإمام محمد عبده وغيره من الغُيرُ على كلام الله الذائدين عن حريمه المدافعين عن قدسيته – حيث يقول: "فليس فيه كلمة إلا وهى مفتاح لفائدة جليلة وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى. دع عنك قول الذى يقول فى بعض الكلمات القرآنية إنها (مقحمة) وفى بعض حروفه إنها (زائدة) زيادة معنوية. ودع عنك قول الذى يستخف كلمة (التأكيد) فيرمى بها فى كل موطن يظن فيه الزيادة. لا يبالى أن تكون تـلك الزيـادة فيها معنى المزيد عليه فتصلح لتأكيده أو لاتكـون. ولا يبالـى أن يكون بالوضع حاجـة إلى هذا التأكيد أو لا حاجة له به.

أجل: دع عنك هذا وذاك. فإن الحكم فى القرآن بهذا الضرب من الزيادة أو شبهها إنما هو ضرب من الجهل – مستورا أو مكشوفا – بدقة الميزان الذى وضع عليه أسلوب القرآن(١).

وخذ نفسك أنت بالغوص فى طلب أسراره البيانية على ضوء هذا المصباح فإن عَمِىَ عليك وجه الحكمة فى كلمة منه أو حرف فإياك أن تعجل كما يعجل هؤلاء الظّانون. ولكن قل قولا سديدا هو أدنى إلى الأمانة والإنصاف. قل: الله أعلم بأسرار كلامه ولا علم لنا إلا بتعليمه".

فهل بعد ذلك نستسيغ القول بأن هناك كلمة زائدة فى القرآن ؟!!

---

(١) النبأ العظيم ص ١٤٣ : ١٤٥.

مِنْ : ودعوى الزيادة

تمهيـــد:

فى النماذج السالفة ذكرت كلمات زعم بعض النحاة زيادتها ومن تلك الكلمات ما هو حرف نحو (أن) بعد (لمَّا) فى قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ ﴾ ٣٣ العنكبوت. ونحو واو العطف فى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ ٧٣ الزمر. ونحو الباء فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ٤٦ فصلت. وقوله: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ٧٤ البقرة, والكاف فى قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ١١ الشورى.

وقد عرفنا أن معنى الباء هو التشبيه كما حققنا اسمية الكاف التى بمعنى التشبيه ومن ثَمَّ يلزم اسمية الباء الدالة على التشبيه. فهى والكاف على قدم المساواة فى نوعها ومعناها.

ومن النماذج السالفة ما هو اسم بلا خلاف نحو (مثل) فى قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾ ١٣٧ البقرة. وكذا فى قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ١١ الشورى. على زعم زيادة (مثل) لا الكاف.

وبهذا ندرك أن دعوى الزيادة قد عمت بلواها واستشرى خطرها حيث تناولت بعض الأسماء وبعض الحروف بل هى لم تقف عند هذا الحد بل وقع تحت نيرها بعض الأفعال فقد زعم بعض العلماء زيادة (كان) فى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ كَيْفَ

نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ ٢٩ مريم. والصواب أن (كان) تامة فى الآية بمعنى (حدث) أو (وجد) و (فى المهد) ظرف مرتبط بها وفاعلها مضمر و(صبيا) حال.

وهكذا يمكننا أن نلاحق دعوى الزيادة حيثما وجدت كلماتها وكيف كان نوعها بالحجة الدامغة والبرهان القاهر حتى يتلاشى زيفها فتتجلى قيمة الكلمة فى أسلوبها ويذوب ما علاها من ضباب وما لفها من غموض.

وإنما ذكرنا هذه النماذج تمهيدا لموضوع بحثنا ودراستنا وهو تتبع آيات (من) فى القرآن وحصرها وإحصاؤها وبيان نوعها وحكمها.

وقد أشرنا فى الباب الأول إلى أن (مِنْ) نوعان لأنها إذا كانت بمعنى (بعض) فهى اسم لا محالة. وإن كانت بمعنى (الابتداء) فهى حرف كذلك.

كما عرفنا فى الباب الثانى أن (من) الاسمية تكون بمعنى (مثل) أيضا وتكون بمعنى (مع) فهى ذات معانٍ ثلاثة بمعنى (بعض) وبمعنى (مثل) وبمعنى (مع).

والذين زعموا أنها تكون زائدة قرروا أنها حرف لا محالة. فشأنها شأن غيرها من الحروف على وجه العموم وحروف الجر على وجه الخصوص. ومن البدهى أن نجد ذلك فى أول كتاب أُلِّفَ فى النحو وهو كتاب سيبويه حيث قرر فى: "مررت بزيد وعمرا مررت به النصب لـــ (عمرا) وهو الوجه ... وإن كان الفعل لا يصل إليه إلا بحرف الإضافة .. فكأنك قلت: مررت زيدا ولولا أنه كذلك ما كان وجهُ الكلام: زيدا مررت به ... ونحو ذلك: خشّنت بصدره فالصدر فى موضع نصب وقد عملت الباء و : ﴿ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ ٩٦ الإسراء.

إنما هي: كفى الله. ولكنك لما أدخلت الباء عملت والموضع موضع نصب وفى معنى النصب. وهذا قول الخليل رحمه الله(١).

وبهذا النص يتبين أن الخليل – كما روى عنه تلميذه سيبويه – يرى زيادة الباء ومع هذا تعمل فى الاسم الداخلة عليه الخفض سواء أكان فى الأصل منصوبا كما فى (مررت بزيد) أم كان فى الأصل مرفوعا كما فى (وكفى بالله).

ومن ثم صح أن يقال: "كان الخليل بن أحمد هو الذى فتح مباحث حروف الجر الزائدة التى تعمل عملا لفظيا فيما بعدها. بينما ينبغى ملاحظة موقعه من الإعراب بالنسبة للعوامل التى تطلبه، يقول فى قوله تعالى: "وكفى بالله" إنما هو: كفى الله بالرفع. ولكنك لما أدخلت الباء عملت"(٢).

ومما ينبغى التنبيه إليه أن سيبويه ذكر: مررت بزيد. كما ذكر (وكفى بالله) ولكن الدكتور شوقى ضيف فى نصه السابق قد اقتصر على الآية دون المثال ولعله بذلك يسير فى ركب جمهور النحاة الذى لا يعد الباء فى (مررت بزيد) زائدة والحق أن صنيعهم يوحي وحيا واضحا بيّناً بأنها زائدة لا محالة. إذ ما معنى قول سيبويه فكأنك قلت: مررت زيدا ؟ وما معنى قوله (فالصدر فى موضع نصب وقد عملت الباء) يعنى فى قولهم: خشّنت بصدره.

إن فى هذه النماذج التى ذكرها سيبويه ما يجلب إلى ذهن القارئ الاضطراب والحيرة. إذ كيف يكون الاسم فى موضع نصب وهو مخفوض بحرف الإضافة ؟! ومما يرفع الشبهة من نفس القارئ ويجعلها مطمئنة بما تقرر ما جاء فى الكتاب من

---

(١) الكتاب ١/ ٩٢.

(٢) المدارس النحوية ص ٣٨: ٣٩.

قول سيبويه: "هذا باب ما يجر على الموضع لا على الاسم الذى قبله ... وذلك قولك: ليس زيد بجبان ولا بخيلا. وما مررت بأخيك ولا صاحبك والوجه فيه الجر. ...... ومما جاء فى الشعر الإجراء على الموضع قول عقبة الأسدى:

مُعَـاوِىَ أننا بشر فأسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا

لأن الباء دخلت على شئ لو لم تدخل عليه لم يُخِلَّ بالمعنى ولم يَحتَجْ إليها.

وكان نصبا ألا ترى أنهم يقولون: حسبك هذا. وبحسبك هذا فلم تغير الباء معنى. وجرى هذا مجراه قبل أن تدخل الباء لأن (بحسبك) فى موضع ابتداء"(١).

أليس فى هذا تصريح بزيادة الباء على الرغم من عملها الخفض؟ فما الفرق بين (مررت بزيد وعمرا) وبين (فلسنا بالجبال ولا الحديدا) ؟ لا فرق. وعليه فالباء زائدة فى جميع أساليبها بدون تفرقة.

ثم من قال: إن (ما محمد قائم) يتساوى فى المعنى مع (ما محمد بقائم) ؟ ألم نحقق أن النفى فى الثانى أدق وأعمق وأبلغ وأقوى لأن فيه نفى شبه محمد بشخص قائم. وإذا انتفى شبهه بالقائم لزم بلا شك انتفاء قيامه.

وأما (كفى بالله) فقد ذكر ابن هشام أن تأويله: اكتف بالله. حيث قال: "وقال الزجاج: دخلت – أى الباء – لتضمن (كفى) معنى (اكتف) وهو من الحسن بمكان ويصححه قولهم: أتقى الله امرؤ فعل خيرا يُثبْتْ عليه" أى: ليتق وليفعل"(٢).

ويبقى قول سيبويه: (حسبك هذا وبحسبك هذا).

---

(١) الكتاب ١/ ٦٦: ٦٨.

(٢) المغنى ص ١٠٦.

وقد قضى عبد القاهر أن الباء فى (كفى بالله) وفى (بحسبك هذا) زائدة لا محالة. حيث يقول فى آخر فقرة من كتابه (أسرار البلاغة): "وأما وجوب الحكمة بالزيادة لهذه الجهة – أى جهة امتناع ترك الكلام على ظاهرة ولزوم الحكمة بالزيادة – فكنحو قولهم: بحسبك أن تفعل. وكفى الله. إن لم تقض بزيادة الباء لم تجد للكلام وجها تصرف إليه وتأويلا تتأوله عليه البته. فلابد لك أن تقول: حسبك أن تفعل وكف الله. وذلك : أن الباء إذا كانت غير مزيدة كانت لتعدية الفعل إلى الاسم. وليس فى (بحسبك أن تفعل) تعدية بالباء إلى (حسبك) ومن أين يتصور أن يتعدى إلى المبتدأ فعل. والمبتدأ هو المعرَّى من العوامل اللفظية ؟!

وكذا فى نحو (كفى بزيد) فاعل كفى. ومحال أن تُعَدِّىَ الفعل إلى الفاعل بالباء أو غير الباء. ففى الفعل من الاقتضاء للفاعل ما لا حاجة معه إلى متوسط وموصِّل ومعدٍّ فاعرفه والله أعلم بالصواب"(١).

أليس عبد القاهر ناسجا على منوال سيبويه وقافيا أثره وناهجا نهجه ؟!

وقد عرفنا التأويل الحق لـــ (كفى بالله) ونحوه. وأما تأويل (بحسبك زيد) وما يشبهه فله تأويل ينقى لغة العرب من الحشو واللغو وينأى بها عن ساحة كثرة مفردات الأسلوب بدون فائدة لأنها ليســت لغة ثرثارة ولا فضفاضة بل حسابها دقيق فى وضع مفرداتها. فتذكر الكلمة حيث يكون له معنى وتستغنى عنها حيث لا يطلب معناها.

فقولهم: حسبك زيد مبتدأ وخبر أى هو كافيك ومثله قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ٦٤ الأنفال. وأما قولهم

---

(١) أسرار البلاغة ص ٤٦٣.

(بحسبك زيد) فذكر الباء غَيَّر نوع الجملة ومن ثَمَّ تغير معناها. فهى جملة ظرفية رفع (زيد) فيها بـ (بحسبك) كما فى قولك: بالدار محمد. ولكن سيبويه والعلماء من بعده قد أهملوا ذكر هذه الجملة كثيرا مع أنها ذات قيمة دلالية لا توجد فى الجملة الاسمية ولا الجملة الفعلية. وحسبها أنها تُنَقِّى لغة العرب من دعوى الزيادة ومن دعوى التقديم والتأخير.

زيـــادة (مـــن):

من هذا التمهيد يتضح للقارئ أن دعوى الزيادة عدوى قد استشرى ضررها وشررها وما عقدنا هذا الفصل إلا للدفاع عن (من) ودرء المخاطر عنها حتى تكون فى مسكنها آمنة مطمئنة تؤتى ثمرة معناها للأسلوب وترتفع به فى البلاغة والبيان. والكلام عليها – قبل عرض أساليبها فى القرآن موزعة على أبواب النحو – يستلزم عدة نقاط هى:

معنى زيـــادة: مِنْ:

١- يقول سيبويه: "وقد تدخل فى موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيما ولكنها توكيد بمنزلة: ما. إلا أنها تجر لأنها حرف إضافة وذلك قولك: ما أتانى من رجل. وما رأيت من أحد. ولو أخرجت (مِنْ) كان الكلام حسنا. ولكنه أكّد بـ (مِنْ) لأن هذا موضع تبعيض فأراد أنه لم يأته بعض الرجال والناس.

وكذلك: ويحْه من رجل. إنما أراد أن يجعل التعجب من بعض الرجال.

وكذلك: لى ملْؤه من عسل. وكذلك هو أفضل من زيد. إنما أراد أن يفضله على بعض ولا يعم. وجعل زيدا الموضع الذى ارتفع منه أو سفل منه فى قولك:

شرّ من زيد. وكذلك إذا قال: أخزى الله الكاذب منىَّ ومنك. إلا أن هذا وأفضل منك لا يستغنى عن (من) فيها لأنها توصل الأمر إلى ما بعدها"[١].

ويستنبط من هذا النص أن (من) التى تزاد على زعم النحاة تكون بمعنى (بعض). وبالتأمل ندرك أن كلام سيبويه متناقض أيما تناقض فقد ذكر (أن الزائدة تدخل فى موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيما) ومقتضى ذلك شيئان:

(أ) أن المراد باستقامته استقامة الأسلوب لأن قولنا: ما جاءنى رجل. وما أتانى أحد. لا نقص فيه ولا ضعف فى صياغته.

(ب) أن المراد باستقامته أن معنى النص بدون (من) يساوى معناها معها. وهذا ما أبطله سيبويه بقوله: (ولكنه أكد بـــ (من) لأن هذا تبعيض فأراد أنه لم يأته بعض الرجال – يعنى فى : ما أتانى من رجل – والناس – يعنى فى: ما رأيت من أحد.

فبين الأسلوبين فرق كبير فى المعنى. وما تحقق هذا الفرق إلا بوجود (من) فى لفظ الثانى دون الأول. وإن شئت توضيحا أكثر قلت لك: إن معنى (ما أتى رجل) أننى لم يأتنى رجل واحد بل ربما أتانى اثنان أو أكثر ولذلك يجوز أن أقول: بل رجلان أو بل رجال. وأما ما أتانى من رجل فمعناه أننى لم يأتنى أى رجل ومن ثم لا يجوز أن أقول: بل رجلان أو ثلاثة ...

فهل بعد ذلك يسمح إنسان لنفسه أن يزعم عدم دلالة (من) على معنى غير المعنى الذى يتجرد الأسلوب عنها ؟! إن هذا – لعمرى – فى القياس غريب بل محال عجيب.

---

(١) الكتاب ٤/ ٢٢٥.

ولكن بالرغم من وضوح ذلك نرى النحاة يأبون إلا السير فى ركاب تعبير سيبويه وحسبنا قول ابن يعيش: "إنها أى من الزائدة – لا تُحْدِثْ معنى لم يكن قبل دخولها وذلك نحو قولك: ما جاءنى من أحد. فإنه لا فرق بين قولك: ما جاءنى من أحد. وبين قولك: ما جاءنى أحد. وذلك أن (أحدا) يفيد العموم كـ (ديَّار) و(غريب) و (مِنْ) كذلك فإذا أدخلت عليها صارت بمنزلة تكرار الاسم نحو: أحد أحد.

فأما قولك: ما جاءنى من رجل فذهب سيبويه إلى أن (من) تكون فيه زائدة قال: ألا ترى أنك إذا أخرجت (من) كان الكلام حسنا ولكنه أكد بـ (من) لأن هذا موضع تبعيض فأراد أنه لم يأته بعض الرجال"[١].

فأنت ترى أن ابن يعيش يجعل الأسلوب الأول كأنه من باب ما يسميه بعض النحويين: توكيدا لفظيا. غير أنه ليس مثل قولك: رأيت الليث. الليث بل مثل قولك: رأيت الليث الأسد.

وهذا غير سديد لأن (أحد) لا تزاد فيها (من) كما يرادف (الأسد): (الليث). ولو صح هذا لما قبلناه لأن اللغة العربية ليس فيها توكيد لفظى على ما هو مشهور عند نابتة وناشئة الطلاب دراسى النحو بل إن اللفظ إذا ذكر مرتين كان تأكيدا للمعنى لا للفظ ومعنى كونه مؤكدا للمعنى أنه يجعل المعنى مكررا. كما فى قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا . وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ ٢١: ٢٢ الفجر. أى دكًا بعد دك وصفًا بعد صفّ. فهو تكرر لتكرار المعنى. فهل يوجد هذا المعنى فى (ما جاءنى من أحد) ؟ كلاً.

---

(١) شرح المفصل ٨/ ١٣٧.

ومما يوضح ذلك أننا لو أخذنا بما ذكره ابن يعيش لكان (أحد) مؤكدا لـ (مِنْ). فهل يجوز هذا ؟

وأما قول سيبويه: ما أتانى من رجل فقد بينا ما فيه.

وخلاصةُ تلك الدراسة لنص سيبويه أننا نستطيع أن نجزم بأن ما يوهمه هذا النص من أن (من) زائدة لا معنى لها غير لائق بلغة القرآن التى عرفنا أن أدنى مستوى فيها وهو النقطة لها معنى له وزنه وقيمته. فكيف بما يكون أعلى من ذلك ؟!

هذا: وهناك من يرى أن معنى زيادة (من) أنها تأتى فى موضع يطلبه العامل بدونها فتصير مقحمة بين طالب ومطلوب"[1].

ولو كان الأمر كذلك لما كان لـ (من) عمل فيما بعدها. إذ لا يشك أحد فى أنها فى قولنا: ما جاءنى من رجل. هى المؤثرة فى (رجل) بحركة المضاف إليه.

وإنما نقول ذلك لأنها اسم بمعنى (بعض) فهى الفاعل و (رجل) مضاف إليه.

٢- لكى يزداد القارئ يقينا على يقين نسوق إليه بعض نصوص علماء النحو التى تثبت ما قررناه وأثبتناه فى مناقشة سيبويه.

(أ) علمنا أن سيبويه لا يفرق بين (ما جاءنى من أحد أو من رجل) و (ما جاءنى أحد أو رجل). وهناك من يفرق بينهما. قال أبو العباس: "إذا قلنا : ماجاءنى رجل احتمل أن يكون واحدا وأن يكون الجنس فإذا دخلت (من) صارت للجنس لا غير"[2].

---

(١) التصريح بمضمون التوضيح ٢/ ٨.

(٢) شرح المفصل ٨/ ١٣٧.

وقال الرضى: "ما جاءنى رجل. ظاهر فى الاستغراق. ويجوز العدول عنه للقرينة نحو: ما جاءنى رجل بل رجلان.

وما جاءنى من رجل نص فى الاستغراق فلا يجوز ما جاءنى من رجل بل رجلان"(١).

وفى موضع آخر يقول: "لا رجل ظاهر فى الاستغراق محتمل سواه وإذا دخلها (مِنْ) ظاهرا نحو: ما جاءنى من رجل أو مقدرا نحو: لا رجلَ أى لا من رجل فهو نص فى الاستغراق"(٢).

والذى يجعل هذا الأسلوب نصا فى الاستغراق إنما هو (من) لأنها تفيد النفى للأدنى وذلك يستلزم نفى الأعلى. كما شرحنا ووضحنا.

(ب) يقول سيبويه: "يقول الرجل : أتانى رجل يريد واحدا فى العدد لا اثنين فيقال: ما أتاك رجل أى أتاك أكثر من ذلك ... فإذا قال: ما أتاك أحد صار نفيا عاما لهذا كله فإنما مجراه فى الكلام هذا"(٣).

ويقول ابن يعيش: "إذا قال : ما جاءنى رجل جاز أن ينفى الجنس بهذا اللفظ كما ينفى فى قولك: ما جاءنى أحد. فـإذا أدخل (من) لم تحدث ما لم يكن وإنما تأتى تأكيدا"(٤).

وفى هذا إثبات أن (أحدا) يدل على العموم بذاته وأن (رجلا) يدل على العموم بالاحتمال وعليه تكون (من) زائدة للتوكيد كما هو المشهور.

---

(١) شرح الكافية ١/ ١٢١.

(٢) شرح الكافية ٢/ ١٤٥.

(٣) الكتاب ١/ ٥٥.

(٤) شرح المفصل ٨/ ١٣٨.

وأن سيبويه هو واضع ذلك الفرق بين (رجل) و (أحد). ولكننا قد حققنا فيما سبق أنه ليس هناك (أحد) خاصة بالإيجاب وأخرى خاصة بالنفى بل الشأن فيها شأن (رجل) تعم فى سياق النفى لا غير. ومما يثبت ذلك قول الزمخشرى فى قوله تعالى: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ ٢٨٥ البقرة: و (أحد) فى معنى الجماعة ولذلك صح دخول (بين) عليه.

قال ابن المنير: "وفيه دليل على أن النكرة فى سياق النفى تفيد العموم لفظا حتى يتنزل المفرد فيها منزلة الجمع فى تناوله الآحاد مطابقة ....."(١).

فالذى يفهم من هذا النص أنه لا فرق بين (أحد) و (رجل) فى دخول (من) عليهما و إفادة ذلك استغراق النفى للجنس كله. وفى ذلك إثبات أهم ميزة للغة العرب وهى: الإيجاز فى اللفظ مع الوفرة فى المعنى. ويترتب على ذلك فساد القول بأنها زائدة فقد ذكر الرضى: "أنه يلزمهم – على هذا – أن يعدّوا: إن ولام الابتداء وألفاظ التوكيد اسما كانت أم لا زوائد ولم يقولوا به" ثم قال: "وللعجب أنهم لا يرون تأثير الحروف تأثيرا معنويا كالتأكيد فى الباء. ورفع الاحتمال ... فى (من) الاستغراقية من قولهم: ما جاءنى من رجل. مانعا من كون الحرف زائداً"(٢).

وهذا ما يقتضيه المنطق السليم والفكر المستقيم. وإنما يتحقق معنى الاستغراق فى (من) لأنها بمعنى (بعض) كما قرره سيبويه. ونفى البعض يستوجب نفى الكل كما عرفنا.

---

(١) انظر الكشاف ١/ ١٤٦. وهامشها

(٢) شرح الكافية ٢/ ٣٨٤: ٣٨٥. وهامشها.

شـــروط زيــــادة: مِــنْ:

إنما نذكر هذه الشروط لا لأننا نساير النحاة فى دعوى زيادتها بل لأننا نذكر منهجه لنرد عليه. وبذلك يكون القارئ على بينية من أمرنا.

ولما كان سيبويه وكتابه هما معتمد النحاة غالبا فى تقرير القاعدة النحوية رأيناهم هنا يسيرون - لا محالة - فى ركابه. ومن ثَمَّ استنبطوا من نصوصه السابقة عدة شروط لزيادة (من) وهى : أن تكون (من) داخلة على النكرة. وأن تكون عامة. وأن تكون فى غير الموجب.

وبالتأمل ندرك أن تلك الشروط متوافرة فى قول سيبويه (ما أتانى من رجل) وغيره مما سبق ذكره.

وقولهم (غير الموجب) إنما يعنون به: النفى والنهى والاستفهام. يقول السيوطى: "تزاد (مِنْ) فى نكرة ذات نفى بأى حرف كان من حروفه أو نهى نحو : ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ ٥٩ الأعراف ، : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ ٥٩ الأنعام. "لا تضرب من احد" أو استفهام بـــ (هل) نحو: ﴿ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ ٣ الملك. لا غيرهما من سائر الأدوات: كيف ونحوها. إذ لم تحفظ قاله أبو حيان"[1].

---

(١) الهمع ٢/٣٥.

والذى قاله أبو حيان أنها تزاد عند جمهور البصريين بشرط أن يكون ما قبلها غير واجب. وما دخلت عليه أن يكون نكرة. وغير الواجب عندهم هو: النفى والنهى والاســتفهام. فأما النفى فتزاد معه فى سائر حروفه: لم ولمَّا وما ولا وإن ولن ....

وأما النهى فنحو: لا يَقُمْ من أحد. ولا يضربْ من أحد. وأما الاستفهام فليس عاما فى جميع أدواته إنما يحفظ ذلك مع (هل) فى جميع ما ورد فى النفى .... وفى إلحاق الهمزة بـــ (هل) فى ذلك نظر ولا أحفظه من لسان العرب.

ولو قلت: كيف تضرب من رجل. أو كيف خرج من رجل. أو أين تقرب من رجل. أو متى يقوم من رجل لم يجز.

و (قلَّما) إذا كانت للنفى المحض جاز دخول (من) فتقول: قلَّما يأتنى – لعل الصواب – يأتينى من أحد. فى معنى: ما يأتنى – لعل الصواب – يأتينى من أحد. .... وزعم بعض البصريين أنها تزاد فى الشرط بشرطها عند الجمهور من النكرة تقول: إن زارنى من رجل أكرمته. والصحيح المنع"[(١)].

وبهذا أثبت أن جمهور البصريين – وعلى رأسهم سيبويه – يرون أنه لابد من تلك الشروط الثلاثة فى زيادة (من).

ويجوز عند الأخفش من البصريين والكسائى وهشام من الكوفيين أن تزاد فى الواجب وغير الواجب وفى المعرفة والنكرة. ومن أمثلة الواجب ما روى عن العرب من قولهم: قد كان من مطر. وقد كان من حديث فخلِّ عنى. هكذا ذكر

---

(١) أرتشاف الضرب ٢/ ٤٤٤: ٤٤٥.

أبو حيان ولم يأت بمثال (من) الزائدة فى المعرفة. ثم قال: "وعند بعض الكوفيين تزاد فى الواجب وغير الواجب بشرط تنكير ما دخلت عليه"(١).

ومن هذا كله يثبت أن تنكير مدخول (من) التى زعموا زيادتها يكاد يكون مجمعا عليه.

ولعل السر فى ذلك أن النكرة عامة فإذا دخلت عليه (من) المزيدة – فى رأيهم – استغرقت الجنس كله. وذلك لا يتأتى فى المعرفة.

ومن ثم قال المبرد: ما قام من رجل لا ينبغى أن يقال إنها زائدة لأنها أفادت استغراق الجنس إذا كان قبل دخول (من) يحتمل وجوها(٢).

ولكن ذلك لم يمنع دخولها على معرفة فقد قال ابن هشام: "ولم يشترط الأخفش واحدا من الشرطين الأولين – النفى وتنكير بدخولها – واستدل لذلك بنحو: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ٣٤ الأنعام و ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ ٤ نوح و ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ ٣١ الكهف و ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ ٢٧١ البقرة"(٣).

وسيأتى تحقيق ذلك كله فى دراسات آيات (من) فى القرآن الكريم بما ملخصه: أن (من) فى هذه الآيات اسم بمعنى (بعض) وهى فى محل رفع فى الآية الأولى أى جاء بعض نبأ المرسلين. وفى محل نصب فى الآيات الثلاث بعدها أى

---

(١) ارتشاف الضرب ٢/ ٤٤٤، وانظر الهمع ٢/ ٣٥.

(٢) انظر ارتشاف الضرب ٢/ ٤٤٦.

(٣) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٧.

يغفر لكـم بعض ذنوبكم وهى الصغائـر. ومثلـها (ويكفر عنكم بعض سيئاتكم) وأما آية الكهف فـ (من) فيها مفعول ثان إذ الواو فى (يُحَلَّون) نائب فاعل فهى المفعول الأول.

وقد سبق عن سيبويه أنه يسوى بين (من) فى : ما قام من أحد. وما قام من رجل فى أنها لاستغراق الجنس. كما عرفنا أن هناك من يفرق بينهما وأن التحقيق هو عدم التفريق.

أساليب زيادة (مِنْ):

ذكر علماء النحو أن (من) تزاد فى عدة أبواب نحويه هى:

١- المبتدأ نحو: ما من رجل قائم، ولا من رجل عندى ولا امرأة. ومن ذلك فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ٣ فاطر. وسيأتى تفصيل ذلك فى آيات القرآن التى زعموا زيادة (من) فيها.

٢- **الفاعل نحو**: ما قام من رجل. ولم يقم من أحد. ومثله اسم (كان) نحو: ما كان من زاد عندنا. ومن ذلك فى القرآن قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ ١٢٧ التوبة.

وقد ذكرنا آنفا قول العرب: قد كان من مطر. فيما ليس منفيا. ومثله قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ٣٤ الأنعام.

٣- **المفعول نحو:** لم أضرب من رجل. ولم أظلم من أحد. ومنه قولهم: ما ظننت من أحد يفعل ذلك وقولهم: ما أعلمت من أحد زيدا مسافرا. فهى فيهما زائدة فى أول المفعولين. وتزاد أيضاً فى المفعول الثانى أو الأول لـــ (أعطى) نحو: ما أعطيت من درهم أحدا. ونحو ما أعطيت من أحد درهما.

هكذا مثّل أبو حيان . وواضح أن المثال الأول لدخول (من) الزائدة على المفعول الثانـــى. فكان علـــى أبى حيـــان أن يجعله هكـــذا: ما أعطيت أحدا من درهم. لأنه بذلك على نسقه الأصلى فلا داعى لذكر المفعول الأول من قبل الثانى.

٤- **المفعول الذى لم يسم فاعله نحو:** ما ضُرِبَ من أحد. وما أُكْرِمَ من لئيم(١).

ومن هذا يتبين أن أبواب زيادة (من) فى النحو هى: المبتدأ. والفاعل. ونائب الفاعل والمفعول. وفى ذلك يقول ابن هشام: "وقد اشترط بعضهم أن تكون تلك النكرة فاعلا أو مفعولا أو مبتدأ. وأكثرهم أهمل هذا الشرط فيلزمهم زيادتها فى الخبر نحو: ما زيد قائما. والتمييز نحو: ما طاب زيد نفسا. والحال: ما جاء أحد راكبا. وهم لا يجيزون ذلك(٢)".

وزاد الفارسى أنها تزاد فى سياق الشرط نحو قول الشاعر:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعْلَمِ(٣)

وسيأتى فى دراسة آيات (من) المتهمة بالزيادة تحقيق ذلك كله.

---

(١) انظر ارتشاف الضرب ٢/ ٤٤٤: ٤٤٥.

(٢) المغنى بحاشية الأمير ٢/ ١٧.

(٣) انظر المغنى بحاشية الأمير ١٧/٢.

مَنْ: ومعنـــى النفـــى:

مما سبق يتضح أن (من) المزيدة أغلب ما تكون فى سياق النفى وما يشبهه كما ندرك أن أغلب العلماء يرون أن (من) للتوكيد. ومقتضى ذلك: أن يكون فيها معنى النفى كما فى قول الشاعر:

لا لا أبوح بحب بثنة إنها أخذت علىَّ مواثقا وعهودا

ولو قيل لا لم أبح بحبها. لصح لاتفاق الأداتين فى المعنى وهو النفى وإن اختلفا فى غير ذلك.

فهل يا ترى يجوز هنا أن نجعل (من) المزيدة من أدوات النفى ؟

لعلك ندرك مما سبق أن ذلك غير مستساغ لأن الذين زعموا زيادتها جعلوها بمعنى (بعض) كما هو صريح عبارة سيبويه: "وزعم على بن سليمان أن (من) التى قيل فيها زائدة فى نحو ما قام من رجل هى لابتداء الغاية ابتداء النفى من هذا النوع. ثم عرض أن يقتصر بها على هذا النوع انتهى"(١).

وعليه تكون (من) الزائدة على أحد معنييها وهما : التبعيض والابتداء.

رأى الدكتـــور أنيـــس:

لعلك تذكر هنا ما نقلناه عن الدكتور أنيس فى الباء الزائدة من قولنا: ما محمد بقائم من أن معناها النفى بناء على الدراسة اللغوية الحديثة. وقد رددنا عليه هناك.

وهنا نرى الدكتور أنيس يسير فى ركب تلك الدراسة محاولا إثبات معنى النفى لـــ (مِنْ) الزائدة. فقد قسم أدوات النفى إلى بسيطة ومركبة وبعد أن تكلم عن

---

(١) ارتشاف الضرب ٢/ ٤٤٦.

البسيطة قال: "تنتقل بعد هذا إلى أدوات النفى المركبة بادئين بالأداة (ما إن) التى زعم النحاة أن (من) فيها زائدة. ولم تزولنا هذه الأداة على تلك الصورة القديمة فى القرآن القديم ولكن رويت لنا فى الأشعار القديمة مثل قول عبد الله بن ثعلبة الحنفى:

وما إن يزال رسم دار قَدِ اخلَقَتْ وبيت لميْت بالفنـــاء جديـــد

أما الصورة الحديثة لهذه الأداة المركبة فهى (مِنْ) التى قال عنها النحاة: إنها تفيد التبعيض على العموم فى مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ ٣٨ إبراهيم, والتى تدل على تأكيد نفى الخفاء على الله أيا كان قدر هذا الخفاء. ويكفى هنا البيان: كيف تطورت (ما إن) إلى (من) أن ترجح أن الهمزة قد سُهِّلَتْ أو سقطت من الكلام. ثم انكمشـــت هذه الأداة لكثـــرة اســـتعمالها. وكان حقها أن تصبح (مِنْ) بفتح الميم ولكن التباس (مَنْ) الاســـمية بالحرفية جعل القياس يلعب دوره. وهكذا قيست هذه الأداة بـــ (عن) الجارة التى تشاركها فى الحرفية ونطق بها (مِنْ) بالكسر.

هـــذا إلى أن (مـــن) هـــذه قد اختلفت أيضاً عن (ما أن) فى موضع كل منهما من الكلام"[١].

وسيأتى أن بعض الباحثين يُرَوِّج لمذهب المستشرقين ويتحمس له ويدعو إلى الاستمـــساك بحـــبله الرميم وهو الدكتور أحمد مكى الأنصارى فقد راح يدافع عن مـــذهب الفـــراء فـــى تـــركيب (كم) من الكاف و (ما), جرياً فى غبار المستشرق برجشوارس.

---

(١) من أسرار اللغة ص ١٧٩.

وأول ما يَبْدَ هُنا من هذا النص أن الدكتور أنيس قد زعم فى مستهله أن (ما إن) أداة نفى مركبة وأنها لم ترد فى القرآن. ثم انكمشت فصارت (مَنْ) غير أن الفتحة جعلت كسرة حتى لا تلتبس الحرفية بالاسمية.

ولا يخفى أن قانون التطور قد استحوذ على فكره وقلمه حتى ارتكب مالا يليق بجلال لغة القرآن.

ثم إنه وقع فى تناقص حينما قرر أوّلاً أن (ما إن) قد انكمشت حتى صارت (مِنْ) وهذا يقتضى فناءها لأنها ذابت وزالت صورتها الموهومة المزعومة واستبدل بها صورة أخرى. ثم جاء فى آخر كلامه وحكم بأنها موجودة حيث قرر أن (مِنْ) هذه قد اختلفت أيضاً عن (ما إن) فى موضع كل منهما من الكلام. أليس ذلك إقراراً كاملا بأنها لا زالت باقية على الرغم مما زعمه من انكماشها وذوبانها حتى صارت (مِنْ) وبهذا يكون آخر كلامه هادما أوله. وما دام أوله قد أنهدم فكيف يبقى آخره؟! هل سمعت أن بناء قام بدون قاعدة ؟!

وقد عرفتَ أننا فى الباب الأول من هذه الدراسة قد نقضنا قانون التطور وكشفنا زيفه وجعلناه زَبدًا يذهب جفاء. ومما يؤيد ذلك ويقويه قول (ستيفن أولمان) عنه وعن غيره والحق أن هذه القوانين وأمثالها لا تزال بحاجة إلى مزيد من البراهين الواقعية قبل أن نحكم على صحتها ومدى اطرادها حكما سليما"(١).

والذى لا ينقضى منه العجب أن الدكتور أنيس لم يكتف بما سبق بل راح يزعم أنه قد تتكرر فى الأسلوب الواحد عدة أدوات للنفى ولا تفيد مع هذا إلا تأكيد

---

(١) دور الكلمة فى اللغة ص ١٩١: ١٩٢.

للنفى رغم هذا التكرار ففى مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ٦٢ آل عمران. خمس أدوات للنفى"(١).

وأشهد الله أننى لم ولن أستطيع استخراج هذه الأدوات الخمس من هذه الآية وإنما الذى استيقنه أن (ما) هى الأداة الوحيدة للنفى وأما (من) فاسم بمعنى (بعض) مبتدأ وخبره (الله). والمعنى: أنه لا يوجد بعض مدلول كلمة (إله) إلا فى (الله) وحده بحيث لا يشاركه أحد فيها.

وأما (ما ان) التى ذكرها الدكتور أنيس فغريبة عن نسيج لغتنا العربية لأنها من صنع خيال الذين تمكنت من عقولهم الدراسة اللغوية الحديثة التى لا يعلم إلا الله الدافع إليها عند الذين رسموا منهجها وزخرفوه حتى بهر بعض العقول الشرقية فجرت فى غباره وهى لا ترى إلا هذا الغبار.

وإنما أقول ذلك لأن (ما ان) كلمتان قد انتزعهما الدكتور أنيس من جسم اللغة ليجعلهما جسما واحداً يجرى عليه أداة التشريح التى توهم أنه قد أتى بها من الدراسة الغربية. ولو تأمل مثل قوله تعالى: ﴿ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ ٣١ يوسف. وقوله: ﴿ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ ١٩ القصص. ثم قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ ﴾ ٢٦ الأحقاف. أقول:

---

(١) من أسرار اللغة ص ١٨١.

لو تأمل هذه الآيات لعلم أن (ما) و (إن) أداتا نفى تستعمل كل منهما على انفراد وقد وردا معاً فى آية يوسف وآية القصص. وأما فى آية الأحقاف فلم ترد (ما) النافية لأن (ما) التى وليتها (إن) اسم موصول أى الذى ما مكناهم فيه. وبهذا يتضح مدى الخفة والطيس فى منهج التطور الذى راح بعض المستغربين يطبقونه على لغة القرآن المبين. الذى يقول عنه أستاذنا الدكتور محمد عبد الله دراز: "إن القرآن الكريم يستثمر دائماً برفق أقل ما يمكن من اللفظ فى توكيد أكثر ما يمكن من المعانى. أجل: تلك ظاهرة بارزة فيه كله يستوى فيها مواضع إجماله التى يسميها الناس مقام الإيجاز. ومواضع تفصيله التى يسمونها مقام الإطناب. ولذلك نسميه إيجاز كله لأننا نراه فى كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد. ولا يميل إلى الإسراف ميلا ما. ونرى أن مراميه فى كلا المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر والحلى بأقل من ألفاظه ولا بما يساويها"[١].

وربما يظن القارئ – أن ذلك – أى عدم الإسراف فى الكلمات – مقصور على القرآن وحده بمعنى: أن لا يوجد شئ منه فى غيره من أساليب اللغة العربية على وجه العموم ولكنى أبادر فأورد على مسامعه ما ذكره الدكتور أحمد مكى الأنصارى من: "أن اجتماع كلمتين يمكن الاستغناء عن إحداهما دون أن يتأثر المعنى فى قليل أو كثير يصير فى نظرى مسلك ترف فى الأسلوب العربى. وإن شئت فسمه مذهب تبذير فى الجهد العضلى. على أن مسلك الترف أو التبذير قليل فى أساليب العربية"[٢].

---

(١) النبأ العظيم ص ١٤٠ : ١٤٣.

(٢) الفراء ومذهبه فى النحو واللغة ص ٤٨٧.

ومع أن الدكتور أحمد مكى الأنصارى يقرر هذا هنا سنراه فيما سيأتى من دراسة (كم) مع (من). يجرى مجرى الفراء فى زعمه زيادة بعض كلمات القرآن الكريم بل يدافع عن ذلك لا لشئ إلا للانحياز إلى جانب (الفراء) لأنه يقوم بعمل بحث فيه.

أليس فى هذا تناقض عجيب ؟!

فإذا كان هذا فى اجتماع كلمتين فكيف يسوغ اجتماع خمس كلمات فى أسلوب واحد للنفى؟ وفى أى أسلوب؟ فى القرآن الكريم كما قرر الدكتور أنيس بناء على دراسة ظنية وضعها أهل الغرب لتضليل أهل الشرق وصرفهم عن مقدسات دينهم التى يمثلها القرآن المجيد الذى هو تنزيل من حكيم حميد.

معانى (من) التى يقال : إنها زائـــدة:

أبطلنا فيما سبق دلالة (من) الزائدة على النفى ويترتب عليه دلالتها على التوكيد بناء على أنها – غالبا – لا تكون إلا فى سياق نفى أو شبهه. فإذا صح هذا وثبت كان لزاما علينا أن نثـبـت لها – أى : من الزائـــدة – معنى من المعانى التى قررها علماء اللغة العربية لا غيرهم. وقد تبين لنا أنها تدور حول معانٍ ثلاثة:

(أ) معنى التبعيض وهو ما قرره شيخ المؤلفين النحاة وإمامهم سيبويه وقد وضحناه أتم توضيح فيما سبق من نصه الذى فيه: "ما أتانى من رجل. وما رأيت من أحد. فقد ذكر أن المعنى أكد بـــ (من) لأن هذا موضع تبعيض. فأراد أنه لم يأته بعض الرجال والناس"(١).

---

(١) انظر الكتاب ٤/ ٢٢٥.

وقد نبهنا إلى أن أن سر الاستغراق هو معنى التبعيض لأن نفى البعض يقتضى لا محالة نفى الكل. كما أشرنا إلى أن ذلك يحتم اسميتها فليست حرفاً.

ووضح ابن يعيش هذا المعنى بقوله: "وإنما يزاد (من) لأن فيه تناول البعض كأنه ينفى كل بعض للجنس الذى نفاه مفردا كأنه قال: ما جاءنى زيد ولا بكر ولا غيرهما من أبعاض هذا الجنس فالنفى بـ (من) مفصلا وبغير (من) مجملا"(١).

وبهذا يتبين أن (من) بمعنى (بعض) وهى معربة على حسب العوامل المتقدمة عليها ولا خلاف بين علماء العربية فى أنها تدل على معنى (بعض) وهو ما نرجحه بل نصححه. كما يتبين من الرد على غيره مما ذكره النحاة.

(ب) معنى: الابتداء. قال الزمخشرى: "وكون (من) مزيدة فى نحو (ما جاءنى من أحد) راجع إلى الابتداء.

وشرح ذلك ابن يعيش قائلا: "وأما زيادتها لاستغراق الجنس فى قولك: ما جاءنى من رجل. فإنما جعلت الرجل ابتداء غاية نفى المجئ إلى آخر الرجال ومن هنا دخلها معنى استغراق الجنس"(٢).

وقال الرضى: "و (من) هذه – وإن كانت زائدة كما ذكر النحاة – لكنها مفيدة لنص الاستغراق – كان أصلها (من) الابتدائية. لمَّا أريد استغراق الجنس ابتدئ منه بالجانب المتناهى وهو الأحد. وترك الجانب الأعلى الذى لا يتناهى لكونه غير

---

(١) شرح المفصل ٨/ ١٣.

(٢) المفصل بشرح ابن يعيش ١٣/٨.

محدود. كأنه قيل : ما جاءنى من هذا الجنس واحد إلى ما لا يتناهى. فمن ثمة تقول إذا قصدت الاستغراق: ما جاءنى من أحد"[١].

وبهذا الشرح يثبت أن نفى الأدنى يستلزم نفى الأعلى كما هو معنى التبعيض ولذا يتحتم عدم القول بزيادتها لأنها ذات قيمة عظمى فى معنى النص.

غير أننا – مع ذلك – لا نرى معنى الابتداء لائقا بالمقام. لأن (من) الابتدائية ترتبط بما قبلها ارتباطا لفظيا كما فى قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ ١ الإسراء.

وكما فى قولنا: خرجت من المنزل إلى الكلية. فقوله (من المسجد) وقولنا (من البيت) مرتبط بالفعل (أسرى) و (خرج) أى أن ابتداء الإسراء هو: المسجد الحرام. وابتداء الخروج هو: البيت.

فهل يا ترى يكون (من رجل) فى (ما أتانى من رجل) مرتبطا بالفعل؟ ظاهر ما سبق أنه مرتبط بمعنى (ما) وهو النفى. أى بنفى الفعل. فأنت ترى أنه غيَّرَ ارتباط (من) بــ (أسرى) أو بــ (خرج).

هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى قد نبهنا عليها فى الباب الأول ألا وهى: أن ابتداء الحدث بعضه. وهذا واضح فى المزعـوم زيادتها لأن (من) تعرب فاعلا أى: بعض جنس الرجل. وما دام الأمر كذلك أرى أن معنى البعضية هو السائد القوى المتين.

---

(١) شرح الكافية ٢/ ١٤٥ والصواب حذف (لكنها) من نص الرضى فيقال: و (من) هذه – وإن كانت زائدة كما ذكر النحاة – مفيدة لنص الاستغراق.

(ج) معنى: البيان. يقول الأشمونى: "إن قصد الاستغراق على سبيل التنصيص يستلزم وجود (من) لفظا أو معنى. ولا يليق ذلك إلا بالأسماء النكرات. ويشرح الصبان ذلك قائلا: "قوله (وجود: من) أى الاستغراقية. ويعبر عنها بالزائدة. وقيل: إنها البيانية ... وهذا إن صح فوجهه: أن أصل (لا رجل) لا شئ من رجل.

قال الشنوانى: كأن الحاصل أنهم وضعوا لنفى الجنس نصا على سبيل الاستغراق لفظة (لا) مضمنة معنى (من) البيانية"[1].

ولعلك تذكرهنا أن المنفى بـ (لا) على تقدير (من) ومن ثم كان نفيا استغراقيا وهذا هو معنى قول الأشمونى (يستلزم وجود (من) لفظا) أى فى نحو: ما جاءنى من رجل. (أو معنى) أى فى : لا رجل فى الدار.

وقد تقدم فى هذه الدراسة التنبيه كثيرا على أن معنى (بيان الجنس) لا يقتضى نفيه بل يقتضى دعوى الاستغناء عن (من) كما أشرنا إلى ذلك فى قوله تعالى: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ ٣٠ الحج. إذ تقديره : الذى هو الأوثان.

وهذا ما يجعلنا – هنا – نرد أن يكون معنىً لـ (من) الاستغراقية وذلك لما يلى:

أن هذا المعنى مختلف فيه إذ هناك من يرده ردً جازما ولا يجيز أن تكون (من) دالة عليه.

وأن بعضهم يرجع بالبيانية إلى معنى البعضية.

---

(١) منهج السالك إلى ألفية ابن مالك. وحاشية الصبان عليه ٢/ ٢ وهامشها.

وأن سيبويه إمام النحاة قد جعل معنى (من) هذه البعضية كما تقدم.

وبذلك يثبت أن (من) التي يزعم زيادتها إنما هي اسم لأنها بمعنى (بعض). وهو معنى وضعي أي وضعت له (من).

وعليه فدعوى زيادتها باطلة. فقد نقل ابن يعيش عن ابن السراج قوله: "حق المُلْغَي عندي ألا يكون عاملا ولا معمولا فيه حتى يلغى من الجميع. ويكون دخوله كخروجه لا يحدث معنى غير التوكيد. واستغرب أن تكون هذه الخوافض زائدة لأنها عاملة قال: ودخلت لمعانٍ غير التوكيد"(١).

ولعله يعني بـــ (التوكيد) ما يقصده النحاة من أنها زائدة دخولها كخروجها أما التأكيد بمعنى إفادة النص قوة وعموما لا يتأتى إلا بذكرها فلا خلاف في إفادتها ذلك. وهذا ما عناه الإمام الرضي بقوله: "والعجب أنهم لا يرون تأثير الحروف – يعني: الكلمات – تأثيرا معنويا كالتأكيد في الباء – يعني في قولهم: ما محمد بقائم – ورفع الاحتمال في (لا) يعني في ما جاء زيد ولا عمرو – وفي (مِنْ) الاستغراقية – يعني في : ما جاء من رجل – مانعا من كون الحروف زائدة. ويرون تأثيرها لفظيا لكونها كافة – يعني في: إنما يقوم محمد – مانعا من زيادتها"(٢).

وقد عرفنا معنى التوكيد في هذه النصوص حيث قررنا أن الباء بمعنى (مثل) وأن نفي الحدث عن مثل المتحدث في شأنه يقتضي – لا محالة – نفيه عنه.

---

(١) شرح المفصل ٨/ ١٣٧.

(٢) شرح الكافية ٢/٣٨٥.

وأن (لا) فى : ما جاء زيد ولا عمرو. تنفى احتمال أنهما جاءا ولكن غير مصاحب أحدهما للآخر. وشتان بين هذا المعنى وبين المعنى مع وجود (لا) فإنها تثبت أن المجئ منفى عنهما معاً.

وأن (مِن) الاستغراقية قد أفادت استغراق النفى للجنس من أولة إلى آخره.

هذا: ويرى ابن جنى رأيا آخر حيث يقول: "وإذا قلت: ليس زيد بقائم فقد نابت الباء عن (حقًّا) و (البته) و (غير ذى شك). وإذا قلت: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ ﴾ ١٥٥ النساء. فكأنك قلت: فبنقضهم ميثاقهم فعلنا كذا حقا أو يقينا. وإذا قلت: أمسكت بالحبل. فقد نابت الباء عن قولك: أمسكته مباشرا له وملاصقا يدى له. وإذا قلت: أكلت من الطعام. فقد نابت (من) عن البعض أى أكلت بعض الطعام. وكذلك بقية ما لم نسمه. فإذا كانت هذه الحروف نوائب عما هو أكثر منها من الجمل وغيرها لم يجز من بعد ذا أن تتخرق عليها فتنتهكها وتجحف بها"(١).

ولعلك تلحظ أن ابن جنى قد سوى فى نصه هذا بين ما يُزْعَم زيادته وما لا يقال فيه ذلك مما يثبت أنه لا فرق بينهما وأن الأصل هو ذكر الكلمة لمعنى يراد بها ويقصد ولعل ذلك هو الذى حمل السكاكى على قوله: "إن الغرض من وضع الحروف الاختصار والزيادة تنافيه"(٢).

معنى كون (مِــن) مقحمة:

فى المعانى السابقة لم نر أحداً يزعم أن (من) بدون معنى بل كلهم ذكر لها معنى على حسب رؤيته وحكمه عليها فى الأسلوب.

---

(١) الخصائص ٢/ ٢٧٤.

(٢) مفتاح العلوم ص ٥٣.

وهنا نرى بعض العلماء يجعل (من) المتهمة بالزيادة وغيرها من قبيل المقحم بين العامل ومعموله. ومن أمثلة ذلك عندهم: جئت بلا زاد وذهبت بلا عتاد. وعوقبت بلا ذنب. يقول ابن هشام: "تنبيه: من أقسام (لا) النافية المعترضة بين الخافض والمخفوض نحو: جئت بلا زاد. وغضبت من لا شئ.

وعن الكوفيين أنها اسم وأن الجار يدخل عليها نفسها وأن ما بعدها خفض بالإضافة.

وغيرهم يراها حرفا ويسميها زائدة ... فعلم أنهم قد يريدون بالزائد: المعترض بين شيئين متطالبين. وإن لم يصح أصل المعنى بإسقاطه كما فى مسألة (لا) فى نحو: غضبت من لا شئ ... وليست بزائدة البتة"(١).

فالشأن فى (لا) هو شأن (من) فى: ما جاء من رجل فإن قلنا إن (لا) مقحمة بين عامل ومعموله. فهل يجوز هذا القول فى (من) ؟ كلاً لأنهم فى (لا) استطاعوا أن يجدوا مخرجاً لقولهم: إنها مقحمة. ألا وهو: أن الباء يمكن أن تسلط على ما وقع بعد (لا). ولكن ذلك لا يُسلَّم لهم لأن المعنى لا يصح بدونها.

وأما (من) فلا يجوز تسليط العامل قبلها على مدخولها فقد اعترف النحاة الذين زعموا زيادتها بأنها عاملة وحسبك ما سلف عن سيبويه من قوله: "ولكنها تعمل فى الاسم"(٢). فمن باب أولى لا يستغنى عنها لأنه لا يمكن فيها ما أمكن فى (لا) من دعوى الإقحام دون أن يكون لها أثر فى اللفظ. وإن كان المعنى لا يستغنى عن معناها وهو النفى.

---

(١) المغنى بحاشية الأمير ١/ ١٩٨.

(٢) انظر الكتاب ٤: ٢٢٥.

هذا" وكنا نود من ابن هشام أن يبرز القول با سمية (لا) ويستمسك به. هذه واحدة. وأخرى أهم منها وهى أن ما نسبه ابن هشام إلى الكوفيين نابع من كتاب سيبويه الذى عبر عنه بعضهم بأنه (قرآن النحو) فهو يقول: "واعلم أن (لا) قد تكون فى بعض المواضع بمنزلة اسم واحد هي والمضاف إليه ليس معه شئ وذلك نحو قولك: أخذته بلا ذنب وذهبت بلا عتاد وغضبت من لا شئ. والمعنى: ذهبت بغير عتاد وأخذته بغير ذنب"[١].

أليس فى ذلك النص ما يثبت أن سيبويه قد استوعب من اللغة العربية ما لا يمكن لغيره استيعابه. وأنه قد حوى من أصول النحو ما لو عكفنا على استخراجه وإحصائه لما وجدنا أنفسنا فى حاجة إلى غيره. ولكنى مع ذلك أقول: ربما يؤخذ على سيبويه هنا أن مع جعله (لا) اسما مضاف بمعنى (غير) وما بعده مضافا إليه. لم ير هذا الرأى فى (من) من قولنا: ما جاء من رجل. مع أن (من) ذات أثر فيما بعدها فهو مخفوض بالإضافة وخفضه ظاهر على عكس خفض (لا) فخفضها مقدر.

وربما يقال: كيف يكون المضاف مبنيا ؟ والجواب ما ذكره ابن جنى فى (لا) حيث يقول: "فإن قلت كيف تضيفها وهى مبنية ؟ ألا تراها على حرفين الثانى حرف لين وهذا أدل شئ على البناء. قيل الإضافة لأننا فى البناء. بل لو جعلها جاعل سببا لكان (أعذر من) أن يجعلها نافية له ألا ترى أن المضاف الاسم. وبعض الاسم صوت. والصوت واجب بناؤه فهذا من طريق القياس.

---

(١) الكتاب ٢/ ٣٠٢.

ولما من طريق السماع فلأنهم قد قالوا: كم رجل قد رأيت. فكم مبنية وهى مضافة. وقالوا أيضاً: لأضربن أيهم أفضل. وهى مبنية عند سيبويه"[١].

وما يقال عن (لا) و (كم) و (أيهم) يقال أيضاً عن (مِنْ) التى بمعنى: بعض. بهذا يثبت اسمية (لا) كما ثبت من قبل اسمية (مِنْ) ولكن النحاة يأبون إلا الاعتراض على أى شئ وكلّ شئ هنا نرى الشّمُنّى يقول: "قوله: وعن الكوفيين أنها اسم – يعنى : ابن هشام – لوجود خاصة الاسم فيها وهى دخول الجر عليها. والجواب: أن خاصة الاسم كونه مجرورا لا دخول حرف الجر لأنه قد يدخل على ما ليس باسم"[٢].

وقد يفهم من هذا أن الجر غير ظاهر على (لا) مما يبعد أسميتها. وهذا غير مسلم فكم من أسماء مقصورة أو منقوصة لا يظهر الجر عليها نحو قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ ٩٠ الأنعام. فـ (هدَى) من (هُداهم) مخفوض بالياء وخفضه غير ظاهر بل مقدر. ونحو قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ ٣٢ غافر. وأصله (التنادى) مصدر تنادى القوم أى نادى بعضهم بعضا. فهو مضاف إلى (يوم) مخفوض ولكن خفضه غير ظاهر بل مقدر على الياء.

فلا مانع إذاً من جعل (بلا ذنب) مضاف ومضاف إليه غير أن (لا) اسم مبنى فى محل خفض.

---

(١) الخصائص ٢/ ٣٦: ٣٧.

(٢) حاشية الشّمُنّى على المغنى ٢/٤٩.

خـــلاصــــــة:

وخلاصة ما سبق أن (مِنْ) المظلومة بدعوى زيادتها لم يستطع أحد أن يجردها عن معنىً ما. أو أن يجعل الأسلوب بدونها مساويا له بها.

وأن المعانى التى ذكرها العلماء لها هى: التوكيد . وقد بينا معناه فيها وهذا المعنى منبثق من أنها لا تكون إلا فى سياق نفى أو شبهه وأنها بمعنى (بعض) ونفى البعض يلزمه – لا محالة – نفى الكل. وسواء فى ذلك ما دخلت فيه على (أحد وديار وعريب) وغيرها مما هو عام المعنى وعلى (رجل وكتاب ..) وسواهما مما ليس عام المعنى. فقولك: ما جاء من أحد يساوى (ما جاء من رجل). فى دلالة (من) على (بعض) ونفى البعض يتبعه نفى الكل.

ومما يزيد يقيننا بهذه القضية أن الذى يقابل (من) هو (كل) وهذه تفيد العموم حيث يقول الله: ﴿ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾ ٢١ الطور. ونقول: كل العالمين حادث. ونقول: كل الرجل لا يحيض.

ففى كليات أبى البقاء: كل : اسم لاستغراق أفراد المنكر كما فى الآية . وأفراد المعرف المجموع كما فى المثال الأول. وأجزاء المفرد المعرف باللام كالمثال الثانى(١).

فـ (كل) كلمة عموم أما (من) فكلمة خصوص كما سبق عن قدامة بن جعفر فلو قلنا: من الناس يفعل كذا. كان معناه: بعض الناس يفعل كذا. على عكس: كل الناس يأكل ويشرب.

---

(١) كليات أبى البقاء ص ٣٩٥ وانظر المغنى بحاشية الأمير ١/ ١٦٤.

هذا فى الإيجاب: وأما فى النفى فقد عرفنا معنى (من) إذا كانت فى سياق النفى فهى تكون استغراقية إذ نفى البعض نفى للكل.

وأما (كل) فلو دخل عليها النفى فإنها تكون لنفى البعض كما فى قولنا : لم ألق كل القوم ولم آخذ كل الدراهم فالمعنى: أنك لقيت بعض القوم دون بعض. وأنك أخذت بعض الدراهم دون بعضها. وليس معناها نفى الجميع بحيث: لم تلق أحد القوم ولم تأخذ بعض الدراهم"[١].

فنفى الكل لا يستلزم نفى البعض بخلاف العكس. ومن ثم صح أن أقول : لم يأتنى القوم كلهم بل أتانى بعضهم. ولم أر القوم كلهم بل رأيت بعضهم فأثبت بعد ما نفيتُ. وذلك لأن الفعل المنفى قد عمل فى (كل).

فإذا لم يعمل فيها بأن كانت مرفوعة لم يجز ذلك. فلا تقول: كلهم لم يأتنى ولكن أتانى بعضهم. ولا تقول: كل ذلك لم يكن ولكن بعض ذلك كان. لأنه يؤدى إلى التناقض وهو أن تقول: لم يأتنى أحدهم ولكن أتانى بعضهم[٢].

فهذا كله يثبت أن نفى البعض نفى للكل وذلك إذا كانت (كل) غير معمولة للفعل كما فى قولهم: كلهم لم يأتنى ... ومثله قول الشاعر: أبى النجم.

قد أصبحت أم الخيار تدعى   علىَّ ذنبا كلُّه لم أصنــع

على رواية رفع (كل) فلا يسلط عليها الفعل. ففى معاهد التنصيص: "والشاهد فيه أن (كل) إذا تقدمت على النفى لفظا ولم تقع معمولة للفعل المنفى عمَّ النفى كل فرد مما أضيف إليه (كل) وأفاد نفى أصل الفعل عن كل فرد. ومن ثَمَّ أتى بـــ (كل)

---

(١) انظر دلائل الإعجاز ص ١٨٢.

(٢) انظر دلائل الإعجاز ص ١٨٥: ١٨٦.

مرفوعة عادلا عن نصبها غير المحتاج إلى تقدير ضمير لأنه لا يفيد نفى عموم ما ادعته أم الخيار عليه"(١).

فأسلوب: كل ذلك لم أفعل يكون مثل ما أتانى رجل. وما رأيت من امرأة. فى استغراق النفى غير أن النفى يذكر بعد (كل) ولكنه يذكر قبل (من) إذ لكل مقام مقال. ولكل كلمة مع أختها حال.

ومن ثَمَّ كان الشرط السائد عند العلماء هو: أن يكون النفى قبل (من) كما قرر ذلك سيبويه ومَنْ بعده مَنَ النحاة فلا يجوز أن تكون فى سياق إيجاب: مثل: جاءنى من رجل. وأتانى من أحد. وأعنى بذلك أن (من) هنا ليست مما يزعم زيادته لأنها فاعل أى جاءنى بعض جنس الرجل وبعض الناس كما عبر سيبويه.

ومن ثَمَّ قال ابن يعيش عن هذين الأسلوبين: "إن استغراق الجنس فى الواجب محال إذ لا يتصور مجئ جميع الناس. ويتصور ذلك فى طرف النفى"(٢).

ولا يذهبن بك الظن إلى ما سلف ذكره من قول الشاعر (كلُّه لم أصنع) فتوهم أن هذا أسلوب إيجاب فكيف يجوز فيه الاستغراق. لأن الواقع أنه من أساليب النفى غير أن النفى بعد (كل) لا قبلها كما وضحنا آنفا.

---

(١) معاهد التنصيص ١/ ١٤٧ وانظر الإيضاح ١/١٢٦ فما بعدها.

(٢) شرح المفصل ٨/ ١٣.

ومن هذا قولــه تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ . قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ٦٠: ٦١ الأعراف.

ففى هاتين الآيتين نري قوم نوح يرمونه بأنه (فى ضلال مبين) ومن البدهى أن (ضلال) جنس عام. كما نراه يرد عليهم بقوله (ليس بى ضلالة) ولا يخفى على أحد أن (ضلالة) مفرد: (ضلال) وهو فى سياق نفى كما أنه على معنى (من) الاستغراقية. وبذلك يكون النبى نوح عليه السلام قد نفى عن نفسه شبهة ضلالة فكيف يكون فى ضلال ؟!

يقول السيوطى: "وقوله (ليس بى ضلالة) لم يقل: ضلال كما قالوا (إنا لنراك فى ضلال) لأنها أعم منه فكان أبلغ فى نفى الضلال. وعبر عن هذا بأن نفى الواحد يلزم منه نفى الجنس ألبته. وبأن نفى الأدنى يلزم منه نفى الأعلى"(١).

نتيجـــــة:

وثمرة هذا المبحث ونتيجته أن (من) التى و سموها بِسمةَ الزيادة ظلما وبهتانا قد ثبتت قيمتها فى الدلالة على المعنى المراد. وتحققت قوة الأسلوب بها بل إنى أقول: إنها محور تلــك الدلالــة وعنصر هذه القوة فبدونها يكون مبهما متخاذلا. وأن مصدر ذلك كله أنها اسم بمعنى (بعض) كما حققنا ومن ثَمَّ فهى جديرة باسم (من) الاستغراقية وأنها لا تكون إلا فى سياق النفى أو شبهه كما سيأتى.

---

(١) الإتقان ٢/ ٧٨.

وأما إذا وقعت فى غير ذلك فلم تكن لإستغراق النفى لعدم وجوده بل قصارى أمرها أن تكون فاعلا أو مفعولا كما سبق فى . ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ٣٤ الأنعام و ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ ٣١ الأحقاف و ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ ٢٧١ البقرة و ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ ٢٣ الحج.

وربما يزعم بعضهم زيادتها وهذا باطل لأنه يترتب عليه عكس الذى يفيده النص وهذا غير جائز إذ كيف يقول (جاءك من نبأ المرسلين) ويزعم زاعم أن المعنى (جاء نبأ المرسلين) وكيف يقول (يغفر أو يكفر من ذنوبكم ومن سيئاتكم) ويتوهم أحد أنه يغفر ذنوبكم ويكفر سيئاتكم. وكيف يقول: يحلون من أساور من ذهب) ثم يستسيغ إنسان ما أنهم (يحلون أساور الذهب كلها.

ومما يثبت ذلك قول الله عز وجل: ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ ٣١ آل عمران. ففى هذه تفضل على أمة محمد ﷺ حيث جعل جزاء اتباعه مغفرة كل ذنوب المتبع إذ من البدهى أن المتبع يكون ذا ذنوب ضئيلة قليلة.

وأنها لا تكون إلا فى سياق نفى أو شبهة كما سيأتى.

أساليب (مِنْ) الاستغراقية فى القرآن:

تمهيـــد:

علمنا مما سبق أن النحاة تكاد تتفق كلمتهم على أن (من) المرسومة بالزيادة لا تكاد تقع إلا فى سياق نفى أو شبهة. ومن ثَمَّ قرروا أنها زائدة فى مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ٦٢ آل عمران. وفى مثل: ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ ٥٩ الأعراف. وهى فى الآيتين – عندهم – مزيدة فى المبتدأ. والحق أنها فى الآية الثابتة مزيدة فى الفاعل لأنها مسبوقة بظرف فى سياق نفى وقد أجمع النحاة على أنه يرفع ما بعده فاعلا. وفى هذا تنزيه النص عن دعوى التقديم والتأخير .ودعوى الحذف والتقدير.

وأما ما زعمه بعضهم من زيادة (من) فى سياق غير منفى مثل: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ٣٤ الأنعام. وقول العرب: (قد كان من مطر) وكذلك فى مثل قوله تعالى: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ ٤ نوح ... وغير ذلك فالصواب الصادق أن (من) فى الآية الأولى ، وقول العرب اسم بمعنى (بعض) وتعرب فاعلا. وفى الآية الثانية اسم كذلك وتعرب مفعولا به.

وبهذا الموجز يستبين أن دعوى زيادة (من) قد وقعت ضدها فى الأبواب النحوية الآتية:

١- باب المبتدأ.

٢- باب الفاعل وكذلك باب نائب الفاعل.

٣- باب المفعول به.

٤- باب الحال. وهذا قليل لا ممنوع كما يراه بعضهم.

و (من) فى هذا الأبواب تكون فى سياق نفى أو شبهة كما سنعلم ذلك من أساليب القرآن.

هــذا: وقد علمنا أن السائد القول بعدم زيادتها فى سياق إيجاب ولكننا قد حققنا أن ذلك ليس على إطلاقه إذ قد وجدنا آيات قرآنية مزعوم فيها زيادة (من) – غير ما سبقت الإشارة إليه – فى سياق إيجاب وذلك فى أسلوبى (كم) و (كأين) ولكنه إيجاب فى حكم النفى لما فيهما من معنى الاستفهام.

ذلكم هو إجمال القول فيما يُزْعَم زيادة (من) فيه من أساليب قرآنية. وأما تفصيل ذلك فعلى النحو الآتى:

يتضح مما سبق أن (من) التى زعم النحاة زيادتها وهى الاستغراقية قد وقعت فى سياق نفى أو شبهه كثيرا. ويــدل على ذلــك تنوع أبوابها النحوية فى الأول دون الثانى.

أولاً: آيات (من) الاستغراقية الواقعة فى سياق نفى وهى مرتبة حسب ترتيب الأبواب النحوية المألوفة على ما هى عليه فى ألفية ابن مالك.

آيــات (من) الاستغراقية الواقعة مبتدأ:

تنقسم هذه الآيات باعتبار أداة النفى إلى ثلاثة أقسام:

الأول: آيات وقعت (من) فيها بعد النفى بـــ (ما). وهى تسع آيات وليتْ (من) فيها (ما) بلا فاصل بينهما. وأضيفت إما إلى كلمة (إله) وإما إلى كلمة (دابة) وإما إلى (شفيع) وإما إلى (غائبة).

(١) أضيفت إلى (إله) في ثلاث آيات هي:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ٦٢ آل عمران. وقوله: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ ٧٣ المائدة. وقوله: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ ٦٥ ص.

لعلك تتذكر هنا أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ ١٤ طه وقوله: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ١٦٣ البقرة. وقوله: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ ﴾ ٨٧ الأنبياء. وقوله: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ١٩ محمد

... كل هذه الآيات وغيرها كثير في القرآن قد قرر علماء اللغة أن النفي فيها استغراقي لأنه على معنى (من) الاستغراقية. وهي اسمية بمعنى (بعض) وما تحقق معنى هذا الاستغراق إلا بمعنى البعضية.

فإذا لوحظ هذا المعنى مع عدم ذكر لفظ (من) فكيف بنا لا نستمسك به ولا نرضى به بديلا عند ذكره وأثره فيما بعده بالإضافة. وهذا يجعل القلب لا تحتلج فيه شبهة حول اسميتها وإعرابها مبتدأ وما بعدها مضاف إليه مخفوض والخبر هو (الله) أو (إله واحد).

هذه واحدة. وأخرى تزيدها قوة على قوة وهي : أننا لو قلنا: الرجل قَوَّام على المرأة لكان هذا استغراقا إيجابيا أي كل رجل قوام على كل امـرأة . فـــ (أل) استغراقية وتقابل: كل في قولنا كل الرجل قَوَّام على كل المرأة فهي تشــمل أفــراد الجنس. ومن ذلك قوله تعــالى:إِنَّ ﴿ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ ٢ ، ٣ العصر.

فـ (أل) فى (الإنسان) استغراقية إيجابيا. ومن ثم قرر النحاة أنه: (إذا دخلت (أل) على المفرد كانت مستغرقة لجميع أفراد الجنس) (١).

ويرى الزمخشرى أنها تحتمل استغراق الجنس كله كما تحتمل أن يراد بها بعض(٢) ومما يثبت لستغراق الجنس كله قوله تعالى: ﴿ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ ٣١ النور. فوصف (الطفل) بالجمع (الذين...). فالمراد: كل طفل. كما في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾ ١٨٥ آل عمران. فلو قلنا في شرحه: ما من نفس إلا ذائقة الموت لكانت (من) استغراقية فى النفي كما أن (كل) إستغراقية في الإيجاب وبهذا تذوب آية شبهة فى نفس أى باحث حول زعم زيادة من هذه إذ يترتب عليه فتح ثغرة خطيرة على كلمات القرآن.

ومن هنا يتضح قول السيرافى: " ما كان من الحروف يختص بالجحد فلا يجوز دخوله على الموجب ولا تعليق الموجب به. فإذا قلت: ما أتاني من أحد إلا زيد لم يجز خفض (زيد) لأن خفضه معلق بـ (من) ولا بجوز دخول (من) هذه على موجب. ولا تعليق الموجب بها، وإنما دخلت فى النص على نكرة لنقله من معنى الواحد إلى معنى: (الجنس) (٣) .

---

(١) أنظر حاشية الصبان على منهج السالك للأشمونى ١٨٨/١.

(٢) أنظر الكشاف ٧٩/١.

(٣) هامش الكتاب ٣١٥/٢.

وإنما سقنا هذه النصوص لاقتلاع آخر نبتة فى نفس القارئ حول بخس (مِنْ) حقها وارتكاب ظلمها بدعوى زيادتها.

وليزداد القارئ يقينا إلى يقين نسوق إليه نصوص علماء اللغة فى تفسير آيات (مِنْ) السالف ذكرها.

يقول الزمخشرى فيِ الأية الأولى ﴿ وما من إله إلا الله ﴾ "من: فيها بمنزلة البناء على الفتح فى ﴿لا إله إلا الله ﴾ فى إفادة معنى: الاستغراق[١] ".

ويقول الرازى: " وما من إله إلا الله " "(من) يفيد تأكيد النفى لأنك لو قلت: عندى من الناس أحد. أفاد أن عندك بعضهم. وإذا لم يكن عندك بعضهم فبأن لا يكون عندك كلهم أولى. فثبت أن قوله: وما من إله إلا الله مبالغة فى أنه : لا إله الا الله الواحد الحق سبحانه. [٢]"

ومثل هذه الآية آية ص (وما من اله إلا إله واحد) فيقول فيها الزمخشرى:" من: فى هذه الآية للاستغراق وهى المقدرة مع(لا) التى لنفى الجنس فى قولك: لا إله إلا الله. والمعنى: وما إله قط فى الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثانى له وهو الله وحده لا شريك له[٣]" ويقول الرازى:" فى (من) قولان (أحدهما) أنها صلة زائدة. والتقدير : وما إله إلا إله واحد.

(الثانى) أنها تفيد معنى الاستغراق والتقدير: وما فى الوجود من هذه الحقيقة إلا فرد واحد. [٤]"

---

(١) الكشاف١/٢٨٤.

(٢) من مفاتيح الغيب ٢/٤٩٠.

(٣) الكشاف ١/٥١٧.

(٤) من مفاتيح الغيب ٢/٤٩٠.

وبأدنى التفاتة ذهنية يدرك العقل فساد المعنى الأول لأنه يفيد تعدد الآلهة بتعدد مظاهر الكون وماله من صفات. فقد قرأنا أن هناك من يزعم للسلم إلها وللحرب إلها وللحب إلها وللنور إلها وللظلام إلها. فالمعنى الأول لا يمنع ذلك. وإنما يمنع أن يكون للسلم إلها.أو الحرب إلها... إلخ.

وهذا بين الفساد. ومن ثم رأينا الرازى يشرح المعنى الثانى بقوله: (وما فى الوجود من هذه الحقيقة إلا فرد واحد) وهذا هو المعنى الذى يقتضيه النص وهو ما عناه أبو حيان بقوله " معناه: لا يكون إله فى الوجود إلا متصف بالوحدانية وأكد ذلك بزيادة (من) الاستغراقية وحصر الهيئة فى صفة الوحدانية. (١)"

ولعلك تدرك أن معنى قوله (زيادة: (من) الاستغراقية) أى ذكرها لاحتياج المعنى إليها كما نقول : إن محمدا قائم. ثم نقول إن محمدا لقائم بزيادة اللام لأن المعنى يحتاج إليها فى هذا المقام.

والذى يمكننا استنتاجه مما سبق من نصوص يتمثل فى الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى : عموم النكرة المضافة إلى (من) نحو: من رجل. ومن أحد... وقد وضح سيبويه ذلك حيث قال: " فـ (لا) لا تعمل إلا فى نكرة من قِبَلِ أنها جواب فيما زعم الخليل بقوله" هل من عبد أو جارية؟ فصار الجواب نكرة كما أنه لا يقع فى هذه المسألة إلا نكرة ".

قال السيرافى:" قوله: من قَبِلِ أنها جواب أى جواب: هل من رجل فى الدار؟ وذلك : أنه إخبار. وكل إخبار يصح أن يكون جواب مسألة. ولما كان : (لا رجل فى الدار) نفيا عاما كانت المسألة عنه مسألة عامة. ولا يتحقق العموم إلا بإدخال

---

(١) البحر المحيط ٥٣٥/٣.

(من) وذلك أنه لو قال فى مسألته : هل رجل فى الدار ؟ جاز أن يكون سائلا عن رجل واحد كما تقول : هل عبد الله فى الدار؟ فالذى يوجب عموم المسألة دخول (من) لأنها لا تدخل إلا على واحد منكور فى معنى الجنس ا.هـ"[1].

ومقتضى هذا أن "إله) فى قوله تعالى(وما من إله) بمعنى الجنس و(من) بعضية والمعنى: أنه لا يوجد من هذا الجنس إلا حقيقة واحدة هى الله وحده . وهذا لا يبيح أن تكون (من) زائدة.

الحقيقة الثانية: أن نفى بعض الجنس يستلزم نفى جميعه كما قرر الرازى وغيره. وبذلك يثبت أن (من) هى محور الدلالة على المعنى المراد. وما كان هكذا لا يمكن أن يتخيل أحد زيادته.

الحقيقة الثالثة: اننا قد نقلنا عن الرازى الفرق الكبير بين أن تكون (من) زائدة ويكون تقدير الأسلوب: وما إله إلا اله واحد. وبين أن تكون إستغراقية أى لنفى حقيقة الألوهية عن أى شئ سوى الله عز وجل.

أما قول بعض النحاة: إنها للتوكيد فلا مفهوم له وفى ذلك يقول الشهاب" وقد توقف بعضهم فى وجه إفادة الكلمات المزيدة للتأكيد بأى طريق هى. فإنها ليست وضعية.

ثم يقول" وأجاب بعضهم بأنها ذوقية يعرفها أهل اللسان" ثم عقب قائلا :" وهو حوالة على مجهول"[2] وهذا أبلغ رد وأقواه . وخاصة أن جميع العلماء يقررون ويقرون أن القرآن معجزة فلا يليق به دعوى الزيادة.

---

(١) الكتاب ٣٥٤/١ وهامشها.

(٢) حاشية الشهاب الخفاجى ١٣٢/٣.

إعراب هذه الأيات:

ذكر سيبويه إعراب: لا رجل فى الدار فقال: " وأعلم أن (لا) وما عملت فيه موضع إبتداء كما أنك إذا قلت: هل من رجل فالكلام بمنزلة إسم مرفوع. وكذلك: ما من رجل . وما من شئ. والذى يبنى عــليه فى زمان أو فى مكان ولكنك تضمره. (١)"

وهذا إعراب على سبيل الإجمال يفهم منه أنّ (لا رجل) فى موضع رفع مبتدأ وخبره (فى الدار) أو (فى الغداة) وهذا هو المقصود بقول سيبويه : (والذى يبنى عليه فى زمان أو فى مكان فهو يعنى: الخبر لأنه مبنى على المبتدأ.

وإن شئنا فصلنا بعض تفصيل فقلنا: (ما) نافية و(من) اسم بمعنى (بعض) فى محل رفع مبتدأ و(إله) مضاف إليه. وفى الخبر وجهان نقلهما الجمل عن السمين فإما أن يكون (إلا الله) وإما أن يكون مضمرا تقديره: وما إله لنا إلا الله. و(إلا الله) بدل من موضع (من الله) لأن موضعه رفع بالإبتداء(٢).

ب- أضيفت (من) إلى (حسابك) فى قوله تعالى:﴿ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ ٥٢ الأنعام.

وصدر هذه الأية (ما عليك من حسابهم من شئ) وسيأتى الكلام عليه فى (من) المرفوعة بالظرف فاعلا.

وأما (وما من حسابك...) فــ (من) فيه يزعم بعضهم زيادتها فى المبتدأ والحق أنها هى المبتدأ اى: وما بعض حسابك عليهم) فالظرف (عليهم) خبره. وأما

---

(١) الكتاب ١/٣٤٥.

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ١/٤٣٠.

(من شئ) فبيان لـــ (من حسابك) او بدل منه فالأية إذاً فى اشد الاستغناء عما زعمه بعض النحاة فيها من زيادة (من) وجعل (من حسابك) صفة (شئ) قدم عليه فصار حالا ثم جعل (عليهم) مقدَّمة على (من حسابك) تقديرا. هكذا قرر أبو البقاء زاعما أن (من) فى (من شئ) زائدة وموضعها رفع بالابتداء(١) .

وعليه يكون أصل الجملة: وما عليهم من شئ من حسابك . وحتى لو كانت هكذا لما زعمنا أن فيها تقديما وتأخيرا إذ (من شئ) يكون فاعل (عليهم) و(من حسابك) بيان له أو بدل منه.. وقد ضعف أبو حيان نصب(من حسابك) على الحال لأن (عليهم) هو محط الفائدة(٢).

فالصواب الذى يليق بدقة القرأن وحكْمَةِ أساليبه أن نفهم المعنى المراد من نسق الجملة التى أنزلت به وحيا من عند الله إلى حبيبه ومصطفاه محمد -صلى الله عله وسلم.

ج- أضيفت (من) إلى (دابة) فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾٣٨ الأنعام. وقوله: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ وقوله:﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ ٦،٥٦ هود.

ففى الآية الأولى والثانية نرى الخبر مذكورا وهو(أمم أمثالكم) . فـــ (ما) نافية و(من) استغراقية بمعنى (بعض) فى محل رفع مبتدأ و(دابة) مضاف إليه، وجملة

---

(١) أنظر التبيان ص٤٩٩.

(٢) أنظر البحر المحيط ١٣٨/٤.

(على الله رزقها) ظرفية وهى الخبر. وفى قوله (ولا طائر يطير بجناحيه) قراءتان إحداهما: بالخفض عطفا على المضاف إليه (دابة). والثانية: بالرفع عطف على المضاف (من). وبهذا نحافظ على كل كلمة فى النص ونحفظ لها قيمتها فى المعنى وحكمها فى الإعراب. ولكن ربما يفهم من قول الزمخشرى:" وقرأ ابن أبى عبلة (ولا طائر) بالرفع على المحل كأنه قيل:"وما دابةٌ ولا طائرٌ" "(١) .

أقول: ربما يفهم من هذا دعوى زيادة (من). وهى مردودة فالصواب ما ذكرناه أولا.

ومما يزكى هذا أننا وجدنا العلماء يكررون معنى (من) هذه مع أنها غير موجودة فى مثل قوله تعالى:﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ ٤٣ هود. فكيف لا تحترم معناها وهى مرئية بالعين ومنطوقة باللسان ومسموعة بالأذن. ومن قبل ذلك كله ومن بعده: مخطوطة باليد. أبعد هذه الحواس كلها يأتى بعض الناس ليقرر بعقله أنها زائدة. إننا نعلم -كما يعلم غيرنا- أن الحواس هى أدوات العقل بل هى أم الفكر ووالدته فإذا لم يكن للعقل فكر ولا إدراك مع وفرة الحواس كان غائبا بل معدوما أو عقيما.

وأما الآية الثالثة (ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها) فـ (من) فيها مبتدأ و(دابة) مضاف إليه. وجملة (هو آخذ بناصيتها) اسمية فى محل رفع خبر المبتدأ.

د- أضيفت (من) إلى (شفيع) فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ ٣ يونس. وفيها يقول أبو السعود: " ما من شفيع: بيان لاستبداده سبحانه فى التقدير والتدبير ونفى للشفاعة على أبلغ الوجوه فإن نفى جميع أفراد الشفيع بـــ (من) الاستغراقية يستلزم للشفاعة

---

(١) الكشاف ١٦/٢ وانظر إملاء ما من به الرحمن ١٣٥/١ والبحر المحيط ١١٩/٤.

على أتم الوجوه. كما فى قوله تعالى: ﴿ لاعَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ ٤٣ هود[١].

ولعلك تستطيع – قياسا على ما سلف ذكره- أن تجعل (من) استغراقية فتكون اسما بمعنى (بعض) مبتدأ ومن ثَمَّ يكون لستغراق الشفاعة بديهيا.

وأن سره يكمن فى (من) الاسمية البعضية فهى المبتدأ. والخبر قوله تعالى من بعد إذنه.

هـ - أضيفت (من) إلى (غائبة) فى آية واحدة هى:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ ٧٥ النمل. يقول الالوسى:" اى من شئ ثابت الخفاء فيهما على أن (غائبة) صفة غالبة فى هذا المعنى فكثر عدم إجرائها على الموصوف ودلالتها على الثبوت وإن لم تنقل إلى الاسمية كـ (مؤمن) و(كافر). فتاؤها للتأنيث إذ لم يلاحظ فيها موصوف تجرى عليه كالراوية للرجل كثير الرواية فهى تاء مبالغة.

ويجوز أن تكون صفة منقولة إلى الاسمية سُمِّىَ بها ما يغيب ويخفى. والتاء فيها للنقل كما فى (الفاتحة).

والفرق بين المغلِّب والمنقول – على ما قال الخفاجى – أن الأول يجوز إجراؤه على موصوف مذكر بخلاف الثانى.

والظاهر عموم الغائبة أي: ما من غائبة كائنة ما كانت".

---

(١) إرشاد العقل السليم ٣٨٤/٥ وقول أبى السعود (لاستبداده سبحانه فى التقــدير والتــدبير)، معناه: الفردية يقال: استبد فلان بكذا أى انفرد به"أنظر اللسان".

فواضح أن (من) استغراقية فهى اسم بمعنى (بعض) فى محل رفع مبتدأ والخبر قوله تعالى: فى كتاب مبين.

القسم الثانى: آيات وقعت (من) فيها بعد النفى بـ (إن)، وذلك فى اربع آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ ٢١ الحجر. وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ ٤٤ الإسراء.

ويلاحظ أن (من) فى هاتين الآيتين أضيفت إلى (شئ). وقد عرفنا أن هذه الكلمة أعم كلمة فى اللغة فهى تطلق على الأدنى والأعلى وما بينهما.

وقوله تعالى: وَإِن﴿ مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا ﴾ ٥٨ الإسراء. و(من) فى هذه الآية مضافة إلى (قرية).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ٢٤ فاطر. و(من) فيها أضيفت إلى (أمّة). فـ (من) فى هذه الآيات اسم بمعنى(بعض) فى محل رفع مبتدأ وهى استغراقية لا زائدة و(شئ) و(قرية) و(أمة) مضاف إليه. وخبر المبتدأ هو الجملة الواقعة بعد (إلا) وهى ظرفية فى قوله (إلا عندنا خزائنه) إذ الظرف (عند) رافع لـ (خزائنه) وبذلك نكون قد حافظنا على نسق الآية بعد أن صنا كلماتها عن اللغو والحشو.

وهى فعلية فى (إلا يسبح بحمده) وفى (خلا فيها نذير) . واسمية فى (إلا نحن مهلكوها) .

ومع هذا نرى أبا حيان يقول:" إن: نافية و(من) زائدة فى المبتدأ تدل على إستغراق الجنس. والجملة بعد (إلا) خبر المبتدأ وقيل المراد الخصوص والتقدير: وإن من قرية ظالمة. " وقال ابن عطية: و (من) لبيان الجنس أنتهى[١].

ولعلك تلحظ التناقض البدهى فى قول ابى حيان : و(من) زائدة ... تدل على استغراق الجنس) إذ كيف تكون زائدة وهى تدل على معنى لا يتأتى ولا يمكن الحصول عليه إلا بها؟:.

ولعله فى ذلك متأثر بكلام ابن عطية فهو يقول:" أخبر الله تعالى فى هذه الآية أنه: ليس مدينة من المدن إلا هى هالكة قبل يوم القيامة بالموت والفناء.. أو هى معذبة مأخوذه مرة واحدة. فهذا عموم فى كل مدينة. و(من) لبيان الجنس. وقيل المراد الخصوص[٢]"

ففى هذا النص دعوى احتمال زيادة (من) وتجريد الآية عن معناها وعليه يكون المعنى المراد هو إهلاك قرية واحدة لا عموم القرى. كما أنه جعل (من) لبيان الجنس. وقد عرفنا أن هذا حكم بإعدام (من) أيضا. وهنا ما يزيدنا يقينا بفساده ألا وهو أن (من) عند من يجعلها بيانية لابد من سبقها بمبهم تكون بيانا له كما فى قوله تعالى:﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ ٢ فاطر.

ولذا رأينا أبا حيان يرد على ابن عطية قائلا :" والتى لبيان الجنس على قول من يثبت لها هذا المعنى هو" أن يتقدم قبل ذلك ما يفهم منه إيهام فتأتى (من) لبيان

---

(١) البحر المحيط ٥٢/٦.

(٢) المحرر الوجيز ٤٦٦/٣.

ما أريد بذلك الذى فيه إبهام كقوله تعالى:﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ ﴾ ٢ فاطر. وهنا لم يتقدم شئ مبهم تكون (من) فيه بيانا له. ولعل قوله (لبيان الجنس) من الناسخ ويكون هو قد قال : لاستغراق الجنس[١]" وما دامت لاستغراق الجنس فهى اسم بمعنى (بعض) إذ هذا المعنى هو الذى يستلزم ذلك الاستغراق.

القسم الثالث: آيات وقعت فيها (من) بعد استفهام بـــ(هل) وفيه معنى النفى وذلك فى تسع آيات هى قوله تعالى:﴿ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم ﴾ ٣ فاطر، قوله: ﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾،﴿ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾ ٣٦،٣٠ قٓ. وقوله ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ ١٥، ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠، ٥٠. القمر.

ونظرا إلى أن آية (فاطر) فى حاجة إلى شرح وبيان أكثر رأيت تأخير الكلام عليها. وأما الآيات من بعدها فالقول فيها موجز لا خلاف حوله. وبجمعها قاعدة واحدة وهى حذف الخبر.

وقد قـــال سيبويه عن أسلوب تلك الآيات فى سياق كلامه على (لا رجل):" واعلم أن (لا) وما عملت فيه فى موضع ابتداء كما أنك إذا قلت: هل من رجل. فالكلام بمنزلة اسم مرفوع مبتدأ وكذلك: ما من رجل. وما من شئ. والذى يبنى عليه فى زمان أو فى مكان ولكنك تضمره[٢]"

---

(١) البحر المحيط ٥٢/٦.

(٢) الكتاب ٣٤٥/١.

ويعــنى سيبويه بـــ (الذى يبنى عليه) الخبر المضمر فهو مبنى على المبتدأ وهو(من مزيد) وغيره. أى هل بعض زيادة. حاصل أو حادث. وهل بعض ميل عن طريق الهلكة والدمار. وهل بعض البشر يذكر ما ذكرناه. وإذا تأملنا : أدركنا أن المعنى على النفى: لا جزء مزيد حاصل..إلخ.

وقد قدَّر الزمخشرى الخبر فى قـــوله (هل من محيص) بـــ(من الله) أو(من الموت) (١) وأما آية فاطر(هل من خالق غير الله يرزقكم) فالخبر موجود مذكور كما سيتضح مما يأتى:

مما يلفت الذهن أن كلام العلماء فى هذه الآية إن دل على شئ فإنما يدل على أنهم وضعوا قواعد نحوية لغوية ثم راحوا يفرضونها فرضا على نصوص القرآن الحكيم. ومن تلك القواعد قاعدة زيادة (من) التى نحاول فى بحثنا هذا أن نزلزل بنيانها ونخلخل أركانها حتى تصير حطاما هشا لا يمسكه شئ بل تتطاير هباء منثورا ولم يلبث أن تزول غشاوتها عن البصر وعمايتها عن القلب فيرى البصر ويبصر القلب.

ولا أدل على ذلك من قول الصبان: إن زيادة (من) فى الآية قياسيةبخلاف زيادة الباء فى (بحسبك درهم) (٢) .

ومما لا علاقة له بذلك اختلافهم فى (خالق) هل يجوز إطلاق هذا الوصف على غير الله أو لا يجوز يرى (ابن عنيد) انه لا يجوز. (٣)

---

(١) الكشاف٤/ ٣١٠.

(٢) انظر حاشية الصبان على منهج السالك ١/١٩٨.

(٣) انظرهامش الكشاف ٣/٢٨٤.

والصواب أنه جائز ويثبت ذلك قول الله عز وجل: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ ١٤ المؤمنون.

وبالرجوع إلى اصل معنى(خلق) رأيت الراغب يقول:" الخلق أصله التقدير والمستقيم. ويستعمل فى إبداع الشئ من غير أصل ولا احتذاء قال:﴿ خلق السموات والارض ﴾ أى أبدعها بدلالة: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ١١٧ البقرة.

ويستعمل فى إيجاد الشئ من الشئ نحو:﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾ ١ النساء، ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾ ٤ النحل، ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾ ٢ العلق. وليس الخلق الذى هو الإبداع إلا لله تعالى...... إن قيل: قوله تعالى: ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ يدل على أنه يصح أن يوصف غيره بالخلق.قيل: إن ذلك معناه: أحسن المقدرين. أو يكون على تقدير أن ههنا مبدعين وموحدين فالله أحسنهم إيجادا على ما يعتقدون كما قال: ﴿ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ١٦ الرعد (١).

وبذلك يطمئن القلب إلى أنه لا غبار على وصف الإنسان بأنه خالق إذا قدر ما يصنعه تقديرا مستقيما.

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص١٥٧.

وهذه الآية تتعلق بأمرين: الخلق والرزق فكما يقال: خلق خلقا يقال: رزق رزقا والاسم الرزق [١].

" والرازق يقال لخالق الرزق ومعطيه والمسبب له وهو الله تعالى. ويقال للإنسان الذى يصير سببا فى وصول الرزق. [٢] "

وإنما ذكرنا ذلك تمهيدا لدراسة الآية على ضوء بحثنا المقصود على (من) فى القرآن الكريم ليدرك القارئ أن (خالق) و (رازق) من الصفات التى يمكن أن يوصف بها غير الله. وعليه يصدق على (خالق) فى الآية أن فيها معنى الجنس. وإذا كنا قد علمنا أن (إله) فى نحو قوله تعالى:" وما من إله إلا الله" مقصود بها الجنس. وأن (من) دخلت عليه لاستغراق جنسه فما بالنا نحجم عن ذلك فـــى (خالق)؟!.

هذه واحدة. وأخرى لا بد من تحريك الأذهان نحوها وهى: أننا قد عرفنا بل ألفنا أن الوصف فى نحو قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ١٣٩ الأعراف. يرفع ما بعده وهو (ما) على أنها نائب فاعل فى (متبر ما هم فيه) وفاعل فى (وباطل الأرض ما كانوا يعملون) فهل يجوز أن يرفع (خالق) فاعلا مع ذكر (من) قبله.

يقول الألوسى:" أى هل خالق مغاير له تعالى موجود لكم أو للعالم على أن (خالق) مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه (من) لتأكيد العموم و(غير الله) صفة له باعتبار محله.

---

(١) أنظر معجم مقاييس اللغة ٣٨٨/٢.

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص١٩٤.

وجُوِّزَ أن يكون بدلا من (خالق). ولأن يكون فاعلا بـــ (خالق) لاعتماده على أداة استفهام نحو: اقائم زيد. فى احد وجهيه وهو حينئذ سادٌ مسادَّ الخير".

ثم يقول: " وتعقبه أبو حيان بقوله" فيه نظر وهو: أن اسم الفاعل أو ما يجرى مجراه إذا إعتمد على أداة الاستفهام وأجرى مجرى الفعل فرفع ما بعده. هل يجوز أن تدخل عليه (من) التى للاستغراق فيقال: هل من قائم الزيدون. والظاهر انه لا يجوز. الا ترى أنه إذا أجرى مُجرى الفعل لا يكون فيه عموم بخلافه إذا دخلت عليه (من). ولا أحفظ مثله فى لسان العرب. وينبغى ألا يقدم على إجازة مثل هذا إلا بسماع من كلامهم انتهى كلام أبى حيان.

قال الألوسى: " وفيه أن شرط الزيادة والإعمال موجود ولم يبد مانعا ما يعول عليه فالتوقف تعنت من غير توقف.

وفى الكشف: لا مانع من أن يكون ٠غير) خبرا.ومنعه الشهاب بأن المعنى ليس عليه[١]"

وذكر الصبان مثل كلام أبى حيان ثم منع أن يكون (يرزقكم) هو الخبر لأن (هل) لا تدخل على مبتدأ خبره فعل إلا شذوذ عند سيبويه[٢]. وهكذا نجد النحاة يفرضون قواعد وضعوها على قرآن الله الذى هو فى الحقيقة أدق وأعلى واصدق كلام يؤخذ منه قواعد اللغة. ولكنهم يرفضون ذلك. ويرتكبون فى سبيل رفضهم شططا من القول وزورا ولو أدى هذا إلى تعقيد اللغة مما يجعلها تتأخر عن ركب الحياة فضلا عما يترتب عليه من البعد عن أعلى وأغلى نص عرفته الإنسانية باللغة العربية. وما شأن اللغة إلا كشأن الشريعة حيث يجب أن يؤخذا معا من القرآن دون فرض قواعد بشرية عليه فى اللغة أو فى الفقه. يقول الدكتور محمد

---

(١) روح المعانى٧/١٦١. وانظ البحر المحيط ٧/٣٠٠.

(٢) حاشية الصبان على منهج السالك للأشمونى ١/١٩٨.

البهى: " فإن الوضع الطبيعى للقرآن هو: أن يوحى ويعطى للمسلمين دون أن يحمل على غير ما يوحى ويعطى. والوضع الطبيعى للمسلمين فى موقفهم من القرآن أن يتلقوا من القرآن دون أن يكرهوه على رأى لهم[١]".

ومما يزيد يقيننا بهذه القضية اننا وجدنا علماء النحو تتوزعهم الآراء وتتفرق بهم السبل كما إتضح من كلام أبى حيان والألوسى والصبان ومن قبل هؤلاء نرى الزمخشرى يقول: " فإن قلت: ما محل (يرزقكم) ؟ قلت: يحتمل أن يكــون له محل إذا أوقعته صفة لـــ (خالق). وألا يكون له محل إذا رفعت محل (من خالق). بإخبار (يرزقكم) وأوقعت (يرزقكم) تفسيرا له. أو جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله (هل من خالق غير الله)؟.

فإن قلت: هل فيه دليل على أن (الخالق) لا يطلق على غير الله ؟ قلت: نعم إن جعلت(يرزقكم) كلا ما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة. وأما على الوجهين الآخرين وهما : الوصف والتفسير فقد تقيد فيها بالرزق من السماء والأرض وخرج من الإطلاق. فكيف يستشهد به على اختصاصه بالإطلاق"[٢].

وبالتأمل فى هذه الأوجه ندرك ما يلى:

(أ) أن الزمخشرى وغيره لا يأبهون بقيمة (من) فى الآية بل تكاد تجمع كلمتهم على أنها زائدة لا نفع لها ولا فائدة فيها وكأنهم بذلك يحكمون عليها بأنها ثقيلة على اللسان دون فائدة للجنان. وحسبنا بهذا جناية على القرآن .

(ب) بناء على الحكم بإعدام (من) وهى حية باقية فى النص راح العلماء يزعمون ما يتوهمون. وخلاصته أن (خالق) فى محل رفع مبتدأ. ولو سألتهم ما إعرابه بالتفصيل لقالوا : من: حرف زائد. و(خالق) مبتدا مرفوع بضم مقدر على

---

(١) مقدمة: على القرآن الكريم ص هـــ.

(٢) الكشاف ٣/٤٧٢:٤٧١.

آخره منع منه إشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. و(غير الله) قرئ بالحركات الثلاث فالجر على أنه وصف (لخالق) باعتبار لفظه. والرفع على أنه صفة لـــ (خالق) باعتبار محله. ولنصب على انه استثناء[١].

وبهذا يظل (خالق) مبتدأ بدون خبر. ولذا وجدت أبا حيان يجعل الخير محذوفا تقديره: لكم.أى هل خالق غير الله لكم؟ وبهذا يتغير مدلول النص لأن محط الفائدة (يرزقكم) إذ الذى يقع فيه الكفار أمر غريب عجيب لأنهم يقرون بأن الله خالقهم ومع ذلك يعبدون غيره فالإنكار هنا منصب على أنهم مع إقرارهم بخلق الله لهم يرجون غيره ويعبدونه. وكأنهم بذلك ينكرون أن الله هو الرازق ذو القوة المتين.

ومن ثَمَّ يرى بعضهم أن الخبر جملة (يرزقكم)[٢]. وهذا ما سنؤيده ونوضحه

(جـــ) من نص الزمخشرى السابق نلحظ أنه لم يجعل (يرزقكم) خبرا بل جعله وصفا: لـــ (خالق) باعتبار محله أى الرفع. وعلى هذا تكون الجملة ذات محل من الإعراب.

أما إذا رفعت محل (من خالق) بـــ (يرزقكم) مضمرة وجعلت (يرزقكم) المذكورة مفسره لها. فإن الجملة لا تكون ذات محل من الإعراب لأنها من باب ما يسمى بالاشتغال مثل قوله" ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾ ٦ التوبة وكأن تقديرها: هل يرزقكم خالق.. يرزقكم. وكذا إن جعلت جملة (يرزقكم) إستئنافية فإنها لا تكون ذات محل.

---

(١) انظر الكشاف ٣/٤٧١.

(٢) أنظر البحر المحيط ٧/٣٠٠.

(د) جعـــل الزمخشرى إطلاق (خالق) على غير الله مرتبطا بجعل جملة (يرزقكم) إســـتئنافية. دون جعلهـــا وصـــفا أو تفـــسيرا. وقـــد قدمنا تحقيق ذلك فى مستهل هذا البحث.

والذى يعيننا هنا هو ذكر المعاناة التى يتجشمها الباحث أو الدارس فى فهم نص الآية لما اعتراها من افتراضات معقدة وفرضها على الآية دون ما سبب وجيه لذلك اللهم الا تحقيق ما أخترعه علماء اللغة من قواعد ينوء حملها بالغصبة أولى القوة.

ومن ثَمَّ رأيت هنا أن أعرض ما يليق بالأية على ضوء دراستنا لأساليب (من) فأقول:

عرفنا أن (من) فى (من خالق) اسم بمعنى (بعض) فهى استغراقية وفى محل رفع مبتدأ و(خالق) مضاف إليه. و(غير) على قراءة الرفع وصف لـــ(من) وعلى قراءة الخفض وصف لــ (خالق). وعلى قراءة النصب استثناء. و(يرزقكم من السماء والأرض) جملة فى محل رفع خبر المبتدأ. والمعنى: أنه ليس بعض جنس الخالقين غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون.

وتأمل- هداك الله- التناسق العجيب المعجب بين (هل من خالق) و (لا أله إلا هو) تدرك أن الجملتين استغراقيتان غير أن الأولى بـــ (من) المذكورة والثانية بـــ (من) المعقولة. وهل بعد ذلك تناسق فى الأداء والدلالة والمعنى؟!

ولا ســـيما مـــع وجـــازة اللفظ وسهولة الإدراك والوصول إلى المراد بغير مجهود ذهنى.

آيات (من) الاستغرقية الواقعة فاعلا

وهذه الآيات متنوعة باعتبار رافع (من) وبيان ذلك:

أولا: أن يكون رافعها فعلا وهو نوعان:

احدهما: أن يكون غير (كان) التامة. والثانى: أن يكون (كان) التامة.

آيات الفعل غير (كان) التامة: وهى متنوعة على النحو التالى:

أ- أن يكون فى سياق النفى بـــ (ما) وذلك فى خمس وعشرين آية. وقد رتبتها بحسب المواد اللغوية للأفعال هكذا:

١- أتى: وقع ذلك فى تسع آيات وهى:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ ٤ الأنعام. وقوله: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ ٤٦ يس.

ومن فى هاتين الآيتين مضاف إلى (آية) .

ثم قوله: ﴿ مايَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ٢ الأنبياء. وقوله: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ ٥ الشعراء.

و(من) فى هاتين الآيتين مضافة إلى (ذكر).

ثم قوله: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ٤٦ القصص. وقوله: ﴿ لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون﴾ ٣ السجدة. و(من) فى هاتين الآيتين مضافة إلى (نذير).

ثم قوله: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ٣٠ يس. وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ ٥٢ الذاريات. و(من) فى هاتين الآيتين مضافة إلى رسول.

ثم قوله: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ٧ الزخرف.

و(من) فى هذه الآية مضافة إلى (نبى).

ومما ينبغى ملاحظته أن (من) الاستغراقية ذكرت أربع مرات فى الآيتين الأولى والثانية: (من آية من آيات ربهم) يقول الزمخشرى: " من: فى (من آية) للاستغراق. وفى (من آيات ربهم) للتبعيض يعنى: وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التى يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار إلا كانوا عنه معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون إليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب[1]. وظاهر عبارة الزمخشرى أن (من) الأولى ليست للتبعيض لأنه جعلها استغراقية ثم قال عن الثانية: للتبعيض. فربما يفهم من هذا أن الاستغراقية ليست تبعيضية. والحق أنها تخرج عن معنى (بعض) لأن هذا المعنى هو الذى جعلها استغراقية. لأن نفى البعض يحتم نفى الباقى إلى نهايته. أى ما يأتيهم بعض جنس (آية) وأما (من آيات ربهم فهو وصف لــ (آية) وبذلك يتضح أن (من) الأولى فى محل رفع فاعل (يأتى) و(آية) مضاف إليه. و(من) الثانية فى محل خفض وصف(آية) أى بعض آيات ربهم. فالتى يُزْعَم زيادتها (من) الأولى. ولعل قول الزمخشرى وغيره (للاستغراق) دليل على ذلك لأن هذا المعنى هو معنى ما يتوهم بعض العلماء زيادتها.

هذا: ومما يؤخذ على الزمخشرى قوله: (يعنى وما يظهر لهم دليل قط.. إلخ) فقد ذكر (قط) فى سياق فعل مستقبل. والصواب أنها لاستغراق النفى فى الماضى نقول: ما فعلته قط لا ما أفعله قط. وقد وجدنا هذا التعبير غير مرة فى الكشاف كما وجدنا أبا حيان يتتبعه بالتخطئة. وهنا وجدناه يقول: " واستعمال الزمخشرى (قط) مع المضارع فى قوله (وما يظهر لهم دليل قط) ليس بجيد لأن (قط) ظرف مختص بالماضى. إلا إن كان أراد بقوله(وما يظهر): وما ظهر ولا حاجة إلى استعمال ذلك[2].

---

(١) الكشاف ٤/٢. وانظر مفاتيح الغيب ١١/٤، وتفسير أبى السعود ٢٥١/٤.

(٢) البحر المحيط ٧٤/٤.

ولو جعلت (من آيات) فى آية الأنعام ويس فى محل نصب حالا لجاز أى حالة كون الآية بعض آيات ربهم.

هذا: وجعل ابن الحاجب (من) الثانية تبيينية قال الشهاب" ولا يستقيم إلا إذا كانت النكرة فى النفى بعنى جميع الأفراد لما خرجوا به من أن لابد من صحة حمل المبيِّن على المبيَّن- أى جعله خبرا عنه- وما قاله من أنها لو كانت تبعيضية لما كانت الأولى استغراقية ممنوع لصحة قولنا: "ما يأتيهم بعض من الآيات من أىِّ بعض كان[١]".

ولعلك تلحظ قلقا لا داعى إليه فى قول الشهاب (بعض من الآيات من أى بعض كان) ولو قال: بعض جنس آية موصوف بأنه بعض الآيات سواء أكان ذلك على النعت أو الحال. لكان أنقى من الحشو وأنزه عن اللغو. ولا يفوتنى فى هذا المقام أن ألفت نظر القارئ إلى أن ترديد القول فى (من) هذه سمة سائدة على العلماء غالبا كما أشرنا من قبل. ومن ثم ليس بغريب علينا ان نرى الألوسى يقول فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ ٥ الشعراء: من الأولى: مزيدة لتأكيد العموم. ويجوز أن تكون تبعيضية[٢].

والحق أن استغراق الجنس نابع من كونها بمعنى(بعض) كما عرفنا وألفنا هذا ولعل القارئ فى غنى عن التنبيه إلى (من ربهم) فى آية الأنبياء و(من الرحمن) فى آية الشعراء. و(من قبلك) فى آيتى القصص والسجدة. لأن (من) هذه حرف إبتداء اللهم إلا فى (من ربهم) و (من الرحمن) فيحتمل ان يكون بمعنى(بعض) أى أى بعض ذكر الرحمن. وبعض آيات ربهم. على حذف مضاف وأرى أنه لا داعي إليه.

٢- أمن: وذلك فى قوله تعالى: ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ﴾ ٦ الأنبياء. أى بعض أهل قرية. فـ (من) فاعل (آمنت) وصح تأنيث الفعل

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى ١٩/٤.

(٢) روح المعانى ١٨٢/٦.

(آمنت) لتأنيث (قرية) كما فى قوله تعالى: " تلتقطه بعض السيارة" وقد سلف ذكره عن سيبويه.

٣- جاء: فى قوله تعالى: ﴿ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ ١٩ المائدة أى بعض جنس الأنبياء فهم المبشرون والمنذرون. ولما كان النفى للاستغراق قيل بعد ذلك " فقد جاءكم بشير ونذير" فهو إثبات لمجئ أحد الرسل وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إذ صدر الآية : " يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين كم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جائنا من بشير ولا نذير. فقد جاءكم بشير ونذير."

فـــ (من) فاعل جاء فى محل رفع و (بشير) مضاف إليه.

٤- حمل فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ ﴾ ١١فاطر، ٤٧ فصلت.يقول السمين" من أنثى: من مزيدة فى (أنثى) وهى فاعل[١]" هكذا نقل (الجمل) الــنص. ولســت أدرى ما المراد بقوله (وهى الفاعل) هل (من) أو (أنثى) ؟ ولكن الــذى أدربــه هو: أن (من) اسم بمعنى (بعض) أى بعض هذا الجنس فهـــى الفاعــل و(انثـــى) مضاف اليه وفى النص استغراق الجنس كا عرفنا . ومما يقوى ذلك ويؤيده التعبير بـــ (أنثى) لا بـــ (نساء) أو (نسوة) مثلا لان الإناث تشــمل كل أنثى من إنســان وغيره.

---

(١) أنظر حاشية الجمل ٤٨٩/٣.

٥- خرج: فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾

٤٧فصلت. فـ (من) الأولى فاعل (تخرج) فى محل رفع و(ثمرات) مضاف إليه مخفوض. وأما (من أكمامها) فهى حرف إبتداء.

٦- خفى: فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ ٣٨ إبراهيم.

يقول الزمخشرى :" من: للاستغراق كأنه قيل: " وما يخفى عليه من شئ[1]" ولست أدرى ما كان يضره لو قال" (من) اسم بمعنى (بعض) لاستغراق الجنس وهى فاعل فى محل رفع و (شئ) مضاف إليه.

٧- سبق: فى أربع آيات:

قوله تعالى: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

٨٠ الأعراف ومثلها الآية رقم ٢٨ العنكبوت وهما فى حق لوط وقومه.

وقوله تعالى: ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ ٥ الحجر

ومثلها الآية رقم ٤٣ المؤمنون. فقوله (من أحد) أسلوب (إستغراق) إذ (من) استغراقية فهى اسم بمعنى (بعض) فاعل (سبق) وأما (من العالمين) فـ(من) فيه اسم أيضا بمعنى (بعض) وهى وصف (لأحد) فإن جعلته نعتا كان فى محل خفض

---

(١) انظر الكشاف٢/٢٤، إملاء ما من به الرحمن١/١٣٧.

وإن جعلته حالا كان فى محل نصب. وقد سبق تحقيق القول فى (أحد). وإن تعجب فأعجب لقول الزمخشرى: من: زائدة لتوكيد النفى وإفادة معنى الإستغراق(١)"

إذ كيف تفيد معنى الإستغراق وهى عاملة فيما بعدها الخفض ثم تكون زائدة؟! وأما (ما تسبق من امة) فهو واضح إذ(من) بمعنى(بعض) فاعل(تسبق).

٨- **سقط:** فى قوله تعالى":

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ ٥٩ الانعام. أى بعض جنسها فهى ليست زائدة كما ذكر الزمخشرى وأبو البقاء(٢).

٩- **صاب:** فى آيتين هما:

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ٢٢ الحديد وقوله: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ ١١ التغابن. فـ (من) فاعل و(مصيبة) مضاف إليه أى بعض هذا الجنس.

١٠- **عجز:** فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ ٤٤ فاطر. علمنا أن (شئ) أعم كلمة فى اللغة فإذا دخلت

---

(١) الكشاف ٩٩/٢.

(٢) انظر الكشاف ٢٤/٢ واملاء ما من به الرحمن ١٧٣/١.

عليها (من) التى بمعنى (بعض) دل على أن الآية تشمل النفى من أدنى مستوى إلى أعلاه.

١١- عـــزب: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ ٦١يونس.

وهنا نجد هذه فى هذه الآية استئصالا لجنس المنفى من اساسه لأن (بعـض المستقال) ربما لا يصل إلى هذا الحد. فقال (ولا أصغر من ذلك...).

ومما يثبت هذا قول ابن فارس:" الذال والراء المشددة أصل واحد يدل لطافة وانتشار. ومن ذلك : الذر: صغار النمل الواحدة ذرة... ومن الباب ذَرَّت الشـمس ذرورا إذا طلعت وهو ضوء لطيف منتشر(١).

وليسرح خيال كل أحد فى لطف ذلك ودقته حتى يحاول أن يدرك شيئا منه.

١٢- مس : فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ ٣٨ ق. اى بعض تعب. وهى رد علـى مـن يزعم أو يتوهم أن الله قد استراح يوم السبت بعد أن خلق الكون فى ستة أيام.

وإما أن تكون(من) فاعلا ورافعها (فعل) وهى فى سياق النفى بـ (إن) وذلك فى آية واحدة هى قولـه تعـالى: ﴿ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ ٤١ فاطر.

وفيها يقول الزمخشرى:" من: الأولى مزيدة لتأكيد النفى(٢)"

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣٤٣/٢.

(٢) الكشاف٤٨٨/٣.

وقـد علمنا ما فى هذا القول من مجازفة ومجانقة لا تليق بجلال كلام الله إذ هى بمعنى (بعض) استغراقية وفى محل رفع فاعل(أمسك) أما فى (من بعده) فهى حرف ابتداء كما سيأتى.

وإمـا أن تكون (من) فاعلا ورافعها (فعل) وهى فى سياق استفهام ب (هل) وفـى ذلك آية واحدة هى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ ١٢٧ التوبة.

أى هـل يـراكم بعض الناس. فـ(من) فى محل رفع فاعل (يرى) و(أحد) مـضاف إلـيه. وكأن الاستفهام فيه معنى النفى لأنهم يقصدون ألا يراهم أدنى هذا الجنس فضلا عن أعلاه.

ومم يثبت ذلك قول ثعلبة: فى قول النابغة:

عيت جوابا وما بالربع من أحد."

إدخال (من) أريد به التجزئة كأنه إذا قال: وما بالربع من أحد أمكن أن يريد: أثنين أو ثلاثة[(١)]"

وحسبنا هذا النص الذى يجعل لـ (من) قيمة دلالية لا يستهان بها.

الثانى: أن يكون رافعها (كان) التامة:

وقعت (من) فاعلا لـ (كان) التامة وهى نوعان:

أحدهما: أن تكون (من) مضافة إلى مفرد أو مضافة إلى جمع.

---

(١) مجالس ثعلب ٤٣٦/٢.

فأضيفت إلى مفرد فى عشر آيات:

قوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ ٣٩ الأعراف. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ﴾ ٢٢ إبراهيم. وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ ٩١ المؤمنون. وقوله: ﴿ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ ﴾ ٨١ القصص. وقوله: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ ﴾ ٣٨ الأحزاب. وقوله ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ ﴾ ٢١ سبأ. وقوله: ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ٦٩ ص. وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ ٢١ غافر. وقوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ ٧ المجادلة.

الثاني: أن تكون (من) مضافة إلى جمع وذلك فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ ٢٠ هود. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ٤٦ الشورى.

فهذه اثنتا عشرة آية يرى بعض النحاة أن (كان) فيها يجوز أن تكون ناقصة وأن تكون تامة وأن تكون زائدة. فهى مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ٣٧ ق .

وفيها يقول ابن هشام:" يجوز فى (كان) من نحو(إن فى ذلك .. الآية) ونحو: زيد كان له مال. نقصان (كان) وتمامها. وزيادتها وهو أضعفها. قال ابن عصفور: باب زيادتها الشعر.

والظرف يعنى: له متعلق بها على التمام. وباستقرار محذوف مرفوع على الزيادة. ومنصوب على النقصان. إلا أن إن قدرت الناقصة ثانية فالاستقرار مرفوع لأنه خبر المبتدأ[١].

وبأدنى التفاتة ذهنية يدرك القارئ أن دعوى زيادة (كان) باطلة كما علمنا. ويبقى كونها ناقصة أو تامة. والذى أراه أنها تامة وما بعدها من ظرف متعلق بها و(من) فاعل. فهى اسم بمعنى (بعض) فى محل رفع. وما بعدها مضاف إليها مفردا كان أو جمعا. إذ لا يترتب عليه لا تقديم وتأخير ولا حذف وتقدير. فهى بمعنى (حدث) أى فما حدث لكم علينا بعض فضل. وما حدث لى عليكم بعض سلطان.... وما حدث لهم بعض أولياء ينصرونهم.

فالنص مصون من دعاوى غير لائقة بالقرآن الكريم. وكذلك (يكون من نجوى) فـ (يكون) فعل تام[٢]. و(من) فاعل أى ما يخطر بعض نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم....إلخ.

الثالث: أن تكون (من) فاعلا ورافعه الظرف الواقع فى سياق نفى أو استفهام:

آيات وقوعها فى سياق نفى بـ (ما) وهى متنوعة بحسب الظرف.

(أ) فيكون الظرف (له) و(لكم) و(له) و(لنا) ونحو ذلك مما دخل حرف الإضافة منه على علامة إضمار. و(من) إما مضاف إلي مفرد وإما إلى جمع فأضيفت إلى مفرد فى ثمان وخمسين آية من هذه السور:

---

(١) المغنى بحاشية الأمير ١٣٣/٢.

(٢) انظر البحر المحيط٢٣٥/٨.

البقرة: قوله تعالى: ﴿ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴾ ١٠٢، ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ١٠٧، ﴿ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ١٢٠، ﴿ وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴾ ٢٠٠.

النساء: ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ ﴾ ١٥٧.

الأعراف: ﴿ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥.

الأنفال: ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ ﴾ ٧٢.

التوبة: ﴿ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ ٧٤، ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ ١١٦.

يونس: ﴿ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖ ﴾ ٢٧.

هـود: ﴿ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ ٥٠، ٦١، ٨٤، ﴿ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ ﴾ ٧٩.

الرعـد: ﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ ١١، ﴿ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾ ٣٣، ﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴾ ٣٤، ﴿ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴾ ٣٧.

إبـراهيم: ﴿ مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴾ ٢١، ﴿ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴾ ٢٦، ﴿ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴾ ٤٤.

الكهـف: ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ﴾ ٥٠، ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ ﴾ ٢٦

الحج: ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ ١٨، ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ ٧١.

المؤمنون: ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ ٢٣،٣٢.

العنكبوت: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ٢٢.

السجدة: ﴿ ما لكم من دونه من ولى ﴾ ٤.

الأحزاب: ﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ ﴾ ٤٩.

سبأ: ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ ٢٢.

فاطر: ﴿ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ ٣٧.

ص: ﴿ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾١٥، ﴿ مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ ٥٤.

الزمر: ﴿ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ ٢٣،٣٦ ، ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ﴾ ٣٧

غافر: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ ١٨، ﴿ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ ٣٣.

فصلت: ﴿ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ ٤٨.

الشـــورى: ﴿ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ٨، ﴿ وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ ٢٠، ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾٣١،

﴿ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ ٤٤، ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴾ ٤٦، ﴿ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٍ يَوۡمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ ٤٧.

الزخرف: ﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ ٢٠.

الجاثية: ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍ ﴾ ٢٤.

الطور: ﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾ ٨.

النجم: ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ ﴾ ٢٨.

الطارق: ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ ١٠.

وهذه الآيات واضح فيها كون (من) فاعلا للظرف (له) و (لهم) ..إلخ. ومما ينبغي التنبيه غليه قوله تعالى(مالكم من ولايتهم من شئ) ففيه الاستغراق العميق حيث أبدل (من شئ) من (من ولايتهم)

هذا وهناك آية فى سياق الظرف المبدوء باللام ولكنها داخلة على اسم ظاهر وهى قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٍ تُجۡزَىٰٓ ﴾ ١٩ الليل.

(ب) وهناك آيـات أربع وقعـت (من) فيها فى سياق النفى بـ (ما) والظرف (على) وهى:

قوله تعالى: ﴿ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٍ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم ﴾ ، ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٍ ﴾ ٥٢، ٦٩ الأنعام. وقوله ﴿ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ٩١ التوبة، وقوله تعالى: ﴿ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ ٤١ الشورى.

وآية وقعت فيها (من) فى سياق النفى بـ (إن) والظرف (عند) وهى قوله تعالى: ﴿ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ﴾ ٦٨ يونس.

ولابد من وقفة مع آيتى الأنعام ففى النظر إلى الأولى يدرك العقل أن (عليك) ظرف رافع لـ (من حسابهم) ثم أبدل منه (من شئ) ليصل استغراق النفى إلى ارقى مستوى يتصوره العقل فى ذلك يقول الزمخشرى:" فإن قلت: أما كفى قوله (ما عليك من حسابهم من شئ) حتى ضم إليه (وما من حسابك عليهم من شئ)؟! قلت: قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة، وقصد بها مؤدى واحد وهو المعنى فى قوله: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ ١٦٤ الأنعام. ولا يستعمل بهذا المعنى إلا الجملتان جميعا كأنه قيل: لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه...)

ثم قال فى الآية الثانية:" وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم فى شئ مما يحاسبون عليه من ذنوبهم[1]"

فـ(من حسابهم) فاعل بالظرف (وما على الذين يتقون بعض حسابهم... ولو بعض شئ) فالاستغراق عميق ودقيق. وما جعله كذلك الا التعبير بـ (من) الاستغراقية بدقة وعمق.

أما سائر الآيات فواضح أن (من) فاعل للظرف (على المحسنين)، (ما عليهم)، (عندكم).

(ج) ويكون الظرف فى سياق النفى بـ (ما) وهو مُكَوَّن من الباء ومخفوضها وهو (صاحب) وذلك فى آيتين:

---

(١) الكشاف ص ٢٢/٢، ٢٧.

قوله تعالى: ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ ١٨٤ الأعراف، وقوله ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ ٤٦ سبأ.

وأما الآيات التى وقعت فيها (من) فى سياق النفى بـــ (ما) وأضيفت إلى جمع فى ثلاث عشرة آية من السور الآتية:

قوله تعالى: آل عمران، ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾ ٢٢، ٥٦، ﴿ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ ١٩٢المائدة ﴿ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾٧٢هود ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ ١١٣. الشعراء ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴾ ، ﴿ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ ١٠٠،١٠١. العنكبوت ﴿ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾ ٢٥. الروم﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾ ٢٩، الجاثية﴿ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾ ٣٤، ق ﴿ وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ ٦.

ويلاحظ أن اللام خافضة إما لإسم ظاهر وهو (الظالمون) فى ثلاث آيات وإما لعلامة اضمار جمع (لكم) وذلك فى أربع آيات. أو (لهم) وذلك فى أربع آيات. أو (لنا) فى آية واحدة وإما(لها) فى آية واحدة.

وآيات وقع الظرف فيها بعد (هل) وهو إما(إلى) وذلك فى آيتين هما:

قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ ١١ غافر. وقوله: ﴿ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾ ٤٤ الشورى.

وإما (عند) وذلك في قوله تعالى: ﴿ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ ﴾ ١٤٨ الأنعام. وإما(لنا) وذلك في قوله تعالى: ﴿ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ﴾١٥٤ آل عمران. وقوله: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ ﴾ ٥٣ الأعراف.

وإما (لكم) وذلك في قوله تعالى: ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾ ٢٨ الروم.

وردت(من) فاعلا للظرف (عند) بعد النفي ب (إن) في آن واحد وهي قوله تعالى: ﴿ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ بِهَـٰذَآ ﴾ ٦٨يونس.

وجملة هذه الآيات التي رفع (من) فيه الظرف فاعلا وهي إستغراقية إحدى وثمانون آية وردت فيها (من) فاعلا سبعا وثمانين مرة.

ولكيلا نترك عقل القارئ في حيرة وفكرة في تردد نوجز له القول في بيان قيمة(من) هنا فنقول:

اشتملت الآيات السابقة على أساليب متنوعة. وهنا نجمع آيات كل أسلوب في نمط واحد ثم نبين ما فيه:

(أ) الأسلوب الأول:

(مالكم من إله غيره) ورد هذا الأسلوب تسع مرات منها اربعة مرات في الأعراف وثلاث في هود واثنتان في المؤمنون. وهو واضح إذ (ما) نافية و (لكم) ظرف معتمد على النفي فيرفع الفاعل بالإجماع و(من) بمعنى (بعض) فاعل في محل رفع و (إله) مضاف إليه. و(غيره) صفة للفاعل.

ومثل ذلك قوله تعالى :﴿ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ ٣٣الرعد. و﴿ مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ ﴿ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ ﴿ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ ٢١، ٢٦، ٤٤ إبراهيم. و﴿ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ ١٧، ١٨ الحج، ٣٧ فاطر ﴿ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ ﴿ مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ ١٥، ٥٤ ص. ﴿ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ ﴿ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ﴾ ٢٣، ٣٦، ٣٧ الزمر. ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ ﴿ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ ١٨، ٣٣ غافر. ﴿ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ ٤٨فصلت. ﴿ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾، ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾، ﴿ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾، ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴾، ﴿ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ ٨، ٣١، ٤٤، ٤٦، ٤٧ الشورى . ﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾ ٨ الطور. ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ ١٠ الطارق.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ ١٨٤ الاعراف، ٤٦ سبأ. وقوله: ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ ٩١ التوبة. وقوله: ﴿ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ ٤١ الشورى.وقوله: ﴿ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ﴾ ٦٨ يونس. وقوله :﴿ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴾ ١٤٨ الانعام.

ومثل ذلك أيضا الآيات التى أضيفت فيها (من) إلى جمع . نحو (وما للظالمين من أنصار... ماعدا آية واحدة سيأتى ذكرها.

فكل تلك الآيات واضح فيها رفع الظرف لـــ (من) الاستغراقية التى بمعنى (بعض) فهى فى محل رفع فاعل الظرف وما بعدها مضاف اليه.

وهذا لا يمنع أن ننقل بعض نصوص لبعض العلماء ليتضح لنا موقف النحاة من هذه الآيات:

ففى قوله: ﴿ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ ﴾ ٦٨ يونس. يقول الزمخشرى:" ما عندكم بحجة بهذا القول. والباء يعنى فى (بهذا) حقها أن تتعلق بقوله (إن عندكم) على أن يجعل القول مكان للسلطان كقولك: ما عندكم بأرض موز كأنه قيل: إن عندكم فيما تقولون سلطان[1]"

وكأنى بالزمخشرى يصرف النظر والفكر عن(من) مع أنها محور المعنى المراد لأنها لإستغراق نفى حضور أى سلطان. او حجة بما يدعون.

وفى قوله تعالى: ﴿ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴾ ١٤٨ الأنعام. يقول السمين:" من علم : يحتمل أن يكون مبتدأ و(عندكم) خبر مقدم. وأن يكون فاعلا بالظرف (عند) لاعتماده على الاستفهام. و(من) زائدة على التقديرين[2]"

وواضح أن النص لا يخلو من دعاوى باطلة وهى: دعوى التقديم والتأخير ودعوى زيادة (من). والحق أنها فى اشد الاستغناء عن هذا إذ (من) فاعل الظرف فى محل رفع و (علم) مضاف إليه.

---

(١) الكشاف ٢/٢٨٠.

(٢) أنظر حاشية الجمل على الجلالين٢/١٢٥ .

وفى قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ ١١ غافر. يقول الزمخشرى:" أى إلى نوع من الخروج سريع أو بطئ (من سبيل) قط[١]"

وكلمة (قط) تثبت استغراق النفى كما سبق أن وضحنا ذلك فى نص آخر للزمخشرى. فــ (من) بمعنى (بعض).

(ب) الاسلوب الثانى:

يتمثل فى الآيات التى لم تباشر (من) فيها الظرف كالأسلوب الاول بل فصل بينها وبينه فاصل. وتلك الآيات هى:

قوله تعالى:" ﴿ مَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ ، ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ، ﴿ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ، ﴿ وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ ١٠٢، ١٠٧، ١٢٠، ٢٠٠ البقرة.

فقوله(فى الآخرة) و(من دون الله) و (من الله) وقع بين الظرف و(من) المرفوعة به. أما الأول فهو فى محل نصب حالا من الضمير فى (له). وأما الثانى (من دون الله) فـ (من) فيه حرف ابتداء لأنها داخلة على الظرف- كما سيأتى تفصيله- وهى متعلقة بالظرف (لكم). ومثله (ما لك من الله) إذ (من) حرف ابتداء أيضا والمعنى فيها: أن مبدأ استغراق نفى الولى لهم. هو الله عز وجل ما داموا قد عبدوا غيره وخضعوا لسواه.

---

(١) الكشاف ١٢٠/٤.

ومثل هذه الآيات : ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ ١٥٧ النساء. وهى فى حق اليهود بشأن عيسى عليه السلام اى ليس لهم بشأنه أو فى علم إلا إتباع الظن. فالظرف به مرتبط بــ (له) لما فيه من معنى الحدث.

وقوله: ﴿ ما لهم فى الأرض من ولى ولا نصير ﴾ ، ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ٧، ١١٦ التوبة. وقــوله: ﴿ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ ٢٧ يونس. وقوله:﴿ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ ٧٩ هود. ﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ ، ﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ ، ﴿ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ ١١، ٣٤، ٣٧ الرعد. و﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ﴾ ، ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ ﴾ ٥، ٢٦ الكهف. ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ٢٢ العنكبوت. ﴿ ما لكم من دونه من ولى ﴾ ٤ السجدة. ﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ ﴾ ٤٩ الأحزاب. ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾ ٢٢ سبأ. ﴿ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ ٣٣ غافر. ﴿ وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ٢٠، ٣١ الشورى.﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ ٢٠ الزخرف، ٢٤ الجاثية.

ثم قوله: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴾ ١٩ الليل. وقوله مما اضيفت فيه (من) إلى الجمع فى قوله: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ ١١٣ هود .

وهذه الآيات كلها لا تخرج عما ذكرناه فى الآيات الأولى من هذا الاسلوب وهى من سورة البقرة. فالفاصل بين الظرف و(من) فيها إما فى محل نصب حالا وإما مرتبط بالظرف الذى رفع (من) .

(ج) الأسلوب الثالث:

وهو ما ذكرت فيه(من) البعضية مرتين وذلك فى :

قوله تعالــى: ﴿ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖ ﴾ ١٥٤ آل عمران. وقولــه: ﴿ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ ﴾ ، ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ ﴾ ٥٢، ٦٩ الانعام. وقوله: ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ ﴾ ٧٢ الأنفال، وقوله: ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ ٢٨ الروم، وقوله: ﴿ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴾ ٢٢سبأ، فهذه الآيات الخمس ذكرت فى كل منها (من) البعضية مرتين. والواضح أن الأولى هى فاعل الظرف (لنا) و (عليك) و (على الذين ويتقون) و (لكم) و (له). وأما (من شئ) فى آيتى الأنعام وآية الانفال و(من شركاء) فى آية الروم و(من ظهير) فى

آية سبأ فعطف بيان أو بدل. أى ما لنا بعض الأمر ولو بعض شئ يسير. وليسر لكم بعض ما تملكون من العبيد ولو بعضهم شركاء فيما رزقناكم. وما له بعضهم بعض ظهير أى معين.

وبهذا نكون قد حافظنا على نسق الآيات ومفراداتها من الإدعائات التى لا سند لها من عقل ولا نقل.

ولكن علماءنا يأبون إلا تلكم الإدعاءات والإفتراضات. ففى الآية الأولى يقول أبو البقاء: " من شئ : (من) زائدة وموضعه رفعه بالإبتداء وفى الخبر وجهان:

(أحدهما) : لنا فــ (من) الأمر على هذا حال إذا الاصل هل شئ من الامر.

و(الثانى) : أن يكون (من الامر) هو الخبر و(لنا) تبيين. وتتم الفائدة كقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ٤ الإخلاص[1]"

وبالتأمل ندرك مدى الفرق بين هذا وما قلناه ففى هذا عدة دعاوى ظنية لا سند لها من اليقين وهى: دعوى زيادة (من) ومع هذا يجعلها أبو البقاء فى موضع رفع مبتدأ وفى هذا من التناقض ما لا يخفى على ذى بصيرة.

ودعوى تقديم الخبر وهو (لنا). ودعوى تقديم (من الأمر) إذ هو فى الأصل نعت ثم قدم فصار حالا. ثم دعوى تقديم (من الأمر) على (من شئ) وهو خبر عنه. ثم جعل (لنا) تبيينا. ومقتضى هذا تأخيره أيضا.

فهل بعد ذلك تمزيق وتفريق للنص؟!.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٨٧/١.

ويقول الزمخشرى:" معناه: هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله على نصيب قط. يَعْنون: النصر والإظهار على العدو[١]"

وهذا النص يوحى بأن كل كلمة فيه مستقرة فى موضعها قائمة بوظيفتها خير قيام. فقد ذكر الظرف (لنا) أوَّلاً وبُيِّن المراد به وهو (معاشر المسلمين). كما ذكر (من أمر الله) فى مكانه. وهو فاعل الظرف. وأما قوله (نصيب قط) فهو معنى (من شئ). وقد ألِفنا استعمال (قط) عند الزمخشرى وهى للاستغراق فى الزمن الماضى. ولكنه استعملها أحيانا فى سياق المستقبل. ولست أدرى أهو هنا يعنى الماضى أم يأبى المعنى ذلك عليه؟

الجواب ان المعنى على الاستقبال لأن الذين يقولون ذلك إنما يتمنونه. ومن البديهى أن التمنى لا يكون إلا لشئ مستقبل. وعليه فاستعمال (قط) هنا خطأ كما نبه أبو حيان فى آية سلفت.

فنص الزمخشرى – وإن كان قد خلا من دعاوى غيره فى الآية– قد ورد فيه ما يشينه من استعمال (قط) فى غير سياقها.

وفى الآية الثانية (ما عليك من حسابهم من شئ) والثالثة (وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ).

فالمنهج الواضح الصحيح أن تكون (من) فى (من حسابهم) فاعلا بـــ (عليك) و (على الذين يتقون) أى ما عليك بعض حسابهم ولو بعضَ شئ يسير. فـــ "من شئ) بيان أو بدل. و (ما على الذين يتقون بعض حسابهم ولو بعض شئ يسير). وقد سبق الكلام على قوله تعالى (وما من حسابك عليهم من شئ) فى أساليب (من) الواقعة مبتدأ فى سياق نفى.

---

(١) الكشاف ٣٣٠/١.

وبما ذكرناه يثبت استغناء النصين عن دعاوى فارغة لا لب فيها زائفة لا أصل لها. فالنصَّان ليس فيهما نفى بعض الحساب فقط بل تناولها نفى جزء البعض. وفى هذا استغراق للجنس من أصله إلى نهايته.

ولذا وجدت الزمخشرى يقول فى نظيـر هاتين الآيتين وهو قولـه تعالـى: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾٢١ابراهيم.

" من: فى موضعيها للتبعيض بمعنى: هل أنت مغنون عنا بعض شئ هو بعضِ عذاب الله أى بعض بعض عذاب الله(١)"

فمعنى الآيتين: ما عليك بعض بعض حسابهم. وما على الذين يتقون بعض بعض حسابهم.

ولكن أبا حيان يأبى إلا دعوى التقديم والتأخير حيث يقول:" من: فى (من حسابهم) مبعِّضة فى موضع نصب على الحال. وذو الحال هو (من شئ) لأنه لو تأخر (من حسابهم) لكان فى موضع النعت لــ (شئ) فلما تقدم انتصب على الحال(٢)"

وقد عرفنا ما فى ذلك من دعوى تعديل النص وما هو بمحتاجٍ إليه. لأن الصواب استنتاج المعنى من النص مع المحافظة على جميع مفرداته ووضع كل مفردة فى موضعها.

---

(١) الكشاف ٤٢٧/٢.

(٢) البحر المحيط ١٣٨/٤.

وأما قوله: ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ ٧٢ الأنفال: فمعناه ما لكم بعض ولايتهم ولو شيئا يسيرا. فـ (من) الأولى فاعل (لكم) فى محل رفع و(ولاية) مضاف اليه. وعلامة إضمار الجمع الغائب مضاف إلى (ولاية) و(من شئ) بيان أو بدل. اى بعض شئ فهو فى محل رفع. وما بعده مضاف اليه وأما آية الروم: (هل لكم مِمَّا ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم) فيقول فيها الزمخشرى:" مما ملكت: (من) للتبعيض (من شركاء) زائدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى. ومعناه: هل ترضون لأنفسكم- وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد- أن يشارككم بعضهم (فيما رزقناكم) من الأموال وغيرها[1].

فالزمخشرى يرى أن (من) الأولى للتبعيض ولم يزعم زيادتها ومقتضى ذلك أنها فاعل للظرف المعتمد على الإستفهام الذى بمعنى النفى. ثم جعل(من) الثانية زائدة لتأكيد هذا الإستفهام.

وهذا غريب عجيب من الزمخشرى الذى كثيرا ما جعل (من) بمعنى(بعض) وقد ذكر آنفا فى قوله تعالى: "فهل أنتم مغنون عنّا من عذاب الله من شئ" أن المعنى: نفى بعض البعض.. فما كان عليه -هنا- لو قال: إن المعنى: ليس لكم بعض عبيدكم بعض شركاؤكم فيما رزقكم الله فكيف لا ترضون ذلك لأنفسكم ثم تجعلون لله شريكا. اى حالة كونهم بعض شركائهم. فـ (من) الثانية فى محل نصب حالا وأما آية سبأ (ماله منهم من ظهير)٢٢، أى ماله بعضهم حالة كونه بعن ظهير اىْ بعض. فالنفى ينْصَبُّ على الحال فى الآيتين. وذلك نحو قولك: ما جاء زيد راكبا. إذ معناه نفى ركوب زيد لا نفى مجيئه وإلا لكان التعبير: ما جاء زيد.

---

(١) الكشاف ٣/٣٧٦.

فمما لا شك فيه أن (منهم) فى آية سبأ و(ما ملكت أيمانكم) فى آية الروم لا يتم بها المعنى المراد حتى يقرأ القارئ (من ظهير) و (من شركاء فيما رزقناكم) ورُبَّ حال يتوقف عليه أصل المعنى كما فى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ ٤٣ النساء. وقوله: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا ﴾ ٣٧ الإسراء.

آيات (من) الاستغراقية الوقعة نائب فاعل:

وقعت (من) نائب فاعل فى سياق النفى فى آيتين وهما قوله تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٍ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ ١٠٥ البقرة . وقوله: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ ﴾ ١١فاطر. فـ (من) فى (من خير) و(من مُعَمَّر) و (من عمره) نائب فاعل فى محل رفع.

هذا: وهناك آية تحتمل (من) فيها أن تكون نائب فاعل على قراءة فى الفعل من قبلها وهى قوله تعالى: ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ١٨ ق. بضم ياء الفعل وفتح فائه[1].

---

(١) أنظر الكشاف ٣٠٦/٤.

وتفصيل ذلك:

١- يقول الزمخشرى فى آية البقرة:" مِنْ الثانية: مزيدة لاستغراق الخير[١]. ويعنى بـــ (من) الثانية الموجودة فى قوله تعالى:" أنْ يُنَزَّل عليكم من خير" إذ قبلها (من) فى قوله تعالى:" ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب" وهذه ليست مما يزعم زيادته بل هى فى محل نصب حالا أى حالة كون الكافرين بعض أهل الكتاب كما سبق شرحه وتوضيحه.

وبعدها (من) فى قوله (من ربكم) وهذه حرف إبتداء كما سيأتى.

وبالتأمل فى عبارة الزمخشرى يدرك القارئ تضاربا وتناقضا بين قوله: (مزيدة) (لاستغراق الخير) فقد حققنا ان الاستغراقية اسم بمعنى (بعض) وأن هذا المعنى هو سر الإستغراق وأصله.

فلو أخذنا بظاهر عبارة الزمخشرى وهو دعوى زيادة (من) كان قوله تعالى:" (خير) نائب فاعل (يُنَزَّلُ) مرفوعا بضم مقدر على آخره منع من ظهره اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. كما هو مدون فى كتب النحو والتفسير بل كما هو راسخ فى عقول دارسى النحو والتفسير متمكن من ألسنتهم وأقلامهم وهذا ادعاء وافتراء على كلمات كتاب الله.

ومن ثَمَّ لا أراه ولا أسير فى غباره بل قد استيقنت نفسى واطمأن قلبى واستنار عقلى بأن (من) هى نائب الفاعل.

وإن تعجب فاعجب بل تَعَجَّب من قول أبى حيان:" وحسن زيادتها هنا- وإن كان (يُنَزّل) لم يباشره حرف النفى فليس نظير: ما يكون من رجل- لانسحاب

---

(١) الكشاف١/١٣٠.

النفى عليه من حيث المعنى لأنه إذا نُفيتْ الودادة كان كأنه نفى متعلقها وهو الإنزال. وهذا التخريج على قول سيبويه والخليل.

"وأما على مذاهب الأخفس والكوفيين فيجوز زيادتها لأنهم لا يشترطون انتفاء الحكم عما تدخل عليه(١)"

والذى يعنينا من هذا النص قول ابى حيان (وحسن زيادتها) ثم قوله (وأما على مذهب الأخفس...إلخ.

فلست أدرى وجها لحسن زيادة (من) اللهم إلا إذا كانوا- وهذا بعيد الإحتمال- يريدون وجودها فى الأسلوب لوظيفة تقوم بها ومعنى تؤديه إذ من البدهى وجود الفرق الدقيق بين أن يكون النص (أن يُنَزّل عليكم خير). وأن يكون (أن يُنَزّل عليكم من خير) إذ الاول لا يليق معناه بالمقام لأنه لا يستأصل شأفة الخير الذى ينزل من الله على المؤمنين لما فيه من احتمال أن ينزل بعض وهذا ما يتنافى وروده على ذهن الكافرين من أهل الكتاب إذ هم لتمكن الحسد من قلوبهم والحقد من نفوسهم يتمنون ألا يصيب المؤمنين ذرة من خير. وهذا هو ما استوجب ذكر (من) فى الآية.

وهى فى سياق النفى لا محالة وهو قوله تعالى:" ما يَوَدُّ..إلخ".

وهذا وقد استطر أبو حيان بعد النص السالف قائلا:" وذهب قوم إلى أن (من) للتبعيض ويكون على هذا المفعول الذى لم يسم فاعله هو (عليكم) ويكون المعنى: أن ينزل عليكم بخير من الخير من ربكم. (٢)"

---

(١) البحر المحيط ٣٤٠/١، وانظر حاشية الجمل على الجلالين ١٠٨/١.

(٢) البحر المحيط ٣٤٠/١.

ارأيت أعجب من هذا أو أغرب ؟! إن معنى الآية قريب من الأذهان جميل وقعه على الآذان مفعم بالمعنى المراد مع إيجاز اللفظ المتلو. ولكن عقيدة النحاة المتمكنة من عقولهم وألسنتهم أن (من) حرف إضافة دائما وأبدا حملتهم على ارتكاب ما لا يليق بجلال كلام الله دون وعى وتأمل فيما يكتبون.

إن الآية يتم معناها بقوله:" أن ينزل عليكم من خير" فأى معنى يمنع جعل (مِنْ) اسما وهى نائب الفاعل؟

وتبقى كلمة أود ذكرها هنا لبيان ما وقع فيه علماء اللغة من انحراف فى مقامنا هذا قول زاده" مِنْ: ليست زائدة زيادة محضة. بل إنما يؤتى بها لفائدة زائدة على أصل المعنى. (١)

ولستَ أدرى توجيها لذلك: إننا نقول: يُضرَب لصٌ بغير ذنب. ويفهم من أن يكون المضروب واحد أو أثنين أو أكثر. فإذا ما قلنا: ما يُضرَبُ من لص بغير ذنب. تغير المعنى وصار عميقا دقيقا لاستغراق الضرب كل فرد من اللصوص. وهذا ما يقصد بالآية الكريمة.

٢- وأما آية فاطر: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾

ففيها يقول الفراء:" ما يُطَوَّل من عُمُرٍ. ولا يُنْقصَ من عُمُرِه يريد آخر غير الأول ثم كنى عنه بالهاء كأنه الأول. ولكنه فى الكلام: عندى درهم ونصفه يعنى: نصفا آخر. فجاز أن يُكَنَّى عنه بالهاء لأن لفظ الثانى قد يظهر كلفظ الاول.

---

(١) حاشية زاده على البيضاوى ١/٣٨٠.

وفيها قول آخر أى: "إذا أتى عليه الليل والنهار نقص من عمره والهاء فى هذا المعنى للأول لا لغيره لأن المعنى: ما يُطَوَّل ولا يُذْهَبُ منه شئ إلا هو مَحْصِيّ فى كتاب. وكُلٌّ حَسَنٌ وكأن الأول أشبه بالصواب. (١)" .

ويقول الزمخشرى:" فإن قلت: ما معنى (وما يعمر من معمر) ؟ قلت: معناه: وما يعمر من أحد سماه معمر بما هو صائر إليه.

فإن قلت: الإنسان إما معمر اى طويل العمر. أو منقوص العمر أى قصيره. فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال. فكيف صح قوله (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره) ؟

قلت: هذا من الكلام المتسامح فيه ثقةً فى تأويله بأفهام السامعين ... وأنه لا يلتبس عليهم إحالة الطول والقصر فى عمر واحد.. وفيه تأويل آخر هو: أنه لا يطول عمر إنسان ولا يقصر إلا فى كتاب وصورته: أن يكتب فى اللوح: إن حج فلان أو غزا فعمره أربعون سنة. وإن حج أو غزا فعمره ستون سنة. فإذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر. وإذا افرد أحدهما فلم يتجاوز سن الأربعين فقد نقص من عمره الذى هو الغاية وهو: الستون.....

وقرئ: "ولا ينقص على تسمية الفاعل (من عمره) بالتخفيف. (٢)"

١- وعلى الوجه الأول من نصى القراء والزمخشرى يكون المراد عمرين لإنسانين. قال ابن عطية:" قال ابن عباس وغيره ما مقتضاه أن الضمير فى (عمره) عائد على معمر آخر فالقول يتضمن شخصين يعمر أحدهما مائة سنة أو نحوها وينقص من عمر الآخر بأن يكون عاما واحدا أو نحوه. وهذا قول

---

(١) معانى القرآن ٣٦٨/٢.

(٢) الكشاف ٤٧٦/٣: ٤٧٧.

الضحاك وابن زيد. ولكنه أعاد ضميرا إيجازا ولختصارا. والبيان التام أن تقول: ولا ينقص من عمر معمر. لأن لفظه (معمر) هى بمنزلة ذى عمر. ولا ينقص من عمر ذى عمر. [1]"

وقد أختلف العلماء فى نوع علاقة الإخبار من (عمره) من حيث التعريف والتنكير. فالجمهور على أنه معرفة مطلقا. وقيل: إن خصصت قبل بحكم نحو: جاءنى رجل فأكرمته- بخلاف: رُبَّه رجلا- ويا لها من قصة ورُبَّ رجل وأخيه واختاره الدمامينى وعلله بأن فى الضمير الأول- يعنى- جاءنى رجل فأكرمته- من التعيين والإشارة إلى المرجع ما ليس فى المظهر النكرة- يعنى ربه رجلا- ألا ترى أنك إذا أردت تفسير الضمير فى: جاءنى رجل فأكرمته قلت: هذا الرجل لا رجلا.

وقيل: إن لم يجب تنكيرها بخلاف واجبته كالحال والتمييز. وقيل ليس معرفة بالكلية.

قال السيوطى: " إن الضمير قد يرجع إلى نظير السابق نحو: وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره " أى عمر معمر آخر[2].

والذى نستنبطه من هذا النص هو:

(أ) أن الضمير فى (عمره) ونحوه معرفة مطلقا. أو يكون معرفة إذا خصصت النكرة بحكم مثل: جاءنى صديق فأكرمته فإذا لم تخصص نحو: ربه رجلا ويا لها من قصة ورب رجل وأخيه كان الضمير نكرة. وهذا ما اختاره الدمامينى.

---

(١) المحرر الوجيز ٤٣٢/٤.

(٢) انظر الهمع ٥٦/١ وحاشية الصبان على منهج السالك ١١٩/١.

(ب) أن يكون نكرة إذا عاد على نكرة واجبة التنكير كالحال والتمييز وذلك على رأى فيها: وهناك من يرى أنه يجوز فيها التعريف كما فى نحو قوله تعالى:" ليخرجن الأعز منها الاذل" المنافقون بفتح ياء الفعل ورائه على أنه فعل ثلاثى وفاعله (الأعز) وأما (الأذل) فمنصوب لأنه حال مع أنه معرفة.

ونحوقوله تعالى:﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾١٣٠ البقرة. فـ (نَفْسَهُ) منصوب علىالتمييز مع أنه معرفة.

(ج) أنه نكرة دائما.

هذا على أن المراد عمران لشخصين.

٢- أما على الوجه الثانى من نصى الفراء والزمخشرى فالمعنى المراد عمران لشخص واحد. قال ابن عطية:" وقال ابن عيسى أيضا وأبو مالك وابن جبير: المراد شخص واحد وعليه يعود الضمير أى : ما يعمر إنسان ولا ينقص من عمره بأن يحصى ما مضى منه إذا مَرَّ حول كُتِبَ ذلك ثُمَّ حَوْلٌ ثم حَوْلٌ فهذا هو النقص. قال ابن جبير:" ما معنى من عمره فهو النقص وما يستقبل فهو الذى يُعمَّر.(١)"

وهذا ما ذكره الزمخشرى بقوله: وفيه تأويل آخر...إلخ"

٣- روى عن كعب الأحبار انه قال: المعنى (ولا ينقص من عمره) أى لا يحرم بسبب قدرة لله ولو شاء لآخر ذلك السبب. قال القاضى أبو محمد: وروى انه قال: حين طُعِنَ عُمَرُ رضى الله عنه: لو دعا الله تَعالى لزاد فى أجله. فأنكر

---

(١) المحرر الوجيز ٤٣٢/٤.

عليه المسلمون ذلك وقالوا: إن الله تعالى يقول: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ٣٤ الاعراف، ٦١ النحل.

فاحتج بهذه الآية. وهو قول ضعيف مردود يقتضى القول بالأجلين وبنحوه تمسكت المعتزلة(١)"

ولعل الزمخشرى قد نزع فى هذا التأويل عن قوس المعتزلة ورمى بسهمهم والتى ترتاح إليه النفس ويطمئن به وإليه القلب هو التأويل الأول الذى فيه عود الضمير من (عُمُرِه) على (مُعَمَّرٍ آخر) فيكون طُولُ العُمُر وقِصَرُه باختلاف الأفراد. وقد عرفنا حكم الضمير فى (عمره) من حيث التعريف والتنكير.

٣- ذكر الزمخشرى فى نهاية نصه قراءة (يَنْقُصُ) مبنيا للفاعل و(عمْره) بتسكين الميم. ولم يذكر – كدأبه غالبا – صاحب هذه القراءة.

وقد قال عنها ابن عطية :" وقرأ الحسن والأعرج وابن سيرين (ينقص) على بناء الفعل للفاعل أى يَنقُصُ الله. وقرا الحسن وداود (من عمره) بسكون الميم. (٢)"

وقال ابو حيان" وقرأ الجمهور (ولا يُنْقَصُ) مبنيا للمفعول. وقرأ يعقوب وسلام وعبد الوارث وهارون كلاهما عن أبى عمرو: ولا يَنْقُصُ مبنيا للفاعل.. (٣)"

---

(١) المحرر الوجيز ٤٣٢/٤. وانظر البحر المحيط ٣٠٤/٧.

(٢) المحرر الوجيز ٤٣٢/٤.

(٣) البحر المحيط ٧/ ٣٠٤. وانظر الإتحاف ص ٤٤١.

وبهذه القراءة يتضح لنا: أن قوله (وما يعمر من معمر) تعرب فيه (من) نائب فاعل قولا واحدا. إذ لم يقرأ الفعل بكسر الميم حسب اطلاعنا. مع أننا وجدنا فى معاجم اللغة:" وعمرهم الله جل ثناؤه تعميرا[١]"

ويقول الراغب :" والتعمير إعطاء العمر بالفعل أو بالقول على سبيل الدعاء قال الله تعالى:﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ ٣٧ فاطر. وقال:﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ ٦٨ يس. [٢]"

وبالتأمل فى قراءة آية فاطر التى نحن بصدد دراستها ندرك أنها قراءة فيها جمال وروعة حيث اتفق الفعل والاسم فى الصورة مع اختلافهما فى النوع والمعنى. وأما (ولا ينقص من عمره) فعلى قراءة ضم الياء وفتح القاف تكون(من) نائب فاعل فى محل رفع أى بعض عمر معمر آخر كما سبق بيانه.

ومن الغريب العجيب أن يقول صاحب الإتحاف:" والنائب مستتر يعود على المعمر[٣]"

وكأن المعنى: ولا يُنقَصُ هو أى عُمُرُ المُعَمَّر. فما محل (من عمره) على هذا؟ هل يجوز أن يكون فى محل نصب على الحال أى حالة كونه بعض عمر معمر آخر؟ قد يجوز.

ثالثا وأما آية(ق) فقد سبق الكلام عليها.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤/١٤٠.

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص٣٤٧.

(٣) الإتحاف ٤٤١.

آيات مِنْ الاستغراقية الواقعة مفعولا به

وهى إما فى سياق نفى أو سياق استفهام. أما آيات النفى فقد رتبتها بحسب المواد اللغوية للفعل الناصب لها كما يلى:

١- أتـــــى:

وذلك فى آية واحدة هى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾ ٤٤ سبأ ومن المعلوم أن (أتى) تنصب مفعولين الأول منهما هو علامة الإضمار (هم) والثانى هو (من) وهما معا مبنيان على السكون فى محل نصب. و(كتب) مضاف اليه. وهو جمع تكسير مفرده (كتاب) . وقد حققنا فيما سبق أن المفرد أعم وأشمل وأكمل فى الاستغراق من الجمع. وكأن المعنى فى هذه الآية وما يناظرها أن الاستغراق ينصب على ما فوق الواحد. اى الاثنين فما فوقهما إذ الإثنان أول مراتب الجمع. وبهذا يكون المعنى: أن هناك كتابا واحدا خارج نطاق الاستغراق قد علموا به أو درسوه. وأغلب الظن – إن لم يكن حق اليقين– أنه القرآن الكريم.

٢- أخـــــذ:

وذلك فى ثلاث آيات هى: قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ ﴾ ٣٥ مريم ، وقوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ ٩١ المؤمنون. وقوله: ﴿ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ ١٨ الفرقان.

من المقرر فى اللغة أن (اتخذ) وفروعه بنصب مفعولا واحدا وهو فى الآيتين الأولى والثانية (مِنْ) فهى بمعنى (بعض) و (ولد) مضاف اليه. أى ما ينبغى لله ان يتخذ أحد هذا الجنس وهو (ولد) أى المولود ذكرا كان أو أنثى.

فـ (من) استغرقت للجنس من أدناه إلى مالا نهايه.

وأما فى الآية الثانية " ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء" فـ (من) الأولى حرف إبتداء لأنها داخلة على الظرف وهو لا يقبل التبعيض والخافض والمخفوض مرتبط بالفعل مثله فى قوله تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ ١ الإسراء.

و (من) الثانية بمعنى (بعض) فى محل نصب مفعول (نتخذ) و(أولياء) مضاف إليه. وهو جمع وقد أسلف آنفا أن الاستغراق لا يشمل الفرد الاول. ومن ثم يجوز التعقيب بقولنا (بل أنت ولينا). وبهذا تكون هذه الآيات شبيهة فى معناها بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ ١١ محمد. ففى هذه الآيةَ نفْى المولَى على سبيل الاستغراق الشامل الكامل لأنهم لم يجعلوا الله وليا لهم. وعليه فلا مولى لهم.

فالفعل (نَتَّخِذ) فى الآية ناصب لمفعول واحد وهو (مِنْ أولياء) يقول الزمخشرى: فالقراءة بالبناء للفاعل- يعنى :نتخذ- بفتح النون وكسر الذال من المتعدى إلى واحد أولياء.وهو (من أولياء) والأصل (أن يتخذ أولياء) فزيدت (من) لتأكيد معنى النفى.[1]"

---

(١) الكشاف ٢١٣/٣.

هكذا قرر الزمخشرى زيادة (من) لتأكيد معنى النفى. ولم يشرح أو يوضح معنى كونها مؤكدة معنى النفى هنا ولكنه فى مواطن عديدة – كما سبق- وضح ذلك بأن ذكر أن معناها معنى (بعض) وعليه يكون معناها استغراق النفى للجنس كله من أدناه إلى أعلاه. بل إنه قرر ذلك فى هذه الآية على قراءة (نُتَّخَذ) بالبناء للمفعول كما يأتى.

٣- البـــــدل:

فى قوله تعالى:﴿ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ ﴾ ٥٢ الاحزاب

وهنا نجد تناقض الزمخشرى مع نفسه – كما سلف- حيث يقول :" مِنْ: فى (من أزرواج) لتأكيد النفى. وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم[١].

وما كان ضره هنا لو قال: (مِنْ) اسم بمعنى (بعض) مفعولا به فى محل نصب. و(أزواج) جمع مضاف إليه. أى بعض أزواج. فالنفى مستغرق للجمع وقد وقع أبو حيان فيما وقع فيه الزمخشرى من تناقض حيث قال:" و (مِنْ) فى (من أزواج) زائدة لتأكيد النفى. وفائدته استغراق جنس الأزواج بالتحريم. [٢]"

وكان عليه أن يجعلها بمعنى (بعض) مادامت لاستغراق الجنس كله.

وقال ابن كثير:" إن الآية إنما دلت على انه لا يتزوج بمَنْ عدا اللوانى فى عصمته. وأنه لا يستبدل بهن غيرهن. ولا يدل ذلك على أنه لا يطلق واحدة منهن

---

(١) الكشاف ٤٣٧/٣.

(٢) البحر المحيط ٢٤٤/٧.

من غير إستبدال والله أعلم " ثم قال: فنهاه عن الزيادة عليهن أو طلاق واحدة منهن واستبدال غيرها بها إلا ما ملكت يمينه[(١)]"

ومما ينبغى الإلتفات إليه ان الفعل (تَبَدَّلَ) اصله (تَتَبَدَّلَ) خفف بحذف إحدى التائين أى تاء المضارعة أو تاء الفعل الماضى والراجح حذف الثانية لأن الأولى تدخل لمعنى المضارعة فلا يستغنى عنها.

كما يجب التنبيه إلى أن (الباء) داخلة على المتروك فى قوله تعالى(ولا أن تبدل بهن من أزواج) وأن الفعل ناصب لمفعول واحد وهو (من أزواج) كما فى قوله تعالى:﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ ٦١ البقرة. وقوله:﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ١٠٨ البقرة. ثم قوله:﴿ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلاً ﴾ ٢٨ الإنسان. ولكنه فى قوله تعالى:﴿ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذواتى أكل خمط ﴾ ١٦ سبأ . ناصب لمفعولين هما: علامة الإضمار (هم) و(جنتين).

٤- تـــــرك:

فى آيتين هما: قوله تعالى: ﴿ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ ٦١ النحل. وقوله: ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ ٤٥ فاطر.

آى ما ترك بعض هذا الجنس فهى استغراقية فى محل نصب مفعولا به. و(عليها) و (على ظهرها) ظرف مرتبط بالفعل (ترك).

---

(١) تفسير القرآن العظيم: المجلد السادس ٤٣٩: ٤٤٠. وانظر تفسير القرطبى ص ٥٣٠٢.

٥- تـــــلا:

فى آيتين هما قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ ﴾ ٦١ يونس. وقوله: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ ﴾ ٤٨ العنكبوت.

وذُكِرَتْ فى كل آية مرتين أما (من) الأولى فى آية يونس فيقول عنها الزمخشرى :" والضمير فى (منه) للشأن لأن تلاوة القرآن الكريم شأنه من شأن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بل هو معظم شأنه. أو للتنزيل كأنه قيل: وما تتلو من التنزيل من قرآن لأن كل جزء منه قرآن. والإضمار قبل الذكر تفخيم. أو لله عز وجل. [١]"

ولم يذكر الزمخشرى معنى (من) فى (منه) وظاهر عبارته أنها حرف إضافة بمعنى الابتداء. كأن ابتداء التلاوة هو الشأن أو الله عز وجل. وهذا على الوجهين الأول والثالث. أما على ان الضمير عائد على القرآن فى (من قرآن) فيكون معناها (بعض) لأن ضمير القرآن يبعض كما يبعض هو. وعلى هذا الذى ذكره الزمخشرى يكون مرجع الضمير فى (منه) هو (الشأن) فلا تقديم ولا تأخير. وأما على الوجهين الآخرين فإن قلنا إن مرجعه القرآن وهو المقصود بقول الزمخشرى (التنزيل) كان المضمر مقدما على مرجعه. وإن قلنا إن مرجعه الله كان معلوما بالعقل فلا يكون من باب الإضمار قبل الذكر.

ومما يجدد التنبيه إليه أن (مِنْ) هذه ليست مما يزعم زيادته.

---

(١) الكشاف ٢٧٨/٢.

ويرى أبو السعود أنها على الوجهين الأول والثانى مما ذكر الزمخشرى ابتدائية أو تبعيضية. وعلى الثالث: ابتدائية[١].

ولست ادرى ما معنى كونها تبعيضية على أن الضمير عائد على الشأن. وهذا ما جعلنى أرى أنها إبتدائية.

أما (من) فى قوله (من قرآن) فهى موضوع بحثنا هنا لأنها هى التى يَدَّعِى النحاة زيادتها. وقد ادعى هذه الدعوى أبو البقاء ومن بعده أبو السعود فقال الأول:" منه: أى من الشأن اى من أجله و (من القرآن) مفعول (تتلو) و (من) زائدة.[٢]"

فظاهر هذا النص: أن (من) الأولى إما إبتدائية وإما تعليلية فقد قال (أو من أجله). وأما (من) الثانية فقد ناقض أبو البقاء نفسه فيها إذ بعد ما ذكر أن (من قرآن) مفعول أردفه بقوله و (من) زائدة فأول العبارة يوحى أن (من) بعضية فى محل نصب و (قرآن) مضاف إليه. فكيف يصبح له- مع هذا- أن يزعم زيادتها؟!

ويقول أبو اسعود:" إن التى فى (من قرآن) مزيدة لتأكيد النفى. أو ابتدائية على الوجه الأول - يعنى فى (من) الأولى- وبيانية أو تبعيضية على الثانى والثالث[٣]"

وهكذا يشتت علماؤنا ذهن القارئ والباحث عن معنى الآية فهيهات ان يظفر به فى ركام هذه الآراء المتزاحمة ولو ترك قارئ الآية وعقله لتيسر له المعنى لأن القرآن مبين فى لغته واضح فى أساليبه.

---

(١) إرشاد العقل السليم ٤٧٦/٥ .

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١٦/٢.

(٣) إرشاد العقل السليم ٤٧٦/٥.

لهذا كله أرى الوجه الواضح البين هو أن (من) الاولى والثانية بعضية وأن الضمير يدرك العقل مرجعه إذ التلاوة دليل عليه وسبيل إليه ألا وهو كتاب الله المتلو كما فى قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ ٢٩ فاطر.

ومن البدهى أن قوله (من قرآن) بيان لـــ (منه) أى توضيح فالمعنى : وما تتلو بعضه بعض قرآن. ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه... وبهذا نصون النص وننأى به عن دعاوى لا أساس لها من الصحة.

وأما آية العنكبوت (وما كنت تتلو من قبله من كتاب) فيقول فيها أبو حيان: " قال مجاهد: كان أهل الكتاب يقرؤن فى كتبهم أن محمدا عليه السلام لا يخط ولا يقرأ كتابا فنزلت: وما كنت تتلو من قبله أى من قبل نزوله عليك من كتاب أى كتابا. و (من) زائدة لأنها فى متعلق النفى ولا تخطه أى لا تقرأ ولا تكتب بيمينك وهى الجارحة التى يكتب بها وذكرها زيادة تصوير لما نفى عنه من الكتابة(١)"

فـــ (مِنْ) فى (مِنْ قبله) ابتدائية أى حرف ابتداء لأنها داخلة على الظرف (قبل) وأما (من) فى (من كتاب) فبمعنى (بعض) اى بعض هذا الجنس فهى فى محل نصب. ومما يلفت الذهن قول أبى حيان:" (من كتاب :أى كتاب) فهذا التعبير يشير إشارة واضحة إلى أن (من) استغراقية أى بمعنى (بعض) لأنها تستغرق نفى تلاوته كتابا إلى ما فوقه. ولذا فهو قد ناقض نفسه حينما قال من بعد ذلك (ومن: زائدة... إلخ).

---

(١) البحر المحيط ١٥٠/٧.

٦- جعـــــل:

وذلك فى ثلاث آيات هى:

قوله تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ٦ المائدة. وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ ٧٨ الحج. وقوله: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ ٤ الأحزاب.

وفى الآية الأولى نرى بعد (ما يريد) قوله تعالى (ليجعل) وكأن الفعل (يريد) لا مفعول له فى اللفظ ولكنه مُقَدَّر. والمعنى ما يريد الله تكليفكم بالطهارة وضوءا وغسلا ثم تَيَمُّماً عند فقد الماء ليجعل بعض حرج أى ضِيق ولكن يريد ذلك ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون. فاللام فى (ليطهركم) تعليلية لما سلف ذكره. يقول الزمخشرى:" ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج: فى باب الطهارة حتى لا يرخص لكم فى التيمم(ولكن يريد ليطهركم) بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء (وليتم نعمته عليكم) وليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمته فيثيبكم.(١)"

وعلى هذا يكون استغراق (من) للحرج المنفى لأن نفى العلة يقتضى نفى المعلول.كما فى قولنا: ما جئتكم لأضايقكم بل لأفرج عنكم كربا أنتم فيه. فالمجئ نفى إذا كان المراد به المضايقة ثابت إذا قصد به تفريج الكرب. وبذلك تكون (من)

---

(١) الكشاف ٤٧٥/١.

فى سياق نفى لا سياق إيجاب ولكن أبا حيان يقول:" ومن زعم أن مفعول (يريد) محذوف تتعلق به اللام جعل زيادة (من) فى الواجب للنفى واقعا على فعل الحرج[١]"

ففى هذا من التخاذل والبعد عن الحقيقة ما هو واضح بيِّن إذ كيف يتصور عقل ان النفى لا يشمل الحرج مع أن الحق والحقيقة أن النفى ما دخل فى هذه الآية إلا لنفى الحرج على المؤمنين. وحذف المفعول به لإدراك العقل ذلك من سياق الكلام. وفى هذا محافظة على النص من دعوى جعل اللام بمعنى (أن) بعد (يريد) كما فعل الزمخشرى فى قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ٢٦ النساء.

حيث يقول:" أصله: يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبين كما زيدت فى (لا أبالك) لتأكيد إضافة الأب.

والمعنى: يريد الله أن يبين لكم ما هو خفى عنكم من نص الحكم....إلخ[٢]" وبالتأمل فى هذا النص ندرك مدى تدخل الزمخشرى فيه حيث حكم على اللام بالزيادة ثم أتى مكانها بـــ (من). ولو حرك بصره إلى الآية التى تليها لعلم ما فى قوله من خلط فنصها: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ ٢٧ النساء.

ولو فعل- وهو من هو دقة وعمقا فى الفكر- لعلم أن هناك فرقا فى المقام بين الآيتين حيث عبر فى الأولى باللام وفى الثانية بـــ (أن).

ولم يكن ذلك ليغيب عن علماء اللغة عند تفسيرهم القرآن وكشف أسرار كلماته. فقد تكرر مثل هذا فى القرآن حيث يقول الله: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا

---

(١) البحر المحيط ٣٤٩/٣.

(٢) الكشاف ٣٨٧/١.

نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ ٣٢ التوبة. ثم يقول ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ٨ الصف.

ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، ثم يقول: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ ٥٥، ٨٥ التوبة.

فما كان ذلك ليغيب عن عقول المفكرين المتدبرين فى لغة القرآن وتنوع نصوصه لتنوع معانيه فلا يجازف أحدهم بدعوى إقامة كلمة مقام غيرها لأن ذلك لا يتفق ودقة لغة القرآن. إذ لكل كلمة منها إيماء ومدلول ومعنى يراد.

ومن ثَمَّ رأيت أبا عبد الله الخطيب الاسكافى يبحث عن سر اللام فيما وردت فيه وسر (أن) فيما ذكرت فيه فيقول عن آيتى التوبة والصف:" للسائل أن يسأل: ما الذى أوجب اختصاص الأولى بـــ (أن) والثانية باللام دون أن تكون بـــ (أن) لأنها الأصل فى تعدى الإرادة إليه؟!.

والجواب: أن يقال: إن الإرادة فى الآية الأولى تعلقت بإطفاء نور الله بأفواههم. وإطفاء نور لله إنما هو بما حاولوه من دفع الحق بالباطل. والحق يسمى: نور الله لأن حججه وبراهينه تضئ لطالبه فيهتدى بها إليه. والباطل هو قولهم بأفواههم وهو ما أخبر الله به قَبْلُ عن اليهود والنصارى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ ٣٠ التوبة. أى هو قول لا حقيقة له ولا محصول. وبمثله لا يدفع الحق. وبالأفواه لا يُطْفَؤُ هذا النور كما يطفؤ السراج لأن هذا – وإن أشبهه فى أنه يهدى ويبين

الحق من الباطل- فهو بخلافه فى الامتناع من الإطفاء كما يتهيأ ذلك فى السراج.... وتعدى الإرادة على هذا المراد ظاهر وهو وجه الكلام والأصل[١]"

فالخطيب الإسكافى يقرر أن قول الله (يريدون أن يطفئوا نور الله) فيه نصب الفعل (يريد) المصدر المؤول بـــ (أن يطفئوا نور الله) أى إطفاء نور الله. ونصب المفعول هنا ليس فى حاجة إلى ما يســـميه النحاة واسطة بين الفعل ومنصوبه كقولهم فى بعض الأفعال: يتعدى بالباء كما فى: مررت بزيد. وغير ذلك من حروف الإضافة.

ثم قال الخطيب الإسكافى:" وأما الآية فى سورة الصف وتعليق الإرادة فيها بالإطفاء مع زيادة الكفر فإن للنحويين فى ذلك مذهبين:

أحدهما: أن اللام توضع موضع (أن) لكثرة ما يقال: زرتك لتكرمنى باللام لما شهرت بنيابتها عن (أن) وقيامها مقامها فى الموقع كان تعدى الفعل إليها مع ما بعدها كتعد بة إلى (أن) وما يتضمنه المستقبل فيقال: قصدت أن تفرح وقصدت لتفرح. وهذا لا يكون إلا على سبيل التوسع دون الحقيقة.

فأما المذهب الآخر فللمحققين وهو: أن الفعل تعدى إلى مفعول محذوف. واللام الداخلة على الفعل المنصوب تكون مبينة عن العلة التى لها أنشئ الفعل.

واللام فى الآية على هذا التحقيق وهو: أن المراد يريدون أن يكونوا ليطفئوا نور الله بأفواههم. لأن قبلها قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ﴾ ٧ الصف. فقوله (يريدون) لم يذكر مفعوله اعتم[ادا] على ما نبه إليه بقوله (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب).

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ص ٦٤: ٦٥.

فكأنه قال: يريدون افتراء الكذب ليطفئوا نور الله. وعلى هذا قوله:

أردت لكيمـــا يعلـــم النـــاس أنهـــا ســـراويل عـــادى تحتـــه ثمـــود

أى أردت أن أنزع سراويلى ليعلم الناس إذا أرادوا طولها أنها على عَادِيِّ القامة ثموديّ الخلقة.

فلهذا خصت الآية الثانية بدخول اللام على (يطفئ). ولما كان المراد فى الآية الأولى الإطفاء بالأفواه لما دل عليه مفتتح الآية وهو﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾ ٣٠ التوبة.

كانت الإرادة معَدّاة إلى إطفاء نور الله بأفواههم وهو ما حكى الله عنهم أنه(قولهم بأفواههم) أى يريدون أن يدفعوا الحق بالباطل من أفواههم.وهذا واضح[١]. ثم قال فى آيتى التوبة(إنما يريد الله ليعذبهم) و (إنما يريد الله أن يعذبهم) : إن الأولى معناها: إنما يريد الله أن يزيد فى نعمائهم بالأموال والأولاد ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا. فمفعول الإرادة محذوف واللام لام الصيرورة.

والآية الآخيرة مخالفة للأولى فى ذلك لأنها فى الإخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا على النفاق. فلم تتضمن الآية مفعولا وهو: أن يزيد فى نعمائهم لانقطاع الزيادة بالموت عنهم فعديت الإرادة إلى ما آل إليه حالهم من تعذيبهم بها فى الدنيا. ففرق بين الخبرين إذ كان أحدهما: خبرا عن قوم معرضين لزيادة إنعام الله عليهم. والآخر خبرا عمن انقطعت أعمالهم وبلغت نعمة الله عليهم غاية لا مزيد فيها لهم. والله يريد تعذيبهم بذلك بعد كفرهم ومقامهم على نفاقهم.

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ص ١٦٥: ١٦٦.

وقال الكرماني قوله:" إنما يريد الله ليعذبهم" ٥٥، وقال في الأخرى "أن يعذبهم" لأن (أن) في هذه الآية مقدرة وهي الناصبة للفعل فصار في الكلام ههنا زيادة كزيادة (الباء واللام) في الآية[1].

ولعله يعني بالزيادة هنا ذكر كلمة لم تذكر في الآية الأخرى ولعله يعني بالزيادة هنا ذكر كلمة لم تذكر في الآية الأخرى.

هذا هو المنهج الصواب الصادق اللائق بجلال كلمات الله فبه نعلم حق العلم وندرك عميق الإدراك أن اللام توضع في مكان لا تصلح فيه (أن) وكذا (أن) توضع في مكان لا تصلح فيه اللام.

ولكي تتمكن هذه القاعدة في أذهاننا جميعا أذكر هنا قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ ، ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ١١، ١٢ الزمر.

ففي الآية الأولى ذكرت(أن) وحدها. وفي الآية الثانية ذكرت اللام معها. وفيها يقول الخطيب الإسكافي أيضا:" إن القصة في الأمر الثاني غير القصة في الأمر الأول. وذلك: أن الأمر الأول يتعدى إلى العبادة. والثاني معناه: وأمرت أن أعبد لأكون أول المسلمين أي إنما أمرت بإخلاص العبادة له. وبعثت رسولا لأن أكون أول من يبدأ بطاعة الله وعبادته على الإخلاص المطلوب. فاللام ليست مقحمة على ما ذهب إليه كثير من النحويين. وإنما معناه ما ذكرنا من الأمر بالعبادة لأجل

---

(١) أسرار التكرار في القرآن ص ٩٧، وانظر ٩٨.

أن يفعل أوَّلا ما أمر به ثم يحمل الناس على مثله. وهذا واضح فاعرفه ان شاء الله تعالى.[١]"

ويعنى الخطيب بقوله (فاللام ليست مقحمة) أن كثيرا من النحويين يرون أنها زائدة. وممن جوَّز هذه الزيادة الزمخشرى حيث يقول:" ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها فى (أردت لأن أفعل ولا تزاد إلا مع (أن) خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضا من تَرْك الاصل إلى ما يقوم مقامه كما جعل السين فى(اسطاع) عوضا من ترك الأصل الذى هو (أطاع)."

ولم يكتف بل راح يعلل ويدلل ويوجه ما جوزه مستدلا بآيات من القرآن حيث يقول:" والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام فى قوله تعالى:

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾، ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٧٢، ١٠٤ يونس.

﴿ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ ١٤ الأنعام[٢].

والآية الأولى فى حق نوح عليه السلام. والثانية والثالثة فى حق محمد – صلى الله عليه وسلم.

وكان الأجدر بالزمخشرى وهو من هو ذوقا رفيعا وفهما دقيقا لآيات القرآن الكريم أن ينهج منهج الخطيب الإسكافى وهو : البحث والتنقيب عن سر إستعمال

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ص ٣١٥.

(٢) الكشاف ٩١/٤: ٩٢.

الكلمة فى مقام وعدم استعمالها فى مقام آخر. ففى هذا سمو ورفعة إن فى الفاهم وإن فى المفهوم بل أقول: إنه للفاهم وجده إذ المفهوم ليس فى حاجة إلى ما يسمو به لأنه أسمى وأجل وأعظم وأقوم بذاته لا بغيره.

وإنما أطلت بذكر هذا الكلام حول زيادة اللام لأثبت للقارئ أن زعم زيادة أى كلمة فى القرآن ليس مُسَلَّماً من أول الأمر بل يعتبر من العجلة وعدم التريث والدقة والتأمل فى مقام ذكر هذه الكلمة ومقام عدم ذكرها.

فليست (مِنْ) وحدها التى استعجل الدارسون فى زعم زيادتها بل غيرها كثير. وما أردت بهذه الدراسة لـ (من) إلا وضع أساس لمن يريد أن يدفع عن القرآن شبهة الزيادة ويدافع عنه دفاعا قويا واضحا بينا.

ولعل القارئ يستحضر هنا ما ذكرناه عن أبى حيان فى آية المائدة من أن (من) زيدت فى سياق إيجاب....إلخ. لأن الآية فى غنى عن هذا فهى مصدرة بأداة نفى صريحة صحيحة.

ونضيف هنا أن الكوفيين ومنهم ثعلب يرون أن اللام فى (لِيَجْعَلَ) ناصبة الفعل بنفسها لا بإضمار (أن) بعدها[1]. وفى هذا من السلامة والسهولة ما لايخفى على ذى بصيرة وعليه فهى مؤولة ما بعدها بمصدر يصلح مفعولا للفعل أى ما يريد الله جعل بعض حرج عليكم فـ (من) اسم بمعنى (بعض) مفعولا به فى محل نصب. وتستغرق الحرج من أدناه إلى منتهاه.

أما آية الحج " وما جعل عليكم فى الدين من حرج) فالأمر فيها سهل إذ الظرف (عليكم) مرتبط بالفعل (جعل) و (فى الدين) فى موضع نصب حالا من

---

(١) انظر منهج السالك للأشمونى ٢٩٦/٣.

علامة الإضمارار (كم) أى حالة كونكم على دين الله وهو الإسلام و (من حرج) مفعول به. فلا حذف ولا زيادة ولا تقدير.

وتبقى آية الأحزاب " ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه" قد علمنا حكم المثنى والجمع بعد (من) الاستغراقية وهو: أن المثنى يقتضى إستغراق (من) نَفْى ما بعده. ومقتضى هذا أن يبقى لكل رجل قلب واحد. وهذا ما قرره صاحب الكليات حيث قال:" معنى استغراق المفرد شمول أفراد الجنس فلا يخرج فرد أو فردان. ومعنى استغراق الجمع شمول جموع الجنس والجمع فى جمل الجنس لا وحداته(١)"

فالتعبير بالمثنى هنا مقصود لأنه يقتضى أن الاستغراق للاثنين فما فوقهما. وبذلك يكون المعنى: أن لكل رجل قلبا واحدا فى جوفه. قال الزمخشرى:" والتنكير فى (رجل) وإدخال (من) الاستغراقية على (قلبين).

تأكيد أن لما قصد من المعنى كأنه قال: ما جعل الله لأمة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة فى جوفه. (٢)"

ولا ينبغى أن يخطر ببال القارئ أن قوله (تأكيدان) يفهم منه زعم الزيادة بدليل قوله (البتة) إذ معناه قطعا لا خلل ولا شبهة فيه.

٧- حـــــــرم:

فى آيتين هما: قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ ﴾ ١٤٨ الأنعام، وقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ ﴾ ٣٥ النحل.

---

(١) كليات أبى البقاء ٤٠٣.

(٢) الكشاف ٤١٢/٣.

والذى نعنيه هنا هو قوله تعالى: (ولا حرمنا من شئ) وقوله (ولا حرمنا من دونه من شئ) فــ (من شئ) يزعم العلماء فيه أن (من) زائدة والحق أنها استغراقية بمعنى (بعض) فى محل نصب و(شئ) مضاف إليه أى ولا حرمنا بعض شئ. وقد عرفنا أن (شئ) أعم كلمة فى اللغة حيث أنها يعنى بها الحقير الصغير والخطير العظيم الكبير. والأول هو المراد. فإذا إنتفى تحريمهم بعض الصغير مما اجله الله فمن باب أولى ينتفى ما فوقه.

٨- رأى:

فى ثلاث آيات هى: قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ ٢٧ هو، وقوله: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ ٤٨ الزخرف، وقوله: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ ٣ الملك.

وينبغى أن تلاحظ هنا ورود (من) مفعولا به وهى استغراقية بمعنى: بعض فى سياق نفى ثلاث مرات كما ينبغى أن ننتبه إلى أن الفعل (نريهم) فى الآية الثانية ناصب المفعولين الأول علامة الإضمار (هم) فى (نريهم) والثانى (من آية).

وأما فى قوله:" ما ترى فى خلــق الرحمن من تفاوت" فهو ناصب لمفعول واحد وهو (من تفاوت) أى: بعــض تفاوت. وهو مصــــدر. وعليه فــ (من) مفعول مطلق.

٩- أرســــل:

فى سبع آيات هى: قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ ٦٤ النساء. وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ

أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ ٩٤ الأعراف. وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ٤ إبراهيم. وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ ﴾ ٢٥ الأنبياء.

وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ ٥٢ الحج. وقوله﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ ٤٤ سبأ. وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ ٢٣ الزخرف.

فـ (مِنْ) فى هذه الآيات استغراقية فهى بمعنى (بعض) مبنية فى محل نصب مفعولا به والمضاف إليه (رسول) اربع مرات و(بنى) مرة واحدة. و (نذير) مرتين. فهو جنس ولمَّا دخلت عليه (مِنْ) الاستغراقية دل ذلك على نفى الجنس استغراقا كاملا ومما يثبت ذلك قول الزمخشرى فى الآية الأولى: " وما أرسلنا رسولا قط غلا ليطاع بإذن الله[(١)]"

فمن البدهى أن (قط) للاستغراق. ومع هذا نرى من يزعم أنها زائدة فقد نقل الرازى عن الزجاج قوله:" كلمة (من) هنا صلة زائدة والتقدير "وماأرسلنا رسولا" ولكنه لم يقف عند هذا الحد بل أردف قائلا:" ويمكن ان يكون التقدير وما أرسلنا من هذا الجنس أحدا إلا كذا وكذا وعلى هذا التقدير تكون المبالغة أتم[(٢)]".

فلست أدرى لم يذكر الأول ما دام الثانى هو اللائق بجلال وقدسية القرآن؟

---

(١) الكشاف ١/٤٠٨.

(٢) من مفاتيح الغيب ٣/٢٥٨.

١٠- أراد:

فى آية واحدة هى: قوله تعالى: ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴾ ٥٧ الذاريات.

ومما تجب ملاحظته أن (منهم) من قبيل حرف الإضافة ومعناه الابتداء. وأما (من رزق) فمن قبيل الاسم إذ (من) بمعنى (بعض) أى بعض رزق فهى مفعول به فى محل نصب و (رزق) مضاف إليه مجرور ومعنى هذا أن البشر لا يطلب منهم شئ إلا السعى الذى يتوكلون فيه على الله فهم مكلفون به وليسوا بمكلفين بتحصيل الرزق وإنما هو الذى يتكفل بذلك. والدليل على ذلك قوله من بعد هذه الآية:" إن الله هو الرازق ذو القوة المتين" ٥٨ الذاريات.

١١- سـأل:

فى تسع آيات هى: قوله تعالى: ﴿ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍ ﴾ ٧٢ يونس. وقوله: ﴿ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ ﴾ ١٠٤ يوسف. وقوله: ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ ﴾ ٥٧ الفرقان. وقوله: ﴿ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ ﴾ ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠ الشعراء وقوله: ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ ﴾ ٨٦ ص.

وهذه الآيات فى حق الرسل عليهم السلام. فهم جميعا لم يسأل أحدهم لأمته شيئا ولو يسيراً أو حقيرا أجرا له على تبليغ رسالته. فـ (من) استغراقية فى محل نصب مفعولا ثانيا لـ (سأل) و (أسأل) و (تسأل) وهذان المفعولان ليس أصلهما المبتدأ والخبر.

١٢- أشـــــرك:

في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ ٣٨ يوسف.

و(نشرك) هنا رباعى ماضيه (أشرك) ومصدره الإشراك. والاسم منه: الشرك. ومن معانى (الشرك): المشارك جمعه: أشراك ومثله شريك وجمعه شركاء. وشريكة وجمعه: شرائك. وشَرِكه في البيع والميراث كعَمِلَه شِرْكة بالكسر. وأشرك بالله: كفر فهو مشرك والإسم : الشرك فيهما(١).

وعهدنا بالفعل (أشرك) أن يستعمل معه حرف الإضافة الباء إذ يقال: أشرك بالله. كما يقال: أشرك بالله شيئا. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ ٣٦ النساء. أى لا تجعلوا شريكا لله في عبادتكم فـ (شيئا) منصوب لأنه مفعول. ويحتمل أن يكون مفعولا مطلقا مثل قولنا : ما ضربت شيئا إذ يحتمل أن يكون النفى منصبا على (الضرب) والأصل : ما ضربت ضربا. والتعبير بـ (شيئا) مكان (ضربا) أعم وأشمل لأن (ضربا) يحتمل عدة معان أى ضرب تأديب أو ضربا شديدا أو غير ذلك وأما ما ضربت شيئا. فمعناه: ما ضربت شيئايقع عله اسم الضرب.

كما يحتمل أنه مفعول به اى ما ضربت شيئا مما أو ممن يضرب بمعنى أننى ما وقع منى ضرب على أى شئ.

---

(١) انظر القاموس المحيط ٣٠٨/٣.

فـ (شيئا) من قوله تعالى: "ولا تشركوا به شيئا" يمكن أن يكون معناه: شيئا من الشرك فيكون مفعولا مطلقا كما يمكن أن يكون معناه: شيئا من المخلوقات. فيكون مفعولا به.

وقد ورد ما يؤيد كلا منها فالله يقول: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ١٣ القمان ثم يقول:﴿ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ ٢ الجن.

فعلى الأول يكون معنى (من شئ) فى آية يوسف (من شرك) أى بعض شرك فتكون (من) مفعولا مطلقا فى محل نصب كما يكون معناه (بعض مخلوقات) فتكون مفعولا به فى محل نصب أيضا.

وقد جاءت آية بمعنى نفيهما معا وهى قوله تعالى: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ ٢٢ سبأ وفيها يقول الزمخشرى:" وما لهم فى هذين الجنسين من شركة فى الخلق و لا فى الملك كقوله تعالى:﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ٥١ الكهف. وما له منهم من عون يعينه على تدبر خلقه. يريد: أنهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن أحوال الربوبية(١).

١٣- ضــــر:

فى آيتين هما قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ ﴾ ١٠٢ البقرة.

وقوله: ﴿ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ﴾ ١١٣ النساء.

---

(١) الكشاف ٤٥٧/٣.

من المعلوم فى اللغة أن الفعل (ضر) ينصب مفعولا كما فى قوله تعالى: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ٦٦ الأنبياء.

ومن ذلك آية البقرة (وما هم بضارين به من أحد) لأن اسم الفعل يعمل عمل الفعل وهنا نجد بعده (به) وهذا سبب وعلة أى وما السحرة ضارين بسب سحرهم بعض أفراد البشر فـ (من) اسم بمعنى (بعض) مفعول به فى محل نصب وهى استغراقية و(أحد) مضاف إليه وقد علمنا أنه مثل (رجل).

وأما الباء فى (وما هم بضارين) فهى مشهورة بأنها زائدة والحق أنها ليست كذلك بل هى بمعنى (مثل) أى : وما هم مشبهين من يضر فكيف يضرون.

ومما ينبغى ملاحظته ذكر (شيئا) بعد (لا ينفعكم) فى آية الأنبياء وهو مثل قوله تعالى فى آية النساء التى نحن بصدد دراستها (وما يضروك من شئ) غير أن (مِنْ) ذكرت هنا ولم تذكر هناك والذى يعنينا هنا بيان المفعول فى (شيئا)، (من شئ) فهل هو مفعول به أو مفعول مطلق؟

والذى أميل إليه وأرجحه هو أن يكون مفعولا مطلقا غَيْرَ أنه غَيْرُ استغراقى فى قوله (لا ينفعكم شيئا) واستغراقى فى قوله (وما يضرونك من شئ) فالمراد بـ (شئ) النفع أو الضر. أى لا ينفعكم نفعا وما يضرونكم بعض ضرر.

وهذا ما ذكره أبو البقاء غير أنه جعل (من) زائدة وهذا ما لا نقره ولا نرضاه. ونصه:" من: زائدة و (شئ) فى معنى: ضرر فهو فى موضع المصدر[1]".

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١٠٩/١.

وذكر (مِنْ) قُبيْل المصدر وجعله مضافا إليها يشبه ذكر (كل) كذلك كما فى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِ ﴾ ٢٩ النساء.

ومع هذا تأبى قواعد النحاة المفتعلة غير الدقيقة إلا أن يفرضوها على النص القرآنى ومنَ ثَمَّ ترى أبا حيان يقول فى آية البقرة:" مَنْ زائدة و (أحداً) مفعول بـــ (ضارين) . و (من) تزاد فى المفعول إلا أن المعهود زيادتها فى المفعول الذى يكون معمولا للفاعل الذى يباشره حرف النفى نحو: ما ضربت من رجل. وما ضرب زيد من رجل. وهنا حُمِلَت الجملة من غير الفعل والفاعل على الجملة من الفعل والفاعل لأن لمعنى: وما يضرون من أحد[١]"

وبذلك يتضح أن أبا حيان يسوى بين (وما يضرون أحداً) و (ما يضرون من أحد). ولو كان هذا صوابا أو جائزا لما دعا الداعى إلى ذكر (من) فما دام قد ذكرها الله فى قرآنه فلابد من فائدة لها.

وذكر أبو البقاء أن (من) زائدة فى آية النساء كما قلنا أنفا.

هذا: وقرأ الأعمش آية البقرة: (وما هم بضارى به من أحد) بحذف النون وجعل (من) زائدة و (ضارى) مضاف إلى (أحد) مع أن (به) فاصل بينهما. وهكذا نرى النص ممزقا منهما. ومما يثير العجب أننا وجدنا الزمخشرى يدافع عن هذه القراءة فيقول : فإن قلت: كيف يضاف إلى (أحد) وهو مجرور ب (مِنْ)؟ قلت: جعل الجار جزءا من المجرور"

وعقب عليه الشيخ عليان قائلا" ونظيره: لا أبالك[٢]"

---

(١) البحر المحيط ١/ ٣٣٢: ٣٣٣.

(٢) الكشاف ١/١٢٩ وهامشها وانظر روح المعانى ١/٢٨٢.

وهكذا يأبى النحاه إلا أن يدافعوا عما وقر في صدورهم وتمكن من عقولهم ثم فاض على ألسنتهم دون وعى لما يترتب عليه من افتئات على حق جلال النص القرآني.

فلو تأملت كلامهم لوجدته يضرب بعضه بعضا إذ كيف يزعمون أن (من) زائدة ثم يحكمون بأنها جزء من (أحد)؟!! أليس في ذلك دعوى زيادة جزء من الكلمة دون باقيها؟! ولتمكن هذا من نفوسهم يجعلون له نظيرا وهو (لا أبالك) حيث حكموا بإضافة (أبا) إلى الكاف في (لك) وعليه تكون اللام زائدة.

والحق أن اللام ليست زائدة ولا مقحمة بين المضاف والمضاف إليه لان هذا النص جملة مفيدة لا تحتاج إلى شئ إذ (أبا) منصوب بـ (لا) و (لك). خبرها فقد قال ابن يعيش:" أعلم أنهم يحذفون خبر (لا) من: لا رجل ولا غلام... والمعنى: لا رجل لنا ولا غلام لنا... فإن أردت خبرا خاصا لم يكن بد من ذكره نحو: لا رجل في الدار لأن عموم النفي لا يدل على الخبر الخاص فإن وقع النفي في جواب (هل من رجل في الدار مصرحا به فقلت في جوابه لا رجل ومعناه: في الدار جاز وإن لم تذكره لتقدم ذكره ودلالة ما سبق عليه[1]".

وعلى هذا يجوز في (لا أبالك) أن يكون (أبا) وهو في مقام نكرة اسم (لا) منصوب بالالف. و(لك) خبرها . فهي جملة تامة مفيدة غنية عن الدعاوى الزائغة عن الحق والزائفة التي لا أساس لها.

وفضلا عن ذلك لنا أن نقول: إن قراءة الأعمس(وما هم بضارى به من أحد) بحذف النون يجوز فيها أن تكون (من) منصوبة بـ (ضارى) كما في قراءة قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ

---

(١) شرح المفصل ١/١٠٧.

﴿ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ٣٥ الحج. بنصب الصلاة مع حذف نون المقيمين. قال الزمخشرى:" وقرأ الحسن (والمقيمى الصلاة) بالنصب على تقدير النون. وقرأ ابن مسعود (والمقيمين الصلاة) على الأصل[1]" والفصل فى آية البقرة(وما هم بضارى به من أحد) بالظرف (به) بين (ضارى) و (من أحد) ليس فيه ضرر فكم من مفعول فُصِلَ بينه وبين ناصبه بما له فائدة فى المعنى. كما فى قوله تعالى: ﴿ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴾ ٢الجن، قوله ﴿ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ ٣٦ النساء.

وعليه بكون إعراب (بضارى به من احد) أن (من) مفعول ضارى فى محل نصب و(أحد) مضاف إليه. ولا زائد ولا زيادة.

هذا عن زيادة (من) فى آية البقرة. وأما آية النساء فقد سبق دعوى أبى البقاء زيادة (من) فيها. والرد عليه سهل ميسور.

١٤- طـــاع:

وذلك فى آية واحدة هى : فى قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴾ ٤٥ الذاريات. فى القاموس:" طاع له يطوع ويطاع انقاد.. وطاع يطيع لغة فى يطوع[2]"

---

(١) الكشاف ٣/١٢٤.

(٢) انظر القاموس المحيط ٣/٦٠.

ومعنى هذا أن الثلاثى لازم يرفع الفاعل ولا ينصب المفعول. فإذا قيل (أطاع) نصب المفعول ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ ١٠٠آل عمران

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ٥٩ النساء.

وإذا قيل (استطاع) جاء بعده منصوب كما فى قوله تعالى﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ٩٧ آل عمران. وقوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾، وقوله: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ ٢٥، ٩٨ النساء. وقوله: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ ٦٧، ٧٢، ٧٥ .

ثم قوله: ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ، ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ٧٨، ٨٢ الكهف ومثل ذلك آية الذاريات التى نحن بصدد دراستها.

ومما ينبغى الإلتفات إليه أن الفعل (أطاع) نصب مفعولا به يمثل ذاتا (فريقا) (الله) (الرسول) (أولى الأمر منكم). أما (استطاع) فقد نصب ما الغالب فيه أن يكون معنى (طولا) (حيلة) (صبرا) (من قيام) وأما (سبيلا) فى آية الحج فهو (ذات) إذ

السبيل: الطريق وما وضح منه ويؤنث جمعه (سبل) مثل (كتب) وقوله(وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر). اسم جنس[١].

ولعل في هذه الآيات ما يلفت الذهن إلى فرق لابد منه بين (أطاع) و(استطاع) حيث إن الأول ينصب الذوات فلا يقال (أطاع سبيلا) و(أطاع صبرا) وإن الثاني ينصب المعاني فلا يقال: استطاع الله واستطاع رسوله. واستطاعوا فريقا من الكافرين... إلى غير ذلك.

وبهذا يتضح أن قوله تعالى" فما استطاعوا من قيام" فيه المنصوب معنى وهو (من قيام) أي بعض قيام وذلك استغراق في النفي فلا يمكن الاستغناء عن (من) لأنها أداة الاستغراق إذ هي بمعنى (بعض) ونفي البعض يقتضي نفي الكل وهذا معنى الاستغراق. وعليه تكون (من) من باب المفعول المطلق لا المفعول به. وقد سبق نظر لذلك.

١٥- عبـد:

في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ .. الآية ﴾ ٣٥ النحل.

وقد سبق قوله تعالى:" ولا حرمنا من دونه من شئ) في مادة (حرم). ولم يعد خافيا على القارئ أن النحاة يحرصون كل الحرص على دعوى زيادة (مِنْ) بعد (عَبَدْنا) كما حرصوا على زيادتها بعد (حَرَّمْنا). والحق أنها استغراقية لما فيها من معنى البعضية. أي بعض الشئ.

---

(١) انظر القاموس المحيط ٣٩٢/٣.

مقارنـــــة:

سبق فى آية الأنعام قوله تعالى: "لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ" فلم يذكر مفعولا لـــ (أشركنا) فى هذه الآية. ولم يذكر (من دونه) فيها أيضاً على حين ذكرها فى آية النمل. ولم يكن ذلك ليفوت على علماء اللغة عند دراستهم لهذه النصوص القرآنية. ومن ثم وجدنا الخطيب الإسكافى يقول: "قوله (ما أشركنا) – فى سورة الأنعام – مستغن عن ذكر المفعول به وإن كان فى الأصل متعديا إليه لقوله: ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ ١٥١ الأنعام. وإنما لم يحتج إلى ذكر المفعول به كما احتاج إليه (عبدنا) لأن الإشراك يدل على إثبات شريك لا يجوز إثباته. والعبادة لا تدل على إثبات معبود لا يجوز إثباته. لأنها تدل على معبود وهو مثبت لا يصح نفيه فقوله (ما عبدنا) غير مستنكر أن يعبدوه. وإنما المستنكر أن يعبدوا غير الله شيئا فكان تمام المعنى بذكر قوله (من دونه من شئ) وكذلك (ولا حرمنا من دونه من شئ) لابد مع (حرمنا) من قوله (من دونه من شئ) ولم يحتج إليه بعد قوله (وما أشركنا) لأن الإشراك دال على أن صاحبه يحرم شيئا من دون الله. ولا يدل (عبدنا) على ذلك فوفى اللفظان من سورة النحل حقهما من التمام"[(١)].

وهكـــذا يثبت أن لوضع الكلمة فى نص ورفعها من نص آخر ميزانا دقيقا ولا ينبغى أن نغفله عند دراســـة آيـــات كتاب الله ولا أن نهمله عند البحث فيهما .

١٦ – علـــــم:

وذلك فى ثلاث آيات هى:

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ص ١١٤ وانظر البحر المحيط ٤/٢٤٦: ٢٤٧.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ ١٠٢ البقرة. وقوله: ﴿ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ ٥١ يوسف. وقوله: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾ ٣٨ القصص.

فالآية الأولى فى حق هاروت وماروت. وقد حققنا أن (من) التى يضاف إليها (أحد) بمعنى (بعض) وهى استغراقية فى محل نصب مفعولا به. وأن المشهور أنها زائدة ولكن ذلك المشهور شهرته زائفة ومِنْ ثَمَّ قال الاستاذ رشيد رضا:" فى (من أحد) لاستغراق النفى وتأكده. وقد شدد الاستاذ الإمام كعادته الإنكار عن من قال: أنها زائدة وقال: إنما الزائد ما يذكر للتحلية ولا يكون له معنى وفاقا لكثير من المفسرين (١)"

وقوله (ما علمنا عليه من سوء) من قول النسوة اللاتى راودن يوسف عن نفسه حينا سئلن عنه فقلن: حاش لله ما علمنا عليه من سوء أى بعض سوء. فهى لاستغراق النفى جميع أنواعه.

وقوله (ما علمت لكم من إله غيرى) من قول الطاغية فرعون للملأ من قومه. وهو يعنى أنه الإله (الذى لا إله غيره أى ما أعلم أن لكم بعض جنس الألهة غيرى إلها لكم).

١٧- عمـــــل:

فى آيتين هما: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ ٦١ يونس. وقوله: ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ﴾ ٢٨

---

(١) تفسير القرآن الحكيم ٤٠٨/١.

النحل أى بعض عمل. وبذلك تكون كل أعمالهم مشهودة لله ومن الله. ويترتب على ذلك إتقان أى عمل يقوم به المؤمن لأن الله هو الشاهد والناقد البصير ويحتمل أن (من) مفعول مطلق لاستغراق نفى الحدث. هذا عن آية يونس وأما آية النحل فهى فى حق الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل بعض سوء. فهم يحاولون أن ينفوا عن أنفسهم رتكاب أى سوء. يقول الإمام الزمخشرى:" فألقوا السلم: فسالموا وأخبتوا وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه فى الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا(ما كنا نعمل من سوء) وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم أولو العلم: إن الله عليم بما كنتم تعملون. فهو يجازيكم عليه. وهذا أيضا من الشماتة وكذلك" فأدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها[1].

١٨-غُنـــــى:

وذلك في أربع آيات هى قوله تعالى: ﴿ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ ١٠١ هود. وقوله: ﴿ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ ، ﴿ مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ ﴾ ٦٧، ٦٨ يوسف وقوله: ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ ﴾ ٢٦ الأحقاف.

---

(١) الكشاف ٤٦٩/٢.

قال المجد:" غنى غنى واستغنى واغتنى وتغانى وتَغَنَّى. واستغنى الله – بالنصب– سأله أن يغنيه وغناه الله تعالى وأغناه"[١].

ويؤخذ من هذا النص أن الأفعال الأولى من (غنى) إلى (تغنى) لازمة لا تنصب مفعولا به. ثم يؤخذ أن (استغنى) يستعمل ناصبا لمفعول كما استعمل رافعا للفاعل فقط. فيقال: استغنى الله بالرفع ومنه قوله تعالى: ﴿ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ ٦ التغابن. ويقال: استغنى محمد الله أى طلب غناه ثم يؤخذ من (غناه الله وأغناه) أن الثلاثى والرباعى متعد أى ينصب المفعول به.

ويلاحظ أن الآيات السابقة لم يرد الفعل فيها إلا رباعى (أغنى) ماضيا و(أُغْنِى) مضارعا. فهو متعد وذلك فى ثلاث آيات هى قوله تعال:" فما أغنت عنهم آلهتهم من شئ"، " وما أغنى عنكم.. من شئ"، " فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولاافقدتهم من شئ".

وأما قوله" ما كان يغنى عنهم من الله من شئ إلا حاجة فى نفس يعقوب" فيقول فيها الكرخى:" من شئ: يحتمل النصب بالمفعولية والرفع بالفاعلية. أما الأول فهو كقولك: ما رأيت من أحد. والتقدير ما رأيت أحدا. فتقدير الآية هنا " أنَّ تفرقهم– أى أخوة يوسف– ما كان يغنى من قضاء الله شيئا.

وأما الثانى فكقولك: ما جاءنى من أحد وتقديره: ما جاءنى أحد. فيكون التقدير هنا: ما كان يغنى عنهم من الله شئ مع قضائه أ.هـ[٢].

---

(١) القاموس ٣٧١/٤.

(٢) انظر حاشية الجمل على الجلالين ٥٥٧/٢.

ولا يخفى عليك- ايها القارئ النجيب – ما فى دعوى زيادة (من) على الوجهين من افتراء على كلمات الله إذ (من) نفسها هى المفعول أو الفاعل فهى إما فى محل نصب أو فى محل رفع.

هذا : ومما ينبغى الالتفات إليه والحرص عليه أنه يمكن أن يكون الفعل فى جميع الآيات لازما. و (من شئ) فيها مصدر أى بعض غناء.

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾ ، ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴾ ٩، ٢٢ نوح. وعلى هذا تكون آية يوسف الثانية على تقدير: ما كان تفرقهم يغنى عنهم بعض غناء فهو لازم لأن الفعل اللازم ينصب المفعول المطلق. كما فى قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴾،﴿ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴾ ٩، ١٠ الطور.

١٩- فـــرط:

وذلك فى قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾ ٣٨ الأنعام.

قال أبو البقاء : " من: زائدة و(شئ) هنا واقع موقع المصدر أى تفريطا. وعلى هذا التأويل لا يبقى فى الآية حجة لمن ظن أن الكتاب يحتوى على ذكر كل شئ صريحا...

ولا يجوز أن يكون (شيئا) مفعولا به لأن (فرطنا) لا تتعدى بنفسها بل بحرف الجر. وقد عُدِّيت ب(فى) إلى (كتاب) فلا تتعدى بحرف جر آخر ولا يصح أن يكون المعنى: ما تركنا فى الكتاب من شئ لأن المعنى على خلافه"(١).

(أ) يفهم من هذا النص أن أبا البقاء يجعل (الكتاب) هو: القرآن والذى يراه الزمخشرى أنه اللوح المحفوظ ونصه:" ما فرطنا: ما تركنا وما أغفلنا (فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ (من شئ) من ذلك – أى دابة فى الأرض وطائر يطير بجناحيه– لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يُثْبَتَ مما يَخْتَصُّ به"(٢).

وعلى هذا يتبين أن منع أبى البقاء أن يكون (من شئ) مفعولا به لا ينهض دليلا على دعواه أن (من شئ) واقع موقع المصدر. بل يجوز ان يكون مفعولا به. ومن ثم قال ابن هشام: " لا حجة فيها لو كان (شئ) مفعولا به لأن الكتاب: اللوح المحفوظ كما فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ ٥٩ الأنعام. وهو رأى الزمخشرى والسياق تقتضيه"(٣).ويعنى ابن هشام بالسياق قوله تعالى: " وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم" أى فى الآجال والأرزاق. فالمراد بالكتاب: كتاب الآجال والأرزاق(٤).

(ب) ويفهم منه أنه لا يجوز إعراب (من شئ) مفعولا به لأن (فرّط) لا يتعدى بنفسه والحق أنه يتعدى. يقول ابو السعود:" فرط الشئ أى ضيعه وتركه. قال ساعدة بن جؤية: (معه سقاء لا يفرط حمله) أى لا يتركه ولا يفارقه. ويقال: فرط فى الشئ أى أهمل ما ينبغى أن يكون فيه وأغفله. فقوله تعالى: (فى الكتاب) أى

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١٣٥/١ وقوله: يحتوى على كل شئ جائز كما يجوز: واحتوى الشئ ففى اللسان: وحوى الشئ يحويه حيا. واحتواه. واحتوى عليه جمعه وأحرزه.

(٢) الكشاف ١٦/٢.

(٣) المغنى بحاشية الامير ١٧/٢.

(٤) حاشية الأمير على المغنى ١٧/٢ وانظر حاشية الشمنى ٧٩/٢.

فى القرآن على الأول ظرف لغو- يعنى: متعلقا بالفعل (فرط)- وقوله تعالى (من شئ) مفعول (فرطنا) و (من) مزيدة للاستغراق أى: ما تركنا فى القرآن شيئا من الأشياء المهمة.. وعلى الثانى: مفعول الفعل هو: (فى الكتاب) و (من شئ) فى موضع المصدر أى: ما جعلنا فى الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لابد من ذكره"[١]

فمعنى هذا النص أن (فرط) على الوجه الأول ناصب للمفعول به وهو (من شئ) وجعل أبو السعود (من) زائدة والحق أنها بعضية فى محل نصب فهى المفعول به و(شئ) بمضاف إليه. والمراد به الكائنـــات والمخلوقـــات المهمة على حد تعبيره.

وأما على الوجه الثانى فـــ (فرط) لازم وقد أرتبط به (فى الكتاب) ارتباط المفعول به. و (من شئ) مصدر أى بعض تفريط فـــ (من) مضاف و(تفريط) مضاف إليه) وقد اكتسبت (من) معنى المصدرية منه. كما اكتسبت (كل) معنى المصدرية فى قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآ ﴾ ٧٠ الأنعام.

هذا: ومع استشهاد أبى السعود على تعدية (فرط) بنفسه ومع قول المجد: " فرط الشئ وفيه تفريطا ضيعه".

أقول: مع هذا أرى الشهاب ينكر تعديته بنفسه ويرى أن صاحب القاموس- وهو المجد- تفرد بأمر لا يسمع فى مقابلة الزمخشرى وغيره" وهذه مجازفة من الشهاب واتهام لصاحب القاموس ليس له ما يسوغه أو يجيزه. بل إنى أقول: إن الآية حجة على ذلك بدليل قول الشهاب نفسه:" يحتمل أن تعديته المذكورة فيه ليست وضعية بل مجازية أو بطريق التضمين[٢]"

---

(١) القاموس ٣٧٧/٣.

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوى ٥٦/٤.

وكأنه بذلك لا يعترف بأن القرآن مصدر من مصادر مفردات اللغة واستعمالها فى معانيها التى وضعت لها. ولست أدرى سرا لذلك. اللهم إلا إذا كان الشهاب ممن يولعون بحمل الكلمة على المجاز أو ما سماه التضمين بدون داع.

وإنى لموقن بأنه يعلم عين العلم أن الكلمة اصلها أن تستعمل فيما وضعت له ولا ينبغى زحزحتها عنه ما دام قد وردت فى نص موثق بل فى أدق نص عرفته البشرية وهو النص القرآنى. فهى فى غنى عما يؤيده أو يسنده. فالذين رأوا تعديته محتجين بالآية على حق فى ذلك.

(ج) ومما يثبت ويؤيد ما سلف أننا وجدنا أبا البقاء يمنع أن يكون (من شئ) مفعولا به ولو على تضمين (فرط) معنى (ترك). ولكن أبا حيان يقول: " التفريط : التقصير فحقه: أن يتعدى ب (فى) كقوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴾ ٥٦ الزمر. وإذا كان كذلك فيكون قد ضُمِّنَ: ما أغفلنا وتركنا. ويكون (من شئ) فى موضع المفعول به و(من) زائدة. والمعنى: ما تركنا وما أغفلنا فى الكتاب شيئا يحتاج إليه من دلائل الإلهية والتكاليف[١].

وهكذا يجرى أبو حيان فى غبار من يؤولون ويتأولون ويستمسكون بما لا يليق بجلال القرآن لبنائه على الظن والتخمين وهو: التضمين.

وقد حققنا اننا لسنا فى حاجة إليه فى الباب الأول من هذه الدراسة. كما أنه مستمسك بحبل واه ضعيف وهو دعوى زيادة (من). وهى دعوى- وإن جرت على الاقلام والألسنة- أو هى من خيط العنكبوت وقد رأيت الإمام الواحدى يزعم ذلك. ويقدر المعنى: ما تركنا فى الكتاب شيئا لم نبينه. وقد تصدى له الإمام الرازى بقوله:" كلمة (من) للتبعيض فكان المعنى: ما فرطنا فى الكتاب بعض شئ يحتاج

---

(١) البحر المحيط ٤/١٢٠: ١٢١.

المكلف إليه وهذا هو نهاية المبالغة فى أنه تعالى: ما ترك شيئا مما يحتاج المكلف إلى معرفته فى هذا الكتاب[١].

ولعلك تدرك أن المراد بـــ (الكتاب) على هذا هو : القرآن الكريم .

٢٠- لفـــــظ:

فى قوله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ١٨ق.

أى بعض قول. فـــ (من) فى محل نصب مفعولا به. وهى استغراقية. وقال الزمخشرى:" وقرئ (ما يلفظ من قول) على البناء للمفعول[٢]"

وعليه تكون (من) نائب فاعل. كما سبق ذكره.

٢١- ملـــــك:

فى آيتين هما: قوله تعالى: ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ ١٣ فاطر، وقوله: ﴿وما أملك لك من الله من شئ ﴾ ٤ الممتحنة.

القطمير: الأثر فى ظهر النواة. وذلك مثل للشئ الطفيف[٣]"

والمعنى: ما يملكون أدنى من شئ ولا أعلاه. فـــ (من) استغراقية بمعنى (بعض) أى بعض الشئ الحقير فضلا عما فوقه.

وكذلك (من شئ) فى آية الممتحنة وهى من قول إبراهيم الخليل عليه السلام (لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شئ) أى: بعضه فضلا عن كله فهى استغراقيه فى محل نصب.

---

(١) من مفاتيح الغيب ٤٢: ٤٣.
(٢) الكشاف ٣٠٦/٤.
(٣) المفردات فى غريب القرآن ص٤٠٨.

٢٢- نــــزل:

فى سبع آيات هى: قوله تعالى: ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ ٩١ الأنعام. وقوله: ﴿ مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ ٧١ الأعراف. وقوله: ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ ٤٠ يوسف. وقوله: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ ﴾ ، ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ ﴾ ١٥، ٢٨ يس. وقوله: ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ ٢٣ النجم. وقوله: ﴿ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ ١٩ الملك.

فالواضح الصواب فى هذه الآيات كلها أنه (من) مفعول به فى محل نصب وهى استغراقية. وقد أضيفت إلى (سلطان) ثلاث مرات فى آيات: الأعراف ويوسف والنجم. وأضيفت إلى (شئ) ثلاث مرات فى آيات الأنعام. والأولى من يس. وآية الملك. وأضيفت إلى (جند)فى آية يس الثانية.

فهى بمعنى (بعض) والمضاف مخفوض وهو مفرد إلا فى آية (من جند) لأن (جند) بالضم: العسكر والأعوان كما قال المجد[1].

ويبدو أنه جنس يفرق بينه وبين واحده بالياء إذ يقال: جندى كما فى (روم) و(رومىّ) و(زنج) و (زنجى).. إلى غير ذلك.

وربما قيل: أجناد. كما يقال: أروام. وقيل: جنود كما قيل: زنوج. فــ(من)استغراقية تثبت أنه إذا نفى الأدنى لزم نفى الأعلى. وإن تعجب فاعجب

---

(١) القاموس ٣/٢٨٥.

لقول الألوسى :" من جند: اى جندا فــ (من) مزيدة لتأكيد النفى. وقيل يجوز أن تكون تبعيضية وهو خلاف الظاهر"[١].

أرأيت بعد ذلك افتئاتاً على حق الكلمة القرآنية واتهامها بما لا يليق بها من الاستغناء عنها فى أدق كلام وأعمقه مما عرفته البشرية؟!!.

٢٣- هلــــك:

فى آيتين هما: قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ ٤ الحجر. وقوله: ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ ٢٠٨ الشعراء.

فــ (من) مفعول به لأنها بمعنى (بعض) فى محل نصب. فهى استغراقية.

٢٤- وجـــد:

فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ﴾ ١٠٢ الأعراف.

أى بعضه.

٢٥- أوجـــف:

فى قوله تعالى: ﴿ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ ٦ الحشر.

والركاب: الإبل لا واحد له من لفظه بل من معناه وهو (راحلة) ويجمع على (رُكُب) مثل (كِتاب) و (كُتُب).

والوجيف: ضرب من سير الخيل والإبل. وجف يجف وأوجفته[٢]. ويقول الزمخشرى:" والإيجاف من: الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله عليه الصلاة

---

(١) انظر القاموس ٧٥/١.

(٢) القاموس ٢٠٣/٣.

والسلام فى الإفاضة من عرفات: ليس البر بإيجاف الخيل ولا إيضاع الإبل على هيئتكم" ومعنى(فما أوجفتم عليه) أى فما أوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا. ولا تعبتم فى القتال عليه. وإنما مشيتم إليه على أرجلكم. والمعنى: أن ما حول الله ورسوله من أحوال بنى النضير شئ لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما فى أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم فالأمر فيه مفوض إليه يضعه حيث يشاء"(١).

فالإيجاف للخيل والإيضاع للإبل. وكانا المعوان للعرب فى الحروب كرا وفرا. يقال: وضع البعير أسرع ووضعت الناقة أسرعت فى سيرها كــ: أوضعت"(٢).

٢٦- وذر:

فى قوله: ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ ٤٢ الذاريات. أى ما تترك بعض الشئ إلا وهو كالرميم. فــ(من) استغراقية بمعنى (بعض) فى محل نصب. وبهذا ننتهى من دراسة آيات (من) الاستغراقية الواقعة مفعولا به فى سياق النفى.

---

(١) الكشاف ٤/٤٠٠: ٤٠١.

(٢) القاموس ٣/ ٩٤: ٩٥.

آيات (من) الإستغراقية الواقعة مفعولا به فى سياق استفهام

وهى أربع آيات: مرتبة حسب مادة الفعل الناصب (لمِنْ): رأى. غنى. فعل.

وذلك فى قوله تعالى: ﴿ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ ٣ الملك. وقولــه: ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ ٨ الحاقة. وقوله: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ ٢١ ابراهيم. وقوله: ﴿ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ﴾ ٤٠ الروم.

أما آيتا (ترى) فــ (من) فيها استغراقية بمعنى(بعض) وهى مفعول به (فى محل بنصب و (فطور) مضاف إليه. ومعناها (شقوق) و(باقية) كذلك ومعناها بقاء.

يقول الزمخشرى: " جمع: فطر وهو الشق : يقال فطره فانفطر. ومنه فطــر ناب البعير كما يقال: شق وبزل ومعناه: شق اللحم فطلع[1]" ويقول:" باقية: من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان"[2].

ومقتضى ها: أنها مصدر يدل على الحدث وهو أجمل معنى يراد هنا لانــه أعمق وأدق فإننا ندرك أن (البقاء) إذا انتفى لزم لا محالة نفى الباقى. فــإذا انتفــى بعض البقاء دل هذا على استئصال شأفتهم وتنقية الأرض من نبتتهم وجذرهم.. فهى مثل قوله:" من فضل.

وأما آية (مغنون) فــ (مغنون) اسم فاعل من (أغنى) وهو مذكور فى قولــه تعالى:" ما أغنى عنى ماليه"٢٨ الحاقة.

---

(١) الكشاف ٤/٤٦١.

(٢) الكشاف ٤/٤٨٠.

ومضارعه (يغنى) فى قوله تعالى:" إن الظن لا يغنى من الحق شـيئا" ٢٦ يونس. وكذلك(تغنى) فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ ١٠ آل عمران.

وفيها يقول الزمخشرى: " من: الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل: هل أنتم مغنون عنا بعض الشئ الذى هـو عـذاب الله ويجوز أن تكـونا للتبعـيض معـا بمعنى: هل أنتم مغنون عنا بعض الشئ هو بعض عذاب الله أى بعض بعض عذاب الله (١).

والوجه الأول يترتب عليه إدعاء تبيين بغير مبين إذ قوله (مغنون عنا مـن عذاب الله) لا يوجد قبله ما يبينه. وفضلا عن ذلك يترتب عليه دعوى زيادة (مـن) كما حققنا ذلك فيما سبق.

و لعل فى قول الزمخشرى :" هل أنتم مغنون (عنا بعض الشئ) الذى هـو عذاب الله. يشير إلى أن عدم ذكر المبين فى الآية جملة على تقديم (بعض الشـئ) على قوله (الذى عذاب الله) حتى يتسنى ذكر المُبَيَّن قبل المبَيِّن. وفيه إشارة ثانيـة إلى أن (من) البيانية زائدة بدليل قوله (الذى هو عذاب الله) .

ولهذا كله أرى أن الوجه الثانى هو اللائق بجلال وقداسة كلام الله عز وجل. غير أنى أرى فى عبارة الزمخشرى عن هذا الوجه خللا حيث ذكر (بعض شـئ) قبل (بعض عذاب الله) والصواب: فهل أنتم مغنون عنا بعض عذاب الله من شـئ. فـ (مِنْ) الثانية استغراقية. وهما معا فى محل نصب وقد يكون بينهمـا فـرق ألا وهو: أن الأولى مفعول به وأن الثانية مفعول مطلق. بدليل قـول الزمخشـرى أى بعض بعض عذاب الله. وهذا ما ذكره أبو السعود حيث قال:" ويجـوز أن تكـون

---

(١) الكشاف ٢/٤٧٧.

الأولى مفعولا والثانية مصدرا أي: فهل أنتم مغنون عنَّا بعـض العـذاب بعـض الإغناء ثم قال:" وبعض الأول قوله تعالى:" فهل أنتم مغنون عنا نصيبنا من النـار" ٤٧ غافر(١).

فهو بذلك يضعف جعل (من شئ) من باب المصدر.

هذا: وقد ضعف أبو حيان الوجه الثاني من وجهـي الزمخشـري فقـال: " والتوجيه الثاني وهو (بعض شئ) هو (بعض العذاب) يقتضي أن يكون بدلا فيكون بدل (عام) من (خاص) لأن (من شئ) أعم من قوله (من عذاب الله) وهذا لا يقال: لأن بعضية الشئ مطلقة فلا يكون لها بعض"(٢).

والذي أراه ان (شئ) يطلق على أقل مقدار وأكثره. فإذا دخلت عليه (مـن) جعلت ذا أجزاء و(من) قد استغرقت هذه الأجزاء لأنها نفت الجنس كله. ولا شـك أن المراد باستغراق النفي هو العذاب من أدناه إلى منتهاه.

وبذلك يخلو وجه معنى الآية لكون(من) في موضـعيها بعضـية والأولـى مفعول به. والثانية إما بدل منه وإما مفعول مطلق فهي في محل نصب.

وتبقى آية الروم (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ) وفيها يقـول الزمخشري:" من: الأولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيـد لتعجيـز شركائهم وتجهيل عبدتهم(٣)"

ومعنى هذا: أن الزمخشري لم يزعم زيادة أي منها وهذا هو اللائق بإعجاز القرآن الكريم الذي يُعجِز البشر عن الإتيان بمثله.

---

(١) إرشاد العقل السليم ١٢٣/٣.

(٢) البحر المحيط ٤١٧/٥.

(٣) الكشاف ٣٨٠/٣.

وتفصيل القول فى (من) أن الأولى اسم بمعنى (بعض) مبتدأ وخبره: من يفعل) أى هل بعض شركائهم الذى يفعل كذا و (من) الثانية مفعول به فى محل نصب أى بعض ذلك. و(من) الثالثة بدل منها أى بعض شئ وهى استغراقية.

وبذلك نصون النص من دعوى الزيادة ومن دعوى التقديم والتأخير ولكن أبا حيان يأبى إلا أن يفرض هاتين الدعويين على النص المقدس حيث يقول:" من: الأولى للتبعيض. والجار والمجرور- يعنى: من شركائكم- خبر المبتدأ و (من يفعل) هو المبتدأ . و(مِنْ) الثانية فى موضع الحال من (شئ) لأنه نعت نكرة تقدم عليها فانتصب على الحال. و(من) الثالثة زائدة لانسحاب الاستفهام الذى معناه النفى على الكلام.

التقدير: من يفعل شيئا من ذلكم أى من تلك الافعال[1].

وهكذا يتدخل أبو حيان- تبعا لغيره- فى نسق النص الجليل وفى بعض الكلمات فيعيد ترتيب نسقه ويعدم بعض كلماته. لا لشئ إلا لما وقر فى ذهنه وملك عليه حسه من دعاوى باطلة.

ولست أدرى ما الضرر لو قلنا إن المعنى: ليس بعض شركائكم فاعلا بعض تلك الأفعال ولو أقلها. والله هو فاعل ذلك كله. فهو (فعال لما يريد) ١٦ البروج. ولو تذكرنا المشار إليه فى الآية وهو :" الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحيكم" لعلمنا أنها كلها من فعل الله وحده لا شريك له فى أدنى شئ منها.

بل أننا لنزداد يقينا على يقين بهذا إذا ما قرأنا قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ٣١ يونس.

---

(١) البحر المحيط ٧/١٧٥: ١٧٦.

تعقيـــب:

وفى هذا التعقيب أمران يتعلقان بآيات (من) التى يقال: أنها زائـدة وليسـت كذلك. أحدهما: يتعلق بوقوعها حالا. والثانى يتعلق بوقوعها مصدرا .

١-وقوعها حالا:

نكرنا قولـه تعـالى: ﴿ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ ﴾ ١٨ الفرقان. فى سياق الكلام على مواقع زيادة (من) وبينا أن بعضهم لا يجيز زيادتها فى غير المفعول به. فقد ذكر ابن أم قاسم :" أنها تزاد فى الحال على قراءة زيد بن ثابت وأبى الدرداء " ما كان ينبغى لنا أن نُتَّخَذَ من دونك من أولياء" بضـم النـون وفتح الخاء. وحَسَّنَ ذلك انسحاب النفى عليه من جهة المعنى ذكر ذلك ابن مالك(١).

قال ابن هشام:" تقييد المفعول بقولنا (به) هو عبارة ابن مالك فتخـرج بقيـة المفاعيل. وكأن وجه منع زيادتها فى المفعول معه. والمفعول لأجله. والمفعول فيه. أنهن فى المعنى بمنزلة المجرور بـ (مع) وباللام وبـ (فى) ولا تجامعهن (مـن). ولكن لا يظهر للمنع فى المفعول المطلق وجه" .

ثم رد قول ابن مالك بزيادتها فى الحال قائلا:" القياس أنها لا تزاد فى ثـانى مفعولى (ظن) ولا ثالث مفعولات (أعلم) لأنهما فى الأصل خبر. وشـذت قـراءة بعضهم (ما كان ينبغى لنا أن نُتَّخَذَ من دونك من أولياء) ببناء (نتخـذ) للمفعـول. وحملها ابن مالك على شذوذ زيادة (من) فى الحال. ويظهر لى فساده فى المعنـى

---

(١) الجنى الدانى ٣١٩: ٣٢٠ وانظر التسهيل: ١٤٤.

لأنك إذا قلت : ما كلن لك أن تتخذ زيدا فى حالة كونه خاذلا لك فأنت مثبت لخذلانه ناه عن اتخاذه. وعلى هذا فيلزم أن الملائكة اثبتوا لأنفسهم الولاية"[١].

وانما أختص ابن هشام وغيره قراءة بناء (نُتَّخَذَ) للمفعول لأنه لو كان مبنيا للفاعل لكانت (من) زائدة فى المفعول به على حد تعبير هؤلاء والحق أنها هى: المفعول به. بل إن الزمخشرى جعله مفعولا ثانيا على أنه مبنى للمفعول.

ونصه:" فالقراءة الاولى- على بنائه للفاعل- من المتعدى إلى واحد نحو: أتخذ وليا. وهو (من أولياء) والأصل: أن نتخذ أولياء فزيدت (من) لتأكيد معنى النفى.

والثانية- على بنائه للمفعول- من المتعدى إلى مفعولين نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ١٢٥ النساء. فالأول أما ما بنى له الفعل. والثانى (من أولياء) و (من) للتبعيض: أى لا نُتَّخَذَ بعض أولياء. [٢]"

وعلى هذا تكون (من) مفعولا ثانيا فى محل نصب لأنها بمعنى (بعض). على القراءتين غير أنها مفعول ثان على الثانية. والأول رفعه الفعل على أنه نائب فاعل.

ومما ينبغى ملاحظته أن الزمخشرى عبَّر عن (من) بأنها زائدة علىالوجه الأول دون الثانى. ولعل الذى حمله على ذلك هو خشية أن تزاد (من) فى ثانى مفعولى (ظن) وأخوانه أو فى الحال. وقد وضعوا قاعدة زيادتها على أنها لا تزاد فى هذين الموضعين. ولكن الطِّيبى يقول:" أجاز ابن جنى أن تزاد (من) فى المفعول الثانى[٣].

---

(١) المغنى بحاشية الأمير ١٧/٢.

(٢) الكشاف ٢١٣/٣.

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوى ٤١٢/٦.

وقد علمت علم اليقين أنها غير زائدة بل هى المفعول سواء أكـــان الأول أم الثانى. ولو اعترفوا بذلك أو أقروا لأراحوا واستراحوا. ولكن أنى لهم ذلك!! بـــل هناك من زاد الطين بلة والداء علة حيث يقول:" يجوز أن يكـــون (نتخـــذ)-علـــى القراءة الاولى- أى بناء الفعل للفاعل- مما له مفعولان: الأول (من أولياء) بزيادة (من) و الثانى (من دونك) وأن يكون على القراءة الثانية- بناء الفعل للمفعول- له مفعول واحد و (من دونك) صلة- أى زائدة- و(من أولياء) حالا[1].

هل رأيت بعد ذلك إجحافا بالنص وجرأة على كلمات الله؟!

إننا لو سكتنا عن ذلك دون الرد عليه والقضاء على ما فيه من تفتيت للنص وتمزيق لأديمه وتفريق للبناته التى قام عليها لكنا بذلك آثمين. لأننا لو وقفنـــا فـــى وجوه هؤلاء الذين يفعلون ذلك بكلام اله وفعلنا بأساليبهم الخاصة بهم بعـــض مـــا فعلوه لثارت ثائرتهم ولَهبُوا فى وجوهنا كالعواصف الجائحة. فهل هان عليهم نسق القرآن حتى صار فى نظرهم وتفكيرهم أدنى من أسلوبهم؟!.

إنهم لم يكتفوا بدعوى زيادة (مِنْ) بل زادوا عليها دعوى زيادة (من دونك). وهل نتصور الآية هكذا " ما كان ينبغى لنا أن نتخذ أولياء" ثم كيف نأخذ المعنـــى المراد من ذلك؟!

إن الذى لا يمكن إغفاله ولا يصح إهماله هو أن نبقى الآية على ما نزلت به وأن نأخذ معناها منه. سواء بُنِىَ الفعلُ (نتخذ) للفاعل أم بنى للمفعول و (من دونك) ظرف و(مِنْ) فيه حرف إبتداء إذ لا يمكن تبعيضه وهو مرتبط بالفعـــل. و(مِـــنْ أولياء) مفعول به على القراءتين وقيل: إنه حال على القراءة الثانية ولكـــن نـــص

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوى٦/٤١٢.

الشهاب السالف ذكره فيه: أن (نتخذ) مبنى للفاعل له مفعولان : الأول (من أولياء) والثانى(من دونك) أليس هذا نصه!! وفيه دعوى التقديم والتأخير. ولسنا فى حاجة إليها كما فيه (أن نتخذ) مبنيا للمفعول له مفعول واحد وهو (من دونك) و (من أولياء) حال. ولعله يعنى أن (من دونك) نائب فاعل ل (نُتَّخَذَ). ويترتب عليه أن يكون ناصبا فى الأصل لمفعولين والذى لا أستطيع فهمه هو: كيف يكون معنى الآية على هذا الإعراب؟!

وبهذا كله يتضح أننا فى غنى عن تعقيد العلماء و دعواهم الزائفة الزائغة فـ (من أولياء) مفعول فى محل نصب على القراءتين. وجوز بعضهم أن يكون حالا. على قراءة (نتخذ) بالبناء للمفعول.

موقف العلماء من هذه القراءة:

١- ينكر الزجاج هذه القراءة. قال الألوسى:" والزجاج خفى عليه أمر هذه القراءة على مذهبه- أن (من) الأولى لا تزاد إلا فى المفعول الأول- فقال: هذه القراءة خطأ لأنك تقول: ما اتخذت من أحد وليا. ولا يجوز: ما اتخذت أحدا من ولى لأن (من) إنما دخلت لأنها تنفى واحدا بمعنى: جميع.

ويقال: ما مِنْ أحد قائما. وما من رجل محبا لما يضره. ولا يقال: ما قائم من أحد. وما رجل من محب لما يضره. ولا وجه لهذا عندنا البتة"[١].

---

(١) روح المعانى ١٣٤/٦.

وبالتأمل فى هذا النص تدرك أن الزجاج يضيق وسيعا. ويذهب بعيدا. لأننا نقرأ قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ ٩١ المؤمنون.

ولست أدرى ما المانع من قولنا: ما اتخذت أحدا من ولى؟! ألا يجوز أن يكون (ولى) وصفا لـ (أحد) سواء كان بطريق النعت أم كان بطريق الحال؟ ما المانع من ذلك؟ لست أدرى. إن معنى هذا الأسلوب نفى اتخاذ المتكلم أحد موصوفا بأنه بعض الأولياء.

٢- قال الشمنى:" واعترض عليها سعيد بن جبير وغيره بدخول (من) فى قوله: " من أولياء[١].

هلاً يجوز إعراب (من أولياء) عند ابن جبير مفعولا؟ ولماذا؟ ومن العجيب أن لسعيد بن جبير قراءات فى بعض آيات القرآن على غير المشهور فى قواعد النحو. وحسبنا قراءته قوله تعالى:" ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ ١٩٤ الأعراف. بتخفيف (إن) ونصب (عبادا أمثالكم).

ذكرها الزمخشرى ثم قال:" والمعنى: ما الذين تدعون عبادا أمثالكم. على إعمال (إن) النافية عمل (ما) الحجازية"[٢].

فلست أدرى سرا لمنعه قراءة آية الفرقان؟ وقوله (بدخول:من) ليس حجة له. إذ (من) تذكر فى الكلام لمعنى لا يتأتى بدونها.

---

(١) حاشية الشمنى على المغنى ٢/٩٠.

(٢) الكشاف ٢/١٤٨.

٣- قال الألوسى:" وأجاز القراء هذه القراءة على ضعف. وزعم أن (من أولياء) هو الأسم. وما فى (نتخذ) هو الخبر. وكأنه يجعله على القلب"(١).

ويعنى بالقلب هنا أن اصل الآية: ما كان بعض أولياء لنا متخذين. فكان (من أولياء) اسم (كان) و(متخذين) خبرها وهل هذا يسوغه عقل أو يقره ذوق.

٤- نقل عن صاحب النظم – يعنى أبن مالك- أنه قال:" الذى يوجب سقوط هذه القراءة أن (من) لا تدخل إلا على مفعول لا مفعول دونه نحو قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَـٰنَهُۥٓ ﴾ ٣٥ مريم. إذا كان قبل المفعول مفعول سواه لم يحسن دخولها كما فى الآية على هذه القراءة"(٢).

والظاهر أن إنكار هؤلاء جميعا هذه القراءة مبنى على القول بزيادة (من) فى المفعول الثانى.

ولذلك رأينا الذين لا ينكرونها كالزمخشرى والبيضاوى وأبى السعود يجعلون (من) بمعنى (بعض) ويعربونها مفعولا ثانيا. وهذا هو اللائق بالآية.

ونزيد فنقول: ومما يرد به على منكرى هذه القراءة أن الشمنى والألوسى نقلاها عن جمع غفير وهم: أبو الدرداء، وزيد بن ثابت، وأبو رجاء، ونصر بن علقمة، وزيد بن على، وأخوه الباقر، ومكحول، والحسن، وأبو جعفر، وحفص بن عبيد، والنخعى. والسلمى، وشيبة، وأبو بشير، والزعفرانى.

---

(١) روح المعانى ١٣٤/٦.

(٢) روح المعانى ١٣٤/٦.

قال الألوسى:" ولا يخفى عليك أن فى الإقدام على القــول بأنهــا خطــأ أو ساقطة. مع روايتها عمن سمعت من الأجِلَّة خطرا عظيما. ومنشأ ذلــك الجهــل. ومفاسده لا تحصى"(١).

وبذلك نزداد يقينا على يقين بأن (مِنْ) ليست زائدة بل هى استغراقية بمعنـــى (بعض) فى محل نصب مفعولا أو حالا. والذى أراه أنه لا مانع من جعلها (حــالا) لأن منع ذلك مبنى على زيادتها. والحق أنها غير زائدة فلا فرق بينها وبين (مِــنْ) التى درسناها فى فصل آيات (من) المنصوبة على الحال.

٢- وقوع (مِنْ) مفعولا مطلقا:

تقدم فى دراسة آيات (من) التى يزعم زيادتها أنها تكون مفعولا به. وتحتمل فى بعض الآيات أن تكون مفعولا مطلقا. وهنا نريد أن نجمع شمل هذه الآيات من شتات لأنها قد ذكرت فى تلك الدراسة مرتبة على حسب المواد اللغويـــة للأفعــال الناصبة لها. وهنا أذكرها على ترتيب سورها فى القرآن هكذا:

النســـاء ﴿ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ﴾ ١١٣. الأنعـــام ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ ٣٨. يـــونس ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ ٦١. هود ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ ٢٧، ﴿ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ ١٠١. يوسف ﴿ وما كان أن نشرك بالله من شيء ﴾ ٣٨، ﴿ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ

---

(١) روح المعانى ١٣٤/٦. وانظر حاشية الشمنى على المغنى ٩٠/٢.

مِن شَىۡءٖ ﴾ ٦٧، ﴿ مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَا ﴾ ٦٨.إبراهيم ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىۡءٖ ﴾ ٢١. الأحقــــاف ﴿ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَىۡءٍ ﴾ ٢٦. الذاريـــات ﴿ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴾ ٤٥. الملـك ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ ٣.

وبالتأمل ندرك أن (من) فى هذه الآيات قد أضيفت إلى ما يلى:

(أ) مصدر وذلك فى قوله تعالى" ولا تعملون من عمل" و " ما نرى لكم عليكم من فضل" " فما استطاعوا من قيام" من تفاوت" " من فطور".

وهذا ما حمل بعض العلماء على جعلها اكتسبت المصدرية من المضاف إليه إذ شأنها فى ذلك شأن (كل) فى قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآ ﴾ ٧٠ الأنعام. فتلك خمس مرات.

(ب) أضيفت (من) إلى (شئ). وذلك فى (يضرونك من شئ) (مـا فرطنـا فـى الكتاب من شئ) (التى يدعون من دون الله من شئ) (أن نشرك بالله من شئ) (أغنى عنكم... من شئ) (يغنى عنهم ... من شئ) (مغنون عنا ... من شئ) (وأغنى عنهم سمعهم ....من شئ) فهذه ثمانى مرات أضيفت (من) فيها إلى (شئ). وقد رأى بعض العلماء أن (شئ) بمعنى المصـدر الـذى تضـمنه الفعل قبلها. أى: يضرونك بعض ضر. ما فرطنا فى الكتاب بعض تفـريط.

أغنى عنكم بعض غناء. وقد عرفنا ان نفى بعض الحدث يترتب عليه استئصاله من جذره كما يلزمه نفى المحدث. وفى ذلك دقة وعمق. وبهذا نكون أنتهينا من دراسة آيات (من) المزعوم زيادتها وهى فى سياق نفى أو شبهه.

ثانيا: آيات (من) التى زعم زيادتها وهى فى سياق إيجاب يشبه النفى، والذى نعنيه هنا إيجاب بطريقة خاصة. وذلك فى سياق (كم) و(كأين).

* آيات : كم.

١- مما ينبغى التنبيه إليه أن هناك علاقة وثيقة بين أدوات الإستفهام وكل من (كم) و (كأين) لأن كلا منهما يستعمل أستفهاما كما يستعمل خبرا أى فى جملة خبرية لا إنشائية. وفى ذلك يقول ابن هشام:" كم على وجهين خبرية بمعنى: كثير. واستفهامية بمعنى: أى عدد. ويشتركان فى خمس أمور: الأسمية، والإفتقار إلى التمييز، والبناء، ولزوم التصدير... ثم يقول (كأى):اسم مركب من كاف التشبيه وأى المنونة.. وتوافق (كم) فى خمسة أمور: الإبهام والإقتصار إلى التمييز والبناء ولزوم التصدير وإفادة الكثير تارة وهو الغالب... والاستفهام أخرى وهو نادر... [١]"

وفى هذا النص نرى ابن هشام يهمل ذكر تقسيم (كأى) إلى خبرية وإنشائية من أول الأمر كما فعل فى (كم) ولعل ذلك لما ذكره فى نهاية النص من أنها لا تكون استفهامية إلا نادرا. وعليه فهى خبرية. وسيأتى مزيد لذلك لأننا هنا فى مقام الحديث عن (كم). وإذا كان ابن هشام قد ذكر أنها خبرية واستفهامية. فإن ذلك ربما يكون فى غير آى القرآن الكريم أما ما ورد فى القرآن فيكاد يكون كله من قبيل الخبر. وليس فيه استفهام .

---

(١) الغنى بحاشية الأمير ١/١٥٧، ١٥٩.

٢- مما ذكره ابن هشام أن (كم) بنوعيها تحتاج إلى تمييز. والمشـــهور أن (مـــن) تصاحب هذا التمييز. ولكن العلماء قد اختلفت كلمتهم فى ذلـــك. فالزمخشـــرى يجيز أن يكون تمييز الاستفهامية مقترنا بـــ (من) فهو يرى أنها فى قوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ ﴾ ٢١١ البقرة. أنها استفهامية كما سيأتى ومع ذلك وجدت (من) فى تمييزها. ولكن الرضى يقول: وأما مميز(كم) الاستفهامية فلم أعثر عليه مجرورا ب(من) فى نظم ولا نثـــر. ولا دل علـــى جوازه كتاب من كتب النحو. ولا أدرى ما صحته[١].

وكأن الرضى لم يقرأ الكشاف للزمخشرى لأنه لو قرأ لعلم رأيه ولذلك قـــال الصبان:" واستشهد فى المطول للاستفهامية بقوله تعالى: " سل بنـــى إســـرائيل... الآية" رادا به توقف الرضى فى دخول (من) على الاســـتفهامية وعـــزو الـــبعض التوقف إلى ابن الحاجب خطأ" [٢].

وقال الشمنى:" آية: يعنى فى قوله (من آية) مفعول ثان بـــ (آيتنا) زيدت فيه (من) بناء على أنها تزاد بعد الاستفهام ولو بغير: هل[٣]"

ومقتضى هذا النص أن (آية) ليست تمييزا بل هى مفعول ثان لـــــ (أتينـــا) والأول هو علامة إضمار الجمع المذكر (هم). وقد عرفنا أن الزيادة ممنوعة وعليه تكون (من) هى المفعول الثانى و(آية) مضاف إليه. وبهذا تكون الآيات التى أتاهـــا الله بنى إسرائيل بعض آيات الله لا كلها. وذلك هو المعنى اللائق بجـــلال القـــرآن وخزائن عطاء الله. وسيأتى مزيد لبحث هذه الآية.

٣- ذكر ابن هشام أن (كم) بنوعيها تشتمل على إيهام فهى فى حاجة إلى بيان وتبعه الأشمونى حيث قال:" أما (كم) فاسم لعدد مبهم الجنس والمقدار" وعلـــق عليـــه

---

(١) شرح الكافية ٢/٩٧.

(٢) حاشية الصبان على منهج السالك٤/٧٩.

(٣) حاشية الشمنى على المغنى ٢/ ١٩١.وانظر التصريح وحاشية يسن عليه٢/٩.

الصبان بقوله:" قال البعض: أى عند المتكلم. ويبين إبهام الأول بالتمييز. وإبهام الثانى بالبدل التفصيلى نحو : كم عبدا ملكت عشرين أم ثلاثين ا.هـ. وفيه نظر من وجهين:

الأول: أن دعوى إبهام الجنس عند المتكلم بالنسبة للاستفهامية ممنوعة لتعيينه عنده بدليل انه الآتى بالتمييز.

الثانى: أن دعوى تعيين المقدار بالبدل التفصيلى بالنسبة للاستفهامية ممنوعة أيضا. وإن تبع فيها الدميانى كما هو واضح وإنما يتعين فيها بالجواب. فعليك بإتباع الحق"(١).

وبهذا النص يتبين أن الخلاف بالنسبة لـ(كم) الاستفهامية. أما الخبرية فلا إبهام فيها لأنها بمعنى كثير. على أننا بالتأمل ندرك أن الاستفهامية شأنها شأن غيرها من أدوات الاستفهام فإذا ما قال أحدنا: من قام؟ دل ذلك على أنه يستفهم عن شئ يجهله. والجهل من صفة المتكلم لا صفة الكلام. فقولنا: كم مالك؟ يثبت أن السائل يجهل عدد مال المسئول. وهذا هو الشأن فى أدوات الاستفهام لأنها لطلب المتكلم فهم شئ لا يفهمه وعلم أمر يجهله.

٤- إذا كان العلماء قد اختلفوا فى وقوع (من) بعد (كم) الاستفهامية فإننا قد رأيناهم مجمعين على وقوعها بعد الخبرية. ومن ثَمَّ لم ترد فى القرآن إلا وبعدها (من). ولذا ذهب الفراء إلى أن تمييزها المضاف إليه مجرور بـ (من) مقدرة. قال الرضى:" وهذا كما قال الخليل (لاه أبوك): إنه مجرور بـ لام مقدرة - وأصله : لله أبوك- وإنما جوز الفراء عمل الجار المقدر ههنا- وإن كان فى غير هذا الموضع نادرا- لكثرة دخول (من) على مميز (كم) الخبرية نحو: ﴿ وَكَم مِّن

---

(١) حاشية الصبان على منهج السالك ٧٨/٤.

مَّلَكٍ ﴾ ٢٦ النجم و ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ ﴾ ٤ الأعراف. والشئ إذا عــرف فــى موضع جاز تركه لقوة الدلالة عليه ثم ذكر :" أنه إذا فصل بين (كم) ومميزها بفعل متعد وجب الإتيان بــ (من) لئلا يلتبس المميز بمفعول ذلك المتعدى نحــو قولــه تعــالى: ﴿ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ٢٥ الــدخان وقولــه: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾ ٥٨ القصص"[١].

٥- أختلف النحاة فى معنى (من) بعد (كم) ففى قوله تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ﴾ ٢٤٩ البقرة. يقول أبو البقاء:" من: زائدة ويجــوز أن تكون فى موضع رفع صفة لــ (كَمْ) كما تقول: عنــدى مائــة مــن درهــم ودينار"[٢].

ففى هذا النص يحكم أبو البقاء بزيادة (من) مع كونها مرفوعة صفة لــ(كَمْ). ومقتضى هذا أن (كمْ) فى محل رفع مبتدأ ومعناها: كثير ولعلك- من كثرة كلامنــا على حكم (من) المزعوم زيادتها- نلحظ هنا أن أبا البقاء لم يبين معنى (من). فهل الزيادة معنى من معانى الكلمات؟ وكيف يكون ذلك؟ إن الذى يستقيم به الفكر والفهم هو: أن يكون للكلمة معنى إذا ذكرت لابد من فهمه منها. والمعنــى هنــا واضــح يكشفه قول أبى البقاء (ويجوز أن تكون فى موضع رفع صفة لــ (كَمْ). والزائــد ليس له موضع من الإعراب وإنما يتحقق ذلك فى الاسم إذا كان مبنيا و(من) هنــا اسم إذ هى بمعنى (بعض). ومما يثبت ذلك أن (كَمْ) بمعنى كثير. اى: وكثير مــن

---

(١) شرح الكافية ٩٧/٢.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٥٩/١.

الفئات قليلة العدد يغلب فئات كثيرة العدد. ولكن الرضى يقول:" وإذا انجز المميز بـ (من) وجب تقدير (كم) منونة"(١).

ومقتضى هذا أن وظيفة (من) فى الآية هى جر التمييز ولا شئ غيره. ولست أدرى: كيف يفهم علماؤنا هذا؟ أيجوز أن يكون (فئة) تمييزا مجرورا بـ (من) ؟ مع أن الإجماع قائم على أن التمييز حكمه النصب؟!

إننا لو قلنا: إن (من) للتبيين لجاز أن يكون سائغا على أن المراد توضيح معنى التمييز لأنه: التبيين. كما قال ابن مالك:

اسم بمعنى (من) مبين نكرة   ينصب تمييزا بما قد فسره

فإذا لم تذكر (من) كان معناها حاضرا. وإذا ذكرت كانت هى البيان والذى يوضحه كونها بمعنى (بعض) إذ فى البعضية بيان كما عرفنا ذلك.

ولذا صح ما قيل:" ودعوى إبهام الجنس والمقدار عند المتكلم بالنسبة للخبرية ممنوعة كما هو ظاهر(٢)"

فقولنا: كم رجل غير قولنا : كم من رجل. وقولنا: نعم رجلا زيد غير قول الشاعر(فنعم المرء من رجل تهامى).

والدليل على ذلك قول الصبان:" ناقش بعضهم فى قولهم: هو أشجع الناس رجلا. وهو أشجع رجل. بأنه بعد الإضافة لم يبق تمييزا بدليل صحة قولك: هو أشجع رجل قلبا. فـ (قلبا) تمييزه"(٣). فلكل أسلوب معنى يراد ويقصد.

---

(١) شرح الكافيه ٩٧/٢.

(٢) انظر حاشية الصبان على منهج السالك ٧٨/٤.

(٣) حاشية الصبان على منهج السالك ٢٠٤/٢.

وخلاصة ذلك كله أن (من) بعد (كم) اسم بمعنى (بعض) ويتوقف بيان إعرابها على المعنى المطلوب بكل أسلوب. ويتضح ذلك من الآيات التالية:

*** آيات (كم) مع (من) فى القرآن:**

باستقراء تلك الآيات اتضح أنها نوعان باعتبار موقع (مِنْ) فيها.

النوع الأول: آيات وقعت فيها (مِنْ) بعد فعل متعدٍّ دخلت عليه (كَمْ) وقد رتبتها بحسب مادة الفعل على النحو الآتى:

١- أتـــى:

وذلك فى آية واحدة هى قوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍ ﴾ ٢١١ البقرة.

يرى المخشرىأن (كم) يجوز أن تكون استفهامية وأن تكون خبرية ومعنى الاستفهام التقرير[١].

وموضع (كم) إما نصب وإما رفع. يقول ابن عطيه:" و(كم): فى موضع نصب إما بفعل مضمر بعدها لأن لها صدر الكلام. تقديره: كم آتينا أتيناهم. وإما بـ(آتيناهم) وقوله (من آية) على التقدير الأول: مفعول ثانٍ لـ (أتيناهم). وعلى الثانى فى موضع التمييز.

ويصح أن تكون (كم) فى موضع رفع بالابتداء. والخبر (آتيناهم) ويصير فيه عائد على (كم) تقديره: آتيناهموه.

وإعراب الآية: كم جاءهم فى أمر محمد - صلى الله عليه وسلم- من آية معرّفة به دالة عليه[٢].

---

(١) الكشاف ١٩٢/١.

(٢) الكشاف الوجيز ٢٨٤/١ وانظر البحر المحيط ١٢٧/٢.

وعلى الوجه الأول وهو نصب (كم) تكون خبرية. وأرى أنه لا داعى لتقدير ناصب لها بل هو مفعول ثان للفعل (آتيناهم) وإنما ذكر أولا لأنه لا يكون إلا فى صدر الكلام. والمعنى: آتيناهم كثيرا من الآيات. فـ (من آية) وصف لـ (كم) فى محل نصب. ويجوز أن يكون حالا. أى حالة كونه بعض آيات الله. ويجوز أن يكون نعتا فـ (من) اسم بمعنى (بعض)

ويجوز فى غير القرآن (كم آتيناهم من آية بينة) فتكون (آية) حالا كما فى قوله تعالى: " هذه ناقة الله لكم" ٧٣ الأعراف. قال الزمخشرى:" و(آية) نصب على الحال. والعامل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل: كأنه قيل: أشير إليه آية[١]"

والفرق بين هذا الأسلوب، وأسلوب آية البقرة: كم آتيناهم من آية. أن الذى آتاهم الله – على كثرته- بعض آياته. إذ ربما يفهم من عدم ذكر (من) أن الله قد آتاهم كل آياته.

أنما على الوجه الثانى وهو رفع (كم) فيحتمل أن تكون (كم) استفهامية. وقد سبق عن الشمنى أن (من آية) مفعول ثانى لـ(آتينا) زيدت فيه (من) بناء على أنها تزاد بعد الاستفهام ولو بغير (هل)؟!.

والراجح بل الصواب الصحيح أن (كم) مبتدأ فى محل رفع وجملة (آتيناهم) خبرفى محل رفع. و(هم) مفعول أول و(من آية) مفعول ثان. و(من) اسم بمعنى (بعض) فى محل نصب.

هذا: وقد يرجح معنى الاستفهام فى هذه الآية بقوله تعالى:" سل بنى إسرائيل كم آتيناهم....إلخ) فالاستفهام يناسبه السؤال ولا بأس بذلك إذ المقصود حينئذ

---

(١) الكشاف ٢/٩٤: ٩٥.

بالسؤال ليس أصله وإنما هو : التقرير للمسئول وحمله على الاعتراف بما ينكره أو يجهله.

٢- تـــــرك:

فى قوله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ٢٥ الدخان.

الذى يدركه العقل لأول وهلة أن (كم) هنا خبرية فى محل نصـــب مفعــول (تركوا) و (من جنات...إلخ) فى محل نصب حالا أى حالة كونــه بعــض جنــات وعيون وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين. وقد عرفت السر فى ذكــر (كم) أولا.

ويرى الصبان زيادة (من) مع أنها فى سياق إيجاب. ولعله هنا ينحــو نحــو الأخفش والكوفيين فى ادعاء زيادتها فى (قد كان من مطر) وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ٣٤ الأنعام.

والحق أن (من) هنا فاعل إذ هى اسم بمعنى (بعض) كما حققنا ذلك. ولكــن الصبان يقول فى سياق كلامه عن زيادة (من): " فلا تزاد فى الإثبات. ويستثنى من ذلك تمييز (كم) الخبرية إذا فصل بينه وبين (كم) فعل متعد نحو (كم تركوا مــن جنات وعيون) كما نقله التفتازانى عن القوم[1].

ويرد الصبان على نفسه حيث يقول :" وإذا فصل بين (كم) الخبرية ومميزها بفعل متعد وجب الإتيان بـــ (من) لئلا يلتبس بمفعول ذلك الفعل نحو قولـــه (كــم

(١) حاشية الصبان على منهج السالك ٢١٧/٢.

تركوا... الآية) وقوله(كم أهلكنا من قرية) ومحل (كـم) ههنـا النصـب علـى المفعولية[١]"

هذا ما نقله عن المطول. فكيف تكون واجبة الذكر وفى الوقت نفسه تكـون زائدة. أليس قبل هذا يضرب دبره إن صح التعبير؟!.

إن القرآن نزل بلسان عربى مبين. ومن بيانه أن الكلمة إذا ذكرت كان لابـد من ذكرها لأن النص يحتاج – لا محالة– إليها.

٣– أرسـل:

فى قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ٦ الزخرف.

فـ (كم) مفعول (أرسلنا) أى أرسلنا كثيرا بعض الأنبياء. فـ(مـن نبـى) استغراق إذ (من) بمعنى (بعض) ومعنى الآية أن الأنبياء الذين أرسلوا فى الأولين كثيرون ومع هذا هم بعض أنبياء الله.

٤– قصم:

فى قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ ١١ الأنبياء.

قال الزمخشرى:" واردة عن غضب شديد.. لأن القصم أفظع الكسر. وهـو الكسر الذى يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم وأراد بالقرية: أهلها ولذلك وصـفها بالظلم[٢].

---

(١) حاشية الصبان على منهج السالك ٨١/٤.

(٢) انظر الكشاف ٨٣/٣.

و(كم) مفعول (قصمنا). أى قصمنا كثيرا. وهذا الكثير بعض جنس القريـة. ومقتضى تعبير الزمخشرى أن القصم أشد وأبلغ من الفصم. وهـذا ضـرب مـن التلاؤم الدقيق بين الصوت والمعنى فصوت القاف أقوى من صوت الفاء. ومن ثـم كان القصم مزيلا للرباط بين أجزاء المقصوم أما الفصم فهو كسر مع بقاء ما يربط بين تلك الأجزاء.

وهذا الذى ذكره الزمخشرى أدق مما ذكره المجد حيث يقول:" قصمه يقصمه كسره وأبانه. أو كسره وإن لم يبن"(١).

ويلتقى مع هذا الأصل: فَصَل وفَصَمَ. فالفصل يقتضى التفرق بين المتصلين. والفصم يقتضى القطع مع عدم الفصل. وربما يكون الفصل فى غير المقطوع وهو الحاجز بين الشيئين. ومن هنا يتضح أن قوله تعالى:" قصمنا" يؤدى الكسـر مـع الفصل بين أجزاء المكسور. فهو أدقّ من (الفصل والفصم) وأقوى لأنه اشتمل على صوتين قويين وهما صوت القاف والميم. أما الأول ففيه صوت اللام والفاء والثانى فيه صوت الميم والفاء. فهو أكثر قوة من الاولى.

٥- أثبـــت:

فى قولـه تعـالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ ٧ الشعراء.

قال الألوسى :" كم: خبرية فى موضع نصب على المفعولين بما بعدها وهى مفيدة الكثرة. وجئ بـ(كل) معها لإفادة الإحاطة والشمول فيفيد أن كثرة أفراد (كل) صنف صنف. فيكون المعنى: أنبتنا فيها شيئا كثيرا من كل صنف على أن (مـن)

---

(١) القاموس ١٦٥/٤.

تبعيضية. أى كثرة الأصناف. فيكون المعنى: أنبتنا فيها شيئا كثيرا هو كل صنف على أن (من) بيانية وأيا ما كان فلا تكرار بينهما[١].

وقد عرفنا أن (مِنْ) البيانية فى حكم الزائدة. ولو كان المعنى المراد كليا لقيل: أنبتنا فيها كل زوج كريم. وهذا لا يجوز لأن الذى ينبته الله فى الأرض بعض ما فى خزائنه من نبات لا كله. فـ (من) بعضية أى أنبتنا فى الأرض كثيرا حالة كونه بعض كل زوج كريم.

٦- أهلك:

وذلك فى عشر آيات هى: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ ٦ الأنعام. وقوله: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ ١٧ الإسراء. وقوله: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾ ٧٤، ٩٨ مريم. وقوله: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ ١٢٨ طه. وقوله: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾ ٥٨ القصص. وقوله: ﴿كم أهلكنا بلهم من القرون ﴾ ٢٦ السجدة. وقوله: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ ٣١ يس. وقوله: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ ٣ص. وقوله: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾ ٣٦ ق.

وهذه الآيات متنوعة على النحو الآتى:

(أ) وردت (من قبل) بعد (أهلكنا) ثلاث مرات (كم أهلكنا من قبلكم من القرون) وذلك فى آية الأنعام، والسجدة ، وص.

---

(١) روح المعانى ١٨٣/٦.

(ب) ولم ترد (من قبل) بعد (أهلكنا) أى (كم أهلكنا قبلهم) خمس مرات فى آ يـات ٧٤، ٩٨ مريم، ٢٨ طه، ٣١ يس. ٣٦ ق.

(ج) لم ترد (قبل) بـ (من) أو بدونها فى آيتين هما: (كم أهلكنـا مـن القـرون) الاسراء و(كم أهلكنا من قرية) القصص.

وفى هاتين الآيتين ىكرت (من) مضافة إلى (القرون) وإلى (قريـة) والأول جمع والثانى مفرد. وتكرر الأول فى آية طه. وآية السجدة. وآية يس. فذكرت أربع مرات ولم تتكرر (من قرية) بل ذكرت مرة واحدة.

وهناك مفرد أخر أضيفت إليه (من) وهو (قرن) وقد ذكرت فى آيات الأنعام (من قرن) وآيتى (مريم) وآية طه وآية ق. أى خمس مرات فهو مفرد (قرون).

أما (من قرية) فقد سلف الكلام على مثلها فى قوله (وكم قصمنا من قريـة) أى أهل قرية.

وأما (من قرن) فالقرن له معان كثيرة يعنينا منها هنا: المدة من الزمن ففـى القاموس:" والقرن أربعون سنة أو عشرة أو عشرون. أو ثلاثون أو خمسـون. أو ستون أو سبعون أو ثمانون. أو مائة أو مائـة وعشـرون. والأول- يعنـى مـن الأخيرين- أصح لقوله – صلى الله عليه وسلم- لغلام: عش قرنا فعاش مائة سنة.

وكل أمة هلكت فلم يبق منها أحد. والوقت من الزمان[1]"ولهذا فعلـم معنـى (قرون).

قال الزمخشرى فى آية الاسراء:" كم: مفعول: أهلكنا و (من القرون) بيان ل (كم) وتمييز له. ما يميز العدد بالجنس. يعنى: عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا[2]"

---

(١) القاموس ٤/ ٢٥٧ وهامشها.

(٢) الكشاف ٢/ ٥١١.

فمعنى هذا أن المراد بالقرون الأمم التى هلكت فلم يبق منها أحد علـــى حـــد تعبير المجد فى القاموس. ومقتضى ذلك أنه استعمال حقيقى لا مجـــازى. إذ كمـــا يطلق (القرن) على الزمان يطلق على الإنسان إذ لابد للإنسان من زمـــان ومكـــان للتلازم بينهما. فأركان الدنيا زمان ومكان وإنسان. والباقى من الكائنـــات الدنيويـــة مرتبطة بالإنسان ومنافعه.

وقال الزمخشرى فى الآية الأولى من آيتى مريم (وكم أهلكنا من قبلهم مـــن قرن):" كم: مفعول (أهلكنا) و(من) تبيين لإبهامها أى كثيرا من القرون أهلكنا. وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم". وقال فى الآية الثانية منهـــا:" وكـــم أهلكنا: تخويف لهم وإنذار"[(١)].

وقال فى آية القصص (وكم أهلكنا من قرية):" هذا تخويف لأهل مكـــة مـــن سوء عاقبة قوم كانوا فى مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود فى ظلال الأمـــن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشـــر والبطـــر فـــدمرهم الله وخـــرب ديارهم"[(٢)].

وعلى ضوء ما سبق تكون (كم) مفعولا لـــ (أهلكنا) و (من قرية) بيان لهـــا كما ذكره الزمخشرى فى غيرها. والذى نراه أن المراد بالبيان هنا أن (من) بمعنى (بعض) أى بعض القرية. أو القرن أو القرون. وهى حال فى محل نصب أى حالة كون الهالك الكثير بعض القرية...إلخ.

النوع الثانى: آيات وقعت فيها (من) بعد (كم):

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٨، ٣٧.

(٢) الكشاف ٣/٣٣٣.

وهى ثلاث آيات فى: قوله تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ ٢٤٩ البقرة. وقوله: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ ٤ الأعراف. وقوله: ﴿ وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم إلا من بعد إن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ ٢٦.

و(كم) فى هذه الآيات مبتدأ فهى فى محل رفع: يقول أبو البقاء فى الآية الأولى:" كم: هنا خبرية وموضعها رفع الإبتداء و (غلبت) خبرها. و(من) زائدة. ويجوز أن تكون فى موضع رفع صفة (كم)....إلخ[1].

ولا يخفى على القارئ ما فى هذا النص من قلق واضطراب حيث يقرر أن (من) زائدة ثم يجوز أن تكون فى محل رفع صفة. أليس فى ذلك جناية على برئ. وتهمة لمن لا يذنب ؟! أذ كيف تكون فى محل رفع صفة وهى زائدة؟! ومن ثَمَّ أرى أن اللائق أن تكون من أول أمرها فى محل رفع إذ هى اسم بمعنى (بعض). والمعنى: كثير حالة كونه بعض فئة قليلة تغلب فئة كثيرة بإذن الله. فـ (الصفة) فى نص أبى البقاء يحتمل أن تكون حالا وأن تكون نعتا. والذى أراه لائقا ذا ذوق رفيع هو الأول لا الثانى.

ومثل هذه الآية آيتا الأعراف والنجم. (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون) اى كثير حالة كونه بعض قرية إن أريد بالقرية أهلها. أو أهل القرية إن أريد بها المكان المسكون. هذا الكثير أهلكه الله ببأسه الشديد وكان هذا الإهلاك فى وقت من وقتى النوم والراحة ليكون ذلك أفظع وأفزع.

الوقت الأول: وقت البيات أى الليل الذى يبيت الناس فيه ويسكنون ويهدأون.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٥٩/١.

الوقت الثاني: وقت القيلولة بالنهار فـ (قائلون) من قال يقيل لا قال يقـول. وأصل همزته ياء أي: قايلون: فأبدلت همزة شأنها في ذلك شأن الواو في (قاولون) من القول فتصير: قائلون. وإنما نبهت إلى ذلك لأن دارسي اللغة العربية – في هذا الزمان– ربما يغيب عن بعضهم تلك الفروق الدقيقة في بنية بعض الكلمات لأنهـا ليست محل عناية. واهتمام من المدرسين والدارسين في هذا الزمان. ونرجو لهـم جميعا من الله حسن الهداية وجميل التوفيق. وكذا قوله في النجم (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشـاء ويرضـى) أي كثير حالة كونه بعض جنس معين وهو الملائكة لا يشفعون إلا من بعد إذن الله فهذا المعنى قريب من آيات الله في سورة الأنبياء وهي :" وقالوا اتخذ الـرحمن ولـدا سبحانه. بل عباد مكرمون. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. يعلم مـا بـين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون" ٢٦ :٢٨.

فـ (كم) مبتدأ وخبرها في آية الأعراف جملة (أهلكناها) والفاء فـي قولـه (فجاءها بأسنا بياتا أو قائلون) تفصيلية. فالإهلاك مجمل ومجئ البأس وقت النـوم ليلا أو قيلولة تفصيل لذلك.

وفي آية النجم خبر (كم) جملة لا تغني شفاعتهم... و(شيئا) يحتمل أن يكون مفعولا به. وأن تكون مفعولا مطلقا أي لا تغني غناء. والتنكير فيه للتبعـيض أي بعض غناء وإذا انتفى البعض أنتفى الكل.

خلاصته: مما سبق يتبين لنا أن (كم) في الآيات القرآنية السابقة لها موضـع من الإعراب وهو في النوع الأول موضع نصب *لأنها مفعول به له الصدارة* وهو منصوب بالفعل من بعده. وفي النوع الثاني مبتدأ والجملة من بعده خبره. و(مـن) بعدها في النوعين وصف لها إما بطريق النعت وإما بطريق الحال والثاني أرجح في نظرنا.

هذا: وهناك آية من النوع الأول يرى فيها القراء أن (كم) فاعل لفعل من قبلها وهى قوله تعالى: ﴿ أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ﴾ ٢٦ السجدة.

يقول الفراء:" كم: فى موضع رفع ب(يهد) كأنك قلت: أو لم تهدهم القرون الهالكة. وفى قراءة عبد الله فى سورة طه: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ ١٢٨. قرأها عبد الله (أفلم يهد لهم من أهلكنا من القرون)....إلخ.

ثم يقول:" وقد يكون (كم) فى موضع نصب بأهلكنا وفيه تأويل الرفع فتكون بمنزلة قولك: سواء على أزيدا ضربت أم عمرا فترفع (سواء) بالتأويل[1].

وبالتأمل فى وجه الرفع ندرك أن الفراء يحكم على اللام فى (لهم) بالزيادة حيث جعل تأويل آية السجدة: أو لم تهدهم القرون الهالكة. وهذا ما يضعف وجه الرفع. لأن الأصل فى المعنى القرآنى أن يستنبط من كلمات النص بما وردت وعلى ما وردت دون تعديل لنسقها أو تغيير فى نصها.

هذه واحدة. وأخرى وهى: أننا علمنا ان (كم) لها الصدارة فى نصها وإعرابها فاعلا على ما يراه الفراء يحكم عليها بأنها غير متصدرة النص. وفى ذلك يقول الصبان:" وحكى الأخفش أن بعض العرب يقدم العامل على (كم) الخبرية. فقيل: لا يقاس عليه. والصحيح: جواز القياس عليه لأنها لغة أ.هـ.

وعليها بنى الفراء إعراب (كم) فاعلا فى (أولم يهد لهم كم أهلكنا).

---

(١) معانى القرآن ٢/٢٣٣. ومما يلاحظ أن آية طه كتبت (أولم) والصواب(أفلم).

والوجه أن الفاعل مصدر أى الهدى كذافى الفارضى: أى ضمير يرجع إلى المصدر. أو إلى الله لأن تخريج الآ ية على هذه اللغة مع أنها رديئة كما فى المغنى غير متجه"[١].

وبالرجوع إلى المغنى وجدت أبن هشام ينسب الرأى إلى ابن عصفور حيث يقول:" وقول أبن عصفور فى قوله(أولم يهد لهم كم أهلكنا) إن كم: فاعل. مردود بأن (كم) لها الصدر. وقوله: إن ذلك جاء على لغة رديئة حكاها الأخفش عن بعضهم أنه يقول: ملكت كم عبيد. فيخرجها عن الصدرية خطأ عظيم إذ خرج كلام الله سبحانه وتعالى على هذه اللغة. وإنما الفاعل: ضمير اسم الله سبحانه وتعالى. أو ضمير العلم. أو الهدى. المدلول عليه بالفعل أو جملة (أهلكنا) على القول بأن الفاعل يكون جملة إما مطلقا أو بشروط كونها مقترنة بما يعلق عن العمل والفعل قلبى نحو: ظهر لى أقام زيد. وجوز أبو البقاء كونه ضمير الإهلاك المفهوم من الجملة. وليس هذا من المواطن التى يعود الضمير فيها على المتأخر".

قال الأمير:" أجيب بأنه يمكن تقديره متقدما لرعاية الضمير وكم من متأخر دل على متقدم"[٢].

والصواب أن ابن عصفور مسبوق بالفراء كما تقدم ذكره مؤيدا بنص الفراء من كتابه (معانى القرآن).

ومما ينبغى الإلتفات إليه أيضا قول الصبان: والصحيح: جواز القياس عليه لانها لغة) يعنى: تقدم العامل على (كم) ثم قوله: (لان تخريج الآية على هذه اللغة مع أنها رديئة) غير متجه....

---

(١) حاشية الصبان على منهج السالك ٨٢/٤.

(٢) المغنى بحاشية الأمير ١٥٨/١.

وهذا ما أثار انتباه الأستاذ عباس حسن حيث قال:" فكيف يكــون الصــحيح جواز القياس على تلك اللغة مع الحكم عليها بأنها رديئة؟ وكيف نوفق بين الأمرين القياس والرداءة مع عدم الإتجاه"[١].

ومن إتمام الكلام هنا أقول: إن الآية على رأى الفراء ومن سار فى ركابــه يكون فيه ضمير ملحوظ بعد الفعل (أهلكنا) أى ولم يبين لهم كثيرا أهلكناهم حالــة كونهم بعض القرون. وإنما قلنا (كثير) لأن الرضى يقول:" معنــى كــم: كثيــر لا الكثرة التى هى معنى فيما بعدها"[٢].

تعقيــب:

مما سبق يتبين ان النحاة من بعد سيبويه يختلفون فى حكــم صــدارة (كــم) فالجمهور الغفير يلتزم به وبعضهم لا يلتزم به. وهنا أريد أن أعرض كلام سيبويه فى هذه المسألة حتى يتضح المقام ويطمئن القارئ إلى هذا الحكم.

يقول سيبويه فى (كم):" إنها لا تكون إلا مبتدأة – يعنى فى أول الكلام- ولا تؤخَّر فاعلةً ولا مفعولةً لا تقول: رأيت كم رجل وإنما تقول: كم رأيت رجــلا. ولا تقول: أتانى كم رجل وإنما تقول : كم رجل أتانى....." ثم يقول:" وكم رجلا أتــاك أقوى من : كم أتاك رجلا. و(كم) ههنا فاعلة. وكم رجلا ضربت أقوى من : كــم ضربت رجلا. و(كم) ههنا مفعولة"[٣].

---

(١) اللغة والنحو بين القديم والحديث هامش ص ٤١.

(٢) شرح الكافية ١٢/١.

(٣) الكتاب ١٥٨/٢: ١٥٩.

ففى هذا النص نرى تصريح سيبويه بذكر (كم) وهى فاعل قبل الفعل. وكذا وهى مفعول. والخلاف فى جانب الفاعل لا فى جانب المفعول. ومما لا شك فيه انه يعنى: الفاعل الإصطلاحى كما أنه لا يعنى المفعول الإصطلاحى.

وقد حذا المبرر حذو سيبويه وزاد توضيحا للأمر بأن ذكر أن شـرط كـون الفاعل (كم) هو: ألا يأتى بعد الفعل فاعل ظاهر يشغله عن (كم). كما فى: كم رجلا أتاك أبوه. فـ(كم) حينئذ مبتدأ لا فاعل. ثم التزم غالبا بخفض ما بعد (كم). ونص كلامه: كم رجل ضربك. وكم رجل قد رأيت. ثم نبه على أن ذلك رهن بعدم شغل الناصب بعلامة المضمر كما فى (كم رجل قد رأيته) وحينئذ تكون كم مبتدأ. وذلك فى قولك: كم رجلا أو رجل أتاك أو ضربك أخوه إذ لا يجوز أن يرفع الفعل فاعلا من قبله وهو رافع فاعلا من بعده"[١].

وعلى الرغم من وضوح هذا الحكم فى كلام كل من سيبويه والمبرِّد نـرى الفارسى يفرق بين المفعول والفاعل فيجعل (كم) مفعولا تقدم على فعله وفاعله. ولا يجعل (كم) فاعلا تقدم على فعله بل يجعله مبتدأ ثم يسميه فاعلا فى المعنى[٢].

وهـذا ما يراه أستاذنا الشـيخ محمد عبـد الخالق عضيمة فقـد جعلـه فاعلا لغويا[٣].

وارى أن ذلك تمحل وتأول بدون علة سليمة وحجة قويمة وبرهـان قـوى مقنـع. إذ ما الفارق بين الفاعل والمفعول فى هذه القاعدة؟ إن علاقة كـل منهمـا بالفعل على درجة سواء. بل إن هذه القاعدة لتكسب اللغة مرونة ودقة ومما يثبـت

---

(١) المقتضب ٣/٥٧.

(٢) أنظر الإيضاح بشرح المقتصد ص ٧٤٦.

(٣) أنظر هامش المقتضب ٣/٥٧.

ذلك اننا نقرأ فـي القـرآن الكـريم قـول الله تعـالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ، ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾، ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ ٢٦، ٢٧، ٢٨ النساء.

فنرى لفظ الجلالة فاعلا للفعل (يريد) في النص الأول والنص الثاني. ثم نرى أن الفعل (يريد) لم يشغله فاعل مرفوع به فما المانع أن يكون (الله) فاعلا ذكر قبل فعله للإهتمام والعناية به. ألا يجوز أن يعنى المتكلم بجانب الفاعـل كمـا يعنـى. بجانب المفعول فكما يجوز" فريقا هدى" ٢٩ الأعراف.

يجوز : الله هدى. وخاصة لو أننا قلنا: (الله) مبتدأ و(هدى) فعل فاعله مضمر لكان عائدا لا محالة على (الله). ومن ثم نعود إلى أن (الله) هو الفاعل. فلـم اللـف والدوران ما دام المعنى يفهم ويدركه العقل بدونهما مع فضيلة العناية الإهتمام.

ولا مانع من القياس على ذلك فتقول: محمد يقوم وزينب تفهم بجعل (محمد) و (زينب) فاعلين. فإذا ما قلنا: محد يقوم أخوه. وزينب تفهم أختها. وجب أن يكون مبتدأين كما نص على ذلك المبرد[١].

آيات: كأيِّنْ

سبق في نص ابن هشام كتابة هذه الكلمة هكذا (كأيٍّ) وقد علل لذلك قـائلا:" اسم مركب من كاف التشبيه وأي المنونة. ولذلك جاز الوقوف عليها بـالنون. لأن

---

(١) أنظر في هذه المسألة كتابنا (أسرار النحو) ج٣ ص ٥٠٦: ٥٠٩.

التنوين لما دخل فى التركيب أشبه النون الأصلية ولهذا رسم فى المصحف نونا ومن وقف عليها بحذفه أعتبر حكمه فى الأصل وهو الحذف فى الوقف.

وهذه إحدى لغات فيها فيقال: (كائن) على وزن اسم فاعل و(كئن) مقصور اسم الفاعل. و(كأين) بهمز ساكن بعده ياء مكسورة. وعكسه يعنى: كيئن، بياء ساكنة، وهمز مكسورة. قال ابن مالك فى الكافية: وفى كأين قيل: كائن وكئن وهكذا كأين كيئن فاستبن[1].

يقول سيبويه:" هذا باب ما جرى مجرى (كم) فى الاستفهام. وذلك قولك: كأيِّن رجلا قد رأيت زعم ذلك يونس. وكَأيِّن قد أتانى رجلا إلا أن أكثر العرب إنما يتكلمون بها مع (مِنْ) قال عز وجل:" وكأين من قرية" ٨ الطلاق. وإنما ألزموها (مِنْ) لأنها توكيد فجعلت كأنها شئ يتم به الكلام وصار كالمثل. ومثل ذلك: ولا سيما زيد. فرب توكيد لازم حتى يصير كأنه من الكلمة... و (كأين) معناها معنى رُبَّ[2]".

وقال ابن هشام: وتوافق (كأي): كم فى خمسة أمور: الإبهام، والإفتقار إلى التمييز، والبناء، ولزوم التصدير وإفادة التكثير تارة، وهو الغالب نحو قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ ١٤٦ آل عمران.

والاستفهام أخرى وهو نادر لم يثبته إلا ابن قتيبة وابن عصفور وابن مالك واستدل عليه بقول أُبَىّ بنْ كَعْبْ لابن مسعود رضى الله عنهما:" كأيِّ تقرأ سورة الأحزاب آية؟ فقال ثلاثا وسبعين"[3].

---

(١) المغنى بحاشية الأمير ١٥٩/١.

(٢) الكتاب ١٢٩٧: ٢٩٨.

(٣) المغنى بحاشية الأمير ١٥٩/١.

ومن هذه النصوص يتضح لنا النقاط الآتية:

١- أن ابن هشام يرى أن (كأى) اسم مركب من الكاف التى تدل على التشبيه و(أى) التى تدل على الاستفهام.

وإذا تأملنا هذا أدركنا أنه لا سند له من صحة الفهم ولا صحة الرأى لأن العربى إنما نطق بالكلمة على هذه الصورة وبتلك الكيفية. فمن أين لإنسان مهما علا شأنه وذاع صيته فى ميدان البحث اللغوى أن يزعم هذا الزعم أو يركب مطية هذا الوهم.

هذه واحدة. وأخرى ألا وهى: أن ابن هشام قد عاد وقرر أن معنى (كأىٍّ) هو التكثير. فأين العلاقة بين صورة اللفظ المركب من أداة تشبيه وأداة استفهام. وبين ظلال هذا المعنى؟! هل أداتا التشبيه والاستفهام وردت أو وردت إحداهما بهذا المعنى؟ وأين ورد ذلك؟.

إن هذا الزعم بالتركيب يحوطه كثير من الشبه وتحيط به دواعى البطلان لأنه لا يخرج عن جانب (الزعم) أولا والزعم مطية الكذب ولأنه لا يليق بجلال قدر اللغة العربية ولا سيما ما ور منها فى القرآن المقدس المعجز.

٢- ومن دواعى: أن الشئ بالشئ يذكر أقول: إن زعم تركيب بعض مفردات اللغة لم يقف- فى تعاملنا هذا- عند :كأين وحدها بل سبق إلى أختها (كم) التى لم نزل فى ذاكرتنا بعرض أياتها فى القرآن. فقد زعم القراء أنها مركبة من (ك) و (ما) حيث يقول:" ونرى أن قول العرب (كم مالك؟) أنها (ما) وصلت فى أولها بكاف ثم إن الكلام كثر بـ (كم) حتى حذفت الألف من أخرها فسكنت ميمها. كما قالوا (لم قلت ذاك؟) ومعناه: لم قلت ذاك ولما قلت ذاك. قال الشاعر:

يا أبا الأسود لِمْ أسلمتنى لهموم طارقات وذِكَر

وقال بعض العرب فى كلامه وقيل له: منذ كم قعد فلان فقال: كمذ أخذت فى فى حديثك. فرده الكاف فى (مذ) يدل على أن الكاف فى (كم) زائدة... وقيل لبعضهم: كيف تصنعون الأقط؟ فقال: كهين"[1].

٣- وعلى الرغم من التأول المتكلف المتعسف فى كلام الفراء مع الفرضية والافتراض الذى يقارب الافتراء على لغة العرب.

رأينا بعض المستشرقين يجرى فى ركاب هذا الافتراض وتلك الفرضية. ومن ثم رأينا بعض من يهيم حبا فما يذكره هؤلاء المستشرقون يتوهم أن ما ذكره من عند نفسه أو نابع من شعوره وحسه. والحق أنهم لم يزيدوا على ما ذكره الفراء أدنى شئ.

وكان لابد لى أن أدعو القارئ إلى ما ذكره بعض الباحثين الذين لا ينكر فضلهم ولا حرصهم على لغة القرآن وقرآن الغة وهو الأستاذ الدكتور أحمد مكى الأنصارى فقد أمتدح فى الفراء استلهامه روح العربية فى تحليل (كم) ونصه:"

يتجلى استلهام روح العربية عند الفراء فى تحليل (كم) فنراه يستلهم الحس اللغوى فى تركيبها ويقيسها على نظائرها من اللسان العربى مستشهدا بالشعر والنثر معا فهو حين يقول بالتركيب – فى :كم- لا يقوله لمجرد التفلسف.... ثم يذكر النص. ويردفه بالرد على البصريين الذين يرون أن (كم) مفردة لا مركبة لأن الأصل هو الإفراد وإنما التركيب فرع. ومن تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل ومن عدل عن الأصل أفتقر إلى إقامة الدليل لعدو له عن الأصل. واستصحاب الحال أحد الأدلة المعتبرة.

نقل ذلكم الباحث فى هذا النص من الإنصاف فى مسائل الخلاف ص١٨٨ط صبيح ثم عقب عليه بقوله:" وواضح أنهم – البصريين- بهذا يبتعدون عن الروح

---

(١) معانى القرآن للفراء ص٤٦٦، دار الكتب.

اللغوية فى حين أن الفراء استهداها أيما استهداء وكما رأيت. وليتهم سكتوا بل إنهم أخذوا يفندون حجج الفراء واحدة واحدة بطريقتهم الصناعية البحتة غير أن البحث الحديث أبد رأى الفراء حين رأى (برجشتراسر) أن (كم) أصلها (kama) [1].

هكذا يأبى الدكتور الأنصارى إلا أن يصب إعجابه برأى أحد المستشرقين فى لفظ (انجليزى) ولست أدرى لِمَ لَمْ يقل (كم)؟ لعله فعل ذلك حتى لا ينكشف زيف هذا الزعم وزيغه عن طريق الرشاد والسداد. وتلك حيلة لا تخفى على من يملك أدنى مراتب الفكر السليم.

ولذا كله رأيت ابن هشام يقول:" إن (كم) بسيطة على الصحيح خلافا لمن زعم أنها مركبة من الكاف و (ما) الاستفهامية ثم حذفت ألفها لدخول الجار وسكنت ميمها للتخفيف. لثقل الكلمة بالتركيب[٢]"

٤- من العجب الذى لا يغيب عن الذهن الحاضر النجيب أن هذا الدكتور الباحث وضع بحث كلمة (كما) تحت عنوان: إتجاه التفلسف. ثم قال:" يتضح تفلسف الفراء فى (إلا) أداة الإستثناء. فنراه قال بتركيبها على حين قال البصريون إنها حرف بسيط لا تركيب فيه. وتحليلها عنده أنها مركبة من (إن) بالكسر والتشديد و (لا) ثم خففت (إن) وأدغمت فى (لا) فنصبوا بها فى الإيجاب اعتبارا ب(إن). وعطفوا بها فى النفى اعتبارا بـ: لا"

هكذا نقل النص عن الإنصاف ص ١٦٧. ثم قال:" ذلك مَثَلٌ واحد من التفلسف وأمثاله كثير- ضرب مثلا فى الهامش بـ (هَلُمَّ) مما قال فيه بالتركيب دون أن يستند إلى نظائر من الأساليب العربية وإنما يعتمد على الفلسفة الصناعية فحسب"[٣].

---

(١) أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة ص ٤٧٨: ٤٧٩.

(٢) المغنى بحاشية الأمير ١/١٥٩.

(٣) المرجع السابق، ص٤٧٧: ٤٧٨ .

وهنا لابد لنا من وقفة نكشف بها التناقض الذى وقع فيه السيد الدكتور الباحث اللغوى.

ذلك: أنه وضع عنوان هذه الفقرة – كما يبدو لأول وهلة- ليبين بها ميزة للفراء وهى أنه كان يتفلسف فى اللغة. ولست أدرى أهذه ميزة مدح أم ميزة ذم. إن صح أن الذم مما يمتاز به بعض البشر.

هذه واحدة. وأخرى وهى أنه – على الرغم مما سبق- قد أبى قلمه- تبعا لفكره الذى سخره الله- إلا أن يفيض عليه مداد الحق ودليل الحقيقة حيث قال:" ذلك مثل واحد من التفلسف مما قال فيه بالتركيب دون أن يستند إلى نظائر من الأساليب العربية. ولست أدرى: هل إذا لم يستند قول الفراء إلى نظائر عربية يصح مدحه أو لابد من الإشارة إلى ما وقع فيه من إنحراف عن المنهج الرشيد والرأى السديد.

هذه ثانية: والثالثة: أنه جعل ذلك المستشرق (برجشتراسر) حجة للفراء؟ وهذا فى نظرى قلب للحقائق وجعل الأصل فرعا مما يترتب عليه بداهة أن يكون الفرع أصلا. لأنه: إذا قيل عن الأبيض: أسود. لزم أن يقال: عن الأسود: أبيض.أليس كذلك؟!

وأَوَضِّح فأقول: إن هذا المستشرق نقل رأى الفراء لا أكثر ولا أقل. فهل نقله يعتبر حجة للفراء؟ هل إذا نقلت أنا أو نقل ذلكم الدكتور رأيا خاطئا كان ذلك بمثابة الحجة لأنه صواب؟ لست أدرى. ولا المنجم يدرى. ولا يصلح العطار ما أفسد الدهر.

ألا أيها الباحثون الدارسون للغة العرب وهى لغة القرآن المعجز يجب عليكم أن تحرصوا على المنهج اللائق بهذه اللغة فى دراستكم لها وبحثكم فيها. وذلك بأن تدرسوها بعيدا عن زخرف القول غرورا. والتزاما بما يكشف أسرارها ويحقق أفضالها على سائر اللغات. وأن تقفوا بالمرصاد لمن يُزَوِّق قولا ويزخرف عملا

ليسلب بالتزويق شعوركم الصادق وليستولى بزخرفته على فكركم الثاقب. فتصيرون شرقيٌ الجسد غربيٌ الفكر. وليس بعد ذلك مسخ.

٥- ذكر سيبويه أن أكثر العرب يتكلمون بـ (كأين) مع (من) .. وإنما ألزموها (من) لأنها توكيد... إلخ.

والذى نستنبطه من هذا أن سيبويه يشير إلى أن (من) زائدة للتوكيد- فهذا ما عهدناه ونعهده وسنعهده ما دمنا أحياء باحثين فى كتابه- فهل يا ترى: زيادة (من) هنا ذات سيادة. بحيث لا يمكننا إنكارها. ولا القرب من حصانتها.

لعل القارئ يستحضر من طول سفره معنا فى هذه الرحلة الشاقة المشوقة أن دعوى زيادة كلمة فى اللغة باطلة مبتوتة بتراء. لأن الكلمة ما دام لها معنى لا يوجد بدونها فى النص لا يجوز هضم هذا المعنى ولا إنكاره- وإلا كانت كلمات القرآن كالكلأ المباح والعرض المستباح. وما ذلك- عند العادلين المخلصين- بممكن ولا بجائز.

إن (مِنْ) لها معنى وإعراب فكيف نستبيح حرمتها ونخلع عنها قيمتها؟ وسيأتى بيان وتوضيح ذلك فى الآيات القرآنية.

وإنما عقدنا هذه الفقرة لنرد على أحد الباحثين الدارسين للغة العرب وهو من سبق ذكره – لدكتور أحمد مكى الأنصارى- فموقفه من دعوى الزيادة فى اللغة قرآنا وغيره. موقف عجيب غريب كما سلف فى موقفه من دعوى تركيبه بعض المفردات.

ومما يلفت الذهن ويثير الإنتباه أنه يجعل منهج الفراء فى زعم الزيادة فى القرآن منهجا متحررا من مذهب المتزمتين ومتجاوبا مع اللغويين المعتزلة من جهة. ومع الأساليب العربية من جهة أخرى فما القرآن إلا أسلوب عربى مبين.

وتأييدا لرأيه هذا ينقل عن الفراء قوله فى قولـه تعـالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾ ١ الماعون. وهى فى قراءة عبد الله (أرأيتك الذى) والكـاف صلة يكون ولا يكون. والمعنى واحد..."

ثم يقول: على أن بعض اللغويين يرفض الزيادة فى القرآن رفضا باتا تنزيها لكتاب الله- فى نظره. ويتكلف فى تخريج الآيات تكلفا لا يتفق مـع روح العربيـة التى نزل بها القرآن.

ويذكر من هؤلاء أبا العباس المبرد وأبا جعفر بن جرير الطبرى... (١).

وليس الرد على هذه المزاعم بعسير بل هو يسير غير عسير. وأول ما ينقض مزاعم هذا الباحث ما يلى:

أنه: قد تجرد عن ميزان البحث العادل المقسط. إذ من البدهى أن الذى يكتب عن إنسانٍ ما فى محيطٍ ما ينبغى أن يتنزه عن الدفاع عن ذلك الإنسان إن بـالحق وإنْ بالباطل لأنه إن لم يتنزه بخسه حقه وشوه صورته لأنه قد رسمه بغير مظهره وجوهره. وما ذلك من العدالة فى شئ.

إنه: قد جرى فى غبار الفراء دون أن يلتفت إلى ما فى هـذا الغبـار مـن جرثومةِ خطر وجذوة شرر تأتى على الأصول والفروع.

إذ من البدهى أن الأصل فى كلام المتكلم أو الكاتب أن يكون دقيقا فى إختيار مفردات كلامه فلا يضع كلمة إلا وقد فكر فيها قبل أن يضعها موضعها اللائق بها. ولو تركها ضاع هذا المعنى. حتى لا يجوز بعد ذلك أن يأتى مستمع أو قارئ ليحكم على بعض كلماته بالزيادة فلا معنى لها لو كلف هذا الباحث نفسـه بالاستبصـار والاستذكار لأدرك أن ما زعم الفراء زيادته لا يستغنى عنه نسق الـنص ولا يـتم

---

(١) أنظر الفراء ومذهبه فى النحو واللغة ص ٤٦٤ فما بعدها.

بغيره معناه. ولكن أنى للدفاع عن المحبوب المرغوب أن يكون عادلا منصفا؟! أنه نقل عن الفراء قراءة (أرأيتك) فى قوله تعالى:" أرأيت الذى يكذب بالدين" زاعما زيادة الكاف فى تلك القراءة.

وقد قال الزمخشرى فى تلك الآية:" قرئ (أريت) بحذف الهمزة وليس بالإختيار لأن حذفها مختص بالمضارع. ولم يصح من العرب (ريت) ولكن الذى سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام فى أول الكلام ونحوه:

صاح هل رَيْتَ أو سمعت براع ... رَدّ فى الضِّرْع ماقرى فى الحلاب

وقرأ أبن مسعود:" أرأيتك" بزيادة حرف الخطاب كقوله: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾ ٦٢ الإسراء. والمعنى: هل عرفت الذى يكذب بالجزاء من هو؟ إن لم تعرف ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ ٢ الماعون. أى الجزاء(١).

أما قراءه (أريت) فقد رد عليها الزمخشرى بقوله(وليس بالإختيار) وأما ما ذكره بعد ذلك فلا يليق بالمقام فشتان بين الشعر والقرآن فكم للأول من ضرورات لميزان النظم. وأما الثانى فَمُنَزَّه عن الضرورة. وأما قراءة (أرأيتك) فالفراء والزمخشرى- ومن يلف لفهما- يزعمان أن الكاف زائدة. وكان عليهما أن ينتبها إلى تغيير المعنى بذكر هذه الكاف فإن هداهما الله إليه كان فضلا منه ونعمة وإلا قالا: الله أعلم بأسرار اللغة فى كتابه.

وبادئ ذى بدء أقول: إن هذه القراءة لم يأت بها أبن منصور الأزهرى فى كتاب (معانى القراءات) ج٣ ص ١٦٧. ولم يعين الفراء المراد ب(عبد الله) أهو ابن عباس أم ابن مسعود أو ابن عمر.. ولكن الزمخشرى نص على أنه ابن مسعود ثم

---

(١) الكشاف ٤/٦٤١: ٦٤٢.

أقول: قد أورد الزمخشرى فى سياق كلامه آية الإسراء وهى(أرأيتك هــذا الــذى كرمت على). ولم أره يزعم زيادة الكاف فيها بل قال:" الكاف للخطــاب و(هــذا) مفعول به والمعنى: أخبرني عن هذا (الذى كرمت) (عَلَىَّ) أى فضلته... [(١)]"

وبمثل هذا قال فى قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ . عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾

٩، ١٠ العلق. ونصه: ومعناه: أخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صــلاته إن كان ذلك الناهى على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبــادة الله أو كــان آمــرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد... إلخ"[(٢)].

فالزمخشرى يسوي بين (أرأيتك) فى سورة الإسراء و (أرأيت) فــى ســورة العلق. ولم يزعم زيادة الكاف فى الأولى. فلست أدرى لم زعم زيادتهــا فــى آيــة (الماعون) على قراءة (ابن مسعود) . ثم فسر (أرأيت) بقوله (هل عرفــت الــذي يكذب بالجزاء. ولم يفسره بــ (أخبرني) فهل بينهما فرق ؟

لابد من ذلك فما هو ؟ إن الذي يمكننا قوله – والله أعلم بأسرار كلماته – أن الكاف فى (أرأيتك) تخصيص للمخاطــب وتعيــين لــه. إذ التــاء قبلهــا عامــة يراد بها أى مخاطب.

٦- قال ابن هشام عن (كأى) إنها تفيد التكثير وهو الغالب ... والاســتفهام وهــو نادر. وقال سيبويه (وكأين: معناها معنى : رُب).

نستنبط من هذا أن ابن هشام لم يكن دقيقا فى زعمه تركيب (كأي) من كاف التشبيه و (أى) الاستفهامية . كما نبهنا من قبل إذ لا صلة بين (التكثير) من جانــب و(التشبيه والاستفهام) من جانب آخر.

---

(١) الكشاف ٢/٥٢٨.

(٢) الكشاف ٤/٦٢٠.

هذه واحدة. وأخرى وهي: أن ابن هشام عبر عن معنى (كأى) بقوله: (التكثير) على حين سبقه سيبويه بقوله : "معناها: رُب: والمشهور : أن (رب) للتقليل أو للتكثير. يقول المجد: وِرُب وربّة ورُبما ورُبتما بضمهن مشددات ومخففات وبفتحهن كذلك ورُب بضمنين ورُبْ كمذ: حرف خافض. لا يقع إلا على نكرة أو اسم. وقيل كلمة تقليل أو تكثير أولهما. أو موضع المباهاة للتكثير. أو لم توضع لتقليل ولا لتكثير بل يستفادان من سياق الكلام"(١).

وسيأتى أن (كأين) فى آيات القرآن للتكثير. فلعل ذلك من ورودها فى مقام لا يقتضى غيره.

٧- ذكر ابن هشام أن (كأين) لها الصدارة مثل (كم). ومعنى ذلك أنها لا تكون فى غير صدر الجملة بل (كأي) أشد صدارة لأن (كم) يعمل فيه الجار قبلها إذ يقال: بكم جنيه اشتريت السلعة وأما (كأين) فلا يجوز فيها ذلك خلافا لابن قتيبة وابن عصفور فقد أجازا بكأى تبيع هذا الثوب(٢).

٨- كما ذكر ابن هشام أن (كأى) تفيد الاستفهام نادرا ولم يثبته إلا ابن قتيبة وابن عصفور وابن مالك. واستدل عليه بقول أبى بن كعب لابن مسعود رضى الله عنهما: كأى تقرأ سورة الأحزاب آية. فقال ثلاثا وسبعين(٣)"

وقال زاده: " أنها مثل (كم) الخبرية إلا إن الكثير الغالب فى مميز (كأين) أن يكون مجرورا بـ (من) ولم تجئ فى التنزيل إلا كذا(٤)" ومعنى ذلك أن التمييز فى (وكأين من كتاب قرأت) هو (كتاب) و(من) لا وظيفة لها إلا أنها أثرت فيه بالخفض. والحق أنه: مادامت الكلمة تعمل فى غيرها فلابد من وجود معنى لها.

---

(١) القاموس ٧١/١.

(٢) انظر المغنى بحاشية الأمير ١٥٩/١.

(٣) المغنى بحاشية الأمير ١٥٩/١ وانظر منهج السالك للأشمونى ٨٣/٤: ٨٤.

(٤) حاشية زاده على البيضاوى ٦٧٧/١.

ومن ثم لزم وجود الفرق بين (وكأين من كتاب قرأت) بـ (من) وبينه بدونها كما في قو ل الشاعر:

وكائن لنا فضلا عليكم ونعمة

ففى الأولى تكون (من) لاستغراق جنس الكتاب فى القراءة. وأما الثانى فليس فيه ما يفيد ذلك.

وهنا قد يرد سؤال خلاصته: أن أسلوب (من) الاستغراقية لابد أن يشتمل على نفي. وأسلوب (كأين) ليس منفيا ويجاب عن ذلك بأن ظاهره أنه واجب والحق أنه منفى لأن الاستفهام بمعنى النفى(١).

ومما يؤيد ذلك ويؤكده أن بعضهم جعل (من) مضمرة قبل المنصوب في البيت السابق وقول الآخر:

أطرد اليأس بالرجاء فكائن آلما حُمَّ يُسْرُهُ بعد عُسْرِه

فقد قيل يجوز جره مع فقد (مِنْ) قال أبو حيان: إلا أنه لا يحفظ فإن جاء كان على إضمار (مِنْ) وهو مذهب الخليل والكسائى. ولا يحمل على إضافة (كأين) كما ذهب إليه ابن كيسان لأنه لا يجوز إضافتها. إذ المحكى لا يضاف ولأن في آخرها تنوينا فهو مانع من الإضافة أيضا . وقد قال سيبويه: إن جرها أحد من العرب فعسى أن يجرها بإخبار (من) انتهى(٢).

والذى أراه أن وجود منصوب بعد (كأين) لم يرد- حسب اطلاعى- إلا في الشعر وكم للشعر من ضرورات تبيح المحظورات وتنصب المجرورات.

---

(١) انظر الهمع ٢٥٥/٢.

(٢) انظر الكتاب ١٧٠/٢: ١٧١، وارتشاف الضرب ٣٨٥ / ٣٨٦، والهمع ٢٥٥/٢.

ولذا أقرر أننا فى إستعمالها نقتدى بأسلوب القرآن الكريم. وتحرص عليــه. بحيث تأتى بــ (من) بعد (كأين) دائما. على ألا نسمح لأنفسنا بدعوى زيادتها لأن هذا يأباه جلال وجمال وكمال وقدسية القرآن.

٩- وهنا يأتى موضع ذكر آيات (كأين) فى القرآن الكريم وهى سبع آيات فى قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ١٤٦ آل عمران. وقولــه: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ ١٠٥ يوســـف. وقولـــه: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ ، ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ ٤٥، ٤٧ الحج. وقولـــــه ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ٦٠ العنكبوت.

وقولـــه: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ ١٣ محمد. وقوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ ٨ الطلاق.

يقول الزمخشرى فى آية يوسف:" من آية: من علامة ودلالة علـــى الخـــالق وعلى صفاته وتوحيده (يمرون عليها) ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها. وهذا المعنى على قراءة خفض (الأرض) عطفا على السموات. والمراد بقوله (يمرون عليها): يشاهدونها وينظرون إليها فكأنهم يمرون على ما فى السموات وما فى الأرض بأبصارهم لا بأقدامهم.

وبعد ذلك ذكر الزمخشرى أنه قــرئ (والأرض) بــالرفع علــى الابتــداء و(يمرون عليها) خبره. وقرأ السدى (والأرضَ) بالنصب على: ويطئــون الأرض يمرون عليها. وفى مصحف عبد الله. والأرض يمشون عليهــا برفـــع الأرض. والمــراد: ما يــرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر"[١].

فعلى قراءة الرفع تكون الواو عاطفة جملة على جملة ومعنى قوله:" وكــأين من آية فى السموات" وكثير وهو بعض آيات الله فى السموات فـــ (كــأين) مبتــدأ و(من آية) صفة و(من) بمعنى (بعض) و(آية) مضاف إليه و(فى السموات) خبــر. والواو فى (والأرض يمرون عليها) أو (يمشون عليها) عاطفة جملة على جملة. والواو فى (وهم عنها معرضون) واو الحال أى حالة كونهم معرضين عنها.

وهنا يرد سؤال: ما مرجع الضمير فى (عنها)؟ هل (آية) أو (الأرض)؟ ولو قلنا بالأول لزم أن يكون (والأرض يمرون عليها) جملة اعتراضية.

ولو قلنا بالثانى لزم أن يكون الإخبار فى الجملة الأولى و(كأين من آية فـــى السموات) مقصورا على تنبيه العقول العقول إلى كثرة آيات السموات.

---

(١) الكشاف ٢/٣٩٥.

وحينئذ نقول: ما معنى (وهم عن الأرض معرضون)؟ وهل المقصود أن يقلب الإنسان بصره ويعمل عقله فى صفحات الأرض لأنه يستطيع أن يقف على بعض أسرارها. وحسبه فى آيات السموات علمه بأنها وفيرة كثيرة. سواء تأملها أم لم يتأملها؟.

وأما على قراءة النصب فهى على مايسمى عند النحاة بأسلوب الإشتغال حيث إن الفعل (يمرون) عمل فى الظرف (عليها) ومع ذلك فسر عاملا يدركه العقل وهو الناصب لـ (الأرض) كما قال الزمخشرى(يطئون الأرض) فهى من قبيل قوله تعالى:" والظالمين أعد لهم عذابا أليما" ٣١ الإنسان. وفيه يقول الزمخشرى:" ونصب (الظالمين) بفعل يفسره (أعد لهم) نحو: أوعد وكافأ وما أشبه ذلك..."[١].

وقد حققنا القول فى تسمية مثل هذه الأساليب بالإشتغال. وانتهى بنا التحقيق إلى أن الجدير تسمية هذا الباب (باب حذف ما يدل عليه للعلم به) لأنه هذه التسمية توحى بأنه نوع من الإيجاز والإيجاز هو البلاغة. ولا يخفى أن جملة (يمرون عليها) تفسيرية لا محل لها من الإعراب وقال فى آية الحج الأولى:" والمشيد: المجصص أو المرفوع البنيان. والمعنى: كم قرية أهلكناها؟ وكم بئر معطلة أى عطلناها عن سقاتها؟ وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه؟ فترك ذلك- يعنى: أخليناه عن ساكنيه- لدلالة (معطلة) عليه...".

وقال فى الثانية: وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حيناً ثم أخذتهم بالعذاب... ومعنى (أنظرتهم) أجلتهم.

---

(١) الكشاف ٥٤١/٤.

ثم نبه على حكم الفاء فى (فكأين) الأولى والواو فى الثانية و(كأين) قـائلا:" فإن قلت: لم كانت الأُولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو؟

قلت: وقعت بدلا من قوله (فكيف كان نكير) الآية ٤٤. وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو أعنى قوله :" ولن يخلف الله وعـده وإن يوما عند ربك كألف سنة" ٤٧(١)"

ومما ينبغى ملاحظته أن الزمخشرى قال فى الأولى (والمعنى: كم قرية) وفى الثانية (وكم من أهل القرية) بإهماله ذكر (مِنْ) فى الأولى ربما يفهم منه أنه يزعم زيادتها. ولكن ذكره لها فى الثانى يرد ذلك. لأن (من قرية) وصف لـ (كأين) فـ (من) فى محل رفع لأن (كأين) مبتدأ. هذه واحدة. وأخرى وهى: أنه قال فى الثانية (أهل القرية) وذلك يوحى بأن المراد بالقرية ليس البنيان بل السـكان. وأقـول أن ظاهر نص الآية يرشد إلى أن البنيان هو المراد بالدرجة الأولى وأما السكان فتبـع له. ففى قوله:" فهى خاوية على عروشها" وبئر معطلة وَقَصْرٍ خالٍ مـن السـكان" إشارة رائعة إلى تدمير هذه المبانى يلزمه - لا محالة- تدمير من وما يسكنها.

ويقول أبو البقاء فى آية العنكبوت:" وكأين من دابة: يجوز أن يكـون فـى موضع رفع بالإبتداء و(الله يرزقها) جملة خبر. ويجوز أن تكون فى موضع نصب بـ (يفعل) دل عليه (يرزقها) ويقدر بعد: كأين(٢)"

وهو يعنى أن المعنى: وكثيرا بعض جنس الدابـة يـرزق الله وجملـة (الله يرزقها) لا محل لها من الإعراب لأنها مفسرة لجملة مقدرة وقد عرفنا أن الصواب

---

(١) الكشاف ٣/ ١٢٧: ١٢٨.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢ /٩٥: ٩٦.

جعل هذا الأسلوب من باب الإقتصار على المفسرلأن العقل يفهم به المعنى المراد. وفى هذا من بلاغة الإيجاز ما لا يخفى.

هذا: وقد ذكر النحاة أن (كأين) إذا أعربت رفعا كان خبرها مقصورا على أن يكون جملة فعلية فعلها ماض أو مضارع أو جارا ومجرور هكذا قرر أبو حيان حيث قال:" وقد استقرأت جملة ما وردت فيه فوجدت خبرها لا يكون إلا جملة فعلية مصدرة بماض أو بمضارع أو جار ومجرور ولم اقف على كونه اسما مفردا. ولا جملة اسمية ولا فعلية مصدرة بمستقبل ينبغى ألا يقدم على شئ من ذلك إلا بسماع من العرب.

قال: والقياس يقتضى أن يكون فى موضع نصب على المصدر أو الظرف أو خبر (كان) كما كان ذلك فى (كم) .

وفى البسيط: أنها تكون مبتدأ او خبراً أو مفعولا[١].

وقد رأيت السيوطى يذكر جزء من هذا النص ولكنه لم يكن دقيقا حيث لم يذكر قول أبى حيان فيما يقع خبرا عن (كأين) أو (جارا ومجرورا) ثم زعم أنه ذكره فيما يمتنع حيث قال: ولا ظرفا ولا مجرورا[٢].

وهذا لم يذكره أبو حيان.

وقد سبق أن أبا حيان لا يرى جواز أن يكون ما بعدها منصوبا. كما لا يكون خبرها جملة اسمية. ومن ثم قال الصبان:" ولا يجوز أن يكون خبرها- أى: كأين- إلا جملة فعلية مصدرة بماض أو مضارع. نحو (وكأين من نبى قاتل...) و (كأين من آية السموات والأرض يمرون عليها. ويرد عليه (وكائن لنا فضلا) فإن الخبر

---

(١) إرتشاف الضرب ١/٣٨٧: ٣٨٨.
(٢) انظر الهمع ٢/٧٦.

فيه جار ومجرور. وقوله تعالى:" وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم" إن جعل الخبر الجملة الأسمية (الله يرزقها) فإن جعل (لا تحمل رزقها) لم ترد الآية فتأمل... (١)"

ومما ينبغى ملاحظته أن الصبان قد نقل هذا من الهمع ومن ثم لم يذكر أن الخبر يجوز أن يكون (ظرفا أو جار ومجرورا) وقد عرفنا أن السيوطى قد ذكر كلام أبى حيان قلقا مضطربا حيث حذف مما ذَكَره وذَكَر ما لم يَذْكُره.

قول الشاعر(وكائن لنا فضلا) جائز ما دام الخبر جار ومجرور وهو (لنا) فقد صرح به أبو حيان. كما ذكرنا أنه يجعل المنصوب بعدها على إضمار (من).

كما قررنا أنها إذا ذكرت لم تكن زائدة بل هى بمعنى (بعض) أما إذا لم تذكر- وهذا لم يرد إلا فى الشعر- فينصب ما بعدها كما ورد فى الشعر السابق. وهذا من باب الضرورة. ولو جاء فى الإختيار لوحظ فيه معنى (من) البعضية.

ولنا أن نقول فى (فكائن ألما حم يسره بعد عسر) المعنى: فكثير حالة كونه ألما حم يسره بعد عسره. فـ (ألما) حال منصوب. ومجئ الحال من المبتدأ وارد فى اللغة ومألوف كما حققنا ذلك فيما سبق من هذه الدراسة.

وإنما أخترت ذلك لأنه ينأى بالنص عن دعوى الحذف والتقدير بدون معنى بلاغى. فضلا عما فيه من النأى بالشعر عن دعوى الضرورة فهى - وإن جازت فيه- غير محمودة.

هذا: وبإحصاء ورود (من) فى الفصل التاسع ثبت أنها ذكرت ٢٤٩ تسعا وأربعين ومائتى مرة. وبالله التوفيق.

وبذلك يكون عدد مرات ورودها فى الفصول التسعة ١٧٩٠ تسعين وسبعمائة وألف مرة.

نسأل الله أن يوفقنا لخدمة كتابه إنه هو سميع الدعاء

---

(١) حاشية الصبان ٤/٨٣، وانظر الهمع ٢/٧٦.

محتويات الكتاب



مركز آيات للطباعة والكمبيوتر ٠١٢/٣٧٩٧٦٤٧